تفسير القرآن الكريم
وإعرابه وبيانه

تأليف

الشيخ محمد علي طه الدرة
(رحمه الله)

المجلد السادس

من سورة الأنبياء إلى سورة النمل

دار ابن كثير

تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

المجلد السادس

من سورة الأنبياء إلى سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1430 هـ ـ 2009 م

دار ابن كثير
للطباعة و النشر و التوزيع
دمشق ـ بيروت

ردمك : 978-9953-520-23-0
الموضوع : تفسير - علوم القرآن
العنوان : تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه 10/1
التأليف : الشيخ محمد علي طه الدرة
الورق : كريم
ألوان الطباعة : لونان
عدد الصفحات : 7520
القياس : 17×24
التجليد : فني - كعب لوحة
الوزن : 13 كغ

التنفيذ الطباعي : 53dots - بيروت
التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي
ص.ب : 311 ـ صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450
مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541
بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة
ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459
www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

دار ابن كثير

9789953520230

بسم الله الرحمن الرحيم

لسان العرب

سورة الأنبياء

وهي مكية بالإجماع، وآياتها مئة واثنتا عشرة آية، وكلماتها ألف ومئة وثمان وستون كلمة، وحروفها أربعة آلاف وثمانمئة وتسعون حرفاً. انتهى. خازن.

تنبيه: انظر شرح الاستعاذة، والبسملة، وإعرابهما في أول سورة (الفاتحة) أو في سورة (يوسف) على نبينا وحبيبنا، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ١٧

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾

الشرح: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ أي: وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يوم القيامة. نزلت الآية في منكري البعث. هذا؛ وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد بالناس هنا المشركون بدليل الآيتين. وقيل: المراد عموم الناس؛ إذا كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش، وهو الصحيح؛ لأن خصوص السبب لا يمنع التعميم، والأحكام الشرعية نزلت بأسباب معلومة، ومعروفة، وهي عامة إلى يوم القيامة.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾: عن التأهب لذلك اليوم، والاستعداد له.

تنبيه: قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (الكهف) و(مريم) و(طه) و(الأنبياء) من العتاق الأول، وهنّ مِنْ تِلادي. يريد من قديم ما كسب، وحفظ من القرآن الكريم كالمال التلاد. وروي: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يبني جداراً، فمر به آخر في يوم نزول هذه السورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ماذا نزل اليوم من القرآن؟ فقال الآخر: نزل: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ...﴾ إلخ فنفض يده من البنيان، وقال: والله لا بنيت أبداً؛ وقد اقترب الحساب. انتهى. قرطبي.

هذا؛ و(الناس) جمع لا واحد له من لفظه مثل: قوم، ورهط... إلخ، واحده: إنسان من غير لفظه، وهو يطلق على الإنسان، والجن، ولكن غلب استعماله في الإنس، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وأصله: الأناس، حذفت منه الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد

يقال: للناس، وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأصل، ولكن بدون لام التعريف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ وقيل: إن أصله: النوس، ولم يحذف منه شيء وإنما قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وانظر شرح الإنسان في الآية [١١] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿ٱقْتَرَبَ﴾: ماض. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حِسَابُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِى غَفْلَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر أول. ﴿مُّعْرِضُونَ﴾: خبر ثان مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، هذا؛ وأجيز تعليق الجار والمجرور بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ تقدم عليه. والأول أقوى، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من (الناس) والرابط: الواو والضمير. وجملة: ﴿ٱقْتَرَبَ...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾

الشرح: ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ أي: أهل مكة. ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أي: جديد، أو متجدد إنزاله، لا أنه مخلوق، والمراد بـ: (الذكر) الآيات التي تنزل بعد الآيات، والسورة التي تنزل بعد السورة. أو المراد به ما يذكرهم به النبي ﷺ ويعظهم، وإضافته إلى ﴿رَّبِّهِم﴾؛ لأنه ﷺ لا ينطق إلا بالوحي، فقوله، ووعظه، وتحذيره ذكر وهو محدث، وانظر شرح ﴿ذِكْرًا﴾ في الآية رقم [٩٩] من سورة (طه). ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ أي: الذكر. ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: يستهزئون. وساهون لاهون، لا يعتبرون، ولا يتعظون. هذا؛ و«أتى» يستعمل لازماً إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، وقرب، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ، ويستعمل متعدياً إذا كان بمعنى: وصل، وبلغ، كما في الآية ونحوها، ومثله جاء في التعدية، واللزوم مع اختلاف اللفظ، واتفاق المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَأْتِيهِم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿ذِكْرٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾: متعلقان بمحذوف صفة ذكر، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿مُّحْدَثٍ﴾ متقدم عليه، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من ﴿ذِكْرٍ﴾؛ لأنه وصف بمحدث، وهو أضعف الأقوال. ﴿مُّحْدَثٍ﴾: صفة ﴿ذِكْرٍ﴾ على لفظه، وقرئ بالرفع صفة له على محله، وأجاز الكسائي نصبه على الحال، ولم أجد قراءة بالنصب. ﴿إِلَّا﴾: حرف

حصر. ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، أو في محل نصب حال من الضمير المنصوب، و«قد» قبلها مقدرة، أو في محل نصب حال من الفاعل الموصوف بما ذكر، والرابط: الضمير الواقع مفعولاً به. والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة، وجملة: ﴿مَا يَأْتِيهِم...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أو هي تفسير لإعراضهم.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾

الشرح: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: ساهية معرضة عن ذكر الله، متشاغلة عن التأمل، والتفهم. والمراد: قلوب أهل مكة. ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ أي: أخفوا تناجيهم فيما بينهم، وكان تناجيهم بتكذيب الرسول ﷺ، وقد بينهم جل ذكره بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: أنفسهم بالشرك، والإعراض عن الذكر الذي جاءهم، وانظر ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ في الآية رقم [٦٢] من سورة (طه) والحديث الذي أسروه فيما بينهم بينه جل ذكره بقوله: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فهم ينكرون إرسال رسول من البشر، وإنما يريدون رسولاً من الملائكة، وهذا كثير منهم، ومتكرر في القرآن الكريم، كما في الآية رقم [٩٤] من سورة (الإسراء) والآية رقم [٧] من سورة (الفرقان) ونحوهما، هذا؛ ويفسر (أسروا) بـ: (أعلنوا)، فهو من الأضداد.

﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: تحضرون السحر، وتصغون إليه، وتقبلونه من محمد ﷺ.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: ترون بأعينكم: أن ما جاء به هو السحر. ومفاده: توبيخ بعضهم بعضاً؛ إن سمعوا الذكر، وقبلوه، واهتدوا به.

الإعراب: ﴿لَاهِيَةً﴾: حال من واو ﴿يَلْعَبُونَ﴾، فهي حال متداخلة، أو من واو ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾، فتكون حالاً متعددة، هذا؛ وقرئ بالرفع على أنه خبر آخر للمبتدأ: (هم) أو هو خبر لمبتدأ محذوف. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: فاعل بـ: ﴿لَاهِيَةً﴾ والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وينبغي أن تعلم أن ﴿لَاهِيَةً﴾ في الأصل صفة قلوبهم، فلما تقدم النعت المنعوت انتصب، ومثله قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾. ﴿وَأَسَرُّواْ﴾: الواو: حرف استئناف. (أسروا): ماض، والواو فاعل، والألف للتفريق. ﴿ٱلنَّجْوَى﴾مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: قال أبو البقاء: في موضعه ثلاثة أوجه. أحدها: الرفع وفيه أربعة أوجه: أحدها أن يكون بدلاً من واو الجماعة في أسروا، والواو فاعله، والثاني: أن يكون الذين فاعلاً، والواو حرف دال على الجمع فقط، والثالث: أن يكون مبتدأ، والخبر: ﴿هَلْ

﴿هَٰذَآ...﴾ إلخ والتقدير: يقولون: هل هذا، وهذا لا معنى له، والأولى أن يكون مبتدأ مؤخراً، وجملة: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ خبراً مقدماً، والرابع: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين ظلموا، وهذه الأوجه الأربعة ذكرتها في الآية [٧٤] من سورة (المائدة) ويزاد هنا الوجه الثاني، وهو أن يكون منصوباً على إضمار: أعني، والوجه الثالث: أن يكون مجروراً صفة لـ: (الناس) أو بدلاً منه على بعد من ذلك، وجملة: ﴿ظَلَمُواْ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَأَسَرُّواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بَشَرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِّثْلُكُمْ﴾: صفة ﴿بَشَرٌ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَفَتَأْتُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: عاطفة على محذوف. (تأتون): مضارع مرفوع... إلخ، الواو فاعله. ﴿ٱلسِّحْرَ﴾: مفعول به. هذا؛ والجملتان: ﴿هَلْ هَٰذَآ...﴾ إلخ بدل من ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ أو تفسير لها، أو هما في محل نصب مقول القول محذوف هو جواب عن سؤال مما قبله، كأنه قيل: فماذا قالوا في نجواهم؟ فقيل: قالوا: ﴿هَلْ هَٰذَآ...﴾ إلخ.

وأجيز اعتبارها مفعولاً به لـ: ﴿ٱلنَّجْوَى﴾، لأنها في معنى القول، وهو أضعف الأقوال الثلاثة، هذا؛ وعلى الاعتبار الأول تكون الجملة أبدلت من المفرد، وقد استشهد بها ابن هشام في المغني لذلك، وذكر قول الشاعر، وهو الشاهد رقم [٨٢٥] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الطويل]

لَقَدْ أَذْهَلَتْنِي أُمُّ عَمْرٍو بِكِلْمَةٍ أَتَصْبِرُ يومَ البَيْنِ أَمْ لَسْتَ تَصْبِرُ؟

والجملة الاسمية: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة والرابط: الواو والضمير.

﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: قال محمد ﷺ، ويقرأ بلفظ الأمر. ﴿رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الذي أسروا النجوى: ربي يعلم كل قول في السماء والأرض؛ سواء أكان سراً، أم كان جهراً، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالهم. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما في ضمائرهم.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى الرسول ﷺ. ﴿رَبِّى﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّى﴾. ﴿ٱلْقَوْلَ﴾: مفعول به. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان

بمحذوف حال من ﴿ٱلْقَوْلَ﴾، وقيل: متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾، وهو ضعيف. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿رَبِّى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: خبر أول، ومتعلقه محذوف. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: خبر ثان، ومتعلقه محذوف أيضاً، والجملة الاسمية (هو...) إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾ المستتر، والرابط: الواو والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها، وإن عطفتها على ما قبلها؛ فهي في محل نصب مقول القول.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾

الشرح: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟...﴾ إلخ: المعنى: إنهم متحيرون، لا يستقرون على شيء فيما يطعنون فيه الرسول ﷺ وفيما جاء به، فقالوا مرة: سحر، وقالوا مرة: هو أضغاث أحلام، ومرة قالوا: افتراه، ومرة قالوا: شاعر. وقيل: قال فريق منهم: إنه ساحر، وفريق قالوا: إنه أضغاث أحلام، وفريق قالوا... إلخ، وانظر شرح ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ في الآية رقم [٤٤] من سورة (يوسف) على حبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: كما أرسل موسى بالعصا، واليد، وصالح بالناقة، وعيسى بإبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى. والمعنى: إن كان صادقاً في دعواه؛ فليأتنا بمعجزة تدل على صدقه كما أتى الأنبياء السابقون بمعجزات واضحة أيدت دعواهم. وانظر شرح «أول» في الآية رقم [٢٤] من سورة (النحل) هذا؛ و(آية) تطلق على معان كثيرة: الدلالة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وتطلق على المعجزة، وهي المرادة هنا، مثل انشقاق القمر، ونحوه، وتطلق على الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ كما تطلق على جملتين، أو أكثر من كلام الله تعالى.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وانتقال. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿أَضْغَٰثُ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو أضغاث، و﴿أَضْغَٰثُ﴾ مضاف، و﴿أَحْلَٰمٍ﴾ مضاف إليه، ﴿بَلِ﴾: مثل سابقه. ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الرسول المقصود بهذا، والهاء مفعول به. ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿فَلْيَأْتِنَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، انظر الشرح. ﴿فَلْيَأْتِنَا﴾: مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى الرسول ﷺ، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط المقدر.

﴿بِـَٔايَةٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَمَآ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية، ﴿أُرۡسِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلۡأَوَّلُونَ﴾: نائب فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . .إلخ. و(ما) مصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: فليأتنا بآية إتياناً كائناً مثل إرسال الأولين، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها، هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صفة (آية)، هذا؛ والجمل المتعاطفة كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على مضمون: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى...﴾ إلخ لا محل لها أيضاً.

﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

الشرح: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم﴾: قبل أهل مكة. ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾: من أهل قرية، أتتهم المعجزات، فلم يؤمنوا، ولم يوحدوا. ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ﴾: أهلكنا أهلها لما كذبوا، وزادوا في عنادهم، وعتوهم كقوم نوح، وهود، وصالح، وكفرعون، ومَنْ على شاكلته. ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: لو جئتهم يا محمد بما طلبوا، وهم أعتى منهم، وأشد نفوراً. وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للإبقاء عليهم، إذ لو أتى به، ولم يؤمنوا؛ استوجبوا عذاب الاستئصال كالذين قبلهم، وقد علم الله وقدر، أنه سيخرج من أصلابهم من يؤمن، ويحمل راية الإسلام، وينشرها في أنحاء المعمورة، والتاريخ الإسلامي أكبر شاهد على ذلك.

هذا؛ و﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾: الأصل: من أهل قرية فقد حذف المضاف للإيجاز، وهذا النوع مِنَ المجاز مشهور في كلام العرب، نظمه، ونثره، و«القرية» في الأصل: اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وهو يطلق على المدينة الكبيرة، وغيرها، كيف لا؟ وقد جعل الله مكة المكرمة أم القرى في قوله: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ كما تطلق على الضيعة الصغيرة، وهي مأخوذة من: قريت الماء في المكان: جمعته، وفي القاموس المحيط: القرية: بكسر القاف، وفتحها، والنسبة إليها قَرَوِيٌّ وقَرِيٌّ.

أما **الإيمان الصحيح**: فهو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان. ولما سئل الرسول ﷺ عنه؛ قال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء، والقدر، خيره، وشره من الله تعالى**».

الإعراب: ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿ءَامَنَتۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿قَبۡلَهُم﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة.

﴿قَرْيَةٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿ءَامَنَتْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَهْلَكْنَاهَآ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿قَرْيَةٍ﴾ على اللفظ. ﴿أَفَهُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف استئناف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ: هذا رد لقول قريش حين أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ وقالوا: الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشراً، فهلا بعث إلينا ملكاً، انظر الآية رقم [١٠٩] من سورة (يوسف) عليه السلام ففيها كبير فائدة، والمعنى هنا، وهناك: أن سنة الله جارية من أول مبدأ الخلق: أنه لم يبعث إلا رسولاً من البشر، فهذه عادة مستمرة، وسنة جارية قديمة.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: أهل الكتاب، وهم علماء اليهود، والنصارى. وإنما أمرهم الله تعالى بسؤال أهل الكتاب؛ لأن كفار مكة كانوا أميين، ويعتقدون: أن أهل الكتاب أهل علم، وقد أرسل الله إليهم رسلاً منهم، مثل عيسى، وموسى، وغيرهما من الرسل، وكانوا بشراً مثلهم. ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: ذلك، وفي الآية الكريمة دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة، ولا ملكاً، ولا جنياً للدعوة العامة، وفي آية (يوسف) زيادة: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾. وينبغي أن تعلم: أن الله أمر كفار قريش الأميين أن يسألوا أهل العلم من اليهود، والنصارى عما هم جاهلون به، فالأحرى بالجاهلين من المسلمين أن يسألوا علماءهم عن أمور دينهم، وعما هم جاهلون به من أمر الدنيا، والآخرة، فخصوص السبب لا يمنع التعميم في كل زمان ومكان، ولكن الكثير من المسلمين بمعزل عن ذلك؛ حتى إن الأكثرية الساحقة من المصلين لا يحسنون وضوءهم، ولا صلاتهم؛ لأنهم لا يجالسون أهل العلم، ولا يسمعون منهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! وينبغي أن تعلم: أن الآية الكريمة مذكورة بحروفها برقم [٤٣] من سورة (النحل)، وانظر ما ذكرته فيها من إعلال وغيره.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿قَبْلَكَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رِجَالًا﴾: مفعول به. ﴿نُّوحِىٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء،

والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، هذا؛ ويقرأ: (يُوحَى) بالبناء للمجهول، فتكون علامة الرفع مقدرة على الألف. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿نُّوحِيٓ﴾، وهما في محل رفع نائب فاعل على القراءة الثانية، والجملة الفعلية على القراءتين في محل نصب صفة ﴿رِجَالًا﴾، وجملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، ويعتبرها ابن هشام للسببية المحضة، وهي حرف عطف على قول من يجيز عطف الإنشاء على الخبر. (اسألوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَهْلَ﴾: مفعول به، و﴿أَهْلَ﴾: مضاف، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كنتم جاهلين؛ فاسألوا. . .إلخ، وهذا الكلام مستأنف، أو معطوف على ما قبله لا محل له على الاعتبارين. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، والجملة الشرطية تذييل للكلام السابق، ومؤكدة له، لا محل لها.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: الرسل. ﴿جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾: هذا رد لقولهم في الفرقان: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾. ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾: هذا رد لقولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ والمعنى: لم نجعل الرسل قبل محمد ﷺ خارجين عن طباع البشر، لا يحتاجون إلى طعام، وشراب، ولا يموتون؛ بل هم بشر مثلكم في كل ما تحتاجون إليه، وفي كل ما يصيبكم في هذه الدنيا من مرض، وموت. . .إلخ.

هذا؛ و(جسد) اسم جنس، أو هو مصدر، ولهذا لم يجمع، وهو جسم ذو لون، ولذلك لا يطلق على الماء والهواء، والجسد هو الذي له جرم، تقول: تجسد الشيء، كما تقول عن الجسم: تجسم، والجسد أيضاً: الزعفران، ونحوه من أنواع الصبغ، وهو أيضاً الدم؛ لأنه يتجسد، قال النابغة الذبياني: [البسيط]

فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَى الأنصابِ مِنْ جَسَدِ

فهو يقسم بالله أولاً، ثم بالدماء التي كانت تُصَبُّ في الجاهلية على الأصنام.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿جَعَلْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿جَسَدًا﴾: مفعول به ثان، أو هو حال من الضمير المنصوب. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَأْكُلُونَ﴾: مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلطَّعَامَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية

في محل نصب صفة جسداً، أو هي في محل نصب حال أخرى، وجملة: ﴿وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَـٰلِدِينَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ أي: الرسل. وذلك بإنجائهم، ونصرهم، وإهلاك مكذبيهم، وانظر (الوعد) في الآية رقم [٥٤] من سورة (مريم) عليها السلام. ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾: يعني ومن اتبعهم، واهتدى بهديهم، ومن في إبقائه حكمة، كمن سيؤمن في المستقبل، أو يخرج من صلبه من يؤمن؛ ولذلك حفظت العرب من عذاب الاستئصال. ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزين الحد في الكفر، والمعاصي، هذا؛ وكثيراً ما يعبر القرآن عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، ولا سيما من قرأ القرآن، واطلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿صَدَقْنَـٰهُمُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿ٱلْوَعْدَ﴾: مفعول به ثان، وقيل: هو منصوب بنزع الخافض؛ لأن الفعل: «صدق» يتعدى للثاني بحرف الجر، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُمْ﴾ معطوفة عليها أيضاً. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول؛ أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على الضمير المنصوب، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شخصاً نشاء إنجاءه، وجملة: ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾: يا معشر قريش. ﴿كِتَـٰبًا﴾: هو القرآن الكريم. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: شرفكم؛ إن عملتم به، وفخركم؛ إن اهتديتم بهديه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ وهو شرف، وفخر لنا؛ إن عملنا بما فيه. وقيل: فيه موعظتكم؛ لتتعظوا به، فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فيه بعث، وحث على التدبر؛ لأن الخوف من لوازم العقل. هذا؛ وانظر: (أنزل) و(نزل) في الآية رقم [٢] من سورة (طه).

هذا؛ والعقل: نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس الظاهرة، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه، أي: يمنعه من فعل الرذائل، والقبائح؛ لذا فإن كل شخص لا يسير على الجادة المستقيمة لا يكون عاقلاً بالمعنى الصحيح، وخذ ما يلي: [البسيط]

لـم يَبْـقَ مِـنْ جُـلِّ هـذا الـنـاسِ بـاقِـيـةٌ ينـالُـهَـا الـوهْـمُ إلا هـذِهِ الـصُّـوَرُ
لا يَـدْهَـمَـنَّـكَ مِـنْ دَهْـمـائِـهِـمْ عَـدَدٌ فَـإنَّ جُـلَّـهُـمُ بَـلْ كُـلُّـهُـمْ بَـقَـرُ

يقول: لا يدهمنك من جماعتهم الكثيرة عدد فيهم غناء، ونصرة، فإنَّ كلَّهم كالأنعام، والبهائم، ولله درُّ القائل: [المنسرح]

لا يَـدْهَـمَـنْـكَ الـلِّـحَـاءُ والـصُّـوَرُ تـسـعـةُ أعـشـارِ مَـنْ تـرى بَـقَـرُ
فـي شـجـرِ الـسَّـرْوِ مـنـهـمُ شـبَـهٌ لـه رواءٌ ومـالـهُ ثَـمَـرُ

ورضي الله عن حسَّان بن ثابت؛ إذ يقول: [البسيط]

لا بـأسَ بـالـقـومِ مِـنْ طـولٍ ومـنْ عِـظَـمٍ جِـسـمُ الْـجـمـالِ وأحْـلَامُ الـعَـصَـافـيـرِ

فقد ورد: أن رجلاً معتوهاً مرَّ على مجلس النبي ﷺ، فقال الصحابة رضوان الله عليهم: هَذَا رَجُلٌ مجنونٌ، فقال سيد الخلق، وحبيب الحق: **«هَذا مصابٌ، إنَّمَا الْمَجنُونُ مَنْ أَصَرَّ عَلَى مَعْصيَةِ الله»**. هذا؛ والعقل أيضاً: الدية، سميت بذلك؛ لأن الإبل المؤداة دية، تعقل بباب ولي القتيل، والعقال بكسر العين: الحبل الذي تشد به ركبة الجمل عند بروكه ليمنعه من القيام، والمشي، والعقال: أيضاً صدقة عام، قال شاعر يهجو عاملاً على الصدقات: [البسيط]

سَـعَـى عِـقـالاً فَـلَـمْ يَـتـرُكْ لـنـا سَـبَـداً فـكَـيـفَ لَـوْ قـد سَـعَـى عَـمْـرٌو عِـقَـالَـيْـنِ؟
لأَصْـبَـحَ الـنَّـاسُ أوْ بَـاداً ولَـمْ يَـجِـدُوا عِـنْـدَ الـتَّـفَـرُّقِ فـي الـهَـيْـجَـا جِـمَـالَـيْـنِ

الإعراب: ﴿لَقَدۡ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَنزَلۡنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيۡكُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كِتَٰبٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَقَدۡ...﴾ إلخ ابتدائية، أو جواب قسم محذوف لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ذِكۡرُكُمۡ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، أو من إضافته إلى الفاعل، والمفعول محذوف، والجملة الاسمية في محل نصب صفة ﴿كِتَٰبٗا﴾. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: حرف عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام؛ أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون؟! (لا): نافية. ﴿تَعۡقِلُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ والواو فاعله، والكلام كله مستأنف لا محل له.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ أي: وأهلكنا كثيراً من القرى، والمراد: أهلها، كما رأيت في الآية رقم [٦] هذا؛ والقصم: الكسر، والمراد به: الإهلاك كما رأيت. ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ أي: كافرة، والمراد: ظلمت نفسها بالكفر، فكلٌّ من عصى الله ظلم نفسه التي بين جنبيه. ﴿وَأَنشَأْنَا...﴾ إلخ: أي: خلقنا، أو أبدلنا بأهلها الكافرين قوماً مؤمنين موحدين، وهو كقوله تعالى في معرض التهديد: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

الإعراب: ﴿وَكَمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (كم): خبرية بمعنى: كثير مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿قَصَمْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرْيَةٍ﴾: تمييز منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿كَانَتْ﴾: ماض ناقص، واسمها يعود إلى قرية، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿ظَالِمَةً﴾: خبر ﴿كَانَتْ﴾ والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿قَرْيَةٍ﴾. (أنشأنا): فعل، وفاعل. ﴿بَعْدَهَا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، (ها): في محل جر بالإضافة. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرِينَ﴾: صفة ﴿قَوْمًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة ﴿وَأَنشَأْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة (كم قصمنا...) إلخ لا محل لها.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾: فلما رأوا شدة عذابنا، أو المراد: مقدمة العذاب، وبوادره. وواو الجماعة عائدة إلى أهل القرية. ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا﴾ أي: من القرية. ﴿يَرْكُضُونَ﴾ أي: خرجوا هاربين، فارين، والركض: العدو بشدة، وهو تحريك الرجل بشدة، ومنه قوله تعالى لأيوب عليه السلام: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ...﴾ إلخ، وركضت الفرس برجلي: استحثثته ليعدو. هذا؛ والبأس: الشجاعة، والقوة، والخوف، وشدة الحرب، والمراد به هنا: العذاب، كما رأيت، ومؤنثه: البأساء بالمد، وما أشبه ما تضمنته الآيتان هنا بما تضمنته الآيات [٦٤ و٦٥ و٦٦] من سورة (المؤمنون).

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى حين عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿أَحَسُّوا﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بَأْسَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً؛ لأنها تكون ابتدائية. ﴿إِذَا﴾: فجائية واقعة في جواب (لمَّا) وانظر

الآية رقم [٩٧] الآتية لتفصيل الأقوال فيها. ﴿هُم﴾: مبتدأ. ﴿مِّنْهَا﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، وجملة: ﴿مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، وانظر محل الجملة الاسمية في الآية المذكورة و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، و﴿إِذَا هُم...﴾ إلخ جواب (لمَّا)، لا محل له.

﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟﴾ أي: لا تفرُّوا. قيل: إن الملائكة نادتهم لـمَّا انهزموا عند معاينة العذاب استهزاءً بهم. ﴿وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ أي: عودوا إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم، والخروج عن طاعة ربكم. والمترف: المتنعم بلذائذ الدنيا، وشهواتها. ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ التي كانت لكم، وتستقرون فيها. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ أي: عن شيء من دنياكم استهزاء بهم. وقيل: المعنى: لعلكم تسألون عما نزل بكم من العقوبة، فتخبرون به. وفي الخازن: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تسألون عن قتل نبيكم.

قيل: نزلت الآيات في أهل «حضور» قرية باليمن، وكان أهلها عرباً، فبعث الله إليهم نبياً اسمه: شعيب بن ذي مهدم، وقبره باليمن بجبل يقال له: ضنن كثير الثلج، وليس هو بشعيب صاحب مدين، فدعاهم إلى الله، فكذبوه، وقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر، فقتلهم، وسباهم، فلمَّا استمر فيهم القتل؛ هربوا، فقالت لهم الملائكة استهزاءً: لا تركضوا، وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم، لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم، فإنكم أهل ثروة، ونعمة، فتعطون من شئتم، وتمنعون من شئتم، فاتَّبعهم بختنصر، وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جو السماء: يا لثارات الأنبياء! فلما رأوا ذلك؛ أقروا بالذنب حين لم ينفعهم، وهو ما في الآية التالية. انتهى. خازن، وقرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿وَٱرْجِعُوٓا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِلَىٰ مَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أُتْرِفْتُمْ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد الضمير المجرور محلاً بـ: (في). ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾: معطوف على ﴿مَآ﴾ الموصولة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والمتعلق محذوف. انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل) والجملة الاسمية فيها معنى التعليل، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، انظر القول المذكور في الشرح. تأمل، وتدبر.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ...﴾ إلخ: اعترفوا بالذنوب حين نزل بهم العذاب، ولم يجدوا مَخْلَصاً منه ولكن لم ينفعهم اعترافهم، وقالوا ذلك تحسراً، وتأسفاً على ما فرط منهم، وانظر شرح (ويل) في الآية رقم [١٨] الآتية.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾: (يا): قال الجلال: حرف تنبيه. (ويلنا): قال الجلال: مصدر، لا فعل له من لفظه، وهو يعني: أنه مفعول مطلق، والتحقيق: أنه منادى، ونداء الويل على تشبيهه بشخص يطلب إقباله، كأنه قيل: يا هلاكنا أقبل، فهذا أوانك، ففيه استعارة مكنية، وتخييلية، وفيه تقريع لهم، وإشارة إلى أنه لا صاحب لهم غير الهلاك، وطلبوا هلاكهم؛ لئلا يروا ما هم فيه. انتهى. جمل نقلاً عن الشهاب في سورة (الكهف). و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت النون، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿ظَٰلِمِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن) والكلام: ﴿يَٰوَيْلَنَآ...﴾ إلخ كله في محل مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: فما زالوا يرددون: ﴿يَٰوَيْلَنَآ...﴾ إلخ وإنما سماه دعوى؛ لأن المدلول كأنه يدعو بالويل والثبور، وعظائم الأمور، ويقول: يا ويل تعال فهذا أوانك. ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾: مثل النبت الذي يحصد بالمناجل، وهم قد حصدوا بالسيوف، هذا؛ و(حصيد) فعيل بمعنى مفعول، يستوي فيه المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث. ﴿خَٰمِدِينَ﴾: ميتين، والخمود: الهمود، كخمود النار إذا طفئت، فشبه خمود الحياة بخمود النار، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف، وتفريع. (ما): نافية. ﴿زَالَت﴾: ماض ناقص، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿تِّلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع اسم (زال) واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: خبر (زال) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر، وغاية، بعدها «أن» مقدرة. ﴿جَعَلْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿حَصِيدًا﴾: مفعول به ثان، أو هو حال من الضمير المنصوب. ﴿خَٰمِدِينَ﴾: من تعدد المفعول الثاني، أو من تعدد الحال، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه

جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، و«أن» المقدرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ والفعل (جعل) في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾ والجار، والمجرور متعلقان بالفعل ﴿زَالَت﴾، وجملة: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير الآية: وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع، تبصرة للنظار، وتذكرة لذوي الاعتبار، وتسبباً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش، والمعاد، فينبغي أن يتسلقوا به إلى تحصيل الكمال، ولا يغترُّوا بزخارفها، فإنها سريعة الزوال. وقال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: معناه: ما سوينا هذا السقف المرفوع، وهذا المهاد الموضوع، وما بينهما للَّعب، واللهو؛ وإنما سويناهما لفوائد، منها: التفكر في خلقهما، وما فيهما من العجائب والمنافع؛ التي لا تعد ولا تحصى.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿خَلَقْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿لَٰعِبِينَ﴾: حال من (نا) منصوب... إلخ، وجملة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾: اللهو: المرأة بلغة أهل اليمن، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: اللهو: الولد. وقال الجوهري: وقد يكنى باللهو عن الجماع. قال القرطبي: ومنه قول امرئ القيس: [الطويل]

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْمَ أَنَّنِي كَبِرْتُ وَأَلَّا يُحْسِنَ اللَّهْوَ أَمْثَالِي

﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ أي: من عندنا من الحور العين، لا من عندكم من أهل الأرض، والمراد به الرد على المشركين؛ الذين قالوا: الأصنام بنات الله، وبعضهم يقول: الملائكة بنات، وفيه الرد أيضاً على النصارى في دعواهم المسيح ابن الله. ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: ولكن لسنا بفاعلين لاستحالة اللهو علينا بجميع أنواعه من زوجة، وولد، ونحوهما؛ لأنه لا يليق بمقام الربوبية.

الإعراب: ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَرَدْنَآ﴾: فعل، وفاعل، والمصدر المؤول من: ﴿أَن نَّتَّخِذَ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿لَهْوًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَرَدْنَآ...﴾ إلخ

لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (اتخذناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوۡ﴾ لا محل لها. ﴿مِن﴾: حرف جر. ﴿لَّدُنَّآ﴾: اسم مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿مِن﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(نا): اسمها. ﴿فَٰعِلِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، ومفعوله محذوف، وجواب الشرط محذوف، التقدير: لكنا لم نفعله، فلم نرده. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿إِن﴾ نافية بمعنى ما، وتكون الجملة في محل نصب حال، والشرطية أقوى معنىً. تأمل. و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل لها.

﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾

الشرح: ﴿نَقۡذِفُ﴾: نلقي، ونرمي. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالإيمان، أو بالقرآن. ﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ أي: على الكفر، أو الشيطان، أو ما افتروه على الله من اتخاذه الولد. ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾: فيبطله، ويمحقه، ويقهره. قال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذه استعارة لطيفة؛ لأن أصل القذف، والدمغ في الأجسام، ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل، والدمغ لإذهابه، فالمستعار منه حسي، والمستعار له عقلي، فكأنه قيل: بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف، فيبطله إبطال الجسم القوي الضعيف، انتهى.

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾: هالك. والزهوق: ذهاب الروح، وانظر الآية رقم [٨١] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك. ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: ولكم الهلاك والوبال، مما تصفون الله بما لا يليق به من اتخاذ الصاحبة والولد، هذا؛ وويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة، وأصلها في اللغة: العذاب، والهلاك. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الويل: شدة العذاب. وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الوَيْلُ: وَادٍ في جَهَنَّمَ، يَهْوِي فيهِ الكَافِرُ أَرْبعِينَ خَرِيفاً قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ**». أخرجه الترمذي، هذا؛ و(الويل) مصدر لم يستعمل منه فعل؛ لأن فاءه، وعينه معتلتان، ومثله: ويح، وويس، وويب، وهو لا يثنى، ولا يجمع، وقيل: يجمع على: «ويلات» بدليل قول امرئ القيس: [الطويل]

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي

وإذا أضيفت هذه الأسماء؛ فالأحسن النصب على المفعولية المطلقة، وإذا لم تضف فالأحسن فيها الرفع على الابتداء، وهي نكرات، وساغ ذلك لتضمنها معنى خاصاً، هذا؛ وويل نقيض الوأل، وهو النجاة، هذا؛ وقد ينادى الويل إذا أضيف إلى ياء المتكلم، أو «نا» وسبقته أداة النداء، مثل: يا ويلتي، يا ويلتنا، ولا تنس: أنه قد أنث الويل في هذين اللفظين، وانظر الآية رقم [١٤].

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب عن الكلام السابق، أي: دع ذلك الذي قالوه، فإنه كذب، وباطل. ﴿نَقْذِفُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من (الحق) التقدير: مُستعلياً على الباطل. والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (يدمغه): مضارع مرفوع، والفاعل يعود إلى (الحق) والهاء مفعول به، وهو يعود إلى ﴿الْبَاطِلِ﴾ والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها، هذا؛ ويقرأ الفعل بالنصب على اعتبار الفاء للسببية، من غير أن تسبق بنفي، أو طلب، وهي قراءة غير سبعية، ومثلها في النصب قول المغيرة بن حبناء: [الوافر]

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا

انظر الكلام على هذا البيت في كتابنا فتح القريب المجيب رقم [٣٢٠] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ انظر إعراب الآية رقم [٩٧] فالإعراب واحد. ﴿وَلَكُمُ﴾: الواو: حرف استئناف. (لكم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿الْوَيْلُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِمَّا﴾: قال أبو البقاء: متعلقان بمحذوف حال، التقدير: ولكم الويل واقعاً، وهذا يعني: أن الحال من ﴿الْوَيْلُ﴾ وكثيرون لا يجيزون مجيء الحال من المبتدأ، والأحسن تعليقهما بمحذوف خبر المبتدأ، أو هما متعلقان بمحذوف خبر ثان، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي، أو: من شيء تصفونه به، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ)، التقدير: ولكم الويل من وصفكم الله بما لا يليق به.

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَهُ﴾: وَللهِ، وفيه التفات من التكلم في الآيات السابقة إلى الغيبة. ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً، وهو الخالق لهم، والمنعم عليهم بأصناف النعيم، فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده، وخلقه، وملكه. ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾ يعني: الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك، وقد ادعيتم: أنهم بنات الله. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾: لا يأنفون، ولا يتعظمون عنها. ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا يتعبون. وقيل: لا يملون، ولا يكلُّون. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (له): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. (مَنْ):

مبتدأ. ﴿عِندَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول وهي عندية تشريف وتكريم، لا عندية مكان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، هذا؛ وأجيز اعتبار (مَنْ) معطوفة على الأولى، وعليه فالجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، أو من الضمير المتصل في: ﴿عِندَهُۥ﴾، أو مِنْ ﴿مَنْ﴾ الأولى أو الثانية على قول من يجيز رفع من في الجار والمجرور: (له) من غير اعتماد على نفي، وشبهه. ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿يُسَبِّحُونَ...﴾ إلخ: يقدسون الله، ويعظمونه، ويصلُّون له في جميع أوقات الليل والنهار، لا يملون، ولا يسأمون، ولا يضعفون، يلهمون التسبيح، والتقديس، كما يلهمون النفس. قال عبد الله بن الحارث: سألت كعباً، فقلت: أما لهم شغل عن التسبيح؟ أما يشغلهم عنه شيء؟ فقال: من هذا؟ فقلت: من بني عبد المطلب، فضمني إليه، وقال: يا بن أخي! هل يشغلك عن النفس شيء؟ إن التسبيح لهم بمنزلة النفس. وقد استدل بهذه الآية من قال: إن الملائكة أفضل من بني آدم، وقد بينت لك في سورة (النساء) وغيرها: أن خواص بني آدم أفضل من خواص الملائكة، وخواص الملائكة أفضل من عوام بني آدم، وعوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٤] من سورة (الإسراء) ففيها كبير فائدة. وانظر شرح ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ في الآية رقم [١٢] منها.

الإعراب: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي حال من واو الجماعة، فهي حال متداخلة من وجه. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل نصب حال من واو الجماعة في ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ فهي حال متداخلة من وجه، وغير متداخلة على اعتبار الأولى مستأنفة، وأجيز اعتبارها مستأنفة أيضاً.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً...﴾ إلخ أي: بل اتخذ كفار قريش آلهة مصنوعة من معادن الأرض، وهي الأصنام المتخذة من الحجارة، والخشب، وغيرهما، وهي من الأرض. ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾: يحيون الموتى، ففيه زيادة توبيخ، وإن لم يدعوا: أنَّ أصنامهم تحيي الموتى، وإن لم يقروا بإحياء الموتى، وكيف يدعون ذلك، ومن أعظم المنكرات أن يبعث الموتى من قبورهم

بعض الجمادات، وإنما يعزى لهم ذلك على وجه التبكيت؛ لأنه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الإنشار؛ لأن العاجز عنه، لا يصح أن يكون إلهاً؛ إذ لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور. والإنشار من جملة المقدورات، وقد عوملت الأصنام وهي لا تعقل معاملة المذكر العاقل؛ حيث جمعت جمعه. انظر الآية رقم [٥٨] الآتية.

الإعراب: ﴿أَمِ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل» كما رأيت. ﴿اتَّخَذُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿ءَالِهَةً﴾، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُنشِرُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب صفة لـ: ﴿ءَالِهَةً﴾.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾: في السموات والأرض. ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: غير الله، فـ: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى «غير» هنا، وهي صفة آلهة: فوصفت بها كما توصف بـ: «غير» لو قيل: آلهة غير الله. واعتبره ابن هشام في المغني من تقارض اللفظين في الأحكام، قال: من ملح كلامهم تقارض اللفظين في الأحكام، ولذلك أمثله: أحدها إعطاء (غير) حكم (إلا) في الاستثناء بها، نحو قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ فيمن نصب غير، وإعطاء(إلا) حكم غير في الوصف بها، نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وانظر الشاهد رقم [١١٩٥] وما بعده من كتابنا فتح القريب المجيب تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

ولا يجوز رفع ما بعدها على البدل من ﴿ءَالِهَةٌ﴾؛ لأن الكلام قبل ﴿إِلَّا﴾ تام موجب، والبدل لا يسوغ إلا في الكلام التام المنفي، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ﴾ في قراءة الرفع، ولا يجوز نصبه على الاستثناء لفساد المعنى؛ ولأن الجمع إذا كان منكراً لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين؛ لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء، ولهذه المسألة نظائر في الشعر العربي، مثل قول ذي الرمة: [الطويل]

أُنِيخَتْ، فألْقَتْ بلْدةً فوقَ بلْدةٍ ... قليلٍ بها الأصواتُ إلا بُغَامُها

وقول لبيد بن ربيعة العامري الصحابي، رضي الله عنه: [البسيط]

لو كَانَ غَيرِي ـ سُلَيْمى ـ الدَّهْرَ غيَّرَهُ ... وقْعُ الحوادثِ إلا الصَّارمُ الذَّكَرُ

وهما الشاهدان رقم [١١٣ و١١٤] من كتابنا فتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب. ﴿لَفَسَدَتَا﴾: لخرجتا عن نظامهما المشاهد؛ لوجود التمانع بين الآلهة على وفق العادة

عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء، وعدم الاتفاق عليه، ويوجد التمانع؛ لأن كل أمر صدر عن اثنين، فأكثر لم يجر على النظام، ويدل العقل على ذلك، وذلك أنَّا لو قدرنا إلهين، لكان أحدهما إذا انفرد صح منه تحريك الجسم، وإذا انفرد الثاني صح منه تسكينه، فإذا اجتمعا؛ وجب أن يبقيا على ما كانا عليه حال الانفراد، فعند الاجتماع يصح أن يحاول أحدهما التحريك، والآخر التسكين، فإما أن يحصل المرادان وهو محال، وإما أن يمتنعا وهو أيضاً محال؛ لأن كل واحد منهما يكون عاجزاً، فوجب القول بوجود إلهين يوجب الفساد، فكان القول به باطلاً. انتهى. جلال، وجمل نقلاً عن كرخي. وانظر الآية رقم [٤٢] من سورة (الإسراء) والآية رقم [٩١] من سورة (المؤمنون).

﴿فَسُبۡحَٰنَ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (النحل). ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الكهف). ﴿رَبِّ﴾: انظر الآية رقم [٨] من سورة (الإسراء). ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾: قال الراغب في كتابه (مفردات القرآن): وعرش الله عز وجل لا يعلمه البشر إلا بالاسم، لا بالحقيقة، وليس هو كما تذهب إليه أوهام العامة، فإنه لو كان كذلك؛ لكان حاملاً له، تعالى الله عن ذلك. هذا؛ وقال سليمان الجمل: وأما المراد به هنا فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها. وانظر ما ذكرته في آية الكرسي [٢٥٥] من سورة (البقرة).

هذا؛ وفي سورة (الرعد): ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ وفي سورة (طه): ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فمعنى استوى: استولى، ولا يجوز تفسيره باستقر، وثبت، فيكون الله من صفات الحوادث، وهذا التأويل ينبغي أن يقال في كل ما يوهم وصفاً لا يليق به تعالى، والمنقول عن جعفر الصادق، والحسن، وأبي حنيفة، ومالك - رضي الله عنهم أجمعين - أن الاستواء معلوم، والتكييف فيه مجهول، والإيمان به واجب، وجحوده كفر، والسؤال عنه بدعة.

وهو مثل قول الإمام علي كرم الله وجهه: الاستواءُ غَيْرُ مجهولٍ، والتكييفُ غَيْرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنهُ بِدْعَةٌ؛ لأنه تعالى كانَ ولا مكانَ، فهو على ما كانَ قبل خلقِ المكانِ لم يَتَغَيَّرْ عمَّا كَانَ. ومضمون: ﴿فَسُبۡحَٰنَ...﴾ إلخ تنزيه الله عما وصفه به المشركون، والنصارى من اتخاذ الصاحبة، والولد. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. هذا؛ وأهل السلف يقولون: استوى استواء يليق به، ليس كمثله شيء.

الإعراب: ﴿لَوۡ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿فِيهِمَآ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿ءَالِهَةٌ﴾: اسم كان مؤخر. ﴿إِلَّا﴾: اسم بمعنى «غير» وقال الفراء بمعنى: «سوى» صفة آلهة، ظهر إعرابه على مابعده بطريق العارية لكونه على صورة الحرف و﴿إِلَّا﴾ مضاف، ولفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة ﴿إِلَّا﴾ التي على صورة الحرف، وقال المبرد: إن اسم ﴿ٱللَّهُ﴾: بدل من آلهة، ورده ابن هشام في المغني، وناقشه طويلاً.

﴿لَفَسَدَتَا﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. (فسدتا): ماضٍ، والتاء للتأنيث، وحركت بالفتحة لالتقائها ساكنة مع ألف الاثنين التي هي فاعله، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْ﴾، لا محل لها، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سبحان): مفعول مطلق لفعل محذوف، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف مستأنفة، لا محل لها. ﴿رَبِّ﴾: صفة لفظ الجلالة، أو بدل منه، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَرْشِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (سبحان) وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [١٨] فهو مثله بلا فارق.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ أي: لا يُسأل الله عمَّا يفعله، ويقضيه في عباده من إعزازٍ، وإذلالٍ، وهدىً، وإضلالٍ، وإسعادٍ، وإشقاء؛ لأنه تعالى المالك على الحقيقة، ولو اعترض على الملك بعض خدمه، وحشمه مع وجود التجانس، وجواز الخطأ عليه، وعدم الملك الحقيقي؛ لاستقبح ذلك منه، وعُدَّ سفهاً، فالذي هو مالك الملوك، ورب الأرباب، وفعله كله صواب أولى بأن لا يعترض عليه. ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾: والناس يسألون عن أعمالهم سؤال توبيخ، وتبكيت، يقال لهم يوم القيامة: لم فعلتم كذا؟ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم، والله تعالى ليس فوقه أحد.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذه الآية قاصمة للقدرية، وغيرهم، وروي عن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً قال له: يا أمير المؤمنين! أيحب ربنا أن يعصى؟ قال: أفيعصى ربنا قهراً؟ قال: أرأيت إن منعني الهدى، ومنحني الردى؛ أأحسن إليَّ أم أساء؟ قال: إن منعك حقك؛ فقد أساء، وإن منعك فضله، فهو فضله يؤتيه من يشاء، ثم تلا الآية. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما بعث الله ـ عز وجل ـ موسى، وكلمه، وأنزل عليه التوراة؛ قال: اللهم إنك رب عظيم، لو شئت أن تطاع؛ لأطعت، ولو شئت ألا تعصى ما عصيت، وأنت تحب أن تطاع، وأنت في ذلك تعصى، فكيف هذا يا رب؟! فأوحى الله إليه: إني لا أسأل عما أفعل، وهم يسألون.

تنبيه: من الصفات التي امتاز بها القرآن: الإيجاز في الألفاظ مع احتوائها على المعاني الكثيرة التي تحتاج إلى كلام كثير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وفي الآية الكريمة إيجاز واضح وظاهر، ولقد أعجب الناس بقول السموءل: [الطويل]

ونُنْكِرُ إنْ شِئنَا على الناسِ قَوْلَهُمْ ... ولا يُنْكِرون القولَ حينَ نَقُولُ

وعندما عدوا حروف الآية، وحروف البيت لم يجدوا بُدّاً من الاعتراف بفصاحة القرآن وبلاغته وإيجازه، وأين الثرى من الثريا؟.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُسْـَٔلُ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى الله تعالى وهو المفعول الأول. ﴿عَمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: عن الذي، أو: عن شيء يفعله. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: عن فعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُسْـَٔلُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والمتعلق محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر مبتدأ، والجملة الاسمية ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من نائب الفاعل المستتر، والرابط: الواو فقط، وهو أولى من عطف الجملة الاسمية على الفعلية.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ﴾: كرره استعظاماً لكفرهم، واستفظاعاً لأمرهم، وتبكيتاً، وإظهاراً لجهلهم، وقال النسفي: الإعادة لزيادة الإفادة، فالأول للإنكار عليهم من حيث العقل، والثاني من حيث النقل. انتهى. هذا؛ وفيه زيادة التوبيخ، والتقريع. ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ﴾ أي: حجتكم على تلك الآلهة؛ التي تعبدونها من دون الله. والخطاب للنبي ﷺ. ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: هذا القرآن فيه خبر من تبعني على ديني إلى يوم القيامة، وما لهم من الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية. ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ أي: فيه خبر مَنْ قبلي من الأمم السالفة، وما فعل بهم في الدنيا، وما يفعل بهم في الآخرة.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾: القرآن، ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ﴾ التوراة، والإنجيل. والمعنى: راجعوا القرآن، والتوراة، والإنجيل، وسائر الكتب هل تجدون فيها: أن الله اتخذ ولداً، أو كان معه آلهة. هذا؛ ويقرأ بتنوين (ذكرٌ) وكسر ميم (مِنْ) في الموضعين، وبفتحها في الموضعين. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ﴾ أي: القرآن وما فيه من المواعظ، والأحكام، ولا يميزون بينه وبين الباطل. ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: لعدم معرفتهم الحق، فهم معرضون عن الاهتداء به، والأخذ بتعاليمه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله، أو التقصير في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حد التكليف، أو لأنه يقام مقام الكل.

أما ﴿هَاتُوا﴾ فهو بمعنى: أحضروا. قال ابن هشام - رحمه الله تعالى - في قطر الندى: وأما «هَاتِ، وَتَعَالَ» فعدهما جماعة من النحويين في أسماء الأفعال، والصواب: أنهما فعلا أمر، بدليل أنهما دالان على الطلب، وتلحقهما ياء المخاطبة، تقول: هاتي، وتعالي، ثم قال: واعلم: أنَّ آخر(هاتِ) مكسور أبداً إلا إذا كان لجماعة المذكرين، فإنه يُضم، فتقول: هاتِ يا هندُ، وهاتيا يا زيدان، وهاتيا يا هندانِ، وهاتينَ يا هنداتُ، كل ذلك بكسر التاء، وتقول: هاتُوا يا قومُ بضمها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أقول: ومما ينبغي التنبه له: أنهما لا ماضي، ولا مضارع لهما، فهما جامدان، ملازمان للأمرية.

الإعراب: ﴿أَمِ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل» ﴿اتَّخَذُوا﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن دُونِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿آلِهَةً﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». وقيل في محل نصب مفعول به ثان، ولا وجه له قطعاً. ﴿آلِهَةً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿اتَّخَذُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿هَاتُوا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿هَاتُوا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿هَذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ذِكْرُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَّعِيَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، هذا؛ وعلى قراءة التنوين وفتح ميم ﴿مَن﴾ فهو في محل نصب صراحة، والإعراب نفسه، وأما على قراءة التنوين وكسر الميم؛ فـ: (مِنْ) جارة لمحذوف، والجار والمجرور متعلقان بـ: (ذكر) والظرف متعلق بمحذوف صلة ذلك المحذوف، وتقدير الكلام: هذا ذِكرٌ مِنَ الَّذي مَعيَ. ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله قراءةً، وإعراباً. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ. والواو فاعله. ﴿الْحَقَّ﴾: مفعول به، ويقرأ برفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الحق، والجملة الاسمية هذه في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَا يَعْلَمُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أَكْثَرُهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿هَذَا ذِكْرُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿فَهُم﴾: الفاء: حرف عطف وسبب، والجملة الاسمية: (هم معرضون) معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا...﴾ إلخ: فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد، حيث قال الله لجميع الرسل السابقين قولوا: لا إله إلا الله. فأدلة العقل، وهي ما يوجد في السموات، والأرض من آيات شاهدة: أنه لا شريك له تعالى، والنقل عن جميع الرسل موجود، والدليل إما معقول، وإما منقول، قال قتادة: لم يرسل نبيٌّ إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة، والإنجيل، والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص، والتوحيد. أقول: وتغير الشرائع، والأحكام تبع لتغير الأزمان.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن قَبۡلِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وفي الآية رقم [٧] ونحوها محذوف حرف الجر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿رَّسُولٍ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نُوحِيٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿إِلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، هذا؛ ويقرأ: (يُوحى إليْه) فهو مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والجار والمجرور: ﴿إِلَيۡهِ﴾ في محل نائب فاعله، وعلى القراءتين فالجملة الفعلية في محل نصب حال مِنْ ﴿رَّسُولٍ﴾، وساغ مجيء الحال من النكرة؛ لتقدم النفي عليها. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وهو ضمير الشأن.

﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: اعتباره بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء، وثانيهما: اعتباره بدلاً من (لا) واسمها؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء، وثالثها: اعتباره بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو الأولى، والأقوى، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: نوحي إليه بكونه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ...﴾ إلخ. هذا؛ ويجوز اعتبار المصدر على قراءة: (يُوحى) نائب فاعل له. تأمل، والجملة الفعلية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (اعبدون): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً، وحاصلاً منا؛ فاعبدوني، وفي الكلام التفات من المتكلم الجماعة إلى المتكلم المفرد، وهو واضح، وجليٌّ.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: قال المفسرون: نزلت في قبيلة خزاعة؛ حيث قالوا: الملائكة بنات الله. وبه قال بنو جهينة، وبنو سلمة، وبنو مليح. أقول: تعم الآية كل من نسب لله ولداً، كاليهود؛ حيث قالوا: عُزَير ابن الله، والنصارى حيث قالوا: المسيح ابن الله، والملائكة، وعُزَير، والمسيح كلهم عباد الله، مقربون إليه، ومكرمون عنده.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف استئناف. (قالوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. وانظر إعرابه في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام. ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة (قالوا...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿سُبْحَانَهُ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، وهو مضاف، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف معترضة، والمراد منها: تنزيه الله من اتخاذ الولد، بل ومن اتخاذ الصاحبة. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿عِبَادٌ﴾: خبر محذوف، التقدير: بل هم عباد. ﴿مُّكْرَمُونَ﴾: صفة ﴿عِبَادٌ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: (قالوا...) إلخ أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي: لا يتقدمون الله بقول يقولونه من تلقاء أنفسهم، شأنهم شأن العبيد المؤدبين، والضمير يعود على من نسبهم الكفار أولاداً لله تعالى، ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾: لا يعملون إلا ما يأمرهم به، ولا يخالفون أوامره بشيء أبداً.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْبِقُونَهُ﴾: مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿عِبَادٌ﴾ أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿بِالْقَوْلِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿بِأَمْرِهِ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هم...) إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، والضمير المجموع يعود إلى الذين نسبهم الكفار أولاداً لله تعالى، وقال عنهم: إنهم عباد مكرمون، والمعنى: يعلم الرحمن ما عمل أولئك العباد، وما هم عاملون. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعلم ما بين أيديهم من أمور الآخرة، وما خلفهم من أمور الدنيا، وقيل: يعلم ما كان قبل خلقهم، وما يكون بعد خلقهم، وانظر الآية رقم [١١٠] من سورة (طه)، والآية رقم [٦٤] من سورة (مريم) عليها السلام.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أي: لا يطلبون الشفاعة إلا للمؤمنين العابدين، وقال مجاهد: هم كل من رضي الله عنه، والملائكة يشفعون غداً في الآخرة كما في صحيح مسلم، وغيره، وفي الدنيا أيضاً، فإنهم يستغفرون للمؤمنين، ولمن في الأرض. انتهى. قرطبي. أقول: وأكبر دليل على ذلك آية (غافر) رقم [٧]: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾: من خوفه. ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خائفون، وجلون لا يأمنون مكره، هذا؛ وأصل الخشية: خوف مع تعظيم، ولذلك خص بها العلماء، والإشفاق: خوف مع اعتناء، فإن عُدِّي بـ: «مِنْ» فمعنى الخوف فيه أظهر، وإن عُدِّي بـ: «على» فبالعكس انتهى. بيضاوي. وعن رسول الله ﷺ: **«أَنَّهُ رَأَى جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ المعراجِ سَاقِطاً كالحِلْسِ منْ خشْيَةِ اللهِ»** انتهى. كشاف. وانظر الآية رقم [٥٨] من سورة (المؤمنون).

الإعراب: ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: معطوفة على ما قبلها. ﴿خَلْفَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (ما)، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، أو المجرور بالإضافة، والرابط: الضمير فقط، أو: الجملة مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَشْفَعُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾ حرف حصر. ﴿لِمَنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام. ﴿ٱرْتَضَىٰ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: إلا للذي، أو لشخص ارتضاه الله. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر

بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾: قال قتادة، والضحاك، وغيرهما: عنى بهذه الآية إبليس؛ حيث ادعى الشركة، ودعا إلى عبادة نفسه، وكان من الملائكة، ولم يقل أحد من الملائكة: إني إله من دون الله. انتهى. قرطبي. أقول: والأولى التعميم لكل من يدعي الألوهية من المخلوقات. ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ أي: الذي يدعي الألوهية جزاؤه جهنم. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: كما جزينا مدعي الألوهية بالنار نجزي الظالمين أنفسهم بوضع الألوهية، والعبادة في غير موضعها، وفيه تهديد، ووعيد لكل من أشرك بالله شيئاً.

بعد هذا فقد وصف الله الملائكة بصفات سبع: الأولى: مكرمون، والأخيرة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ...﴾ إلخ، فهذه الضمائر كلها للملائكة. انتهى. جمل. بعد هذا انظر «الظلم، والبغي» في الآية رقم [٩٠] من سورة (النحل) وشرح ﴿يَجْزِي﴾ في الآية رقم [٣١] منها.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَقُلْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (مَنْ). ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبر (إنَّ). ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿إِلَٰهٌ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَذَٰلِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿نَجْزِيهِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية: (من...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: نجزي الظالمين جزاءً كائناً مثل ذلك الجزاء الذي نجزيه من يقل: إني... إلخ. ﴿نَجْزِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ. والفاعل تقديره: «نحن». ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مفعول به منصوب، والجملة الفعلية: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ألم يعلم الذين كفروا، وقرئ بدون واو. ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي: كانتا شيئاً واحداً، وحقيقة متحدة، هذا؛ و(الرتق) بسكون التاء وفتحها: السد ضد الفتق، وهو أيضاً الالتحام، والالتزام. ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أي: فصلنا بينهما بالهواء، وفي ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، والضحاك، وكعب ـ رضي الله عنهم ـ: خلق الله السموات، والأرض شيئاً واحداً ملتزقتين ببعضهما، ففصل بينهما بالهواء.

والثاني: قاله مجاهد، والسدي، وأبو صالح: كانت السموات مؤتلفة طبقة واحدة، ففتقها الله، وجعلها سبع سموات، وكذلك كانت الأرضون مرتتقة طبقة واحدة، ففتقها الله، فجعلها سبعاً، وإنّما قال تعالى: ﴿كَانَتَا﴾ ولم يقل: كنَّ؛ لأن المراد جماعة السموات، وجماعة الأرضين.

والثالث: قاله عكرمة، وعطية، وابن زيد، وابن عباس أيضاً فيما ذكر المهدوي: إن السموات كانت رتقاً، لا تمطر، والأرض كانت رتقاً، لا تنبت، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات، واختار هذا القول الطبري بدليل الجملة التالية. انتهى. قرطبي بتصرف.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: فيه ثلاث تأويلات: أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء، والثاني: حفظ حياة كل شيء بالماء، فيدخل فيه الحيوان، والنبات، والشجر... إلخ، والثالث: أن المراد ما خلق من النطفة، ويكون هذا اللفظ قد خرج مخرج الغالب؛ لأن آدم، وعيسى، والملائكة، والجان، لم يخلقوا من النطفة كما هو معروف. ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أفلا يصدقون بما يشاهدونه، وأن ذلك لم يخلق بنفسه، بل لمكوِّن كونه، وموجدٍ أوجده، ولا يجوز أن يكون ذلك المكون محدثاً، وانظر «الإيمان» في الآية رقم [٦]. هذا؛ وفي الآية مقابلة الرتق بالفتق، وهو نوع من البديع جيد..

هذا؛ و(جعلنا) هنا بمعنى: خلقنا، وأنشأنا، وأوجدنا. والفرق بين خلق، وجعل الذي له مفعول واحد: أن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إحداث النور، والظلمات بالجعل، فقال: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ تنبيهاً على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت المجوس بخلاف الخلق؛ لأن فيه معنى الإيجاد والإنشاء، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إيجاد السموات والأرض بالخلق، وخصهما جلت قدرته بالذكر هنا، وفي كثير من الآيات؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وجمع ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ دون (الأرض) وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار،

والحركات وقدمها لشرفها، وعلو مكانها، وتقدم وجودها، ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية كما في الأرض، وأيضاً: لأنها كالذَّكر، فنزول المطر من السماء على الأرض كنزول المني من الذكر في رحم المرأة؛ لأن الأرض تنبت، وتخضرُّ بالمطر.

أما «الكفر»: فهو ستر الحق بالجحود والإنكار، وكفر فلان النعمة، يكفرها كفراً، وكفوراً، وكفراناً: إذا جحدها، وسترها، وأخفاها. وكفر الشيء: ستره، وغطاه. وسمي الكافر كافراً؛ لأنه يغطي نعم الله بجحدها، وعبادته غيره، وسمي الزارع كافراً؛ لأنه يلقي البذر في الأرض، ويغطيه، ويستره بالتراب. قال تعالى في تشبيه حال الدنيا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ وسمي الليل كافراً؛ لأنه يستر كل شيء بظلمته. قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في معلقته: [الكامل]

حَتَّى إذَا أَلْقَتْ يداً في كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

أما ﴿ٱلْمَآءِ﴾ فأصله: مَوَه بفتح الميم، والواو، فتحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: «ماه» فلما اجتمعت الألف والهاء، وكلاهما خفي، قلبت الهاء همزة، ودليل ذلك: أن جمع ماء: أمواه، ومياه، وتصغيره: مُوَيْه. وأصل ياء مياه واو، لكنها قلبت ياء لانكسار ما قبلها في جمع أعلت في مفرده، كما قالوا: دار، وديار، وقيمة، وقيم، ومثله قولهم: سوط، وسياط، وحوض، وحياض، وثوب، وثياب، وثور، وثيرة. ويقال في تعريف الماء: هو جسم رقيق مائع به حياة كل نامٍ. وقيل في حده: جوهر سيال به قوام الأرواح. بعد هذا خذ قول أبي ذؤيب الهذلي: [الطويل]

شَرِبنَ بمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نئِيجُ

فهو يصف السحاب على اعتقاد العرب في الجاهلية، ومثلهم العصريون في هذا الزمن من أن السحاب، أي الغيوم تدنو من البحر الملح في أماكن مخصوصة، فتمتد منها خراطيم كخراطيم الفيلة، فتشرب بها من مائه، فيسمع لها عند ذلك صوت مزعج، ثم تصعد إلى الجو، وترتفع، فيلطف ذلك الماء، ويعذب بإذن الله تعالى في زمن صعودها، ثم تمطره حيث شاء العلي القدير. وأما عند أهل السنة، فيقولون: إن أصله من الجنة، يأتي به المولى المتعالي من السحاب، من خروق فيها كخروق الغربال.

وأقوال: إن ما ينزل من السماء من مطر، بعضه من ماء البحار المالحة الأرضية، وبعضه من خزائن القدرة، على أن الأول لا ينبت، وإنما الإنبات والخصب في الثاني، وعلامة الأول أنه ينزل غزيراً، كأنه ينْصَبُّ منْ أَفواهِ قُرَبٍ، وأما ما يقوله الدهريون الملحدون: إن الطبيعة تمطر فهو كفر صراح، أي: خالص. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٣] من سورة (النور) تجد ما يسرك.

أما ﴿شَيْءٍ﴾ فهو في اللغة: عبارة عن كل شيء موجود، إما حساً كالأجسام، وإما حكماً كالأقوال، نحو قلت: شيئاً، وجمع الشيء: أشياء غير منصرف، واختلف في علته اختلافاً

كبيراً، والأقرب ما حكي عن الخليل ـ رحمه الله ـ: أن وزنه شيآء وزان حمراء، فاستثقل وجود همزتين في تقدير الاجتماع، فنقلت الأولى إلى أول الكلمة، فبقيت لَفْعاء، كما قلبوا أدؤراً، فقالوا: آدر، وشبهه، وجمع الأشياء: أشايَا. تأمل، وتدبر.

وأخيراً فالهمزة في الكلمتين (أَوَلَمْ)، (أَفَلَا) للإنكار وهي في نية التأخير عن الواو، والفاء؛ لأنهما حرفا عطف، وكذا تقدم على «ثم» تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ...﴾ إلخ، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ إلخ، وقوله جل شأنه: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ...﴾ إلخ، وأخواتها تتأخر عن حروف العطف، كما هو قياس أجزاء الجملة المعطوفة نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ هذا مذهب سيبويه، والجمهور، وخالف جماعة، أولهم الزمخشري، فزعموا: أن الهمزة في الآيات المتقدمة في محلها الأصلي، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف، فيقولون: التقدير في: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا...﴾ إلخ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾، ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ...﴾ إلخ: أمكثوا فلم يسيروا في الأرض؟ أنهملكم فنضرب عنكم... إلخ؟ أتؤمنون في حياته، فإن مات أو قتل... إلخ ويضعفه ما فيه من التكلف، وأنه غير مطرد في جميع المواضع. انتهى. مغني اللبيب بتصرف.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿كَانَتَا﴾: ماض ناقص، والتاء للتأنيث، وحركت بالفتحة لالتقائها ساكنة مع ألف الاثنين التي هي اسمها. ﴿رَتْقًا﴾: خبر (كان) ولم يثن؛ لأنه مصدر، وجملة: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾ و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به.

﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الفعلية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنه بمعنى: خلقنا، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ كان صفة له... إلخ على مثال ما رأيت في الآية رقم [٢٤] هذا؛ وعلى اعتبار الفعل بمعنى التحويل فالجار والمجرور مفعول ثان تقدم على الأول وهو ﴿كُلَّ﴾، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿حَيٍّ﴾: صفة

شيء، وقرئ: (حيا) على أنه مفعول ثان، أو صفة ﴿كُلَّ﴾، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: حرف عطف، أو استئناف. (لا): نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً ثابتة، من: رسا الشيء: إذا ثبت. ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرك، وتضطرب. والميدان: الاضطراب يميناً، وشمالاً. ومادت الأغصان: تمايلت. وماد الرجل: تبختر، وانظر الآية رقم [٣] من سورة (الرعد) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾: مسالك، والفج: الطريق الواسع بين الجبلين، والضمير يعود إلى ﴿ٱلْأَرْضِ﴾. أو إلى الرواسي. ﴿سُبُلًا﴾: طرقاً، وهو تفسير لما قبله، وانظر الإعراب. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى حيث يقصدون، فلا يضلون، ولا يتحيرون، أو لعلهم يهتدون إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، فيعرفون: أنه القادر المقتدر، والمنعم المتفضل. هذا؛ والترجي في هذه الآية وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج، ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وانظر شرح: ﴿سُبُلًا﴾ في الآية رقم [٤٢] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقل فيهما ما قلته في: ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ في الآية السابقة. ﴿رَوَٰسِيَ﴾: مفعول به... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (جعلنا من الماء) على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿أَن﴾: حرف ناصب. ﴿تَمِيدَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ والفاعل يعود إلى الجبال الرواسي. ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ في محل جر بإضافته لمصدر محذوف يقع مفعولاً لأجله. التقدير: كراهية ميدها بكم، وهذا عند البصريين، وهو عند الكوفيين مجرور بحرف جر محذوف، التقدير: لئلا تميد بهم. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾: مثل ما قبله في إعرابه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

هذا؛ وقال الزمخشري: ﴿فِجَاجًا﴾: حال من سبلاً كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وقد قاسها على قوله تعالى في آية (نوح): ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ وقيل: ﴿فِجَاجًا﴾: مفعول به، و﴿سُبُلًا﴾ بدل منه. ﴿لَّعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يَهْتَدُونَ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله، والجملة مع المتعلق المحذوف في محل رفع خبر (لعلَّ) والجملة الاسمية: ﴿لَّعَلَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل لـ: (جعل) ما ذكر في هذه الآية، وسابقتها.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي: من أن يقع، ويسقط على الأرض، أو محفوظاً من الشياطين أن تسترق السمع، أو محفوظاً من الفساد، والانحلال، والاختلال إلى يوم الوقت المعلوم.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ أي: عما خلق الله فيها من الشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، وكيفية حركاتها في أفلاكها، ومطالعها، ومغاربها، والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة، والقدرة القاهرة، فهم لا يتفكرون، ولا يعتبرون. هذا؛ وأضاف سبحانه الآيات إلى السماء؛ لأنها مجعولة فيها، وقد أضاف الآيات إلى نفسه في مواضع كثيرة؛ لأنه هو الفاعل لها، وانظر شرح: (آية) في رقم [٥].

هذا؛ و﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ يذكر ويؤنث، والسماء: كل ما علاك، فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء، والسماء: المطر، يقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، قال معاوية بن مالك: [الوافر]

إذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ، وإنْ كَانُوا غِضَابا

أراد بالسماء: المطر، ثم أعاد الضمير عليه في رعيناه بمعنى النبات، وهذا يسمى في فن البديع بالاستخدام، وأصل سماء: سماو، فيقال في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة.

الإعراب: (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به أول. ﴿سَقْفًا﴾: مفعول به ثان. ﴿مَّحْفُوظًا﴾: صفة له. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُعْرِضُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من السماء، والرابط على الاعتبارين الواو، والضمير، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ...﴾ إلخ: ذكّر الله الكافرين، والناس أجمعين نعمةً أخرى من نعمه الكثيرة التي لا تعد، ولا تحصى؛ حيث جعل الليل؛ ليسكنوا فيه، وجعل لهم النهار؛ ليسعوا فيه لمعايشهم، وجعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل؛ ليعلموا السنين والحساب، انظر الآية رقم [١٢] من سورة (الإسراء) فالشرح فيها وافٍ كافٍ. ﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحد مما ذكر. ﴿فِى فَلَكٍ﴾

﴿يَسۡبَحُونَ﴾ أي: يجرون، ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وإنما جمعهن جمع المذكر العاقل بالواو، والنون؛ لأنه ذكر عنهن فعل العقلاء، وهو السباحة، والجري، وجعلهن في الطاعة، والانقياد بمنزلة من يعقل، وهذا يتكرر في القرآن الكريم، وقد ذكرته لك في محاله.

هذا؛ و(الفلك) بفتحتين: مدار النجوم الذي يضمها، وهو في كلام العرب كل شيء مستدير، وجمعه: أفلاك ويجمع على: فُلْك، مثل: أسد وأُسْد، وقيل: الفلك: السماء الذي فيه الكواكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر له أن يجري فيه، وقيل: الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل، فهو الذي تجري فيه النجوم، وهو مستدير كاستدارة الرحى، وقيل: غير ذلك، وقال أصحاب الهيئة: الأفلاك: أجرام صلبة، لا ثقيلة، ولا خفيفة، غير قابلة للخرق، والالتئام، والنمو، والذبول. والحق: أنه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات إلا بإخبار الصادق، فسبحان الخالق، المدبر لخلقه بالحكمة، والقدرة الباهرة غير المتناهية. ولا تنس: أن الله تعالى ذكر في غير هذه الآية: أنه سخر ما ذكر لمنافع العباد فوق أنها من الآيات الدالة على قدرته ووحدانيته، وانظر الآية رقم [٣٣] وما بعدها من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وأتم تسليم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه!

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿خَلَقَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِي﴾ وهو العائد، والجملة صلته. ﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول به، وما بعده معطوف عليه، والجملة الاسمية: (هو...) إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ سوغ الابتداء به الإضافة التي رأيتها في الشرح. ﴿فِي فَلَكٖ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يَسۡبَحُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، هذا؛ وأجيز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة: ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وأولى منه اعتبار الجملة خبراً ثانياً، والجملة الاسمية: ﴿كُلٌّ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الليل، وما عطف عليها، والرابط: الضمير المقدر إضافة كل إليه.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾

الشرح: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ أي: لم نجعل لنبي، ولا لغيره قبلك دوام البقاء في الدنيا، فقد نزلت الآية حين قالوا: نتربص بمحمد ريب المنون، أي: الموت فنشمت بموته، فنفى الله الشماتة عنه بهذا. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾: التقدير: أفهم الخالدون؟ والمعنى: لا خلود في الدنيا لبشر أبداً، وحق ألف الاستفهام إذا دخلت على حرف شرط أن تكون رتبتها قبل جواب الشرط، فالمعنى: أفهم الخالدون إن مت؟ ومثله الآية رقم [١٤٤] من سورة (آل عمران).

هذا؛ و(بشر) يطلق على الإنسان ذكراً، أو أنثى، مفرداً، أو جمعاً، مثل كلمة: «الفلك» تطلق على المفرد، والجمع، وسمي بنو آدم بشراً لبدو بشرتهم، وهي ظاهر الجلد، بخلاف أكثر المخلوقات، فإنها مكسوة بالشعر، أو بالصوف، أو بالريش. هذا؛ و(بشر) يطلق على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ الآية رقم [١٧] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، ولذا ثني في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ الآية رقم [٤٧] من سورة (المؤمنون) ويطلق على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) أيضاً.

هذا؛ وفي الآيات التفات من التكلم إلى الغيبة، ثم من الغيبة إلى التكلم، كما هو واضح، وللالتفات فوائد كثيرة، منها تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر، والملال؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، هذه فوائده العامة، ويختص كل موضع بنكت، ولطائف باختلاف محله، كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه: حث السامع، وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصه بالمواجهة. هذا؛ و(مت) يقرأ بضم الميم وكسرها، فالأول من باب: نصر، ك: قُلت وصُنت، والثاني من باب: علم ك: خِفت ونمت. وقال المفسرون: من: مات، يمات، كخاف، يخاف، ونام، ينام، وهو بعد الإعلال يعود إلى باب: علم.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿جَعَلۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لِبَشَرٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف في محل نصب مفعول به ثان، ولا وجه له. ﴿مِّن قَبۡلِكَ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف صفة (بشر) والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلۡخُلۡدَۖ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا...﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَفَإِيْن﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿مِّتَّ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَهُمُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (هم الخالدون): مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والكلام: ﴿أَفَإِيْن...﴾ إلخ مستأنف لا محل له.

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾

الشرح: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾: هذا التعميم مخصوص بقوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ فإن الله تعالى حي لا يموت، ولا يجوز عليه الموت. و(الذوق) هاهنا

عبارة عن مقدمات الموت، وآلامه العظيمة قبل حلوله. انتهى. خازن. هذا؛ و«الذوق» يكون محسوساً، ومعنى، وقد يوضع موضع الابتلاء، والاختبار، تقول: اركب هذا الفرس فذقه؛ أي: اختبره. وانظر فلاناً، فذق ما عنده. قال الشماخ يصف قوساً: [الطويل]

فَذَاقَ فأعْطَتْهُ مِنَ اللِّينِ جانِباً ... كَفَى ولَهاً أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

وقد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس، وإن لم يكن مطعوماً لإحساسها به كإحساسها بذوق المطعوم، قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

فَذُقْ هَجْرَهَا إِنْ كُنتَ تزعمُ أنها ... فسادٌ ألَا يَا رُبَّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

وتقول: ذقت ما عند فلان، أي: خبرته، وذقت القوس: إذا جذبت وترها لتنظر ما شدتها؟ وأذاقه الله وبال أمره؛ أي: عقوبة كفره، ومعاصيه. قال طفيل بن سعد الغنوي: [الطويل]

فَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غدَاةَ مُحَجَّرٍ ... مِنَ الغَيْظِ في أكبَادِنَا والتَّحَوُّبِ

وتذوقته؛ أي: ذقته شيئاً بعد شيء، وأمر مستذاق؛ أي: مجرب معلوم، قال الشاعر: [الوافر]

وعهْدُ الغَانِيَاتِ كعهْدِ قَيْنٍ ... وَنَتْ عنْدَ الجَعَائلِ مُسْتَذَاقِ

وأصله من الذوق بالفم، و(ذوقوا) في كثير من الآيات أمر للإهانة، وفيه استعارة تبعية تخييلية، وفي الموت، أو في العذاب استعارة مكنية، حيث شبه العذاب بشيء يدرك بحاسة الأكل، وشبه الذوق بصورة ما يذاق، وأثبت الذوق تخييلاً.

﴿وَنَبْلُوكُم﴾: نختبركم. ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ أي: بالشدة، والرخاء، والصحة، والسقم، والغنى، والفقر، وبما تحبون وما تكرهون، وقد سماه الله ابتلاء، وإن كان عالماً بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم؛ لأنه في صورة الاختبار، وفي (الأعراف): ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ رقم [١٦٨]. ﴿فِتْنَةً﴾: اختباراً، وابتلاءً لننظر شكركم فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون. ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: للحساب، والجزاء، وفيه إشارة إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الاختبار، والابتلاء، والتعريض للثواب، والعقاب، وانظر (نا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم) عليها السلام، هذا؛ والموت: انتهاء الحياة بخمود حرارة البدن، وبطلان حركته. وموت القلب: قسوته، فلا يتأثر بالمواعظ، ولا ينتفع بالنصائح.

هذا؛ وأما (النفس) فإنها تجمع في القلة: أنفس، وفي الكثرة: نفوس، والنفس تؤنث باعتبار الروح، وتذكر باعتبار الشخص؛ أي: فإنها تطلق على الذات أيضاً، سواء أكان ذكراً، أم أنثى. فعلى الأول قيل: إنها جسم لطيف مشتبك بالجسم اشتباك الماء بالعود الرطب، فتكون سارية في جميع البدن.

قال الجنيد - رحمه الله تعالى -: الروح شيء استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا يجوز البحث عنه بأكثر من أنه موجود، قال تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقال بعضهم: إن هناك لطيفة ربانية، لا يعلمها إلا الله تعالى، فمن حيث تفكرها تسمى: عقلاً، ومن حيث حياة الجسد بها تسمى: روحاً، ومن حيث شهوتها تسمى: نفساً، فالثلاثة متحدة بالذات، مختلفة بالاعتبار.

هذا؛ وقد ذكر القرآن الكريم: أن النفس على خمس مراتب: الأمارة بالسوء، واللوامة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، ويزاد: الملهمة، والكاملة، فالأمارة بالسوء: هي التي تأمر صاحبها بالسوء، ولا تأمر بالخير إلا نادراً، وهي مقهورة، ومحكومة للشهوات، وإن سكنت لأداء الواجبات الإلهية، وأذعنت لاتباع الحق، لكن بقي فيها ميل للشهوات؛ سميت: لوامة، وإن زال هذا الميل، وقويت على معارضة الشهوات، وزاد ميلها إلى عالم القدس، وتلقت الإلهامات؛ سميت: ملهمة، فإن سكن اضطرابها، ولم يبق للنفس الشهوانية حكم أصلاً؛ سميت: مطمئنة، فإن ترقت من هذا، وأسقطت المقامات من عينها، وفنيت عن جميع مراداتها؛ سميت: راضية، فإن زاد هذا الحال عليها؛ صارت مرضية عند الحق، وعند الخلق، فإن أمرت بالرجوع إلى العباد لإرشادهم وتكميلهم؛ سميت: كاملة، فالنفس سبع طبقات، ولها سبع، درجات كما ذكرت، وقدمت.

وأخيراً خذ ما ذكره القرطبي - رحمه الله تعالى -: وفي الخبر عن النبي ﷺ: أنه قال: «**مَا تقُولونَ في صاحبٍ لَكُمْ، إنْ أكرمْتُمُوهُ، وأطْعمتُمُوهُ وكَسَوتُمُوهُ؛ أَفَضَى بِكُمْ إلَى شَرِّ غَايَةٍ. وإنْ أَهنتُموهُ، وأعريتُمُوهُ، وأجعْتُمُوه؛ أفْضَى بكُمْ إلَى خَيْرِ غايَةٍ**». قالُوا: يا رسول الله! هَذَا شرُّ صَاحبٍ. قَالَ: «**فَوالَّذي نفْسِي بيدِهِ؛ إنها لنُفوسُكُمُ الَّتي بيْنَ جُنُوبِكُمْ!**».

الإعراب: ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ذَآئِقَةُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْمَوْتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَنَبْلُوكُم﴾: الواو: حرف استئناف. (نبلوكم): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِٱلشَّرِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْخَيْرِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فِتْنَةً﴾: مفعول لأجله، أو حال بمعنى: فاتنين لكم، أو مفعول مطلق من معنى (نبلوكم)؛ إذ المعنى: نفتنكم فتنة. ﴿وَإِلَيْنَا﴾: الواو: واو الحال. (إلينا): متعلقان بما بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: مضارع مرفوع، ويقرأ بالبناء للمعلوم، والبناء للمجهول، والواو فاعل، أو نائبه، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل (نبلوكم) المستتر، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة لا محل لها، وقيل: معطوفة على ما قبلها. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: كفار قريش، والخطاب للنبي ﷺ. وقيل: المراد به أبو جهل الخبيث وحده، كان إذا مر به النبي ﷺ ضحك، وقال: هذا نبي بني عبد مناف. ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: سخرية، واستهزاء، وقد أخذ الله المستهزئين بالرسول ﷺ أخذ عزيز مقتدر. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٥] من سورة (الحجر).

هذا؛ و﴿هُزُوًا﴾ مصدر هزأ، يهزأ، هُزْأً من باب: فتح، ويأتي أيضاً من باب: تعب، والمصدر يأتي بضم الزاي، وسكونها، وتخفيف الهمزة، فتقلب واواً، وقد قرئ بهما، وهما سبعيتان، هذا؛ والاستهزاء بالناس حرام قطعاً، وآية الحجرات الناهية عن السخرية والاستهزاء بالناس معروفة، وأحاديث النبي ﷺ الناهية عن ذلك كثيرة، ومسطورة، ومشهورة، والآية رقم [٤١] من سورة (الفرقان) شبيهة بهذه الآية.

﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يقولون: أهذا الذي يذكر آلهتكم بسوء، ويعيبها، فحذف المتعلق لدلالة القرينة عليه. ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ أي: بذكر الله، وما يجب أن يذكر به من التوحيد. وقيل: المراد بـ: (ذكر الرحمن) أي: بما أنزل عليك من القرآن جاحدون، لا يصدقون به أصلاً.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف، وقيل: عاطفة على قوله فيما سبق: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ وفيه بعدٌ لا يخفى. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿رَءَاكَ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والكاف مفعول به. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿رَءَاكَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المرجوح المشهور. ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، وهي مخالفة لأدوات الشرط في ذلك، فإن أدوات الشرط متى أجيبت بـ: «إن» النافية، أو بـ: «ما» وجب الإتيان بالفاء. ﴿أَهَـٰذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام يتضمن التحقير بزعمهم. (هذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء: حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿يَذْكُرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الذي) وهو العائد. ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والمتعلق محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل

لها، والجملة الاسمية: ﴿أَهَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: يقولون: أهذا... إلخ، والجملة الفعلية هذه في محل نصب حال من واو الجماعة، أو هي جواب (إذا) لا محل لها، وتكون جملة: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ...﴾ إلخ معترضة بين شرط (إذا) وجوابها لا محل لها. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿بِذِكْرِ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَٰفِرُونَ﴾ بعدهما، و(ذكر) مضاف، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿هُمْ﴾: توكيد لفظي لسابقه. ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة في: «يقولون» المقدر، أو في ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾، والرابط: الواو، والضمير على الاعتبارين، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: ركب على العجلة. فخلق عجولاً، ويقال: خلق الإنسان من الشر، أي: شريراً؛ إذا بالغت في وصفه به، والمعنى: إن طبع الإنسان العجلة، فيستعجل كثيراً من الأشياء؛ وإن كانت مضرة. هذا؛ وقيل: المراد بالإنسان آدم عليه السلام، قال سعيد بن جبير والسدي رحمهما الله تعالى: لما دخلت الروح في عيني آدم عليه السلام؛ نظر في ثمار الجنة، فلما دخلت جوفه؛ اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فوقع، فقيل: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وأورث بنيه العجلة، وقيل: خلق بسرعة، وتعجيل على غير قياس خلق بنيه؛ لأنهم خلقوا من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، أطواراً، طوراً بعد طور. وقال أبو عبيدة، وغيره: العجل: الطين بلغة حمير، وأنشدوا: [البسيط]

وَالنَّبْعُ في الصخرةِ الصَّمَّاءِ مَنْبِتُهُ ... والنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ المَاءِ والعَجَلِ

وقيل: أراد بالإنسان النوع الإنساني يدل عليه ما بعده، وذلك: أن المشركين كانوا يستعجلون العذاب، وقيل: المراد به النضر بن الحارث، وهو الذي ذكرته في الآية رقم [٣٢] من سورة (الأنفال). ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾: المراد بالآيات ما دل على صدق محمد ﷺ من المعجزات، وما جعله له من العاقبة المحمودة، وقال البيضاوي: نقماتي في الدنيا، كوقعة بدر، وفي الآخرة عذاب النار.

هذا؛ ويكثر النهي في القرآن الكريم عن العجلة، واستعجال الشيء قبل أوانه، وهذا النهي أكثر ما يوجه للكافرين الذين طلبوا استعجال العذاب، وقد يوجه إلى بني آدم جميعاً. وقد توجه إلى النبي ﷺ كما في الآية رقم [١١٤] من سورة (طه)، بينما حث الله تعالى على المسارعة إلى فعل الطاعات، فقال في (آل عمران): ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ رقم [١٣٣]، وقال في سورة (الحديد): ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ رقم [٢١]، كما وصف أنبياءه،

ورسله بأنهم كانوا يسارعون في الخيرات، وهذا لا يناقض ما روي: «العجلة من الشيطان، والتأني من الرحمن»؛ لأن المسارعة إلى الطاعات مستثناة من ذلك، كما أن هناك أموراً تسن المبادرة إلى فعلها، كأداء الصلاة المكتوبة؛ إذا دخل وقتها، وقضاء الدين بحق الموسر، وتزويج البكر البالغ؛ إذا أتى الكفؤ لها، ودفن الميت، وإكرام الضيف؛ إذا نزل. وخذ ما يلي: فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، قال، قال رسول الله ﷺ له: «**يَا عَلِيُّ! ثَلَاثٌ لَا تُؤَخِّرْهَا: الصَّلَاةُ إِذَا أَتَتْ، والجَنَازَةُ إِذَا حَضَرتْ، والأَيِّمُ إِذَا وَجَدَت كُفْئاً**». رواه الترمذي.

الإعراب: ﴿خُلِقَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾. ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾: السين: حرف استقبال. (أريكم): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول. ﴿ءَايَٰتِى﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٢٥]. (لا): ناهية. ﴿تَسْتَعْجِلُونِ﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً؛ فلا... إلخ، والكلام كله مستأنف لا محل له.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: المعنى: يقول كفار قريش: متى هذا الوعد؛ أي: الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب؟! وقيل: قيام الساعة،، وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب، والاستبعاد، والاستهزاء. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: فيما تعدوننا به، وإنما قالوا بلفظ الجمع؛ لأن كل أمة قالت لرسولها كذلك. أو المعنى: إن كنت صادقاً أنت، وأتباعك يا محمد!.

هذا؛ وأصل ﴿كُنتُمْ﴾: كَوَنْتُم، فقل في إعلاله: تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فصار «كَانْتُم» فالتقى ساكنان: الألف وسكون النون، فحذفت الألف، فصار: «كَنْتُمْ» بفتح الكاف، ثم أبدلت الفتحة ضمة لتدل على الواو المحذوفة، فصار: «كُنْتُمْ» وهناك إعلال آخر، وهو أن تقول: أصل الفعل: كَوَنَ، فلما اتصل بضمير رفع متحرك نقل إلى باب فعُل، فصار (كَوُنتُ) ثم نقلت حركة الواو إلى الكاف قبلها، فصار (كُونْتُ) فالتقى ساكنان: العين المعتلة، ولام الفعل، فحذفت العين وهي الواو لالتقائها ساكنة مع النون، فصار (كُنْتُ). وهكذا قل في إعلال كل فعل أجوف واوي مسند إلى ضمير رفع متحرك مثل: قال، وقام، ونحوهما.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يقولون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْوَعْدُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: (يقولون...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبره منصوب... إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنتم صادقين؛ فمتى هذا... إلخ أو: فأتوا به. والكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح أي: لو يعلم الكافرون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء، وقدام، فلا يقدرون على دفعها، ومنعها من أنفسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر، والاستهزاء، والاستعجال، ولكن جهلهم به هو الذي هوّنه عليهم. انتهى. نسفي.

هذا؛ والفعل ﴿يَعْلَمُ﴾ من المعرفة، لا من العلم اليقيني، والفرق بينهما: أن المعرفة تكتفي بمفعول واحد بخلافه من العلم اليقيني فإنه ينصب مفعولين، وأيضاً فالمعرفة تستدعي سبق جهل، وأنّ متعلقها الذوات دون النِّسب، بخلاف العلم، فإن متعلقه المعاني، والنسب. وتفصيل ذلك: أنك إذا قلت: عرفت زيداً، فالمعنى أنك عرفت ذاته، ولم ترد أنك عرفت وصفاً من أوصافه، فإذا أردت هذا المعنى لم يتجاوز مفعولاً؛ لأن العلم والمعرفة تناول الشيء نفسه، ولم يقصد إلى غير ذلك، وإذا قلت: علمت زيداً قائماً، لم يكن المقصود أن العلم تناول نفس زيد فحسب، وإنما المعنى: أن العلم تناول كون زيد موصوفاً بهذه الصفة. أما «الحين» فهو الوقت قليلاً كان أو كثيراً، والمدة من الزمن قصيرة كانت أو طويلة، وجمعه: أحيان، وجمع الجمع: أحايين، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٥] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام، وهو بكسر الحاء، وأما بفتحها؛ فهو الهلاك والموت. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿حِينَ﴾: مفعول به، وقيل: المفعول محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: لو يعلم

الذين كفروا مجيء الموعود الذي سألوا عنه، واستبطؤوه، و﴿حِينَ﴾ منصوب بالمفعول الذي هو: مجيء. انتهى. جمل. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَكُفُّونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿عَن وُجُوهِهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿النَّارَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَا يَكُفُّونَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿حِينَ﴾ إليها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو زائدة لتأكيد النفي. ﴿عَن ظُهُورِهِمْ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿يُنصَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿لَا يَكُفُّونَ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف انظر تقديره في الشرح، هذا؛ ووقع شرط ﴿لَوْ﴾ مضارعاً، وإن كان المعنى على المضي؛ لإفادة استمرار عدم العلم، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ أي: الساعة، أو النار. ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة بدون إنذار. ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: فتدهشهم، وتحيرهم، هذا؛ وقرئ الفعلان بالياء، ويكون الفاعل: الموعود. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾: دفعها عن وجوههم، وظهورهم، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، يمهلون للتوبة، والمعذرة.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي. ﴿تَأْتِيهِم﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى الساعة، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بَغْتَةً﴾: حال من الفاعل المستتر، بمعنى: باغتة، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: تبغتهم بغتة، وتكون هذه الجملة في محل نصب حال من الفاعل المستتر، وجوز اعتبار ﴿بَغْتَةً﴾ مصدراً للفعل «يأتي» من غير لفظه، على حد قولهم: أتيته ركضاً، فتكون نائب مفعول مطلق. وجملة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ معطوفة عليها أيضاً. ﴿رَدَّهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، وجملة: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: معطوفة أيضاً، وانظر إعراب مثلها في الآية السابقة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: في هذه الآية تعزية، وتسلية للرسول ﷺ عما كان من تكذيب المشركين له، واستهزائهم به، فقد جعل الله أسوة له في ذلك الأنبياء، والمرسلين؛ الذين كانوا قبله، وتلك سنة

متبعة في الأولين، والآخرين، حيث لم يقم داع يدعو إلى الإصلاح، والخير، إلا وقوبل بالسخرية، والاستهزاء. ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: أي: فنزل بالأقوام المستهزئين بالرسل العقاب الشديد، والعذاب المهين، وفي هذه الآية تحذير للمشركين من أهل مكة أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من قبلهم بأنبيائهم، فينزل بهم مثل ما نزل بهم. هذا؛ والآية مذكورة بحروفها كاملة في سورة (الأنعام) رقم [١٠]. والله الموفق، والمعين.

الإعراب: ﴿وَلَقَدِ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ٱسْتُهْزِئَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿بِرُسُلٍ﴾: في محل رفع نائب فاعل. ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (رسل) والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: (لقد...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له من الإعراب. (حاق): ماض. ﴿بِٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿سَخِرُوا۟﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِنْهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل حاق. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، وجملة: «يستهزئون به» في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ صلة ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والرابط، أو العائد: الضمير المجرور محلاً بالياء، ولا يصح اعتبار ﴿مَّا﴾ مصدرية لعود الضمير عليها، وهي حرف، وجملة ﴿فَحَاقَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾: يحرسكم، ويحفظكم، والكلاءة: الحراسة، والحفظ. ﴿بِٱلَّيْلِ﴾: إذا نمتم. ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾: إذا قمتم، وتصرفتم في أموركم. ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: من عذابه، وبطشه. ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ أي: عن القرآن، ومواعظه. ﴿مُّعْرِضُونَ﴾: ساهون، لاهون، غافلون، ومعنى: ﴿بَلْ هُمْ...﴾ إلخ أي: دعهم يا محمد عن هذا السؤال؛ لأنهم لا يصلحون له؛ لإعراضهم عن ذكر الله، فلا يخطر ببالهم حتى يخوفوا بالله، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَكْلَؤُكُم﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿بِٱلَّيْلِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾: معطوف

على ما قبله. ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بَلۡ﴾: حرف إضراب إبطالي. ﴿هُمۡ﴾: مبتدأ. ﴿عَن ذِكۡرِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ بعدهما، و﴿ذِكۡرِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِم﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿هُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ٤٣﴾

الشرح: ﴿أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ أي: ألهم آلهة تحميهم من عذابنا. والميم زائدة. ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ﴾ المعنى: إنّ تلك الآلهة التي يعبدونها عاجزة عن دفع السوء عن نفسها، فكيف تدفع عنهم العذاب؟! ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾ أي: يمنعون، أو المعنى: لا يصحب تلك الآلهة خير منا. وقيل: يجارون.

الإعراب: ﴿أَمۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. ﴿لَهُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ءَالِهَةٞ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿تَمۡنَعُهُم﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ءَالِهَةٞ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية صفة ﴿ءَالِهَةٞ﴾. ﴿مِّن دُونِنَاۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة، هذا؛ وعلق الجمل الجار والمجرور بمحذوف صفة ﴿ءَالِهَةٞ﴾، وتقدير الكلام: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، وهو لا يتفق مع الشرح المتقدم وعلى قوله فالجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ءَالِهَةٞ﴾ لوصفها بالجار والمجرور. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسۡتَطِيعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿نَصۡرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أَنفُسِهِمۡ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها كالجملة الاسمية قبلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿هُم﴾: مبتدأ. ﴿مِّنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿يُصۡحَبُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله. وجملة: ﴿يُصۡحَبُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤﴾

الشرح: ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ﴾: المعنى: إنّ ما هم فيه من الحفظ، وإدرار الرزق عليهم إنما هو منا، لا من غيرنا، وإنما أنعمنا عليهم، وعلى آبائهم بذلك

تمتيعاً لهم بالحياة، واستدراجاً لهم، كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وأعرضوا عن الإيمان، وظنوا: أنهم دائمون مخلدون، وهو أمل كاذب.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أي: كفار مكة. ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي: ننقص من أطراف المشركين، ونزيد في أطراف المؤمنين، يريد بذلك ظهور النبي ﷺ، وفتحه ديار الشرك، أرضاً، فأرضاً، وقرية، فقرية، والمعنى: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المتعجلون بالعذاب آثار قدرتنا في إتيان الأرض من جوانبها، بأخذ الواحد بعد الواحد، وفتح البلاد، والقرى مما حول مكة، وإدخالها في ملك محمد ﷺ، وموت رؤساء المشركين المتنعمين في الدنيا، أما كان لهم في ذلك عبرة، فيؤمنوا، ويدخلوا في دين الله؟! وهذا يعني: أن الآية مدنية، وانظر الآية رقم [٤١] من سورة (الرعد) فهي مثلها، وفيها زيادة شرح.

﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: هم الغالبون؛ ونحن نفعل بهم ما نفعل من نقصان أرضهم؟! بل محمد ﷺ وأصحابه هم الغالبون، و(أطراف) جمع: طرف بفتح الطاء، والراء، وهو في الأصل حرف الشيء ومنتهاه، وانظره بفتح الطاء وسكون الراء في الآية [٤٣] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وإضراب. ﴿مَتَّعْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿هَؤُلَاءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾: معطوف على اسم الإشارة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿حَتَّى﴾: حرف غاية وجر، بعدها «أن» مضمرة. ﴿طَالَ﴾: ماض. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلقان به. ﴿الْعُمُرُ﴾: فاعله، و«إن» المضمرة والفعل (طال) في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّى﴾ والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿مَتَّعْنَا﴾، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَرَوْنَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿نَأْتِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿الْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿نَنقُصُهَا﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «نحن»، و(ها): مفعول به أول. ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني، وإن اعتبرت ﴿مِنْ﴾ صلة يتضح لك الأمر، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نَنقُصُهَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿نَأْتِي﴾ المستتر أو من مفعوله، والرابط: الضمير فقط على الاعتبارين، وجملة: ﴿نَأْتِي...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿أَفَلَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَفَهُمُ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف استئناف. والجملة الاسمية: (هم الغالبون): مستأنفة لا محل لها.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: الخطاب للرسول ﷺ. ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾: أخوفكم بما يوحى إليّ، وهو القرآن. ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ أي: من أصم الله قلبه من فهم آيات القرآن، وختم على سمعه، فلا يسمعه سماع قبول، وجعل على بصره غشاوة، فلا ينظر فيه نظر تبصر، واعتبار، هذا؛ ويقرأ: (لا تُسْمِعُ الصُّمَّ) و(لا يُسْمِعُ الصُّمَّ). ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ أي: يخوفون، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ والمراد بـ: ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ الدعوة إلى الإيمان، والتوحيد، ونبذ عبادة الأوثان، وقد اعتبرهم الله صمّاً مع كونهم لهم آذان؛ لأنهم لم يسمعوا سماع قبول. هذا؛ وأصل الوحي: الإشارة السريعة، والوحي: الكتاب المنزل على الرسول المرسل لقومه، مثل: موسى، وعيسى، ومحمد ﷺ أجمعين، والوحي أيضاً: الكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، وتسخير الطير لما خلق له إلهام، والوحي إلى النَّحل، وتسخيرها لما خلقها الله له إلهام أيضاً، وانظر الآية رقم [٦٨] من سورة (النحل). هذا؛ والفعل ﴿يَسْمَعُ﴾ من الأفعال الصوتية، إن تعلق بالأصوات تعدى إلى مفعول واحد، وإن تعلق بالذوات تعدى إلى اثنين، والثاني منهما جملة فعلية مصدرة بمضارع من الأفعال الصوتية، مثل قولك: سمعت فلاناً يقول كذا. وهذا اختيار الفارسي، واختار ابن مالك، ومن تبعه أن تكون الجملة الفعلية في محل نصب حال، إن كان المتقدم معرفة، وصفة إن كان نكرة، مثل قولك: سمعت رجلاً يقول كذا.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أُنذِرُكُم﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به. ﴿بِٱلْوَحْىِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَسْمَعُ﴾: مضارع. ﴿ٱلصُّمُّ﴾: فاعله. ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾: مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿يَسْمَعُ﴾، أو بـ: ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾. ﴿مَا﴾: صلة. ﴿يُنذَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾: المعنى: ولئن أصابتهم عقوبة قليلة من عذاب الله. هذا؛ وفي قوله: ﴿نَفْحَةٌ﴾ تقليل ما يصيبهم، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء،

والبناء دالٌّ على المرة. هذا؛ والنفحة في اللغة: الدفعة اليسيرة، وهي أيضاً: النصيب القليل، وقال ابن ميادة في مدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك: [البسيط]

لَـمَّـا أَتَـيـتُـكَ أَرْجـو فـضـلَ نَـائِـلِـكُـمْ ... نَـفَـحْـتـنِـي نـفـحـةً طَـابَـتْ لـهـا الـعَـربُ

أي: طابت لها النفس، وانظر ﴿تَلْفَحُ﴾ في الآية رقم [١٠٤] من سورة (المؤمنون). هذا؛ وإعلال: (ليقولُنَّ) مثل إعلال: (لتعلمُنَّ) في الآية رقم [٧١] من سورة (طه).

هذا؛ و﴿عَذَابِ﴾ اسم مصدر، لا مصدر؛ لأن المصدر: تعذيب؛ لأنه من: عذّب، يعذّب بتشديد الذال فيهما، وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، ومثله: عطاء، وسلام، ونبات لأعطى، وسلم، وأنبت.

الإعراب: ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿مَّسَّتْهُمْ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والهاء مفعول به. ﴿نَفْحَةٌ﴾: فاعل. ﴿مِّنْ عَذَابِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿نَفْحَةٌ﴾، و﴿عَذَابِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه من إضافة اسم المصدر لفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿مَّسَّتْهُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (يقولن): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون للتوكيد، والكلام: ﴿يَاوَيْلَنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وانظر إعرابه في الآية رقم [١٤] والجملة: ﴿لَيَقُولُنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المحذوف، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة: «إذا اجتمع شرط، وقسم، فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَاحـذِفْ لَـدَى اجـتِـمَـاعِ شَـرْطٍ وقَـسَـمْ ... جَـوَابَ مَـا أَخَّـرتَ فـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

والكلام: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ أي: نحضر الموازين لنزن فيها أعمال العباد، والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان، له لسان، وكفتان، ينظر إليه الخلائق، إظهاراً للمَعْدَلة، وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم، فتعترف بها ألسنتهم، وتشهد بها جوارحهم. هذا؛ و﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ جمع: ميزان، وإنما جمع ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ لتعظيم شأنها، أو لاعتبار تعدد الأعمال

الموزونة به، وأفرد القسط؛ لأنه مصدر وصف به للمبالغة، و«ميزان» أصله: موزان، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ومثله: ميعاد، وميثاق، وميراث، وميقات... إلخ.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: لجزاء يوم القيامة، أو لحساب أهله، أو المعنى: في يوم القيامة، كقولك: جئت لخمس خلون من الشهر. هذا؛ والقيامة، أصلها القوامة؛ لأنها من: قام، يقوم، قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها. ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي: بزيادة سيئة، أو نقصان حسنة. ﴿وَإِن كَانَ﴾ أي: العمل الذي عمله العبد في الدنيا. ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي: مقدار، أو وزن حبة. ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: هذا نبات له حب صغير جداً، أسود، واحدته خردلة يقال: إن الحس لا يدرك لها ثقلاً؛ إذ لا ترجح ميزاناً. ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾: أحضرناها، وأوجدناها، ويقرأ: (آتينا بها) بالمد بمعنى: جازينا بها. ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: محاسبين. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: كفى بنا عالمين حافظين؛ لأن من حسب شيئاً؛ فقد علمه، وحفظه. والغرض منه التحذير، فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء، وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء، فحقيق بالعاقل أن يكون أشد الخوف منه، ويروى: أن الشبلي ـ رحمه الله تعالى ـ رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: [مجزوء الخفيف]

حَاسَبُونَا فَدَقَّقُوا ثُمَّ مَنُّوا فَأَعْتَقُوا
هَكَذَا سِيمَةُ المُلُو كِ بِالمَمَالِيكِ يَرْفُقُوا

تنبيه: والحكمة من وزن الأعمال مع علم الله تعالى بمقاديرها تتجلى فيما يلي:

منها: إظهار العدل الإلهي، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة. ومنها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وإقامة الحجة عليهم في العقبى. ومنها: تعريف العباد ما لهم من خير، وشر، وحسنة، وسيئة. ومنها: إظهار علامة السعادة، والشقاوة. وإن أردت الزيادة فانظر الآية رقم [٨ و٩] من سورة (الأعراف)، وانظر وزن أعمال الكافرين في الآية [١٠٥] من سورة (الكهف) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَنَضَعُ﴾: الواو: حرف استئناف. (نضع): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْقِسْطَ﴾: صفة له، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿لِيَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(يوم) مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تُظْلَمُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿نَفْسٌ﴾: نائب فاعل. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به ثان، وقيل: نائب مفعول مطلق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف، وقيل: عاطفة. (إن): حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمها ضمير مستتر. انظر الشرح. ﴿مِثْقَالَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. هذا؛ ويقرأ برفعه على اعتبار (كان) تامة، وهو فاعلها، و﴿مِثْقَالَ﴾ مضاف،

و﴿حَبَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿حَبَّةٍ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿أَتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل لها. ﴿وَكَفَىٰ﴾: الواو: حرف استئناف. (كفى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بِنَا﴾: الباء: حرف جر صلة. (نا): فاعل كفى مجرور لفظاً، منصوب محلاً. ﴿حَاسِبِينَ﴾: تمييز منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿وَكَفَىٰ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: المعنى: أعطينا موسى وهارون التوراة: وهي الكتاب الجامع؛ لكونه فارقاً بين الحق والباطل، ونوراً يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، وذكراً يتعظ فيه المتقون، أو: ذكر ما يحتاجون إليه من التشريع لأمور دينهم ودنياهم، وانظر الآية رقم [١] من سورة (الفرقان) ودخلت الواو على الصفات كما في قوله تعالى في وصف يحيى بن زكريا ـ على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا﴾ وإنما خص (المتقين) بالذكر؛ لأنهم هم الذين انتفعوا، وينتفعون بالمواعظ، والنصائح في كل زمان، وفي كل مكان، وانظر الآية التالية.

تنبيه: عند التأمل يظهر لك: أن النصف الأول من هذه السورة الكريمة تكلم الله فيه عن دلائل التوحيد، والنبوة، والبعث، والحساب، والجزاء، وفي النصف الثاني منها شرع في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، تسلية لرسول الله ﷺ فيما يناله من قومه، وتقوية لقلبه على أداء الرسالة، والصبر على كل عارض، وذكر منها عشراً، انظرها فيما يأتي.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [٤١] ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به أول. ﴿وَهَٰرُونَ﴾: معطوف عليه. ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: مفعول به ثان، وما بعده معطوف عليه. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: متعلقان بـ: (ذكراً)، أو بمحذوف صفة له، وحذف مثلهما بعد (ضياء)، والعكس صحيح، وذلك على التنازع، وجملة: (لقد...) إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر. هذا؛ وقيل: إن الواو زائدة، كما قرئ بدونها، وعليه فـ: (ضياء) حال من ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾: يخافونه. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: غائبين؛ لأنهم لم يروا الله تعالى، بل عرفوا بالنظر، والاستدلال: أن لهم رباً قادراً، يجازي على الأعمال، فهم يخشونه

في سرائرهم، وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس. وانظر شرح (الغيب) في الآية رقم [٢٦] من سورة (الكهف). ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: من مجيئها، وقيامها. ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خائفون، وجلون. وانظر الآية رقم [٢٨] تجد ما يسرك.

هذا؛ و(الساعة): القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، وقيل: سميت ساعة لسرعة الحساب فيها؛ لأن حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة، أو أقل من ذلك، ولا تنس: أن ساعة كل إنسان وقيامته، وقت مقدمات الموت، وما فيه من أهوال، ولذا قال النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُه**»، وانظر علاماتها في الآية رقم [٩٦] الآتية.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع على اعتباره خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، أو في محل جر على اعتباره بدلاً من (المتقين) أو في محل نصب على اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف. ﴿يَخْشَوْنَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿رَبَّهُم﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية: (هم...) إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو والضمير.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ﴾: المراد به: القرآن الكريم. ﴿مُّبَارَكٌ﴾: كثير الخير، غزير النفع. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: على قلب محمد ﷺ فيه هدى ونور، وشفاء لما في الصدور، كما أنزلنا التوراة على موسى وهارون فيها ذكر. ﴿أَفَأَنتُمْ﴾: يا معشر قريش. ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: جاحدون له، وقد تحداكم مراراً، فعجزتم عن الإتيان بمثله، هذا؛ وانظر (أنزل، ونزل) في الآية رقم [٢] من سورة (طه)، و(نا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم) عليها السلام، وشرح ﴿أَفَأَنتُمْ﴾ مثل: ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [٣٠].

الإعراب: ﴿وَهَٰذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (هذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ذِكْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبَارَكٌ﴾: صفة له. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، وانظر إعراب ﴿نَذَرْتُ﴾ في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿ذِكْرٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وتكون «قد» قبلها مقدرة وجوباً لتقرب الفعل الماضي من الحال. والجملة

الاسمية: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَفَأَنتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الفاء: حرف استئناف، أو: عطف. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُنكِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾: هداه، وصلاحه. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل النبوة، حيث وفقناه للنظر، والاستدلال. وذلك لما جن عليه الليل، ورأى الكوكب، والشمس، والقمر، انظر الآية رقم [٧٦] من سورة (الأنعام) وما بعدها، وقيل: من قبل موسى وهارون، وهو المعتمد. ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: إنه صالح لإتيان الرشد، وصالح للنبوة ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

بعد هذا انظر مناقشته لأبيه، ودعوته إياه للإيمان بلطف، وحسن أدب في الآية رقم [٤٠] وما بعدها من سورة (مريم) عليها السلام، وانظر عمره، وأولاده في الآية رقم [٧١] من سورة (هود) عليه السلام، وانظر قصته مع هاجر في الآية رقم [٣٧] من السورة المسماة باسمه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [٤١] ﴿ءَاتَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مفعول به أول. ﴿رُشْدَهُۥ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: (لقد...) إلخ جواب القسم المقدر. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿رُشْدَهُۥ﴾ و﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى. (كنا): ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿عَٰلِمِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿وَكُنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾: آزر. ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾: نمرود، ومن اتبعه. ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ أي: الأصنام المصورة على صورة السباع، أو الطيور، أو الإنسان. وفيه تجاهل لهم؛ ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها. ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾: مقيمون على عبادتها، وتقديسها، وتعظيمها. وانظر الآية رقم [٣٠] من سورة (الحج)، وإنما قال: ﴿لَهَا عَٰكِفُونَ﴾؛ لأن المراد: لها عابدون، ولو كان ﴿عَٰكِفُونَ﴾ على ظاهره؛ لقال: عليها عاكفون؛ لأن عكف يتعدى بـ: «على».

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿ءَاتَيْنَآ﴾، أو بـ: ﴿عَٰلِمِينَ﴾ أو بفعل محذوف، تقديره: اذكر. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿لِأَبِيهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: اسم استفهام وتوبيخ وتحقير، مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿هَٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع خبره، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿ٱلَّتِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة ﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿عَٰكِفُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿مَا هَٰذِهِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: المعنى: وجدنا آباءنا عابدين لتلك التماثيل؛ فقلدناهم في عبادتها، واقتدينا بهم في تقديسها. فأجابهم عليه الصلاة والسلام بقوله: إنكم أنتم وآباؤكم منخرطون في ضلال واضح، لا يخفى على أحد؛ لعدم استناد الفريقين على دليل في صحة عبادتها.

هذا؛ و﴿مُّبِينٍ﴾ اسم فاعل من: أبان الرباعي، أصله: مُبْيِن، بسكون الباء، وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ولا تنس: أن اسم الفاعل من بان الثلاثي بائن، أصله: باين، وإعلاله مثل إعلال قائل.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿وَجَدْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ءَابَآءَنَا﴾: مفعول به أول، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿عَٰبِدِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب... إلخ، وجملة: ﴿وَجَدْنَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿أَنتُمْ﴾: توكيد لتاء الفاعل. ﴿وَءَابَآؤُكُمْ﴾: معطوف على اسم (كان)، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان). ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿ضَلَٰلٍ﴾ وجملة: ﴿لَقَدْ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾: أجادٌّ فيما تقول، أم أنت لاعب مازح، كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا: أن ما قاله على وجه الملاعبة، والمداعبة.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَجِئۡتَنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام. (جئتنا): فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من تاء الفاعل، أي: ملتبساً بالحق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وعطف الجملة الاسمية على الفعلية إيذان برجحانه عندهم.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾

الشرح: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي: لست لاعباً فيما أقول، بل ربكم، والقائم بتدبير أموركم، ومصلح شؤونكم خالق السموات، والأرض؛ الذي خلقهن، وأبدعهن. والضمير يحتمل عوده على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وعلى ﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ التي كانوا يعبدونها، وهو أدخل في تضليلهم، وإقامة الحجة عليهم؛ لأن فيه تصريحاً بأن معبوداتهم من جملة مخلوقات الله. ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ أي: الذي قلته وذكرته. ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: من المتأكدين له والمبرهنين عليه، فإن الشاهد من تحقق الشيء، وتثبت منه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض وفاعله يعود إلى ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام. ﴿بَل﴾: حرف إضراب. ﴿رَّبُّكُمۡ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿رَبُّ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿ٱلَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة ﴿رَبُّ﴾، أو هو بدل منه. ﴿فَطَرَهُنَّ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِي﴾ وهو العائد، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿رَّبُّكُمۡ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَأَنَا۠﴾: الواو: حرف عطف. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿ذَٰلِكُم﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بما بعدهما، واللام: للبعد، والكاف حرف خطاب، هذا؛ ومن يعتبر «أل» موصولة لا يجيز ذلك؛ لأنه لا يجوز أن تتقدم الصلة على الموصول، وعليه فهما متعلقان

بمحذوف دل عليه ما بعده. ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية ﴿وَأَنَا۠...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الفاعل المستتر؛ فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَٱللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب، وقرئ بالباء، وهي الأصل، والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وفيها معنى التعجب، والتاء تختص في القسم باسم الله وحده، وربما قالوا: تربي، وترب الكعبة، وتالرحمن، والواو تختص بكل مظهر، والباء بكل مضمر، ومظهر. ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾: أقسم أنه لا يكتفي بالمحاجة باللسان، بل كسر أصنامهم أيضاً فعل واثق بالله تعالى، موطن نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين. هذا؛ والكيد: المكر، يقال: كاده، يكيده، كيداً، ومكيدة، وكذلك المكايدة، وربما سمي الحرب كيداً، يقال: غزا فلان فلم يلق كيداً، وكل شيء تعالجه؛ فأنت تحاول كيداً. ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ أي: منطلقين ذاهبين.

هذا؛ وقيل: إنما قال إبراهيم هذا القول سرًّا في نفسه، ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد من قومه، فأفشاه، وهو القائل: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ...﴾ إلخ، وقيل: كان لهم في كل سنة مجمع، وعيد. فكانوا: إذا رجعوا من عيدهم؛ دخلوا على الأصنام، فسجدوا لها، ثم رجعوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد؛ قال أبو إبراهيم: يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا! فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض، وقال: إني سقيم، أشتكي رجلي، فتركوه، ومضوا، فنادى في آخرهم، وقد بقي ضعفاء الناس: تالله ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إلى بيت الآلهة، وهن في بهوٍ عظيم، وفي مستقبل باب البهْو صنم عظيم، إلى جنبه صنم أصغر منه، والأصنام جنبها إلى جنب بعض، كل صنم الذي يليه أصغر منه، وهكذا إلى باب البهْو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً بين يدي الآلهة، وقالوا: إذا رجعنا وقد بَرَّكَتِ الآلهة عليه أكلنا منه، فلما نظر إبراهيم إليهن، وما بين أيديهن من الطعام؛ قال لهن على طريق الاستهزاء: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فلما لم يجيبوه، قال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ وجعل يكسرهن بفأس كان في يده، حتى إذا لم يبق إلا الصنم العظيم علق الفأس في عنقه ـ وقيل في يده ـ ثم خرج، وهو ما يلي. انتهى. خازن بتصرف. وما أحراك أن تنظر الآية رقم [٨٨] من سورة (الصافات) وما بعدها والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ والأصنام: جمع صنم: وهو التمثال الذي يتخذ من خشب، وكانت أصنامهم اثنين وسبعين صنماً، بعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من حديد، وبعضها من نحاس،

ورصاص، وحجر، وخشب... إلخ، وكان الصنم الكبير من ذهب، مكللاً بالجواهر، في عينيه جوهرتان تتقدان.

الإعراب: ﴿وَتَاللَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (تالله): متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (أكيدن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿أَصْنَامَكُم﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿أَن تُوَلُّوا﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة (بعد) إليه. ﴿مُدْبِرِينَ﴾: حال مؤكدة لواو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾: بضم الذال أي: قطعاً، وقيل: فتاتاً، وقرئ بكسر الجيم جمع: جذيذ، وهو الهشيم، مثل خفيف، وخفاف، وظريف، وظراف،، قال الشاعر: [الرمل]

جَــذَّذَ الأَصْــنَــامَ فَــي مِــحْــرَابِــهَــا ذَاكَ فَــي اللهِ الــعَــلِــيِّ الــمُــقْــتَــدِرِ

كما قرئ بفتح الجيم، كالحَصَاد، والحِصَاد. هذا؛ وقال قطرب: هي في لغاتها كلها مصدر فلا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، والمعتمد ما ذكرته أولاً. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ أي: عظيم الآلهة في الخلق، فإنه لم يكسره، كما رأيت سابقاً. ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾: إلى الصنم الكبير؛ لأنه ظن: أنهم لا يرجعون إليه، فيسألونه عن كاسرها؛ إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل المعضلات، أو يرجعون إلى الله؛ أي: إلى توحيده عند تحقق عجز آلهتهم، أو يرجعون إلى إبراهيم نفسه لاشتهاره بعداوة تلك الآلهة الباطلة، فيحاجهم بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ فيحجهم. هذا؛ وجمعت الأصنام بميم جمع المذكر؛ لأنهم عاملوها معاملة السميع، المبصر، العاقل بتقديسهم لها، وانظر الآية رقم [٣٣].

الإعراب: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (جعلهم): ماض، والفاعل، يعود إلى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ عليه السلام. والهاء مفعول به أول ﴿جُذَاذًا﴾: مفعول به ثان. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿كَبِيرًا﴾: مستثنى من الضمير المنصوب. ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان بكبيراً أو بمحذوف صفة له، والجملة الفعلية: ﴿فَجَعَلَهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يَرْجِعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو

فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل لجعل الأصنام جذاذاً، لا محل لها.

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: لما رجعوا من عندهم، ورأوا ما حدث بآلهتهم؛ ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ...﴾ إلخ: فإنه معتد عليها بفعله هذا؛ مع أنها جديرة بالتقديس؛ والإعظام.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فَعَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والهاء حرف تنبيه، لا محل له، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿بِـَٔالِهَتِنَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (من الظالمين): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَن﴾ موصولاً مبتدأ، والجملة الفعلية بعده صلته، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، وعلى الاعتبارين بالجملة الاسمية: ﴿مَن...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الذين سمعوا كلام إبراهيم، ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ...﴾ إلخ أو هو الواحد، وعبر عنه بلفظ الجمع. ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يذكر الأصنام بسوء، ويسبُّها. ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي: مسمى بهذا الاسم. هذا؛ وانظر شرح: ﴿يَسْمَعُ﴾ في الآية رقم [٤٥] وإعلال ﴿فَتًى﴾ مثل إعلال ﴿هُدًى﴾ في الآية رقم [١٣] من سورة (الكهف).

هذا؛ والفتى: الشاب، ويطلق على السيد، والشريف، والكريم، كما يطلق على المستخدم من عبد، وغيره، كما في فتيان يوسف، على نبينا وعليه ألف صلاة وألف سلام. وكما في فتى موسى عليه السلام، والفتاء بالمد: الشباب، والفتوة، والشجاعة، والسيادة، والشرف. هذا؛ وقيل: الفتوة: بذل الندى، وكف الأذى، وترك الشكوى، واجتناب المحارم، واستعمال المكارم. هذا؛ ويجمع «الفتى» جمع كثرة على «فتيان»، وجمع قلة على «فتية» كما يجمع أيضاً على «فتوٌّ» كما في قول جذيمة الأبرش: [المديد]

فِي فُتُوٍّ أَنَا رَابِيُّهُمْ ... مِنْ كَلَالِ غَزْوَةٍ مَاتُوا

وهو شاذ؛ لأن أصل فتى: «فَتَيٌ» فهو يائي، وليس واوياً. تأمل.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿سَمِعْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فَتًى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿فَتًى﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان، أو هي في محل نصب صفة ﴿فَتًى﴾. ﴿يُقَالُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾: فيه أوجه: الأول: هو نائب فاعل؛ أي: يقال له هذا اللفظ. الثاني: هو مبتدأ خبره محذوف، أي: يقال له: إبراهيم فاعل ذلك. الثالث: هو خبر مبتدأ محذوف، أي: يقال له: هو إبراهيم. الرابع: هو منادى، وحرف النداء محذوف، أي: يا إبراهيم، وعلى الأوجه الثلاثة، فهو مقتطع من جملة، وتلك الجملة في محل نصب مقول القول، وعليه: فالجار، والمجرور متعلقان في محل رفع نائب فاعل. وقال مكي: وإن شئت؛ أضمرت المصدر؛ ليقوم مقام الفاعل، و﴿لَهُۥ﴾ في موضع نصب، وجملة: ﴿يُقَالُ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ﴿فَتًى﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿سَمِعْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: النمرود الجبار، وأعوانه الظلمة. ﴿فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: جيئوا به ظاهراً بمرأى من الناس حتى يروه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: عليه بأنه الذي فعل ذلك، أو يشهدون: أنه قال: إنه سيفعل بالآلهة كذا، وكذا، أو يشهدون عقابه حتى لا يقدم أحد على مثل ما أقدم عليه.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿فَأْتُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، أو هي زائدة. (ائتوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ﴾: متعلقان به أيضاً، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بالياء، التقدير: ظاهراً على أعينهم، و﴿أَعْيُنِ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٥٨]، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها، وجملة: (ائتوا...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك قد حصل منه؛ ﴿فَأْتُواْ...﴾ إلخ، و«إذا» ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: حين أحضروه سألوه هذا السؤال: أنت كسرت هذه الآلهة؛ التي نعبدها، ونقدسها يا إبراهيم؟!

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَأَنتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿فَعَلْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بِـَٔالِهَتِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (إبراهيم): مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا)، والجملة الاسمية، والندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ أي: غضب؛ إذ تعبدون معه هذه الصغار، وهو أكبر منها، فكسرهن، وأراد إبراهيم عليه السلام إقامة الحجة عليهم، وتقريره الفعل لنفسه، وإثباته لها على أسلوب تعريضي تبكيتاً لهم، وتقريعاً؛ لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح؛ علموا عجز كبيرهم، وأنه لا يصلح إلهاً، وهذا كما قال لك صاحبك، وقد كتبت كتاباً بخط رشيق أنيق: أنت كتبت هذا، وصاحبك أمي، فقلت له: بل كتبته أنت! كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك، وإثباته للأمي؛ لأنه إثباته للعاجز منكما، والأمر كائن بينكما استهزاء به، وإثبات للقادر. ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ أي: حتى يخبروا من فعل ذلك بهم، والمعنى: إن قدروا على النطق؛ قدروا على الفعل، وإذا كانوا عاجزين عن الأمرين: النطق، والفعل؛ فكيف يستحقون العبادة؟! ومضمونه: تحقيرهم، وتحقير آلهتهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمْ يَكْذِبْ إبراهيمُ النبيُّ قَطُّ إلا ثَلاثَ كَذَباتٍ: ثنْتَينِ منهنَّ في ذاتِ اللهِ: قوله:** ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾**، وقوله:** ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾**، وواحدةٌ في شأن سارة**». رواه مسلم، وغيره. هذا؛ والواحدة في شأن سارة هي قوله للجبار في مصر حين سأله عنها فقال له: هذه أختي. هذا؛ وقد سماها النبي ﷺ كَذَباتٍ، ومعناه: أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب، وإن كان حقاً في الباطن إلا هذه الكلمات، ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبراهيم ـ على حبيبنا، وشفيعنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ منها بمؤاخذته بها؛ لذا يعتذر عليه الصلاة والسلام عن الشفاعة في الموقف العظيم، ويقول: «وإنِّي كُنتُ كذبْتُ ثلاثَ كَذَباتٍ» انظر حديث الشفاعة الطويل في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وقد خرجه البخاري، ومسلم.

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى: في هذا الحديث نكتة عظمى تقصم الظهر، وهي: أنه ـ عليه السلام ـ قال: «**لم يكذب إبراهيم إلا في ثلاث كذبات**» ثنتين مَاحَلَ بهما عن دين الله،

وهما قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾، ولم يعد قوله: (هذه أختي) في ذات الله تعالى، وإن كان دفع بها مكروهاً، ولكنه لما كان لإبراهيم عليه السلام فيها حظ من صيانة فراشه، وحماية أهله، لم يجعلها في ذات الله، وذلك؛ لأنه لا يجعل في جنب الله، وذاته إلا العمل الخالص من شوائب الدنيا، والمعاريض التي ترجع إلى النفس إذا خلصت للدين؛ كانت لله سبحانه، كما قال: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، وهذا لو صدر منا؛ لكان لله، لكن منزلة إبراهيم اقتضت هذا. والله أعلم. انتهى. قرطبي. وانظر الآية رقم [٨٢] من سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم) عليه السلام. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿فَعَلَهُ﴾: ماض، والهاء مفعوله. ﴿كَبِيرُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع صفة ﴿كَبِيرُهُمْ﴾، أو هو بدل منه، والهاء حرف تنبيه، وقال الكسائي: الوقف عند قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ وهذا يعني: أن الفاعل محذوف، التقدير: فعله من فعله، وما بعده جملة اسمية مؤلفة من مبتدأ وخبر. والأول أقوى معنى وأتم سبكاً. ﴿فَسْأَلُوهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف، أو هي الفصيحة، انظر الآية رقم [٢٥]. (اسألوهم): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كنتم غير مصدقين؛ فاسألوهم. هذا؛ وقيل: الجملة الفعلية معترضة، وهي مقدمة من تأخير، التقدير: إن كانوا ينطقون؛ فاسألوهم. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو اسمه، وجملة ينطقون في محل نصب خبره، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط دل عليه ما قبله، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: فرجعوا إلى عقولهم، وتفكروا بقلوبهم لما أخذ بمخانقهم رجوع المنقطع عن حجته المتفطن لصحة حجة خصمه. ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: ؛ لأنفسكم بعبادة من لا ينطق ببنت شفة، ولا يملك لنفسه منفعة، وكيف ينفع عابديه، ويدفع عنهم من لا يرد عن رأسه الفأس؟!

الإعراب: ﴿فَرَجَعُوٓاْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (رجعوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. (قالوا): ماض، وفاعله... إلخ. ﴿إِنَّكُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿أَنتُمُ﴾: توكيد لاسم (إنَّ) على المحل، أو هو ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: خبر

(إنَّ) مرفوع. . . إلخ. هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ، فيكون ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (قالوا. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: انقلبوا إلى المجادلة بعد أن استقاموا بالمراجعة، شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه. وقال أهل التفسير: أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الأول، وهو إقرارهم على أنفسهم بالظلم، ثم أدركتهم الشقاوة، فرجعوا إلى حالهم الأولى. ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالها؟!

هذا؛ و﴿ثُمَّ﴾ عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وفي كل منها خلاف مذكور في «مغني اللبيب»، وقد تلحقها تاء التأنيث الساكنة، كما تلحق (رُبَّ) و(لَا) العاملة عمل ليس، فيقال: ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، وَلَاتْ، والأكثر تحريك التاء معهن بالفتح، هذا؛ و(ثُمَّ) هذه غير (ثَمَّ) بفتح الثاء، فإنها اسم يشار به إلى المكان البعيد، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾ وهي ظرف لا يتصرف، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا يتصل به كاف الخطاب، وقد تتصل به التاء المربوطة، فيقال: ثَمَّةَ.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿نُكِسُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، ويقرأ بتشديد الكاف، كما يقرأ بالبناء للمعلوم، والواو فاعله، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال من الواو، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَلِمْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَا﴾: نافية تحتمل الحجازية والتميمية. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع اسم ﴿مَا﴾، أو في محل رفع مبتدأ على إهمالها، وجملة: ﴿يَنطِقُونَ﴾ في محل نصب خبر ﴿مَا﴾ على إعمالها، أو في محل رفع خبر المبتدأ على إهمالها، والجملة الاسمية على الاعتبارين في محل نصب سدت مسد مفعول ﴿عَلِمْتَ﴾ أو مسد مفعوليه على اعتباره ينصب مفعولين؛ لأنه علق عن العمل لفظاً بسبب ﴿مَا﴾ النافية، وجملة: ﴿لَقَدْ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، والقسم المقدر وجوابه في محل نصب مقول القول لقول محذوف يقع حالاً من واو الجماعة، التقدير: قائلين: لقد علمت. . . إلخ.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: المعنى: فهو ينكر عليهم عبادة تلك الأوثان بعد أن اعترفوا بأنها جمادات لا تضر، ولا تنفع، ولا تتكلم، وهذا كله ينافي الألوهية.

هذا؛ والعبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى؛ ولذا يحرم السجود لغيره تعالى. وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود. وعن النبي ﷺ، قال: يقول الله تعالى: «**أنا والإنس والجنُّ في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر غيري**».

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام. ﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: عاطفة على محذوف. (تعبدون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنفَعُكُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾ وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿شَيْـًٔا﴾: نائب مفعول مطلق، وجملة: ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾: معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، هذا؛ والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾: قبحاً، أو هلاكاً، أو ويلاً، وفيه قراءات كثيرة، انظر الآية رقم [٢٣] من سورة (الإسراء) فالبحث فيها وافٍ كافٍ. ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: المعنى: القبح لكم ولما تعبدون... إلخ. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أليس لكم عقول تعقلون بها: أنَّ هذه الأصنام لا تستحق العبادة، وانظر شرح العقل في الآية رقم [١٠].

الإعراب: ﴿أُفٍّ﴾: لقد اعتمدت في سورة (الإسراء): أنه اسم فعل مضارع، أما هنا فالأرجح: أنه مصدر بمعنى ما رأيت، وعليه هو مفعول مطلق لا فعل له من لفظه، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أُفٍّ﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿وَلِمَا﴾: الواو: حرف عطف. (لما): جار ومجرور معطوفان على لكم، (وما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام، والجملة بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: للذين تعبدونهم. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في (ما). و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿أُفٍّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الفاء: حرف استفهام، أو حرف عطف. (لا): نافية، وجملة: (لا تعقلون) مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر.

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾: أخذوا في المضارَّة لما عجزوا عن المحاجَّة، ولما انقطعوا بالحجة؛ أخذتهم عزة بإثم، وانصرفوا إلى طريق الغشم، والغلبة، والقائل رجل من أكراد فارس، اسمه:

هينون، خسف به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، وقيل: قاله نمرود بن كنعان بن سنحاريب، بن نمرود، بن كوش، بن حام، بن نوح النبي على نبينا وحبيبنا وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ألف صلاة وألف سلام. وما أحراك أن تقف هنا وقفة قصيرة؛ لتنظر ما ذكرته لك في الآية رقم [٢٥٨] من سورة (البقرة).

﴿حَرِّقُوهُ﴾ أي: في النار، فإنها أهول ما يعاقب به، وأفظع. ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾: بالانتقام لها. ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾: ناصرين آلهتكم نصراً مؤزراً بإحراقه؛ لأنه يسبها، ويعيبها. هذا؛ وجاء في الخبر: أن نمرود بنى صرحاً، طوله ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون، وحبسوا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في بيت، وبنوا بنياناً كالحظيرة بقرية، يقال لها: كوثى، ثم جمعوا له الحطب شهراً، حتى كان الرجل يمرض، فيقول: لئن عُوفيتُ؛ لأجمعن حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر فيما تطلب، لئن أصابته؛ لتحتطبن في نار إبراهيم، وكانت المرأة تغزل، وتشتري الحطب بغزلها، احتساباً في دينها، فلما جمعوا ما أرادوا، وأشعلوا في كل ناحية من الحطب ناراً، فاشتعلت النار، واشتدت، حتى إنَّ الطير ليمر بجنباتها، فيحترق من شدة وهجها، فأوقدوا عليها سبعة أيام، فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم، لم يعلموا كيف يلقونه؟! فقيل: إن إبليس جاءهم، وعلمهم عمل المنجنيق. فعملوه، ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه السلام، فقيدوه، ورفعوه على رأس البنيان، ووضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فضجت السموات والأرض، ومن فيهن من الملائكة، وجميع الخلق إلا الثقلين ضجة واحدة: ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار، وليس في الأرض أحد يعبدك غيره؛ فائْذَنْ لنا في نصرته.

فقال الله تعالى: إنه خليلي ليس لي خليل غيره، وأنا إلهه ليس له إلٰه غيري، فإن استغاث بأحد منكم، أو دعاه؛ فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري، فأنا أعلم به، وأنا وليه، فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار؛ أتاه خازن المياه، وقال: إن أردت؛ أخمدت النار، وأتاه خازن الهواء، وقال: إن شئت؛ طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم عليه الصلاة، والسلام: لا حاجة لي إليكم! ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: (اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل). وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أن إبراهيم عليه السلام، قال حين أوثقوه؛ ليلقوه في النار: (لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبحانَكَ، لكَ الحمدُ، ولَكَ الملكُ، لَا شَريكَ لَكَ) ثم رَمَوْا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل عليه السلام، فقال: يا إبراهيم! ألك حاجة؟ فقال: أما إليك؛ فلا! فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال: (حسْبي مِنْ سُؤالي علمُهُ بِحَالي) فقال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ...﴾ إلخ.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قال: قالها إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس:

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ الآية رقم [١٧٣] من سورة (آل عمران)، ما أحراك أن تنظر شرحها هناك! هذا؛ وعن أم شَريكٍ رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ أَمَر بقَتْلِ الأوْزَاغِ. متفق عليه، وزاد البخاري، وقال: (كانَ يَنْفُخُ النَّارَ علَى إبراهيمَ) وفي كتاب الترغيب والترهيب أحاديث كثيرة تحث على قتل الأوزاغ.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل، وفاعله، والألف للتفريق، وانظر الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام. ﴿حَرِّقُوهُ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب (اشربي) في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وما بعدها معطوف عليها. ﴿ءَالِهَتَكُمۡ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، وانظر إعراب مثل: ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ في الآية رقم [٧] هذا؛ والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو لم يقل: (سلاماً) لمات إبراهيم من بردها. وفي بعض الآثار: إنه لم يبق نار يومئذ في الأرض إلا طفئت: فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم يقل: على إبراهيم؛ لبقيت ذات برد أبداً، وقيل: إن الملائكة أخذت بضَبُعَيْ إبراهيم، فأقعدوه على الأرض، فإذا عين ماء عذب، وورد أحمر، ونرجس، قال كعب: ما أحرقت النار من إبراهيم عليه السلام إلا وثاقه، قالوا: وكان إبراهيم عليه السلام في ذلك الموضع سبعة أيام لم يقدر أحد أن يقرب من النار قاله المنهال بن عمرو، قال إبراهيم عليه السلام: (ما كُنْتُ أَيَّاماً قَطُّ أنعمَ منِّي منَ الأيامِ التي كُنتُ في النار). قيل: وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة إبراهيم، فقعد إلى جنبه يؤنسه، قالوا: وبعث الله جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة، وطنفسة فألبسه القميص، وأقعده على الطنفسة، وقعد معه يحدثه.

أقول: وهذا القميص ورثه إسحاق من إبراهيم، وورثه يعقوب من إسحاق، وكان يعقوب قد وضعه في قصبة، وعلقه في عنق يوسف، ولما ألقي في الجب؛ أتى جبريل، وأخرجه من القصبة، وألبسه إياه، صلى الله على نبينا، وحبيبنا، وعلى إبراهيم، ونسله الصالحين، وسلم تسليماً كثيراً. ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرحه الذي بناه، فرآه جالساً في روضة، والملك قاعد إلى جنبه، وما حوله نار تحرق الحطب، فناداه يا إبراهيم! هل تستطيع أن تخرج منها؟! قال: نعم! قال: هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك؟! قال: لا! قال: قم فاخرج منها. فقام إبراهيم عليه السلام يمشي فيها؛ حتى خرج منها، فلما وصل إليه، قال: يا إبراهيم! من الرجل الذي رأيته معك مثلك في صورتك، قاعداً إلى جنبك، قال: ذلك ملك الظل أرسله إليَّ

ربي؛ ليؤنسني فيها. فقال نمرود: يا إبراهيم! إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته، وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته، وتوحيده، وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة. قال إبراهيم عليه السلام: لا يقبل الله منك ما دمت على دينك؛ حتى تفارقه، وترجع إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبحها له، فذبحها، وكف عن إبراهيم عليه الصلاة، والسلام، ومنعه الله منه، وهو ما في الآية التالية. انتهى. ما هنا، وهناك من الخازن، والقرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿قُلْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب ﴿نَذَرْتُ﴾ في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام. (يا): أداة نداء. (نار): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ: (يا). ﴿كُونِي﴾: أمر ناقص مبني على حذف النون، وياء المؤنثة المخاطبة اسمه. ﴿بَرْدًا﴾: خبره، والأصل: ذات برد، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. (سلاماً): معطوف عليه. ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: متعلقان بسلاماً، أو بمحذوف صفة له، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، هذا؛ والكلام: ﴿يَٰنَارُ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ أي: أراد النمرود، وأصحابه إهلاك إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالنار، كما رأيت. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾: أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهاناً قاطعاً على أنهم على الباطل، وإبراهيم على الحق، وموجباً لمزيد مكانته عند الله، واستحقاقهم أشد العذاب في الدنيا، والآخرة، أما في الدنيا فقد نقل القرطبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ما يلي: سلط الله على النمرود وقومه أضعف خلقه البعوض، فما برح نمرود حتى رأى عظام أصحابه، وخيله تلوح، أكلت لحومهم، وشربت دماءهم، ووقعت واحدة في منخره، فلم تزل تأكل حتى وصلت دماغه، وكان أكرم الناس عليه الذي يضرب رأسه بمرزبة من حديد، فأقام بهذا نحواً من أربعمئة سنة. انتهى. وقال الثعلبي: وكان جباراً أربعمئة سنة، فعذبه الله أربعمئة سنة كمدة ملكه. انتهى. وذكرت لك فيما مضى: أن بختنصر، والنمرود ولدَا زنى.

الإعراب: ﴿وَأَرَادُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (أرادوا): ماض والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وتعليقهما بالمفعول كيداً صحيح معنى، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. (جعلناهم): ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا...﴾ إلخ. المعنى: أخرجناه، ومعه لوط ابن أخيه؛ الذي آمن معه من بلاد العراق إلى بلاد الشام المباركة، والبركة حصلت من كثرة الأنبياء الذين بعثوا في هذه البلاد، فانتشرت في العالمين شرائعهم، التي هي مبادئ الكمالات، والخيرات الدينية، والدنيوية، وقيل: مباركة لكثرة خصبها، وثمارها، وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء. والبركة: ثبوت الخير، ومنه برك البعير إذا لزم مكانه، فلم يبرح، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٥] من سورة (إبراهيم) صلى الله على نبينا، وعليه، وسلم. هذا؛ وهناك أحاديث كثيرة في فضل بلاد الشام، والترغيب في سكناها موجودة في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.

هذا؛ و(العالمين) جمع: عالم بفتح اللام، وهو يقال لكل ما سوى الله، ويدل له قول موسى ـ على نبينا، وعليه أفضل صلاة، وأتم تسليم ـ لما قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ والعوالم كثيرة لا تحصيها الأرقام، وهي منتشرة في هذا الكون المترامي الأطراف في البر والبحر؛ إذ كل جنس من المخلوقات يقال له: عالم: قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

الإعراب: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾: الواو: حرف عطف. (نجيناه): فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿وَلُوطًا﴾: معطوف على الضمير المنصوب. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة الأرض، وجملة: ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد: الضمير المجرور محلاً بـ: (في). ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾: لإبراهيم. ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: عطية من عطاء الله تعالى والمراد يعقوب؛ لأن الله تعالى أعطى إبراهيم إسحاق بدعائه؛ حيث قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وزاده يعقوب نافلة، وهو ولد الولد، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٩] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك. وانظر ما قلته في شرح (وهبنا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم) عليها السلام. ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا...﴾ إلخ. قال البيضاوي: بأن وفقناهم للصلاح، وحملناهم عليه، فصاروا كاملين. وقال القرطبي: وجعلهم صالحين إنما يتحقق بخلق الصلاح، والطاعة لله، وبخلق القدرة على الطاعة،

ثم ما يكتسبه العبد فهو مخلوق لله تعالى، وانظر أعمار الأسرة الكريمة في الآية رقم [٧١] من سورة (هود) على نبينا، وعليه، وعليهم جميعاً ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام، ولا تنس: أن يعقوب ولد في حياة إبراهيم، وهو ما أفادته الآية رقم [٧١] من سورة (هود).

الإعراب: (وهبنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِسۡحَٰقَ﴾: مفعول به. ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿نَافِلَةٗۖ﴾: حال من (يعقوب)، وجملة ﴿وَوَهَبۡنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَكُلّٗا﴾: الواو: حرف عطف. (كلا): مفعول به أول مقدم. ﴿جَعَلۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿صَٰلِحِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ أي: رؤساء يقتدى بهم في الخيرات، وأعمال الطاعات. هذا؛ و﴿أَئِمَّةٗ﴾ جمع: إمام، سمي بذلك؛ لأنه يؤتم به في الأفعال، فهنيئاً لمن كان إماماً في الخير، وويل لمن كان إماماً في الشر! قال تعالى في حق فرعون، وأشياعه: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ الآية رقم [٤١] من سورة (القصص) هذا؛ ويقال: أئمَّة، وأيمَّة. والثاني جائز عربية لا قراءة، وشرحه: أن أصله (أَأْمِمَة) ولكن لما اجتمع المثلان، وهما الميمان، أدغمت الأولى في الثانية، ونقلت حركتها إلى الهمزة الثانية. فصار: «أئمة» بهمزتين، فأبدل من الهمزة المكسورة ياء كراهة اجتماع الهمزتين. ﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾: يدعون الناس إلى التوحيد، وعبادة الإله الحميد المجيد بما أنزلنا عليهم من الوحي المتضمن للأمر، والنهي. ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: هي جميع الأعمال الصالحة بأن يفعلوها، ويحثوا الناس على فعلها. وانظر (الخير) في الآية رقم [٢٤] من سورة (القصص). ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: فعل الصلاة على الوجه الأكمل، وانظر الآية رقم [٣١] من سورة (مريم) عليها السلام تجد شرح الصلاة، والزكاة. ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾: موحدين مخلصين في العبادة، ولذلك قدم الجار والمجرور، وانظر العبادة في الآية رقم [٦٦].

هذا؛ وخص الله (الصلاة) و(الزكاة) بالذكر؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، وشرعت لذكر الله، والزكاة أفضل العبادات المالية، ومجموعهما التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. هذا؛ و(إقام) أصله: إقامة، فالتاء عوض عن ألف الإفعال، وهذا يخضع لقاعدة، وهي: إذا كانت عين الفعل ألفاً تحذف منه ألف الإفعال، والاستفعال، ويعوض عنها تاء في الآخر، كأقام إقامة، واستقام استقامة؛ إذ الأصل إقوام، واستقوام، فاجتمع حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة

الواو للقاف، وتحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها بحسب الحال، فقلبت ألفاً، فاجتمع ألفان: الألف المنقلبة، وألف الإفعال، أو الاستفعال، فحذفت ألف الاستفعال لالتقاء الساكنين، وعوض عنها التاء في الآخر، وقد يستغنى عن هذه التاء في حال الإضافة، كما في هذه الآية، وآية (النور) رقم [٣٧] فلما أضيفت؛ قام المضاف إليه مقام الهاء، فجاز حذفها، وإن لم تضف لم يجز حذفها، وكما عوضت التاء عن ألف الاستفعال في وسط المصدر، تعوض عن الواو في أول المصدر، مثل: وعد عِدَةً، ووزن زِنَةً، والأصل: وعد وعداً، ووزن وَزْناً، فحذفت الواو، وعوض عنها التاء في الآخر، فلا يجوز حذف هذه التاء؛ لأنها عوض عن واو محذوفة، فإن أضيفتا؛ أجاز الفراء حذف التاء منهما، وأنشد قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: [البسيط]

إنَّ الخليطَ أَجدُّوا البَيْنَ فانْجَردُوا ... وأَخْلَفُوكَ عِدَ الأمْرِ الذي وَعَدُوا

فقد قاس حذف التاء من «عدة» في حال الإضافة على حذفها من إقامة في حال إضافتها. والجمهور اعتبروا حذفها من «عدة» شاذاً ذكر ذلك ابن هشام في أوضح المسالك، والبيت المذكور من شواهده.

الإعراب: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (جعلناهم): فعل، وفاعل، ومفعوله الأول. ﴿أَئِمَّةً﴾: مفعول به ثان. ﴿يَهْدُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعل. ﴿بِأَمْرِنَا﴾: متعلقان به، وقيل: متعلقان بمحذوف حال. و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿أَئِمَّةً﴾. وجملة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فِعْلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَإِقَامَ﴾: معطوف على ﴿فِعْلَ﴾ وهو مضاف، و﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر... إلخ. ﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: معطوف عليه، وهو مثله في إعرابه، وجملة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها، هذا؛ وهذه الآية، بل هذه الجملة ترجح اعتبار «أنْ» الواقعة بعد الفعل أوحى، ونحوه مصدرية، لا مفسرة؛ لأن أصل الكلام: «أوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات، وأن أقيموا الصلاة، وأن آتوا الزكاة» فربنا جل جلاله، قد نطق بالمصدر مسبوكاً في الجمل الثلاث. تنبه له، وافهمه، فإنه جيد. ﴿وَكَانُوا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (كانوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لَنَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿عَٰبِدِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة؛ فالمعنى لا يأباه، وتحتاج إلى تقدير «قد» قبلها، ويكون الرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلُوطًا﴾: هو ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، آمن به، وهاجر معه من بلاد العراق. قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ فأقام إبراهيم في فلسطين، وأقام لوط في الأردن. فأرسله الله إلى أهل «سدوم» يدعوهم إلى الله، وينهاهم عن فعلهم القبيح، وانظر تفصيل ذلك في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) عليه السلام. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ أي: منحناه قوة الحكم، والفصل بين الخصوم. وقيل: المراد: حكمة، وهي كل كلمة وعظتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح. ﴿وَعِلْمًا﴾: المراد به: النبوة، والرسالة التي كلف بها، وقيل: الفرق بين الحكيم والعالم أن العالم: هو الذي يعلم الأشياء بحقائقها، وأن الحكيم: هو الذي يعمل بما يوجبه العلم. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ أي: الأعمال الخبيثة، وهي إتيان الذكور في أدبارهم، وكانوا يتضارطون في مجالسهم، ويقذفون المارة بالحصى، وغيره. والمراد: أهل القرية، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وهذا من أنواع المجاز، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾: كافرين، خارجين عن طاعة الله تعالى. والسوء: الشر، والفساد، والجمع: أسواء، وهو بضم السين من ساءه، وهو بفتح السين المصدر، تقول: رجل سَوْء بالإضافة، ورجل السَّوْء، ولا تقول: الرجل السَّوْء، وتأنيثه: السُّوأى، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾.

الإعراب: ﴿وَلُوطًا﴾: الواو: حرف عطف عطفت الإشارة إلى قصة لوط على قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه. (لوطاً): مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، وهو ما يسمى بالاشتغال. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿حُكْمًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها مفسرة للجملة المحذوفة، وجملة: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾. ﴿كَانَت﴾: ماض ناقص، والتاء للتأنيث، واسمه يعود إلى ﴿ٱلَّتِى﴾، وهو العائد. ﴿تَّعْمَلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّتِى﴾ أيضاً. ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَت﴾، والجملة الفعلية هذه صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَوْمَ﴾: خبر (كان) و﴿قَوْمَ﴾ مضاف، و﴿سَوْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فَٰسِقِينَ﴾: صفة ﴿قَوْمَ سَوْءٍ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، وجملة: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾

الشرح: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآۖ﴾ أي: في أهل رحمتنا؛ أي: جعلناه منهم، أو المعنى: أدخلناه في جنتنا؛ لأنها مكان الرحمة، فهو مجاز مرسل علاقته المحلية. ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: الأنبياء الذين سبقت لهم منا الحسنى.

الإعراب: (أدخلناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، انظر إعراب: ﴿نَذَرْتُ﴾ في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام. ﴿فِي رَحْمَتِنَآۖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنّ)، والجملة الاسمية تعليل لإدخاله في الرحمة.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ٧٦﴾

الشرح: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: واذكر نوحاً وقت دعا ربه من قبل إبراهيم، ولوط، على نبينا، وحبيبنا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: دعاءه على قومه. وانظر الآية رقم [٨٨] الآتية. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾: المراد: من آمن معه. ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من الغرق، وتكذيب قومه له، هذا؛ وإنه كان أطول الأنبياء عمراً، وأشدهم بلاء، والكرب: أشد الغم. هذا؛ وبعث نوح ـ عليه السلام ـ وهو ابن أربعين سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، فتكون مدة عمره ألفاً وخمسين سنة، ويروى: أن جبريل عليه السلام قال له: يا أطول الأنبياء عمراً! كيف وجدت الدنيا؟ قال: وجدتها كدار لها بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر. هذا؛ والآيتان قد أشارتا إلى قصة نوح ـ عليه السلام ـ إشارة، وانظر قصته في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) إن أردت بسط ذلك.

الإعراب: ﴿وَنُوحًا﴾: الواو: حرف عطف. (نوحاً): فيه وجهان: أحدهما: أنه منصوب عطفاً على (لوطاً) فيكون مشتركاً معه في عامله الذي هو (آتينا) المفسر بآتينا الظاهر، وكذلك داود، وسليمان، والتقدير: ونوحاً آتيناه حكماً، وداود، وسليمان آتيناهما حكماً، وعلى هذا ف: ﴿إِذْ﴾ بدل من (نوحاً)، ومن (داود وسليمان) بدل اشتمال. والثاني: أنه منصوب بإضمار: اذكر؛ أي: اذكر نوحاً، وداود، وسليمان، اذكر خبرهم وقصتهم، وعلى هذا فتكون ﴿إِذْ﴾ منصوبة بنفس المضاف المقدر؛ أي: أخبرهم الواقع في وقت كان كيت، وكيت. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿نَادَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى

نوح، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، وجملة: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا...﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾: معطوف على الضمير المنصوب، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة الكرب.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ...﴾ إلخ: أي: جعلناه منتصراً عليهم، وهو أولى من تفسيره بـ: منعناه منهم. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ أي: قوم شر، وإفساد، وانظر الآية رقم [٧٤]. ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ أي: بالطوفان. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: صغيرهم، وكبيرهم، ذكرهم، وأنثاهم، ولم يبق منهم إلا الذين آمنوا، وركبوا معه في السفينة، وهم بضع وثمانون ما بين رجل وامرأة، وإنما أهلكهم الله بالغرق جميعاً لتكذيبهم الحق، وانهماكهم في الشر، ولم يجتمعا في قوم إلا أهلكهم الله.

هذا؛ وقوم: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ومعشر، وهو يطلق على الرجال دون النساء بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ قال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟

وربما دخل فيه النساء على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إن كل لفظ (قوم) في القرآن الكريم، إنما يراد به الرجال، والنساء جميعاً، و(قوم) يذكر، ويؤنث، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فالتذكير باعتبار اللفظ، والتأنيث باعتبار المعنى.

الإعراب: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة ﴿ٱلْقَوْمِ﴾، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد واو الجماعة. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٧٤]، والجملة الاسمية هنا معترضة بين الجملتين المتعاطفتين. ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. والجملة الفعلية معطوفة على جملة (نصرناه...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد للضمير المنصوب... إلخ.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾

الشرح: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأكثر المفسرين: كان الحرث كرماً، قد تدلت عناقيده. وقال قتادة: كان زرعاً. ولم يرد بقوله: ﴿إِذۡ يَحۡكُمَانِ﴾ الاجتماع في الحكم، وإن جمعهما في اللفظ، فإن حكمين على حكم واحد لا يجوز، وإنما حكم كل واحد منهما على انفراده، كما ستقف عليه. ﴿إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي: رعته ليلاً فأفسدته، وكانت بلا راعٍ. هذا؛ والنفش: الرعي في الليل، يقال: نفشت بالليل، وهملت بالنهار: إذا رعت بلا راع.

﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾ أي: كان ذلك بعلمنا، ومرأى منا، لا يخفى علينا علمه، وفيه دليل لمن يقول: إن أقل الجمع اثنان، وقيل: المراد به: الحاكمان، والمتحاكمان. هذا؛ وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره: إن رجلين دخلا على داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع: إن غنم هذا دخلت زرعي ليلاً، فوقعت فيه، فأفسدته، فلم تبق منه شيئاً. فأعطاه رقاب الغنم بالزرع، أي: ملّك صاحب الزرع الغنم، فخرجا، فمرا على سليمان عليه السلام، فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه، فقال: لو وليت أمركما؛ لقضيت بغير هذا. وروي: أنه قال: غير هذا أرفق بالفريقين، فأخبر بذلك داود، فدعاه، وقال: كيف تقضي؟

ويروى: أنه قال له: بحق النبوة، والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين! قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها، ونسلها، وصوفها، ومنافعها، ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه، وأخذ صاحب الغنم غنمه. فقال داود: القضاء ما قضيت. وحكم بذلك. فقيل: كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر إحدى عشرة سنة.

وحكم الإسلام في هذه المسألة: أن ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار، فلا ضمان على ربها، وما أفسدته بالليل ضمنه ربها؛ لأن في عرف الناس: أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار، وترد بالليل إلى المراح، ويدل على هذه المسألة ما روى حرام بن سعد بن محيصة: أن ناقة للبراء بن عازب رضي الله عنه، دخلت حائطاً لبعض الأنصار، فأفسدت فيه، فقضى رسول الله ﷺ: أن على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل. زاد في رواية: وأن على أهل الماشية، ما أصابت ماشيتهم بالليل، أخرجه أبو داود مرسلاً. وذهب أهل الرأي إلى أن المالك إذا لم يكن مع ماشيته، فلا ضمان عليه، فيما أتلفت ليلاً كان، أو نهاراً. انتهى. خازن.

تنبيه: أما داود فهو ابن إيشا ينتهي نسبه إلى يهوذا بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم الخليل، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، هذا؛ وداود من سبط الملوك، وهو سبط يهوذا، أما سبط النبوة، فهو سبط لاوي بن يعقوب، وقد اجتمع الملك، والنبوة له، ولابنه سليمان، ولم يجتمعا لغيرهما من بني إسرائيل. وانظر قصته مع طالوت، وجالوت في الآية رقم [٢٤٦] وما بعدها من سورة (البقرة)، وقد وقعت في عهده حادثة أهل السبت التي رأيت تفصيلها في الآية رقم [١٦٣] وما بعدها من سورة (الأعراف). هذا؛ وعاش داود مئة سنة وبينه وبين موسى خمسمئة وتسع وستون سنة، وقيل: وتسع وسبعون، وعاش سليمان تسعاً وخمسين سنة، وبينه وبين مولد نبينا، وحبيبنا ـ عليه، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام ـ نحو ألف وسبعمئة سنة. انتهى. جمل نقلاً من التحبير للسيوطي، وانظر ما ذكرته في الآية [٥٥] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾: معطوفان على نوحاً في الآية رقم [٧٦] ﴿إِذۡ﴾: هي مثل نظيرتها في الآية رقم [٧٦]. ﴿يَحۡكُمَانِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله. ﴿فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿إِذۡ﴾: ظرف متعلق بالفعل قبله. ﴿نَفَشَتۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿غَنَمُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿وَكُنَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (كنا): ماض ناقص مبني على السكون. و(نا): اسمه. ﴿لِحُكۡمِهِمۡ﴾: متعلقان بـ ﴿شَٰهِدِينَ﴾ بعدهما، وانظر جمع الضمير في الشرح. هذا؛ وقرئ: (لحكمهما) والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، وفي السمين من إضافة المصدر لفاعله ومفعوله دفعة واحدة، وهو إنما يضاف لأحدهما فقط، وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز، فإن الحقيقة إضافة المصدر لفاعله، والمجاز إضافته لمفعوله. ﴿شَٰهِدِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وجملة: ﴿وَكُنَّا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من ألف الاثنين فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط: الواو والضمير، وهي على تقدير «قد» قبلها. تأمل.

تنبيه: اعتبر ابن هشام في مغنيه اللام في قوله: ﴿لِحُكۡمِهِمۡ﴾: لام التقوية، أي زائدة مقوية لـ: ﴿شَٰهِدِينَ﴾؛ لأنه عامل ضعيف مثل قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ ﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ﴾ وأورد قول حاتم الطائي، وقيل: هو قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه: [الطويل]

إِذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

وعليه فاللام زائدة، و(حكمهم): مفعول به مقدم لـ: ﴿شَٰهِدِينَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وهو اللام، وفاعل ﴿شَٰهِدِينَ﴾ مستتر فيه تقديره: «نحن».

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾: الضمير المنصوب يعود للحكومة، أو للفتوى، أو للقضية، المفهومة من المقام، وقرئ: (فأفهمناها) ﴿وَكُلًّا﴾ أي: من داود، وسليمان، عليهما السلام. ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي: بوجوه الاجتهاد، وطرق الأحكام. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٤]. قال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: لولا هذه الآية؛ لرأيت الحكام قد هلكوا، ولكن الله حمد هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده.

﴿وَسَخَّرْنَا﴾: ذللنا. ﴿مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾: قال وهب: كان داود يمر بالجبال مسبحاً، فتجاوبه الجبال بالتسبيح، وكذلك (الطير)، وقيل: كان عليه السلام إذا وجد فترة أمر الجبال، فسبحت حتى ينشط، ويشتاق، فيكون المعنى: جعلنا الجبال تطيعه إذا أمرها بالتسبيح. وقيل: إن سيرها معه تسبيحها، والتسبيح مأخوذ من السباحة. وقال قتادة: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يصلين معه إذا صلى، والتسبيح: الصلاة، وكلٌّ محتمل، وذلك؛ لأن الجبال لا تعقل، فتسبيحها معه دلالة على تنزيه الله تعالى من صفات العاجزين، والمُحْدَثين.

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على ما ذكر من التفهيم، وإيتاء الحكم، والتسخير. هذا؛ ولا تنس: أن اليهود، والنصارى يعتبرون داود، وسليمان عليهما السلام مَلِكين، وليسا بنبيَّين.

تنبيه: ومن أحكام داود، وسليمان ـ عليهما السلام ـ ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**كَانتِ امْرأتانِ معَهُمَا ابنَاهُمَا، جاءَ الذِّئْبُ فذهبَ بابْنِ إحداهُمَا، فقَالتْ لصَاحِبتِها: إنما ذَهَبَ بابْنكِ، وقَالَتِ الأخْرى: إنَّمَا ذهبَ بابنكِ، فتَحَاكمتا إلى دَاوُدَ، فَقَضَى به للكُبْرى، فَخَرجَتَا على سلَيْمانَ بنِ دَاوُدَ، فأخبرتاهُ، فَقَالَ: ائتُوني بالسِّكِّين، أشُقّهُ بينَهُمَا! فقالتِ الصّغْرى: لَا تَفْعَلْ يرحمكُ الله هو ابنُهَا! فَقَضَى به للصّغْرى**» أخرجاه في الصحيحين.

ويؤخذ من فحوى هذا الحديث: أن الولد وقع بيد المرأة الكبرى، فصارت صاحبة اليد، والصغرى مدعية، فطالبها داود عليه السلام ببينة تثبت: أنه ابنها، وتعذر ذلك عليها، وأما سليمان عليه السلام؛ فقد لجأ إلى حيلة لطيفة ظهر له بسببها صدق الصغرى وهي أنه لما قال: هاتِ السكين أشقه بينهما، قالت الصغرى: لا، فظهر له من قرينة الشفقة، والعاطفة في الصغرى أنه لها، وانظر ما أذكره في سورة (النمل) إن شاء الله تعالى.

فائدة: يروى: أنه لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم: إنك هدمت الكنيسة، التي رأى أبوك تركها، فإن كنت مصيباً؛ فقد أخطأ أبوك، وإن كان أبوك

مصيباً؛ فقد أخطأت أنت، فأجابه الوليد بقوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. هذا؛ وانظر شرح (الطير) في الآية رقم [٣١] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (فهمناها): فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، أو هي معطوفة على جملة: ﴿يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ فتكون في محل جر مثلها. ﴿وَكُلًّا﴾: الواو: حرف عطف. (كلاً): مفعول به أول تقدم على فعله. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿حُكْمًا﴾: مفعول به ثان. (علماً): معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. (سخرنا): فعل، وفاعل. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ بعده، و(مع) مضاف، و﴿دَاوُۥدَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿ٱلْجِبَالَ﴾: مفعول به. ﴿يُسَبِّحْنَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الجبال، والرابط: الضمير فقط، وهو النون العائدة على الجبال. هذا؛ وأجيز اعتبارها مستأنفة. ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: معطوف على ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ أو هو مفعول معه، هذا؛ ويقرأ برفعه، وفيه وجهان: أحدهما: أنه مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: والطير مسخرات أيضاً. والثاني: أنه معطوف على الضمير في ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ ولم يؤكد الضمير المتصل، ولم يفصل بينهما، وهو على مذهب الكوفيين. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وجملة: ﴿وَسَخَّرْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿وَكُنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (كنا): ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿فَٰعِلِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، وجملة ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ معطوفة على جملة (سخرنا...) إلخ أو هي مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أي: صنعة الدروع التي تلبس في الحرب. قيل: إن أول من صنع الدروع، وسردها، واتخذها حلقاً داود، عليه الصلاة والسلام. وكانت من قبل صفائح. ولا تنس: أن الله تعالى قد ألان له الحديد، فجعله بيده كالطين، لا يحتاج إلى نار، وهو ما صرحت به آية (سبأ) رقم [١٠] وهي قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ انظر شرحها هناك تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾: لتحفظكم، وتمنعكم من وقع السلاح فيكم في أوقات حربكم مع عدوكم. هذا؛ ويقرأ الفعل المضارع بالتاء والياء والنون، قراءات ثلاث. ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾: هذا الخطاب لداود، ولأهل بيته، وهو استفهام بمعنى الأمر؛ أي: فاشكروا الله على ذلك.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع، والأسباب، وهو قول أهل العقول، والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه، فمن طعن في ذلك؛ فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف، وعدم المنة، وقد أخبر الله عن نبيه داود عليه السلام: أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضاً يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثاً، ونوح نجاراً، وإدريس خياطاً، وطالوت دباغاً، وقيل: سقاءً. فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر، والبأس، ومن قول النبي ﷺ: **«إنَّ الله يحبُّ المؤمنَ المحترفَ الضعيفَ المتَعَفِّفَ، ويبغِضُ السَّائِلَ المُلْحِفَ»**. انتهى.

الإعراب: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ﴾: ماض، وفاعله، ومفعولاه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (فهمناها سليمان) لا محل لها مثلها، و﴿صَنْعَةَ﴾: مضاف، و﴿لَبُوسٍ﴾ مضاف إليه. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لبوس، وأجيز تعليقهما بالفعل (علَّم) وبـ: ﴿صَنْعَةَ﴾ أيضاً، والأول أقوى. ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿لَبُوسٍ﴾، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (علمناه) أيضاً، وأجيز اعتبارهما بدلاً من ﴿لَّكُمْ﴾ بإعادة الجار، وهذا على اعتبار اللام في ﴿لَّكُمْ﴾ للتعليل. ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَهَلْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿شَٰكِرُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه، ومفعوله محذوف، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح، ويقرأ برفع (الريح) فيكون التقدير: ولسليمان تسخير الريح. ﴿عَاصِفَةً﴾: شديدة الهبوب. والعصف: التبن، فسمي به شدة الريح؛ لأنها تعصفه بشدة، وتطيره. ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾: تسير بإرادته، ومشيئته. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: المراد بها بلاد الشام، انظر الآية رقم [٧١]، والمراد رجوعه من سفره رواحاً إلى بلاد الشام بعدما سارت به منها بكرة. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ أي: فنجريه على حسب ما تقتضيه الحكمة من تدبير. هذا؛ وقد ذكر الله في سورة (صٓ) قوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ وفي سورة (سبأ) قوله: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ رقم [١٢] انظر شرحها، ففيها كبير فائدة.

قال وهب بن منبه: كان سليمان عليه السلام إذا خرج إلى مجلسه؛ حلقت عليه الطير، وقام له الإنس، والجن؛ حتى يجلس على سريره، وكان امرأً غَزَّاء، قلما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو أمر بخشب فمدت، ورفع عليها الناس والدواب، وآلة الحرب، فإذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح، فدخلت تحت الخشب، فاحتملته؛ حتى إذا استقلت به؛ أمر الرخاء، فمرت به شهراً في روحته، وشهراً في غدوته إلى حيث أراد. قال وهب: ذكر لي: أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه، كتبه بعض صحابة سليمان عليه السلام، إما من الإنس، أو من الجن: نحن نزلناه، وما بنيناه، ومبنياً وجدناه، غدونا من إصطخر، فقلناه، ونحن رائحون منه إن شاء الله فنازلون بالشام. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٧] من سورة (النمل) ففيها فضل زيادة.

وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً، فرسخاً في فرسخ، ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط، فيقعد عليه، وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، تقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظلله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح. انتهى. خازن.

هذا؛ والريح: جسم متحرك لطيف، ممتنع بلطفه من القبض عليه، يظهر للمس بحركته، ويخفى عن البصر بلطفه، وانظر الآية رقم [٦٩] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾: الواو: حرف عطف. (لسليمان) متعلقان بفعل محذوف، أو بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف. انظر تقديرهما في الشرح، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، وزيادة الألف والنون. ﴿ٱلرِّيحَ﴾: مفعول به، أو هو مبتدأ مؤخر، انظر الشرح. ﴿عَاصِفَةً﴾: حال من الريح. ﴿تَجْرِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الريح) والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية من (الريح) أو هي بدل من (عاصفة) أو حال من الضمير المستتر فيها، فتكون حالاً متداخلة. ﴿بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول لا محل لها. (كنا): ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه، ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَٰلِمِينَ﴾، و(كل) مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَٰلِمِينَ﴾: خبر كان منصوب... إلخ، وجملة ﴿وَكُنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾

الشرح: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي: وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون تحت الماء، فيخرجون له من قعر البحر الجواهر، وغيرها من الأحجار الكريمة، والأشياء الثمينة. ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾: أعمالاً أخر، كبناء المدن، والقصور، واختراع الصنائع الغريبة، واتخاذ النورة، والقوارير، بالإضافة إلى صنع المحاريب، والتماثيل، والجفان. ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾: أن يخرجوا عن طاعته، أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم؛ التي جبلوا عليها.

قال عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ : فهذا كله دل على أن الله سخر لسليمان ـ عليه السلام ـ الجن تطيعه، وينفذ أمره فيهم، ويعملون له ما يشاء من ضخم المباني، والعمائر، ثم ذكر العمائر والمباني التي بنيت له، ومن جملتها مدينة تدمر في سورية، كل ذلك عدا المخازن، ومدن المركبات، ومدن الفرسان، وما بناه في لبنان وغيرها من سائر مملكته، وسخر في ذلك بقايا الشعوب الذين كانوا في فلسطين، ولم يكن من الشعب الإسرائيلي مسخر، وكان رؤساء المسخرين خمسمئة وخمسين رئيساً.

ومن نظر إلى هذه الأعمال، وفخامتها، وضخامة أحجارها لم يستبعد أن يكون للجن عمل عظيم في ذلك، وخاصة مدينة تدمر، وبعض آثارها الضخمة مائل إلى اليوم، هذا؛ ولا تنس قلعة بعلبك في لبنان، وقد ذكر النابغة الذبياني تسخير الجن لسليمان في شعره الذي يعتذر فيه إلى النعمان بن المنذر؛ إذ يقول: [البسيط]

ولَا أَرى فَاعلاً في النَّاسِ يُشْبِهُهُ ... ولَا أُحَاشِي مِنَ الأقْوامِ مِنْ أَحَدِ

إلَّا سُلَيمَانَ إذْ قالَ المليكُ لَهُ ... قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدْهَا عَن الفَنَدِ

وخَيِّسِ الجِنَّ إني قَدْ أذنْتُ لهمْ ... يَبْنُونَ تدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعُمُدِ

خاتمة: ذكرت لك فيما سبق: أن جميع من ملكوا الدنيا أربعة: مؤمنان، وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وإسكندر ذو القرنين. والكافران هما: نمرود الذي ادعى الألوهية على عهد إبراهيم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وبختنصر الذي خرب بيت المقدس، ونهبه، وأهلك بني إسرائيل بعد سليمان، عليه السلام، كما رأيت في الآية رقم [٥] من سورة (الإسراء)، وأضيف هنا: أن ملك سليمان كان أوسع، وأشمل، وأعظم، حيث ذلل الله له الطيور، وسخر له الجن، والشياطين، وسخر له الريح تجري بأمره حيث أصاب، فهذا لم ينله أحد قبله، ولا بعده، وهو فحوى طلبه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ

أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ ومع هذا كله فقد أعفاه الله من مسؤولية ما أعطاه، فقال له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الإعراب: ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف عطف. (من الشياطين): متعلقان بفعل محذوف، التقدير: وسخرنا من الشياطين، أو هما متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به على التقدير الأول، أو في محل رفع مبتدأ مؤخر على التقدير الثاني، وقد روعي معناها بإرجاع الضمير عليها جمعاً، وجملة: ﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ صلة ﴿مَن﴾ أو صفة له، والعائد، أو الرابط: واو الجماعة، وجملة ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا﴾ معطوفة عليها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿دُونَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة ﴿عَمَلًا﴾، و﴿دُونَ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والكلام: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ...﴾ إلخ معطوف على ما قبله، وإعراب ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ مثل إعراب: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ...﴾ إلخ إفراداً وجملاً.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: اذكر أيوب النبي الصابر على البلاء وقت نادى ربه. ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: أصابني البلاء، فـ (الضَّرُّ) بفتح الضاد شائع في كل ضرر، ومصيبة، وبضم الضاد خاص بما في النفس كمرض، وهزال، وقد نظم بعضهم الفرق بينهما، كما أورد معاني أخر لهما، فقال: [الرجز]

وضِدُّ نفعٍ قيل فيه ضَرُّ وجودُ ضَرَّةٍ لعرسٍ ضِرُّ

وسوءُ حالِ المرءِ ذَاكَ ضُرُّ كذا هزالُ مرضٍ أوْ كِبَرُ

وانظر ما ذكرته في سورة (الحج) رقم [١٣] نقلاً من القاموس المحيط.

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها، واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لفظاً في السؤال.

وأيوب ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ كان رومياً من ولد عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، وزوجته اسمها: رحمة بنت إفراثيم بن يوسف الصديق بن يعقوب.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سمي أيوب؛ لأنه آب إلى الله في كلِّ حال، هذا؛ وروي: أنه كان ذا مال عظيم، وكان تقياً برّاً رحيماً بالمساكين، يكفل الأيتام، والأرامل، ويكرم

الضيف، ويبلغ ابن السبيل، شاكراً؛ لأنعم الله عليه، وأنه دخل مع قومه على جبار عظيم، فخاطبوه في أمر، وجعل أيوب يلين له في القول، من أجل زرع كان له، فامتحنه الله بذهاب ماله، وأهله، وبالضر في جسمه؛ حتى تآكل، وتناثر لحمه، فابتعد عنه الناس، وهجره الأصحاب، والأقرباء، وكانت امرأته تخدمه. قال الحسن: مكث بذلك تسع سنين، وستة أشهر، فلما أراد الله أن يفرج عنه، قال الله تعالى له: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ فيه شفاؤك، وقد وهب لك أهلك، ومالك، وولدك، ومثلهم معهم، انتهى. قرطبي. هذا؛ وذكر أيضاً: أنه اختلف في تفسير ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ على ستة عشر قولاً، وكلها لا حاجة إليها، بعد أن عرفنا: أن الضر هو ما أصيب به من فقد الولد، والمال، ومرض الجسم.

قال المرحوم عبد الوهاب النجار: إن الناس يروون في بلاء أيوب أقوالاً، يوردونها، تدل على أنه مرض مرضاً مشوهاً، ومنفراً للناس من قربانه، والدنو منه، وهذا يتنافى مع منصب النبوة، وقد قرر علماء التوحيد أن الأنبياء منزهون عن الأمراض المنفرة، فكيف يتفق ذلك مع منصب النبوة؟! والجواب على ذلك من وجهين:

الأول: أن الابتلاء على الوجه الأول الذي يقولون كان قبل النبوة، وأن منحة النبوة إنما كانت لما بدا منه من الصبر، والرضا بما أصابه من مكروه، وملازمته جانب الرضا عن الله تعالى.

الثاني: أن المبالغين في ضر أيوب إنما اعتمدوا فيما يقولون على ما جاء عند أهل الكتاب في السِّفر المسمى سفر أيوب، وإذا ثبت: أن هذا السفر حقيقي، فعبارته مؤولة؛ أي: مؤولة على المبالغة في ذلك على نحو ما جاء في الشعر العربي، وأورد أبياتاً شعرية كثيرة شواهد لذلك.

أقول: أما قوله: إن الابتلاء كان قبل النبوة، وأن منحة النبوة... إلخ يبطله أن ابتلاءه بما ذكر كان بعد أن بلغ من العمر ثمانين سنة، والمعروف أن الرسالة والنبوة إنما كانت تمنح للرسول على رأس الأربعين سنة على أكثر تقدير، فلم يبق إلا المبالغة في ذلك؛ حتى خرجت عن حد المعقول الذي يحط من مقام النبوة، وأقبح من ذلك ما ذكره الخازن نقلاً عن الثعلبي: أن الله سلط إبليس على ماله، وولده، وجسمه، فهو الذي فعل كل ما أصاب أيوب من بلاء.

الإعراب: ﴿وَأَيُّوبَ﴾: الواو: حرف عطف. (أيوب): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر أيوب، أو التقدير: اذكر خبر أيوب: ﴿إِذۡ﴾: ظرف مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل المحذوف، أو هو بدل من (أيوب)، أو من خبر (أيوب) المقدر. ﴿نَادَىٰ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى أيوب، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿رَبَّهُۥٓ﴾: مفعول به. والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَنِّي﴾: حرف

مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿مَسَّنِيَ﴾: ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿ٱلضُّرُّ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأني... إلخ. هذا؛ ويقرأ بكسر الهمزة على تقدير: قال: إني... إلخ، أي: فهي في محل نصب مقول القول لهذا المقدر، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿ٱلضُّرُّ﴾ أو من ياء المتكلم، والرابط: الواو فقط على الاعتبارين. وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب. تأمل، وتدبر.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: دعاءه، وانظر الآية [٨٨]، قال الثعلبي: سمعت أستاذنا أبا القاسم بن حبيب يقول: حضرت مجلساً غاصاً بالفقهاء، والأدباء في دار السلطان، فسئلت عن هذه الآية، أي السابقة. بعد إجماعهم على أن قول أيوب شكاية، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ فقلت: ليس هذا شكاية، وإنما كان دعاء. بيانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ والاستجابة تتعقب الدعاء؛ لا الاشتكاء، فاستحسنوه، وارتضوه. وسئل الجنيد عن هذه الآية، فقال: عرَّفه فاقة السؤال؛ ليمنَّ عليه بكرم النوال. انتهى. قرطبي.

هذا؛ ومدة البلاء كانت ثماني عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة سنة، فقد روي: أن امرأته قالت له يوماً: لو دعوت الله! فقال لها: كم سنة كانت مدة الرخاء، والنعمة؟ فقالت: كانت ثمانين سنة، فقال: أستحيي من الله أن أدعوه، وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي.

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ﴾: بالشفاء من مرضه. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: قال ابن عباس، وابن مسعود، وأكثر المفسرين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: رد الله إليه أهله بأعيناهم، أحياهم الله، وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن. قال القرطبي: لأنهم ماتوا ابتلاء قبل انقضاء آجالهم، حسب ما تقدم بيانه في سورة (البقرة) في قصة ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية رقم [٢٤٣] وفي قصة السبعين الذين أخذتهم الصعقة، فماتوا، ثم أحيوا الآية رقم [١٥٥] من سورة (الأعراف). وعن ابن عباس في رواية أخرى: أن الله ردَّ إلى المرأة شبابها، فولدت له ستة وعشرين ذكراً. وقيل: كان له سبع بنين، وسبع بنات، فأحياهم الله له، وولدت زوجته مثلهم.

وفي الخبر: أن الله بعث إليه جبريل عليه السلام، فقال له: اركض برجلك، فركض برجله فنبعت عين ماء حار، فأمره أن يغتسل منها، ففعل، فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين

خطوة، فأمره أن يضرب الأرض برجله مرة أخرى، ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يشرب منها، فشرب، فذهب كل داء بباطنه، فصار كأصحِّ ما كان.

هذا؛ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بيْنَمَا أيوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، خَرَّ عليهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فجعلَ أَيُّوبُ يَحثي في ثَوْبِهِ، فناداه رَبُّهُ: يَا أيوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أغنيتك عَمَّا تَرَى؟! قالَ: بلى يا رَبِّ! ولكنِّي لَا غِنَى لي عَنْ بَرَكتِكَ**». أخرجه البخاري. وعن أنس رضي الله عنه يرفعه: أنه كان لأيوب عليه السلام أَنْدَرانِ: أندرُ للْقَمْحِ، وأَنْدرُ للشَّعيرِ، فبعَثَ سَحَابتيْنِ، فأفرَغَتْ إحداهما عَلَى أندرِ القَمْحِ الذهبَ، وأفرَغَتِ الأخرى على أندرِ الشعيرِ الوَرِقَ؛ حَتَّى فَاضَا، فقال له جبريلُ: أشَبعتَ؟ فَقَالَ: ومنْ يَشْبعُ مِنْ فضلِ الله؟ فأوحَى الله إليهِ: قدْ أثنيتُ عليكَ بالصَّبرِ قبْلَ وقوعِكَ في البلاءِ وبعْدَهُ، ولولَا أنّي وَضعْتُ تَحْتَ كُلِّ شعْرةٍ منْكَ صبراً ما صَبرْتَ. انتهى. خازن، وقرطبي بتصرف.

﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ أي: كان البلاء لأيوب، والصبر عليه نعمة سابغة، ورحمة عظيمة من العلي القدير؛ الذي تولاه بعنايته، وحفظه من التضجر، وعدم الصبر برعايته. ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ أي: عبرة، وتذكرة للعابدين إلى يوم القيامة؛ لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب، وصبره عليه، ومحنته له، وهو أفضل أهل زمانه؛ وطَّنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا على مثال ما فعل أيوب، وصبروا كما صبر، وأثيبوا كما أثيب.

وأخيراً أذكر لك: أن الله تعالى ذكر أيوب باسمه فقط في الآية رقم [١٦٣] من سورة (النساء)، والآية رقم [٨٤] من سورة (الأنعام)، وذكر في هذه السورة بذكر بلائه ونعمة الله عليه كما ذكر في الآية رقم [٤١] وما بعدها من سورة (صٓ) بأكثر مما ذكر في هذه السورة، كما ستقف عليه بعون الله تعالى، وتوفيقه.

الإعراب: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (كشفنا): فعل، وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿مِن ضُرّٖ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَا﴾، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيها، وجملة: ﴿فَكَشَفۡنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وأيضاً جملة: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾: معطوفة عليها. ﴿وَمِثۡلَهُم﴾: معطوفة على أهله، والهاء فيهما في محل جر بالإضافة. ﴿مَّعَهُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، أو من (مثلهم). ﴿رَحۡمَةٗ﴾: مفعول لأجله، أو مفعول مطلق بفعل محذوف، التقدير: رحمناه رحمة. ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾: متعلقان بـ: ﴿رَحۡمَةٗ﴾، أو بمحذوف صفة لها. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾: معطوف على ﴿رَحۡمَةٗ﴾ منصوب مثله... إلخ. ﴿لِلۡعَٰبِدِينَ﴾: متعلقان بذكرى، أو بمحذوف صفة لها.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: (إسماعيل): هو ابن إبراهيم الخليل، على نبينا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام، وقد ذكره الله في الآيتين [٥٤ و٥٥] من سورة (مريم) عليها السلام، وتكرر ذكره في القرآن كثيراً، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٧] وما بعدها من سورة (إبراهيم) بشأنه، وشأن أمه. (إدريس): انظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٦] من سورة (مريم) عليها السلام، ولم يذكر في غير سورة (مريم) وهذه السورة. أما (ذو الكفل) فذكر باسمه فقط في هذه الآية، وفي الآية رقم [٤٨] من سورة (صَ)، أما المفسرون فقد اختلفوا فيه، فقال الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي: هو إلياس. وقيل: زكريا، وقيل: يوشع بن نون، وكأنه سُمِّيَ بذلك؛ لأنه ذو الحظ من الله، والمجدود على الحقيقة. وقيل: كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه، وضعف ثوابهم. وكيف يقبل هذا؛ وزكريا ـ عليه السلام ـ يذكر بعد آيتين تبينان فضل الله عليه. هذا؛ وأما الخازن فقد ذكر قصة منقولة عن الثعلبي ملخصها: أن نبياً من بني إسرائيل وكان ملكاً شرط على من يكون خليفة من بعده أن يتحلى بثلاثة أمور: بقيام الليل، وصيام النهار، وعدم الغضب، فتكفل بها ذو الكفل، ووفى بها، وقد حاول إبليس أن يغضبه، فلم يفلح.

هذا؛ وقال القرطبي: وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول وغيره من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، عن النبي ﷺ، قال: «**كانَ في بنِي إسرائيلَ رَجُلٌ، يُقالُ لهُ: ذو الكفْلِ، لا يتورَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عملَهُ، فأتتْهُ امْرأةٌ، فأعطاهَا ستِّينَ ديناراً علَى أَنْ يطأَهَا، فلمَّا قَعَدَ منْهَا مقْعَدَ الرجُلِ مِنِ امرأتِهِ؛ ارتعَدَتْ، وبكَتَ، فقالَ: ما يبْكيكِ؟ أأكْرَهْتُكِ؟ قالَتْ: لَا، ولكنَّهُ عَمَلٌ ما عملتهُ قطُّ، وَمَا حَمَلني علَيْهِ إلَّا الحاجةُ، فقال: تفعَلينَ أنْتِ هَذَا، ومَا فعَلْتُهُ، اذْهبي، فهِيَ لكِ، وقالَ: واللهِ، لا أعْصي الله بعدَهَا أبداً، فماتَ مِنْ ليْلتِهِ، فأصْبَحَ مَكْتوباً عَلَى بَابِه: إنَّ الله قد غَفَرَ لذي الكفلِ**». قال: حديث حسن. انتهى. وهذا الحديث مذكور في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري رحمه الله تعالى.

وقال أبو موسى عن النبي ﷺ: «**إنَّ ذَا الكِفْلِ لمْ يكُنْ نبياً، ولكنَّهُ كان عَبداً صالحاً، فتكفَّلَ بعمل رجلٍ صَالحٍ عندَ مَوتهِ، وكانَ يصَلِّي للهِ كلَّ يوم مئةَ صلَاةٍ، فأحسنَ الله الثناءَ عليهِ**». وقيل: غير ذلك فيه. هذا؛ وقول النبي ﷺ: «**لم يكنْ نَبيًّا**» صريح بأنه كان عبداً صالحاً، وليس بنبي. وقال القرطبي: الجمهور على أنه ليس بنبي انتهى. وأما علماء التوحيد؛ فإنهم يعدونه نبياً مرسلاً، ويعدُّونه من جملة المرسلين الخمسة والعشرين المذكورين بأسمائهم في القرآن الكريم. انظر الآية رقم [٨٦] من سورة (الأنعام) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، ولعلهم اعتمدوا في ذلك على ذكره في

جملة المرسلين المذكورين في هذه الآية، وعلى الأخص جمعه مع إسماعيل، وإدريس في آية واحدة. وكذلك ذكره في سورة (صۤ)، وجمعه مع إسماعيل، واليسع في آية واحدة. هذا؛ وذكر الجمل: أن اسمه العلمي: بشر، ولقب بذي الكفل لما رأيت من الروايات، وانظر الآية التالية.

وصفوة القول: إنه مختلف في نبوته، كما هو مختلف في نبوة لقمان، وإسكندر ذي القرنين، والخضر صاحب موسى، على نبينا، وحبيبنا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ وانظر شرح: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ...﴾ إلخ في الآية رقم [٧٥].

هذا، وأما «الصابرون» فهو جمع: صابر، والصبر: حبس النفس عن الجزع عند المصيبة، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، وهو مر المذاق يكاد لا يطاق؛ إلا أنه حلو العواقب، يفوز صاحبه بأسنى المطالب، كما قال القائل: [البسيط]

الصَّبرُ، مثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذاقتهُ لَكنْ عَوَاقبُهُ أحلَى منَ العسَلِ

وبالجملة: فنفع الصبر مشهور، والحض عليه في الكتاب والسنة، مقرر مسطور، وهو على ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء، ولا تنس: أن من أسماء الله تعالى الصبور، وفسر بالذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. هذا؛ وقد قال الله تعالى في غير ما آية: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلباً لمرضاته، وهذا هو الصبر المحمود، وهو أن يكون الإنسان صابراً لوجه الله تعالى، راضياً بما نزل به من الله، طالباً في ذلك الصبر ثواب الله تعالى، محتسباً أجره على الله؛ فهذا هو الصبر الذي يدخل صاحبه رضوان الله، وأما إذا صبر الإنسان؛ ليقال: ما أكمل صبره! وما أشد قوته على تحمل النوائب! أو يصبر لئلا يعاب على الجزع، أو يصبر لئلا تشمت به الأعداء، فهذا كله مذموم، ولا ينيل صاحبه الدرجات العلى، والمقام الرفيع عند الله. وقد يعرضه لشديد غضب الله ونقمته.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ وقال: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ وقال: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ قالوا: الصبر الجميل هو الذي لا شكاية معه، والصفح الجميل: هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل: هو الذي لا أذية معه، ثم اعلم: أن الصبر ذكر في القرآن الكريم في خمسة وتسعين موضعاً، ومن أجمعها آية البقرة، ومن آنقها قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ قرن هاء الصبر بنون العظمة، ومن أبهجها قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.

الإعراب: (إسماعيل): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر. ﴿وَإِدْرِيسَ﴾: معطوف عليه. ﴿وَذَا﴾: معطوف على ما قبله، منصوب مثله، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذا) مضاف ﴿الْكِفْلِ﴾ مضاف إليه. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، سوغ الابتداء به، وهو نكرة، إضافته لمقدر محذوف، التقدير: كل هؤلاء. ﴿مِّنَ الصَّٰبِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف

خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي تعليل للأمر المقدر، لا محل لها على الاعتبارين، وانظر إعراب مثل: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ...﴾ إلخ في الآية رقم [٧٥].

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾: هو يونس النبي، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. انظر نسبه وقصته مع قومه في الآية رقم [٩٨] من السورة المسماة باسمه، وإني أبين هنا سبب الغضب والمغاضبة، فقال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ في كشافه: بَرِم بقومه لطول ما ذَكَّرهم، فلم يذَّكَّروا، وأقاموا على كفرهم، وظن: أن ذلك يسوغ؛ حيث لم يفعله إلا غضباً لله، وأنفةً لدينه، وبغضاً للكفر وأهله، وكان عليه أن ينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم، فابتلي ببطن الحوت. انتهى. فيكون المعنى: غضب على قومه من أجل كفرهم بربه، فخرج عنهم، وتركهم من غير إذن من الله، وخروجه بدون إذن من الله كان ذنباً منه.

وقالت فرقة منهم الأخفش: إنما خرج مغاضباً للملك الذي كان على قومه، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أراد شعياً النبي، والملك الذي كان في وقته اسمه: حزقيا أن يبعثوا يونس إلى ملك نينوى، وكان غزا بني إسرائيل، وسبى الكثير منهم؛ ليكلمه؛ حتى يرسل معه بني إسرائيل، وكان الأنبياء في ذلك الزمان يوحى إليهم، والأمر والسياسة إلى ملك قد اختاروه، فيعمل على وحي ذلك النبي، وكان الله قد أوحى لشَعْيا أن قل لحزقيا الملك أن يختار نبياً قوياً أميناً من بني إسرائيل فيبعثه إلى أهل نينوى، فيأمرهم بالتخلية عن بني إسرائيل، فإني ملق في قلوب ملوكهم وجبابرتهم التخلية عنهم، فقال له الملك: من ترى؟ وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، قال: يونس، إنه قوي أمين، فدعا الملك يونس، وأمره أن يخرج، فقال يونس: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سماني الله لك؟ قال: لا، قال: فهاهنا غيري أنبياء أقوياء، فألحوا عليه، فخرج مغاضباً لشعيا النبي، وللملك، وقومه، فأتى بحر الروم، وكان من قصته ما كان، فابتلي ببطن الحوت لتركه أمر النبي شعياً، والملك حزقيا. هذا؛ ولا تنس: أن (النون) يطلق على كل حوت في أعماق البحر، ويجمع على أنوان، ونينان. هذا؛ والنون: اسم لدواة الحبر، ومنه قول الشاعر: [الوافر]

إذَا مَا الشَّوقُ بَرَّحَ بي إليهمْ سَقَيْتُ النُّونَ بالدَّمعِ السِّجَامِ

وقيل: ذهب عن قومه مغاضباً لربه لما كشف عنهم العذاب، بعدما أوعدهم، وكره أن يكون بين أظهر قوم جربوا عليه خلف وعده، وأنه يسمى كذاباً، لا كراهية لحكم الله تعالى. وهذا

القول، وسابقه فيه ركاكة، ولا يلتئم مع نص القرآن، والمعتمد ما ذكرته عن الزمخشري، وانظر تفصيله تفصيلاً كافياً في الآية رقم [٩٨] من سورة (يونس) فإنك تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، ويقر عينك.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: لن نضيق عليه على حد قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ وقوله تعالى شأنه: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ وقيل: هو من القدر الذي هو القضاء، والحكم، أي: فظن: أن لن نقضي عليه بالعقوبة، قال قتادة، ومجاهد، والفراء: مأخوذ من القدر، وهو الحكم، دون القدرة، والاستطاعة. وقال ابن هشام: أي: فظن أن لن نؤاخذه. فعبر عن المؤاخذة بشرطها وهو القدرة عليها، وهو جيد جداً. هذا؛ ويقرأ الفعل ﴿نَّقْدِرَ﴾ بالنون مثقلاً، ومخففاً، والياء مثقلاً، ومخففاً أيضاً، كما يقرأ بالبناء للمجهول مثقلاً، ومخففاً قراءات كثيرة.

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: المراد: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وقيل غير ذلك، والمعتمد هذا، روي: أن الله تعالى أوحى إلى الحوت: «لا تؤذ منه شعرةً، فإني جعلْتُ بطنَكَ سجنهُ، ولم أجعلهُ طعامكَ». ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: يريد فيما خالف فيه من ترك المداومة على دعوة قومه، والصبر عليهم، وقيل: في الخروج من غير أن يؤذن له، ولم يكن ما حصل له عقوبة من الله تعالى؛ لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا، وإنما كان ذلك تمحيصاً، وقد يؤدب من لا يستحق العقاب كالصبيان.

روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**دُعَاءُ ذي النونِ في بطْنِ الحُوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لَمْ يدْعُ بِهِ رجُلٌ مُسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلّا استجيبَ لَه**». وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم، ورواه سعد أيضاً عن النبي ﷺ. والمعروف: أنه دعاء الكرب.

فائدة: خمسة من الأنبياء سموا باسمين: يعقوب، وهو إسرائيل، وعيسى، وهو المسيح، وذو النون، وهو يونس، وذو الكفل، واسمه بِشْر كما رأيت، ومحمد، وهو أحمد، بل ذكر للرسول ﷺ أكثر من مئة اسم ﷺ وعليهم أجمعين.

فائدة: قال أبو المعالي في قوله ﷺ: «**لا تُفضِّلوني عَلَى يونُسَ بْنِ متَّى**». المعنى: فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه؛ وهو في قعر البحر في بطن الحوت، وهذا يدل على أن الباري سبحانه وتعالى ليس في جهة. وأخيراً انظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٩] من سورة (طه) بشأن حبس الهواء ومنعه عن موسى حين وضع في التابوت مع بقائه حيًّا، ومثلته بوجود يونس في بطن الحوت، وبقائه حياً، إن في ذلك لعظة لقوم يتعظون.

الإعراب: ﴿وَذَا﴾: معطوف على (إسماعيل) منصوب مثله، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذا) مضاف، و﴿ٱلنُّونِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِذ﴾: بدل من

(ذا النون) فهو مبني على السكون في محل نصب، أو هو ظرف لما مضى من الزمان متعلق بالفعل المقدر. ﴿ذَّهَبَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى «ذي النون». ﴿مُغَٰضِبًا﴾: حال من الفاعل المستتر. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذ﴾ إليها. (ظن): ماض، وفاعله مستتر أيضاً. ﴿أَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف. التقدير: أنه. ﴿لَّن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿نَّقْدِرَ﴾: منصوب بـ: ﴿لَّن﴾ على جميع أوجه القراءات، وفاعله مستتر تقديره: «نحن»، أو «هو» على قراءته بالياء. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ في محل رفع خبر ﴿أَن﴾، و﴿أَن﴾ واسمها المحذوف وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (ظنَّ)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل جر مثلها.

(نادى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. والفاعل مستتر تقديره: «هو». ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ﴿أَن﴾: حرف تفسير، أو هي مخففة من الثقيلة، والجملة الاسمية: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ مفسرة لـ: (نادى)، وعلى اعتبار (أنْ) مخففة من الثقيلة؛ فاسمها ضمير الشأن، والجملة الاسمية في محل رفع خبرها، وهي، واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأنه لا إله. . . إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (نادى)، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها فهي في محل جر مثلها، وانظر إعراب: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ في الآية رقم [٢٥].

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف فيها معنى التوكيد للجملة الاسمية قبلها؛ إذ معنى الجملتين تنزيه الله عما لا يليق به. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿كُنتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كُنتُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنِّى﴾، والجملة الاسمية هذه تعليل لتنزيه الله تعالى، لا محل لها.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: دعاءه، فالسين، والتاء زائدتان؛ لأن «استجاب» بمعنى «أجاب»، قال كعب بن سعد الغنوي في رثاء أخيه: [الطويل]

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

أي: فلم يجبه، وعند التأمل تجد الفعل في الآية تعدى بواسطة حرف الجر، وفي البيت تعدى بنفسه، والفرق بين الآية والبيت: أن هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه، وإلى الداعي باللام،

ويحذف الدعاء إذا عُدّي إلى الداعي في الغالب، فيقال: استجاب الله دعاءه، أو استجاب له، ولا يكاد يقال: استجاب له دعاءه، وأما البيت؛ فمعناه: لم يستجب دعاءه على حذف المضاف.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ أي: من غم الالتقام في بطن الحوت، أو من غم الخطيئة التي ارتكبها كما رأيت في الآية السابقة. ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: نخلصهم من همومهم، ومتاعب حياتهم بما سبق من عملهم الصالح، وقد بين الله ذلك في سورة (الصافات): ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وهذا حفظ من الله عز وجل لعبده يونس رعى له حق تعبده، وحفظ زمام ما سلف له من الطاعة. وقال الأستاذ أبو إسحاق: صحب ذو النون الحوت أياماً قلائل، فإلى يوم القيامة، يقال له: ذو النون، فما ظنك بعبد عبده سبعين سنة يبطل هذا عنده؟ لا يظن به ذلك انتهى. هذا؛ ومدة مكثه في بطن الحوت أربعون يوماً، أو سبعة أيام، أو ثلاثة أيام.

هذا؛ ويقرأ الفعل ﴿نُنْجِي﴾ بالنون، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن عامر: (نُجِّي) بنون واحدة وجيم مشددة، وتسكين الياء على الفعل الماضي، وإضمار المصدر. أي: وكذلك نُجِّي النَّجَاءُ المُؤْمنين، كما تقول: ضُربَ زيداً، بمعنى ضُربَ الضربُ زيداً، قال جرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق: [الوافر]

وَلَــوْ وَلَــدَتْ قُــفَــيْــرةُ جِــرْوَ كَــلْــبٍ لَــسُــبَّ بِــذلِــكَ الــجِــرْوِ الــكِــلَابَــا

أراد لسُبَّ السَّبُّ بذلك الجرو، وسكنت ياؤه على لغة من يقول: بقي، ورضي، فلا يحرك الياء، وقرأ الحسن قوله تعالى: (ذروا ما بَقيْ مِن الرِّبا) رقم [٢٧٧] من سورة (البقرة)، استثقالاً لتحريك ياء قبلها كسرة، قال الشاعر: [الخفيف]

خَــمَّــرَ الــشَــيْــبُ لِــمَّــتــي تــخْــمــيــرَا وَحَــدا بــي إلــى الــقــبــور الــبَــعــيــرا

لَــيْــتَ شِــعْــري إذَا الــقــيــامــةُ قَــامــتْ ودُعِــي بــالــحــســابِ أيْــنَ الــمــصــيــرَا؟

سكن الياء في «دُعِيْ» استثقالاً لتحريكها، وقبلها كسرة، وفاعل «حدا» المشيبُ؛ أي: وحدا المشيب البعير، ليت شعري المصير أين هو؟ هذا تأويل الفراء، وأبي عبيد وثعلب في تصويب هذه القراءة، وخطأها أبو حاتم، والزجاج، وقالوا: هو لحن؛ لأنه نصب اسم ما لم يسم فاعله، وإنما يقال: نُجِّي المؤمنونَ، كما يقال: كرِّمَ الصَّالحون، ولا يجوز أن يحتج بمثل ذلك البيت على كتاب الله تعالى. قال ابن هشام في المغني: وفي هذه القراءة ضعف من جهات: إسكان آخر الماضي، وإنابة ضمير المصدر مع أنه مفهوم من الفعل، وإنابة غير المفعول به مع وجوده. انتهى. قال النحاس: ولم أسمع في هذا أحسن من شيء سمعته من علي بن سليمان، قال: الأصل نُنْجي، فحذف إحدى النونين لاجتماعهما، كما تحذف إحدى التاءين لاجتماعهما،

نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ الأصل: ولا تتفرقوا. وقرأ محمد بن السميقع، وأبو العالية: (وكذلك نَجَّى المؤمنين) أي: نجى الله المؤمنين، وهي حسنة. انتهى. قرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (استجبنا): فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (نجيناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، اللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: ننجي المؤمنين إنجاءً كائناً مثل إنجاء يونس من كربه. ﴿نُـۨجِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾

الشرح: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾: دعا ربه، وسأله من فضله أن يهبه ذرية صالحة. ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي: وحيداً بلا ولد يساعدني في أموري، ويرثني من بعدي. ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ أي: خير من يبقى بعد كل من يموت، فهو ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق، وأنه الوارث لهم، وهذا على سبيل التمثيل، والمجاز. هذا؛ وإن أردت أن تعرف قصته، وما الذي قوّى أمله في طلب الولد بعد أن بلغ من العمر عتياً؛ فانظر صدر سورة (مريم) عليها السلام، والآية رقم [٣٧ و٣٨] من سورة (آل عمران) وما بعدها.

الإعراب: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ﴾: انظر الآية [٨٧] فإعرابهما واحد. ﴿رَبَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وياء المتكلم المحذوفة في محل جر بالإضافة، وانظر الآية رقم [٣] من سورة (مريم) عليها السلام، ورقم [٣٥] من سورة (طه). ﴿لَا﴾: دعائية. ﴿تَذَرۡنِي﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿فَرۡدٗا﴾: حال من ياء المتكلم، وهو بمعنى منفرداً، والجملة الندائية، والفعلية كلتاها تفسير لـ: ﴿نَادَىٰ﴾، أو هما في محل نصب مقول القول لقولٍ محذوف، التقدير: قال: رب... إلخ، وتكون هذه الجملة هي المفسرة. ﴿وَأَنتَ﴾: الواو: واو الحال. (أنت): ضمير منفصل مبني على

الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، و﴿خَيْرُ﴾: مضاف، و﴿الْوَارِثِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، وفاعله مستتر فيه، ومفعوله محذوف للتعميم، والجملة الاسمية ﴿وَأَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أي: دعاءه، وانظر الآية رقم [٨٨]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾ أي: ولداً، وانظر شرح ﴿وَهَبْنَا﴾ في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم) عليها السلام، وشرح (نا) في الآية [٥٠] منها. ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾: قال قتادة، وسعيد بن جبير، وأكثر المفسرين: إنها كانت عاقراً، فجعلت ولوداً. وقال ابن عباس، وعطاء ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: كانت سيئة الخلق، طويلة اللسان، فأصلحها الله، فجعلها حسنة الخلق. قال القرطبي: ويحتمل أن تكون جمعت المعنيين، فجعلت حسنة الخلق ولوداً.

أقول: والتصريح بقوله: ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ في (آل عمران)، وقوله: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ في سورة (مريم) لا يحتمل غير العقر. هذا؛ و«الزوج» يطلق على الذكر، والأنثى، والقرينة توضح ذلك، وتبين الذكر، والأنثى، ويقال للأنثى: زوجة أيضاً، وحذف التاء منها أفصح إلا في الفرائض، فإنها بالتاء أفصح؛ لتوضيح الوارث. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾: المراد بهم الأنبياء المذكورون في هذه السورة، وقيل: المراد: زكريا، وأهل بيته، والمسارعة في الخيرات من أعظم ما يمدح به العبد؛ لأنها تدل على حرص عظيم في طاعة الله، عز، وجل.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: يرغبون في طاعتنا، وما ينتج عنها من رضانا، وما يعقبها من دخول الجنة، ويخافون من عقابنا؛ الذي سببه الخروج عن طاعتنا، وما يعقبه من سوء المآل، والمصير. ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾: الخشوع: هو الخوف اللازم للقلب، فيكون الخاشع هو الحذر؛ الذي لا ينبسط في الأمور، خوفاً من الوقوع في الإثم. وفسّر ﴿خَاشِعِينَ﴾ بمتواضعين، خاضعين، وانظر (الخشوع) في الآية رقم [٢] من سورة (المؤمنون). هذا؛ وفي ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قراءات كثيرة، ولم يتغير المعنى ولا الإعراب، وفيهما طباق.

الإعراب: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: انظر الآية رقم [٨٨] لإعراب الجملة ومحلها، والجملتان: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾: معطوفتان عليها، لا محل لهما مثلها. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يُسَارِعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما،

والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل للنعم المذكورة في الجمل قبلها. وقال الجمل: علة لمحذوف؛ أي: نالوا ما نالوا؛ لأنهم كانوا يسارعون... إلخ. ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، و(نا): مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها. ﴿رَغَبًا﴾: مفعول لأجله، أو هو حال بمعنى راغبين، أو هو مفعول مطلق، عامله يدعوننا على المعنى دون اللفظ؛ لأنه نوع منه. ﴿وَرَهَبًا﴾: معطوف على ما قبله، على جميع الاعتبارات فيه، وجملة: ﴿وَكَانُوا لَنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ...﴾ إلخ، فهي في محل رفع مثلها، وإعرابها مثلها، والجار والمجرور: ﴿لَنَا﴾ متعلقان بـ: ﴿خَاشِعِينَ﴾ بعدهما. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: واذكر مريم التي أحصنت فرجها؛ حيث لم يقربها رجل بزواج، أو زنى، وإنما ذكرها، وليست من الأنبياء ليتم ذكر عيسى عليه السلام، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ولم يقل: آيتين؛ لأن معنى الكلام: وجعلنا شأنهما، وأمرهما، وقصتهما آية للعالمين. وقال الزجاج: إن الآية فيهما واحدة؛ لأنها ولدته من غير فحل، وانظر الآية رقم [٥٠] من سورة (المؤمنون) فالكلام فيهما واحد، والمعنى واحد.

هذا؛ وقيل: إن من آياتها: أنها أول امرأة قبلت في النذر في المعبد، ومنها: أن الله عز وجل غذاها برزق من عنده، لم يجره على يد عبد من عبيده. ومعنى: ﴿أَحْصَنَتْ﴾ عفت، وامتنعت من الفاحشة. هذا؛ وقيل: إن المراد بالفرج فرج القميص؛ أي: فتحة الثوب. قال السهيلي: فلا يذهبن وهمك إلى غير هذا، فإنه من لطيف الكناية؛ لأن القرآن أنزه معنى، وأوزن لفظاً، وألطف إشارة، وأحسن عبارة من أن يريد ما يذهب إليه وهم الجاهل، لا سيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس، فأضف القدس إلى القدوس، ونزه المقدسة المطهرة عن الظن الكاذب، والحدس. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: أمرنا جبريل أن ينفخ في فرج ثوبها الأعلى، فأحدثنا من ذلك النفخ المسيح في بطنها، ولا تنس: قوله تعالى في سورة (التحريم): ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ والضمير يعود إلى فرجها بلا ريب، ولا يحتمل ما ذكره السهيلي من التأويل، فقد قال الجلال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها فحملت بعيسى، عليهما السلام. قال الجمل: ومعنى «خلقه»: إيصال أثره، وهو الريح، والهواء الحاصل به إلى فرجها. فمعنى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أوصلنا إليه الريح، والهواء الخارج من نفس جبريل لمَّا نفخ في جيب قميصها. تأمل.

﴿ءَايَةً﴾ أي: علامة، وأعجوبة للخلق، وعلماً لنبوة عيسى عليه السلام، ودلالة على نفوذ قدرتنا فيما نشاء. انتهى. قرطبي بتصرف. وإن أردت تفصيل ما ذكر فما عليك إلا أن تنظر سورة (مريم)، وانظر الآية رقم [٣٥] من سورة (آل عمران) وما بعدها. هذا؛ وانظر شرح (العالمين) في الآية رقم [٧١] وانظر: «جعل، وخلق» في الآية رقم [٣٠].

الإعراب: ﴿وَٱلَّتِيٓ﴾: الواو: حرف عطف. (التي): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لموصوف محذوف واقع مفعولاً به لفعل محذوف، التقدير: واذكر مريم التي. ﴿أَحۡصَنَتۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى (التي) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿فَرۡجَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة المقدرة: «واذكر مريم التي...» إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. (نفخنا): فعل، وفاعل. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن رُّوحِنَا﴾: متعلقان به أيضاً، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَنَفَخۡنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. (جعلناها): فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف. ﴿وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً﴾: مفعولان لفعل محذوف دل عليه ما قبله، التقدير: وجعلناها آية للعالمين، وجعلنا ابنها آية للعالمين، ثم حذف وهذا عند سيبويه، والتقدير عند الفراء: وجعلناها آية للعالمين وابنها، مثل قوله تعالى في سورة (التوبة): ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ الآية [٦٢] ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿ءَايَةً﴾، وجملة: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. هذا؛ وأجيز اعتبار (التي) مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: وفيما يتلى عليكم التي أحصنت، كما أجيز اعتبار جملة: ﴿فَنَفَخۡنَا...﴾ إلخ خبراً، وزيدت الفاء على رأي الأخفش.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ أي: ملتكم، ودينكم. ﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي: ديناً واحداً، وهو الإسلام، فأبطل ما سواه من الأديان. والأمة: الجماعة التي هي على مقصد واحد، وجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد، انظر رقم [٣٤] من سورة (الحج). وقال القرطبي: لما ذكر الأنبياء، قال: هؤلاء كلهم مجتمعون على التوحيد. انتهى. وهو المعنى المراد هنا. هذا؛ وقرئ بنصب (أمّتكم) ورفع (أمةٌ). ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾: إلهكم وحدي، لا إله لكم غيري. ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾: أفردوني بالعبادة، وانظر شرح (العبادة) في الآية رقم [٦٦].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب اسمها، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، وعلى قراءته بالنصب هو بدل من اسم الإشارة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أُمَّةٗ﴾: حال من ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾، والعامل

فيه: اسم الإشارة، وعلى قراءته بالرفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾ أو بدل من ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ أو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي أمة، وعلى نصب (أمتكم) فـ: (أمةٌ) هي خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة (أمة) على نصبه ورفعه، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ مستأنفة لا محل لها، أو هي معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، الأولى بالابتداء، والثانية بالإتباع، واعتبارها حالاً من الكاف لا بأس به أيضاً. ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٢٥] (اعبدون): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: اختلف بنو آدم في الدين، فصاروا فرقاً، وأحزاباً، فمن موحد، ومن يهودي، ومن نصراني، ومن عابد شخص، أو صنم، حتى لعن بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم من بعض. ﴿كُلٌّ﴾ أي: كل هذه الفرق، وهذه الأحزاب. ﴿إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ أي: بالموت، ثم بالبعث، والحشر للحساب، والجزاء، فنجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. هذا؛ وفي الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة، وفي سابقه التفات من الغيبة إلى الخطاب، انظر الآية رقم [٣٤] لشرح الالتفات.

تنبيه: قال الله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ الآية رقم [٥٢/ ٥٣] والفرق بين ما هنا وهناك: أن الخطاب هنا للكفار، فأمرهم بالعبادة التي هي التوحيد، ثم قال: وتقطعوا بالواو؛ لأن التقطع قد كان منهم قبل هذا القول لهم. ومن جعله خطاباً للمؤمنين، فمعناه: دوموا على العبادة، وأما في (المؤمنون) فالخطاب للنبي ﷺ، وللمؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ والأنبياء، والمؤمنون مأمورون بالتقوى، ثم قال: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: ثم ظهر منهم التقطع بعد هذا القول، والمراد: أمتهم. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي. هذا؛ وانظر الآية رقم [٥٣] من سورة (المؤمنون).

الإعراب: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾: الواو: حرف استئناف. (تقطعوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَمْرَهُم﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه منصوب على نزع الخافض، أي: تقطعوا في أمرهم، بمعنى: تفرقوا. الثاني: هو مفعول به على معنى: قطعوا أمرهم، أي: فرقوا أمرهم. الثالث: تمييز محول عن الفاعل، بمعنى: تقطع أمرهم. وهذا ضعيف؛ لأنه معرفة، وهو لا يجوز عند البصريين. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، سوغ الابتداء به الإضافة لمحذوف. ﴿إِلَيْنَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿رَٰجِعُونَ﴾: خبر المبتدأ

مرفوع. . . إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير المقدر مضافاً إليه.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: من الأعمال الصالحات، فـ: ﴿مِنَ﴾ للتبعيض، لا للجنس؛ إذ لا قدرة للمكلف أن يأتي بجميع الطاعات، فالمعنى: من يعمل شيئاً من الطاعات فرضاً، أو نفلاً، وهو موحد مسلم. والإيمان شرط لقبول الأعمال الصالحات، كما قد بينته مراراً، وذكرت: أن ذلك يسمى في علم البديع احتراساً، والعكس صحيح، وهو: أن الإيمان إذا لم يقرن بالعمل الصالح قد لا يجدي، وقد يضعف، ثم يضمحل؛ فالعمل الصالح بمنزلة الماء للشجر يغذيه، ويقويه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٧] من سورة (الكهف).

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي: لا جحود لعمله؛ أي: لا يضيع الله ثواب عمله الصالح. استعير (الكفران) الذي بمعنى الجحود لمنع الثواب كما استعير الشكر لمنحه، وإعطائه، وانظر شرح «الكفر» في الآية رقم [٣٠] ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ أي: لعمله مسجلون، وحافظون له في صحيفته. نظيره قوله تعالى في سورة (آل عمران): ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ وانظر الآية رقم [٩٧] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَعْمَلْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مع المتعلق المحذوف معترضة، أو هي في محل نصب حال من الفاعل المستتر. والرابط: الواو والضمير. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿كُفْرَانَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لِسَعْيِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (لا)، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿فَلَا كُفْرَانَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٢٩] والجملة الاسمية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿كَٰتِبُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع. . . إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ...﴾ إلخ معطوفة على جملة جواب الشرط، أو هي في محل نصب حال من: (سعيه)، أو هي مستأنفة لا محل لها، أوجه ثلاثة تجوز فيها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥﴾

الشرح: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾: فيه تسع قراءات ذكرها القرطبي. ومعنى ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ...﴾ إلخ: وحرام على قريةٍ أهلكناها أن يرجعوا بعد الهلاك. وهذا على اعتبار ﴿لَا﴾ صلة، روي ذلك عن ابن عباس، رضي الله عنهما، واختاره أبو عبيدة. وقيل: ليست بصلة، وإنما هي ثابتة، ويكون الحرام بمعنى الواجب، أي: وجب على قرية، كما قالت الخنساء: [الطويل]

وَإنَّ حَـرامَـاً لا أَرَى الـدَّهْـرَ بـاكِـيـاً عَـلَـى شَـجْـوِهِ إِلَّا بَـكَـيْـتُ عَـلَـى صَـخْـرِ

تريد أخاها. ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ أي: حكمنا بإهلاكها، أو وجدناها هالكة، ﴿أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ أي: إلى الدنيا. هذا؛ وقرئ بكسر همزة، (إنَّهم). وانظر شرح قرية في الآية رقم [٦]. هذا؛ والحرام في الأصل كل ممنوع، قال تعالى: ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾ فالحرمات: كل ممنوع منك، مما بينك وبين غيرك، وقولهم: لفلان بي حرمة، أي: أنا ممتنع من مكروهه، وحرمة الرجل محظورة به عن غيره، وقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ فالمحروم: هو الممنوع من المال، والتلذذ به. والإحرام بالحج، والعمرة هو المنع من أمور معروفة في الفقه الإسلامي، وانظر شرح المسجد الحرام في الآية رقم [٢٥] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾: الواو: حرف استئناف. (حرامٌ): خبر مقدم... إلخ في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، وجوز أبو البقاء اعتبار (حرام) مبتدأ، والمصدر المؤول في محل رفع فاعل بـ: (حرام) سد مسد خبره. ورده ابن هشام في مغنيه؛ لأنه ليس بوصف صريح، ولأنه لم يعتمد على نفي، أو استفهام. ﴿عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾: متعلقان بـ: (حرام)، أو بمحذوف صفة له. ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿قَرۡيَةٍ﴾. ﴿أَنَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَا﴾: صلة. ﴿يَرۡجِعُونَ﴾: مضارع مرفوع...إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر كما رأيت. هذا؛ وقيل: ﴿لَا﴾ نافية، وليست بصلة، والإعراب إما على ما تقدم، والمعنى: ممتنع عليهم عدم رجوعهم إلى الآخرة. وإما على أن (حرام) مبتدأ حذف خبره، أي: حرام...قبول أعمالهم، وابتدئ بالنكرة لتقييدها بالمعمول، وإما على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: والعمل الصالح حرام عليهم. وعلى الوجهين، فالمصدر المؤول في محل جر بحرف جر محذوف، أي: لأنهم...إلخ، ودليل المحذوف ما تقدم في الآية السابقة، ويؤيد هذين الوجهين تمام الكلام قبل مجيء (أنَّ) في قراءة بعضهم بكسر الهمزة؛ وعليه فالجملة الاسمية: ﴿أَنَّهُمۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. انتهى. من المغني بتصرف كبير. تأمل، وتدبر.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ...﴾ إلخ: الكلام على حذف مضاف؛ إذ المراد: سد يأجوج... إلخ و﴿حَتَّىٰٓ إِذَا...﴾ إلخ: هذا الكلام متعلق بـ: (حرام)، أو بمحذوف دل الكلام عليه، أو بـ: ﴿لَا يَرۡجِعُونَ﴾ أي: يستمر الامتناع، أو الهلاك، أو عدم الرجوع إلى قيام الساعة، وظهور أماراتها، ومنها فتح سد يأجوج، ومأجوج. هذا؛ وقرئ (فتحت) بالتخفيف، والتشديد، و(يأجوج) و(مأجوج) بهمز وبدونه، انظر الآية [٩٤] وما بعدها من سورة (الكهف) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، ويقر عينك. ﴿وَهُم﴾: المراد: قوم يأجوج، ومأجوج، وقيل: المراد جميع الناس. ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: من كل شرف، والحدب: ما ارتفع من الأرض، والجمع: أحداب. مأخوذ من حدبة الظهر، والمراد: التلال والآكام. ﴿يَنسِلُونَ﴾: يخرجون، أو يقبلون، أو يسرعون. أقوال. والمعنى متقارب.

تنبيه: قد ثبت: أن لقيام القيامة علامات، وهي صغرى، وكبرى، فالصغرى قد ظهر جميعها، كقبض العلم الشرعي، وتقارب الزمان، وفيض المال، وكثرة الزلازل، وكثرة القتل، وتطاول البدو في البنيان، وكثرة الفجور، والفسوق، وغير ذلك مما هو واقع، ومشاهد الآن.

أما العلامات الكبرى؛ فخذها مما يلي: عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع علينا النبي ﷺ، ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**». قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إِنَّهَا لَنْ تقومَ حتَّى تَرَوْا قبْلَها عَشْرَ آيَاتٍ**». فذَكرَ الدُّخَانَ، والدَّجالَ، والدابَّةَ، وطلوعَ الشمسِ منْ مَغربها، ونُزولَ عيسَى ابن مريمَ، و يأجوجَ و مأجوجَ، وثلاثةَ خُسُوفٍ: خسفٍ بالمَشْرِقِ، وخَسْفٍ بالمغربِ، وخسفٍ بجزيرةِ العَرَبِ، وآخِرُ ذلكَ نارٌ تخرُجُ منَ اليمَنِ تطردُ الناسَ إلى محشَرِهِمْ. أخرجه مسلم انتهى. خازن. أقول: ما ذكر في الحديث الشريف بعضه من علاماتها، وبعضه من مبادئها، كخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك يغلق باب التوبة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، انظر الآية رقم [١٥٨] من سورة (الأنعام) وانظر الآية [٤٩].

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٣٦] ﴿فُتِحَتۡ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿يَأۡجُوجُ﴾: نائب فاعله. ﴿وَمَأۡجُوجُ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح، وفي جوابها وجهان: أحدهما: أنه محذوف، فقدره أبو إسحاق: قالوا: يا ويلنا. وقدره غيره: فحينئذ يبعثون. وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ﴾ في الآية التالية معطوف على هذا المقدر. والثاني: أن جوابها الفاء في قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾. قاله الحوفي، والزمخشري، وابن عطية. انتهى. جمل. و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. هذا؛ ويعتبر الأخفش ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في مثل هذه الآية جارة لـ: ﴿إِذَا﴾،

وقد رده ابن هشام في «المغني» ولكن إذا رجعت إلى الشرح تؤيد الأخفش فيما ذهب إليه في هذه الآية. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِّن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿حَدَبٍ﴾: مضاف إليه. ﴿يَنسِلُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة، لا محل لها من الإعراب. تأمل.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي: القيامة، وذلك بفتح سد يأجوج و مأجوج. قال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج، و مأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة. وهذا ينفي ما ذكره الجمل من أن سد يأجوج و مأجوج إنما يفتح بعد نزول عيسى ـ عليه السلام ـ إلى الأرض، ثم يهلكون بدعائه عليهم، فتملأ رممهم، وجيفهم الأرض، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت، فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، ثم يرسل الله مطراً، فيغسل الأرض من آثارهم، ثم يقول الله للأرض: أنبتي ثمرك، فيكثر الرزق جداً، ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين، فبينما هم كذلك؛ إذ بعث الله عليهم ريحاً طيبة، تقبض روح كل مؤمن، ومسلم، وتبقي شرار الناس يتهارجون في الأرض كتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٩] من سورة (الكهف). ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: إذا قامت القيامة شخصت أبصار الذين كفروا إلى السماء من شدة الأهوال، لا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم. يقال: شخص الرجل بصره، وشخص البصر نفسه؛ أي: سَمَا، وطَمَحَ من هول ما يرى. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة، فلا يرْمَضُونَ، وانظر الآية رقم [٤٢] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [١٤] ففيها الكفاية. هذا؛ والغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور، وقيل: حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ، والتيقظ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَاقْتَرَبَ﴾: الواو: زائدة. (اقترب): ماض. ﴿الْوَعْدُ﴾: فاعله. ﴿الْحَقُّ﴾: صفة، والجملة الفعلية جواب (إذا) على رأي الفراء والكسائي، وغيرهما، ومعطوفة على جملة: ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ﴾ على حسب ما رأيت في الآية السابقة، وهو مذهب البصريين. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: واقعة في

جواب (إذا)، على رأي الزمخشري ومن وافقه، وحرف عطف على رأي الفراء، والكسائي. وانظر ما ذكرته بشأن هذه الفاء في الآية رقم [٤] من سورة (النحل). (إذا): كلمة دالة على المفاجأة، وهي تختص بالجملة الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، نحو: خرجت فإذا الأسد بالباب. وهي حرف عند الأخفش، وابن مالك، ويرجحه: خَرجْتُ، فإذَا إنَّ زَيْداً بِالبَابِ؛ لأن «إن» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. وظرف مكان عند المبرد، وابن عصفور. وظرف زمان عند الزجاج، والزمخشري. وزعم الأخير أن عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ المفاجأة، ولا يعرف هذا لغير الزمخشري، وإنما ناصبها عندهم الخبر المذكور في نحو خَرَجتُ فَإذَا زَيْدٌ جَالِسٌ، أو المقدر في نحو: «فإذا الأسد» أي: حاضر، وإذا قدرت: أنها الخبر؛ فعاملها مستقر، أو استقر، ولم يقع الخبر معها في القرآن الكريم إلا مصرحاً به.

﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿شَاخِصَةٌ﴾: خبره. ﴿أَبْصَارُ﴾: فاعل بـ: ﴿شَاخِصَةٌ﴾، و(أبصار) مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. هذا هو الإعراب الظاهر، والمتبادر، ولكن إذا عرفت: أن ﴿هِيَ﴾ ضمير القصة، وهي عائدة على متأخر، لا على متقدم، فوجب تفسيرها بجملة، لا بمفرد كما رأيت في الإعراب؛ لذا فالإعراب الصحيح كما يلي: ﴿شَاخِصَةٌ﴾: خبر مقدم، و﴿أَبْصَارُ الَّذِينَ...﴾ إلخ: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، وهي مفسرة له، وهذا هو مذهب البصريين، وأما الكوفيون؛ فيجيزون اعتبار ﴿شَاخِصَةٌ﴾ مبتدأ، و(أبصار) فاعل به سد مسد الخبر، وهذا إنما يتمشى على مذهبهم؛ لأن ضمير القصة يفسر عندهم بالمفرد العامل عمل الفعل، فإنه في قوة الجملة. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. والجملة الاسمية: ﴿هِيَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على اعتبارها ظرفاً، وابتدائية لا محل لها، وهي معطوفة على ما قبلها، أو هي جواب لـ: (إذا) على وجه مر ذكره على اعتبار (إذا) حرفاً. ﴿يَاوَيْلَنَا﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٤] تجده وافياً كافياً. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان). ﴿مِّنْ هَذَا﴾: متعلقان بـ: ﴿غَفْلَةٍ﴾ و(من) بمعنى عن، أو بمحذوف صفة غفلة، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وانتقال، وجملة: ﴿كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، والكلام: ﴿يَاوَيْلَنَا قَدْ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: يقولون: يا ويلنا... إلخ. وجملة: (يقولون...) إلخ في محل نصب حال من الموصول، والرابط: واو الجماعة.

بعد هذا أنقل لك ما ذكره السيوطي في كتابه همع الهوامع بشأن الفاء الداخلة على «إذا» الفجائية، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: اختلف في هذه الفاء، فقال المازني: هي زائدة للتأكيد؛ لأن إذا الفجائية فيها معنى الإتباع، ولذا وقعت في جواب الشرط موقع الفاء، وهذا ما اختاره

ابن جنِّي، وقال مبرمان: هي عاطفة لجملة «إذا» ومدخولها على الجملة قبلها، واختاره الشلوبين الصغير، وأيده أبو حيان بوقوع «ثم» موقعها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾، وقال الزجاج: دخلت على حد دخولها في جواب الشرط. انتهى. أي: فهي للسببية المحضة.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّكُمْ﴾: الخطاب لكفار قريش، ويعم كل مشرك جعل لله نداً. ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يحتمل الأوثان التي يقدسونها، ويحتمل إبليس وأعوانه من الإنس والجن؛ لأنهم بطاعتهم لهم في حكم عبادتهم، كما رأيت في الآية رقم [٣١] من سورة (التوبة) ولما روي أن النبي ﷺ لما تلا هذه الآية على المشركين، قال عبد الله بن الزِّبَعْرى: قد خصمتك ورب الكعبة! أليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى عبدوا المسيح، وبنو مليح عبدوا الملائكة، فقال ﷺ: «**بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك**»، وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ...﴾ إلخ الآية الآتية.

هذا؛ ويروى: أن النبي ﷺ قال له: «**ما أجهلك بلغة قومك؟ ألم تعلم أن ما لغير العاقل، ومن للعاقل؟!**» فتصاغر، وخنس. وهو جواب مفحم مسكت. ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي: حطب جهنم؛ الذي يرمى بها فتهيج به، وهذا يفيد: أن الكفار وما يعبدون من الأصنام حطب لجنهم، وهو صريح قوله تعالى في سورة (التحريم): ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾. هذا؛ ويقرأ: (حطب) بالطاء، كما يقرأ: (حضب) بالضاد، قال الفراء: ذكر لنا: أن الحضب في لغة أهل اليمن: الحطب. ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ أي: عليها واردون، بمعنى: داخلون فيها، هذا؛ والحجارة التي عبدوها لا ذنب لها، ولا عقوبة عليها، ولكن تكون عذاباً على من عبدها، أولَ شيْءٍ بالحسرة، ثم تجمع على النار، فتكون نارها أشد من كل نار، ثم يعذبون بها بعد أن كانوا يؤملون نفعها، وشفاعتها. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على الكاف. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: والذي تعبدونه. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في (ما) و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿حَصَبُ﴾: خبر (إنَّ) وهو مصدر صح الإخبار به عن متعدد، و﴿حَصَبُ﴾ مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع

مبتدأ. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿وَارِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿أَنتُمْ...﴾ إلخ جوز فيها أبو البقاء ثلاثة أوجه: أحدها: أن تكون بدلاً من ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فهو إبدال جملة من مفرد. الثاني: أن تكون مستأنفة، فلا محل لها على هذا الوجه. الثالث: أن تكون في محل نصب حال من جهنم، والرابط: الضمير فقط، وفيه نظر من حيث مجيء الحال من المضاف إليه في غير المواضع التي يجوز فيها مجيء الحال من المضاف إليه، هذا؛ وأجيز اعتبارها خبراً لـ: (إنَّ).

﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾

الشرح: ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾ أي: لو كانت الأصنام آلهة، وتستحق العبادة؛ لما ألقيت في جهنم مع عابديها. ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: كل من العابدين، والمعبودين ماكثون في جهنم لا يخرجون منها أبداً. ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أي: للذين دخلوا النار من الكفار، والشياطين، فأما الأصنام؛ فعلى الخلاف فيها، هل يحييها الله تعالى، ويعذبها حتى يكون لها زفير، أو لا؟ قولان. هذا؛ والزفير: هو أن يملأ الرجل صدره غمًّا ثم يتنفس، وقيل: الزفير: ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع. والشهيق: رد النفس إلى الصدر، وانظر الآية رقم [١٠٦] من سورة (هود) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف ألف صلاة وألف وألف سلام، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَهُمْ فِيهَا﴾: في جهنم. ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يسمعون شيئاً؛ لأنهم يحشرون صماً، وعمياً، وبكماً، كما رأيت في الآية رقم [٩٧] من سورة (الإسراء) هذا؛ وقد قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في هذه الآية: «إذا بقي في النار مَنْ يُخلَّد فيها؛ جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيتَ أُخر، ثم تلك التوابيت في توابيت أخر، عليها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره».

الإعراب: ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿آلِهَةً﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿وَرَدُوهَا﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية جواب لو، لا محل لها، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: إعراب هذه الجملة، ومحلها مثل: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ في الآية رقم [٩٣] ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف

حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿زَفِيرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ أي: قدرت، وسجلت لهم في قديم الأزل الحسنى، والمراد بها: السعادة الأبدية، أو التوفيق للطاعة، أو البشرى بالجنة. وانظر شرح ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ في الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء). ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا﴾ أي: عن جهنم. ﴿مُبْعَدُونَ﴾: لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين. هذا؛ وقد ذكرت في الآية رقم [٩٨] أن الآية نزلت رداً على ابن الزِّبَعْرى.

روي: أن علياً كرم الله وجهه خطب على المنبر، وقرأ هذه الآية، ثم قال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وابن الجراح، ثم أقيمت الصلاة. فقام يجر رداءه، ويقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا...﴾ إلخ. فويل، ثم ويل، ثم ويل للذين يفرقون بين صحابة رسول الله ﷺ، وويل لهم مما يفترون الكذب من أن علياً رضي الله كان يبغض أحداً من الصحابة. وانظر قوله في سورة (الأعراف) آية رقم [٤٤] وسورة الحجر آية [٤٧] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، ويقر عينك، واستمطر الخزي واللعن على من يصمون علياً كرم الله وجهه، ويتهمونه مما هو منه براء.

تنبيه: فإن قيل: كيف يكونون مبعدين عنها، وقد قال الله تعالى في سورة (مريم) آية رقم [٧١]: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وورودها يقتضي القرب منها؟ فالجواب: معناه: مبعدون عن عذابها، وألمها، مع ورودهم لها، أو معناه: مبعدون عنها بعد ورودها بالإنجاء المذكور بعد الورود. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي. هذا؛ وقد جيء باللام في قوله: ﴿سَبَقَتْ لَهُم﴾؛ لأن السابق نافع، كما جيء بـ: (على) حيث كان السابق ضاراً، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ الآية رقم [٢٧] من سورة (المؤمنون).

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، وقال أهل العلم: ﴿إِنَّ﴾ ها هنا بمعنى «إلا»، وليس في القرآن غيره. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿سَبَقَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾. ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد:

الضمير المجرور محلاً باللام. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُبْعَدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع. . .إلخ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ في محل نصب على الاستثناء، انظر الشرح.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾

الشرح: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ أي: صوت جهنم، وحركة لهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة. فإن قيل: أية بشارة لهم في أنهم لا يسمعون حسيسها؟ فالجواب: أن المراد منه: تأكيد بعدهم؛ لأن من قرب منها، قد يسمع حسيسها، فإن قيل: أليس أهل الجنة يرون أهل النار، فكيف لا يسمعون حسيسها؟ فالجواب: إذا حملناه على التأكيد؛ زال هذا السؤال. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ...﴾ إلخ: دائمون في غاية التنعم، فيما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وقال تعالى في سورة (فصلت) آية رقم [٣١]: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْمَعُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿حَسِيسَهَاۖ﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية يجوز أن تكون بدلاً من ﴿مُبْعَدُونَ﴾؛ لأنها لو حلت محله تغني عنه، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً للمبتدأ (أولئك)، ويجوز أن تكون في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿مُبْعَدُونَ﴾. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿فِي مَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدُونَ﴾ بعدهما، و﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر نفي. ﴿ٱشْتَهَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَنفُسُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة ما، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: في الذي، أو: في شيء اشتهته أنفسهم. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع. . .إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو والضمير، أو هي مستأنفة، فلا يكون لها محل.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾

الشرح: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ أي: النفخة الثانية لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أو لانصراف الناس إلى النار، أو حين يطبق على النار، أو

حين يذبح الموت على صورة كبش أملح. انظر الآية رقم [٣٨] من سورة (مريم) عليها السلام، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٩] من سورة (النمل) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة مهنئين، يقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي: في الدنيا من الكرامة، والرضا والرضوان، والعفو والغفران. فيكون المعنى: هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم به في الدنيا، فأبشروا فيه بجميع ما يسركم! هذا؛ ويقرأ الفعل: (يحزن) بفتح الياء من الثلاثي، وبابه قتل، ويقرأ بضم الياء من الرباعي. قال اليزيدي: «حزنه» لغة قريش، و«أحزنه» لغة تميم. انتهى. وهو متعد على اللغتين مثل: سلكه، وأسلكه، هذا؛ و«حزن» بكسر الزاي من باب فرح لازم.

أما ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لا يأكلون، ولا يشربون، لا يبولون، ولا يتغوطون، لا ينامون، ولا يموتون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، ولا يوصفون بذكورة، ولا بأنوثة، فمن وصفهم بذكورة فسق، ومن وصفهم بأنوثة كفر، وهم كثيرون، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يقومون بأعمال مختلفة، كلٌّ فيما وكل إليه من أعمال، ورؤساؤهم عشرة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، ورقيب، وعتيد، ومنكر، ونكير، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَحْزُنُهُمُ﴾: مضارع، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْفَزَعُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْأَكْبَرُ﴾: صفة له، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها، وأجيز اعتبارها بدلاً مما قبلها. (تتلقاهم): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه، لا محل له. ﴿يَوْمُكُمُ﴾: خبر مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة ﴿يَوْمُكُمُ﴾. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذي كنتم توعدونه، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لفعل محذوف، يقولون لهم: ﴿هَٰذَا...﴾ إلخ، والجملة الفعلية هذه في محل نصب حال من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، والرابط: الضمير فقط.

﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾: الطيّ في هذه الآية يحتمل معنيين: أحدهما: الدرج الذي هو ضد النشر، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾، والثاني: الإخفاء والمحو، فطيها: تكوير نجومها، ومحو رسومها. هذا؛ ويقرأ: (تطوى) بالتاء، وبالبناء للمجهول، ورفع: (السماء)، ويقرأ: (يطوي) على أن الفاعل تقديره: هو الله. هذا؛ والسجل: الكتاب، فيكون المعنى: نطوي السماء كطي الصحيفة على مكتوبها؛ أي: المسجل فيها، وتكون اللام بمعنى: «على» وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه اسم أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، ولم ينقل، ولم يذكر في أصحابه من اسمه: السجل، فلذا هو قول ضعيف، والمعتمد: أنه اسم ملك، وهذا الذي يطوي كتب بني آدم أي صحائف أعمالهم إذا رفعت إليه. ويقال: إنه في السماء الثالثة، ترفع إليه أعمال العباد، يرفعها إليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل يوم خميس، واثنين؛ ولذا كان النبي ﷺ يصوم هذين اليومين، ويقول: «ترفع فيهما الأعمال إلى رب العالمين»، وفي رواية: «تعرض الأعمال». هذا؛ ويقرأ: (للكتاب) بالإفراد، ويقرأ ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ بقراءات كثيرة.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾: في هذه الجملة تفسيران: أحدهما: أن المعنى نعيد ما خلقناه بعد ما أفنيناه، وأهلكناه مثل ما خلقناه أول مرة من العدم، والإعادة تكون بعد تفتت الأجزاء، وتبددها، فيكون المراد بيان صحة الإعادة بالقياس على الإبداء لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية، وتناول القدرة القديمة لهما على السواء، ومجمل القول في هذه الآية على هذا التفسير، فكما قدرنا على الإنشاء نقدر على الإعادة.

الثاني: أن المعنى نحشر الخلق حفاةً عراةً غرلاً كما بُدئوا في البطون، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُحْشَرُ الناسُ يَومَ القيامَةِ عُرَاةً غُرلاً، أَوَّلُ الخَلقِ يُكسى يَوْمَ القِيَامَةِ إبراهيمُ عَلَيْهِ السلامُ**» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾. أخرجه مسلم، والنسائي. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٨] من سورة (الكهف) فهو أوسع من هذا، وهذا التفسير أقوى من الأول.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآۚ﴾ أي: إعادة الخلق كما بدأهم أول مرة، هذا؛ وعد قطعه رب العالمين على نفسه بمعنى: قدره، وقضاه لا محالة كائن، وواقع إنجازه، وتحقيقه. ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: ما وعدناكم به من الإعادة، وهو كقوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ وفسر ﴿فَٰعِلِينَ﴾ بـ: قادرين على الإعادة. وأصل ذلك: أن الفعل يتسبب عن الإرادة، والقدرة، وهم يقيمون السبب مقام المسبب.

هذا؛ و«كتاب» في اللغة: الضم، والجمع، وسميت الجماعة من الجيش كتيبة؛ لاجتماعهم، كما سمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يضم الكلام بعضه إلى بعض، ويجمعه، ويرتبه، وفي الاصطلاح: اسم لجملة مختصة من العلم مشتملة على أبواب، وفصول، ومسائل غالباً.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المحذوف. وقيل: هو ظرف متعلق بالفعل ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾ أو (تتلقاهم) وأجاز أبو البقاء اعتباره بدلاً من العائد المحذوف في جملة الصلة: ﴿تُوعَدُونَ﴾. وأجاز البيضاوي اعتباره متعلقاً بمحذوف حال من العائد المحذوف، والمعتمد الأول. ﴿نَطْوِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به، وانظر أوجه القراءات في الشرح. ﴿كَطَيِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: طيّاً كائناً مثلَ طيٍّ، و(طي) مضاف، و﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، أو لمفعوله حسب ما رأيت في الشرح. ﴿لِلْكُتُبِ﴾: متعلقان بالمصدر. واللام زائدة على اعتبار ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ اسم ملَك، كما رأيت، فيكون الكتب مفعولاً به مجروراً لفظاً منصوباً محلاً، وجملة: ﴿نَطْوِي...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها على جميع أوجه القراءات. ﴿كَمَا﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ما): مصدرية. ﴿بَدَأْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَوَّلَ﴾: مفعول به، و﴿أَوَّلَ﴾ مضاف، و﴿خَلْقٍ﴾: مضاف إليه. ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، و(ما) المصدرية، والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف عامله الفعل بعده، التقدير: نعيده إعادة كائنة مثل بدئنا أول خلق خلقناه. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) موصولة مبنية على السكون في محل جر بالكاف، والجملة الفعلية صلتها، والعائد محذوف، التقدير: كالذي بدأناه، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة. . .إلخ، مثل التأويل الأول، وعليه يكون ﴿أَوَّلَ﴾ ظرفاً متعلقاً بالفعل ﴿بَدَأْنَآ﴾، أو هو متعلق بمحذوف حال من العائد المحذوف، وهذه الجملة: ﴿كَمَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَعْدًا﴾: مفعول مطلق عامله من لفظه محذوف، التقدير: وعدناه وعداً. ﴿عَلَيْنَآ﴾: متعلقان بـ: ﴿وَعْدًا﴾، والجملة الفعلية هذه مستأنفة لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿فَٰعِلِينَ﴾: خبر (كان) منصوب. . .إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وقال الجمل: ذكرت هذه الجملة توكيداً لتحتم الخبر، وقيل: هي تعليل للقدرة، وقيل: في محل نصب حال، وهو ضعيف معنى.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا﴾ أي: سجلنا، وقدرنا، وقضينا. ﴿فِي الزَّبُورِ﴾: كتاب داود، انظر الآية رقم [٥٥] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك. ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أي: التوراة التي أنزلت على موسى على نبينا، وشفيعنا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ وقيل: إن المراد بـ: ﴿الزَّبُورِ﴾ جميع الكتب التي أنزلت على الرسل، والمراد بـ: ﴿الذِّكْرِ﴾ اللوح المحفوظ الذي سجل فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فيكون المراد بكتابة الزبور نسخ ما فيها من اللوح المحفوظ؛ لأن جميع الكتب السماوية مسجلة في اللوح المحفوظ من قديم الأزل.

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾: أحسن ما قيل فيه: أنه يراد بها أرض الجنة، كما قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى؛ لأن الأرض في الدنيا يملكها الصالحون، وغيرهم، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما. وقال مجاهد وأبو العالية: ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾. هذا؛ وقيل: إنها الأرض المقدسة. ذكر لي: أن اليهود كتبوا على جدران القنيطرة يوم احتلوها عام ١٩٦٧م الآية التي نحن بصدد شرحها، كتبوها بحروف عربية مكبَّرة. هذا؛ وقيل: المراد بها أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد ﷺ بالفتوح. وقيل: إن المراد بذلك بنو إسرائيل بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾. هذا؛ ويقرأ: ﴿عِبَادِيَ﴾ بفتح ياء المتكلم وسكونها.

هذا؛ والإضافة بقوله: ﴿عِبَادِيَ﴾ إضافة تشريف، وتعظيم، وتبجيل، وذكر العبودية مقام عظيم، والعبد: الإنسان حراً كان، أو رقيقاً، ويجمع على: عبيد، وعباد، وأعبد، وعبدان، وعبدة، وغير ذلك، وانظر الآية رقم [١] من سورة (الإسراء). هذا؛ ولا تنس: أن في الآية الكريمة التفاتاً من التكلم بالجمع إلى التكلم بالمفرد، وانظر الالتفات في الآية رقم [٣٤].

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [٤١] ففيها الكفاية. ﴿كَتَبْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها. ﴿فِي الزَّبُورِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: متعلقان به أيضاً، وقيل: متعلقان بمحذوف صفة لـ: ﴿الزَّبُورِ﴾، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، و﴿بَعْدِ﴾ مضاف، و﴿الذِّكْرِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الْأَرْضَ﴾: اسمها. ﴿يَرِثُهَا﴾: مضارع، و(ها): مفعول به. ﴿عِبَادِيَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿الصَّالِحُونَ﴾: صفة ﴿عِبَادِيَ﴾ مرفوع مثله. وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿يَرِثُهَا...﴾ إلخ في

محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والقسم المقدر: ﴿وَلَقَدْ...﴾ إلخ وجوابه كلام مستأنف لا محل له.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ أي: فيما ذكر في هذه السورة من الأخبار، والمواعظ، والوعد، والوعيد. ﴿لَبَلَٰغًا﴾: لكفاية، أو: لسبب بلوغ إلى الغاية التي ينشدها العابدون الموحدون الذين لا يعبدون غير ذلك. وقيل: هم أمة محمد ﷺ، أهل الصلوات الخمس، وشهر رمضان، والحج وغير ذلك من أعمال البر، والخير.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو عام في حق من آمن، ومن لم يؤمن، فمن آمن؛ فهو رحمة له في الدنيا، والآخرة، ومن لم يؤمن؛ فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه، ورفع المسخ والخسف، والاستئصال. قال ﷺ: «**أنا رَحمَةٌ مُهداةٌ**».

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي هَٰذَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لَبَلَٰغًا﴾: اللام: لام الابتداء. (بلاغاً): اسم (إنَّ) مؤخر. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بـ: (بلاغاً)، أو بمحذوف صفة له. ﴿عَٰبِدِينَ﴾: صفة قوم مجرور.. إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول لأجله، أو هو حال بمعنى: «ذا رحمة». ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿رَحْمَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها، والجملة الفعلية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾ أمر للنبي ﷺ. ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: ما يوحى إليَّ من ربي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد لا شريك له في ملكه، ولا مناوئ له في سلطانه. قال الشهاب: في هذه الآية قصران: الأول قصر الصفة على الموصوف، والثاني بالعكس. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: موحدون منقادون لما يوحى إليَّ من إخلاص الإلهية والتوحيد. ومعنى الاستفهام: الأمر؛ أي: أسلموا.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر.

﴿إِلَيَّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة، ﴿إِلَٰهُكُمۡ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَٰهٞ﴾: خبره. ﴿وَٰحِدٞۖ﴾: صفة إله، والكلام ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ...﴾ إلخ في تأويل مصدر في محل رفع نائب فاعل ﴿يُوحَىٰٓ﴾. هذا؛ وكف (أنَّ) بـ: (ما) عن العمل لا يخرجها عن المصدرية، وجملة: ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلۡ إِنَّمَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَهَلۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّسۡلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾

الشرح: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: أعرضوا عن الإسلام والانقياد لما تدعوهم إليه. هذا؛ والتولي، والإعراض، والإدبار عن الشيء يكون بالجسم، ويستعمل في الإعراض عن الأمور الاعتقادية اتساعاً، وأصل (تولوا) قبل دخول واو الجماعة: «تَوَلَّيَ» قل في إعلاله: تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فلما اتصلت به واو الجماعة صار (تولَّاوْا) فالتقى ساكنان: ألف العلة، وواو الجماعة، وحرف العلة أولى بالحذف من الضمير، فحذف حرف العلة، وبقيت الفتحة على اللام دليلاً على الألف المحذوفة، ويقال في إعلاله أيضاً: ردت الألف لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار: « تَولّيوا» فقلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، فصارت ألفاً، فالتقى ساكنان: ألف العلة... إلخ، كما يقال أيضاً: ردت الألف لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار: «توليوا» فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان: ياء العلة، وواو الجماعة، فحذفت ياء العلة لالتقاء الساكنين. وما ذكرته يجري في إعلال كل فعل ناقص، اتصل به واو الجماعة، مثل: نجا، ورمى، وسعى، وغزا... إلخ، تنبه لذلك واحفظه. هذا؛ وإذا ولي الواو ساكن مثل (رَأَوُا العذَابَ) ونحوه تحرك الواو بالضمة، ولم تحرك بالكسرة؛ لأن الكسرة لا تناسبها، وقيل: حركت بالضم دون غيره، ليفرق بين الواو الأصلية، وبين واو الجماعة في نحو قولك: «لَوِ اجْتَهدْتَ لَنجَحْتَ». وقيل: ضمت؛ لأن الضمة هنا أخف من الكسرة؛ لأنها من جنس الواو. وقيل: حركت بحركة الياء المحذوفة، وقيل: غير ذلك.

﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ﴾ أي: أعلمتكم على بيان: أنا وإياكم حرب لا صلح بيننا، وهذا إنذار بين نستوي في علمه، لا أستبد به أنا دونكم، لتتأهبوا لما يراد منكم. وقيل: المعنى: أعلمتكم بالحرب على عدل، واستقامة، ورأي بالبرهان النير، فيكون كقوله تعالى في سورة (الأنفال): ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ وقال الزجاج: المعنى: أعلمتكم بما يوحى إلي على استواء في العلم به، ولم أظهر لأحد شيئاً كتمته عن غيره. وانظر

إعلال همزة (آمن) في الآية رقم [٧١] من سورة (طه)، وانظر شرح ﴿سَوَآءٍ﴾ في الآية رقم [٢٥] من سورة (الحج).

﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾: لا أدري، ولا أعلم. ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ أي: لا أعلم متى يكون يوم القيامة؛ لأن الله لم يطلعني عليه، ولكني أعلم: أنه كائن لا محالة. أو: لا أعلم متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا، وقيل: المعنى: آذنتكم بالحرب، ولكني لا أدري متى يؤذن لي في محاربتكم؟

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّوْاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقُلْ﴾: الفاء: واقعة جواب الشرط. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من تاء الفاعل، أو من الكاف المفعول به، أو من كليهما، بمعنى: متساويين، ومثله قول الشاعر: [الكامل]

فَلَئِنْ لَقِيتُكَ خَالِيَيْنِ لَتَعْلَمَنْ ... أَيِّي وَأَيُّكَ فَارِسُ الأَحْزَابِ؟

ف «خاليين» حال من التاء والكاف. وأيضاً قول عنترة بن شداد العبسي: [الوافر]

متى ما تَلْقَنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفْ ... روانِفُ أَلْيَتَيْكَ وتُسْتَطَارا

فقوله: «فردين» حال من الفاعل المستتر، ومن ياء المتكلم التي هي مفعوله. ﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف استئناف، أو واو الحال. (إن): حرف نفي. ﴿أَدْرِىٓ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿أَقَرِيبٌ﴾: الهمزة حرف استفهام. (قريب): خبر مقدم. ﴿أَم﴾: حرف عطف. ﴿بَعِيدٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿تُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: الذي توعدونه، والجملة الاسمية: ﴿أَقَرِيبٌ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعولي الفعل أدري المعلق عن العمل لفظاً بهمزة الاستفهام. هذا؛ وجوز أبو البقاء أن يكون: (قريب) مبتدأ؛ لاعتماده على الاستفهام و: ﴿بَعِيدٌ﴾ معطوفاً عليه، و﴿مَّا﴾: فاعلاً بما قبله ساداً مسد الخبر، ويكون ذلك على التنازع، وجملة ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي في محل نصب حال من تاء الفاعل. والكلام: ﴿ءَاذَنتُكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُلْ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنّ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، أو هو في محل نصب مقول القول.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الله. ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: ما تجاهرون به من العداوة والطعن في الإسلام. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أي: ما تخفون من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم على ذلك، هذا؛ و﴿يَعْلَمُ﴾ من المعرفة لا اليقين انظر الآية رقم [٣٩]. هذا؛ و«كتم» من باب نصر، وربما عُدّي «كتم» إلى مفعولين، فيقال: كتمت زيداً الحديث، وتزاد «من» جوازاً في المفعول الأول، فيقال: كتمت من زيد الحديث، وكتم الشيء: بالغ في كتمانه، واكتتم الشيء: اصفرَّ. هذا؛ والكَتَم، والكِتْمَان: نبت يخضب به الشعر، ويصنع منه مداد الكتابة، ورحم الله البوصيري إذ يقول: [البسيط]

فإنَّ أَمَّارَتي بالسُّوءِ ما اتَّعظتْ ... مِنْ جَهْلِهَا بنَذيرِ الشَّيْبِ والهَرَمِ
ولا أعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجميلِ قِرَىٰ ... ضَيْفٍ ألَمَّ بِرَأسِي غَيْرَ مُحتَشِمِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ ... كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لي منهُ بالْكَتَمِ

الإعراب: ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾. ﴿ٱلْجَهْرَ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الجهر، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «هو». ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يعلم الذي، أو: شيئاً تكتمونه في صدوركم، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾

الشرح: معنى الآية: وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم استدراج لكم، وزيادة في افتتانكم، واختباركم، وامتحان لكم؛ ليرى كيف تعملون، وكيف تصنعون، وهو أعلم بكم. هذا؛ وذكر القرطبي: أن النبي ﷺ رأى في منامه: أن بني أمية يلون الناس. فلا وجه له هنا ألبتة، ولم يقل به غيره. و﴿أَدْرِى﴾ ماضيه درى بمعنى علم، فهو من أفعال اليقين، فينصب مفعولين كقول الشاعر: [الطويل]

دُرِيتَ الْوَفيَّ الْعَهْدَ، يا عمرُو، فاغْتَبِطْ ... فَإنَّ اغْتِبَاطاً بالْوَفاءِ حَمِيدُ

وهو قليل؛ إذ الكثير المستعمل فيه أن يتعدى إلى واحد بالباء نحو دَريتُ بكذا، فإن دخلت عليه همزة النقل تعدى إلى واحد بنفسه، وإلى واحد بالباء، نحو قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا

تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ قال شيخ الإسلام: ومحل ذلك إذا لم يدخل على الفعل استفهام، وإلا تعدى إلى ثلاثة مفاعيل، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ فالكاف مفعول به أول، والجملة الاسمية بعده سدت مسد المفعولين. انتهى.

والذي في: «الهمع» و«المغني» ـ قيل: وهو الأوجه ـ: أن الجملة الاسمية سدت مسد المفعول الثاني المتعدي إليه بالحرف، فتكون في محل نصب بإسقاط الجار، كما في: «ذكرت» أهذا صحيح أم لا؟ أي: فكرت بما ذكر. انتهى. جرجاوي، وينبغي أن تعلم: أن الفعل «أدري» هنا معلق عن العمل لفظاً بوقوع «لعل» بعده، والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في التعليق، إلا أن النحويين لم يعدوا «لعل» من المعلقات. والحق مع الكوفيين، وهو ظاهر في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ وقوله جل شأنه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

فإن كان (درى) بمعنى: ختل، أي خدع كان متعدياً إلى واحد بنفسه مثل: دَريتَ الصيدَ، أي: ختلته، وخدعته. قال الأخطل التغلبي: [الطويل]

فإنْ كنتَ قدْ أقصدْتَني إذْ رَميتَني ... بسَهْمكَ فالرَّامي يَصيدُ ولا يدْري

أي: يصيد، ولا يختل. ومثله قول الآخر: [الطويل]

فإنْ كنتُ لا أدْري الظِّباءَ فإنني ... أدسُّ لها تحتَ التُّرابِ الدَّواهيَا

أي: لا أختل، وإن كانت بمعنى: حك، مثل درى رأسه بالمدرى، أي: حك رأسه بالمشط، فهي كذلك، وانظر شرح ﴿حِينٍ﴾ في الآية رقم [٣٩].

(متاع): انتفاع، وتلذذ، وتمتُّع، واستمتع بكذا: انتفع به، والمتعة: الانتفاع، والتلذذ بالشيء، وأمتعه الله، ومتَّعه بكذا بمعنى واحد، ومتاع الغرور، أي ما يغر، ويخدع، ولا يغرُّ إلا ضعفاء الإيمان، وذوي النفوس المريضة، وخاب الفسقة الذين يقولون: إن متاع الغرور المذكور في كثير من الآيات هو ما تحمله المرأة في أيام حيضها من خرق، فمن أين أتوا بهذا التفسير الذي لا يقره ذوق؛ فضلاً عن عدم وجوده في كتب اللغة.

الإعراب: ﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): نافية. ﴿أَدْرِىٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَعَلَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿فِتْنَةٌ﴾: خبر (لعل). ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿فِتْنَةٌ﴾ أو بمحذوف صفة لها.

(متاع): معطوف على ﴿فِتْنَةٌ﴾، وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف: التقدير: وهو متاع، وهذه الجملة مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: متعلقان بمتاع أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعول، أو مفعولي الفعل ﴿أَدْرِىٓ﴾ والجملة الفعلية: ﴿أَدْرِىٓ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها، فتكون في محل نصب مقول القول.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَٰلَ﴾ أي: النبي ﷺ، وقرئ: (قل). ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: افصل بيني وبين مَنْ كذبني، أو المعنى: اقض بيننا، وبين أهل مكة بالعدل، أو بما يحق عليهم من العذاب، وشدِّد عليهم، كما قال النبي ﷺ في الدعاء عليهم: «**وَاشْدُدْ وَطأتَكَ عَلَى مُضَرَ**». هذا؛ ويقرأ: (رَبُّ) بضم الباء، و: ﴿رَبِّ ٱحْكُمْ﴾: على معنى أحكم الأمور بالحق. ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي: كثير الرحمة على خلقه. ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: المطلوب منه المعونة في كل وقت، وحين. ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: من الشرك، والكفر، والكذب، والأباطيل. هذا؛ ويقرأ الفعل بالياء أيضاً. هذا؛ وقيل: كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه، وكانوا يطمعون، ويؤملون أن تكون الشوكة لهم، فكذب الله ظنونهم، وخيب آمالهم، ونصر نبيه، والمؤمنين، وخذلهم؛ أي: الكفار. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: ختم الله السورة الكريمة بأن أمر نبيه ﷺ بتفويض الأمر إليه، وتوقع الفرج من عنده، روى سعيد بن جبير عن قتادة قال: كانت الأنبياء تقول: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فأمر نبيه ﷺ أن يقول: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ فكان إذا لقي العدو يقول، وهو يعلم: أنه على الحق، وعدوه على الباطل: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: اقض. انتهى. قرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿قَٰلَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو»، أو (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه حرف النداء. ﴿ٱحْكُم﴾: أمر، وفاعله: أنت. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما هذا؛ وعلى قراءة: (ربي أحكم) فهو مبتدأ وخبر، وعلى القراءتين فالكلام في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿قَٰلَ...﴾ إلخ، أو (قل...) إلخ مستأنفة على القراءتين لا محل لها. ﴿وَرَبُّنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ربنا): مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: صفة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾. ﴿عَلَىٰ مَا﴾: متعلقان بالمستعان؛ لأنه صيغة مفعول، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾ والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: على الذي، أو: على شيء تصفونه به. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾ التقدير: المستعان على وصفكم الله ما لا يليق به، والجملة الاسمية: ﴿وَرَبُّنَا...﴾ إلخ مستأنفة وهي في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

انتهت سورة (الأنبياء) بعونه تعالى تفسيراً، وإعراباً. والحمد لله رب العالمين.

سورة الحج

وهي مكية غير ست آيات من قوله عز وجل: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ...﴾ إلى قوله: ﴿...وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ انتهى. بيضاوي، وخازن. وقال الجمهور: السورة مختلطة، منها مكي، ومنها مدني، وعدَّ النقاش ما نزل بالمدينة عشر آيات، وقول الجمهور هو الأصح؛ لأن الآيات تقتضي ذلك؛ لأن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مكِّيٌّ، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ مدنيٌّ، وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، سفراً، وحضراً، مكيًّا، ومدنيًّا، سلمياً، وحربياً، ناسخاً، ومنسوخاً، محكماً، ومتشابهاً مختلف العدد. انتهى. قرطبي.

وجاء في فضلها ما رواه الترمذي، وأبو داود، والدارقطني عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! فضلت سورة (الحج) بأن فيها سجدتين، قال: «**نعم، وَمَنْ لمْ يسْجُدهما فَلَا يقرأهُمَا**». وبه يقول ابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق. ورأى بعضهم: أن فيها سجدة واحدة فقط، وهو قول سفيان الثوري، وأبي حنيفة. روى الدارقطني عن عبد الله بن ثعلبة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سجد في الحج سجدتين. قلت: في الصبح؟ قال: في الصبح انتهى. قرطبي بتصرف.

أقول: من اعتبر السجدتين في هذه السورة اعتبر سجدة سورة (صٓ) سجدة شكر، لا سجدة تلاوة؛ فلا يسجد لها في الصلاة، فإن سجد لها مصل بطلت صلاته، ومن اعتبر سجدة واحدة في هذه السورة اعتبر سجدة سورة (صٓ) سجدة تلاوة، وشكر؛ فهو يسجد لها في الصلاة، وخارجها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٧] من هذه السورة.

هذا؛ وسورة (الحج) ثمان وسبعون آية، وألف ومئتان وإحدى وتسعون كلمة، وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفاً انتهى. خازن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: هذا النداء يعم جميع بني آدم. ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾: خافوه، واحذروا عقابه، واعملوا بطاعته. ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾: الزلزلة: شدة الحركة على

الحال الهائلة، وصفها الله بالعظم، ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى، قيل: هي من أشراط الساعة قبل قيامها. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: زلزلة الساعة قيامها، فتكون معه.

هذا؛ وانظر شرح (الناس) في الآية رقم [١] من سورة (الأنبياء)، وشرح ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٣٠] منها، وشرح ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ في الآية رقم [٤٩] منها أيضاً. ﴿ٱتَّقُوا۟﴾: أمر من التقوى، وهي حفظ النفس من العذاب الأخروي، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ لأن أصل المادة من الوقاية، وهي الحفظ، والتحرز من المهالك في الدنيا، والآخرة. وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة). هذا؛ وأصل ﴿ٱتَّقُوا۟﴾: «اتَّقيوا» فحذفت الضمة التي على الياء للثقل، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، ثم قلبت كسرة القاف ضمة لمناسبة واو الجماعة.

الإعراب: (يا): حرف نداء ينوب مناب: «أدعو»، أو «أنادي». (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ (يا). و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: بعضهم يعرب هذا؛ وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل: أن الاسم الواقع بعد «أي» واسم الإشارة، إن كان مشتقاً؛ فهو نعت، وإن كان جامداً كما هنا فهو بدل، أو عطف بيان، والمتبوع أعني: «أي» منصوب محلاً، فكذا التابع، أعني (الناس) وأمثاله، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الإتباع اللفظية، وإنما أتبعت ضمة البناء مع أنها لا تتبع؛ لأنها وإن كانت ضمة بناء، لكنها عارضة، فأشبهت ضمة الإعراب، فلذا جاز إتباعها. أفاده العلامة الصبان؛ لأنه قال، والمتجه وفاقاً لبعضهم: أن ضمة التابع إتباع لا إعراب، ولا بناء، وقيل: إن رفع التابع المذكور، إعراب، واستشكل بعدم المقتضي للرفع، وأجيب بأن العامل يقدر من لفظ عامل المتبوع مبنياً للمجهول، نحو يُدعى، وهو مع ما فيه من التكلف، يؤدي إلى قطع المتبوع، وقيل: إن رفع التابع المذكور بناء؛ لأن المنادى في الحقيقة هو المحلى بأل، ولكن لما لم يمكن إدخال حرف النداء عليه؛ توصلوا إلى ندائه بـ: «أي»، أي مع قرنها بحرف التنبيه، ورده بعضهم بأن المراعى في الإعراب اللفظ، وأن الأول منادى، والثاني تابع له، والإعراب السائد الآن أن تقول: مرفوع تبعاً للفظ. انتهى.

هذا؛ والأخفش يعتبر «أياً» في مثل هذه الآية موصولة، و(الناس) خبراً لمحذوف، والجملة الاسمية صلة، وعائد، التقدير: «يا مَنْ هُمُ الناسُ» على أنه قد حذف العائد حذفاً لازماً كما في قول امرئ القيس: [الطويل]

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ لَكَ مِنْهُمَا وَلَا سِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

وما قاله الأخفش ضعيف، لا يعتد به عند جمهرة النحاة، والبيت هو الشاهد رقم [٢٤٢] من كتابنا فتح القريب المجيب.

﴿ٱتَّقُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿زَلْزَلَةَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، ويكتفي به إن كان من «زلزل» اللازم، وإن كان من المتعدي؛ فالمفعول محذوف، التقدير: إن زلزلة الساعة الناس، أو الأرض، وهو أحسن يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أو الإضافة من إضافة المصدر للظرف، وإجرائه مجرى المفعول به، فيكون الفاعل محذوفاً، ﴿شَيْءٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة ﴿شَيْءٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل لطلب «التقوى» لا محل لها.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾: يوم ترونها بأعينكم، وتشاهدون هولها. الخطاب للناس، والضمير المنصوب عائد على الزلزلة. ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾: الذهول: الذهاب عن الأمر بدهشة؛ بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه. و﴿مُرْضِعَةٍ﴾ بالتاء لمن باشرت الإرضاع، وبلا تاء لمن شأنها الإرضاع، وإن تباشره. قال امرؤ القيس يخاطب ابنة عمه عنيزة: [الطويل]

فمثلكِ حُبْلى قَدْ طَرَقتُ ومُرْضعٍ فألهيتُها عَنْ ذي تَمائمَ مُحولِ

هذا؛ ويقال: لم يؤنث مرضع في بيت امرئ القيس؛ لأن المراد النسبة، أي: ذات إرضاع، أو: ذات رضيع، ومثلها: حائض، وطالق، وحامل. والاسم إذا كان من هذا القبيل؛ عرته العرب من علامة التأنيث، كما قالوا: امرأة لابن تامر، أي: ذات لبن، وذات تمر، ورجل لابن تامر، أي: ذو لبن، وذو تمر، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ نص الخليل على أن المعنى: السماء ذات انفطار به، لذلك تجرد لفظ منفطر من علامة التأنيث، بخلاف ما إذا بني الوصف على الفعل؛ أنث. فتقول: أرضعت، فهي مرضعة، كما في الآية الكريمة، والجمع: مراضع، ومراضيع، ومرضعات، وانظر ما ذكرته في «عاقر» في الآية رقم [٥] من سورة (مريم) على نبينا وعليها ألف صلاة وألف سلام.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ أي: تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها، قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، فعلى هذا

القول تكون الزلزلة في الدنيا؛ لأنه بعد البعث لا يكون حمل، ولا إرضاع. ومن قال: تكون الزلزلة في القيامة، قال: هذا على وجه تعظيم الأمر، وتهويله، لا على حقيقته.

هذا؛ و﴿حَمْلٍ﴾ بفتح الحاء وسكون الميم، قال ابن السكيت: الحَمْل - بالفتح -: ما كان في بطن، أو على رأس شجرة. والحِمْل - بالكسر -: ما كان على ظهر، أو رأس. قال الأزهري: هذا هو الصواب، وهو قول الأصمعي، وقال القرطبي: وقد حكى يعقوب في حمل النخلة الكسرة. وقال أبو سعيد السيرافي: يقال في حمل المرأة: حَمْل وحِمْل يشبه مرة لاستبطانه بحَمْل النخلة، ومرة لبروزه وظهوره بحِمْل الدابة.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ أي: كأنهم سكارى من هول الزلزلة، ومما يدركهم من الخوف، والفزع، ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ أي: على الحقيقة. هذا؛ وقرئ: (وتُرىٰ الناسَ) بضم التاء أي: تظن، ويخيل إليك، وقرئ: (سكرى) وهما لغتان ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾: فأرهقهم هوله، بحيث طير عقولهم، وأذهب تمييزهم، ففي الآية الكريمة شبه الله الناس بسكارى الذين فقدوا التمييز، ثم نفى الله عنهم السكر الحقيقي الناتج عن شرب الخمر، ونحوه، وبيَّن أن سببه شدة الهول، والخوف من العذاب الشديد، والعذاب الأليم.

أما ﴿ذَاتِ﴾ فهي بمعنى صاحبة، وكثيراً ما تضاف للمصدر فجعلت صاحبة للصدور لملازمتها لها، وعدم انفكاكها عنها، نحو: (أصحابُ الجنةِ، أصحابُ النارِ) هذا؛ و(ذات) مؤنث: ذو، الذي بمعنى صاحب، وقد يثنى على لفظه، فيقال: ذاتا، أو ذاتي كذا من غير رد لام الكلمة، وهو القياس، كما يثنى «ذو» بذوا، أو ذوي على لفظه، ويجوز فيها: (ذواتا) على الأصل برد لام الكلمة، وهي الياء ألفاً لتحرك العين، وهو الواو قبلها، وهو الكثير في الاستعمال؛ لأن أصلها (ذَوَية) الواو عين الكلمة، والياء لامها، والتاء للتأنيث؛ لأنه مؤنث «ذو» وذو أصله ذوي، فتحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار (ذوات) ثم حذفت الواو تخفيفاً. وفي تثنيته وجهان: تارة ينظر للفظه الآن، فيقال: ذاتان، وتارة ينظر له قبل حذف الواو، فيقال: ذواتان فقوله تعالى في سورة (سبأ) رقم [١٦] ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وفي سورة (الرحمن) رقم [٤٨] ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ جاء على الأصل برد لام الكلمة.

هذا؛ والتاء في (ذات) لتأنيث اللفظ، مثل تَاء ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، ولَاتَ، ولكنها تعرب بالحركات الظاهرة على التاء، فالجر كما في الآية الكريمة، ومثلها كثير، والرفع جاء في قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ والنصب جاء في قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وكل معانيها في القرآن الكريم صاحبة، إلا في موضعين، فإنها جاءت بمعنى الجهة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ وقد رأيت تثنيتها في الآيتين المذكورتين في حالتي النصب، والجر، ولم ترد في القرآن الكريم بمعنى الجمع، هذا؛ ولم

يتعرض النحويون لها بهذا المعنى، مع كثرة تعرضهم لـ: «ذي» بمعنى صاحب، وتثنيته، وجمعه، ولكنهم ذكروا (ذات) بمعنى «التي» و(ذوات) بمعنى اللواتي، وذلك في مبحث الاسم الموصول، قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

وكَالَّتي أيضاً لَديْهِمْ ذَاتُ ... ومَوْضِعُ اللَّاتِي أتَى ذَوَاتُ

قال الأشموني: أي عند طيئ ألحقوا بـ: «ذو» تاء التأنيث مع بقاء البناء على الضم، حكى الفراء: (بالفَضْلِ ذُو فضَّلكُمُ الله بهْ، والكَرامةِ ذَاتُ أكرمكمُ الله بهْ) وقريب منه لابن هشام في أوضحه، وكلاهما أورد بيت رؤبة شاهداً لذلك: [الرجز]

جَمَعْتُهَا مِنْ أَيْنُقٍ مَوارِقِ ... ذَواتُ يَنْهَضْنَ بغَيْرِ سَائقِ

والفرق بين الأولى، والثانية، الأولى لا تكون إلا مضافة لما بعدها كما رأيت بخلاف الثانية، فإنها لا تضاف؛ لأنها معرفة بالصلة التي تذكر بعدها كما رأيت في بيت رؤبة. تنبه لهذا؛ وافهمه، فإنه معنى دقيق، واسأل الله لي المزيد من التوفيق.

بعد هذا خذ ما يلي: روى الترمذي عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ قال: أنزلت عليه هذه الآية، وهو في سفر، فقال: أتدرونَ أيُّ يوم ذَلكَ؟ فقَالوا: الله ورسولهُ أعلَمُ، قال: **«ذَلكَ يوْمَ يقولُ الله لآدمَ: ابْعَثْ بَعْثَ النارِ، قال: يَا رَبُّ! وما بعثُ النارِ؟ قال: تسْعُمئةٍ وتسْعَةٌ وتسْعونَ إلى النارِ، وواحدٌ إلى الجنَّةِ»**. فأَنشَأَ المسلمونَ يبْكُونَ، فقال رسول الله ﷺ: **«قَاربُوا، وسَدِّدُوا، فإنَّهُ لَمْ تكنْ نبُوَّةٌ قطُّ إلَّا كان بَيْنَ يَديْها جاهليةٌ، قال: فيؤْخَذُ العددُ من الجاهليةِ، فإنْ تمَّتْ وإلَّا كمُلتْ منَ المنافقين، ومَا مثلكمْ والأمَمَ إلَّا كَمَثَلِ الرَّقمَةِ في ذراعِ الدَّابَّةِ، أوْ كالشَّامَةِ في جنْبِ البعيرِ، ثمَّ قالَ: إنِّي لأَرجو أنْ تكونوا رُبعَ أهلِ الجنةِ!»** فكبَّروا، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا ثُلثَ أهْلِ الجَنَّةِ!»** فكبَّرُوا ثمَّ قالَ: **«إنّي لأرجو أنْ تكُونوا نصْفَ أهْلِ الجَنَّة»**، فكبَّروا، قال: **«لَا أَدْرِي قَالَ: الثُّلثيْنِ أمْ لا؟»**. قال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي صحيح مسلم: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك، وسَعدَيكَ، والخيرُ في يَدَيك. قال، يقول: أَخْرِجْ بعثَ النارِ، قالَ: ومَا بعثُ النارِ؟ قال: منْ كلِّ ألفٍ تسعُمئةٍ وتسعةٌ وتسعونَ»**. قال: **«فَذاكَ حينَ يشيبُ الصغيرُ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حَمْلَهَا، وتَرى الناسَ سُكارَى، ومَا هُم بسُكَارى، ولَكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ»**، قال: فاشْتَدَّ ذَلكَ علَى أصحابهِ، قَالُوا: يا رسول الله! أيُّنا ذَلكَ الرجل؟ فقال: **«أبشروا، فإنَّ مِنْ يأجوجَ و مأجوجَ ألفاً، ومنكم رجلٌ»**. وذكر الحديث بنحو ما تقدم في حديث عمران بن حصين، رضي الله عنهم أجمعين.

الإعراب: ﴿يَوۡمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل ﴿تَذۡهَلُ﴾ بعده، أو هو متعلق بـ: ﴿عَظِيمٌ﴾، أو هو متعلق بفعل محذوف تقديره: اذكر، أو هو بدل من ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾، فيكون مبنياً على الفتح في محل جر، أو هو بدل من ﴿زَلۡزَلَةَ﴾ بدل اشتمال؛ لأن كلا من الحدث، والزمان يصدق عليه أنه مشتمل على الآخر، ولا يجوز أن يتعلق بـ: ﴿زَلۡزَلَةَ﴾ لما يلزم عليه من الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر. ﴿تَرَوۡنَهَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوۡمَ﴾ إليها. ﴿تَذۡهَلُ﴾: مضارع. ﴿كُلُّ﴾: فاعله، و﴿كُلُّ﴾: مضاف، و﴿مُرۡضِعَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَمَّآ﴾: متعلقان بالفعل ﴿تَذۡهَلُ﴾. و(ما): تحتمل الموصولة، والمصدرية، فعلى الأول مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: عن الذي أرضعته، وعلى الثاني تؤول (ما) مع الفعل بمصدر في محل جر بـ: (عن)، التقدير: عن إرضاعها وليدها، وجملة: ﴿تَذۡهَلُ...﴾ إلخ مستأنفة على الوجه الأول في تعليق الظرف، وهي في محل نصب حال على الأوجه الباقية من الضمير المنصوب، أو من «الزلزلة»، أو من الضمير المستتر في ﴿عَظِيمٌ﴾ وإن كان مذكراً؛ لأنه هو الزلزلة في المعنى، أو من ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ وعلى هذه الوجوه فلا بد من تقدير ضمير يربطها بصاحب الحال، تقديره: تذهل فيها. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

(تضع): مضارع. ﴿كُلُّ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ذَاتِ﴾ مضاف إليه، و﴿ذَاتِ﴾ مضاف، و﴿حَمۡلٍ﴾ مضاف إليه. ﴿حَمۡلَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَتَضَعُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿تَذۡهَلُ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها. (ترى): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به، وعلى قراءة رفعه فهو نائب فاعله، والفعل مبني للمجهول. ﴿سُكَٰرَىٰ﴾: حال منصوب... إلخ، وجملة ﴿وَتَرَى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس» أو هي مهملة. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما)، أو هو مبتدأ. ﴿بِسُكَٰرَىٰ﴾: الباء: حرف جر صلة. (سكارى): خبر ما، أو خبر المبتدأ، والنصب، أو الرفع المحلّي مقدر على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ في محل نصب حال من الناس، وهذا على تقدير المستقبل حاضراً. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿عَذَابَ﴾: اسم (لكن) وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف. ﴿شَدِيدٌ﴾: خبر لكن، والجملة الاسمية هذه معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، وقال أبو حيان: معطوفة على محذوف مخالف لما بعد (لكن) في الحكم، لذا قدر الكلام كما يلي: فهذه الأحوال، وهي الذهول، والوضع، ورؤية الناس شبه السكارى هينة لينة، ولكن عذاب الله شديد، أي: ليس ليناً وهيناً.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾

الشرح: نزلت الآية الكريمة في النضر بن الحارث، كان كثير الجدل، وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث، وإحياء مَنْ صار تراباً. انظر ما ذكرته بشأنه في الآية رقم [٣١/ ٣٢] من سورة (الأنفال) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، ويقر عينك.

﴿وَيَتَّبِعُ﴾ أي: في جداله، أو في عامة أحواله. ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾: المراد به: إبليس وجنوده، أو المراد: شياطين الإنس، وهم رؤساء الكفر الذين يدعون أتباعهم إلى الضلال، والفساد، و﴿مَّرِيدٖ﴾ متمرد مستمر في الإضلال، والإفساد يقال: مرد من بابَيْ: نصر، وظرف: إذا عتا وتجبر، فهو مارد، ومريد، وجمعه: مردة، ومرد، وماردون، ومُرَّاد، ومؤنثه: مرداء. ومرد على الشيء: استمر عليه، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ رقم [١٠١] من سورة (التوبة). انظر شرح شيطان في أول سورة (السجدة) في البسملة، والاستعاذة.

هذا، و(الله) علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به؛ لتخلف شروط الإجابة التي أعظمها أكل الحلال، ولم يسم به أحد سواه، قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ أي: هل تعلم أحداً تسمى الله غير الله؟ وقد ذكر في القرآن الكريم في ألفين وثلاثمئة وستين موضعاً، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٤] من سورة (مريم) عليها السلام.

الإعراب: ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف استئناف. (من الناس): متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿يُجَٰدِلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿فِي ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِغَيۡرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أي: ملتبساً بغير علم، وجملة: ﴿يُجَٰدِلُ...﴾ إلخ صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، هذا هو الإعراب الظاهر، والمتعارف عليه في مثل هذه الجملة. وانظر ما ذكرته في مثلها في الآية رقم [٤٥] من سورة (النور) تجد ما يسرك. (يتبع): مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿شَيۡطَٰنٖ﴾ مضاف إليه. ﴿مَّرِيدٖ﴾: صفة ﴿شَيۡطَٰنٖ﴾، وجملة ﴿وَيَتَّبِعُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

الشرح: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾: قضى الله على الشيطان: ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾: تبعه، وتبع وساوسه، وزخارفه، وأحابيله. ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾: يضل من تولاه عن طرق الحق، والخير الموصل إلى

الجنة. ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: يقوده إلى طريق الشر الموصل إلى جهنم وبئس المصير. هذا؛ وقرئ (أنه) بفتح الهمزة، وكسرها في الموضعين.

هذا؛ و(السعير): النار الشديدة الاستعار، أي: الاحتراق، وهي واد في جهنم، أو دركة من دركات النار، وطبقاتها، والسُّعَيْر، كَزبَيرِ بصيغة المصغر: اسم صنم لبني عنزة قال رشيد بن رميض العنزي: [الوافر]

حلفْتُ بمائراتٍ حولَ عَوْضٍ وأنْصابٍ تُركْنَ لَدَى السُّعَيرِ

فعَوض عندهم صنم صغير، والسُّعَير صنم كبير، وخرج ابن أبي حلاس الكلبي على ناقته، فمرت به على ذلك الصنم، وقد ذبحت عنده قبيلة عنزة، فنفرت ناقته من الصنم، فأنشأ يقول: [الكامل]

نَفرتْ قَلوصي من عَتائرَ صُرِّعتْ حوْلَ السُّعَيرِ يزورُهُ ابنا يَقْدُمِ

وجموعُ يَذْكرَ مهطعينَ جنَابَهُ ما إنْ يُحيرُ إلَيهمُ بِتَكَلُّمِ

قال أبو المنذر: يقدم، ويذكر ابنا عنزة، فرأى بني هؤلاء يطوفون حول السُّعَيْر. انتهى بغدادي.

الإعراب: ﴿كُتِبَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان به. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وهي ضمير الشأن. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَوَلَّاهُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿فَأَنَّهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿يُضِلُّهُۥ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، وجملة: (يهديه...) إلخ معطوفة عليها فهي في محل رفع مثلها، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، التقدير: فله أن يضله، أي فله إضلاله، أو في محل رفع خبر مبتدأ محذوف، التقدير: فشأنه وحاله أن يضله، والجملة الاسمية على الاعتبارين في محل جزم جواب الشرط، وأيضاً على قراءة الكسر فإنه ينتج جملة اسمية في محل جزم جواب الشرط، وجملة الشرط والجواب في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾، هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَن﴾ موصولة فهي مبتدأ، وجملة: ﴿تَوَلَّاهُ﴾ صلته، والجملة الاسمية ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ على الاعتبارين في محل رفع خبره، وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿مَن تَوَلَّاهُ...﴾ إلخ على الاعتبارين في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع نائب فاعل ﴿كُتِبَ﴾، وعلى قراءته بالبناء للمعلوم، فالفاعل يعود إلى (الله)، والمصدر المؤول في محل نصب مفعول به. هذا؛ ويقرأ بكسر الهمزة في الموضعين، فالجملة الاسمية الأولى محكية بقول محذوف، أو هي محكية بـ: ﴿كُتِبَ﴾ على تضمينه معنى القول،

وجملة: ﴿كُتِبَ...﴾ إلخ في محل جر صفة ثانية لـ: ﴿شَيْطَٰنٍ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وهي على تقدير «قد» قبلها، وتبقى الجملة: ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: هذا النداء يعم جميع بني آدم. ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: في شك من الإعادة، والإحياء بعد الموت. والمراد بالبعث: الخروج من القبور بعد النفخة الثانية، وما يعقبها من الحساب، والميزان، والصراط... إلخ، مما يكون يوم القيامة. ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾: هذا الخلق من التراب على قولين: غير مباشر، ومباشر، فالأول خلق أبينا آدم من تراب، كما رأيت في سورة (الحجر) الآية رقم [٢٦]، والثاني: كل واحد منا خلق من التراب، وذلك إذا نظرنا إلى المادة التي يتخلق منها الإنسان، فإنها من الدم بلا ريب، والدم مصدره من الطعام، والشراب، وأنواع الغذاء، وكل ذلك مخرجه من التراب، كما هو معروف. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: وهو المني، سمي نطفة لقلته، ويكون من الرجل، والمرأة، والجمع: نطاف، ونطف، والنطفة: الماء الصافي قل، أو كثر. ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي: من دم جامد غليظ، وذلك أن النطفة تصير دماً غليظاً بعد أربعين يوماً من استقرارها في الرحم، والعلقة: دويبة سوداء تعيش في الأرض الرطبة، والجمع: علق. ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ في الفم، وهذا يكون بعد ثمانين يوماً من استقرار النطفة في الرَّحم.

﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي تامة الخلق، وغير تامة الخلق، وقيل: مصورة وغير مصورة، وقال ابن زيد: المخلقة التي خلق الله فيها الرأس، واليدين، والرجلين، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ التي لم يخلق فيها شيء. وقيل: المخلقة: الولد الذي تأتي به المرأة لوقته، وغير المخلقة: السقط، فكأنه سبحانه قسم المضغة قسمين: أحدهما تام الصورة، والحواس، والتخطيط، والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الأحوال كلها، وانظر الطورين الآخرين في الآية رقم [١٤] من سورة (المؤمنون).

هذا؛ وروى علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه ـ موقوفاً عليه، قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه، وقال: أي رب! مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة قذفها في الرحم دماً، ولم تكن نسمة، وإن قال: مخلقة، قال الملك: أي رب! أذكر، أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ ما الأجل؟ ما العمل؟ ما الرزق؟ بأي أرض تموت؟ فيقال له: اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك، فيذهب، فيجدها في أم الكتاب، فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ، وهو الصادقُ المُصَدَّقُ: **«إنَّ أَحَدكُمْ يُجمَعُ خلقُهُ في بطنِ أمِّهِ أربعين يَوماً، ثمَّ يكونُ علقةً مثلَ ذلِكَ، ثُمَّ يكونُ مضغةً مثلَ ذلك، ثُمَّ يُرسَلُ الملكُ، فينفخُ فيه الروحَ، ويُؤْمَرُ بأربع كلماتٍ، بكتبِ رزْقِهِ، وأجلِهِ، وعملِهِ، وشقيٌّ أوْ سعيدٌ، فوالذي لا إلهَ غيرهُ! إنّ أَحَدكُمْ ليَعْمَلُ بعمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ حتَّى مَا يكونُ بيْنَهُ وبيْنهَا إلّا ذراعٌ، فيسبقُ عليْهِ الكتابُ، فَيعملُ بعمَلِ أهلِ النارِ، فيدخُلُها، وإنَّ أَحَدكُمْ ليعملُ بعملِ أهلِ النار حتَّى ما يكونُ بينهُ وبيْنَها إلا ذراعٌ، فيسبِقُ عليْهِ الكتابُ فيعملُ بعمَلِ أهلِ الجنةِ فيَدْخُلُها»**. رواه البخاري، ومسلم.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ أي: وإنما نقلناكم من حال إلى حال، ومن خلقة إلى خلقة؛ لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا، وحكمتنا، وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولاً، ثم من نطفة ثانياً، ولا مناسبة بين الماء والتراب، وقدر أن يجعل النطفة علقة، والعلقة مضغة، والمضغة عظاماً؛ قدر على إعادة ما بدأه. ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ أي: نثبت في أرحام الأمهات. ﴿مَا نَشَآءُ﴾ أي: الذي نشاء ثبوته، والتعبير بـ: ﴿مَا﴾ عن الحمل، والمراد به العاقل من بني آدم؛ لأن الكلام على العلقة، والمضغة، وهما جماد قبل نفخ الروح فلذا صح التعبير عنهما بـ: ﴿مَا﴾ التي هي لغير العاقل. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت الولادة، أي وما لم نشأ ثبوته؛ أسقطته الأرحام.

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: وقت الولادة من بطون أمهاتكم، المراد بـ: ﴿طِفْلًا﴾ الجنس، ولذا لم يجمع، وأيضاً فإن العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد، قال الشاعر: [الكامل]

يا عَاذِلَاتي، لا تُرِدْنَ مَلَامَتي ... إنَّ العَواذلَ لَسْنَ لي بأَميرِ

لم يقل: بأمراء. وقال المبرد: هو اسم يستعمل مصدر كالرضا، والعدل، فيقع على الواحد وعلى الجمع، قال الله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ وانظر شرح: ﴿سَٰمِرًا﴾ في الآية رقم [٦٧] من سورة (المؤمنون). والطفل: ولد كل وحشية، والمطفل: ذات الطفل من الإنسان، والحيوان، والوحش... إلخ، والجمع: مطافل، ومطافيل. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ﴾ أي: كمال العقل، والقوة، والتمييز، والأشد جمع: شدة، كالأنعم جمع: نعمة، وقيل: هو من ألفاظ الجموع التي لا يستعمل لها واحد. ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ أي: عند بلوغ

الأشد، أو قبله، أو بعده. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: انظر الآية رقم [٧٠] من سورة (النحل) ففيها الكفاية لذوي الدراية.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إعادة الخلق بعد الموت، ومعنى ﴿هَامِدَةً﴾ يابسة ميتة، من: همدت النار: إذا صارت رماداً. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات، والاهتزاز: شدة الحركة. ﴿وَرَبَتْ﴾ أي: ارتفعت وزادت. ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾: من كل صنف من أصناف النبات. ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن جميل، والبهيج: هو الشيء المبهج، المشرق، النضير. ولا يخفى أن فاعل الاهتزاز، والربو، والإنبات إنما هو الله تعالى، وإسناده للأرض إنما هو من باب المجاز العقلي.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: انظر الآية رقم [١] ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿فِى رَيْبٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كُنتُمْ﴾، والجملة الفعلية هذه لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾: متعلقان بـ: ﴿رَيْبٍ﴾؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له. ﴿فَإِنَّا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿خَلَقْنَـٰكُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿مِّن تُرَابٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان محذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: مبتدئاً خلقكم من تراب. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وأيضاً ﴿مِنْ عَلَقَةٍ﴾، ﴿مِن مُّضْغَةٍ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: صفة مضغة. ﴿وَغَيْرِ﴾: معطوف على ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾، و(غير) مضاف، و﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مضاف إليه.

﴿لِّنُبَيِّنَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والمفعول محذوف، انظر الشرح، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور، قال الجمل: متعلقان بـ: ﴿خَلَقْنَـٰكُم﴾ على أن اللام فيه للعاقبة، وأرجح تعليقهما بمحذوف، انظر تقدير الكلام في الشرح، و(إنَّ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له كالجملة الندائية قبله. ﴿وَنُقِرُّ﴾: الواو: حرف استئناف. (نقر): مضارع مرفوع، والفاعل تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. هذا؛ ويقرأ الفعل بالنصب عطفاً على (نبين) كما يقرأ بالياء والتاء، وبالبناء للمعلوم، وبالبناء للمجهول قراءات. ﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: الذي نشاؤه. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: متعلقان بالفعل (نقر) وقيل: متعلقان بمحذوف حال، فيكون التقدير: ممتداً، أو مستقراً الجنين إلى أجل.

﴿مُّسَمًّى﴾: صفة ﴿أَجَلٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾: معطوف على (نقر) على رفعه، ونصبه، والفاعل تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به. ﴿طِفْلًا﴾: حال من الكاف، والميم، وانظر الشرح، وقيل: هو تمييز. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، أو العاقبة منصوب، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: ثم نربيكم لبلوغكم. هذا؛ وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ زائدة، وعليه فالجار والمجرور متعلقان بالفعل (نخرج) والأول أقوى. ﴿أَشُدَّكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿وَمِنكُم﴾: الواو: حرف استئناف. (منكم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مَّن﴾ وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّن﴾ أو صفتها. هذا؛ ويقرأ الفعل بالبناء للمعلوم، فيكون الفاعل عائداً إلى الله، وعائد من محذوف، التقدير: يتوفاه الله. هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الجملة، وانظر الآية رقم [٤٥] من سورة (النور)، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، وإعراب ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾ مثلها بلا فارق. ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما و﴿أَرْذَلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعُمُرِ﴾ مضاف إليه. ﴿لِكَيْلَا﴾ اللام: حرف تعليل وجر. و(كي): حرف مصدري، ونصب. (لا): نافية. ﴿يَعْلَمَ﴾: مضارع منصوب بـ: (كي)، والفاعل يعود إلى ﴿مَّن﴾. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَعْدِ﴾ مضاف ﴿عِلْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، واكتفى الفعل ﴿يَعْلَمَ﴾ بمفعول واحد؛ لأنه بمعنى: يعرف، وقيل تنازعه الفعل، والمصدر ﴿عِلْمٍ﴾، ولا أرى له وجهاً قوياً. و(كي) والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُرَدُّ﴾: التقدير: يرد إلى أرذل العمر لعدم علمه بعد علم شيئاً.

﴿وَتَرَى﴾: الواو: حرف استئناف. (ترى): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿هَامِدَةً﴾: حال من الأرض، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَإِذَآ﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمَآءَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَنزَلْنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور

المرجوح. ﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى الأرض، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله، وجملة: ﴿وَرَبَتۡ﴾ معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها، وأيضاً جملة: ﴿وَأَنۢبَتَتۡ...﴾ إلخ معطوفة عليه لا محل لها. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿زَوۡجِۭ﴾ مضاف إليه. ﴿بَهِيجٖ﴾: صفة ﴿زَوۡجِۭ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة، وتحويله على أحوال متضادة، وإحياء الأرض بعد موتها. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: الذي ذكر حاصل وموجود بسبب أن الله هو الثابت الذي لا يتغير، ولا يتبدل، ولا يحول، ولا يزول. ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي: يعيد الأرواح إلى الأبدان التي تفتتت، وصارت رمماً، بعد خلقها خلقاً جديداً. ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي: ومن كان كذلك فإنه لا يعجز عن إعادة الخلق كما بدأه، وهو أهون عليه، وله المثل الأعلى.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّ﴾: الباء: حرف جر. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو توكيد لاسم (أنَّ) على المحل. ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: خبر (أنَّ). هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ و﴿ٱلۡحَقُّ﴾ خبره، وتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (أنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يُحۡيِ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر معطوف على ما قبله، فهو في محل جر مثله، وأيضاً المصدر المؤول من ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ...﴾ إلخ معطوف عليه، فهو في محل جر مثله. هذا؛ وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلك. وقيل: مفعول به بفعل محذوف؛ أي: فعلنا ذلك. وعلى هذين القولين فالجار والمجرور متعلقان بالمحذوف المقدر. والأول هو المعتمد. تأمل!.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾

الشرح: المعنى ما ذكر الله من الدلائل فيما تقدم؛ لتعلموا علماً حقيقاً: أنَّ الساعة كائنة لا شك فيها، وأنَّها حق، وأنَّ إخراج الموتى من قبورهم واقع لا محالة؛ لأنه تعالى قد وعد

بذلك، ولا يخلف الله وعده. وانظر شرح ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ في الآية رقم [٤٩] من سورة (الأنبياء)، وعلاماتها في الآية رقم [٩٦]منها.

الإعراب: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾: (أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر، وهذا المصدر معطوف على ما قبله من حيث اللفظ، وليس عطفاً في المعنى، بل لا بد من تقدير فعل يتضمنه؛ أي: وليعلموا: أن الساعة آتية، والجار والمجرور الناتجان من: «ليعلموا» معطوفان على قوله: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وعلى هذا فالمصدر المؤول من: (أن الساعة آتية) في محل نصب سد مسد مفعول الفعل المقدر. وقيل: المصدر المؤول خبر مبتدأ محذوف. والأول أقوى. ﴿لَّا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿رَيْبَ﴾: اسم ﴿لَّا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر ﴿لَّا﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ في محل رفع خبر ثان؛ لـ: (أنَّ)، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، وفيها معنى التوكيد. ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَبْعَثُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلْقُبُورِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿يَبْعَثُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر معطوف على ما قبله على جميع الوجوه المعتبرة فيه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: هذا الكلام تقدم بحروفه في الآية رقم [٣] وليس مكرراً بمعناه، وإن تكرر لفظه؛ لأن الآية الأولى واردة في المقلِّدين ـ بكسر اللام ـ لتقليدهم، واتباعهم للشيطان، وهذه واردة في المقلَّدين ـ بفتح اللام ـ قال الزمخشري: وهو أوفق وأظهر في المقام. ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي: لا سند له في جداله، وليس معه بيان من الله، وليس هو على بينة من أمره. ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أي: وليس معه كتاب منزل من الله ينير له طريقه، بل هو يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء.

تنبيه: قيل: نزلت الآية في أبي جهل الخبيث، والمعتمد: أنها نزلت في النضر بن الحارث كما في الآية رقم [٣] وخصوص السبب لا يمنع التعميم، ففي كل زمان وفي كل مكان يوجد مجادلون في الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، وما أكثرهم في هذا الزمن، الذي كثر فيه الملحدون، والمجرمون، ومن هذا الصنف مَنْ يدعي: أن الإيمان في القلب، وليس في الصوم، والصلاة، ومنهم من يدعي: أنه لا يكذب، ولا يؤذي الناس، وهذا هو الدين عنده، ويهمل ما أوجب الله من فرائض، وواجبات دينية زادهم الله خزياً، وندامة يوم القيامة.

الإعراب: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن...﴾ إلخ: انظر الآية المذكورة ففيها الكفاية. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿هُدًى﴾: معطوف على ﴿عِلْمٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليس عينها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿كِتَٰبٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مُّنِيرٍ﴾: صفة ﴿كِتَٰبٍ﴾.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ أي: لاوٍ جنبه، وعنقه متبختراً لتكبره، معرضاً عمَّا يدعى إليه من الحق تكبراً، فهو كقوله تعالى في الآية رقم [٨٣] من سورة (الإسراء): ﴿أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾. هذا؛ وقال المبرد: العِطْف: ما انثنى من العنق. وقال المفضل: والعطف: الجانب، ومنه قولهم: فلان ينظر في أعطافه؛ أي: في جوانبه، وعِطْفَا الرجل: من لدن رأسه إلى وَرِكَيْهِ. هذا؛ وكلٌّ بكسر العين، ويقرأ بفتح العين بمعنى: العطف، والشفقة، فيكون المعنى: مانع تعطفه، وشفقته على غيره. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليمنع الناس، ويصدهم عن دين الله، وهو بضم الياء من الرباعي، ويقرأ بفتحها من الثلاثي، فيكون المعنى: إن إعراضه عن الهدى المتمكن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى إلى الضلال. هذا؛ ومصدر الثلاثي: الضلال، ومصدر الرباعي: الإضلال.

﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: عذاب، وهوان، وهو وعد من العلي القدير، وقد حقق الله وعده؛ حيث قتل يوم بدر صبراً. انظر الآية رقم [٣١ و٣٢] من سورة (الأنفال). ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: عذاب النار المحرق، فقد جمع الله عليه خزي الدنيا، وعذاب الآخرة. هذا؛ وانظر شرح (سبيلاً) في الآية رقم [٤٣] من سورة (الإسراء) أما «الذوق» فيكون محسوساً، ومعنوياً، وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول: اركب هذا الفرس فذقه؛ أي: اختبره، وانظر فلاناً، فذق ما عنده. قال الشماخ يصف قوساً: [الطويل]

فذَاقَ، فَأَعْطَتهُ مِنَ اللِّينِ جَانِباً كَفَى وَلَهاً أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

وأصله من الذوق بالفم، و(ذوقوا) في كثير من الآيات للإهانة، وفيه استعارة تبعية تخييلية، وفي (العذاب) استعارة مكنية، حيث شبه العذاب بشيء يدرك بحاسة الأكل، وشبه الذوق بصورة ما يذاق، وأثبت للذوق تخييلاً.

أما (يضل) من الثلاثي فأكثر استعماله في القرآن الكريم بمعنى الكفر، والخروج عن جادة الحق والصواب، وهو ضد: اهتدى، واستقام، ويأتي «ضل» بمعنى: غاب، كما في قوله

تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ وضل الشيء: ضاع وهلك، وضل: أخطأ، ولولا هذا المعنى؛ لكفر أولاد يعقوب بقولهم لأبيهم في حضرته: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ وقولهم في غيبته: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. وضل: تحير، وهو أقرب ما يفسر به قوله تعالى لحبيبه محمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.

الإعراب: ﴿ثَانِىَ﴾: حال من فاعل ﴿يُجَٰدِلُ﴾ المستتر، و﴿ثَانِىَ﴾ مضاف، و﴿عِطْفِهِۦ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِيُضِلَّ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وفاعله يعود إلى (من)، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُجَٰدِلُ﴾ أو بـ: ﴿ثَانِىَ﴾. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿خِزْىٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. وأجيز اعتبارها حالاً من فاعل ﴿يُجَٰدِلُ﴾ أيضاً. ﴿وَنُذِيقُهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (نذيقه): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، ويوم مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به ثان، و﴿عَذَابَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْحَرِيقِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الموصوف لصفته، والجملة الفعلية ﴿وَنُذِيقُهُۥ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾: الإشارة إلى العذاب المذكور في الآية السابقة، أي: يقال له يوم القيامة إذا دخل النار: ذلك العذاب بما قدمت يداك من الكفر، والمعاصي. وعبر باليدين عن الجملة؛ لأن سائر الأعمال بهما، ولأن اليد هي التي تفعل، وتبطش للجملة. وفي الكلام التفات من الغيبة في الآية السابقة إلى الخطاب في هذه الآية، وانظر الالتفات في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء). ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: ليس المراد بـ ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾ المبالغة حتى تنتفي المبالغة، ويبقى أصل الظلم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد نفي نسبة الظلم إليه تعالى؛ إذ المعنى: ليس بذي ظلم، وينبغي أن تعلم: أن الآية الكريمة قد ذكرت بحروفها في سورة (آل عمران) برقم [١٨٢]، وفي سورة (الأنفال) برقم [٥١] مع اختلاف المراد في كل سورة، وانظر شرح «اليد» في الآية رقم [٦٤] من سورة (مريم) على نبينا، وحبيبنا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، وانظر شرح ﴿عِبَادِىَ﴾ في الآية رقم [١٠٥] من سورة (الأنبياء). هذا؛ واسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى: «هذا» ودخلت عليه اللام للتهويل، والتفظيع.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له: ﴿بِمَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، وهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿قَدَّمَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿يَدَاكَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء قدمته يداك. ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (ظلام): خبر ﴿لَيْسَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾: متعلقان بـ: (ظلام)، وجملة: ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ في محل رفع خبر (أنَّ). وأن واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر معطوف على (ما)، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول محذوف، انظر تقديره في الشرح، والقول المقدر ومقوله كلام مستأنف لا محل له، وإذا قدرت الفعل: «ونقول له» فالجملة الفعلية معطوفة على جملة (نذيقه. . .) إلخ وبدون تقدير الواو معها فالجملة تكون في محل نصب حال من فاعل (نذيقه).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

الشرح: قال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره، وماله، فتشاءم بالإسلام، فأتى النبي ﷺ، فقال: أقلني! فقال: «**إن الإسلام لا يقال**» فقال: إني لم أصب في ديني هذا خيراً، ذهب بصري، ومالي، وولدي، فقال: «**يايهوديُّ! إن الإسلام يسْبِكُ الرجال، كما تَسْبِكُ النارُ خبثَ الحديدِ، والفضةِ، والذهبِ**». فأنزل الله هذه الآية.

وروى إسرائيل عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: أنها نزلت في قوم من الأعراب، كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم، فكان أحدهم إذا قدم المدينة، فصح بها جسمه، ونتجت بها فرسه مهراً، وولدت امرأته غلاماً، وكثر ماله؛ قال: هذا دين حسن، وقد أصبت فيه خيراً، واطمأن له، وإن أصابه مرض، وولدت امرأته جارية، ولم تلد فرسه، وقل ماله؛ قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً، فينقلب عن دينه، فذلك هو الفتنة، فأنزل الله هذه الآية. وهذا يعني: أن الآية وما بعدها مدنيات، وانظر ما ذكرته في أول السورة.

ومعنى ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: على شك، وحقيقته: أنه على ضعف في عبادته، كضعف القائم على حرف مضطرب فيه، وحرف كل شيء طرفه، وشفيره، وحده، ومنه: حرف الجبل، والحائط الذي غير مستقر، فقيل للشاك في الدين: إنه يعبد الله على حرف؛ لأنه لم يدخل فيه على الثبات، والتمكن. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ أي: صحة في جسمه، وسعة في معيشته. ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾: رضي به، وسكن إليه. ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: بلاء في جسمه، وضيق في معيشته. ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: ارتد، ورجع على عقبه إلى ما كان عليه من الكفر. هذا؛ و(أصاب) يحتمل معاني كثيرة، تقول: أصاب السهم، يصيب: لم يخطئ هدفه.

وأصاب الرجل في قوله، أو رأيه: أتى بالصواب. وأصاب فلاناً البلاء، يصيبه: وقع عليه.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي: خسر في الدنيا العزة، والكرامة، ولا يبقى دمه وماله مصوناً، وفي الآخرة مآله النار، وبئس القرار. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الظاهر؛ الذي لا خسران مثله. هذا؛ وقد قيل في تفسير الخسران في الآخرة: أنه جعل لكل واحد من بني آدم منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة، وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار، فذلك هو الخسران، وأي خسران أعظم من هذا الخسران. وانظر الآية رقم [١٠] من سورة (المؤمنون) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وفي الآية استعارة تمثيلية، وهي أنه نزّل من دخل في الإسلام، من غير اعتقاد، وصحة قصد منزلة الحالّ على طرف شيء في تزلزله، وعدم ثباته، وفي تقريره بيان للمعنى المراد المجازي انتهى. . جمل نقلاً عن كرخي.

بعد هذا انظر شرح الدنيا في الآية رقم [٧٢] من سورة (طه)، والمراد بـ (الآخرة) الحياة الثانية، التي تكون بعد الموت، ثم بعد الحساب، والجزاء، ودخول الجنة، والخلود فيها، أو دخول النار، والخلود فيها. وانظر شرح (العبادة) في الآية رقم [٦٦] من سورة (الأنبياء)، وانظر شرح ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في الآية رقم [١] منها.

أما ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ فهو اسم فاعل من أبان الرباعي، أصله: المُبْيِن بسكون الباء، وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ولا تنس: أن اسم الفاعل من «بان» الثلاثي: «بائن» أصله باين، وإعلاله مثل إعلال: قائم في الآية رقم [٢٦] الآتية.

الإعراب: ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف استئناف. (من الناس): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿يَعْبُدُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، أو الرابط. ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿يَعْبُدُ﴾ المستتر، أي: متزلزلاً، وجملة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن...﴾ إلخ

مستأنفة لا محل لها، وانظر الآية رقم [٤٥] من سورة (النور) تجد ما يسرك. ﴿فَإِنْ﴾: الفاء: حرف استئناف وتفريع. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَصَابَهُ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به. ﴿خَيْرٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿اطْمَأَنَّ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم جواب الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، ومفرع عما قبله لا محل له.

وإعراب: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ﴾ مثلها بلا فارق. ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿خَسِرَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾. ﴿الدُّنْيَا﴾: مفعول به منصوب. ﴿وَالْآخِرَةَ﴾: معطوف على الدنيا، والجملة الفعلية: ﴿خَسِرَ...﴾ إلخ تحتمل الاستئناف، فلا محل لها، وتحتمل الحالية من فاعل ﴿انْقَلَبَ﴾، ولا حاجة إلى إضمار «قد» على الصحيح، وتحتمل البدلية من قوله ﴿انْقَلَبَ﴾، كما أبدل المضارع من مثله في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ هذا؛ ويقرأ: (خاسر) على أنه اسم فاعل، وهو حال من فاعل ﴿انْقَلَبَ﴾، وعليه فهو مضاف، و﴿الدُّنْيَا﴾ مضاف إليه، ويكون (الآخرة) معطوفاً على ﴿الدُّنْيَا﴾ مجروراً مثله. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو بدل من ذلك. ﴿الْخُسْرَانُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿الْمُبِينُ﴾: صفته، هذا؛ وإن اعتبرت (هو) مبتدأ، و﴿الْخُسْرَانُ﴾ خبره. فتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾: يعبد من دون الله، وانظر (يدعو) في الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء)، وانظر (دون) في الآية رقم [١٤] من سورة (الكهف)، وشرح لفظ الجلالة في الآية رقم [٣] ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾: المراد به: الصنم الذي لا يضره إن أعرض عن عبادته، وتقديسه، والذي لا ينفعه بشيء إن أطاعه، وعبده. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ أي: من الرشد، والحق، والصواب. و﴿الضَّلَالُ﴾ مصدر «ضل» الثلاثي: وانظر الآية رقم [٩] فهو مستعار من ضَلال مَنْ أبعدَ في التيه ضلالاً، أو هو مجاز عقلي، على حد: جد جده؛ لأن البعيد في الحقيقة إنما هو الضال؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق، فوصف به فعله.

الإعراب: ﴿يَدْعُوا﴾: مضارع مرفوع. وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال،

و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿لَا يَضُرُّهُۥ﴾ صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع الفاعل إليها. ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق، وجملة: ﴿يَدْعُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من فاعل ﴿خَسِرَ﴾ العائد إلى ﴿مَن﴾ فتكون حالاً متداخلة. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: إعراب هذه الجملة ومحلها مثل إعراب: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ بلا فارق. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَدْعُواْ﴾ أي: يعبد ذلك الشخص المذكور في الآية رقم [١١]. ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾: لقد أثبت الله للصنم في هذه الآية الضر، والنفع، ونفاهما عنه في الآية السابقة، فحصل التعارض، والتناقض، والجواب: أن الصنم لا يضر، ولا ينفع بنفسه، ولكن بسبب عبادته، فنسب الضرر إليه، كما في قوله تعالى حكاية عن قول إبراهيم ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ حيث أضاف إلى الأصنام الإضلال، من حيث إنها سبب الضلال، وحاصله: أن الصنم لا ضرر له، ولا نفع له بنفسه، وله ذلك بسبب معبوديته، أما الضرر؛ فظاهر، وأما النفع؛ فبزعم عابديه، وانظر شرح الآية السابقة.

هذا؛ والضر ـ بفتح الضاد ـ شائع في كل ضرر، ومصيبة، وبضم الضاد خاص بما في النفس كمرض، وهزال. وفي القاموس المحيط: الضر، والضرر: ضد النفع، والشدة، والضيق، وسوء الحال والنقصان يدخل في الشيء، والجمع: أضرار، وانظر ما ذكرته في رقم [٨٣] من سورة (الأنبياء). أما ﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾، فإنه يطلق ويراد به الإله المعبود بحق، كما يطلق على السيد، والعبد، والحليف، والنصير، والصاحب، وابن العم، وانظر شرح (بئس) في الآية رقم [٧٨]. ﴿ٱلْعَشِيرُ﴾: المصاحب، والمعاشر..

الإعراب: ﴿يَدْعُواْ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَن﴾ أيضاً. ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ...﴾ إلخ: قال أبو البقاء رحمه الله تعالى: هذا موضع اختلفت فيه آراء النحاة، وسبب ذلك: أن اللام تعلق الفعل الذي قبلها عن العمل إذا كان من أفعال القلوب، و(يدعو) ليس منها، وهم في ذلك على طريقين:

أحدهما: أن يكون ﴿يَدْعُواْ﴾ غير عامل فيما بعده، لا لفظاً، ولا تقديراً، وفيه على هذا ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون تكريراً لـ: ﴿يَدْعُواْ﴾ الأولى، فلا يكون له معمول، قال ابن هشام: وهذا خلاف الأصل مرتين؛ إذ الأصل عدم التوكيد، والأصل أن لا يفصل المؤكد من توكيده، ولا سيما في التوكيد اللفظي. الثاني: أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الحج: ١٠] بمعنى «الذي»

في موضع نصب. بـ: ﴿يَدْعُواْ﴾ أي: يدعو الذي هو الضلال. ولكنه قدم المفعول، قال ابن هشام: وهذا الإعراب لا يستقيم عند البصريين؛ لأن (ذا) لا تكون عندهم موصولة إلا إذا وقعت بعد (ما) أو (مَنْ) الاستفهاميتين. انتهى. أي وهذا يجيزه الكوفيون. الثالث: أن يكون التقدير: ذلك هو الضلال البعيد يدعوه، فالجملة الفعلية في محل نصب حال، والمعنى: ذلك هو الضلال البعيد مدعواً. وقال أبو البقاء: وفيه ضعف، ولم يضعفه ابن هشام، وعلى هذه الأوجه الكلام بعده مستأنف و(مَنْ) مبتدأ، والخبر جملة: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ...﴾ إلخ.

الطريق الثاني: أن ﴿يَدْعُواْ﴾ متصل بما بعده، وفيه على هذا ثلاثة أوجه أيضاً: أحدها: أنَّ ﴿يَدْعُواْ﴾ يشبه أفعال القلوب؛ لأن معناه: يسمي مَنْ ضرُّه أقرب من نفعه إلهاً، ولا يصدر ذلك إلا عن اعتقاد، فكأنه قال: يظن. والأحسن أن تقديره: يزعم؛ لأن «يزعم» قول مع اعتقاد، والثاني: أن يكون ﴿يَدْعُواْ﴾ بمعنى يقول، و(مَنْ) مبتدأ، و(ضره) مبتدأ ثان، و(أقرب) خبره، والجملة الاسمية صلة (مَنْ)، وخبر (مَنْ) محذوف، تقديره: إله، أو إلهي، وموضع الجملة نصب بالقول، وجاء (يدعو) بمعنى «يقول» في قول عنترة: [الكامل]

يَدعونَ عَنْتَرَ والرماحُ كأنها أشطانُ بئرٍ في لَبَانِ الأدْهَمِ

﴿لَبِئْسَ...﴾ إلخ، مستأنف؛ لأنه لا يصح دخوله في الحكاية؛ لأن الكفار لا يقولون عن أصنامهم: لبئس المولى، والوجه الثالث: قول الفراء، وهو أن التقدير: يدعو من لضره، ثم قدم اللام على موضعها. وهذا بعيد؛ لأن ما في صلة «الذي» لا يتقدم عليها. انتهى. بتصرف كما رأيت.

هذا؛ وقيل: إن اللام زائدة، ورده ابن هشام بقوله: وهذا مردود؛ لأن زيادة اللام في غاية الشذوذ، فلا يليق تخريج التنزيل عليه، ونقل الجمل عن السمين قوله: وزيدت اللام فيه، كما زيدت في قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ في أحد القولين. وقرأ عبد الله: (يدعو من ضره...) إلخ بغير لام الابتداء، وهي مؤيدة لهذا الوجه. انتهى. هذا؛ وقال القرطبي: وقال الفراء، والكسائي، والزجاج: معنى الكلام القسم، والتأخير، أي: يدعو والله لمن ضره أقرب من نفعه، فاللام مقدمة في غير موضعها، و(مَنْ) في موضع نصب بـ: ﴿يَدْعُواْ﴾، واللام جواب القسم. وضعف النحاس تأخير اللام، وقال: ليس للام من التصرف ما يوجب أن يكون فيها تقديم، ولا تأخير، وأخيراً استحسن النحَّاس اعتبار ﴿يَدْعُواْ﴾ بمعنى يقول. انتهى. بتصرف كبير. ﴿لَبِئْسَ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف. (بئس): ماض جامد دال على إنشاء الذم. ﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾: فاعله، والمخصوص بالذم محذوف. والجملة الفعلية لا محل لها على الاعتبارين في اللام، والكلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿يَدْعُواْ...﴾ إلخ بدل مما قبلها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾

الشرح: قال القرطبي: لما ذكر الله حال المشركين، وحال المنافقين، والشياطين؛ ذكر حال المؤمنين في الآخرة أيضاً. وقال الجمل: وعبارة أبي حيان: لما ذكر تعالى من يعبده على حرف، وسفَّه رأيه، وتوعَّده بخسرانه في الآخرة، عقَّبه بذكر حال مخالفهم من الإيمان، وما وعدهم به من الوعد الحسن، ثم أخذ في توبيخ أولئك الأولين، كأنه يقول: هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق، وظنوا: أن الله لن ينصر محمداً ﷺ وأتباعه، ونحن أمرناهم بالصبر، وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك فليمدد... إلخ. الآية الآتية.

وأنا أقول: لقد اقتضت سنة الله في كتابه، وحكمته، ورحمته ألَّا يذكر التكذيب من الكافرين، والمنافقين؛ إلا ويذكر التصديق من المؤمنين، ولا يذكر الإيمان إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة؛ إلا ويذكر النار، ولا يذكر الرحمة؛ إلا ويذكر الغضب، والسخط؛ ليكون المؤمن راغباً، راهباً، خائفاً، راجياً.

هذا؛ والإيمان الصحيح هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان، ولما سئل الرسول ﷺ عنه قال: «**الإيمانُ أَنْ تُؤمنَ بالله، ومَلَائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَوم الآخِرِ، والقَدَرِ خيْرِهِ، وشَرِّه منَ الله تَعَالى**». والإيمان يزيد، وينقص على المعتمد، كما رأيت في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال) وله شعب كثيرة، هي سبع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله... وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وهو بفتح الهمزة جمع: يمين، بمعنى الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه. واليمين أيضاً: اليد اليمنى، وتجمع أيضاً على: أيمان، كما في قوله تعالى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: من إثابة الموحِّد الصالح، وعقاب المشرك، لا دافع له، ولا مانع، فالأول بحكم وعده الصدق، وبفضله، والثاني بما سبق من عدله، لا أنَّ فعله تعالى معلل بفعل العبيد. هذا؛ والإرادة: نزوع النفس، وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه، ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع، والأول مع الفعل، والثاني قبله، وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به، ولذا اختلف في معنى إرادته، فقيل: إرادته لأفعاله: أنه غير ساه، ولا مكره، ولأفعال غيره أمره بها، فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته، وقيل: علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل، والوجه الأصلح، وهذا الأخير هو المقبول؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، وانظر الآية رقم [١٨].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُدۡخِلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿ءَامَنُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وما بعدها معطوف عليها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به ثان ليدخل، ويقال فيه مثل ما قيل في قوله تعالى: ﴿ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ في الآية رقم [١٠٤] من سورة (الإسراء). ﴿تَجۡرِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ. ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: فاعل ﴿تَجۡرِي﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿جَنَّٰتٍ﴾، وجملة: ﴿يُدۡخِلُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَفۡعَلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يفعل الذي، أو شيئاً يريده، وجملة: ﴿يَفۡعَلُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، وفيها معنى التوكيد للجملة قبلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾

الشرح: في مرجع الضمير المنصوب اختلاف، فقيل: المراد به النبي ﷺ، وإن لم يجر له ذكر، والمعنى عليه: من كان يظن مِمَّن يعادي محمداً ﷺ، ومن يعبد الله على حرف: أنا لا ننصره؛ فليفعل كذا، وكذا. ونصره في الدنيا بإعلاء كلمته، وإظهار دينه. وفي الآخرة بإعلاء درجته، والانتقام ممن كذبه بعذاب النار. وقيل: الضمير يعود إلى الدين، والمعنى لا يختلف عن الأول، وقيل: يعود الضمير إلى ﴿مَن﴾ ومعنى النصر: الرزق، وعليه فالمعنى: من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، فليبلغ غاية الجزع، وهو الاختناق، فإن ذلك لا يجعله مرزوقاً. تقول العرب: من نصرني؛ نصره الله، أي من أعطاني؛ أعطاه الله.

هذا؛ وأرى: أن الآية تشمل كل من لم يرض بقضاء الله وقدره، ويتبرم بما يصيبه في هذه الدنيا من متاعب، ومصائب في جسمه، أو ولده، أو ماله. فإذا لم يرض بذلك فليفعل ما أرشده إليه ربه في هذه الآية من الانتحار بأيِّ سبب من الأسباب؛ ليرى هل ينفعه ذلك شيئاً، أو يخلصه من متاعبه، ومصائبه؟! وخصوص السبب لا يمنع التعميم، كما بينته كثيراً فما مضى.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾: بحبل. والسبب: ما يتوصل به إلى الشيء، وجمعه: أسباب. وأسباب السموات: طرقها، ونواحيها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هذا؛ والمراد بالسماء: سقف البيت، والمعنى: فليمدد إلى سقف بيته، ثم ليختنق؛ حتى يموت. ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾: والمعنى: فليفعل كل ما يستطيع من الكيد، وليصور في نفسه: أنه فعل ذلك؛ هل يذهب عنه الذي يغيظه؟ وسمي فعله كيداً على سبيل الاستهزاء؛ لأنه لم يكد به غيره، وإنما كاد به نفسه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿يَظُنُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾ أيضاً. ﴿أَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه. ﴿لَّن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يَنصُرَهُ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَّن﴾، والهاء مفعوله. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَن﴾، و﴿أَن﴾ واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿يَظُنُّ﴾، وجملة: ﴿يَظُنُّ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (الآخرة): معطوف على ﴿ٱلدُّنْيَا﴾. ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ليمدد): مضارع مجزوم بلام الأمر، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿بِسَبَبٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (سبب)، وجملة: ﴿فَلْيَمْدُدْ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: هو جملة جواب الشرط، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَن﴾ موصولة مبتدأ، والجملة بعدها صلتها، والخبر جملة: ﴿فَلْيَمْدُدْ...﴾ إلخ، وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وهو ضعيف؛ لأن الجملة الإنشائية لا يجيز كثير من النحاة وقوعها خبراً، كما ذكرته فيما مضى، وانظر الآية رقم [٢] من سورة (النور).

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لْيَقْطَعْ﴾: مضارع مجزوم بلام الأمر، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، والمفعول محذوف، التقدير: ليقطع السبب، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وجملة: ﴿فَلْيَنظُرْ...﴾ إلخ معطوفة عليها أيضاً. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿يُذْهِبَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهي حرف لا محل له. ﴿كَيْدُهُۥ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَغِيظُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، التقدير: الذي، أو: شيئاً يغيظه، هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر، التقدير: هل يذهبن كيده غيظَه، وجملة: ﴿هَلْ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعول (ينظر) المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ...﴾ إلخ المعنى: أنزلنا القرآن على محمد ﷺ إنزالاً كائناً مثل إنزال الكتب السابقة على الرسل السابقين قبله. وقيل: المعنى: أنزلنا القرآن الباقي. ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات ظاهرات الدلالة. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾: له الهداية، والتوفيق للإيمان، أو من يريد ثباته على الإيمان. وانظر شرح (أنزل) و(نزل) في الآية رقم [٢] من سورة (طه) وشرح (آية) في الآية رقم [٥] من سورة (الأنبياء) وانظر شرح الإرادة في الآية رقم [١٤] وشرح ﴿يُرِيدُ﴾ في الآية رقم [١٨] الآتية.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، عامله ما بعده. انظر الشرح. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿ءَايَٰتٍۭ﴾: حال من الضمير المنصوب، وهي حال موطئة؛ لأن المقصود الصفة، وهي ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾، وكلتاهما منصوب، وعلامة نصبهما الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مؤنث سالماً. ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَهْدِى﴾: مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلة ﴿مَن﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يهدي الذي، أو: شخصاً يريده، وجملة: ﴿يَهْدِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر معطوف على الضمير المنصوب، التقدير: وأنزلنا: أن الله يهدي... إلخ، وأجيز أن يكون المصدر المؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: والأمر: أن الله، وهذا يعني: أن الجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال، كما أجيز اعتبار المصدر مجروراً بحرف جر محذوف، التقدير: ولأن الله... إلخ، والأول أقوى معنىً، وأتمُّ سبكاً. تأمَّل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: بالله تعالى رباً، وبالقرآن إماماً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وشفيعاً. ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: هم اليهود سموا بذلك لمَّا تابوا من عبادة العجل، من: هاد بمعنى: تاب، ورجع، ومنه قوله تعالى حكاية عن قولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أو سموا بذلك نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، وهو أكبر أولاده. (الصابئين): جمع: صابئ، قيل: إنهم من اليهود، وقيل: إنَّهم من النصارى، ولكنهم عبدوا الملائكة، وقيل: عبدوا الكواكب، والصابئ: هو التارك

لدينه، من: صبأ يصبأ، صبأة، وقد كان كفار قريش، يقولون لمن يُسْلِم منهم: صبأ. (النصارى): جمع: نصراني، سموا بذلك؛ لأنهم نصروا عيسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. أو لأنهم كانوا معه في قرية، يقال لها: نصران، أو ناصرة، فسموا باسمها، أو باسم من أسسها، قال سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ: لا يستعمل نصراني في الكلام إلا مع ياء النسب.

(المجوس): هم عبدة النار، القائلين: إن للعالم أصلين: نور، وظلمة. ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾: هم العرب عبدة الأوثان. قيل: الأديان ستة، واحد لله، وهو الإسلام، وخمسة للشيطان، وهي ما عدا الإسلام. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: بالحكومة بينهم، وإظهار المحق منهم من المبطل، أو الجزاء، فيجازي كلاًّ ما يليق به، ويدخله المحلَّ المعدَّ له، وقيل: يفصل بينهم في الأحوال، والأماكن جميعاً، فلا يجازيهم جزاءً واحداً بغير تفاوت، ولا يجمعهم في موطن واحد، وانظر الآية رقم [١٩] الآتية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: عالم حاضر، فلا يعزب عنه شيء من أعمال خلقه، وحركاتهم، وأقوالهم. هذا؛ وانظر شرح ﴿شَىْءٍ﴾ في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء)، وشرح ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ في الآية رقم [٤٧] منها، وشرح لفظ الجلالة في الآية رقم [٣].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿ءَامَنُواْ﴾: ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب (قالوا) في الآية رقم [٢٧] من سورة (مريم) عليها السلام، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله. ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾: معطوف على اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ. ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾: معطوف أيضاً على اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾: معطوفان على اسم ﴿إِنَّ﴾ أيضاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَفْصِلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿يَفْصِلُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى، قال الزمخشري: وأدخلت ﴿إِنَّ﴾ على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد، ونحوه قال جرير من قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن الوليد، بن عبد الملك: [البسيط]

إنَّ الخليفةَ إنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ ... سِرْبَالَ عزٍّ بهِ تُرْجى الخَوَاتيمُ

قال الجمل: وحسن دخول ﴿إِنَّ﴾ في الخبر، وإن كان جملة واقعة خبراً عن ﴿إِنَّ﴾ طول الفصل بينهما بالمعاطيف. وقال أبو البقاء: وقيل: الخبر محذوف، تقديره: مفترقون يوم

القيامة، أو نحو ذلك، والمذكور تفسير له. انتهى. والمعتمد الأول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَهِيدٌ﴾ بعدهما و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿شَهِيدٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. هذا؛ وأجيز اعتبارها خبراً لـ: ﴿إِنَّ﴾ الأولى، والجملة الثانية توكيداً للأولى. والمعتمد الأول.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم. وقال القرطبي: أي: ألم تر بقلبك، وعقلك. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾: ﴿مَن﴾ في الأصل للعاقل، واستعملت هنا للعاقل، وغيره تغليباً. ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ...﴾ إلخ: قيل: السجود في هذه الآية تحول ظلال هذه الأشياء، فتكون كآية (الرعد) رقم [١٥]، وآية (النحل) رقم [٤٨] وقيل: ما في السماء نجم، ولا شمس، ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه. وقيل: معنى سجودها: الطاعة، والانقياد، فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله تعالى، خاشع، ومسبح له، كما وصفهم بالخشية، والتسبيح، كما رأيت في الآية رقم [٤٤] من سورة (الإسراء)، وهذا مذهب أهل السنة، وهو: أن الأجسام لما كانت قابلة لجميع الأعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع ألبتة؛ أشبهت بمطاوعتها أفعال المكلف، وهو السجود الذي كل خضوع دونه، وأفرد الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب بالذكر لشهرتها، واستبعاد السجود منها.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: ويسجد له كثير من الناس سجود عبادة، وطاعة، وتخصيص (كثير من الناس) بالذكر مع كونه من جملة الموجودات في الأرض ليذكر بعده: أن كثيراً من الناس لا يعبدون الله، ولا يطيعونه، وهم الذين استحقوا العذاب، وهو قوله جل شأنه: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾. ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ أي: من أهانه بالشقاء والكفر لا يقدر أحد على دفع الهوان عنه، وهذا يعود إلى تقدير العزيز العليم في الأزل على من كتب له الشقاوة، وانظر الآية رقم [٢٧] من سورة (الرعد) فالبحث فيها جيد. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يكرم بالسعادة من يشاء، ويهين بالشقاوة من يشاء، فلا اعتراض عليه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ هذا؛ وهذه الآية يسن السجود عند تلاوتها للقارئ، والمستمع، والسامع. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٧] من سورة (مريم)، والآية رقم [٥٠] من سورة (النحل) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. وانظر ما ذكرته برقم [٧٧] الآتية.

بعد هذا انظر شرح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء)، وانظر شرح (الناس) في الآية رقم [١] منها، أما (الدواب) فهو جمع: دابة، وهي تشمل كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان، وحيوان. هذا؛ و﴿يَشَآءُ﴾ ماضيه: شاء، فلم يرد له أمر، و لا لـ: «أراد» فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف، وأصل (شاء): شيء على فعل بكسر العين، بدليل شئت شيئاً، وقد قلبت الياء ألفاً؛ لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وقد كثر حذف مفعوله، وحذف مفعول (أراد) حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشيء المستغرب، مثل قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ وقال الشاعر الخزيمي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكي دَماً لَبَكَيْتُهُ عَلَيْه ولَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقيد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد «لو» وليس كذلك.

الإعراب: ﴿أَلَمۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَسۡجُدُ﴾: مضارع. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان به. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل: ﴿يَسۡجُدُ﴾. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه. ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾: هذه الأسماء معطوفة على ﴿مَن﴾ الأولى، وجملة: ﴿يَسۡجُدُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول، أو مفعولي الفعل ﴿تَرَ﴾، وجملة: ﴿أَلَمۡ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَكَثِيرٞ﴾: فيه أوجه: أحدها: أنه مرفوع بفعل محذوف، تقديره: ويسجد له كثير من الناس. الثاني: أنه معطوف على ما قبله، وفي ذلك ثلاث تأويلات: أحدها: أن المراد بالسجود: القدر المشترك بين الكل العقلاء وغيرهم، وهو الخضوع، والطواعية، وهو من الاشتراك المعنوي، والتأويل. الثاني: أنه مشترك اشتراكاً لفظياً، ويجوز استعمال المشترك في معنييه. والتأويل الثالث: أن السجود المسند للعقلاء حقيقة، ولغيرهم مجاز، ويجوز الجمع بين الحقيقة، والمجاز.

الثالث من الأوجه المتقدمة: أن يكون (كثير) مرفوعاً بالابتداء، وخبره محذوف، تقديره: مثابون، أو: مطيعون، ونحو ذلك. ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ: (كثير) أو بمحذوف صفة له. ﴿وَكَثِيرٌ﴾: الواو: حرف استئناف. (كثير): مبتدأ، ومتعلقه محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: وكثير منهم. ﴿حَقَّ﴾: ماض. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وقيل: إن (كثير) معطوف على ﴿مَن﴾، وجاز ذلك؛ لأن السجود هو التذلل، والانقياد،

فالكفار الذين حق عليهم العذاب أذلاء تحت قدر الله، وتدبيره، فهم منقادون لما سبق فيهم من علم الله، لا يخرجون عما سبق في علم الله تعالى فيهم. انتهى. مكي. والمعتمد الأول. تأمل.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم لفعل شرطه، أو هو مبتدأ. ﴿يُهِنِ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها على اعتبار (من) مفعولاً مقدماً. ﴿فَمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ما): نافية. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿مُّكْرِمٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وخبر (مَنْ) على اعتباره مبتدأ مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١٥]، وعلى الاعتبارين في (مَنْ) فالجملة الشرطية مستأنفة لا محل لها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَفْعَلُ﴾ مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يفعل الذي، أو: شيئاً يشاؤه، وجملة: ﴿يَفْعَلُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للكلام قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. تأمل، وتدبر.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: لقد ذكر في سبب نزول هذه الآيات ثلاثة أقوال:

الأول: أنها في الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، رضي الله عنهم، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، لعنهم الله، وأخزاهم، قال محمد بن إسحاق: خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، ودعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم فئة من الأنصار ثلاثة: عوف، ومعوذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء، وعبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: أكفاء كرام، ثم نادى مناديهم: يا محمد! أخرج لنا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا عبيدة بن الحارث، وياحمزة بن عبد المطلب، ويا علي بن أبي طالب**» فلما دنَوْا منهم، قالوا: من أنتم؟ فذكروا أنفسهم، قالوا: نعم أكفاء كرام، فبارز عبيدة، وكان أسن القوم عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد، فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة، وعليٌّ الوليد، واختلف عبيدة، وعتبة بينهما ضربتان، كلاهما أثخن صاحبه،

فكر حمزة، وعلي بأسيافهما على عتبة، فذفَّفا عليه، واحتملا عبيدة إلى أصحابه، وقد قُطِعت رجله، ومخها يسيل، فلما أتوا به رسول الله ﷺ قال: ألست شهيداً يا رسول الله! قال: «**بلى!**»، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيّاً لعلم: أنَّا أحق بما قال منه، حيث يقول: [الطويل]

وَنُسْلِمُهُ حتَّى نُصَرَّعَ حوْلهُ ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائِلِ

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت الآيات في المسلمين، وأهل الكتاب، قال أهل الكتاب، أي: اليهود: نحن أولى بالله، وأقدم كتاباً منكم، ونبيُّنا قبلَ نبيكم. وقال المسلمون: نحنُ أحقُّ بالله، آمنَّا بنبينا محمد ﷺ، ونبيِّكُمْ، وبما أنزل الله مِنْ كتَابٍ، وأنتمْ تعرفون نبينا، وكتابنا؛ وقد كفرتم حسداً، وبغضاً. فهذه هي خصومتهم.

وقال عكرمة: المراد بالخصمين: الجنة، والنار، فقد اختصمتا، فقالت النار: خلقني الله لعقوبته، وقالت الجنة: خلقني لرحمته. فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**احتجَّتِ الجنةُ، والنارُ، فقالت النارُ: فيَّ الجبَّارُونَ، والمتكبِّرُونَ. وقالت الجَنَّةُ: فيَّ ضعفاءُ المُسلمينَ، ومَساكينهُمْ. فقضى الله بينهُمَا: إنكِ الجنَّةُ رحمتي، أرحمُ بكِ مَنْ أشَاءُ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابي، أُعذِّبُ بكِ مَنْ أَشَاءُ، ولكلَيكمَا عليَّ ملؤها**». رواه مسلم، وفي روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه رواها البخاري، ومسلم: «**فأمَّا النارُ فلَا تَمْتَلئُ حتَّى يضَعَ الله تَبارَكَ وتَعَالى رجْلهُ فتقولُ: قطْ، قطْ، فهنالكَ تمتَلئُ، ويُزوَى بعضها إلى بعضٍ، ولا يظْلِمُ ربّكَ أحداً منْ خَلْقِهِ. وأمَّا الجنةُ فإنَّ الله تعالى ينْشئ لهَا خلقاً**».

وقيل: هم المؤمنون، والكافرون من أيِّ ملة كانوا، فالمؤمنون خصم، والكفار خصم. والمعتمد من هذه الأقوال هو القول الأول، فقد روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إني لأول من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى، يريد قصته في مبارزته، هو وصاحباه. ذكره البخاري.

بعد هذا فـ: ﴿خَصْمَانِ﴾ تثنية خصم، وهو هنا بمعنى فريق، أو فوج، على حد قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾؛ ولذا جمع في قوله تعالى: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ ومعنى ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾ في دينه، أو في ذاته، أو في صفاته. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: ـ وهو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى في الآية رقم [١٧]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ـ ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾: قال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: ثياب من نحاس مذاب، وليس من الآنية شيء إذا حمي أشد حراً منه، وسمي باسم الثياب؛ لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب، وهي السرابيل المذكورة في الآية رقم [٥٠] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. هذا؛ وقيل: في الكلام استعارة تمثيلية، وليس بشيء؛ لأنه حقيقة، كما رأيت من قول سعيد بن جبير.

﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ أي: الماء الحار الذي انتهت حرارته. ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾: يذاب بالحميم، والصهر: إذابة الشحم، وغيره من المعادن على اختلاف أنواعها، ولا سيما في هذا العصر، قال ابن أحمر يصف فرخ قطاة: [الرجز]

تَـرْوِي لُـقـىً أُلْـقِـيَ فـي صـفـصـفٍ ... تَـصْـهَـرُهُ الـشـمـسُ فَـمَـا يَـنْـصَـهِـرْ

أي: تذيبه الشمس، فيصبر على ذلك، واللقى: الشيء الملقى لهوانه، والصفصف: المستوي من الأرض. فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الحميمَ لَيُصَبُّ على رؤوسهِمْ، فينفذُ حتَّى يخلُصَ إلى جوفِ أحدِهِمْ، فَيسْلتُ ما في جَوْفِهِ حتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيهِ، وَهُوَ الصَّهرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ**». أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. ولا تنس: قوله في سورة (محمد) ﷺ: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾. ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾ أي: تحرق الجلود، أو تشوى الجلود، فإن الجلود لا تذاب، ولكن يضم في كل شيء ما يليق به، فهو كما تقول: أتيته فأطعمني ثريداً، أي والله ولبناً قارصاً، قال الشاعر: [الرجز]

عَـلَـفْـتُـهَـا تـبِـنْـاً وَمَـاءً بـارِداً ... حَـتَّـى غَـدَتْ هَـمَّـالَـةً عَـيْـنَـاهَـا

ولنا كلام طويل في تفسير قوله تعالى في سورة (الحشر): ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ إن شاء الله تعالى. وانظر الآية رقم [١٢] من سورة (الفرقان)، ففيها بحث جيد. بعد هذا انظر شرح: ﴿رَبِّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] من سورة (الإسراء)، وشرح (الكفر) في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء)، وشرح (النار) في الآية رقم [١٠] من سورة (طه). أما ﴿ثِيَابٌ﴾ فهو جمع: ثوب، والقياس: ثواب، فقلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها. انظر إعلال الصيام في الآية رقم [١٨٣] من سورة (البقرة)، فالبحث فيها جيد.

الإعراب: ﴿هَٰذَانِ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، وبعضهم يقول: مبني على الألف يعتبره مبنياً كباقي أسماء الإشارة، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿خَصْمَانِ﴾: خبر المبتدأ مرفوع. . .إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، ومن إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ في محل رفع صفة ﴿خَصْمَانِ﴾ على المعنى كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ وقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾، وقال الجمل: حالية، ولا أراه وجيهاً؛ لأن خصمان نكرة، إلا إذا كان يريد من الضمير المستتر في خصمان على تأويله بفريق ونحوه، وأجيز اعتبارها خبراً، وخصمان بدلاً من ﴿هَٰذَانِ﴾ والمعتمد الأول. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق

المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿قُطِّعَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿ثِيَابٌ﴾: نائب فاعل. ﴿مِّن نَّارٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثياب، وجملة: ﴿قُطِّعَتْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَالَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة كالجملة الاسمية قبلها لا محل لهما. هذا؛ وعلى اعتبار الجملة الاسمية: ﴿فَالَّذِينَ...﴾ إلخ تفصيلاً، وبياناً لفصل الخصومة في الآية رقم [١٧] فيكون ما بينهما كلاماً معترضاً، تأمل. ﴿يُصَبُّ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿مِن فَوْقِ﴾: متعلقان به، و﴿فَوْقِ﴾ مضاف، و﴿رُءُوسِهِمُ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿الْحَمِيمُ﴾: نائب فاعل ﴿يُصَبُّ﴾، والجملة الفعلية هذه تحتمل أن تكون خبراً ثانياً للموصول، وأن تكون حالاً من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾، وأن تكون مستأنفة لا محل لها. ﴿يُصْهَرُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿بِهِ﴾: متعلقان به. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل. ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة ﴿مَا﴾ والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يُصْهَرُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿الْحَمِيمُ﴾، والرابط: الضمير المجرور بالباء. ﴿وَالْجُلُودُ﴾: معطوف على ﴿مَا﴾ الواقعة نائب فاعل، هذا؛ وقيل: هو نائب فاعل لفعل محذوف، التقدير: وتحرق الجلود، وعليه فالجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يُصْهَرُ...﴾ إلخ فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ أي: للذين كفروا. و﴿مَقَامِعُ﴾ جمع: مقمعة بكسر الميم؛ لأنها آلة القمع، يقال: قمعه، يقمعه من باب: قطع: إذا ضربه بشيء يزجره به، ويذله، والمقمعة: المطرقة، وقيل: السوط، وفي الخبر: «لَوْ وقعَ مقمعٌ منْ حديدٍ في الأرضِ، ثم اجتمعَ عليهِ الثقلانِ ما أقلُّوه منَ الأرضِ». ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: من النار. ﴿مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي: ردوا إليها بالمقامع. قيل: إن جهنم لتجيش بهم، فتلقيهم إلى أعلاها، فيريدون الخروج منها، فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد، فيهوون فيها سبعين خريفاً، وقيل: إذا اشتد غمهم فيها؛ فروا، فمن خلص منهم إلى شفيرها؛ أعادتهم الملائكة فيها بالمقامع، ويقولون لهم: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: المحرق، مثل: الأليم، والوجيع. بعد هذا انظر (نذيقه) والاستعارة فيه في الآية رقم [٩]، وشرح ﴿عَذَابَ﴾ في الآية رقم [٤٦] من سورة (الأنبياء). هذا؛ والتعبير بالأفعال الماضية عن شيء مستقبل إنما هو لتحقق وقوعه، وهذا التعبير مستعمل في القرآن الكريم بكثرة.

الإعراب: ﴿وَلَهُم﴾: الواو: حرف استئناف. (لهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّقَامِعُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾: متعلقان بمحذوف

صفة ﴿مَقَامِعُ﴾. ﴿كُلَّمَآ﴾ (كلَّ): ظرفية متعلقة بجوابها؛ إذ هي تحتاج إلى جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. (ما): مصدرية توقيتية. ﴿أَرَادُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، و(ما) والفعل (أراد) في تأويل مصدر في محل جر بإضافة (كل) إليه، التقدير: كل وقت إرادة، وهذا التقدير، وهذه الإضافة هما اللذان سببا الظرفية لـ: (كل)، وقيل: (ما) نكرة موصوفة، والجملة الفعلية بعدها صفة لها، وهي بمعنى وقت أيضاً. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَخْرُجُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنْ غَمٍّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما بدل من ﴿مِنْهَا﴾ بدل الاشتمال، و﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿أُعِيدُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب ﴿كُلَّمَآ﴾ لا محل لها. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿كُلَّمَآ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. (ذوقوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَرِيقِ﴾ مضاف إليه من إضافة الموصوف لصفته، وجملة: (ذوقوا...) إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقيل لهم: ذوقوا... إلخ، وهذه الجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، ويدل على هذا المحذوف التصريح به في سورة (السجدة) آية رقم [٢٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ .. مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: انظر شرح هذا الكلام وما يتعلق به في الآية رقم [١٤] وأضيف هنا: أنه يشمل العاملين الصالحين من الذكور، والإناث، وأن الله تعالى لما ذكر حال الخصم الكافر في الآيات السابقة؛ ذكر حال المؤمن في هذه الآية.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾: انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [٣١] من سورة (الكهف). هذا؛ ويقرأ بجر (لؤلؤ) ونصبه، ويقرأ بهمز ودونه، وبقلب الهمزتين ياء، وغير ذلك. ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ أي: وجميع ما يلبسونه من فرشهم، ولباسهم، وستورهم حرير، وهو أعلى مما في الدنيا بكثير.

هذا؛ وروى النسائي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدُّنيَا؛ لَمْ يلْبَسْهُ في الآخرةِ. ومَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدُّنيَا؛ لَمْ يَشرِبْهُ في الآخرَةِ. ومَنْ شَرِبَ في آنيةِ الذَّهب والفِضَّةِ في الدُّنيَا؛ لَمْ يَشربْ فيهَا في الآخرةِ**». ثم قال ﷺ: «**لَباسُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وشَرَابُ أَهلِ الجنَّةِ، وآنيَةُ أَهْلِ الجَنَّةِ**». وانظر «السندس والإستبرق» في الآية رقم [٣١] من سورة (الكهف).

هذا؛ وقد غير سبحانه وتعالى الأسلوب؛ حيث لم يقل: (ويلبسون حريراً) للمحافظة على الفواصل، على رؤوس الآي، وللدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة، فإن العدول إلى الجملة الاسمية يدل على الثبوت، والدوام بخلاف الجملة الفعلية، فإنها تدل على التجدد، كما هو مقرر في علم المعاني، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ انظر إعراب هذا الكلام إفراداً وجملاً في الآية رقم [١٤]. ﴿يُحَلَّوْنَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله وهو المفعول الأول. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة مفعول به ثان، أي: شيئاً كائناً من أساور، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف، هذا؛ ويجوز على مذهب الأخفش اعتبار ﴿مِنْ﴾ زائدة في الإيجاب، فيكون ﴿أَسَاوِرَ﴾ مفعولاً ثانياً، مجروراً لفظاً، منصوباً محلاً. ﴿مِن ذَهَبٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَسَاوِرَ﴾. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾: مفعول به لفعل محذوف، التقدير: ويؤتون لؤلؤاً، أو هو معطوف على محل ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾؛ لأنه يقدر: ويحلون شيئاً كائناً من أساور، ولؤلؤاً. هذا؛ وعلى قراءته بالجر، فهو معطوف على ﴿ذَهَبٍ﴾، فيكون المراد أساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ. وجملة: ﴿يُحَلَّوْنَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَلِبَاسُهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لباسهم): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالمصدر. ﴿حَرِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها، فتكون في محل نصب حال مثلها، وهو قوي معنى، وسبكاً.

﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهو: شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: هو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: إلى دين الله، وهو الإسلام، والحميد هو الله المحمود في أفعاله، والمحمود في كل لسان، الممجد في كل مكان على كل حال. هذا؛ وقيل: الأول في الآخرة حيث يلهمهم الله أن يقولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ...﴾ إلخ، وأن يقولوا: (الحَمْدُ للهِ الَّذي أَذْهَبَ عنَّا الحَزنَ) والثاني في الآخرة أيضاً، والمراد به طريق الجنة المحمود عاقبته. هذا؛ ومعنى (هدوا) أرشِدوا، أو: وُفِّقوا.

الإعراب: ﴿وَهُدُوٓا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (هدوا): ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة

الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلطَّيِّبِ﴾ وقيل: من الضمير المستتر، والجملة الثانية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وإعرابها مثلها أيضاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: قال القرطبي: أعاد الكلام إلى مشركي العرب حين صدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام عام الحديبية، وذلك: أنه لم يُعلم لهم صَدّ قبل ذلك الجمع، إلا أن يريد صدّهم لأفراد من الناس، فقد وقع ذلك في صدر المبعث، هذا؛ والمراد بـ: (المسجد الحرام) نفسه، وهو ظاهر القرآن. وقيل: بل المراد الحرم كله، والأول هو المعتمد، هذا؛ ووصف المسجد بالحرام تنويهاً بشأنه، ورفعةً لقدره، وتعظيماً لحرمته، ومعنى (الحرام): المحرم فيه اللغو، والرفث، والإيذاء، وكل فعل قبيح، وعمل فاحش، وإن كان في غيره حراماً، فهو أشد فيه حرمة، وكذلك محرم على الكفار، فلا يجوز أن يدخله كافرٌ أبداً. وانظر شرح (الحرام) في الآية رقم [٩٥] من سورة (الأنبياء)، وانظر الآية رقم [١] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ أي: قبلةً لصلاتهم، ومنسكاً، ومتعبداً. ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ﴾ أي: المقيم فيه، وقال بعضهم: يدخل فيه الغريب إذا جاور، وأقام به، ولزم التعبد فيه. ﴿وَٱلْبَادِ﴾ أي: مَنْ يقدم عليه من خارج مكة، واختلف الفقهاء والمحدثون في هذه التسوية بين المقيم، والقادم.

فقيل: التسوية في تعظيم الكعبة، وفي فضل الصلاة فيه، والطواف به، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «**يَا بني عبدِ منافٍ لا تمنعوا أحداً طافَ بهذا البيتِ، وَصَلَّى أَيَّةَ ساعةٍ شاء من لَيلٍ، أو نَهارٍ**». أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي.

وقيل: المراد: جميع الحرم، ومعنى التسوية: أن المقيم، والبادي سواء في النزول به، وليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر؛ غير أنه لا يزعج أحدٌ أحداً إذا كان قد سبق إلى منزله، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد. قالوا: هما سواء في البيوت، والمنازل، قال عبد الرحمن بن سابط: كان الحجاج إذا قدموا، لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم، وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في الموسم.

فعلى هذا القول، لا يجوز بيع دور مكة، وإجارتها. قالوا: إن أرض مكة لا تملك؛ لأنها لو ملكت لم يستو فيها العاكف والبادي، فلما استويا؛ ثبت: أن سبيلها سبيل المساجد، وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى، وعلى القول الأول، وهو الأقرب إلى الصواب، ولا سيما في

هذا العصر، الذي يبلغ فيه عدد الحجاج كل عام مئات الألوف، وقد تطورت فيه الأوضاع الاجتماعية والسياسية، والعمرانية: أنه يجوز بيع دور مكة، وإجارتها، وهو قول طاووس، وعمرو بن دينار، وإليه ذهب الشافعي، رحمه الله تعالى، وقد احتج في ذلك بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فقد أضاف الديار إلى مالكيها، وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: **«مَنْ أغلَقَ بَابَهُ، فهُو آمِنٌ، ومَنْ دخلَ دَارَ أبي سفْيَانَ فهُوَ آمنٌ»**. فنسب الديار إليهم نسبة ملك، واشترى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ دار صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم، وجعلها سجناً، فدلت هذه النصوص على جواز بيعها.

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾ أي: في المسجد الحرام. ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾: الإلحاد: الميل، والعدول عن القصد. قيل: المراد فيه هنا: الشرك، وعبادة غير الله تعالى. وقيل: هو كل شيء كان منهياً عنه من قول، أو فعل؛ حتى شتم الخادم، وهو المعتمد، وقيل: هو دخول الحرم بغير إحرام، أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم، من قتل صيد، وقطع شجر. والمعتمد ما ذكرته. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: انظر الاستعارة في الآية رقم [٩].

هذا؛ و(يصدون) بمعنى: يمنعون، ويصرفون، وهو بضم الصاد. هذا؛ ويأتي بمعنى: يعرضون، ويميلون، كما في قوله: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ ويأتي بضم الصاد، وكسرها، كما يأتي بمعنى: يضجون فرحاً، وهو بكسر الصاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ومصدر الأولين: صد، وصدود، ومصدر الأخير: صديد.

أما ﴿سَوَاءً﴾ فهو مصدر بمعنى الاستواء، فلذا صح الإخبار به عن متعدد في كثير من الآيات. وقيل: هو بمعنى مستو. وهو لا يثنى، ولا يجمع، قالوا: هم، وهما سواء، فإذا أرادوا لفظ المثنى؛ قالوا: سيان، وإن شئت قلت: سواءان، وفي الجمع: هم أسواء، وهذا كله ضعيف، ونادر، وأيضاً على غير القياس: هم سواسٍ، وسواسية، أي: متساويان، ومتساوون، هذا؛ والسَّواء أيضاً: العدل، والوسط، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وانظر الآية رقم [١٠٩] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿كَفَرُوا﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. (يصدون): مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿وَيَصُدُّونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة، على تأويل الفعل بالماضي، أي: وصدوا، أو على تأويل الأول بالمضارع، أي: يكفرون، ويصدون، وقيل: جملة: (يصدون. . .) إلخ في محل نصب حال، وهذا لا يسوغ إلا على تقدير مبتدأ، أي: وهم

يصدون؛ لأن الجملة المضارعية الواقعة حالاً لا تقترن بالواو، وعلى هذه الاعتبارات؛ فخبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف، يقدر بعد ﴿وَٱلْبَادِۚ﴾ معذبون. هذا؛ وقيل: الواو زائدة، والجملة الفعلية خبر ﴿إِنَّ﴾ وهو أقوى معنى مما تقدم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣١] من سورة (الرعد) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱلْمَسْجِدِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿ٱلْحَرَامِ﴾: صفة (المسجد). ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة أو بدل من (المسجد). ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول. هذا؛ وأجيز اعتبار الموصول مفعولاً به لفعل محذوف، تقديره: أعني الذي، واعتباره خبر مبتدأ محذوف. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب. ﴿سَوَآءً﴾: بالنصب حال من الضمير المنصوب، أو هو مفعول به ثان. ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾: فاعل بسواء، ويقرأ بالجر على أنه بدل من الناس. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالعاكف. ﴿وَٱلْبَادِۚ﴾: معطوف على ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة، وقرئ بإثباتها، هذا؛ ويقرأ برفع سواء على أنه خبر مقدم، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان، أو هي في محل نصب حال من الضمير المنصوب.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبتدأ. ﴿يُرِدْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾: قال البيضاوي: حالان مترادفان، أو الثاني بدل من الأول بإعادة الجار وصلة له، أي: ملحداً بسبب الظلم، وهذا يعني: أن الحال من فاعل ﴿يُرِدْ﴾ المستتر، هذا؛ والمعتمد: أن الباء زائدة، و(إلحاد) مفعول به مجرور لفظاً، منصوب محلاً، و﴿بِظُلْمٍ﴾ متعلقان بمحذوف صفة له. ﴿نُّذِقْهُ﴾ جواب الشرط، والفاعل تقديره: «نحن». والهاء مفعول به. ﴿مِنْ عَذَابٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة ﴿عَذَابٍ﴾، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١٥] والجملة الاسمية: ﴿وَمَن...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾: يقال: بوأته منزلاً، وبوأت له، كما يقال: مكنتك ومكنت لك، والمبوأ: المنزل الملزوم، ومنه بوأه الله منزلاً، أي: ألزمه إياه، وأسكنه فيه، قال الرسول ﷺ: **«منْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعمِّداً فلْيَتَبوَّأْ مقعَدَهُ منَ النَّارِ»**. أخرجه البخاري عن أبي هريرة، رضي الله عنه. هذا؛ وقيل: المعنى: أرينا إبراهيم مكان البيت ليبنيه، وكان قد درس بالطوفان،

وغيره، فلما جاءت مدة إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام ـ أمره الله ببنيانه، فجاء إلى موضعه، وجعل يطلب أثراً، فبعث الله ريحاً، فكشفت عن أساس آدم على نبينا وعليه ألف صلاة وألف سلام، فرتب قواعده كما رأيت في الآية رقم [١٢٧] من سورة (البقرة).

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾: الخطاب لإبراهيم عليه السلام، وهذا على سبيل الفرض والتقدير، فحاشاه من الشرك. هذا؛ ويقرأ: (أن لا يشرك بي شيئاً): وانظر الإعراب فإنه يوضح المعنى.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ أي: من الشرك، والأوثان، والأقذار. ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ أي: الذين يطوفون بالبيت. ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ أي: المقيمين فيه. ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي: المصلين، جمع: راكع، وساجد. هذا؛ وينبغي أن تعلم: أن إبراهيم عليه السلام قد أمر ببناء البيت بعد أن أسكن ولده إسماعيل وأمه هاجر في مكة بسنوات، وهي يومئذ أرض، لا ماء فيها، ولا أنيس، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٧] من السورة المسماة باسمه، فبعد أن شب إسماعيل، وترعرع ذهب أبوه إلى مكة، وأخبره: أن الله أمره ببناء الكعبة، انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢٧] وما قبلها وما بعدها من سورة (البقرة).

هذا؛ وقد سها القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال: وقيل: عنى به التطهير من الأوثان، كما قال تعالى ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ وذلك أن جرهماً والعمالقة كانت لهم أصنام في محل البيت وحوله قبل أن يبنيه إبراهيم عليه السلام. انتهى. فهل كان يوجد في مكة ناس قبل سكنى إسماعيل، وأمه؟! وهل كان يوجد ماء فيها؟! وهل سكنت قبيلة جرهم في مكة قبل سكنى إسماعيل وأمه؟!

بعد هذا انظر عمر إبراهيم، وانظر أولاده، وأحفاده في الآية رقم [٧١] من سورة (هود) عليه السلام، وانظر شرح ﴿شَىْءٍ﴾ في الآية [٣٠] من سورة (الأنبياء). أما القائمين فهو جمع: قائم، فهو اسم فاعل من: قام، يقوم، وأصله قاوم، فقلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، ولم يعتد بالألف الزائدة، لكونها حاجزاً غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية منهما همزة، ومثله قل: في: بائع، فإن أصله: بايع.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المقدر. ﴿بَوَّأْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقال أكثر المعربين: اللام: حرف جر صلة، و(إبراهيم) مفعول به مجرور لفظاً منصوب محلاً، وهذا يعود إلى معنى (بوأنا) فمن قال: معناه: أرينا إبراهيم؛ فهو مفعول به، ومن قال: معناه: بينا؛ فاللام غير زائدة. ﴿مَكَانَ﴾: مفعول به ثان على اعتبار اللام زائدة، ومفعول به على اعتبار اللام غير زائدة. وقيل: هو ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والمعتمد الأول بدليل قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾. و﴿مَكَانَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْبَيْتِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿بَوَّأْنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها، وجملة: «اذكر إذ...» إلخ المقدرة مستأنفة لا محل لها.

﴿أَن﴾: قيل: مفسرة على تقدير فعل: وأمرناه، وقيل: هي زائدة على تقدير فعل. وقلنا له: ﴿لَّا تُشْرِكْ﴾. وقيل: هي مصدرية على تقدير: فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي... إلخ. واعتبرها أبو حيان، وابن عطية مخففة من الثقيلة، وهو ضعيف كما ترى؛ لأنها لم يسبقها فعل من أفعال القلوب، ونحوها. ﴿لَّا﴾: ناهية. ﴿تُشْرِكْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَّا تُشْرِكْ...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار ﴿أَن﴾ تفسيرية، وفي محل نصب مقول القول لقول محذوف على اعتبارها زائدة، وتؤول مع ﴿أَن﴾ بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، على اعتبارها مصدرية، ويقويه قراءة: (أن لا يشرك) بالياء؛ إذ التقدير: لئلا يشرك. (طهر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بَيْتِىَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾: معطوف على ما قبله. وأيضاً ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ معطوف أيضاً، وهما صفتان لموصوف محذوف؛ إذ التقدير: الرجال الركع السجود، وجملة: ﴿وَطَهِّرْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات فيها.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾: هذا الخطاب لإبراهيم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فإنه لما فرغ من بناء الكعبة بمعاونة ابنه إسماعيل، عليه السلام، كما رأيت فيما سبق؛ أمره ربه بأن ينادي في الناس، فقال: وما يبلغ صوتي؟ فقال الله له: عليك الأذان، وعلي الإبلاغ، فصعد جبل أبي قبيس، حتى صار كأطول الجبال، فأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، وقال: يا أيها الناس! ألا إن ربكم قد بنى بيتاً، وكتب عليكم الحج إليه، فأجيبوا ربكم. فأجابه كل من يحج من أصلاب الرجال، وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك، فمن أجاب يومئذٍ حج، إن أجاب مرة فمرة، وإن أجاب مرتين فمرتين... إلخ.

هذا؛ وزعم الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ أن المأمور بالتأذين هو محمد ﷺ، أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أَيُّهَا الناسُ قَدْ فرضَ الله عليكمُ الحجَّ فحُجُّوا**». فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى

قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نعَمْ لوَجَبَتْ، ولَمَا استَطَعْتم...**». إلخ الحديث رواه مسلم. هذا؛ والمعتمد: أن الأمر في الآية لإبراهيم.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي: مشاة على أرجلهم، جمع: راجل. وإنما قال: ﴿يَأْتُوكَ﴾ وإن كانوا يأتون الكعبة؛ لأن المنادي إبراهيم، فمن أتى الكعبة حاجاً، فكأنما أتى إبراهيم عليه السلام؛ لأنه أجاب نداءه، وفيه تشريف، وتعظيم له، هذا؛ وفي ﴿رِجَالًا﴾ قراءات كثيرة، قال النحاس: في جمع (راجل) خمسة أوجه. وإنما قدم الرجال على الركبان لزيادة تعبهم في المشي، ودل ذلك على أنَّ حج الراجل أفضل من حج الراكب. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما آسى على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ما شياً. هذا؛ والركوب أفضل إذا كانت المسافة بعيدة، ويلحق الحاج بالمشي مشقة شديدة.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: على كل بعير مهزول ضعيف أتعبه السفر، وهو بمعنى: ضوامر، ودلت ﴿كُلِّ﴾ على العموم، فلذا جمع الضمير في ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: جماعة الإبل. هذا؛ وقرئ (يأتون) صفة الرجال، والركبان. ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: من كل طريق بعيد، وانظر ما ذكرته في (مرضع) في الآية رقم [٢].

قال النسفي: قال محمد بن ياسين: قال لي شيخ في الطواف: من أين أنت؟ قلت: من خراسان، قال: كم بينكم وبين البيت؟ قلت: مسيرة شهرين، أو ثلاثة، قال: فأنتم جيران البيت، فقلت: أنت من أين جئت؟ قال: من مسيرة خمس سنوات، خرجت وأنا شاب، فاكتهلت، قلت: والله هذه الطاعة الجميلة، والمحبة الصادقة، فقال: [البسيط]

زُرْ مَنْ هَوِيتَ، وَإنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ ... وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ

لا يَمْنَعَنَّكَ بُعْدٌ عَنْ زِيارَتِهِ ... إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يَهْواهُ زَوَّارُ

هذا؛ ومن المعلوم: أنه لم يبق بعد في هذه الأيام.

الإعراب: ﴿وَأَذِّن﴾: الواو: حرف عطف. (أذن): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: معلناً بالحج، وجملة: ﴿وَأَذِّن...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة. ﴿يَأْتُوكَ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط مقدر، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للطلب. ﴿رِجَالًا﴾: حال من واو الجماعة، وساغ ذلك؛ لأنه بمعنى: «ماشين» كما رأيت. ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بحال محذوفة معطوفة على ما قبلها، التقدير: وركباناً على كل، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿ضَامِرٍ﴾ مضاف إليه. ﴿يَأْتِينَ﴾: مضارع مبني على

السكون، والنون فاعله. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿فَجٍّ﴾: مضاف إليه. ﴿عَمِيقٍ﴾: صفة ﴿فَجٍّ﴾، وجملة: ﴿يَأْتِينَ...﴾ إلخ في محل جر صفة (كل ضامر).

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)﴾

الشرح: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: ليحضروا منافع لهم دينية، ودنيوية على تفاوتها، واختلاف أنواعها. ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾: قيل: المراد: أيام عشر ذي الحجة، وأعتمد: أنها يوم عيد الأضحى، وأيام التشريق بعده، وهي ثلاثة أيام، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ الآية رقم [٢٠٣] من سورة (البقرة). ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: المراد بها: الضحايا، والهدايا تكون من النَّعم، وهي: الإبل، والبقر، والغنم. وانظر رقم [٣٤]. وهذا يقوي: أن الأيام المعلومات هي: يوم النحر، وأيام التشريق؛ لأن التسمية على بهيمة الأنعام تكون عند نحرها، ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام، وانظر شرح ﴿الْأَنْعَامِ﴾ في الآية رقم [٢١] من سورة (المؤمنون).

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: هذا الأمر للإباحة، وليس بواجب، وذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، فأمر الله بمخالفتهم. واتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعاً، يجوز للمهدي أن يأكل منه، وكذلك أضحية التطوع؛ لما روى جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ في قصة حجة الوداع: قال: وقدم علي رضي الله عنه بِبُدنٍ من اليمن، وساق رسول الله ﷺ مئة بدَنةٍ، فنحر منها رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين بدنةً،، ونحر علي رضي الله عنه ما بقي منها، وأشركه في بدنه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر، وطبخت، فأكل من لحمها، وشرب من مرقها. أخرجه مسلم.

واختلف العلماء في الهدي الواجب بالشرع، مثل دم التمتع والقران، والدم الواجب بإفساد الحج، وفوته، وجزاء الصيد، هل يجوز للمهدي أن يأكل منها شيئاً. فقال الشافعي رضي الله عنه: لا يأكل منها شيئاً، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر. وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: لا يأكل من جزاء الصيد، والنذر، ويأكل مما سوى ذلك. وبه قال أحمد، وإسحاق، وقال مالك ـ رضي الله عنه ـ: يأكل من هدي التمتع، ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى، وجزاء الصيد المنذور. وقال أصحاب الرأي: إنه يأكل من دم التمتع، والقران، ولا يأكل من واجبٍ سواهما. انتهى. خازن.

﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾: الذي أصابه بؤس شديد. ﴿الْفَقِيرَ﴾: المحتاج، والأمر فيه للوجوب، وأصل «فقير» في اللغة: الذي انكسر فقار ظهره، ثم يطلق على المعدم الذي لا يجد حاجته من

المال؛ لأنه يشبه الذي انبتَّ ظهره، وعدم الحول والقوة، وهو أسوأ حالاً من المسكين عندنا معاشر الشافعية، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ فسماهم مساكين مع كونهم يملكون سفينة يتجرون فيها، وينقلون فيها بضائع للناس من صقع إلى صقع، وكان النبي ﷺ يسأل الله المسكنة، ويتعوذ بالله من الفقر، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أَحيِنِي مِسكيناً، وأَمِتنِي مسْكيناً، واحْشُرْني في زُمْرةِ المَسَاكينِ يَومَ القيامةِ**». رواه الترمذي، فلو كان المسكين أسوأ حالاً من الفقير؛ لما تعوذ من الفقر، وسأل المسكنة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (أذِّنْ) أو بـ: ﴿يَأْتُوكَ﴾. ﴿مَنَٰفِعَ﴾: مفعول به. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَنَٰفِعَ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَيَذْكُرُواْ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله. . .إلخ. ﴿ٱسْمَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، ﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿فِىٓ أَيَّامٍ﴾: متعلقان بالفعل (يذكروا). ﴿مَّعْلُومَٰتٍ﴾: صفة ﴿أَيَّامٍ﴾. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (يذكروا) وتعليقهما بمحذوف حال من اسم الله لا بأس به، وجملة: ﴿رَزَقَهُم﴾ صلة ﴿مَا﴾ والعائد محذوف، التقدير: على الذي رزقهم الله إياه. ﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من العائد المحذوف، و﴿مِّنۢ﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾، و﴿بَهِيمَةِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ مضاف إليه.

﴿فَكُلُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (كلوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً وحاصلاً؛ فكلوا، والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَأَطْعِمُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿ٱلْفَقِيرَ﴾: صفة (البائس) وهي صفة مؤكدة.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٢٩﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ أي: ليزيلوا أدرانهم، وأوساخهم، والمراد منه: الخروج عن الإحرام بالحلق، وقص الشارب، ونتف الإبط، وقلم الأظفار، والاستحداد، ولبس الثياب. والحاج أشعث أغبر إذا لم يزل هذه الأوساخ. هذا؛ وتفسير «القضاء» بالإزالة تفسير مجازي؛ لأن «القضاء» في الأصل: القطع، والفصل، فأريد به هنا الإزالة. وقال ابن عمر وابن عباس

ـ رضي الله عنهما ـ: قضاء التفث مناسك الحج كلها. وقال قطرب: تفث الرجل: إذا كثر وسخه. قال أمية بن أبي الصلت: [البسيط]

حَـفُّـوا رُؤوسَـهُـم لَـمْ يَـحْـلِقُـوا تَـفَـثـاً ... وَلَـمْ يَـسُـلُّـوا لَـهُـم قَـمـلاً وصِـئْـبَـانَـا

وقال أيضاً: [البسيط]

سَـاخِـيـنَ آبـاطَـهُـم لَـمْ يـقـذفوا تَـفَـثـاً ... وَيَـنْـزعـوا عَـنْـهُـمُ قَـمْـلاً وصـئـبَـانَـا

ساخين: تاركين آباطهم؛ أي: لم يزيلوا عنها وسخها. ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: أراد به جميع ما ينذره المسلم من حج، وهدي، أمروا بوفاء النذر مطلقاً إلا ما كان معصية، فقد قال النبي ﷺ: **«لا وفَاءَ لنَذْرٍ في معْصيةٍ»**. وقال: **«مَنْ نَذَرَ أَنْ يطيع الله فليُطِعْه، ومَنْ نَذَرَ أنْ يَعْصيَهُ فَلَا يَعْصِهِ»**.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: أراد به طواف الإفاضة الواجب، ووقته يوم النحر بعد الرمي، والحلق، والطواف ثلاثة أنواع: طواف القدوم، وهو أنَّ من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً، وهذا الطواف تحية البيت، وهو سنة مؤكدة كتحية غيره من المساجد في الدنيا، وهي ركعتان. عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أول شيء بدأ به حين قدم رسول الله ﷺ أن توضأ، ثم طاف، ثم لم تكن عمرة، ثم حج أبو بكر، وعمر مثله. متفق عليه. والثاني: طواف الركن، وهو طواف الإفاضة المتقدم. والثالث: طواف الوداع، وهو واجب، لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً، فمن تركه؛ فعليه دم إلا المرأة الحائض، فإنه يجوز لها تركه، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أمر النبي ﷺ الناسَ أنْ يكُونَ الطَّوافُ آخرَ عهدهمْ بالبيتِ إلَّا أنَّهُ رخَّصَ للمَرأةِ الحَائضِ. متفق عليه..

وفي معنى ﴿الْعَتِيقِ﴾ أقوال كثيرة، فقال مجاهد، والحسن: العتيق: القديم، ويعضده قوله تعالى في سورة (آل عمران): ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ الآية رقم [٩٦] وفي الحديث الصحيح: أنه أول مسجد وضع في الأرض، وقيل: سمي عتيقاً؛ لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار بالهوان إلى انقضاء الزمان. وفي الترمذي عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ قال، قال رسول الله ﷺ: **«إنَّمَا سُمِّي البَيْتُ عَتيقاً؛ لأنَّهُ لمْ يَظْهَرْ عَلَيهِ جبَّارٌ»**. فإن قال قائل: إن الحجاج الفاسق نصب المنجنيق على الكعبة حتى هدم قسماً منها، قيل له: إنما أعتقها الله عن جبابرة الكفار؛ لأنهم أتوا بأنفسهم متمردين، ولحرمة البيت غير معتقدين، وقصدوا الكعبة بالسوء، فعصمت منهم، ولم تنلها أيديهم، وأما الحجاج فإنه لم يكن قصده الكعبة، وإنما كان قصده مضايقة عبد الله بن الزبير الذي اعتصم بها، ومع ذلك له عند الله ما يستحق من الخزي، والوبال، والمقت، والنكال.

وقالت طائفة: سمي عتيقاً؛ لأنه لم يُملك موضعه قط. وقالت فرقة: سمي عتيقاً؛ لأن الله عز وجل يعتق فيه رقاب المذنبين من النار. وقيل: سمي عتيقاً؛ لأنه أُعتق من غرق الطوفان. هذا؛ والعتيق: الكريم، والعتق: الكرم. قال طرفة يصف أذني فرس: [الطويل]

مُـؤَلَّـلَـتـانِ تـعْـرِفُ الـعِـتْـقَ فـيـهـمَـا ... كَـسَـامِـعـتَـيْ مـذْعُـورَةٍ وسْـطَ ربْـرَبِ

وعتق الرقيق: خروجه من ذل الرق إلى كرم الحرية، والعتيق: الكريم الأصل، قال الشاعر يهجو غيره: [الوافر]

أَمَـا والله أنْ لَـوْ كُـنـتَ حُـرّاً ... ومَـا بِـالـحُـرِّ أنْـتَ ولَا الـعَـتـيـقِ

أي ولست بالكريم الأصل. ومن أسماء أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عتيق؛ أي: معتوق من النار، وقيل: بيت عتيق من قولهم: عتاق الخيل، والطير، أي: كرامها. والعواتق: النساء الشريفات اللاتي لم يخرجن من بيوت أهلهن قط. جاء في الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوماً وقال بصوت رفيع سمعته العواتق في المنازل، فقال: «**يا مَعْشَرَ مَنْ آمنَ بلسانهِ، ولَمْ يُفْضِ الإيمَانُ إلَى قلبِهِ، لَا تَغْتَابُوا المُسْلمينَ، ولَا تتَّبعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فإنَّه مَنْ تتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخيهِ تتَبَّعَ الله عَورتَهُ، ومنْ تتَبَّعَ الله عوْرتَهُ فضحهُ، ولَوْ في جوفِ بيْتِهِ**».

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لْيَقْضُوا﴾: مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿تَفَثَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مرتبطة بكلام محذوف؛ أي: ثم بعد حلهم، وخروجهم من الإحرام، وبعد الإتيان بما عليهم من النسك؛ ليزيلوا أوساخهم وأدرانهم. وما بعدها معطوف عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما ذكر في الآيات السابقة. ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: المراد بذلك هنا: أفعال الحج، ومناسكه، ويدخل في ذلك تعظيم الأماكن المقدسة جميعها، ويجمع ذلك أن تقول: الحرمات: امتثال الأمر، والنهي. ومعنى التعظيم: العلم بأنه يجب على الإنسان القيام بمراعاتها، وحفظ حرمتها. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي: التعظيم خير له عند ربه من التهاون بشيءٍ منها. وقيل: ذلك التعظيم خير مِنْ خيراته ينتفع به، وليست ﴿وَأُحِلَّتْ﴾

للتفضيل، وإنما هي عِدَةٌ بخير، وانظر شرح (الحرام) في الآية رقم [٩٥] من سورة (الأنبياء)، والعندية عندية تشريف، وتكريم، لا عندية مكان، وقرب.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي: أكل لحمها، والانتفاع بجميع أجزائها؛ لأن الحكم الشرعي؛ وإن نسب إلى ذات؛ فالطلب لا يتعلق إلا بالأفعال، نحو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أي: الاستمتاع بهن. و: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي: أكلها، و: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ﴾ أي: تناولها، لا أكلها؛ لتناول شرب ألبان الإبل، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي: منافعها: الركوب، والتحميل. ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إلا المتلو عليكم في القرآن تحريمه، وهو ما ذكر في الآية رقم [١٤٥] من سورة (الأنعام)، والآية رقم [٤] من سورة (المائدة).

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾: ﴿ٱلرِّجْسَ﴾: الشيء القذر، وصفها الله بالرجس، و﴿ٱلرِّجْسَ﴾: النجس، فهي نجسة حكماً، و﴿ٱلْأَوْثَٰنِ﴾: جمع: وثن، وهو التمثال من خشب، أو حديد، أو ذهب، أو فضة، ونحوها، انظر الآية رقم [٥٢] من سورة (الأنبياء)، وكانت العرب تنصبها، وتعبدها. والنصارى تنصب الصليب، وتعبده، وتعظمه، فهو كالتمثال أيضاً. قال عدي بن حاتم الطائي ـ رضي الله عنه ـ: أتيت النبي ﷺ، وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي ألْقِ عنكَ هذَا الوثنَ!**». أي: الصليبَ. وأصله من: وثن الشيء أي: أقام في مقامه، وسمي الصنم وثناً؛ لأنه ينصب، ويركز في مكان، فلا يبرح عنه، والمراد: اجتنبوا عبادة الأوثان.

﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾: اتركوا قول الزور، واجتنب الشيء: ابتعد عنه، والزور: الباطل، والكذب، وسمي زوراً؛ لأنه ميل عن الحق، وكل ما عدا الحق فهو كذب، وباطل، وزور، ولا تنس: أن الحكيم العليم قد قرن قول الزور ـ أي شهادة الباطل ـ بعبادة الأوثان، وأيده النبي ﷺ، فعن أيمن بن خُرَيم: أن النبي ﷺ قام خطيباً، فقال: «**أَيُّهَا الناسُ عَدَلتْ شهادةُ الزُّورِ الإشراكَ بالله. ثمَّ قرأَ:** ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾». أخرجه الترمذي، وأخرجه أبو داود عن خُرَيم بن فاتك بنحوه، وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنبئكُمْ بأكبرِ الكبائرِ ـ ثلاثاً ـ**» قُلْنَا: بلَى يا رسولَ اللهِ! قَالَ: «**الإشراكُ بالله، وعقُوقُ الوالديْنِ**». وكَانَ مُتَّكئاً فجلس، فقالَ: «**أَلَا وَقول الزُّور، وشهادة الزُّور**». فَمَا زَالَ يكرِّرُهَا؛ حتَّى قلْنَا: ليْتَه سَكَت. أخرجه البخاري.

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الطَّيْرَ لتَضْربُ بمنَاقيرهَا، وتُحَرِّكُ أذْنَابهَا مِنْ هَوْلِ يَوم القيَامَةِ، ومَا يتكَلَّمُ بِهِ شَاهدُ الزُّورِ، ولَا تُفَارقُ قَدَمَاه عَلَى الأرضِ حتى يُقْذَفَ بِهِ في النَّارِ**». رواه الطبراني في الأوسط، وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه، ويطوف به في الأسواق. هذا؛ وكتمان الشهادة ـ أي: الامتناع عن أدائها ـ كشهادة الزور، قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٨٣]:

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً إِذَا دُعِيَ إِلَيْهَا؛ كَانَ كَمَنْ شَهِدَ بِالزُّورِ**». رواه الطبراني في الكبير، والأوسط.

تنبيه: لقد ذكرت في الآية رقم [٩٠] من سورة (المائدة) الرد على الفسقة، والفجرة الذين يقولون: إن الله لم يحرم الخمر تحريماً قاطعاً؛ لأنه لم يذكر مادة (حرَّم) في تحريمها، انظرها تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، والله الموفق، والمعين، وبه أهتدي، وأستعين.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر، أو الشأن ذلك، أو في محل مبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: ذلك أمر الله، وحكمه، وأجاز القرطبي اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف، التقدير: امتثلوا ذلك، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، واسم الإشارة يذكر للفصل بين كلامين، أو بين وجهي كلام واحد، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبتدأ. ﴿يُعَظِّمْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿حُرُمَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿حُرُمَٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره. ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١٥]، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿خَيْرٌ﴾ أيضاً، وقيل: متعلق بمحذوف حال، وهو غير وجيه. و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِۦ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿وَأُحِلَّتْ﴾: الواو: حرف استئناف. (أحلت): ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَنْعَٰمُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والمصدرية، فعلى الأول مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء، وهو يحتمل الاتصال، والانقطاع. ﴿يُتْلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَا﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ لا محل لها. وينبغي أن تعلم: أن أصل الكلام: إلا ما يتلى عليكم تحريمه، فحذف المضاف، واستتر الضمير في الفعل، وهو المضاف إليه في الأصل. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، هذا؛ وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب على الاستثناء، التقدير: إلا المتلو عليكم تحريمه.

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها، وأمثالها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط محذوف.

(اجتنبوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك متلواً عليكم؛ فاجتنبوا. ﴿ٱلرِّجۡسَ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلرِّجۡسَ﴾ على اعتبار «أل» للتعريف، أو بمحذوف صفة له على اعتبار «أل» للجنس، والكلام «وإذا كان...» إلخ المقدر معطوف على ما قبله، أو هو مستأنف لا محل له على الاعتبارين، والجملة الفعلية بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿قَوۡلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلزُّورِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: قولكم الزور.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾

الشرح: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: مسلمين. وقيل: مخلصين. وهو جمع مفرده: حنيف، وتكرر الكلام على إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه كان حنيفاً، وفسر بحقه بأنه مائل عن كل دين باطل إلى دين الحق قال الشاعر: [الوافر]

وَلَـكِـنَّـا خُـلِـقْـنَـا إذْ خُـلِـقْـنَـا حَـنِـيـفـاً دِيـنُـنَـا عَـنْ كُـلِّ دِيـنِ

هذا؛ والحنف: الميل في القدمين. هذا؛ وقال القرطبي: ولفظة «حنفاء» من الأضداد تقع على الاستقامة، وتقع على الميل. أقول: وهذا يكون بالمعنى المأخوذ منه، وهو الميل، وقد ذكرت لك فيما مضى: أن الفعل «مال» يتغير معناه بتغير الجار، تقول: ملت إليه، وملت عنه، وهو ظاهر.

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ أي: بعبادة غيره، أو في صفة من صفاته، أو في فعل من أفعاله. وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٠] من سورة (الكهف) ففيها الدواء الشافي لقلبك. ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: سقط، والفعل من باب ضرب. ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾: تسلبه، وتذهب به. ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: تميل، وتذهب به الرياح العاتية. ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾: بعيد، وفي الفعل (تخطف) قراءات كثيرة.

قيل في معنى الآية: من أشرك بالله؛ فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال مَنْ خرَّ من السماء، فاختطفته الطير، ففرقت أجزاءه في حواصلها، أو عصفت به الرياح العاتية؛ حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة، فالمراد من الآية تصوير تلك الحالة العجيبة، لا وقوعها في الوقت الحاضر، قال ابن هشام: إنهم يعبرون عن الماضي والآتي، كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصداً لإحضاره في الذهن؛ حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار.

قال الزمخشري في كشافه: يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب، والمفرق، فإن كان تشبيهاً مركباً؛ فكأنه قال: من أشرك بالله؛ فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده إهلاكٌ بأن صور

حاله بصورة حال مَنْ خر من السماء، فاختطفته الطير متفرقاً موزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض الأماكن البعيدة. وإن كان مفرقاً؛ فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المهلكة.

هذا؛ و﴿ٱلطَّيۡرُ﴾ اسم جمع، مثل: غنم، وخيل، وقيل: بل هو جمع طائر، مثل: صحب، وصاحب، ويصح إطلاقه على المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وجمع الطير: طيور، وأطيار، مثل فرخ، وفروخ، وأفراخ. وقال قُطرب، وأبو عبيدة: الطير قد يقع أيضاً على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ وطائر الإنسان: عمله الذي قُلِّده، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾. والطير أيضاً: الاسم من التطير، ومنه قولهم: لَاطَيْرَ إِلَّا طَيْرُ اللهِ. كما يقال: لا أَمْرَ إِلَّا أَمْرُ اللهِ. انتهى. مختار الصحاح.

الإعراب: ﴿حُنَفَآءَ﴾: حال من واو الجماعة. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان به. ﴿غَيۡرَ﴾: حال ثانية فيها معنى التوكيد، و﴿غَيۡرَ﴾ مضاف و ﴿مُشۡرِكِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿بِهِۦۚ﴾: متعلقان بمشركين؛ لأنه جمع اسم فاعل، ففاعله مستتر فيه. ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾: مثل: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ...﴾ إلخ. ﴿فَكَأَنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (كأنما): كافة ومكفوفة. ﴿خَرَّ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (مَنْ) وهو بمعنى: «يخر» ليصح العطف عليه. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: (كأنما...) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما في الآية السابقة، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَتَخۡطَفُهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (تخطفه): مضارع، والهاء مفعول به. ﴿ٱلطَّيۡرُ﴾: فاعله. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿تَهۡوِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعة ضمة مقدرة على الواو. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلرِّيحُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿فِي مَكَانٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سَحِيقٖ﴾: صفة ﴿مَكَانٖ﴾.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما ذكر في الآيتين السابقتين من اجتناب الرجس، وقول الزور... إلخ. ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: جمع شَعيرة، أو شِعارة: وهي كل شيء لله تعالى فيه أمر، أشعر به، وأعلم، فشعائر الله: أعلام دينه؛ لا سيما ما يتعلق بالمناسك، لذا فسرت

الشعائر هنا بدين الله، أو فرائض الحج، أو مواضع نسكه، أو ما يقدم إلى الحرم من الهدايا؛ لأنها من معالم الحج، وهو أوفق لظاهر ما بعده. وتعظيمها أن تختار حساناً، سماناً، غالية الأثمان، فقد رويَ أنَّ النبي ﷺ أهدى مئة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه بُرَةٌ من ذهب، وأنَّ عمر رضي الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمئة دينار. هذا؛ وسميت البدن شعائر؛ لإشعارها بما يعرف به: أنها هدي، كطعن حديدة بسنامها.

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي: فإن تعظيم شعائر الله من أعمال أصحاب القلوب التقية المتقية، ففيه حذف هذه المضافات، وإضافة الصفة للموصوف، ومثل الآية الكريمة قول كلحبة العرني اليربوعي: [الطويل]

فأدْرَكَ إرْقَالَ الْعَرَادَةِ ظَلْعُهَا وقَدْ جَعَلَتْني من حَزيمةَ إصْبَعَا

إذ التقدير: جعلتني منه ذا مسافة إصبع واحدة، وهذا هو الشاهد رقم [١٠٥٧] من كتابنا فتح القريب المجيب. وانظر (التقوى) في الآية رقم [١]. هذا؛ وقد ذكرت القلوب؛ لأنها مراكز للتقوى، ولذا قال النبي ﷺ: «**التَّقْوَى هَا هُنَا**». ثلاث مرات، وأشار إلى صدره، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [٣٠]. ﴿فَإِنَّهَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنها): حرف مشبه بالفعل، و(ها) اسمه. ﴿مِن تَقْوَى﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وتقوى مضاف، و﴿ٱلْقُلُوبِ﴾ مضاف إليه. قال القرطبي: وقرئ برفع القلوب على أنها فاعلة بالمصدر الذي هو (تقوى). ولم أره لغيره. هذا؛ والجملة الاسمية: (إنها...) إلخ في محل جزم جواب الشرط وهي خالية من ضمير يعود إليه، فيقدر: فإنها من تقوى القلوب منهم على معنى (مَنْ)، أو تقديره: فإن تعظيمها منه على لفظ (مَنْ). وانظر حذف المضافات في الشرح، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٥].

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في البدن المهداة إلى البيت. ﴿مَنَٰفِعُ﴾ أي: من الركوب والدرِّ، والنسل، والصوف، وغير ذلك. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى أن يسميها هدياً، فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، وهذا قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، ورواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وقيل: المراد بالأجل المسمى: هو نحرها، وهو قول عطاء، وعلى القول الأول يركبها بعد تسميتها هدياً عند الحاجة، ويشرب لبنها بعد ري فصيلها.

واختلف العلماء في ركوب الهدي، فقال مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق: يجوز ركوبها، والحمل عليها من غير ضرر بها؛ لما روي: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة، فقال: «**ارْكَبْهَا**» فقال: يا رسولَ اللهِ! إنَّها بَدَنَةٌ، فقالَ: «**اركبْهَا**». قالَ: إنَّهَا بَدَنَةٌ، قَالَ: «**ارْكَبْهَا ويْلَكَ!**». في الثانيةِ، أوْ في الثَّالثَةِ. أخرجاه في الصحيحين. وروى جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ وسئل عن ركوب الهدي، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ارْكَبْهَا بالمعروف إذَا ألجئْتَ إلَيْهَا حتَّى تجِدَ ظَهْراً**» وهذا يؤيد حجة أهل الرأي الذين يقولون: لا يركبها إلّا أن يضطر إليها.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: محل نحر الهدايا عند البيت العتيق، والمراد به: جميع أرض الحرم. روي عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ في حديث حجة الوداع: أن رسول الله ﷺ قال: «**نَحَرْتُ هَاهُنَا، ومِنى كُلُّهَا مَنْحَر، فانْحَرُوا في رِحالكُمْ**». ومن قال الشعائر: المناسك، فالمراد: التحلل منها إلى البيت، أي: يطوفون به طواف الإفاضة، ويحلقون بعد رمي جمرة العقبة، ويلبسون ثيابهم، ويحل لهم ما كان محظوراً عليهم من محرمات الإحرام. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع، والمآب.

الإعراب: ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿مَنَٰفِعُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿مَنَٰفِعُ﴾. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة ﴿أَجَلٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿مَحِلُّهَآ﴾: مبتدأ، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾: صفة (البيت)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم. ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: قرئ بكسر السين؛ أي: مذبحاً وهو موضع ذبح القربان. وقرئ بفتح السين على أنه مصدر، بمعنى: إراقة الدم، وذبح القرابين. ﴿لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: المراد بها: الضحايا، والهدايا للبيت تكون من النَّعم، وهي: الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، سماها الله بهيمة؛ لأنها لا تتكلم، وقيد بالأنعام؛ لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين؛ وإن جاز أكله من حيوانات البر والبحر. ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فاذكروا على ذبح قرابينكم اسمه وحده. ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا﴾ أي: أخلصوا له العبادة،

وانقادوا لأوامره، وأطيعوا. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المتواضعين، وقيل: المطمئنين إلى الله، وقيل: الخاشعين الرقيقة قلوبهم. وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لا ينتصرون، وانظر صفاتهم فيما يلي.

هذا؛ وفي الآية التفات من الغيبة إلى خطاب الجمع، ومنه إلى خطاب المفرد، انظر الالتفات في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء). هذا؛ والبشارة: عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به، ولما كان ذلك الفرح، والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه؛ كان كذلك الحزن، والغم يظهر أثرهما على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الغم والحزن، فثبت بهذا: أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار، والخبر المحزن، فصح قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ولكن قد تستعمل البشارة بالشر وبما يسوء على سبيل التهكم، والاستهزاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم.

هذا؛ وأما ﴿أُمَّةٍ﴾ فهي بمعنى الجماعة، كما رأيت، ولا واحد لها من لفظها، وتكون واحداً إذا كان ممن يقتدى به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ انظر شرح هذه الآية برقم [١٢٠] من سورة (النحل)، والأمة: الطريقة، والملة في الدين، كقوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾. وبها فسرت الآية رقم [٩٢] من سورة (الأنبياء) وقال النابغة: [الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ؟!

هذا؛ وكل جنس من الحيوان أمة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ والأمة: الحين، والوقت، كقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد وقت، وحين.

الإعراب: ﴿وَلِكُلِّ﴾: الواو: حرف استئناف. (لكل): متعلقان بالفعل بعدهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم عليه، و(كل) مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَنسَكًا﴾: مفعول به أول، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿لِّيَذْكُرُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱسْمَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ انظر الآية رقم [٢٨] ففيها الكفاية. ﴿فَإِلَٰهُكُمْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إلهكم): مبتدأ. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبره. ﴿وَٰحِدٌ﴾: صفة (إله)، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿فَلَهُۥٓ﴾: الفاء: هي الفصيحة: وانظر الآية رقم [٣٠]. (له): متعلقان بما بعدهما، والتقديم يفيد الاختصاص. ﴿أَسْلِمُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق،

والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك هو الواقع؛ فله أسلموا، والكلام كله مستأنف، لا محل له. ﴿وَبَشِّرِ﴾: الواو: حرف عطف. (بشر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فزعت لذكر الله، وخافت استعظاماً له، وتهيباً من جلاله. وقيل: هو الرجل يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله، فينزع عنها خوفاً من عقابه. هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وهذه الإحالة مني على ما ذكرت من أجل الاختصار. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾: من ضر، ومتاعب في هذه الدنيا. وانظر (الصبر) في الآية رقم [٨٥] من سورة (الأنبياء).

﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: المؤدين لها على الوجه الأكمل، وانظر الآية رقم [٣١ و٥٩] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: ينفقون بعض المال الذي رزقناهم إياه في وجوه الخير، والإحسان، والمعروف.

تنبيه: لقد وصف الله المتقين في مطلع سورة (البقرة) بخمس صفات، وجعلهم جديرين بالفلاح، والنجاح، ووصف المؤمنين في مطلع سورة (الأنفال) بخمس صفات، واعتبرهم مؤمنين حقاً، ووصف المخبتين في هذه الآية بأربع صفات، ولم يذكر جزاءهم، ولكنه جلّت قدرته، وتعالت حكمته وصف المؤمنين في مطلع سورة (المؤمنون) بسبع صفات، وجعلهم جديرين بوراثة الفردوس، والخلود فيها. تأمل، وتدبر. وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب بدلاً من ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾، أو صفة له، أو هو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني، ونحوه، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين... إلخ. والجر لا وجه له هنا. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿ذُكِرَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱللَّهُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿وَجِلَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها صلة الموصول. (الصابرين): منصوب على المدح بفعل محذوف، تقديره: أمدح الصابرين. ﴿عَلَىٰ مَآ﴾: متعلقان بـ: (الصابرين). ﴿أَصَابَهُمْ﴾: ماض: وفاعله يعود إلى ﴿مَآ﴾ وهو العائد، والهاء مفعول به،

والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَٱلْمُقِيمِى﴾: معطوف على (الصابرين) فهو منصوب مثله، وعلامة النصب فيهما الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مذكر، وفاعلهما مستتر فيهما، وحذفت النون من الثاني للإضافة، وهو مضاف، و﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مضاف إليه من إضافة جمع اسم الفاعل لمفعوله، هذا؛ وقرئ: (والمقيمين الصلاة) بإثبات النون ونصب الصلاة على الأصل، كما قرئ بحذف النون ونصب الصلاة على توهم النون، وأن حذفها للتخفيف لطول الاسم، وأنشد سيبويه قول الشاعر: [المنسرح]

الحافِظُو عَوْرَةَ العَشِيرَةِ لا ... يَأْتِيهِمُ مِنْ ورائِنَا نَطَفُ

هذا، وجملة «أمدح الصابرين...» إلخ مستأنفة، وعطفها على صلة الموصول غير منسجم معنى. ﴿وَمِمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (مما): متعلقان بالفعل ﴿يُنفِقُونَ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (من) والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ينفقون من الذي، أو: من شيء رزقناهم إياه، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها. هذا؛ ويظهر لي صحة عطف الجمل الثلاث على الموصول، وصلته، وذلك على اعتبار «أل» بـ: (الصابرين) و(المقيمي) موصولة فيكون المعنى: والذين يصبرون، والذين يقيمون الصلاة، والذين ينفقون مما رزقناهم. وهذا حل معنى، لا حل إعراب. تأمل.

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾: جمع بدنة وهي الناقة من الإبل، وقد سميت بها الإبل لعظم بدنها، مأخوذة من: بَدُنَ الرجل، يبدنُ بُدْناً، وبدانةً، فهو بادنٌ، أي: ضخم. والصحيح: أن البدنة لا تطلق على البقرة، وإن كانت تشاركها في الإجزاء عن سبعة؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - في فضل التبكير لصلاة الجمعة: «**مَنْ راحَ في الساعةِ الأولى؛ فكأنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومنْ راحَ في السَّاعةِ الثانيةِ؛ فكأنَّما قرَّبَ بقرةً...**» إلخ فتفريقه ﷺ بين البقرة، والبدنة يدل على أن البقرة، لا يقال لها بدنة. والله أعلم. هذا؛ ويقرأ (البُدْن) بضم الدال وسكونها.

﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: من أعلام دينه. قيل: لأنها تُشْعَر؛ أي: تطعن بحديدة في سنامها فتعرف بذلك: أنها هدي، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٢]. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: المراد بهذا الخير: المنافع التي ذكرت في الآية [٣٣]. والصواب عمومه هنا في خيري الدنيا والآخرة.

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ بأن تقولوا عند ذبحها: بسم الله، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر. اللهم إنَّ هذا منك وإليك. و﴿صَوَآفَّ﴾ قائمة معقولة إحدى قوائمها، توقف، وقد صفت رجلاها ويدها اليمنى، والأخرى معقولة، أي: مربوطة رُكبتُها، فتنحر كذلك، وهو سنة. عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها، قال: ابعَثْها قِياماً مُقَيَّدةً سنةَ محمدٍ ﷺ. متفق عليه.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت بعد النحر، ووقع جنبها على الأرض، وهو كناية عن الموت. كما كنى عن النحر، والذبح بقوله: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾. ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾: أمر معناه الندب، فقال كل الفقهاء: يستحب أن يأكل من هديه، وفيه أجر، وثواب، ومخالفة لما كان الجاهليون من الامتناع من أكلها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٨] فإنه جيد.

﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: فالأول: هو الراضي بما عنده، وبما يعطى من غير مسألة، فهو جالس في بيته متعفف عن ذلِّ المسألة، والثاني: هو الذي يريك نفسه، ويتعرض، ولا يسأل. وقيل: القانع: السائل، وعليه يكون قانع من الأضداد، فإن كان فِعْلُه: قَنِعَ، يقْنَعُ من باب: سلِم، وعلِم؛ فهو من القناعة، وهو الرضا، والعفة عن التذلل بالسؤال، وإن كان فِعْلُه: قَنَعَ، يَقْنَعُ من باب: فتح، وقطع، فهو من التذلل بالسؤال، وعليه قولهم: والعبدُ حرٌّ إن قَنِع، والحر عبدٌ إنْ قَنَع، ومصدر الأول: قَنَعاً، وقنَاعة، ومصدر الثاني: قُنوع بضم القاف. وقال بعض أهل العلم: إن القُنوع بضم القاف أيضاً قد يكون بمعنى: الرضا، والقانع بمعنى: الراضي، وأنشد قول الشاعر: [الوافر]

وقَالُوا: قَدْ زُهِيتَ فقُلْتُ كلَّا ... ولكِنِّي أعَزَّنِيَ القُنُوعُ

وقال لبيد بن ربيعة الصحابي رضي الله عنه: [الطويل]

فمنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بنَصيبِهِ ... ومِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالمعيشَةِ قَانِعُ

وفي المثل: خيرُ الغِنى القُنُوع، وشرُّ الفقْرِ الخضوعُ. انتهى. مختار. وخذ قول أبي ذؤيب الهذلي: [الكامل]

والنَّفسُ راغِبةٌ، إذَا رغَّبْتَهَا ... وَإذَا تُرَدُّ إلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

هذا؛ والقَنوع بفتح القاف بوزن «فعول» هو مبالغة اسم الفاعل: قانع على الاعتبارين اللذين رأيتهما. هذا؛ والأمر للوجوب عند الشافعي، رضي الله عنه.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: مثل ما وصفنا من نحرها قياماً. ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾: ذللناها لكم مع عِظَمها، وقوتها حتى تأخذونها منقادة، فتعقلونها، وتحبسونها صافَّةً قوائمها، ثم تطعنون في لباتها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: إنعامنا عليكم بالهداية، والإيمان، والتوفيق، والإذعان لما يرضي الواحد

الديان. هذا؛ و«الشكر»: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله. وفعله يتعدى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرته، وشكرت له، كما نصحته، ونصحت له.

هذا؛ والترجي في هذه الآية وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج، ورجاء لعباده. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الإعراب: ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾: الواو: حرف استئناف. (البدن): مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، ويقرأ بالرفع على أنه مبتدأ. ﴿جَعَلْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مفسرة على نصب (البُدْنَ) وفي محل رفع خبره على رفعه، والكلام مستأنف على الاعتبارين لا محل له. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني في المعنى، و﴿شَعَٰٓئِرِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو بالخبر المحذوف، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿خَيْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، أو من ﴿شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾، والرابط: الضمير فقط، وأجيز اعتبارها مستأنفة لا محل لها. ﴿فَٱذْكُرُوا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٣٠]. (اذكروا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب (اشربي) في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام، ﴿ٱسْمَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَٱذْكُرُوا۟...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿صَوَآفَّ﴾: حال من الهاء في (عليها) فهو منصوب، ولم ينصرف؛ لأنه على وزن: فواعل، وهي صيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. هذا؛ ويقرأ: (صوافِنَ) على أنَّ واحده: صافن، ويقرأ: (صوافِيَ) أي: خوالص لله تعالى، ويقرأ: (صوافٍ) بكسر الفاء وتنوينها مخففة، وهي بمعنى التي قبلها، لكن حذفت الياء تخفيفاً على غير قياس على لغة مَنْ يسكن الياء مطلقاً، كقولهم: أعطِ القوسَ بارِيْهَا، قال مجنون ليلى: [الطويل]

وَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ ... وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوتَ اهتَدَى لِيَا

وهذا هو الشاهد، رقم [٥٣٨] من كتابنا فتح القريب المجيب. والقراءة بالتسكين شاذة، لكن ذكرتها؛ لأن المفسرين ذكروها. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية السابقة ﴿وَجَبَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿جُنُوبُهَا﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿فَكُلُوا۟﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (كلوا): أمر، وفاعله، ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله في المعنى، وجملة: (كلوا منها) جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجملة: (أطعموا القانع والمعتر) معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها مثله. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: سخرناها لكم تسخيراً كائناً مثل وصفنا إياها فيما

تقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [١٦]. ﴿سَخَّرْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وأجيز اعتبارها حالاً؛ أي: حالة كونها مسخرة. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿تَشْكُرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، تقديره: إنعامنا، وتفضلنا عليكم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُمْ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل لا محل لها.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ أي: لن يصل إلى الله لحومها، ولا دماؤها؛ ولكن يصل إليه، ويرفع لديه التقوى، أي: ما أُريدَ به وجهه، فذلك الذي يقبله، ويُرفع إليه، ويثيب عليه، قال الرسول المعظم ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّياتِ، وإنما لكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**». هذا؛ ويقرأ الفعلان بالتاء، نظراً إلى اللحوم. هذا؛ و﴿لُحُومُهَا﴾ جمع: لحم، ويجمع أيضاً على: لحام، قال لبيد ـ رضي الله عنه ـ في معلقته: [الكامل]

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الجَمِيعِ لِحَامُهَا

هذا؛ ويقال: لحم، وألحم، ولحمان، ولحام، ورجل لحيم شحيم: إذا كان قَرِماً إلى اللحم، والشحم. ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ...﴾ إلخ: أي: سخر البدن، وذللها للذبح، ومكننا من التصرف فيها، وهي أعظم منا أبداناً، وأقوى منا أعضاءً؛ ذلك ليعلم ابن آدم: أن الأمور ليست على ما تظهر للعبد من التدبير، وإنما هي بحسب ما يريدها العزيز القدير، فيغلب الصغيرُ الكبيرَ؛ ليعلم الخلق: أن الغالب هو الله الواحد القهار فوق عباده انتهى. قرطبي بتصرف. هذا؛ وكرر ذكر التسخير للتأكيد، وزيادة التذكير بالنعمة.

﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: ذكر سبحانه في الآية السابقة ذكر اسمه على البُدْنِ ونحوها التي تذبح تقرباً إليه، وذكر هنا التكبير ليجمع المسلم بينهما عند ذبح القربة، بل وغيرها من الذبائح، وكان عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يجمع بينهما إذا نحر هديه، فيقول: باسم الله، والله أكبر، وهذا من فقهه رضي الله عنه، ، كيف لا وقد روى أبو داود عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: ذبح النبي ﷺ يوْمَ الذَّبح كبشَين أقرنَيْنِ، مَوْجُوءَيْنِ، خصيَّين، أملحَيْنِ، فَلَمَّا وجَّهَهُمَا؛ قالَ: «**إِنِّي وجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّمواتِ والأرضَ... إلى قوله: وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ، اللَّهُمّ مِنْكَ، ولَكَ، عن محمدٍ، وأمّتِهِ، باسمِ اللهِ، واللهُ أَكْبرُ**». ثم ذبح. ومعنى ﴿هَدَىٰكُمْ﴾: أرشدكم، ووفقكم لذبح الذبائح، والتقرب به إليه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: بجنات النعيم، ورضا رب العالمين، و(محسنين) جمع: محسن، وهو مَنْ أحسن العمل، وأخلص فيه النية لله تعالى، وانظر «البشارة» في الآية رقم [٣٤]. وانظر شرح ﴿ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ في الآية [١]، وشرح لفظ الجلالة في الآية رقم [٣].

أما ﴿دِمَآؤُهَا﴾ فهو جمع: دم، وأصله: دَمَيٌّ، وقيل: دمَوٌ، حذفت لامه، فيثنى على لفظه: دَمَانِ بدون رد لامه، ويثنى: دَمَيَانِ، أو: دموان برد لامه، أما في الجمع فلا بدَّ من ردِّ لامه، فيقال: دمايٌ أو دماوٌ، فيقال في إعلاله: تحركت الياء، أو الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتدَّ بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة. وأضيف: أن أهل الجاهلية كانوا إذا ذبحوا القرابين؛ لطخوا الكعبة بدمائها تقرباً إلى الله، فهمَّ المسلمون بذلك، فنزلت الآية الكريمة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يَنَالَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿لُحُومُهَا﴾: فاعل، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة للتأكيد. ﴿دِمَآؤُهَا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك. ﴿يَنَالُهُ﴾: مضارع، والهاء مفعول به. ﴿ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مِنكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من التقوى. ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية السابقة.

﴿لِتُكَبِّرُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هَدَىٰكُمۡ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: على الذي هداكم إليه. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾ التقدير: على هدايته إياكم. ﴿وَبَشِّرِ﴾: الواو: حرف استئناف. (بشر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ أي: مبالغ في الدفع عنهم مبالغة من يغالب فيه. ويقرأ (يَدْفَعُ) والمفعول محذوف على هذه القراءة؛ أي: يدفع غائلة المشركين، وكيدهم عن المؤمنين

منهم، وينصرهم عليهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ أي: خوان في أمانة الله، كفور لنعمته، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: خانوا الله، فجعلوا معه شريكاً، وكفروا نعمه. هذا؛ وكل مَنْ أشرك مع الله أحداً في ذاته، أو في أفعاله، فهو خائن، و﴿خَوَّانٍ﴾ صيغة مبالغة، و﴿كَفُورٍ﴾ كذلك، وانظر (الكفر) في الآية رقم [٣٠]، وانظر خيانة الله والرسول في الآية رقم [٢٧] من سورة (الأنفال).

تنبيه: في الآية الكريمة مسألة بيانية لم يتعرض لها المفسرون، وهي أنه إذا وقعت «كل» في حيز النفي ـ أي: بعده ـ كان النفي موجهاً إلى الشمول خاصة، وأفاد بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الأفراد، كقولك: (ما جاء كُلُّ القومِ، ولَمْ آخُذْ كُلَّ الدراهمِ، وَكُلَّ الدَّراهمِ لَمْ آخُذْ). وإن وقع النفي في حيزها ـ أي: بعدها لفظاً، ومحلاً ـ اقتضى السلب عن كل فرد، كقول النبي ﷺ لما قال له ذو اليدين: أنسيتَ أمْ قَصُرَتِ الصلاةُ يا رسول الله؟!: «**كُلُّ ذلكَ لَمْ يكُنْ**» وقد يشكل على قولهم قوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، وكقوله تعالى في سورة (لقمان) رقم [١٨]: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، وقوله في سورة (البقرة) رقم [٢٧٦]: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، وقوله تعالى في سورة (ن) رقم [١٠]: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾، حيث وقعت (كل) في حيز النفي، فتفيد أن المنفي الشمول، وأن البعض ثابت له المحبة من الله تعالى.

والجواب عن الآيات: أن دلالة المفهوم، إنما يعول عليها عند عدم المعارض، وهو هنا موجود؛ إذ دل الدليل وهو الإجماع على تحريم الخيانة، والكفر، والاختيال، والفخر، والحلف، ومستند هذا الإجماع الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة الكثيرة. وأخيراً: فمعنى عدم محبة الله لهؤلاء كناية عن بغضهم، والسخط عليهم، وطردهم من رحمة الله، وأما محبته تعالى للعبد؛ فكناية عن رضاه عنه، وغفر ذنوبه، وستر عيوبه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُدَافِعُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾ والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. وإعراب الجملة الثانية واضح إن شاء الله تعالى. هذا؛ و﴿كَفُورٍ﴾ صفة لـ: ﴿خَوَّانٍ﴾ في الظاهر، وفي الحقيقة إنما هما صفتان لموصوف محذوف، التقدير: إن الله لا يحب كل شخص أو عبد خوان كفور، فهما صيغتا مبالغة، كما رأيت، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها مثل سابقتها. والله أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على الهادي، وسلَّم.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾

الشرح: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ...﴾ إلخ: أي: أذن الله للمسلمين بالجهاد؛ ليقاتلوا المشركين. قال المفسرون: كان المشركون من أهل مكة يؤذون المؤمنين، فلا يزالون يجيئون من بين مضروب،

ومشجوج، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: «**اصبروا، فإني لم أؤمر بقتال**». حتى هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، فاعترضهم المشركون، فأذن الله لهم في قتال الكفار، وهي أول آية في القتال بعد ما نهى الله عنه في نيف وسبعين آية، وهذا الإذن من الله كان بسبب ظلم الكفار لهم، والاعتداء عليهم. هذا؛ ويقرأ الفعلان ﴿أُذِنَ﴾ و﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بالبناء للمجهول والبناء للمعلوم.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾: هذا وعد من العلي القدير بنصر المستضعفين من المسلمين، وقد أنجز الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده. هذا؛ والآية الكريمة تتضمَّن الإذن بالجهاد، كما رأيت، وقد حث الرسول ﷺ عليه، وحذر من تركه، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجهادُ واجبٌ معَ كلِّ أَمِيرٍ، بَرّاً كانَ أَوْ فاجِراً. والصلاةُ واجبةٌ عَلَيْكمْ خلْفَ كُلِّ مُسْلِم، براً كانَ أو فاجراً، وإنْ عملَ الكبائرَ**». رواه أبو داود. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**جاهِدوا المشرِكينَ بأموَالكُم، وأنفسكمْ، وألسِنَتِكُمْ**». رواه أبو داود، والنسائي.

وعن عبد الرحمن بن جبر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عبْدٍ في سبيلِ الله، فتمسه النَّارُ**». أخرجه البخاري. وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قاتلَ في سبيلِ الله فُوَاقَ ناقةٍ؛ فقدْ وَجَبتْ لهُ الجنةُ. ومَنْ سألَ الله القَتْلَ مِنْ نفسِهِ صادقاً، ثمَّ ماتَ، أو قُتِلَ؛ فإنَّ لَهُ أجرَ شهيدٍ، ومَنْ جُرِحَ جرحاً في سبيل الله، أو نُكبَ نكبةً؛ فإنها تجيء يومَ القيامَةِ كأغْزَرِ مَاكانَتْ، لوْنُهَا لونُ الزَّعفرانِ، ورِيحُهَا رِيحُ الْمِسكِ**». رواه أبو داود، والترمذي. وعن عبادة بن الصامت رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**جاهدوا في سبيل الله، فإنَّ الجهادَ في سبيلِ اللهِ بابٌ مِنْ أبوابِ الجنَّةِ يُنَجِّي الله تباركَ وتعالَى بهِ منَ الهمِّ، والغَمِّ**». رواه أحمد. وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ المجاهِد في سبيلِ اللهِ كمَثَلِ الصَّائِمِ نهارَهُ، القائم لَيلَه حتى يرجعَ متى رَجَعَ**» رواه أحمد. وانظر ما ذكرته في (النساء) رقم [٩٥]، وفي (الأنفال) رقم [٦١]، وفي (التوبة) [١٢١] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذَا تبايَعْتُمْ بِالعينَةِ، وأخذْتُمْ بأذنابِ البَقَر، ورَضيتُمْ بالزرعِ، وتركتمُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ؛ سلَّطَ الله عليكُمْ ذلّاً لا ينزعُهُ حتَّى تَرجعُوا إلى دينِكُم**». أخرجه أبو داود، وغيره. وعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشكُ أن تَداعَى عليكمُ الأُمَمُ، كَمَا تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قصعَتِهَا**». قالوا: أمِنْ قلَّةٍ نحْنُ يومئذ يا رسولَ اللهِ؟! قالَ: «**بلْ أنتُمْ يومَئذٍ كثيرون، ولكنكمْ غُثَاءٌ كغُثَاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ الله مِنْ صدورِ عدُوِّكُمُ المهابة منكمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ في قلوبِكُمُ الوَهنَ**». قالُوا: ومَا الْوهنُ يا رسولَ اللهِ؟! قال: «**حبُّ الدنيا وكراهيَةُ الْمَوْتِ**». أخرجه أبو داود، وأحمد وغيرهما.

الإعراب: ﴿أُذِنَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل، وقيل: نائب الفاعل محذوف؛ إذ التقدير: أذن في القتال للذين، وهو جيد معنى، وعلى

البناء للمعلوم فالفاعل يعود إلى (الله)، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾: مضارع مرفوع على القراءتين، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، أو نائب فاعل، وعلى الأول فالمفعول به محذوف، التقدير: يقاتلون أعداءهم. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر، (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿ظُلِمُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أُذِنَ﴾. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمه. ﴿عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾: متعلقان بـ: (قدير) بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿لَقَدِيرٌ﴾: خبر (إنَّ)، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم﴾: هم المهاجرون من أهل مكة، خرجوا مكرهين من ديارهم بسبب مضايقة المشركين لهم. وقد استدل بهذه الآية وأمثالها على جواز بيع دور مكة، وإجارتها، كما رأيت في الآية رقم [٢٥]. ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: بغير موجب استحقوا به الإخراج من ديارهم. ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: هذا هو السبب الوحيد في إخراجهم من ديارهم،وهو التوحيد، والإيمان بالله، ورسوله، ونبذ عبادة الأوثان. وهذا ينبغي أن يكون سبب التمكين، وموجبه لا موجب الإخراج، وما أشبه هذا بقول السحرة لفرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، وذكرته في سورة (الأعراف)، وسأذكره في سورة (البروج) إن شاء الله تعالى؛ لأنه مدح بما يشبه الذم.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء، والمؤمنين من قتال الأعداء؛ لاستولى أهل الشرك، والضلال، وعطلوا ما بيّنته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع ذلك بأن أوجب الجهاد؛ ليتفرغ أهل الدين للعبادة، فالجهاد أمر متقدم في الأمم، ومستمر إلى يوم القيامة، وبه صلحت، وتصلح الشرائع، وتثبت أمور العبادات، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٥٠] من سورة (البقرة).

﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: خربت، وأزيلت، ويقرأ بالتشديد، والتخفيف. ﴿صَوَٰمِعُ﴾: هي معابد الرهبان المتخذة في الجبال، والوديان، جمع: صومعة. ﴿وَبِيَعٌ﴾: هي معابد النصارى، وكنائسهم في

البلد، جمع: بيعة، وتجمع أيضاً على: بيعات، وقيل: البيع للصابئين، والصوامع للنصارى. وقيل: العكس. ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ هي كنائس اليهود، ويسمونها بالعبرانية صلوتا، فعربت، فقيل: صلوات، وفيها تسع قراءات ذكرها ابن عطية. ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ أي: ومساجد للمسلمين، ومعاني هذه الأسماء هي في الأمم التي لها كتاب على قديم الدهر، ولم يذكر في هذه الآية المجوس، ولا أهل الشرك؛ لأن هؤلاء ليس لهم ما يجب حمايته، ولا يوجد ذكر الله إلا عند أهل الشرائع، والوثنيون في هذه الأيام مثلهم في الهند، وغيرها.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: من ينصر دينه ونبيه، وقد أنجز الله وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب، وأكاسرة العجم، وقياصرتهم، وأورثهم أرضهم، وديارهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: قادر مقتدر. ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يغلبه شيء في الأرض، ولا في السماء. .

هذا؛ أما «الدار» فهي منزل الإنسان، ومسكنه في الدنيا، وهي مؤنثة، وقد تذكَّر، أصلها: دَوَر بفتحتين، قلبت الواو ألفاً؛ لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وجمعها: ديار، ودُور، وأَدْؤُر، وأَدْوُر، وَأَدْوِرَة، وأَدْوار، ودُورات، ودِيارات، ودُوران، ودِيران، وأصل ديار: دِوار، قلبت الواو ياء؛ لأنها وقعت عيناً في جمع على وزن فعال، لمفرد اعتلت عينه بالقلب. هذا؛ والدار أيضاً البلد، والقبيلة، ودار القرار في الآخرة، إما الجنة، وإما النار، والداران: الدنيا والآخرة، ودار الحرب: بلاد العدو. هذا؛ وقد قال أبو حاتم: إن الديار العساكر، والخيام، لا البنيان والعمران، وإن الدار البنيان، والعمران، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: في عساكرهم، وخيامهم ميتين. وقال جل شأنه: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: في مدينتهم المعمورة، ولو أراد غير ذلك؛ لجمع الدار، فعلم من كلامه: أن الديار مخصوصة بالخيام، انتهى. قال صاحب الخزانة: وهذا غفلة عن قول الشاعر، وهو مجنون ليلى: (أُقَبِّلُ ذَا الْجِدَارَ) وهو حائط البيت، وذلك في قوله: [الوافر]

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذَا الْجِدَارَ، وَذَا الْجِدارَا

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ... وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بدل مما قبله، أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني الذين. أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين. ﴿أُخْرِجُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِن دِيَٰرِهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(غير) مضاف، و﴿حَقٍّ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿أَن يَقُولُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾،

وعلامة نصبه حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَقُولُوا﴾ في محل جر بدلاً من ﴿حَقٍّ﴾، والمعنى: ما أخرجوا من ديارهم، إلا بسبب قولهم، واعتبره السمين في محل نصب على الاستثناء المنقطع. ﴿رَبُّنَا﴾: مبتدأ، و(نا) في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول.

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود. ﴿دَفْعُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به للمصدر. ﴿بَعْضَهُم﴾: بدل من ﴿ٱلنَّاسَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِبَعْضٍ﴾: متعلقان بالمصدر ﴿دَفْعُ﴾ على أنهما مفعوله الثاني، وخبر المبتدأ محذوف، كما هو الغالب بعد «لولا»، والجملة الاسمية ابتدائية لا محل لها. ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لولا). (هدمت): ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿صَوَٰمِعُ﴾: نائب فاعل، ولم يصرف؛ لأنه صيغة منتهى الجموع، وما بعده معطوف عليه، وجملة: ﴿لَّهُدِّمَتْ...﴾ إلخ جواب (لولا)، و(لولا) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له.

﴿يُذْكَرُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان به. ﴿ٱسْمُ﴾: نائب فاعله، و﴿ٱسْمُ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف؛ أي: ذكراً كثيراً، واعتباره حالاً من ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ لا بأس به، وجملة: ﴿يُذْكَرُ...﴾ إلخ في محل رفع صفة (مساجد)، وبعضهم يعتبرها صفة للأماكن الأربعة، فيكون من باب التنازع. تأمل، والمعتمد الأول؛ لأن هذه الأمة هي المشهورة بكثرة ذكر الله تعالى في المساجد، وغيرها. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (ينصرن): مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَنصُرُهُۥٓ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿مَن﴾ وهو العائد، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: انظر مثل هذه الجملة في الآية السابقة، فهي مثلها في إعرابها.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نصرناهم على عدوهم؛ حتى تمكنوا من البلاد. وهو ثناء قبل بلاء، واختبار. قال البيضاوي: وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين؛ إذ لم

يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين. هذا؛ وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد: المهاجرون، والأنصار، والتابعون لهم بإحسان. وقال عكرمة: هم أهل الصلوات الخمس. والأصح التعميم؛ وإن نزلت الآية في حق الأولين؛ إذ دل الدليل على أن المسلمين الأولين الذين أتوا بعد السابقين لم يفتحوا بلداً، وتمكنوا منه إلا نشروا الإسلام في ربوعه، وفعلهم في الأندلس، وغيرها من بلاد العجم شاهد صدق على ما أقول.

﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أدوها على الوجه الأكمل، وانظر الآية رقم [٣١ و٥٨] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: وهو ما استحسنه الشرع، والعقل، والفطرة السليمة، والمنكر: ما استقبحه الشرع، والعقل، والفطرة السليمة. ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: آخر أمور الخلق، ومصيرها إليه تعالى؛ لأنه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه، فتصير الأمور إليه بلا منازع. هذا؛ وإعلال (آتوا) و(نهوا) مثل إعلال: ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ في الآية رقم [١٠٩] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟...﴾ إلخ، أو بدل مِنْ ﴿مَن﴾ انظر التفسير، والشرح يتضح لك ذلك، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني، أو هو خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، والبدلية أقوى؛ لشدة ارتباط الكلام بعضه ببعض. تأمل. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(نا): فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَقَامُوا۟﴾: ماض مبني على الضم في محل جزم جواب الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به، والجملة: (آتوا الزكاة...) إلخ كلها معطوفة على جملة جواب الشرط، و﴿إِن﴾ ومدخولها صلة الموصول، فهو كلام لا محل له من الإعراب. ﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿عَٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأُمُورِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: في هذا الكلام تسلية للنبي، وتعزية عما كان يلقاه من أذى قومه له. أي: كان قبلك أنبياء كُذِّبوا، فصبروا، وأوذوا، فاحتملوا إلى أن أهلك الله المكذبين، فاقتد بهم، واصبر، فإنك منصور على قومك، كما نصرت الرسل على أقوامهم، وما أكثر مثل هذه التسلية للنبي ﷺ، وإنك تجدها واضحة كل وضوح في سورة (الأنعام)، وإن أردت أن تعرف تفصيل ما جرى بين هؤلاء

الأقوام وبين رسلهم؛ فانظر سورة (الأعراف)، وسورة (هود) عليه السلام، وسورة (الشعراء). وانظر شرح ﴿قَوْمَ﴾ في الآية رقم [٧٤] من سورة (الأنبياء)، و(عاد) قوم هود، و(ثمود) قوم صالح، واستغنى فيهما عن ذكر قومهما لاستشهارهم بهذا الاسم الأخصر، والأصل في التعبير العلَم، ولا علَم لغيرهما هذا؛ وفي الآية دليل على تأنيث ﴿قَوْمُ﴾ لأن الفعل ﴿كَذَّبَتْ﴾ أنث.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. . .إلخ، وجواب الشرط محذوف؛ إذ التقدير: فاصبر، وتأسَّ. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف تعليل. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَذَّبَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿قَبْلَهُمْ﴾: ظرف متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَوْمُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾: معطوفان على ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾. ﴿وَقَوْمُ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مضاف، و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها تعليل للجواب المحذوف، وهو أولى من اعتبارها جواباً للشرط، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ معطوف أيضاً، وهو مضاف ومضاف إليه.

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ﴾: المراد: من أرسل إليهم شعيب عليه السلام، ولم يقل: وقوم شعيب؛ لأن قومه يشملون أصحاب مدين، وأصحاب الأيكة، وأصحاب مدين سابقون على أصحاب الأيكة في التكذيب له، فخصوا بالذكر لسبقهم في التكذيب، وانظر ﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ في سورة (الشعراء) الآية رقم [١٧٦] وما بعدها. ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾: غيَّر النظم، وبنى الفعل للمفعول؛ لأن قومه بني إسرائيل لم يكذبوه، وإنما كذبه فرعون، وقوم فرعون، ولأن تكذيبه كان أشنع، وكانت آياته أعظم وأشيع، ولا تنس: أنه لقي من عنت بني إسرائيل، وفسادهم، وفجورهم، وفسوقهم ما لقي، وأكثر ما تجد ذلك في سورة (الأعراف)، وسورة (البقرة).

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أمهلتهم، وأخرت العقوبة عنهم إلى انتهاء آجالهم، وهذا كقوله تعالى في سورتَي (الأعراف) و(ن): ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ﴾ أي: عاقبتهم. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: استفهام معناه التعجب، ومفاده التغيير، أي: فانظر كيف كان تغييري ما كانوا فيه من النعم، والرخاء بالعذاب، والهلاك؟! فكذلك أفعل بالمكذبين من قريش. قال الجوهري: النكير، والإنكار تغيير المنكر. أو المعنى: فكيف كان عقابي للمكذبين الأولين؟!

فليحذر كفار قريش من مثله، أي: فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكاري بالتدمير، والإهلاك، والاستئصال، ولم تغن عنهم قوتهم، ولا أموالهم، ولا أولادهم شيئاً، فما لكفار قريش لا يهتدون، ولا يعتبرون بهؤلاء؟! فلا يرتدعون عما هم عليه من الكفر، والعصيان، والطغيان. بعد هذا انظر شرح (الكفر) في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء)، وشرح (صاحب) في الآية رقم [٣٤] من سورة (الكهف)، وشرح ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٦٥] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿وَأَصْحَٰبُ﴾: معطوف على ﴿قَوْمُ نُوحٍ...﴾ إلخ، و(أصحاب) مضاف، و﴿مَدْيَنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. (كُذِّبَ): ماض مبني للمجهول. ﴿مُوسَىٰ﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (قد كذبت...) إلخ أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. (أمليت): فعل، وفاعل. ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَخَذْتُهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (كيف): اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها، ومفاد الاستفهام الإنكار، والتعجب. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿نَكِيرِ﴾: اسم كان مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ مستأنفة لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: كثير من القرى. ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾: أهلكنا أهلها، ويقرأ: (أهلكتها). ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: لنفسها بالكفر، وارتكاب المعاصي. ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة. ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: على سقوفها، وقيل: إن أشجار العنب المعرشة سقطت عروشها على الأرض. ومثله في (البقرة) الآية رقم [٢٥٩]، وفي الكهف [٤٢]. ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: وكم من بئر عامرة في البوادي متروكة مخلاة، لا يسقى منها أحد لهلاك أهلها. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ أي: رفيع طويل، وقيل: مشيد بالجص، وأصحاب القصور ملوك الحضر، وأصحاب الآبار ملوك البوادي، والمعنى: أهلكنا هؤلاء، وهؤلاء، ولـ: (قَصْرٍ) صفة محذوفة، أي: معطل غير مسكون.

هذا؛ وقيل: إن البئر المعطلة، والقصر المشيد باليمن، أما القصر فعلى قُلّة جبل، والبئر في سفحه، ولكل واحد منهما قوم، كانوا في نعمة، فكفروا، فأهلكهم الله، وبقي القصر، والبئر

خاليين. وقيل: إن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها: حاضوراء، وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا إلى حضرموت، ومعهم صالح، فلما وصلوا إلى حضرموت؛ مات صالح، فسُمِّي المكان حضرموت لذلك، ولما مات صالح؛ بنوا حاضوراء، وقعدوا على هذا البئر، وأمَّروا عليهم رجلاً منهم، فأقاموا دهراً، وتناسلوا حتى كثروا، وعبدوا الأصنام، فأرسل الله تعالى إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان، فوعظهم، ونهاهم، فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله، وعطلت بئرهم، وخرب قصرهم. انتهى. خازن.

هذا؛ وقال السهيلي. وأما القصر المشيد؛ فقصر بناه شدّاد بن عاد بن إرم، لم يبن مثله في الأرض ـ فيما ذكروا، وزعموا ـ. وحاله أيضاً كحال هذه البئر المذكورة في إيحاشه بعد الأنيس. انتهى. قرطبي. أقول وهذا القصر ذكره الله تعالى في سورة (الفجر)، كما ستعرفه إن شاء الله تعالى. هذا؛ وسمي القصر قصراً؛ لقصور الفقراء عن تحصيله، وحبسهم عن نيله، والوصول إليه، والأظهر أن البئر، والقصر على العموم من غير تعيين.

هذا؛ وأما (كأين): أصلها: «أي» الاستفهامية، دخلت عليها كاف التشبيه، فصارت بمعنى «كم» الخبرية التكثيرية، وهي كناية عن عدد مبهم مثل: «كم» و«كذا» وفيها خمس لغات، كلها قرئ بها: إحداها: (كَأَيِّنْ) وهي الأصل، وبها قرأ الجماعة إلا ابن كثير. والثانية: (كائِن) بوزن: كَاعِن، وبها قرأ ابن كثير، وجماعة، وهي أكثر استعمالاً من (كَأَيِّن) وإن كانت الأصل، وهو كثير في الشعر العربي. الثالثة: (كئِين) بوزن: كريم. الرابعة: (كَيْئِنْ) بياء ساكنة، وهمزة مكسورة. والخامسة: (كَأَنْ) بوزن: كَفَن. هذا؛ والجلال المحلي اعتبر (كأيِّن) بسيطة غير مركبة، وأن آخرها نون من نفس الكلمة لا تنوين؛ لأن هذه الدعاوى المتقدمة لا يقوم عليها دليل، والشيخ رحمه الله تعالى سلك في ذلك الطريق الأسهل، والنحويون ذكروا هذه الأشياء محافظة على أصولهم مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد، وتشحين الذهن، وتمرينه. انتهى. جمل.

هذا؛ و(البئر) ركية الماء التي تطوى بالحجارة، قال سنان بن الفحل الطائي: [الوافر]

فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءُ أبِي وَجَدِّي وَبِئْرِي ذُو حَفَرْتُ وذُو طَوَيْتُ

فإذا لم تبن بالحجارة فهي: جب، كما رأيت في الآية رقم [١٠] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وهي مؤنثة، وجمعها في القلة: أبؤر، وأبآر، ومن العرب من يقلب الهمزة، فيقول: آبار، فإذا كثرت فهي البئار، كالديار.

الإعراب: ﴿فَكَأَيِّن﴾: الفاء: حرف استئناف. (كأين): اسم كناية بمعنى كثير مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وأجاز السمين اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرْيَةٍ﴾: تمييز لـ: (كأين) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة

على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، أو هي مفسرة لا محل لها على الوجه الثاني، والكلام مستأنف لا محل له، وانظر مانقلته عن الزمخشري في الآية رقم [٤٨] الآتية. ﴿وَهِيَ﴾: الواو: واو الحال. (هي): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ظَالِمَةٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. وجملة: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ معطوفة على جملة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ فهي في محل رفع خبر مثلها. ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَاوِيَةٌ﴾ وأجاز الزمخشري تعليقهما بمحذوف خبر ثان للمبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبِئْرٍ﴾: معطوف على ﴿قَرْيَةٍ﴾. ﴿مُعَطَّلَةٍ﴾: صفة (بئر). ﴿وَقَصْرٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مَشِيدٍ﴾: صفة (قصر) وله صفة أخرى محذوفة، مدلول عليها بصفة (بئر) أي: قصر مشيد معطل.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: حث لكفار قريش على أن يسافروا، فيشاهدوا هذه القرى المُهْلَكة، فيعتبروا، ويتعظوا، ويحذروا عقاب الله أن ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم. ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾: ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار، والاستدلال. وأضاف العقل، ـ أي الفهم ـ إلى القلب؛ لأنه محله، كما أن السمع محله الأذن.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: الضمير ضمير القصة، والجملة الفعلية بعده مفسرة له، ويقرأ: (فإنه) بالتذكير على أن الضمير ضمير الشأن. ﴿وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ...﴾ إلخ: المعنى فما عميت أبصارهم عن الإبصار، بل عميت قلوبهم عن الاستبصار، والاعتبار، ولكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه، وعينان في قلبه، فإذا أبصر ما في القلب، وعمي ما في الرأس؛ لم يضره، وإن أبصر ما في الرأس، وعمي ما في القلب؛ لم ينفعه، كيف لا؛ وقد اعتبر الله الكفار أهل جهنم كالأنعام بل هم أضل، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لايبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، انظر الآية رقم [١٧٩] من سورة (الأعراف) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، واستعمال العمى في القلب استعارة. هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ زيادة تصوير وتقرير، فإن القلوب في الصدور كما هو معروف. وفيه إشعار: أن عيونهم سليمة لا عيب فيها، إنما الخلل في عقولهم، وفي قلوبهم. هذا؛ ولما عمي عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنشد يقول: [البسيط]

إنْ يَأْخُذِ الله مِنْ عَيْنَيَّ نورَهُمَا فَإِنَّ قَلْبِي مضِيٌّ ما بِهِ ضَرَرُ
أَرَى بِقَلْبِي دنيايَ وآخِرَتِي والقلبُ يدركُ ما لا يُدْرِكُ البَصَرُ

فاحفظهما فإنهما درة ثمينة، وخذ قول بشار بن برد الأعمى: [مجزوء البسيط]

قالوا العمى منظر قبيحٌ قلتُ بفقدانكم يهونُ
والله ما في الوجود شيءٌ تبكي على فقده العيونُ

وله أيضاً، وهي فائدة عظيمة: [الطويل]

شفاء العمى طول السؤال وإنما دوامُ العمى طولُ السُّكوتِ عَلَى الْجَهْلِ
فكُنْ سائلاً عمَّا عناك فإنَّما دُعِيتَ أخا عقلٍ لِتَبْحَثَ بالعَقْلِ

هذا؛ وقال ابن عباس، ومقاتل، وقتادة، وابن جبير ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ...﴾ إلخ الآية رقم [٧٢] من سورة (الإسراء) قال عبد الله بن أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! أنا في الدنيا أعمى، أفأكون في الآخرة أعمى؟! فنزلت هذه الآية التي نحن بصدد شرحها، أي: من كان أعمى في الدنيا عن الحق، أو أعمى بقلبه عن الإسلام، فهو في الآخرة في النار، وأعمى عن طريق الجنة. هذا؛ وطلب السير في الأرض، والأمر فيه متكرر في القرآن الكريم بكثرة، والغرض منه الحث على التفكر والاعتبار، بما جرى للأمم السابقة التي كذبت رسلها من الهلاك، والاستئصال، وما يعتبر إلا ذوو البصيرة، والألباب. انظر مثل: ﴿أَفَلَمْ﴾ في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري؛ إن كانوا قد سافروا، ولم يعتبروا. أو للحث على السفر؛ ليروا مصارع من تقدمهم؛ إن كانوا لم يسافروا. الفاء: حرف عطف، أو استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسِيرُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أغفلوا فلم يسيروا؟! أو هي مستأنفة، والكلام على الاعتبارين مستأنف لا محل له. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَتَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد الفاء السببية. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (تكون) مقدم. ﴿قُلُوبٌ﴾: اسمه مؤخر، و«أن» المضمرة، والفعل (تكون) في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: ألا سير يحصل منهم في الأرض، ففهم لقلوبهم. ﴿يَعْقِلُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِهَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صفة ﴿قُلُوبٌ﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿ءَاذَانٌ﴾: معطوف على ﴿قُلُوبٌ﴾، والجملة الفعلية ﴿يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ صفة ﴿ءَاذَانٌ﴾. ﴿فَإِنَّهَا﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنها): حرف مشبه بالفعل (ها): اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْمَى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية ﴿فَإِنَّهَا...﴾ إلخ

للتعليل لا محل لها، وجملة ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾. ﴿فِى ٱلصُّدُورِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: يطلبون منك يا محمد أن تعجل لهم ما وعدتهم به من العذاب. والمراد: النضر بن الحارث، وأبو جهل، وأضرابهما، الذين قالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ أي: في إنزال العذاب. قال الزجاج: استعجلوا العذاب، فأعلمهم الله: أنه لا يفوته شيء، وقد نزل بهم في الدنيا يوم بدر. وانظر ما ذكرته في «العجلة» في الآية رقم [٣٧] من سورة (الأنبياء).

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: يعني من الأيام التي خلق الله فيها السموات، والأرض. وقال عكرمة: يعني من أيام الآخرة.

أعلمهم الله إذ استعجلوه بالعذاب في أيام قصيرة: أنه يأتيهم به في أيام طويلة. وقال الفراء: هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم في الآخرة. هذا؛ ويوم النعيم في الآخرة كألف سنة أيضاً، يدل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَبشِرُوا يَا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَدْخُلُونَ الجنة قَبْلَ أَغنياء الناسِ بنصفِ يَوْمٍ، وَذَلِكَ مِقْدَارُ خَمْسمئةِ سَنةٍ**». أخرجه أبو داود، والترمذي. هذا؛ وقال تعالى في سورة (المعارج): ﴿مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وقيل: المراد به يوم القيامة، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى هناك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وقرئ: (يعدون) بالياء، فيكون في الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة، وقيل: التفات على قراءته بالتاء. تأمل، انظر الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء)، وشرح ﴿عَذَابٍ﴾ في الآية رقم [٤٦] منها، وانظر شرح ﴿سَنَةٍ﴾ في الآية رقم [٢٥] من سورة (الكهف)، وانظر شرح ﴿يَوْمًا﴾ في الآية رقم [١٤] من سورة (الإسراء)، وشرح (ربك) في رقم [٨] منها.

الإعراب: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يستعجلونك): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلَن﴾: الواو: حرف عطف. (لن): حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يُخْلِفَ﴾: مضارع منصوب بـ: (لن). ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿وَعْدَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل

لها مثلها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف، أو حرف عطف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿يَوْمًا﴾: اسم إنَّ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة ﴿يَوْمًا﴾، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَأَلْفِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) و(ألف) مضاف، و﴿سَنَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿سَنَةٍ﴾ و(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر بـ: (من)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: من الذي تعدونه في الدنيا، واعتبار (ما) مصدرية ضعيف، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين، وقيل: هي في محل نصب حال، وهو ضعيف أيضاً.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكم من أهل قرية، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب، ورجوع الضمائر. هذا؛ وقال الزمخشري: فإن قلت: لم عطفت الأولى بالفاء، أي التي في الآية رقم [٤٥] وهذه بالواو؟ قلت: الأولى وقعت بدلاً من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، وأما هذه فحكمها حكم الجملتين قبلها، المعطوفتين بالواو، أعني قوله تعالى: ﴿وَلَن يُخْلِفَ...﴾ إلخ.

﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾: أمهلتها كما أمهلتكم. ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: مثلكم، وانظر الآية رقم [٤٤ و٤٥] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ أي: بالعذاب، والانتقام. ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: مصير أهلها إليَّ في الآخرة، ومآلهم، ومرجعهم إليَّ ففيه وعيد، وتهديد.

الإعراب: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: انظر الآية رقم [٤٥] ففيها الكفاية. ﴿أَمْلَيْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَكَأَيِّن...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. والجملة الاسمية: ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الواو، والضمير. ﴿أَخَذْتُهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ فهي في محل رفع مثلها. (إلي): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ بأن يقول لأهل مكة: إني منذر لكم من غضب الله، وسخطه، وانتقامه؛ إن أعرضتم عن الإيمان، والتوحيد، وإنما لم يقل: «بشير ونذير» لذكر

الفريقين بعده؛ لأن الحديث مسوق للمشركين، والنداء خاص بهم، وهم الذين قيل فيهم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾، ووصفوا بالاستعجال، وإنما أقحم المؤمنون، وثوابهم؛ ليغاظوا، وانظر إعلال ﴿مُّبِينٌ﴾ في الآية رقم [١١].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١] وهي هنا في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بنذير بعدهما. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وإنما أفادت الحصر، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: على اختلاف أنواعها، وتفاوت درجاتها. وانظر الاحتراس في الآية رقم [٩٤] من سورة (الأنبياء). ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: لا ينتهي عدده، ولا ينقطع مدده، صاف عن كد الاكتساب، وخوف الحساب، لا منة فيه، ولا عذاب. والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله، وهو صفة لكل ما يرضي في بابه، يقال: وجه كريم؛ أي: مرضٍ بحسنه وجماله. وكتاب كريم: مرضٍ في معانيه، وفوائده. ونبات كريم: مرضٍ فيما يتعلق به من المنافع، قال تعالى: ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ وقس على ذلك الإنسان، والحيوان... إلخ، وانظر شرح ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ في الآية رقم [٥٨] الآتية.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾: مغالبين، أو معاندين، أو مثبطين الناس عن الإسلام، يقولون لهم: محمد ﷺ ساحر، وما جاء به سحر، أو يقولون لهم: هو كاهن، أو شاعر... إلخ. هذا؛ وعاجزه: سابقه؛ إذا كان كل واحد منهما يسعى في طلب إعجاز الآخر عن اللَّحاق به، فإذا سبقه؛ قيل: أعجزه، وعَجَّزه. ويقرأ: (مُعَجِّزِينَ) بتشديد الجيم. هذا؛ ومعنى: ﴿سَعَوْاْ﴾: اجتهدوا. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: النار الموقدة التي تشتعل بهم. هذا؛ وقد قابل سبحانه بين المؤمنين المطيعين وبين الكافرين المعاندين، وذكر جزاء كل فريق منهم. انظر الآية رقم [١٤]. هذا؛ ولا تنس: أن الوعد، والوعيد يشملان الذكور، والإناث من بني آدم، كما قد صرحت به بعض الآيات القرآنية، وانظر مثل إعلال (سَعَوْا) في الآية رقم [١٠٩] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلته، وجملة: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾: مبتدأ

مؤخر. ﴿وَرِزْقٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة (رزق)، والجملة الاسمية: ﴿لَهُم...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

(الذين): مبتدأ. ﴿سَعَوْا۟﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وانظر دخول الفاء في خبر (الذين) في الآية رقم [٥٦] الآتية.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾: قرأ، وتلا. ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: في قراءته وتلاوته. قال الشاعر في عثمان ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ ... تَمَنِّي داودَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ

أي: قرأ كتاب الله، ومثله قول حسان بن ثابت فيه ـ رضي الله عنهما ـ: [الطويل]

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ ... وآخِرَهَا لاَقَى حِمَامَ المَقَادِرِ

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فيبطله، ويذهب به، بل ويمحقه. ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾: يثبتها، ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما أوحى إلى نبيه، وبقصد الشيطان، لا يعزب عن علمه شيء في الأرض، ولا في السماء. ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يفعله، لا يدع لبساً؛ حتى يكشفه، ويزيله.

تنبيه: لقد كثر القيل والقال في سبب نزول هذه الآية، وما تضمنته من معنى، وكثرت الروايات فيها حتى زلت قدم بعض المفسرين في ذلك حيث نسبوا للرسول المعظم ما يحط من مكانته عند ربه، وما لا يليق بمقامه العظيم في الدنيا، والآخرة! ولقد أحسن الإمام النسفي القول في ذلك جزاه الله خيراً، وأكرم مثواه، حيث ذكر باختصار بعض الروايات التي عنيتها، ثمَّ فنَّدها ثمَّ وصل إلى وجه الحقيقة منزهاً الرسول ﷺ عن كل ما لا يليق بمقامه الكريم، وهاك قوله بحروفه.

قالوا: إنه عليه السلام كان في نادي قومه يقرأ: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، فلما بلغ: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ جرى على لسانه تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى. ولم يفطن له؛ حتى أدركته العصمة، فتنبه عليه، وقيل: نبهه جبريل عليه السلام، فأخبره: أن ذلك كان من الشيطان. وهذا القول غير مرض؛ لأنه لا يخلو إما أن يتكلم النبي ﷺ بها عمداً، وهذا لا يجوز؛ لأنه كفر، ولأنه بُعِثَ طاعناً للأصنام، لا مادحاً لها. أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي ﷺ جبراً، بحيث لا يقدر على الامتناع منه. وهو ممتنع؛ لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ ففي حقه أولى. أو أجرى ذلك على لسانه سهواً، وغفلةً، وهو مردودٌ أيضاً؛ لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي، ولو جاز ذلك؛ لبطل الاعتماد على قوله؛ ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾.

فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد، وهو أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلاً بقراءة النبي ﷺ، فوقع عند بعضهم: أنه عليه السلام هو الذي تكلم بها، فيكون هذا إلقاء في قراءة النبي عليه السلام، وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام، ويسمع كلامه، فقد روي: أنه نادى يوم أُحُدٍ: ألا إن محمداً قد قُتِلَ، وقال يوم بدر كما حكى الله تعالى عنه: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾. هذا؛ وانظر شرح هذه الآية برقم [٤٨] من سورة (الأنفال)، وقد رأيت: أنه تشخص بشخص رجل كبير السن ليلة الهجرة المباركة، ودخل على المؤتمرين، واشترك في المشاورة بأمر النبي ﷺ. انظر الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنفال).

هذا؛ ولمَّا قرأ النبي ﷺ سورة (النجم)؛ سجد في آخرها لآية سجدتها، وسجد معه مَنْ حضر من المسلمين، والمشركين. فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قَرَأَ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ فسجَدَ فيها، وسجدَ مَنْ كانَ مَعَهُ غَيْر أنَّ شيخاً مِنْ قريشٍ أخذَ كفَّاً مِنْ حَصَىً، أو تُرابٍ فرفَعَهُ إلَى جَبْهَتِهِ، قال عبدُ الله: فلقدْ رأيتُهُ بعْدُ قُتِلَ كافراً. أخرجه البخاري، ومسلم.

وهذا صريح بأن المشركين سجدوا معه ﷺ، وهذه القصة حدثت بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة، فأشيع أن أهل مكة أسلموا جميعاً، وبلغ الخبر الذين كانوا بأرض الحبشة ففرح المسلمون، ورجعوا إلى مكة، ولكنهم رأوا قريشاً لا تزال على دينها، وقد اشتدوا، وأمعنوا في إيذاء المسلمين المستضعفين، ولمَّا تبيّن لهم: أن قريشاً لم يسلموا؛ رجعوا إلى الحبشة، وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية، فهاجر غالب المسلمين، فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلاً، وثماني عشرة امرأة، فبقوا عنده؛ حتى هاجر الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة، وحصلت غزوة بدر، وأحد، فذهبوا من الحبشة إلى المدينة، وكان يرأسهم جعفر بن أبي طالب، ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

هذا؛ وفي عطف ﴿نَبِيٍّ﴾ على ﴿رَسُولٍ﴾ إشارة واضحة على أنه غيره، وقيل: هو أعم منه؛ لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. وتعريفهما، فالرسول: ذكرٌ، حرٌّ من بني آدم، سليم عن منفر طبعاً، أوحي إليه بشرع يعمل به، ويؤمر بتبليغه، فإن لم يؤمر بالتبليغ؛ فهو نبي، وليس رسولاً. هذا؛ والنبي مأخوذ من النبأ: وهو الخبر، انظر الآية رقم [١٣] من سورة (الكهف). وقيل: بل هو مأخوذ من النَّبْوَة: وهو الارتفاع: لأنَّ رتبة النبي ارتفعت عن رتبة سائر الخلق. وهو يقرأ بالهمز، وبدونه هذا؛ ويروى: أن أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ سأل رسول الله ﷺ عن عدد الأنبياء، فقال: «**مِئَةُ أَلْفٍ وأَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ ألفاً**». قالَ: كَمْ عَدَدُ الرسل منهم؟ قال: «**ثلاثُمِئَةٍ وثَلاثَة عَشرَ، أولُ الرُّسُل آدَمُ، وآخِرهُم نبِيُّكُمْ مُحَمدٌ، عليهِ السلام**».

هذا؛ وأربعة منهم من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد، صلى الله عليهم جميعاً، وسلم. وإسماعيل مستعرب، والمذكور منهم في القرآن بأسمائهم خمسة وعشرون، ومعرفتهم بأسمائهم واجبة، على كل مسلم، ومسلمة من المكلفين، وأعني بمعرفتهم: أنه لو عرض اسم رسول على مسلم، فيجب أن يعرف، أهو من المرسلين، أم لا؟ هذا؛ وقد ذكر الله في آيات الأنعام ثمانية عشر رسولاً بأسمائهم من غير ترتيب، لا بحسب الزمان، ولا بحسب الفضل؛ لأن الواو العاطفة لا تقتضي الترتيب، انظر الآية رقم [٨٣] وما بعدها من سورة (الأنعام)، وبقي سبعة لم يذكروا في سورة (الأنعام)، وذكروا في غيرها، وهم: إدريس، وشعيب، وصالح، وهود، وذو الكفل، وهو ابن أيوب الذي ذكر في سورة (الأنبياء)، ومحمد صلى الله عليهم جميعاً، وسلم، فهؤلاء الخمسة والعشرون رسولاً هم الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وقد نظموا في قول بعضهم: [البسيط]

حَتْمٌ علَى كُلِّ ذي التَّكْليفِ مَعْرِفَةٌ ... بأَنْبياءٍ علَى التَّفصِيل قَدْ عُلِمُوا

في تِلْكَ حُجَّتُنا منهمْ ثَمانيةٌ ... مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ، ويَبْقى سَبْعةٌ وهُمُو

إدْرِيسُ هودٌ شُعيْبٌ صَالِحٌ وكذَا ... ذُو الكِفلِ آدمُ بالمختارِ قدْ خُتِمُوا

ويعني بقوله في ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ آيات الأنعام المذكورة. هذا؛ وفي الآية تسلية ثانية للرسول ﷺ.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَبْلِكَ﴾: ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وهو متعلق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿رَسُولٍ﴾: مفعول به منصوب... إلخ. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿نَبِيٍّ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء، أو حرف حصر. ﴿إِذَآ﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف

للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿نَبِيٍّ﴾ و﴿رَسُولٍ﴾ والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، وجملة: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها. ﴿فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. والهاء في محل جر بالإضافة، و(إذا) ومدخولها في محل نصب على الاستثناء المنقطع، أو في محل جرٍّ صفة ﴿نَبِيٍّ﴾ أفاده أبو البقاء، وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له ألبتة. والكلام: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ مستأنف لا محل له. ﴿فَيَنسَخُ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو عطف. (ينسخ): مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي أو شيئاً يلقيه الشيطان، وأجيز اعتبار ما مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: فينسخ الله إلقاء الشيطان، وجملة ﴿فَيَنسَخُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾: محنة، وابتلاء، واختباراً، والله يختبر عباده بما يشاء. ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك، ونفاق، فهو يمرض القلوب؛ أي: يضعفها بضعف الإيمان فيها، والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن، فيخرجه عن الاعتلال اللائق به، ويوجب الخلل في أفعاله، وهو يؤدي إلى الموت، واستعير هنا وفي كثير من الآيات لما في القلوب من الجهل، وفساد العقيدة، والمراد بالذين في قلوبهم مرض ضعفاء الإيمان الذين ارتدوا عن الإسلام حين حصلت الحادثة؛ التي رأيتها في الآية السابقة.

﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المراد بهم: المشركون الذين سجدوا مع الرسول ﷺ، ثم عادوا إلى عتوهم، وعنادهم. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لأنفسهم من مشركين، ومَنْ حذا حذوهم، وانظر التعبير بـ: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ونحوه عن المشركين في الآية رقم [٧٤] من سورة (طه). ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: لفي خلاف وعصيان ومشاقة لله عز وجل، ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين، ومعنى ﴿بَعِيدٍ﴾ شديد، وقول الجلال رحمه الله تعالى: لفي خلاف طويل مع النبي، والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك انتهى. أقول: هذا كلام قد بينت بطلانه في الآية السابقة، فليتنبه له. ونقل الجمل عن الخازن ما تدارك الخازن نفسه بطلانه أيضاً، فليتنبه له أيضاً.

هذا؛ ولـ (الشقاق) ثلاثة معان: أحدها: العداوة، كما في قوله تعالى حكاية عن قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ...﴾ إلخ [٨٩] من سورة (هود). والثاني: الضلال، والكفر كما في هذه الآية التي نحن بصدد شرحها. والثالث: الخلاف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا...﴾ إلخ [٣٥] (النساء).

هذا؛ وقد قال الثعلبي: وفي الآية دليل على أن الأنبياء يجوز عليهم السهو، والنسيان، والخطأ بوسواس الشيطان، أو عند شغل القلب حتى يغلط، ثم يُنبه، ويرجع إلى الصحيح، وهو معنى قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ ولكن إنما يكون الغلط على حسب ما يغلط أحدنا، فأما ما يضاف إليه من قولهم: تلك الغرانيق العلا، فكذب على النبي ﷺ؛ لأن فيه تعظيم الأصنام، ولا يجوز ذلك على الأنبياء، كما لا يجوز أن يقرأ بعض القرآن، ثم ينشد شعراً، ويقول: غلطت، وظننته قرآناً. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿لِّيَجۡعَلَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله)، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (يحكم) وإليه نحا الحوفي، فتكون الجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ معترضة، أو هما متعلقان بالفعل (ينسخ) وإليه ذهب ابن عطية، أو هما متعلقان بالفعل ﴿أَلۡقَى﴾، وليس بظاهر. انتهى. جمل. ﴿مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: انظر الآية السابقة، ففيها الكفاية. ﴿فِتۡنَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿فِتۡنَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها. ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها؛ هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صلة الموصول، و﴿مَّرَضٌ﴾ فاعلاً بمتعلقهما، التقدير: للذين استقر في قلوبهم مرض. ﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ﴾: معطوف على الموصول. ﴿قُلُوبُهُمۡۗ﴾: فاعل له، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اسم (إن) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿لَفِي﴾: اللام: هي المزحلقة. (في شقاق): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿بَعِيدٍ﴾: صفة (شقاق) والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾: وليوقن، ويعتقد. ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾: وهم من المؤمنين الموحدين الذين ليس في قلوبهم مرض، ولا زيغ عن الإيمان، والتوحيد: ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن، والذي أحكم، وأثبت من آياته. ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: الحق النازل من عند الله، لا ريب فيه، ولا يشوبه تحريف،

ولا تزييف، ولا يتلاعب به مخلوق من شيطان، وغيره من الجن، والإنس إلى يوم القيامة؛ لأن الله تعالى تكفل بحفظه، ورعايته. ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: يؤمن أهل العلم بالقرآن، ويعترفوا: أنه من عند الله. ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخضع، وتطيع، وتخشع عند تلاوته، أو سماعه.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: لموفق لهم ومثبت أقدامهم على الطريق المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، وهو دين الإسلام الذي جاء به سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام.

أما ﴿أُوتُوا﴾ فأصله: أُوتِيُوا، فاستثقلت الضمة على الياء، فحذفت، فصار أُوتِوْا، ثم قلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو، والفعل «أتى» يستعمل لازماً إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، وقرب، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ...﴾ إلخ، ويستعمل متعدياً لمفعول واحد إن كان بمعنى: وصل، وبلغ، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ...﴾ إلخ، وكما في الآية التالية، وأما «أتى» بمعنى: أعطى، ومنح؛ فهو ينصب مفعولين كما في هذه الآية، فإن معنى أوتوا: أعطوا، ومنحوا، ولا تنس: أن الله ذكر حال الظالمين في الآية السابقة، ثم ذكر حال المؤمنين في هذه الآية، وذلك من باب المقابلة، والمقارنة بين حال الفريقين، انظر رقم [١٤].

الإعراب: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾: معطوف على ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ وهو مثله في إعرابه، وتأويل المصدر وجره. . .إلخ. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعله. ﴿أُوتُوا﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والعائد، والألف للتفريق. ﴿الْعِلْمَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والمصدر المؤول من: ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل (يعلم). ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿الْحَقُّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فَيُؤْمِنُوا﴾: معطوف على (ليعلم) بالفاء العاطفة منصوب مثله، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، واعتبار الفاء للسببية، والنصب بـ: «أن» مضمرة بعدها لا بأس به. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَتُخْبِتَ﴾: مضارع معطوف على ما قبله. ﴿لَهُ﴾: متعلقان به. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها ﴿لَهَادِ﴾: خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، واللام هي المزحلقة، و(هادي) مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ ويقرأ (لهادٍ الَّذين) بتنوين الدال، فيكون الموصول مفعولاً صَريحاً. تأمل. والكسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. وجملة: ﴿ءَامَنُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان بـ: (هاد). ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة ﴿صِرَٰطٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شك، وريب. ﴿مِّنْهُ﴾: من القرآن، أو من الرسول، أو من الدِّين، أو مما تكلم به الشيطان على لسان الرسول ﷺ، يقولون: ما باله ذكر آلهتنا بخير، ثم ارتدَّ عنه؟ ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فجأة، وانظر الآية رقم [٤٩ و٩٦] من سورة (الأنبياء) تجد شرح الساعة، وعلاماتها. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يعني: يوم بدر، فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج، أو راحة، كالريح العقيم، لا تأتي بخير، لا تنشئ مطراً، ولا تلقح شجراً، أو عذاب يوم شديد لا رحمة فيه، أو لا مثل له في عظم شأنه لقتال الملائكة فيه، وعن الضحاك: إنه يوم القيامة، فهو يوم لا ليلة بعده. انتهى. والعقيم في اللغة: عبارة عمن لا يكون له ولد، ولما كان الولد إنما يكون بين أبوين، وكانت الأيام تتوالى قبل، وبعد؛ جعل الاتباع فيها بالبعدية كهيئة الولادة، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم؛ وصف بالعقيم. انتهى. قرطبي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وفي الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه سبحانه وتعالى ما لا خير فيه من الزمان بالنساء العقيم، كما شبهت الريح التي لا تحمل السحاب، ولا تلقح الأشجار بهن تشبيهاً مضمراً في النفس، وإثبات العقم تخييل. انتهى. جمل بتصرف.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَزَالُ﴾: مضارع ناقص. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع اسم ﴿يَزَالُ﴾، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (لا يزال). ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿مِرْيَةٍ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر، بعدها «أن» مضمرة. ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ والهاء مفعول به. ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: فاعله. ﴿بَغْتَةً﴾: حال من ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ بمعنى: باغتة، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: تبغتهم بغتة، وتكون هذه الجملة في محل نصب حال من الساعة. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿بَغْتَةً﴾ مصدراً للفعل تأتي من غير لفظه، كقولهم: أتيته ركضاً، فتكون نائب مفعول مطلق. و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف أيضاً، التقدير: مستمراً ذلك منهم إلى أن تأتيهم، أو إلى إتيان الساعة... إلخ. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله. ﴿عَذَابُ﴾: فاعله، وهو مضاف و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسمه إلى ظرفه. ﴿عَقِيمٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾، وجملة: ﴿وَلَا يَزَالُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾: التنوين فيه ينوب عن جملة محذوفة، دلت عليها الغاية، أي: يوم تزول حريتهم، و(إذ) مضافة لهذه الجملة في الأصل، فإن أصل الكلام يوم إذ تزول حريتهم، ويرون بأعينهم ما لم يكن بحسبانهم. فحذفت الجملة الفعلية، وعوض عنها التنوين، وكسرت الذال لالتقاء الساكنين، كما كسرت الهاء في صَهٍ، ومَهٍ عند تنوينهما، ومثل ذلك قل في حينئذٍ، وساعتئذٍ ونحوهما.

﴿لِّلَّهِ﴾: وحده لا شريك له فيه، ولا منازع، بخلاف الدنيا فكثير من الناس يدعون الملك، ويتكبرون، ويتجبرون. واللام مفيدة للملك الحقيقي الذي هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور. ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين المؤمنين، والكافرين، وبين الظالمين، والمظلومين... إلخ، ثم بين حكمه بينهم، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ إلخ، وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالجنات تفضل منه تعالى، وأنَّ عقاب الكفار مسبب عن أعمالهم الخبيثة؛ ولذلك قال: لهم عذاب، ولم يقل: هم في عذاب. انتهى. بيضاوي بتصرف. أقول: لم تدخل الفاء في خبر الذين في الآية رقم [٥٠] مع أن المغزى واحد، فلله في كتابه حكم، وأسرار عجزت عن إدراكها البصائر والأبصار. انظر الاحتراس في الآية رقم [٩٤] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بالخبر المحذوف، الذي هو متعلق لله، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين. ﴿لِّلَّهِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿يَحْكُمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (الذين) ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٥٠]. ﴿فِى جَنَّٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿جَنَّٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّعِيمِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: (الذين آمنوا...) إلخ مفرعة عما قبلها، ومستأنفة لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: هذه الآية مرتبطة في الآية السابقة، ومقابلة لها، انظر شرحها، وانظر شرح (عذاب) في الآية رقم [٤٦] من سورة (الأنبياء). ﴿مُّهِينٌ﴾ مذل، فهو اسم فاعل من: أهان الرباعي، وإعلاله مثل إعلال: (مبين) في الآية رقم [١١]، وانظر (نا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم).

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب (قالوا) في الآية رقم [٢٧] من سورة (مريم) عليها السلام، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾: الفاء: صلة، وزيدت في خبر الموصول؛ لأنه يشبه الشرط في العموم. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ ويجوز اعتبار: ﴿لَهُمْ﴾ متعلقين بمحذوف خبر المبتدأ (أولئك)، ويكون ﴿عَذَابٌ﴾ فاعلاً بالخبر المحذوف. ﴿مُّهِينٌ﴾: صفة ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة الاسمية: (أولئك...) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (الذين...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: فارقوا أوطانهم، وعشائرهم في طاعة الله، وطلب مرضاته، وذلك بسبب مضايقة الكفار لهم، كالذي حصل من كفار مكة للمسلمين المستضعفين قبل فتح مكة. هذا؛ وقد سمى الله الجهاد في سبيله هجرة أيضاً، وهناك هجرة ثالثة، وهي هجرة جميع المعاصي، والابتعاد عنها. فقد قال الرسول المعظم ﷺ من حديث طويل: «**وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ**». وانظر الآية رقم [٩٧] من سورة (النساء) إن أردت الزيادة.

﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾: في قتالهم مع الكفار. ﴿أَوْ مَاتُواْ﴾: في بيوتهم، وعلى فرشهم. ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ أي: لا ينقطع أبداً، وهو رزق الجنة؛ لأن فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وإنما سوى سبحانه وتعالى بين من قُتِل في الجهاد، وبين من مات في بيته في الوعد لاستوائهما في القصد، والنية الحسنة، وهي نصرة هذا الدين، وإعلاء كلمته. هذا؛ وانظر شرح (رزق كريم) في الآية رقم [٥٠].

وسبب نزول هذه الآية الكريمة: أنه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون، وأبو سلمة بن عبد الأسد ـ رضي الله عنهما ـ قال بعض المسلمين: من قتل في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه، فنزلت هذه الآية مسوية بينهم في الأجر والثواب، وحسن المآب، وأن الله يرزق جميعهم رزقاً حسناً. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أعظم، وأكرم الرازقين.

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: الرزاق في الحقيقة هو الله عز وجل، لا رازق للخلق غيره، فكيف قال: وإن الله لهو خير الرازقين؟ قلت: قد يسمى غير الله رازقاً على المجاز، كقوله: رزق السلطان الجند؛ أي: أعطاهم أرزاقهم، وأن الرازق في الحقيقة هو الله تعالى، وقيل: لأن الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره. هذا؛ وانظر شرح (خير) في الآية رقم [٤٤] من سورة (الكهف).

الإعراب: (الذين): مبتدأ، وجملة: ﴿هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صلته، وانظر تفصيل الإعراب في الآية السابقة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿قُتِلُوٓا۟﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿مَاتُوا۟﴾ معطوفة أيضاً عليها لا محل لها مثلها. ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (يرزقنَّهم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول به ثان، أو هو مفعول مطلق مؤكد للفعل. ﴿حَسَنًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف لا محل لها، والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآيتين السابقتين لا محل لها مثلهما. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَهُوَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إن)، وإن اعتبرت الضمير فصلاً فيكون (خير) خبر (إنَّ) ودخلت اللام على الضمير الفصل؛ لأنه إذا جاز أن تدخل على خبر (إنَّ) فدخولها على ضمير الفصل أولى؛ لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل على المبتدأ. و(خير) مضاف، و﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء.. إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وانظر الآية رقم [٧] من سورة (العنكبوت) ففيها بحث قيم يتعلق بوقوع الجملة القسمية خبراً عن الموصول كما في هذه الآية.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾: الضمير يشمل مَنْ قتل في سبيل الله مجاهداً، ومن مات حتف أنفه. ﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾: هو الجنة، ونعيمها الدائم، يكرمون به، ولا ينالهم فيه مكروه. هذا؛ ويقرأ ﴿مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم من الرباعي، وبفتحها من الثلاثي، فعلى الأول هو مصدر على صورة اسم المفعول، وكثيراً ما يرد المصدر كذلك، نحو قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ويحتمل أن يكون اسم مكان، وعلى الثاني هو اسم مكان، ويحتمل أن يكون مصدراً

أيضاً، وانظر ﴿مُّنزَلًا﴾ في الآية رقم [٢٩] من سورة (المؤمنون). ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بأحوال المسلمين المجاهدين، وأحوال أعدائهم. ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. هذا؛ والحلم ـ بكسر الحاء، وسكون اللام: هو الأناة، والروية في الأمور، والتؤدة، والعقل، ومقابله السفه، والطيش الذي حدثتك عنه في الآية رقم [٦٦] من سورة (الأعراف) وغيرها. والحليم: من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي لا يستفزه عصيان العاصين، ولا يستثيره جحود الجاحدين. وانظر (الجهل) في الآية رقم [٦٣] من سورة (الفرقان) إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾: إعرابه مثل إعراب ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾ في الآية السابقة، وهو بدل منه، أو الجملة جواب قسم محذوف مثل الآية السابقة، والقسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿مُّدْخَلًا﴾: مفعول مطلق فيكون المفعول محذوفاً، التقدير: ليدخلنهم الجنة إدخالاً يرضونه، أو هو ظرف مكان وقع مفعولاً به، انظر الشرح. ﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب صفة (مدخلاً) أي مرضياً عندهم، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ مستأنفة لا محل لها، وإعرابها واضح إن شاء الله.

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الأمر ذلك، أو ذلك الأمر الذي قصصنا عليك. ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾: جازى، وانتقم ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾: اعتدي عليه، والمعنى: جازى الظالم بمثل ظلمه، عبر عن الجزاء بالعقاب مشاكلة لفعل الظالم، وهذه المشاكلة كثيرة في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، وقوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾. ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾: اعتدي عليه مرة ثانية، أي بالكلام، أو الإخراج من وطنه بالمضايقة ونحوها. ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾: لا محالة، والمراد محمد ﷺ وأصحابه، فإن الكفار بغوا عليهم، وهو يشمل كل مظلوم إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: للمنتقم المجازي الظالم، حيث اتبع هواه في الانتقام، وأعرض عما ندب الله إليه في قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ فإنه تعريض بالحث على العفو والمغفرة، فإنه تعالى مع كمال قدرته، وتعالي شأنه لما كان يعفو ويغفر، فغيره أولى، وتنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة؛ إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر، و(عَفُوٌّ): كثير العفو، و﴿غَفُورٌ﴾ كثير المغفرة، فهما صيغتا مبالغة.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في قوم من مشركي مكة لقوا قوماً من المسلمين في البرية، وذلك بعد الهجرة لليلتين بقيتا من المحرم، فقالوا: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام، فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون ألا يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا القتال، فحملوا عليهم، فثبت المسلمون، ونصرهم الله على المشركين، وحصل في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شيء، فنزلت هذه الآية، وما أشبه هذه الواقعة بالواقعة المذكورة في الآية رقم [٢١٦] من سورة (البقرة) إن لم تكن هي نفسها، فهي شبيهتها. تأمل. وقيل: نزلت في قوم من المشركين مثّلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد، فعاقبهم رسول الله ﷺ بمثله، فتكون هي الحادثة المذكورة في الآية رقم [١٢٦] وما بعدها من سورة (النحل).

هذا؛ وأما (مثل) فهو بكسر الميم، وسكون الثاء؛ ومثله: مثيل، نحو شبه، وشبيه: وهو اسم متوغل في الإبهام، فلا يتعرف بإضافته إلى الضمير، وغيره من المعارف؛ ولذلك نعتت به النكرة في قوله تعالى حكاية عن قول فرعون وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ ويوصف به المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وهو واضح في مواضعه، وتستعمل على ثلاثة أوجه: الأول: بمعنى: الشبيه، كما في الآية الكريمة، ونحوها. والثاني: بمعنى نفس الشيء، وذاته، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ عند بعضهم، حيث قال: المعنى: ليس كذاته شيء. والثالث: زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي بما آمنتم به، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٨] من سورة (المؤمنون).

هذا؛ وأما المثل في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً...﴾ إلخ وشبهه فهو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر، بينهما مشابهة؛ ليتبين أحدهما من الآخر، ويصوره. وقيل: هو تشبيه شيء بشيء آخر وبالجملة: هو القول السائر بين الناس، والذي فيه غرابة من بعض الوجوه والممثل بمضربه، أي: هو الحالة الأصلية التي ورد الكلام فيها. وما أكثر الأمثال في اللغة العربية، علماً بأن الأمثال لا تغير، تذكيراً، وتأنيثاً، إفراداً، وتثنيةً، وجمعاً، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل، أي أصله، مثل: (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ) فإنه يضرب لكل من فرط في تحصيل شيء في أوانه، ثم طلبه بعد فواته.

هذا؛ وأما «البغي» الذي هو مصدر (بُغِيَ عَلَيْهِ): فهو الظلم، والاعتداء على حق غيرك. وعواقبه ذميمة، ومآل الباغي وخيم، وعقباه أليمة، ولو أن له جنوداً بعدد الحصى، والرمل، والتراب، ورحم الله من يقول: [البسيط]

لَا يَأْمَنِ الدهرَ ذُو بَغْيٍ، ولَوْ مَلِكاً جنودُهُ ضاقَ عنْها السَّهْلُ والجَبَلُ

وعن النبي ﷺ قوله: «**لا تَمْكُرْ، ولا تُعِنْ ماكراً، ولا تَبْغِ، ولا تُعِنْ باغياً، ولا تَنْكُثْ، ولا تعِنْ ناكِثاً**». وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾، وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: (ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كُنَّ عَلَيهِ) وتلا الآيات الثلاث، وعن النبي ﷺ أنه قال: «**أَسْرعُ الخيرِ ثواباً صِلَةُ الرَّحم، وأَعْجَلُ الشَّرِّ عقوبة البَغْيُ، واليمينُ الفاجرةُ**». وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: (لو بَغى جبلٌ على جبلٍ لَدُكَّ البَاغي) ورحم الله من يقول: [البسيط]

يا صاحبَ الْبَغْيِ إنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعَةٌ ... فارْبعْ فَخَيْرُ مقالِ الْمَرْءِ أَعْدَلُهُ
فَلَوْ بَغى جَبَلٌ يَوْماً عَلَى جَبَلٍ ... لَانْدَكَّ مِنْهُ أَعَالِيهِ وأَسْفَلُهُ

وكان المأمون العباسي يتمثل بهذين البيتين في أخيه الأمين حين ابتدأ بالبغي عليه، قال الشاعر الحكيم: [مجزوء الكامل]

والْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ ... والظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

هذا؛ وانظر أنواع الظلم في رسالة: (الحج والحجاج في هذا الزمن) وأقبح أنواع الظلم أن يظلم الإنسان نفسه بارتكاب المعاصي والمنكرات، فيسبب لها الخلود في جهنم.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أو في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، انظر الشرح، وانظر مثله في الآية رقم [٣٠]، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وأجيز اعتبارها اسم شرط جازماً، ولا وجه له ألبتة. ﴿عَاقَبَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، والمفعول محذوف، تقديره: المعتدي. والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِمِثْلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(مثل) مضاف، و﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿عُوقِبَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿بُغِيَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾: إعراب هذه مثل إعراب ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآية [٥٨]، وهي مثلها جواب قسم محذوف، والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو (مَنْ)، والجملة الاسمية حينئذ مستأنفة، لا محل لها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: وهذه الجملة اسمية أيضاً، وهي مستأنفة، وإعرابها ظاهر إن شاء الله تعالى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: أي: ذلك النصر للمظلوم المذكور في الآية السابقة، والغفران له إذا انتقم من المعتدي بسبب أنه سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء، ومن علامات قدرته أنه يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، أي: يزيد من هذا في ذاك، ومن ذاك في هذا، أو بسبب: أنه خالق الليل، والنهار، ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر، والبغي، والإنصاف، وأنه سميع لما يقولون، ولا يشغله سمع عن سمع، وإن اختلفت في النهار الأصوات بفنون اللغات، بصير بما يعملون، ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي، وإن توالت الظلمات. انتهى. نسفي بتصرف كبير.

هذا؛ ويولج: يدخل، والماضي: أولج، فهو رباعي، ومصدره: الإيلاج، وأما الثلاثي، فهو: ولج، يلج، ومصدره: الولوج، والمراد بإيلاج الليل في النهار وبالعكس بأن يزيد كلٌّ منهما بما نقص من الآخر، كما هو ظاهر في طول الليل وقصره تبعاً لفصول السنة، قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ وقيل: المراد بالإيلاج: أنه سبحانه وتعالى يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار، وذلك بغيبوبة الشمس، ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿بِأَنَّ﴾: الباء: حرف جر. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُولِجُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول به. ﴿فِى ٱلنَّهَارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ) والتي بعدها معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والمصدر المؤول من: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ معطوف على ما قبله، فهو في محل جر مثله. هذا؛ ويقرأ بكسر همزة (إنَّ) فتكون الجملة الاسمية مستقلة بنفسها، ومستأنفة لا محل لها.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ذو الحق، فدينه حق، وعبادته حق، والمؤمنون

يستحقون منه النصر بحكم وعده الحق. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي: الأصنام التي يعبدونها لا استحقاق لها في العبادات.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ أي: العالي على كل شيء بقدرته، والعالي عن الأشباه، والأنداد، المقدس عما يقول الظالمون من الصفات التي لا تليق بجلاله. ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: الموصوف بالعظمة، والجلال، وكبر الشأن. وقيل: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات؛ أي: له الوجود المطلق أبداً، وأزلاً، فهو الأول القديم، والآخر الباقي بعد فناء خلقه انتهى. . قرطبي.

بعد هذا انظر شرح ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في الآية رقم [٨١] من سورة (الإسراء) وضده: الباطل، وهو بمعنى الفاسد، والبطلان: عبارة عن عدم الشيء، إما بعدم ذاته، أو بعدم فائدته، ونفعه. هذا؛ وبطل: من باب: دخل، والبطل بفتحتين: الشجاع، والبطل بضم، فسكون: الباطل، والكذب، والبطالة: التعطل، والتفرغ عن العمل، ويجمع باطل على أباطيل شذوذاً، كما شذ: أحاديث، وأعاريض، وأفاظيع في جمع: حديث، وعريض، وفظيع.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: إعراب هذه الآية مثل إعراب الآية رقم [٦] بلا فارق، وأوضح لك إعراب ما يلي. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسمها، والجملة بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: وأن الذي يدعونه. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب العائد إلى ﴿مَا﴾، ومن بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾، وباقي الإعراب مثل سابقه، ولاحقه بلا فارق. هذا؛ والآية مذكورة، بحروفها في سورة لقمان برقم [٣٠].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: ألم تعلم أن الله. . . إلخ: استفهام تقريري، ولذلك لم ينصب الفعل بعد الفاء، وهو عند سيبويه والخليل كلام خبري، قال الخليل: المعنى: انتبه أنزل الله من السماء ماءً، فكان كذا، وكذا، ومثله قول جميل بثينة: [الطويل]

أَلَــمْ تَـسْـأَلِ الـرَّبْـعَ الـقَـوَاءَ فَـيَـنْـطِـقُ وَهَـلْ تُـخْـبِـرَنْـكَ الْـيَـوْمَ بَـيْـدَاءُ سَـمْـلَـقُ؟

معناه قد سألته فنطق، وقال الفراء: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خبر، كما تقول في الكلام: أعلمُ أن الله عز وجل ينزل من السماء ماءً، هذا؛ والفعل (تصبح) بمعنى الماضي، وإنما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان. وأيضاً: لم ينصب الفعل بعد الفاء؛ لأن

خضرة الأرض لا تتسبب عن الرؤية، وإنما تتسبب عن نزول المطر. وأيضاً: جواب الاستفهام ينعقد منه شرط، وجزاء. وهنا لا يصح ذلك؛ إذ لا يقال: إن تر إنزال المطر تصبح الأرض مخضرة. انتهى. جمل بتصرف كبير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي: باستخراج النبات من الأرض رزقاً للعباد، والحيوان. ﴿خَبِيرٌ﴾: بالتدابير الظاهرة، والباطنة، وخبير بحاجات العباد، وفاقتهم، وخبير بما في قلوب العباد إذا تأخر المطر عنهم. هذا؛ وانظر شرح (الماء) وإعلاله في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء)، وشرح ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ وإعلاله في الآية رقم [٣٢] منها.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿أَنزَلَ﴾: ماض، وفاعله مستتر يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَآءً﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة؛ إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مَآءً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَنزَلَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾ و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل ﴿تَرَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (تصبح): مضارع ناقص. ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: اسمها. ﴿مُخْضَرَّةً﴾: خبرها، وإن اعتبرت (تصبح) تاماً؛ فيكون مخضرة حالاً من ﴿ٱلْأَرْضُ﴾، وجملة (تصبح...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَنزَلَ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. وهذا على اعتبار (تصبح) بمعنى: أصبحت، وعلى اعتباره مضارعاً على ظاهره؛ فالجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهي تصبح، وهذا الضمير للقصة، وتكون الجملة الاسمية مستأنفة، وعلى الاعتبار الأول؛ فالرابط بالجملة الأولى رابط في الثانية بسبب العطف، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً، كل ذلك ملك له، لا يشركه فيه أحد. هذا؛ وفي ﴿مَا﴾ تغليب غير العاقل على العاقل. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: عن عباده غير محتاج إليهم في شيء. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المحمود بكل لسان، الممجد في كل مكان على كل حال، وهو مستحق للحمد في ذاته، تحمده الملائكة، وتنطق بحمده ذرات المخلوقات.

الإعراب: ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَا﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان

بمحذوف صلة الموصول، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ...﴾ إلخ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ بلا فارق، وهي هنا مستأنفة لا غير، انظر رقم [٥٨].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام تقريري، وهو يشمل كل مخاطب، وعاقل من بني آدم. ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ذَلَّلَهُ، وجعله معداً لمنافعهم، وهو يشمل جميع ما يحتاجون إليه من الدواب، والنبات، والأنهار وغير ذلك. ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾: انظر الآية رقم [٦٦] من سورة (الإسراء)، أو الآية رقم [٢٧] من سورة (المؤمنون).

وانظر شرح ﴿ٱلْبَرِّ﴾ و(البحر) في الآية رقم [٧٠] من سورة (الإسراء). ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك. ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾: إلا بمشيئته، وذلك يوم القيامة؛ حيث تتغير معالمها، كما ذكر الله في سورة (التكوير) وغيرها، وفيه رد على مَنْ يدعي استمساكها بذاتها، فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية، فتكون قابلة للسقوط قبول غيرها، وآية (فاطر) رقم [٤١] توضح هذا المعنى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا...﴾ إلخ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال، وفتح عليهم أبواب المنافع، ودفع عنهم أنواع المضار. هذا؛ والرأفة: أشد الرحمة، ورؤوف صيغة مبالغة، والله أرأف بعباده من الوالدة بولدها، ومن رأفته أشياء كثيرة يعسر حصرها، وعدها، وهي معلومة عند ذوي الألباب.

الإعراب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [٦٣] ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. (الفلك): معطوف على ﴿مَّا﴾. ﴿تَجْرِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الفلك). ﴿فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليق ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بمحذوف حال من فاعل تجري المستتر، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَجْرِى...﴾ إلخ في محل نصب حال من (الفلك). هذا؛ وأجيز اعتبار الفلك معطوفاً على لفظ الجلالة، فتكون الجملة الفعلية في محل رفع خبره، على تقدير: وأن الفلك تجري... إلخ. هذا؛ ويقرأ برفع (الفلك) على أنه مبتدأ، والجملة الفعلية في محل رفع خبره، وتكون الجملة مستأنفة، لا محل لها، وعطفها على ما قبلها لا يصح.

(يمسك): مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَن تَقَعَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾. ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِإِذْنِهِۦٓ﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، والهاء في محل جر بالإضافة، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَقَعَ﴾ في محل نصب بدل اشتمال من ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾، التقدير: ويمسك وقوعها بمعنى: يمنعه، أو هو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لئلا تقع، وهذا عند الكوفيين، وأما البصريون؛ فيعتبرون المصدر المؤول في محل جر بإضافة مفعول لأجله إليه محذوف، التقدير: كراهة وقوعها. تأمل. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بما بعدهما على التنازع. ﴿لَرَءُوفٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾: أنشأكم، ولم تكونوا شيئاً، أو بعد أن كنتم نطفاً في الأصلاب. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: عند انقضاء آجالكم. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: يوم القيامة للحساب، والثواب، والعقاب. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾: لجحود للنعم مع ظهورها، وتكاثرها ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. هذا؛ وانظر شرح ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٦٥] من سورة (الأنبياء)، وشرح (الكفر) في الآية رقم [٣٠] منها.

تنبيه: لقد ذكر الله تعالى في الآيات الأربع من آثار قدرته ستة أشياء:

أولها: إنزال المطر الناشئ عنه اخضرار الأرض، وفسر الرؤية بالعلم دون الإبصار؛ لأن الماء وإن كان مرئياً؛ إلا أن كون الله منزلاً له من السماء غير مرئي، وقال: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ﴾ دون أصبحت لإفادته بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان.

الثاني: قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ومن جملته خلق المطر، والنبات نفعاً للحيوان، مع أن الله لا يحتاج لذلك، ولا ينتفع به.

الثالث: تسخير ما في الأرض، أي: ذلك لكم، كل ما فيها كالحجر، والحديد، والنار لما يراد منها، والحيوان للأكل، والركوب، والحمل عليه، والنظر إليه.

الرابع: تسخير الفلك بالماء، والأرياح، فلولا أن الله سخرها، لكانت تغوص، أو تقف.

الخامس: إمساك السماء؛ لأن النعم المتقدمة لا تكمل إلا به، والسماء جرم ثقيل، وما كان كذلك لا بد له من السقوط؛ لولا مانع يمنعه منه، وهو القدرة، فأمسكها الله بقدرته؛ لئلا تقع، فتبطل هذه النعم التي امتن الله بها علينا.

سادسها: الإحياء ثم الإماتة، ثم الإحياء. نبه بهذا على أنَّ هذه النعم لمن أحياه الله، فنبه بالإحياء الأول على إنعامه في الدنيا بكل ما تقدم، ونبه بالإماتة، والإحياء ثانياً على إنعامه علينا في الآخرة، ولما فصَّل الله هذه النعم؛ قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ أي: لهذه النعم. انتهى. نقلاً من الفخر الرازي.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَحْيَاكُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملتان بعدها معطوفتان عليها، لا محل لهما مثلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ مستأنفة، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: شرح هذه الكلمات مثل الآية رقم [٣٤] ولكن المراد بـ: ﴿مَنسَكًا﴾ هنا غير ما هنالك، فإن المراد به هنا: الشريعة التي تعبد الله بها الأمم السابقة، وإنما حذف الواو هنا، ولم يقل: ولكل أمة؛ لأنه لا تعلق لهذا الكلام بما قبله. ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أن هذه مشتملة على النعم التكليفية، والتي قبلها مشتملة على نعم غير تكليفية. وهذا الكلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه ﷺ من أهل الأديان السماوية عن مفارقته، فكيف بمعاداته؟!

﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ أي: عاملون به، أي بتلك الشريعة، وذلك الدين الذي جاءهم به رسولهم. ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: فلا يخاصمك أصحاب الأديان الأخرى في أمر الدين؛ لأنهم بين جهال، وأهل عناد، أو؛ لأن دينك أظهر من أن يقبل النزاع. وقيل: المراد: نهي رسول الله ﷺ عن الالتفات إلى قولهم، وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم، فإنها تنفع طالب الحق، وهؤلاء أهل جدال بالباطل. وقيل: نزلت في كفار بني خزاعة، قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله؟!. وقرئ: (فلا يَنْزِعُنَّكَ) على تهييج الرسول ﷺ، والمبالغة في تثبيته على دينه على أنه من نازعته، فنزعته إذا غلبته. قال القرطبي: ولفظ النهي في القراءتين للكفار، والمراد: النبي ﷺ.

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى توحيده، ودينه، والإيمان به، ولا تنس: قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ رقم [١٢٥] ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ أي: دين. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: قديم لا اعوجاج فيه.

الإعراب: ﴿لِّكُلِّ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم عليه، و(كل) مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَنسَكًا﴾: مفعول به أول، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿نَاسِكُوهُ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل نصب صفة ﴿مَنسَكًا﴾ أي: منسوكاً من قبلهم. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٣٠]. (لا): ناهية. ﴿يُنَٰزِعُنَّكَ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، وعلى القراءة الثانية فلا يتغير الإعراب، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً؛ فلا. . .إلخ، والشرط المقدر ومدخوله كلام مستأنف لا محل له. ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾: متعلقان بما قبلهما.

(ادع): أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وانظر تقدير المضاف في الشرح، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَعَلَىٰ﴾: اللام: هي المزحلقة. (على هدى): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة ﴿هُدًى﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ أي: خاصموك يا محمد! والمراد: مشركو مكة، وغيرهم. ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: أي: من المجادلة الباطلة، وغيرها، فيجازيكم عليها. وهو وعيد فيه رفق، وهذا قبل الأمر بالقتال، فهو منسوخ بآية السيف. أو قل: أمره الله تعالى بالإعراض عن مماراتهم صيانة له عن الاشتغال بتعنتهم، ولا جواب لصاحب العناد إلا الإعراض، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿جَٰدَلُوكَ﴾: ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقُلِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾ وهو بمعنى: عالم،

و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين، مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو: بشيء تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: الله عالم بعملكم، والجملة الفعلية: ﴿فَقُلِ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٦٩﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أي: يفصل بين المؤمنين منكم، والكافرين بالثواب، والعقاب. ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: يوم الحسرة، والندامة، وانظر الآية رقم [٤٧] من سورة (الأنبياء). ﴿فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ أي: من أمر الدين. هذا؛ وقال القرطبي: في هذه الآية أدب حسن، علمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتاً، ومراء ألا يجاب، ولا يناظر، ويدفع بهذا القول الذي علمه الله لنبيه ﷺ.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَحۡكُمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿يَوۡمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله أيضاً، و﴿يَوۡمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿فِيمَا﴾: متعلقان بالفعل (يحكم) أيضاً، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو ضعيف. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (في). ﴿كُنتُمۡ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما، وجملة: (تختلفون فيه) في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمۡ...﴾ إلخ صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (في)، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧٠﴾

الشرح: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ...﴾ إلخ: هذا خطاب للنبي ﷺ، ويدخل فيه كل عاقل، والمعنى: وإذا قد علمت يا محمد هذا؛ وأيقنت؛ فاعلم: أنه يعلم أيضاً ما أنتم مختلفون فيه، فهو يحكم بينكم يوم القيامة في ذلك. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ أي: كل ما يجري في هذا الكون، فهو مكتوب، ومسجل عند الله في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله آدم بآلاف السنين. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: إن الفصل بين المختلفين، أو: إن كتب الحوادث في اللوح المحفوظ. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾: هين.

الإعراب: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾: إعرابه مثل إعراب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ﴾ في الآية رقم [٦٣] بلا فارق. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. (الأرض): معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، والكلام: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسمها. ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية بمنزلة التعليل لما قبلها، لا محل لها، وما بعدها بمنزلة التأكيد لها. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿يَسِيرٌ﴾ بعدهما. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: المراد بهم كفار قريش؛ الذين يعبدون الحجارة، والأوثان من دون الله، وانظر (العبادة) في الآية رقم [٦٦] من سورة (الأنبياء)، وشرح (دون) في الآية رقم [١٤] من سورة (الكهف). ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: حجة، وبرهاناً على ما يعبدون. ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: أي أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل، لا علم، ولا دليل عقلي. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: للمشركين. ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾: من مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى، وانظر (الظلم) في الآية رقم [٦٠].

هذا؛ و(سلطان) تسلط وولاية، ومعناه هنا: الحجة، والبرهان، كما رأيت، قال بعض المفسرين المحققين: سميت الحجة سلطاناً؛ لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة له، كالسلطان يقهر غيره بقوته، وقال الزجاج: السلطان: هو الحجة، وسمي السلطان سلطاناً؛ لأنه حجة الله في أرضه. انتهى. ولا تنس: ما قاله عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ: (إنّ الله يَزَعُ بالسلطانِ مَا لا يَزَعُ بالْقُرآنِ) أي: يكف عن المعاصي، ويردع. وجمعه بمعنى الحاكم، والمالك: سلاطين، ولا يجمع إذا كان بمعنى الحجة، والبرهان. هذا؛ وزعم الفراء: أن العرب تؤنث السلطان، تقول: قضت به عليك السلطان، أما البصريون فالتذكير عندهم أفصح، وبه جاء القرآن، والتأنيث عندهم جائز؛ لأنه بمعنى الحجة.

الإعراب: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يعبدون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له ألبتة. و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُنَزِّلْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿سُلْطَٰنًا﴾ كان صفة له... إلخ، انظر

الآية [٧٥]. ﴿سُلْطَانًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَمْ يُنَزِّلْ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿مَا﴾: معطوفة على سابقتها. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثانٍ، وتعلقيهما بـ: ﴿عِلْمٌ﴾ بعدهما، فالمعنى لا يأباه. ﴿عِلْمٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ صلة (ما) أو صفتها على مثال ما تقدم. ﴿وَمَا﴾: الواو حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، أو بمحذوف خبر (ما) على إعمالها. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَصِيرٍ﴾: مبتدأ مؤخر، أو اسم (ما) مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على كفار قريش. ﴿ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: مرتبات الألفاظ، ملخصات المعاني، بينات المقاصد، مفصلات الحلال، والحرام، والنافع، والضار.. إلخ. ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾: الإنكار لشدة نكيرهم للحق، وغيظهم لأباطيل ورثوها تقليداً لآبائهم، وهذا منتهى الجهالة، والحمق، والسفاهة.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾: يبطشون، والسطوة: شدة البأس، يقال: سطا به، يسطو: إذا بطش به، كان ذلك بضرب، أو بشتم. ﴿بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: بمحمد ﷺ وأصحابه، وقد بطشوا بالنبي كثيراً، وبطشوا بأبي ذر الغفاري حينما قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبطشوا بعبد الله بن مسعود حينما قرأ عليهم سورة (الرحمن)، وبطشوا بالمستضعفين أمثال عمار، وأبويه، وبلال. والسيرة النبوية طافحة بإيذاء المشركين للمؤمنين.

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم﴾ أي: أخبركم. ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي: أكره لكم، وأغيظ لقلوبكم من هذا القرآن الذين تسمعون. ﴿ٱلنَّارُ﴾: فكأنهم تساءلوا، ما الذي هو شر؟ فقيل: هو النار. ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: يلقون عذاب النار يوم القيامة، وقد وعدهم الله ذلك، وقد جاء (وعد) في الشر، وانظر الآية رقم [٧٥] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، وشرح (نا) برقم [٥٨] منها.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآل، وانظر شرح «بئس» و«نعم» في الآية رقم [٧٨] الآتية، وانظر شرح (آية) في الآية رقم [٥] من سورة (الأنبياء). و(الكفر) في الآية رقم [٣٠]، وشرح

(النار) وإعلاله في الآية رقم [١٠] من سورة (طه)، وشرح (شر) في الآية رقم [٤٦] من سورة (الكهف)، وشرح (كاد) في الآية رقم [٧٣] من سورة (الإسراء)، وانظر شرح ﴿نَبَأَهُم﴾ في الآية رقم [١٣] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): انظر الآية رقم [٥٢] ﴿تُتْلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان به. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: نائب فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة. وجملة: ﴿تُتْلَىٰ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: حال من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿تَعْرِفُ﴾: مضارع، والفاعل: أنت. ﴿فِى وُجُوهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿وُجُوهِ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿كَفَرُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿تَعْرِفُ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، أو هو مستأنف لا محل له على الاعتبارين. ﴿يَكَادُونَ﴾: مضارع ناقص مرفوع... إلخ، والواو اسمه، وجملة: ﴿يَسْطُونَ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿يَكَادُونَ﴾. ﴿بِٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَكَادُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الوجوه، وهو سائغ؛ لأنه يعبر بها عن أصحابها، كقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾، أو هي في محل نصب حال من الموصول، وإن كان مضافاً إليه؛ لأن المضاف جزؤه، خذ قول ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

وَلا تُجِزْ حَالاً مِنَ الْمُضَافِ لَه ... إلا إذا اقْتَضَى المضافُ عَمَلَه
أوْ كَانَ جُزْءَ مَالَهُ أُضِيفَا ... أوْ مِثْلَ جُزْئِهِ فلا تَحِيفَا

﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف عطف، انظر الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء) لشرح ذلك تجد ما يسرك. (أنبئكم): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به. ﴿بِشَرٍّ﴾: متعلقان به، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: متعلقان بـ: (شرٍّ)؛ لأنه أفعل تفضيل، واللام للبعد. والكاف حرف خطاب لا محل له، وجملة: (أنبئكم...) إلخ معطوفة على جملة مقدرة قبلها، التقدير: أي: أخاطبكم فأنبئكم، والكلام، كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلنَّارُ﴾: يقرأ بالحركات الثلاث، فالرفع من وجهين: أحدهما: الرفع على الابتداء، والخبر الجملة بعده، وعليه؛ فالجملة لا محل لها؛ لأنها مفسرة للشر المتقدم، كأنه قيل: ما شر من ذلك، فقيل: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا...﴾ إلخ، والثاني: أنها خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل: ما شر من ذلك، فقيل: هو النار، وتبقى الجملة مفسرة للشر كما في الوجه الأول، وحينئذ يجوز في جملة: ﴿وَعَدَهَا...﴾ إلخ الرفع على أنها خبر بعد خبر، أوهي بدل من النار، وهو ضعيف؛ لأنه إبدال جملة من مفرد. والنصب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنه منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر، والمسألة من باب الاشتغال، الثاني: أنها منصوبة على الاختصاص. قاله الزمخشري. الثالث: أن ينتصب بأعني، وهو قريب مما قبله، أو هو هو، والجر على البدل من (شر). انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿وَعَدَهَا﴾: ماض، و(ها): مفعوله الأول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعوله الثاني، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟ۖ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. هذا، وقيل: إن الضمير هو المفعول الثاني، والموصول هو المفعول الأول، وهذا يتمشى على القاعدة، وهي أنه متى اجتمع ما يتعدى إلى اثنين شيئان، ليس ثانيهما عبارة عن الأول، فالفاعل المعنوي رتبته التقديم، وهو المفعول الأول، فإذا قلت: وعدت زيداً ديناراً، فالدينار هو المفعول الثاني؛ لأنه لا يتأتى منه فعل، وهو نظير قولك: أعطيت محموداً ديناراً، فمحمود هو الفاعل في المعنى؛ لأنه آخذ للدينار. (بئس): ماض جامد دال على إنشاء الذم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: فاعله، والمخصوص بالذم محذوف التقدير: النار، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: نداء يعم الناس أجمعين، والمخصوص أهل مكة. ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾: بُيِّنَ لكم حال مستغربة، أو قصة رائعة، ولذلك سميت مثلاً. ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ أي: تدبروه حق تدبره، فإن الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع، والمثل المضروب يحتمل وجهين: الأول: أن الكفار جعلوا لله مثلاً بعبادتهم غيره، فكأنه تعالى قال: جعلوا لي شبيهاً في عبادتي، فاستمعوا خبر هذا الشبه. والثاني: هو ما ذكره الله صريحاً من كون الأصنام المعبودة لم تستطع أن تخلق شيئاً؛ حتى الذباب الضعيف؛ بل إن هذا المخلوق الضعيف إن سلب هذه الآلهة المصطنعة شيئاً لا تقدر على إنقاذه منه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: تعبدون من دون الله، أو تسمونهم آلهة، وانظر ما ذكرته في: دعا، يدعو في الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانوا يَطْلُون الأصنام بالطيب والعسل، ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله. وقيل: كانوا يضعون الطعام بين أيدي الأصنام، فيقع الذباب عليه ويأكل منه، والأول أولى بالاعتبار، بل إن هذه الآلهة المصطنعة لا تقدر أن تدفع السوء عن نفسها، وقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في سورة (الأنبياء) شاهد على ذلك.

وخذ ما يلي يروى: أن رجلاً من بني سلمة اسمه غاوي بن ظالم كان سادناً على صنم لقومه، وكان يأتيه بالخبز، والزبد، ويضعه على رأسه لعله يأكل، فبينما هو كذلك إذ أقبل ثعلب ذات يوم، فرفع رجله بعد أنْ أكل الخبز، والزبد، وبال على رأس الصنم، ثم إن الرجل كسر الصنم، وأتى النبي ﷺ فأسلم، فقال له النبي ﷺ: ما اسمك؟ قال له: غاوي بن ظالم، فقال له: اسمك راشد بن عبد الله، وكان لما كسر الصنم قال أبياتاً هاكها: [الطويل]

لقدْ خابَ قومٌ أمّلوكَ لِشِدَّةٍ ... أرادوا نِزالاً أنْ تكونَ تُحاربُ
فلا أنتَ تُغني عنْ أمورٍ تواتَرَتْ ... ولا أنتَ دَفَّاعٌ إذا حَلَّ نائبُ
أرَبٌّ يبولُ الثُّعْلُبانُ برأسِهِ؟ ... لقد هانَ مَنْ بالتْ عليهِ الثعالِبُ

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: العابد، والمعبود. أو الطالب: الذباب، والمطلوب: الصنم. وقيل: بالعكس. هذا؛ وخص الذباب بالذكر لأربعة أمور تخصُّه: لمهانته، وضعفه، ولاستقذاره، وكثرته، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان، وأحقره لا يقدر مَنْ عبدوه من دون الله ـ عز وجل ـ على خلق مثله، ودفع أذيته، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين، وأرباباً مطاعين، ولكن لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

بعد هذا انظر شرح (مثل) في الآية رقم [٦٠]، وشرح ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء). هذا؛ وأما (الذباب) فهو اسم جنس مثل: إبل، وبقر يقع على الذكر، والأنثى، وجمع القلة منه: أذِبَّة، وجمع الكثرة منه: ذِبَّان، مثل غُراب، وأَغْرِبة، وغِرْبان، وسمي به لكثرة حركته، قال الجوهري: والذباب معروف، الواحدة: ذُبابة، ولا تقل: ذِبَّانَة. والمِذَبَّة: ما يُذَبّ به الذباب، وذُباب السيف: طرفه الذي يضرب به، وذُبَاب العين: إنسانها، والذبابة: البقية من الدين، وَذَبَّبَ النهار: إذا لم يبق منه إلا بقية، والتذبذب: التحرك، وقال تعالى عن المنافقين: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: مترددين بين الإيمان، والكفر.

فائدة: ذُكِر: أن المنصور العباسي كان في مجلسه؛ وعنده بعض العلماء، فسقطت عليه ذبابة، فدفعها، فرجعت، وتكرر منه طردها، وهي تعاود السقوط على وجهه، وغيره، فضجر منها، فقال: لماذا خلقها الله تعالى؟ لا ريح لها طيب، ولا شكل جميل! فقال أحد العلماء:

خلقها الله ليذل بها الجبابرة، فلم يُحِر المنصور جواباً. ولا تنس: أن الذباب لم يقع على النبي ﷺ في حياته تكريماً له.

تنبيه: روي عن الحسن البصري، و قتادة ـ رضي الله عنهما ـ: أنهما قالا: لما ذكر الله الذباب، والعنكبوت في كتابه، أي في هذه الآية، وقوله تعالى في سورة (العنكبوت): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وضرب للمشركين بذلك المثل ضحكت اليهود، وقالت: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله تعالى قوله في سورة (البقرة): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾ إلخ الآية رقم [٢٦].

الإعراب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: انظر الآية رقم [١] ففيها الكفاية. ﴿ضُرِبَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿مَثَلٌ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿فَاسْتَمِعُوا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٣٠]. (استمعوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهُ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ضرب المثل حاصلاً؛ فاستمعوا له، والشرط المقدر، ومدخوله كلام معطوف على ما قبله لا محل له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يَخْلُقُوا﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ذُبَابًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿وَلَوِ﴾: الواو: واو الحال. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وجملة: ﴿اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ شرط (لو) لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال؛ لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، التقدير: لا يقدرون، و(لو) ومدخولها في محل نصب حال من واو الجماعة، جيء به للمبالغة؛ إذ التقدير: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ مجتمعين له متعاونين عليه، فكيف إذا كانوا منفردين متفرقين؟! والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ إلخ تفسير لـ: ﴿مَثَلٌ﴾ تأمل. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَسْلُبْهُمُ﴾: مضارع فعل الشرط، والهاء مفعوله الأول. ﴿الذُّبَابُ﴾: فاعله. ﴿شَيْئًا﴾: مفعوله الثاني، وجملة: ﴿يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَسْتَنقِذُوهُ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب

الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ مستأنفة أيضاً لا محل لها، وقيل: هي في محل نصب حال، ولا وجه له ألبتة؛ لأنها لا يوجد فيها رابط يربطها بصاحب حال.

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظموا الله حق تعظيمه، أو: ما عرفوه حق معرفته في الرحمة، والإنعام على العباد حيث أشركوا به أحقر خلقه، وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة، وهذه الجملة ذكرت في سورة (الأنعام) برقم [٩١]، وفي سورة (الزمر) برقم [٦٧]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾: قادر مقتدر على خلق الممكنات بأسرها. ﴿عَزِيزٌ﴾: غالب قاهر، لا يغلبه، ولا يقهره شيء، وآلهتهم التي يعبدونها عاجزة، ذليلة، مهينة، لا تدفع عن نفسها ضراً، ولا تجلب لها نفعاً، وانظر سبب نزول آية (الأنعام) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ وإذا كانت الآية مدنية حسب ما رأيت في مطلع السورة، فيكون المراد: اليهود اللؤماء؛ الذين قالوا: إن الله فقير، ونحن أغنياء، وقالوا: يد الله مغلولة... إلخ إلى غير ذلك من الأقوال، والافتراءات على الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿قَدَرُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿حَقَّ﴾: مفعول مطلق، ويقال: نائب عنه، و﴿حَقَّ﴾ مضاف، و﴿قَدْرِهِۦٓ﴾ مضاف إليه. والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿مَا قَدَرُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَقَوِىٌّ﴾: اللام: هي المزحلقة. (قوي): خبر أول. ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية لا محل لها على الاعتبارين.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾: يختار. ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وغيرهم، وانظر الآية رقم [١٠٣] من سورة (الأنبياء). ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يصطفي من الناس رسلاً أيضاً، مثل: إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء، والرسل صلى الله عليهم وسلم أجمعين. وانظر الآية رقم [٥٢] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لأقوال الناس أجمعين. ﴿بَصِيرٌ﴾: بأفعالهم، ونياتهم، وسائر تصرفاتهم. هذا؛ ويجوز تسكين سين ﴿رُسُلًا﴾ وضمها. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل: رُحُم، وحُلُم، وأُسُد... إلخ.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة حين قال المشركون: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ ولا تنس: ما حكاه الله عنهم من قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف [٣١] فأخبر الله تعالى: أن الاختيار إليه، يختار من يشاء من عباده لرسالته. هذا؛ ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر ما يتعلق بالإلهيات؛ ذكر هنا ما يتعلق بالنبوات.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَصْطَفِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿رُسُلًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: معطوفان على ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وحذف ﴿رُسُلًا﴾ من بعدهما لدلالة الأول عليه، والجملة الفعلية: ﴿يَصْطَفِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة أيضاً، وفيها معنى التوكيد لما قبلها. تأمل.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما قدموا من الأعمال. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما تركوا وراء ظهورهم بعد مماتهم من أمور الدنيا. وقيل: يعلم ما عملوا، وما هم عاملون. وقيل: يعلم ما بين أيدي ملائكته، ورسله قبل أن يخلقهم، ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم، وانظر الآية رقم [١١٠] من سورة (طه). ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: وإليه مرجع الأمور كلها؛ لأنه مالكها بالذات، لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء، وغيره، وهم يُسألون. هذا؛ والفعل «رجع» يستعمل لازماً، ومتعدياً، فالأول مثل قولك: رجع زيد من عمله. والثاني مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ...﴾ إلخ وما في الآية يحتمل اللازم، والمتعدي، فاللازم على قراءة الفعل للفاعل، والمتعدي على قراءته للمفعول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: معطوفة على ما قبلها. ﴿خَلْفَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (ما) أيضاً، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر ثالث؛ لـ: ﴿إِنَّ﴾. (إلى الله): متعلقان بما بعدهما، والتقديم يفيد الاختصاص. ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: مضارع، ونائب فاعله، أو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: خص الله المؤمنين بهذا النداء؛ لأنهم هم الذين يستجيبون لأوامره، ونواهيه. وانظر (الإيمان) في الآية رقم [١٤]. ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾: أمرهم بهما؛ لأنهم ما كانوا يفعلونهما أول الإسلام، أو المعنى: صلوا، وعبر عن الصلاة بهما؛ لأنهما أعظم أركانها، أو المعنى: اخضعوا لله، وخروا له سجداً.

﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ أي: بسائر ما تعبدكم به. ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾: وتحروا ما هو خير وأصلح فيما تأتون، وما تذرون كنوافل الطاعات، وصلة الأرحام، ومكارم الأخلاق. ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أي: افعلوا كل هذه الأفعال؛ وأنتم راجون الفلاح، غير متيقنين له، واثقين من قبول أعمالكم. وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٣٦].

تنبيه: لم يختلف العلماء في السجدة الأولى المذكورة في الآية رقم [١٨]، واختلفوا في سجدة هذه الآية، فروي عن عمر، وعلي، وابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي الدرداء وأبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنهم ـ أنهم قالوا: في الحج سجدتان، وبه قال ابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال: قلت: يا رسول الله! أفي سورة (الحج) سجدتان؟ قَالَ: **«نَعَمْ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْهُمَا فَلَا يَقْرَأْهُمَا»**. أخرجه أبو داود، والترمذي، وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنه قرأ سورة (الحج)، فسجد فيها سجدتين، وقال: إن هذه السورة، فُضِّلت بسجدتين. أخرجه مالك في الموطأ.

وذهب قوم إلى أن في (الحج) سجدة واحدة، وهي الأولى، وليست هذه بسجدة، وهو قول الحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة، ومالك، بدليل: أنه قرن السجود بالركوع، فدل ذلك على أنها سجدة صلاة، لا سجدة تلاوة، واختلف في عدة سجود التلاوة، فذهب الشافعي، وأحمد، وأكثر أهل العلم إلى أنها أربع عشرة سجدة، لكنَّ الشافعي قال، في (الحج) سجدتان، وأسقط سجدة (صٓ). وقال أبو حنيفة: في (الحج) سجدة واحدة، وأثبت سجدة (صٓ). وبه قال أحمد في إحدى الروايتين عنه، فعنده أن السجدات خمس عشرة سجدة.

وذهب قوم إلى أن المفصل ليس فيه سجود، يروى ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس، وبه قال مالك، فعلى هذا: في القرآن إحدى عشرة سجدة. أخرجه أبو داود، وقال: إسناده واه، ودليل من قال: في القرآن خمس عشرة سجدة، ما روى عن عمرو بن العاص. قال: أقرأني رسول الله ﷺ في القرآن خمس عشرة سجدة، منها ثلاث في المفصل، وفي سورة (الحج) سجدتان، أخرجه أبو

داود، وصح من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في اقرأ، وإذا السماء انشقت، أخرجه مسلم، وسجود التلاوة سنة للقارئ والسامع والمستمع، وبه قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: واجب. انتهى. خازن بتصرف. وانظر ما ذكرته في مقدمة هذه السورة.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾: انظر الآية رقم [١] وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱرۡكَعُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب (اشربي) في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها، والجمل بعدها معطوفة عليها لا محل لها أيضاً. ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، والجملة الفعلية: ﴿تُفۡلِحُونَ﴾ في محل رفع خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، التقدير: افعلوا هذه الأمور حالة كونكم راجين الفلاح. وفيه: أن الترجي إنشاء.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾

الشرح: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ أي: لله، ومن أجله أعداءَ دينه الظاهرة، كأهل الزيغ، والباطنة، كالهوى والنفس. ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو استفراغ الطاقة. وعنه: أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم، فهو حق الجهاد. وقيل: معناه: اعملوا لله حق عمله، واعبدوه حق عبادته. وقال مقاتل، وهبة الله: هذه الآية منسوخة، بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ فتكون مثل قوله تعالى في الآية رقم [١٠٢] من سورة (آل عمران): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾.

وقال أكثر المفسرين: حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، بدليل قوله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتكونَ كلمةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ فَهُوَ في سَبِيل اللهِ**». أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ. وقيل: مجاهدة النفس، والهوى هو حق الجهاد، وهو الجهاد الأكبر. روي: أن النبي ﷺ لما رجع من غزوة تبوك، قال: «**رَجَعْنَا مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ**». قيل: وما الجهاد الأكبر، قال: «**جِهَادُ النَّفْسِ**». وانظر ما ذكرته في الجهاد في الآية رقم [٩٥] من سورة (النساء).

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي: اختاركم للذبِّ عن دينه، والتزام أمره. وهذا تأكيد للأمر بالمجاهدة، أي: وجب عليكم أن تجاهدوا؛ لأن الله اختاركم له. والخطاب لأمة محمد ﷺ، فأية رتبة أعلى من هذا؟! وأية سعادة فوق هذا؟!.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق، وشدة، وهو أن المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله منه مخرجاً، بعضها بالتوبة، وبعضها برد المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع الكفارات من الأمراض، والمصائب، وغير ذلك فليس في دين الإسلام مالا يجد فيه العبد سبيلاً إلى الخلاص من الذنوب، ومن العقاب لمن وفق. وقيل: معناه: الرخص عند الضرورات، كقصر الصلاة، والفطر في السفر، والتيمم عند فقد الماء، وأكل الميتة عند الضرورة، والصلاة قاعداً، والفطر مع العجز بعذر المرض، ونحو ذلك من الرخص؛ التي رخص الله لعباده المؤمنين.

قيل: أعطى الله هذه الأمة خصلتين، لم يعطهما أحد غيرهم: جعلهم شهداء على الناس، وما جعل عليهم في الدين من حرج. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الحرج: ما كان على بني إسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة. هذا؛ وقال العلماء: رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السلابة، والسراق وأصحاب الجرائم من زنى، وقتل نفس، وغير ذلك؛ فعليهم الحرج بإقامة الحدود عليهم، وهم جاعلوه على أنفسهم بمخالفة أوامر رب العالمين، وعدم الاهتداء بهدي نبيه الأمين ﷺ.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: ملتكم ملة إبراهيم. أو: اتبعوا ملة إبراهيم، وإنما سمى إبراهيم أباً لهذه الأمة كلها؛ لأنه أبو العرب قاطبة، وأيضاً هو أبو المسلمين أب احترام. والمعنى: أن وجوب احترامه وحفظ حقه يجب، كما يجب احترام الأب، فهو كقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ وقد قال الرسول ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالْوَالِدِ**». أي: في وجوب التقدير، والاحترام.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾: الضمير يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ والمعنى: أن الله سماكم المسلمين في الكتب القديمة. أو الضمير يعود إلى إبراهيم عليه السلام، والمعنى: أن إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ فاستجاب الله دعاءه فينا. والمعتمد الأول. ﴿وَفِى هَـٰذَا﴾ أي: وفي القرآن سماكم المسلمين. ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يعني: يوم القيامة: أنه قد بلغكم. ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: تشهدون يوم القيامة على الأمم: أن رسلهم قد بلغتهم، وهذا المعنى قد ذكر في سورة (البقرة) رقم [١٤٣] وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات؛ لما خصكم به من أنواع الفضل، والشرف. وانظر شرح (الصلاة، والزكاة) في الآية رقم [٣١] من سورة (مريم) على نبينا،

وحبيبنا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: ثقوا به، وتوكلوا عليه، ولا تطلبوا الإعانة، والنصرة إلا منه. ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم، ومتولي أمركم. ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾؛ إذ لا مثل له في الولاية، والنصرة، بل لا مولى، ولا ناصر سواه في الحقيقة.

بعد هذا انظر شرح لفظ الجلالة في الآية رقم [٣] أما (الْمِلَّة) فهي: الطريقة، والديانة، وهي بفتح الميم: الرماد الحار. و(الدِّين) بكسر الدَّال اسم لجميع ما يعبد به الله تعالى، و(الدِّين) أيضاً: الملة، والشريعة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ و(الدِّين): الحساب، والجزاء، ومنه ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم الحساب، والجزاء. ومنه: كما تدين تدان؛ أي: كما تفعل تجازى. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: يوم الدين يوم حساب الخلائق، يدينهم بأعمالهم، إن خيراً؛ فخير، وإن شراً؛ فشرٌّ؛ إلا من عفا الله عنه، والأمر أمره. ثم قال: أَلَا لَهُ الخلقُ، والأَمْرُ. هذا؛ والدَّين ـ بفتح الدال ـ: القرض المؤجل، وجمع الأول: أديان، وجمع الثاني: ديون، وَأَدْيُن. هذا؛ والدينونة: القضاء والحساب، والدِّيانة: اسم لجميع ما يتعبد به الله.

أما (نِعْم) فهي فعل ماض لإنشاء المدح، وضدها: «بئْس» لإنشاء الذم، فـ: «نِعْمَ» منقول من: نَعِم فلان ـ بفتح النون، وكسر العين ـ: إذا أصاب النعمة، و: «بِئْسَ» منقول من: «بَئِسَ» فلان ـ بفتح الباء، وكسر الهمزة ـ: إذا أصاب بؤساً، فنقلا إلى المدح، والذم، فشابها الحروف، فلم يتصرفا، وفيهما أربع لغات: نعم، وبئس بكسر فسكون، وهي أفصحهنَّ، وهي لغة القرآن، ثم: نعم، وبئس بكسر أولهما و ثانيهما، غير أن الغالب في نعم أنه يجيء بعدها (ما) كقوله تعالى: ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ وبئس جاءت بعدها (ما) على اللغة الأولى الفصحى، كقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ واللغة الثالثة: نَعْمَ وبَئْسَ، بفتح فسكون. والرابعة: نَعِم، وبَئِس بفتح فكسر، وهي الأصل فيهما. ولابد لهما من شيئين: فاعل، ومخصوص بالمدح، أو الذم، والقول بفعليتهما إنما هو قول البصريين، والكسائي، بدليل دخول تاء التأنيث عليهما في قول الرسول ﷺ: **«مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجمعةِ؛ فَبِهَا ونِعْمَتْ، ومَن اغْتَسَلَ فالغسلُ أفضلُ»**.

وقال الكوفيون إلا الكسائي: هما اسمان بدليل دخول حرف الجر عليهما في قول أعرابي، وقد أُخْبِر بأن امرأته ولدت بنتاً له: (والله مَا هيَ بِنِعْمَ الْوَلدُ نَصْرهَا بُكَاءٌ، وَبِرُّهَا سَرِقَةٌ)، وقول غيره: (نِعْمَ السَّيْرُ عَلَى بِئْسَ الْعَيْرُ)، وأوَّله البصريون على حذف كلام مقدَّر؛ إذ التقدير: (والله ما هي بولَدٍ مقولٍ فيه: نِعْمَ الولدُ، ونِعْمَ السَّيْرُ عَلَى عَيْرٍ مقولٍ فيه: بِئْسَ الْعَيْرُ)، والمعتمد في ذلك قول البصريين هذا؛ ويجب في فاعلهما أن يكون مقترناً بـ: «أل» أو مضافاً لمقترن بها، أو ضميراً مميزاً بنكرة، أو كلمة «ما» فالأول: كما في الآية الكريمة، والثاني: نحو قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾. والثالث: مثل قوله تعالى ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾، والرابع: نحو قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾.

الإعراب: ﴿وَجَٰهِدُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (جاهدوا): أمر، وفاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف. انظر الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فِى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَقَّ﴾: مفعول مطلق، ويقال: نائب مفعول مطلق، و﴿حَقَّ﴾ مضاف، و﴿جِهَادِهِۦ﴾ مضاف إليه. والهاء في محل جر بالإضافة، والإضافة في الأول من إضافة الصفة للموصوف، أي: جهاداً حقاً. وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف؛ أي: جهاداً حق جهاده. والمعتمد الأول. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية تعليل للأمر، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين، وقيل: هي في محل نصب حال من لفظ الجلالة، وهو ضعيف؛ لأن الجملة الاسمية الواقعة حالاً، والمصدرة بالضمير تقترن بالضمير تقترن بالواو. وهو كثير في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿جَعَلَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى الله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿حَرَجٍ﴾ كان صفة له، كما رأيت في الآية رقم [٧٥] ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿حَرَجٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا جَعَلَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿مِّلَّةَ﴾: مفعول به لفعل محذوف، التقدير: اتبعوا ملة، وقيل: منصوب على الاختصاص؛ أي: أعني بالدين: ملة أبيكم، وقيل منصوب بمضمون ما تقدمه، كأنه قال: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل: غير ذلك، واعتمد: أنه منصوب على الإغراء؛ أي: الزموا ملة أبيكم إبراهيم. و﴿مِّلَّةَ﴾ مضاف، و﴿أَبِيكُمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: بدل من ﴿أَبِيكُمْ﴾، أو عطف بيان عليه مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة.

﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، وقيل: يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ والمعتمد الأول، والكاف مفعول به أول. ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء.. .إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وقيل: في محل نصب حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، والكلام عليها مثل ما تقدم. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وبني قبل على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى. ﴿وَفِى﴾: الواو:

حرف عطف. (في هذا): متعلقان بفعل محذوف لدلالة ما قبله عليه، والبدل من اسم الإشارة محذوف أيضاً، وتقدير الكلام: وسماكم في هذا القرآن مسلمين أيضاً، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿لِيَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل. ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: اسم (يكون). ﴿شَهِيدًا﴾: خبره. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَهِيدًا﴾، و«أن» المضمرة، والمضارع الناقص في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾. ﴿وَتَكُونُواْ﴾: مضارع ناقص معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿شُهَدَآءَ﴾: خبره. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ: ﴿شُهَدَآءَ﴾، أو بمحذوف صفة له.

﴿فَأَقِيمُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (أقيموا): أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، وواقعاً؛ فأقيموا الصلاة. وهذا الكلام يحتمل العطف على ما قبله، والاستئناف، والجملتان بعدها معطوفتان على جملة: (أقيموا...) إلخ. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر الميمي لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية تعليل للأمر قبلها لا محلَّ لها. وقيل: هي في محل نصب حال، والكلام عليها مثل ما تقدم. ﴿فَنِعْمَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (نعم): ماض جامد دال على إنشاء المدح. ﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والمخصوص بالمدح محذوف؛ إذ التقدير: هو الله. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وما بعدها معطوفة عليها لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

انتهت سورة (الحج) بعونه تعالى تفسيراً، وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ المُؤمِنُونَ

وهي مكية بالإجماع، وهي مئة وثماني عشرة آية، وألف وثمانمئة وأربعون كلمة، وأربعة آلاف وثمانمئة حرف وحرفان. انتهى. خازن.

فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دَوِيٌّ كدويِّ النَّحْلِ، فأنزل الله عليه يوماً، فمكث ساعة، ثم سري عنه، فقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...﴾ إلى عشر آيات من أولها، وقال: من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة، ثم استقبل القبلة، ورفع يديه، وقال: «**اللهم زدنا، ولا تُنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا**». أخرجه الترمذي. انتهى. خازن، ومعنى «أقام هذه العشر آيات» أقام عليهن، ولم يخالف ما فيهن، كما تقول: فلان يقوم بعمله على الوجه الأكمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجزء ١٨

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: فاز برضا الله، وجنة عرضها السموات و الأرض، ونجا من عذاب الله، وسخطه. ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: الموحدون، وانظر الإيمان في الآية رقم [١٤] من سورة (الحج)، والتعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه، وقد مر معنا كثير من ذلك، ولذا دخلت «قد» على الماضي، وقد تقربه من الحال كما عرفته في الإعراب كثيراً. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: انظر شرح (الصلاة، والزكاة) في الآية رقم [٣١] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

أما «الخشوع» فهو لب الصلاة، وجوهرها، وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير ﴿خَاشِعُونَ﴾: مخبتون، أذلاء، متواضعون. هذا؛ والخشوع في الصلاة يكون في القلب والجوارح، أما خشوع القلب فهو الخوف من الله، وحضوره معه حينما يقول المصلي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وملاحظة: أنه بين يديه تعالى في جميع حركاته، وسكناته. وأما خشوع الجوارح، فعدم الالتفات في الصلاة، وعدم رفع البصر إلى السماء، وعدم العبث بشيء من جسده وثيابه، وذلك لما يلي:

فعن عائشة ـ رضي الله عنها، وعن أبويها ـ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «**هُوَ اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ**». الاختلاس: هو السرقة، والاختطاف. متفق عليه. وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لا يَزَالُ الله مُقْبِلاً على الْعَبْدِ، وَهُوَ في صلاتِهِ، مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فإذَا التفتَ أعرضَ عَنْهُ**». أخرجه أبو داود، والنسائي. وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَالُ أَقْوَام يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهمْ إلى السماءِ في صَلاتِهِمْ؟**». فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «**لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ**». أخرجه البخاري. وروي أن النبي ﷺ أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: «**لَوْ خشَعَ قَلْبُ هَذَا؛ لَخَشَعَتْ جَوارِحُهُ**». ذكره البغوي بغير سند، وغير ذلك، وخذ قول الشاعر: [الطويل]

أَلَا في الصَّلَاةِ الخيرُ والفضلُ أجمعُ ... لأنَّ بها الآرابَ لله تَخْضَعُ
وأوَّلُ فرضٍ مِنْ شريعةِ دِينِنَا ... وآخِرُ ما يبقى إذا الدِّينُ يُرْفعُ
فَمَنْ قَامَ للتكبيرِ لاقَتْهُ رَحْمَةٌ ... وكانَ كعبدٍ بابَ مولاهُ يَقرَعُ
وصار لِرَبِّ العرشِ حين صلاتهِ ... نجيّاً فيا طوباهُ لو كان يخشَعُ

الآراب: جمع: الإِرْب بكسر فسكون، وهو العضو، وقال آخر: [الطويل]

تُصَلِّي بلَا قلبٍ صلاةً بمثلِهَا ... يكونُ الفتَى مسْتَوْجباً لِلْعُقوبةِ
تَظَلُّ وَقَدْ أتممْتَهَا غيْرَ عَالمٍ ... تزيدُ احتِياطاً ركعةً بعدَ رَكعَةِ
فويْلَكَ تَدْري مَنْ تُناجيهِ معرضاً ... وبيْنَ يَدَيْ مَنْ تنْحَني غيْرَ مُخْبِتِ؟
تخاطبُهُ إيَّاك نعبدُ مُقبِلاً ... عَلَى غيْرِهِ فيهَا لغَيْرِ ضرورةِ
وَلَوْ رَدَّ مَنْ ناجاكَ لِلْغَيْرِ طَرْفَهُ ... تميَّزْتَ مِنْ غيظٍ عَليه وغَيْرةِ
أَمَا تسْتَحِي مِنْ مالِكِ المُلْكِ أن يَرَى ... صُدُوْدَكَ عنهُ يا قليلَ المروءةِ
إلهي اهْدِنا فيمَنْ هَدَيْتَ وخُذْ بنا ... إلى الحقِّ نهجاً في سواءِ الطريقةِ

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾: قيل المراد باللغو هنا: الشرك، وهو غير واضح؛ لأن الأفعال التي وصف الله بها المؤمنين كلها مأمور بها المؤمنون، والأولى تفسيره بكل باطل، ولهو، وما لا يجمل من القول، والفعل. وقد وصف الله عباده في سورة (الفرقان) بقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ قال البيضاوي هناك: واللغو ما يجب أن يُلغى ويطرح، و﴿كِرَامًا﴾ معرضين عنه، مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه، والخوض فيه، وقال عن قوم مؤمنين في سورة (القصص): ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ...﴾ إلخ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي: الزكاة

الواجبة مؤدون، فعبر عن التأدية بالفعل؛ لأنها فعل، وهي فصيحة، وقد جاءت في كلام العرب، قال أمية بن أبي الصلت: [الخفيف]

المُطعِمونَ الطعامَ في السَّنةِ الأزْ مَةِ والفاعلونَ للزَّكَواتِ

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَفْلَحَ﴾: ماض. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أو بدل، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني الذين، أو هو مبتدأ خبره الجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِي صَلَاتِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿خَٰشِعُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع. . .إلخ، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق، وأيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ...﴾ إلخ معطوف أيضاً. هذا؛ وقال السمين: اللام في ﴿لِلزَّكَوٰةِ﴾ زائدة، و(الزكاة) مفعول به مقدم لما بعده، وزيدت اللام في المفعول لتقدمه على عامله، ولكونه فرعاً في العمل، وعليه فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وفي كلٍّ من ﴿خَٰشِعُونَ﴾ و﴿مُعْرِضُونَ﴾ و﴿فَٰعِلُونَ﴾ ضمير مستتر هو فاعله؛ لأنه جمع: اسم فاعل. هذا؛ وزيادة اللام في ﴿لِلزَّكَوٰةِ﴾على قول السمين مثل قول ابن هشام بزيادتها في قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ و﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ونحو ذلك، وسماها ابن هشام لام التقوية.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ﴾: جمع: فرج، وهو اسم لسوأة الرجل، والمرأة، وحفظه: التعفف عن الحرام، وعن كل ما لا يحل من زنى، ولواط، واستمناء باليد، ومتعة.

أما الزنى فإني قد استوفيت الكلام عليه في الآية رقم [٣٢] من سورة (الإسراء)، وأستدرك هنا، فأقول: إنه قد فشا في هذه الأيام زنى بشرف، وفخر، وترضى به المرأة، وهي مرفوعة الرأس، ويقره زوجها، وهو شامخ الأنف، ذلك هو تلقيح المرأة من مادة رجل أجنبي غير زوجها، الذي ثبت عقمه، فهو يقر الدياثة بنفسه ما دام يأخذها بيده إلى طبيب قذر، لا يعرف للمروءة سبيلاً، ولا للشهامة طريقاً، ويكون شريكاً للرجل في الدياثة، والحرمان من جنة النعيم،

فقد قال الرسول ﷺ: «**ثلاثةٌ حرَّمَ الله تباركَ وتعالى عليهمُ الجنةَ: مُدْمِنُ الخمرِ، والعاقُّ لِوَالِدِيْهِ، والدَّيُّوثُ، الَّذِي يُقِرُّ في أَهْلِهِ الْخُبْثَ**». رواه الإمام أحمد والنسائي عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

وأما اللواط؛ فإنه عمل قوم لوط، كما رأيت في سورة (الأعراف) وسورة (هود) و(الحجر) وغير ذلك، وهو كبيرة من الكبائر التي تستوجب غضب الله في الدنيا، وعقابه في الآخرة، والنبي ﷺ قد شدَّد النكير على من اقترف هذه الجريمة، أو يقترفها، وإليك نبذة من أحاديثه الشريفة في ذلك.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَعَنَ الله سبعةً مِنْ خلقِهِ مِنْ فوق سبع سمَواتِهِ، ورَدَّدَ اللعنةَ علَى واحدٍ مِنْهم ثَلَاثاً، ولعَنَ كُلَّ واحدٍ مِنْهُمْ لَعْنَةً تَكْفيهِ، قالَ: مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قومِ لوطٍ، ملعُونٌ مَنْ عَمِلَ عملَ قوم لوطٍ، ملعُونٌ مَنْ عملَ عملَ قوم لوطٍ، ملعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، مَلعونٌ مَنْ أتى شيئاً مِنَ الْبَهَائِمِ، ملعُونٌ مَنْ عَقَّ والدَيْهِ، ملعُونٌ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ امْرَأَةٍ وابْنَتِها، ملعُونٌ مَنْ غَيَّرَ حدُودَ الأَرْضِ، ملعُونٌ مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ مَوالِيهِ**». رواه الطبراني في الأوسط.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وجدْتُّموهُ يَعْمَلُ عمل قومِ لوطٍ؛ فاقتلُوا الْفاعِلَ والْمَفْعُولَ به**». رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

أقول: المفعول به يقتل إذا كان مطاوعاً، وباختياره، أما إذا كان مكرهاً؛ فلا إثم عليه، ولا قتل له، بل إن النبي ﷺ حرم هذه الجريمة حتى عمل الرجل مع امرأته، فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**هِيَ اللُّوطِيَّةُ الصُّغْرى**». يعني الرجل يأتي امرأته في دبرها. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَتَى حَائِضاً، أو امْرأةً في دُبُرِهَا، أَوْ كاهِناً، فصَدَّقَهُ كَفرَ بما أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وأبو داود، وهذا محمول على المستحل.

وأما الاستمناء باليد، ويطلق عليه في هذه الأيام اسم العادة السرية، فقد قال محمد بن عبد الحكم: سمعت حرملة بن عبد العزيز قال: سألت مالكاً عن الرجل يجلد عميرة، فتلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَادُونَ﴾ وهذا؛ لأنهم يكنون عن الذكر بعميرة، وفيه يقول الشاعر: [البسيط]

إِذَا حَلَلْتَ بِوَادٍ لَا أَنِيسَ بِهِ ... فَاجْلِدْ عُمَيْرَةَ، لَا دَاءٌ وَلَا حَرَجُ

فقد أجمع العلماء على تحريمه، وقال بعضهم: إنه كالفاعل بنفسه، وهي معصية أحدثها إبليس حين نزل إلى الأرض، وأجراها بين الناس، وكان الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ على ورعه يجوِّزه؛ لأنه فضلة في البدن يجوز إخراجها لحاجة، كالفصد، والحجامة؛ ولكن

بشروط ثلاثة: أن يخاف الزنى، وأن يفقد مَهْرَ حرة، أو ثمن أمة، وأن يفعله بيده، وبالجملة: فإن فعله حرام، ومضر بالصحة كما ثبت طبياً، ولو قام الدليل على جوازه؛ لكان ذو المروءة يعرض عنه لدناءته، ومع هذا فالدليل ضعيف، وهو عارٌ بالرجل الدنيء، فكيف بالرجل الشريف؟ وسئل عطاء عنه، فقال: مكروه، سمعت أن قوماً يحشرون، وأيديهم حَبالى، فأظن أنهم هؤلاء. وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: عذَّب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم.

وأما المتعة؛ فهي عقد مؤقت يعقده الرجل على امرأة يحل له زواجها شرعاً بأجر معين مقبوض، فإذا انتهت المدة المتعاقد عليها تخلص منه بدون طلاق؛ لأنها كالمستأجرة. وقد كان للمتعة في التحليل، والتحريم أحوال، فمن ذلك: أنها كانت مباحة، ثم حرمها رسول الله ﷺ زمن خيبر، ثم حللها في غزوة فتح مكة، ثم حرمها بعد ذلك تحريماً أبديًّا. ويقال: إن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان يقول بتحليلها، ثم رجع إلى التحريم حينما بلغه أحاديث النبي ﷺ وتأكد من صحتها، ويروى أن المأمون العباسي أباحها للمجاهدين، وهم بعيدون عن أهليهم، فدخل عليه العالم الجليل يحيى بن أكثم، وهو يرتعد غضباً، فقال المأمون: ما للإمام يشتاط غضباً؟ فقال الإمام العظيم: كيف لا؛ وقد انتهكت حرمات الله، وأُحِلّ ما حرَّم الله، ورسولُهُ؟ قال المأمون: ومن فعل ذلك؟ فقال: أمير المؤمنين فعل ذلك. قال: وكيف كان ذلك؟ قال: ألم تحل المتعة؛ وقد حرمها الله ورسوله إلى يوم القيامة؟ قال: أليست تحل بعقد شرعي، ومهر، ورضاً، واختيار مع رشد، وعقل؟! قال: يا أمير المؤمنين! فالله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أهي زوجة ترث وتورث؟ قال: لا! قال: أيلحق الولد المتمتع إذا كان بعيداً عن البلد المتمتع بها؟ قال: لا! قال: أيلحقها ولدها التي أتت به من المتعة؟ قال: لا! قال: أهي أمة في ملك اليمين؟ قال: لا! قال: فإذاً هي محرمة إذا كانت ليست زوجة بالمعنى الصحيح، ولا أمة بملك. فرجع المأمون عن تحليلها، واستغفر الله.

وأخيراً أقول: تأباها المروءة والشرف، فأي رجل فيه شيء من ذلك، ثم هو يرضى بأن يسلم أخته، أو ابنته لشخص أياماً معدودة، ثم هو يردها له، وقد تكون حملت منه بولد، ثم ما مصير هذا الولد؟ هل هو لقيط، أو ابن زنى، أو هو ولد شرعي؟ فيجب أن يرث من والده، وينتسب إليه، وهل يتأتى هذا في نكاح المتعة؟.

تنبيه: قد تحرم الزوجة، أي: إتيانها لعارض حيض، أو نفاس، وقد صرحت به آية البقرة رقم [٢٢١] هذا؛ و﴿أَزْوَٰجِهِمْ﴾ جمع: زوج، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٠] من سورة (الأنبياء). هذا؛ وإجراء (ما) وهي لغير العاقل على الإماء، وهن عاقلات؛ لأنهن ناقصات عقل، ولأنهن يُبَعْن، ويُشْتَرَيْنَ كالبهائم، كما أطلقت على النساء الحرائر في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ للسبب الأول فقط.

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي: على إتيان أزواجهم وإمائهم إذا كان الإتيان على وجه أذن فيه الشرع، دون الإتيان في الدبر، وفي حال الحيض، والنفاس، فإنه محظور، فلا يجوز، ومن فعله؛ فإنه ملوم. ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: التمس، وطلب سوى الأزواج، والإماء، وهن الجواري المملوكة. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ أي: المتجاوزون الحد من الحلال إلى الحرام، وذلك مما يوجب الحد على الزاني، واللائط، والتعزير على إتيان البهيمة، وإتيان المرأة في دبرها، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ...﴾ إلخ: إعرابه مثل إعراب سابقه، ويقال في اللام الجارة لفروجهم ما قيل في اللام الجارة في: ﴿لِلزَّكَوٰةِ﴾ في الآية السابقة؛ لأن ﴿فَٰعِلُونَ﴾ و﴿حَٰفِظُونَ﴾ كلاهما مأخوذ من فعل متعد لواحد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: في تعليقهما أوجه: أحدها: أنهما متعلقان بـ: ﴿حَٰفِظُونَ﴾ على تضمينه معنى: ممسكين، أو قاصرين. الثاني: أنهما متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، التقدير: حافظون فروجهم في كل حال؛ إلا في حال إتيان أزواجهم، أو إمائهم. الثالث: أنهما متعلقان بمحذوف يدل عليه ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ وكأنه قيل: يلامون إلا على أزواجهم. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ﴿أَزْوَٰجِهِمْ﴾. ﴿مَلَكَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَيْمَٰنُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: أو الذي ملكته أيمانهم. ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿غَيْرُ﴾: خبرها، و(غير) مضاف، و﴿مَلُومِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية: (إنهم غير ملومين) تعليل لنفي الحرج، والمؤاخذة، وهو ما تضمنه الاستثناء.

﴿فَمَنِ﴾: الفاء: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱبْتَغَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿وَرَآءَ﴾: مفعول به على تفسيره بـ: «سوى»، وظرف مكان متعلق بما قبله على تفسيره بـ «بعد» ونحوه، وقال الزجاج: التقدير: فمن ابتغى ما بعد ذلك، وعليه فالمفعول محذوف، و﴿وَرَآءَ﴾ متعلق بمحذوف صلة المفعول المحذوف المقدر بـ: ما، و﴿وَرَآءَ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل لها. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، (أولئك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له من الإعراب. ﴿ٱلْعَادُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿هُمُ﴾ مبتدأ ثانياً و﴿ٱلْعَادُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر المبتدأ الأول، وعلى الوجهين فالجملة الاسمية: (أولئك هم...) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها، وخبر

المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً فهي مبتدأ، والجملة الفعلية بعده صلته، وخبره الجملة الاسمية: (أولئك. . .) إلخ، وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾: الأمانات تشمل الودائع التي يضعها أصحابها عند غيرهم، وتشمل جميع التكاليف الإلهية التي كلف الله بها عباده المؤمنين، وتشمل جميع جوارح الإنسان من عين، وأذن، ويد. . .إلخ، وتشمل جميع المعاملات من بيع، وشراء. . .إلخ، وتشمل جميع النعم التي أنعم الله بها على العبد من ولد، وزوجة. . .إلخ. والعهد يشمل جميع الوعود التي يقطعها العبد على نفسه لغيره من الناس، ويشمل جميع العقود التي يعقدها العبد مع غيره، مثل عقد النكاح، ونحوه، وأيضاً الصنائع، والأسرار وغير ذلك، ولقد أحسن القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ إذ قال: والأمانة، والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه، ودنياه قولاً، وفعلاً. ومعنى ﴿رَٰعُونَ﴾ قائمون بحفظها، ورعايتها. وأصله: راعِيُون، فحذفت الضمة التي على الياء لاستثقالها، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو التي هي علامة الجمع، وهذا في الجمع، كما تحذف من المفرد لالتقائها ساكنة مع التنوين. انظر الآية رقم [٣٣] من سورة (لقمان). هذا؛ ويقرأ: (لأمانتهم) بالإفراد، وقراءة حفص بالجمع، قال مكي بن أبي طالب القيسي: أمانة: مصدر، وحق المصادر أن لا تجمع؛ لأنها كالفعل يدل على القليل، والكثير من جنسه، ولكنه لما اختلفت أنواع الأمانة لوقوعها على الصلاة، والزكاة، والتطهر، والحج، وغير ذلك من العبادات جاز جمعها؛ لأنها لما اختلفت أنواعها شابهت المفعول به، فجمعت كما يجمع المفعول به.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: على أدائها في أوقاتها الأوائل، وعلى إتمام ركوعها، وسجودها، وطهارتها، وكل شروطها، وأركانها، وسننها، وليس ذلك تكراراً لما وصفهم به أولاً، فإن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها، وفي تصدير الأوصاف المذكورة، وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣١ و٥٩] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ﴾: الجامعون لهذه الصفات هم الأحقاء، والجديرون بأن يسموا وُرَّاثاً دون غيرهم. ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: بيان لما يرثونه، وتقييد للوراثة بعد إطلاقها تفخيماً لها، وتأكيداً، وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم، وإن كان بمقتضى وعده مبالغة

فيه، وقيل: إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها؛ حيث فوتوها على أنفسهم؛ لأنه تعالى جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله تَعَالَى جَعَلَ لكُلِّ إنسانٍ مسْكَناً في الجَنَّةِ، ومسكناً في النارِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنونَ فيأخُذُونَ مَنَازِلَهُمْ، ويَرثون مَنَازِلَ الكُفَّارِ، ويَجْعَلَ الكُفَّارَ في منازِلِهِم في النارِ**». خرجه ابن ماجه بمعناه. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: لا يخرجون منها، ولا يموتون، وأنث الضمير؛ لأنه اسم من أسماء الجنة،أو المراد طبقتها العليا، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٧] من سورة (الكهف) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

خاتمة: قال ابن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ من غريب القرآن: إن هذه الآيات العشر عامة في الرجال، والنساء كسائر ألفاظ القرآن التي هي محتملة لهم، فإنها عامة فيهم، إلا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ فإنما خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ وإنما عرف حفظ المرأة فرجها من أدلة أخر كآيات الإحصان عموماً، وخصوصاً، وغير ذلك من الأدلة

أقول: وهذا شيء نوهت عنه كثيراً وذكرت: أن المدح، والثناء، والذم، والترغيب، والترهيب بلفظ المذكر يدخل تحته النساء إلحاقاً؛ إذ ما من شك: أن في النساء متقيات، ومؤمنات، وصالحات، وخبيثات، وفاسقات. . .إلخ، والتعبير بلفظ المذكر هو من باب تغليب المذكر على المؤنث، خذ قوله تعالى في آخر سورة (التحريم) في مدح مريم: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: معطوف هذا الكلام على قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ وهو مثله في إعرابه بلا فارق بينهما، والهاء فيهما في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، وكذلك ما بعده معطوف عليه، وإعرابه مثل السابق. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ بلا فارق بينهما، والجملة الاسمية هنا مستأنفة، لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الموصول الأول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ما عدا الوجه الأخير. وهو اعتباره مبتدأ، فتكون هذه الجملة في محل رفع خبره. ﴿الَّذِينَ﴾: هو مثل ﴿الَّذِينَ﴾ في الآية رقم [٢] بلا فارق، وجملة: ﴿يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿خَالِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . .إلخ، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ مستأنفة على جميع الوجوه التي تعتبر في الموصول، ما عدا اعتباره مبتدأ. فتكون هذه الجملة في محل رفع خبره، وقال أبو البقاء: الجملة حال مقدرة، إما من الفاعل، أو من المفعول، وهذا يكون على الوجوه الأولى في الموصول، وانظر أنواع الحال في الآية رقم [٧٦] من سورة (الفرقان).

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: المراد به آدم عليه السلام. ﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾: السلالة: الخلاصة؛ لأنها تسل من بين الكدر، وقيل: إنما سمي التراب الذي خلق منه آدم سلالة؛ لأنه سل من كل تربة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٦] من سورة (الحجر)، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. وقيل: المراد ابن آدم. قاله ابن عباس، وغيره؛ وعلى هذا فالسلالة صفوة الماء، يعني: المني، فالنطفة سلالة، والولد سليل، وسلالة، عنى به الماء يسل من الظهر سلاً، قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيمِ غَضَنْفَرا ... سُلاَلَةَ فَرجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينِ

وقالت هند بنت النعمان في مدح نفسها، وذم الحجاج الذي تزوجها في قصة مشهورة مسطورة في كتب الأدب: [الطويل]

وما هِنْدُ إلَّا مُهْرةٌ عَرَبِيَّةٌ ... سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ

فَإنْ وَلَدَتْ مُهْراً فَلِلَّهِ دَرُّها ... وَإنْ ولَدَتْ نَغْلاً فَجَاءَ بِهِ الْبَغْلُ

ومعنى ﴿مِّن طِينٖ﴾ أي: إن الأصل آدم، وهو من طين. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: أي: من طين خالص، فأما ولده؛ فهو من طين، ومني، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥] من سورة (الحج).

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ﴾ أي: نسله، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه؛ لأن آدم ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ لم يصر نطفة، فهو كقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ من سورة (السجدة) رقم [٧ و٨]. ﴿فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾ أي: حريز، وهو الرحم، سمي مكيناً لاستقرار النطفة فيه إلى وقت الولادة.

الإعراب: ﴿وَلَقَدۡ﴾: الواو: حرف قسم، وجر، والمقسم به محذوف، التقدير، والله، والجار، والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَقۡنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المقدر. ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾. ﴿مِّن طِينٖ﴾: متعلقان بـ: ﴿سُلَٰلَةٖ﴾ على تأويلها بـ: «مسلولة»، أو بمحذوف صفة لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿نُطۡفَةٗ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فِي قَرَارٖ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿نُطۡفَةٗ﴾. ﴿مَّكِينٖ﴾: صفة قرار.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾: هذا هو الطور الرابع الذي لم يذكر في آية الحج رقم [٥] حيث تتحول المضغة بعد تمام أربعة أشهر، ونفخ الروح في الجنين إلى عظام لينة غضروفية مكسوة باللحم. ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: اختلف في تفسير هذا الخلق اختلافاً كثيراً، وفي الحقيقة هو يشمل كل تصرفات الإنسان من النطق، والإدراك، وحسن المحاولة، وتحصيل المعقولات إلى أن يموت. هذا؛ والفعل (خلق) هنا بمعنى: صير، فلذا نصب مفعولين صريحين، فإن كان بمعنى: اخترع، وأحدث؛ تعدَّى إلى مفعول واحد، وهو كثير. هذا؛ والفعل «جعل» ينصب مفعولين أيضاً إذا كان من أفعال التصيير، فإن كان بمعنى: خلق؛ تعدى إلى واحد فقط، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي: وخلق الظلمات، والنور.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: يروى: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما سمع صدر الآية إلى قوله: ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ قال: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: «**هكذا أنزلت**». وقيل: إن قائل ذلك معاذ بن جبل، رضي الله عنه. وقيل: إن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب للنبي ﷺ الوحي، فنطق بذلك قبل إملائه عليه، فقال له رسول الله ﷺ: **اكتب هكذا نزلت**». فقال عبد الله: إن كان محمد نبياً يوحى إليه؛ فأنا نبي يوحى إلي، فارتد، ولحق بمكة، ثم أسلم يوم الفتح، وفي إسلامه دخن، ودغل. انظر ما ذكرته بشأنه، وشأن غيره في الآية رقم [٩٣] من سورة (الأنعام)، وقيل: هذه الحكاية غير صحيحة؛ لأن ارتداده كان في المدينة، وهذه السورة مكية كما رأيت في مقدمتها.

هذا؛ ومعنى (تبارك) تقدس، وتعظم، وتعالى، وتنزه، وهو ملازم للماضي، لا يأتي منه مضارع، ولا أمر. وانظر الآية رقم [١] من سورة (الفرقان)، ومعنى ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أحسن المصورين، والمقدرين. قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ قلت: الخلق له معانٍ، منها: الإيجاد، والإبداع، ولا موجد، ولا مبدع إلا الله تعالى، ومنها: التقدير، قال زهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان المري: [الكامل]

وَلأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ ... ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

معناه: أنت تقدر الأمور، وتقطعها، وغيرك لا يفعل ذلك. فعلى هذا يكون معنى الآية: الله أحسن المقدرين. وجواب آخر، وهو: أن عيسى ـ عليه الصلاة، والسلام ـ خلق طيراً، وسمى نفسه خالقا بقوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

مسألة، بل فائدة من هذه الآية: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لعمر ـ رضي الله عنه ـ حين سأل مشيخة الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ عن ليلة القدر، فقالوا: الله أعلم، فقال عمر: ما تقول يا بن عباس؟ فقال: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى خلق السموات سبعاً، والأرضين سبعاً، وخلق ابن آدم من سبع، وجعل رزقه في سبع، فأراها في ليلة سبع وعشرين، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه؟! وهذا الحديث بطوله في مسند ابن أبي شيبة. فأراد ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: خلق ابن دم من سبع بهذه الآية، وبقوله: (وجعل رزقه في سبع) قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ آية رقم [٢٧] وما بعدها من سورة (عبس) السبع الأولى منها لابن آدم، والأب للأنعام، والقضب يأكله ابن آدم، ويسمنُ منه النساء. هذا قول. وقيل: القضب: البقول؛ لأنها تقضب، فهي رزق ابن آدم. انتهى. قرطبي بتصرف.

هذا؛ وأحفظ لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ استدلالاً آخر لليلة القدر؛ حيث عد كلمات سورة (القدر) فكانت ثلاثين كلمة بعدد أيام رمضان، ولياليه، ثم عدد كلماتها ثانية، فكانت لفظة الضمير (هي) السابعة والعشرين، فقال: هنا ليلة القدر؛ أي: في الليلة السابعة والعشرين، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿خَلَقْنَا﴾: فعل، وفاعل، و﴿خَلَقْنَا﴾ بمعنى: صيرنا، ولذا نصب مفعولين، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، والجمل بعدها كلها معطوفة عليها، والأفعال كلها نصبت مفعولين. ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة خلقاً. (تبارك): ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿أَحْسَنُ﴾: بدل، أو خبر لمبتدأ محذوف، وليس بصفة؛ لأنه نكرة، وإن أضيف؛ لأن المضاف إليه عوض مِنْ «مِنْ» وعليه فالجملة الاسمية المقدرة: «هو أحسن الخالقين» في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير المقدر مبتدأ، و﴿أَحْسَنُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ مضاف إليه، وجملة (تبارك...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

خاتمة: قال الجمل: اختلاف العواطف بالفاء، وثم؛ لتفاوت الاستحالات، يعني: إن بعضها مستبعد حصوله مما قبله، وهو معطوف بـ: ﴿ثُمَّ﴾ فجعل الاستبعاد عقلاً، أو رتبةً بمنزلة التراخي، والبعد الحسي... إلخ. هذا؛ وقال ابن هشام في مغنيه: فالفاءات في الآية بمعنى «ثم» لتراخي معطوفاتها، وهو جيد جداً.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد الخلق المذكور في أطواره المختلفة.

﴿لَمَيِّتُونَ﴾ أي: عند انقضاء آجالكم. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ أي: تخرجون من القبور وتحشرون للجزاء والحساب، والثواب، أو العقاب. هذا؛ وقد أكد الجملتين الاسميتين

بـ: (إنَّ) ولام الابتداء ليؤكد وقوع البعث، وما يتبعه، وما يتعلق به، وهو ما ينكره الجاحدون، والملحدون؛ أما الموت؛ فلا ينكره أحد أبداً؛ لأنه مشاهد لكل إنسان.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ سبع سموات، سميت بذلك؛ لأنَّ بعضها فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيءٍ: طريقة، وقيل: سميت بذلك؛ لأنها طرق الملائكة في الصعود، والهبوط، وقيل: ؛ لأن الكواكب تطرقها، أي: تسير فيها. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾: الخلق بمعنى المخلوق، والمراد به: السموات، أو جميع المخلوقات، وهو أولى، ومعنى ﴿غَٰفِلِينَ﴾ مهملين أمرها، بل نحفظها من الاختلال، والزوال، وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة، وتعلقت به المشيئة. وقيل: المعنى: ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي. وقيل: المعنى: ما كنا غافلين عن أعمالهم، وأقوالهم، وسائر تصرفاتهم، بل هي مسجلة عندنا، ومحفوظة لدينا حتى نحاسبهم عليها يوم يرجعون إلينا.

أما (الموت): فهو انتهاء الحياة بخمود حرارة البدن، وبطلان حركته. وموت القلب: قسوته فلا يتأثر بالمواعظ، ولا ينتفع بالنصائح، وأما الميت، والميتة بفتح الميم وسكون الياء فيهما فهو من فارقت روحه جسده، وجمعه: أموات، وأما المشدد؛ فهو الحي الذي سيموت، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وجمعه: موتى، قال الإمام علي، كرم الله وجهه: [البسيط]

فَفُزْ بِعِلْمٍ، وَلَا تَجْهَلْ بِهِ أَبداً ... فَالنَّاسُ مَوْتى وأَهْلُ الْعِلْمِ أحيَاءُ

هذا؛ وقد قال بعض الأدباء في الفرق بين المشدد، والمخفف: [الطويل]

أَيَا سائِلي تفْسِيرَ مَيْتٍ وَمَيِّتٍ ... فدُونَكَ قَدْ فسَّرْتُ ما عنهُ تَسْأَلُ

فَمَنْ كَانَ ذَا روحٍ فذَلِكَ مَيِّتٌ ... وَمَا الْمَيْتُ إِلَّا مَنْ إِلَى الْقَبْرِ يُحْمَلُ

هذا هو الأصل الغالب في الاستعمال وقد يتعاوضان كما في قول ابن الرعلاء الغساني: [الخفيف]

لَيْسَ مَنْ ماتَ فاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ ... إِنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَئِيباً ... كَاسِفاً بالُهُ، قلِيلَ الرَّجَاءِ

أقول: ومن هذا ما في الآية رقم [٢٧] من سورة (آل عمران) وما في الآية رقم [٩٥] من سورة (الأنعام) حيث استعمل المشدد فيهما لفاقد الحياة، والروح، كما هو واضح فيهما. هذا؛ ولا تنس: أن أصل «ميِّت» المشدد: (مَيْوِت)؛ لأنه من مات يموت، فقل في إعلاله: اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء في الياء، وقل مثله في إعلال سيِّد وهيِّن، وليِّن وصَيِّب، ونحو ذلك، وقال الشاعر في تخفيف: هين، ولين: [البسيط]

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ بَنُو يَسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أبْنَاءُ أَيْسَارِ

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِنَّكُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ (ميتون) بعده، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَمَيِّتُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (ميتون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُم...﴾ إلخ معطوفة على الجمل الفعلية السابقة لا محل لها مثلهن. ﴿إِنَّكُمْ﴾: مثل سابقه.

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿تُبْعَثُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾ انظر الآية رقم [١٢] فالإعراب لا يتغير، وهذا الكلام معطوف عليه لا محل له مثله. ﴿فَوْقَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿سَبْعَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿طَرَآئِقَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿غَٰفِلِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ﴾: انظر شرح ﴿ٱلْمَآءِ﴾ وإعلاله، وما قيل فيه في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء)، وشرح ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ وإعلاله في الآية رقم [٣٢] منها. ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: على مقدار مصلح؛ لأنه لو كثر؛ أهلك، كما هو مشاهد في بعض الأحيان، كما قال تعالى في الآية رقم [٢١] من سورة (الحجر): ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾. ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جعلناه مستقراً فيها مخزوناً، قال تعالى في الآية رقم [٢٢] من سورة (الحجر): ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ ثم أخرجناه من الأرض ينابيع، كالعيون، والآبار، والأنهار، فكل ماء ينتفع به الإنسان، والحيوان أصله من السماء. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ أي: على ذهاب الماء المختزن. وفيه تهديد، ووعيد، أي: إنا قادرون على إزالته بالإفساد، أو التصعيد، أو التعميق بحيث يتعذر استخراجه والاستفادة منه، فعند ذلك يهلك الناس، والحيوان، والنبات من شدة العطش. هذا؛ وقد قيل: إن ما في هذه الآية أبلغ من قوله تعالى في سورة (الملك) رقم [٣٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أنزلنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ماء، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» ﴿مَآءً﴾: مفعول به. ﴿بِقَدَرٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف صفة ماء، والجملة الفعلية: ﴿وَأَنزَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جواب القسم لا محل لها مثله. ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجر المفعول به الثاني هنا على الأصل في مفعول: (سكنَ، ودخلَ، ونزلَ). ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت ألفها. ﴿عَلَىٰ ذَهَابٍۭ﴾: متعلقان بـ (قادرون). ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بذهاب؛ لأنه مصدر. ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو.. إلخ، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: (إنا...) إلخ في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم﴾: خلقنا وأوجدنا لكم. ﴿بِهِۦ﴾: بالماء. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: بساتين. ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾: إنما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما، فإنهما يقومان مقام الطعام، والإدام في سنوات المحل، والجدب، وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٤] وما بعدها من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ أي: غير النخيل، والأعناب، وذلك كالخوخ، والتفاح... إلخ. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: ومن الجنات تأكلون تغذِّياً، أو ترتزقون، وتحصلون معايشكم، من قولهم: فلان يأكل من حرفته، ويجوز أن يكون الضميران للنخيل، والأعناب؛ أي: لكم في ثمرتهما أنواع من الفواكه: الرطب، والعنب، والتمر، والزبيب، والعصير، والدبس، وغير ذلك، وطعام تأكلونه وتتغذون به. وانظر قوله تعالى في الآية رقم [٤] من سورة (الرعد): ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿فَأَنشَأْنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (أنشأنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿لَكُم بِهِۦ﴾: كلاهما متعلق بالفعل قبلهما. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿وَأَعْنَٰبٍ﴾: معطوف على ﴿نَّخِيلٍ﴾. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿فَوَٰكِهُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب صفة ثانية لجنات، أو بمحذوف حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿كَثِيرَةٌ﴾: صفة ﴿فَوَٰكِهُ﴾. (منها):

متعلقان بما بعدهما. ﴿تَأْكُلُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها، هذا؛ وعلى اعتبار الضميرين عائدين على ﴿نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾، فالجملتان في محل جر صفة لهما.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾: المراد بها: شجرة الزيتون، وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في بلاد الشام، والحجاز، وغيرهما من البلاد، وقلة تعاهدها بالسقي، والحفر، وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار، وخص طور سيناء بالزيتون؛ لأنه منه نشأ. وقيل: إن أول شجرة نبتت في الأرض بعد الطوفان هي شجرة الزيتون، وقيل: إنها تبقى في الأرض نحو ثلاثة آلاف سنة، والمراد بطور سيناء: الجبل الذي كلم الله عليه موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وفي سورة والتين ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾.

قال البيضاوي: ولا يخلو من أن يكون (الطور) اسماً للجبل، و﴿سَيْنَآءَ﴾ اسم بقعة أضيف إليها، أو المركب منهما علم له، كامرئ القيس، ومنعه من الصرف للتعريف، والعجمة، أو التأنيث على تأويل البقعة، وصحراء سيناء معروفة تعتبر من البلاد المصرية جغرافياً. وقال الخازن: ومعناه: الجبل الملتف بالأشجار، وقيل: كل جبل فيه أشجار مثمرة، يسمى: سيناء، وسينين. انتهى. أقول: وهو ضعيف جداً، والمعتمد الأول. هذا؛ وسيناء بفتح السين، والمد، من السناء، وهو: الرفعة، وعلو الشأن، ويقرأ بالفتح والقصر بمعنى: النور، ويقرأ بالكسر، والقصر.

﴿تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾: يقرأ الفعل بفتح التاء، وضم الباء على أنه لازم، ويقرأ بضم التاء وكسر الباء على أن المفعول محذوف، أو الباء زائدة في المفعول، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ الآية رقم [١٩٥] من سورة (البقرة)، ومثل الآية قول الراعي النميري، أو القتال الكلابي: [البسيط]

هُنَّ الْحَرائِرُ لَا رَبَّاتُ أَخْمِرَةٍ سُودُ المَحَاجِرِ، لَا يَقْرأْنَ بالسُّوَرِ

وقيل: نبت، وأنبت بمعنى واحد، وهو مذهب الفراء، وأبي إسحاق، ومنه قول زهير بن أبي سلمى: [الطويل]

رأيْتُ ذوي الْحَاجَاتِ حوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِيناً بِهَا حتّى إذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ

أي: نبت البقل. هذا؛ وفيه قراءات أخر، ويقرأ: (بالدِّهان) أيضاً. ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾: ويقرأ: وصباغ، مثل: دِبْغ، ودِبَاغ. هذا؛ ولشجرة الزيتون فوائد كثيرة، أهمها: أنها يؤتدم بزيتونها، ويدهن بزيتها، وهو علاج نافع لكثير من الأمراض، ولا سيما الأمراض العصبية،

والمعدية، فقد روى الترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: قال، قال رسول الله ﷺ: **«كُلُوا الزَّيْتَ وادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»**.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: في الزيتونة منافع: يسرج بزيتها، أي يستضاء به، وهو إدام، ودهان، ودباغ، ووقود يوقد بحطبه، وتُفْله، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الإِبرَيْسَم، أي: الحرير بكسر الراء، والسين، وفتحهما لغتان، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان، وتنبت في منازل الأنبياء، والأرض المقدسة، ودعا لها سبعون نبياً بالبركة، منهم إبراهيم، ومنهم محمد ﷺ، فإنه قال: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي الزَّيْتِ، والزَّيْتُونِ»**. قاله مرتين. انتهى. قرطبي من تفسير سورة (النور)، وانظر الآية رقم [٣٥] من سورة (النور).

الإعراب: ﴿وَشَجَرَةً﴾: معطوف على جنات، ويقرأ بالرفع على اعتباره مبتدأ خبره محذوف، التقدير: ومما أنشئ لكم به شجرة، أو: وهناك شجرةٌ. ﴿تَخْرُجُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (شجرة)، والجملة صفة (شجرة). ﴿مِن طُورِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿طُورِ﴾ مضاف، و﴿سَيْنَآءَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف، وانظر الشرح. ﴿تَنۢبُتُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (شجرة)، ومفعوله محذوف. ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، وتقدير الكلام: تنبت جناها، أو ثمرها مصحوباً بالدهن، وانظر الشرح لأوجه القراءات، والجملة الفعلية في محل صفة ثانية لـ: (شجرة)، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم. (صبغ): معطوف على لفظ (الدهن)، وهو في المعنى مفعول به. ﴿لِّلْآكِلِينَ﴾: متعلقان بـ: (صبغ)، أو بمحذوف صفة له.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ أي: في خلق الأنعام، والتفكر فيها للدلالة على قدرة الله تعالى. هذا؛ وواحد ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: نَعَم، وهو يطلق على الإبل خاصة، فيكون الجمع من باب التغليب غلب الإبل على البقرة، والغنم. والأنعام تؤنث كما في هذه الآية، وكما في الآية رقم [٥] من سورة (النحل) تبعاً للمعنى، فإن الأنعام جمع كما رأيت، ولذلك عده سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ في المفردات المبنيَّة على أفعال، كأخلاق، وكقولهم: ثوب أكياش. هذا؛ وَذُكِّرَ في الآية رقم [٦٦] من سورة (النحل) تبعاً للفظ، انظر شرحها، فإنه جيد.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾: في ظهورها، وأصوافها، وأوبارها، وأشعارها. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: من لحومها بعد ذبحها. ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: على الأنعام، والمراد به: الإبل؛ لأنها هي التي يُحْمَل عليها.

﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفن التي تجري في البحر. ﴿تُحْمَلُونَ﴾ أي: في أسفاركم، فالإبل للبر، والسفن للبحر.

هذا؛ وانظر شرح (الفلك) في الآية رقم [٦٦] من سورة (الإسراء)، أما ﴿نُّسْقِيكُم﴾ فهو من الرباعي: «أسقى»، ويقرأ بفتح النون على أنه من الثلاثي: «سقى»، وهما بمعنى واحد، تقول: سقى الله هذه البلاد الغيث، وأسقاها الغيث، فيكون بالهمز تارة، وبدونه أخرى، وشاهد المهموز قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ وشاهد غير المهموز قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ ويحتملهما قوله تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ وقوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ وقد ورد في قول لبيد ـ رضي الله عنه ـ اللغتان جميعاً: [الوافر]

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْراً والقَبَائِلَ مِنْ هِلالِ

ولكنه حذف المفعول الثاني من كليهما، وفرق الأعلم بينهما، فقال: تقول: سقيتك ماءً: إذا ناولته إياه يشربه، وتقول: أسقيتك: إذا حصلت له سَقيا.

تنبيه: جملة ما ذكره الله في الآيات المتقدمة من أول السورة إلى هنا من الدلائل على قدرته أربعة أنواع: الأول: الاستدلال بتقلب الإنسان في أطوار الخلقة، وهي تسعة آخرها: ﴿يُبْعَثُونَ﴾. النوع الثاني من الأدلة: خلق السموات، وأشار له بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾. النوع الثالث: إنزال الماء، وأشار له بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾. النوع الرابع: الاستدلال بأحوال الحيوانات، وأشار له بقوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ...﴾ إلخ. وأحوال الحيوان أربعة مذكورة في الآية. انتهى. جمل نقلاً من الرازي.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِى ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو بالخبر المحذوف، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه. ﴿لَعِبْرَةً﴾: اللام: لام الابتداء. (عبرة): اسم (إنَّ) مؤخر، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿نُّسْقِيكُم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف صرحت به آية (النحل) المذكورة في الشرح. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِى بُطُونِهَا﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿نُّسْقِيكُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب المجرورة محلاً باللام، أو من الأنعام، والرابط: الضمير على الاعتبارين، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿مَنَٰفِعُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية السابقة على جميع الاعتبارات فيها. ﴿كَثِيرَةٌ﴾: صفة ﴿مَنَٰفِعُ﴾. (منها):

متعلقان بما بعدهما، وجملة: «تأكلون منها» معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿وَعَلَيْهَا﴾: الواو: حرف عطف. (عليها): متعلقان بما بعدهما. (على الفلك): معطوفان على ما قبلهما، وهما متعلقان بالفعل بعدهما حكماً. ﴿تُحْمَلُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: هذا شروع في خمس قصص: الأولى: قصة نوح، هذا أولها، والثانية: قصة هود، عليه السلام. وانظر تفصيل ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى. هذا؛ وقد ذكرت قصة نوح ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وسلام في سورة (الأعراف)، وسورة (هود) مفصلة تفصيلاً كافياً، وسأعود إلى تفصيلها ثانية في سورة (الشعراء) إن شاء الله تعالى. هذا؛ و(قوم) اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ومعشر، وهو يطلق على الرجال دون النساء بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟

وربما دخل فيه النساء على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إنَّ كل لفظ «قوم» في القرآن الكريم، إنما يراد به الرجال، والنساء جميعاً. هذا؛ ولفظ (قوم) يذكر، ويؤنث، قال تعالى في سورة (الشعراء) الآية رقم [١٠٥]: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وانظر شرح (التقوى) في الآية رقم [١] من سورة (الحج)، ومعنى ﴿تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون أن يزيل الله عنكم نعمه، فيهلككم، ويعذبكم بإعراضكم عن عبادته، وإقبالكم على عبادة غيره، وكفرانكم نعمه؛ التي لا تعد، ولا تحصى.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [١٢] فهو مثله بلا فارق، والكلام مستأنف لا محل له. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من نوحاً، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى (نوح). (يا): أداة نداء تنوب مناب «أدعو». (قوم): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة، فيقول: يا قَوْمِي. ومنهم من يثبتها، ويحركها بالفتحة، فيقول: يا قَوْمِيَ. ومنهم من

يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: يا قومَا. ومنهم من يحذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها، فيقول: يا قومَ. ففيه خمس لغات ذكرها ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله: [الرجز]

واجْعَلْ مُنَادىً صَحَّ إِنْ يُضَفْ لِـ: «يا» كَـعَـبْـدِ عَـبْـدِي عَـبْـدَ عَـبْـدَاً عَـبْـدِيَـا

هذا؛ ويزاد سادسة، وهي البناء على الضم، والقطع عن الإضافة تشبيهاً له بالنكرة المقصودة، فيقول: ياقَوْمُ، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿ٱعْبُدُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾: يقرأ بالرفع صفة ﴿إِلَٰهٍ﴾ على المحل، أو بدل منه. وبالجر صفة على اللفظ، وبالنصب على الاستثناء، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وفيها معنى التعليل للأمر بالعبادة، وقيل: مستأنفة، ولا وجه له، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب القسم لا محل لها مثله. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف استئناف. أو حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَتَّقُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والمفعول محذوف للتعميم، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، أو هي مستأنفة، وتعود إلى أنها في محل نصب مقول القول.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾: فـ: ﴿ٱلْمَلَؤُاْ﴾ الأشراف، والسادة، ولا يقال لغيرهم؛ لأنهم يملؤون العيون بكبريائهم، وزينتهم، وما يحاطون به من هيبة، وعظمة، والملأ: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، وقوم، ومعشر. . .إلخ، وانظر شرح ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء)، وقول الملأ المذكور إنما هو لعوامهم، وسفلتهم الذين يتبعونهم، خاطبوهم بالجملة التالية.

﴿مَا هَٰذَآ﴾: الإشارة إلى نوح عليه السلام. ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: آدمي مثلكم يأكل كما تأكلون، ويشرب كما تشربون، وهو مثلكم في جميع الأمور، وانظر شرح (مثل) في الآية رقم [٦٠] من سورة (الحج)، وشرح (بشر) في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء). وانظر ما ذكرته في الآية [٤٨] الآتية. ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يحب الشرف، والرياسة بأن يكون سيداً متبوعاً، وأنتم له تبع. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: يبعث ملائكة، يكونون رسلاً، وواسطة بينه وبين خلقه.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي: بالذي يدعونا إليه نوح. أو المعنى: ما سمعنا بنوح: أنه نبي مرسل إلينا، وهذا من فرط عنادهم، أو؛ لأنهم كانوا في فترة متطاولة لم يرسل الله فيها رسولاً؛ لأن نوحاً ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ كان أول رسول جاء برسالة بعد آدم، وشيث ابنه. ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي في الأمم الماضية. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

الإعراب: (قال الملأ): ماض، وفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة ﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(مِنْ) بيان لما أبهم في الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: نافية مهملة. ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له من الإعراب. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بَشَرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِّثْلُكُمْ﴾: صفة له، ولم يتعرف بالإضافة؛ لأنه متوغل في الإبهام كما رأيت في شرحه، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿مَا هَٰذَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿يُرِيدُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿بَشَرٌ﴾، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَتَفَضَّلَ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يُرِيدُ أَن...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿بَشَرٌ﴾، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: ولو شاء الله أن يرسل رسولاً. ﴿لَأَنزَلَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (أنزل): ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿مَلَٰٓئِكَةً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، وهو من قول الملأ بلا ريب. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿سَمِعْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهَٰذَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعند التأمل يتبين لك: أن الباء حرف صلة، واسم الإشارة مفعول به، مجرور لفظاً، منصوب محلاً، تأمل. ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من اسم الإشارة، و(نا): في محل جر بالإضافة، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صفة آبائنا مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ. والجملة الفعلية: ﴿مَّا سَمِعْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول كالجمل قبلها.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: بكسر الجيم: جنون. وهو أيضاً: الجن، ومنه قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، وهو بفتح الجيم: الحديقة ذات الأشجار، وجمعها: جنات، وهو بضم الجيم كل ما استترت به، وكل ما وقيت به نفسك من السلاح، وغيره، ومنه المجن، والمجنة بكسر الميم

فيهما، وهو الترس الذي كان يتخذ للوقاية من ضربات السيوف، والرماح. هذا؛ ورجل مأخوذ من الرجولة، وهي البطولة، والشجاعة، والشهامة، والحمية، وغير ذلك.

﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: فانتظروا، واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره، فإن أفاق من جنونه، وإلا قتلتموه. هذا؛ والحين: الوقت قليلاً كان أو كثيراً، والمدة من الزمن قصيرة كانت أو طويلة، وجمعه أحيان، وجمع الجمع: أحايين. هذا؛ والحين بفتح الحاء: الهلاك، والموت.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾: طلب هذا من الله تعالى لمَّا أيس من إيمانهم بعد أن دعاهم إلى الله، وعبادته ألف سنة إلا خمسين عاماً. والمعنى: أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي؛ إذ في نصرتي إهلاكهم، أو المعنى: أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رَجُلُۢ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية من قول الملأ أيضاً. و﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جِنَّةٞ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ﴿رَجُلُۢ﴾. ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وهي حرف عطف عند من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها في مثل ذلك للسببيَّة المحضة. (تربصوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان الجنون واقعاً به؛ فتربصوا، وانتظروا... إلخ، والكلام كله من مقول الملأ. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَتَّىٰ حِينٖ﴾: متعلقان به أيضاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (نوح). ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، وهو مثل: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ في إعرابه في الآية السابقة. ﴿ٱنصُرۡنِي﴾: فعل دعاء، والفاعل تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿كَذَّبُونِ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالباء، التقدير: بسبب تكذيبهم إياي، والجار، والمجرور متعلقان بما قبلهما، واعتبار (ما) موصولة، أو موصوفة ضعيف معنىً، والكلام: ﴿رَبِّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾

الشرح: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ أي: إلى نوح، عليه السلام. وهذا بعد أن قال له في سورة (هود) عليه السلام: ﴿لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾. هذا؛ وأصل الوحي: الإشارة

السريعة، والوحي: الكتاب المنزل على الرسول المرسل لقومه، مثل: موسى، وعيسى، ومحمد ﷺ أجمعين، والوحي: الكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، وتسخير الطير لما خلق له إلهام، والوحي إلى النحل، وتسخيرها لما خلقها الله له إلهام أيضاً؛ حيث تبني بيوتها على شكل هندسي يعجز عنه العقل البشري، ولها تنظيم في حياتها يدهش أولي الألباب. ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ أي: اعمل السفينة التي ستنجو فيها أنت، ومن آمن معك، وإني أحيلك على الآيات رقم [٣٦] وما بعدها من سورة (هود)، فإنك ستجد الشرح فيها وافياً كافياً، ومعنى (اسلك): أدخل فيها، واجعل فيها، يقال: سلكته في كذا، وأسلكته فيه: إذا أدخلته. قال عبد مناف بن ربع الهذلي: [البسيط]

حَتَّى إذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةُ الشُّرُدَا

قُتَائدة: موضع بعينه، والشل الطرد، والشرد جمع شرود. ومعنى ﴿سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ﴾ أي: في تقدير الله الأزلي بهلاكه لكفره، وإنما جيء بعلى؛ لأن السابق ضار، كما جيء باللام حيث كان نافعاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ الآية رقم [١٠١] من سورة (الأنبياء). هذا؛ وقد قال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد، أو يبيض، فأما البق، والذباب، والدود؛ فلم يحمل شيئاً منها، وإنما خرج من الطين، والذين سبق عليه القول منهم هنا، ما عبر عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ وكان من جملتهم ابنه كنعان، ووالدته كما رأيت في سورة (هود) عليه السلام.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ﴾: ولا تسألني نجاة الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وارتكاب المعاصي. ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾: لا محالة لظلمهم أنفسهم بالشرك، والمعاصي. هذا؛ وتأكيد الجملة الاسمية بـ: (إنَّ) لأن المقام يقتضي ذلك، فكأن سائلاً سأل عن سبب النهي، فجيء بإن المؤكدة، وهذا من مباحث علم المعاني، كما لا يخفى.

هذا؛ وقد يعترض بعض الناس على سبق قضاء الله، وقدره بكفر الكافرين، فيقول: إذن لا مؤاخذة عليهم، فكيف يعذبهم الله ما داموا مقدراً عليهم ذلك؟ والجواب: أن هذا التقدير مبني على علم الله الأزلي بأن العبد منهم لو ترك، وشأنه لم يختر سوى الكفر، والضلال، ولذا قدره الله عليهم، هذا بالإضافة لما نصب لهم في هذا الكون من دلائل على قدرته، ووحدانيته، وبعد أن بين الله لكل واحد منهم طريق الخير، وطريق الشر، والحسن، والقبيح، كما قال جل ذكره: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ أي: بينا له طريق الخير، وطريق الشر، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أوحينا): فعل، وفاعل. ﴿إِلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَنِ﴾: حرف تفسير. ﴿ٱصۡنَعِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مفسرة لا محل لها من

الإعراب. هذا؛ وبعضهم يعتبر ﴿أَنِ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر، في محل نصب مفعول به. والمعتمد الأول. ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿الْفُلْكَ﴾ أي: مصنوعاً بأعيننا. أو من الفاعل المستتر، التقدير: محفوظاً برعايتنا. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَوَحْيِنَا﴾: معطوف على ما قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب، وجملة: ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾ في محل جر بإضافة (إذا) على القول المشهور المرجوح، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها. ﴿فَاسْلُكْ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (اسلك): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له أيضاً. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن كُلٍّ﴾: هنا قراءتان: يقرأ (كل) بالإضافة وبدون تنوين، وفيه وجهان: أحدهما: أنَّ ﴿اثْنَيْنِ﴾ مفعول به، وعليه فالجار والمجرور ﴿مِن كُلِّ﴾ متعلقان بمحذوف حال من ﴿اثْنَيْنِ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، والثاني: أن ﴿مِن﴾ زائدة، وكل مفعول به مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وعليه ف: ﴿اثْنَيْنِ﴾ توكيد، وهذا على قول الأخفش، الذي يجيز زيادة «من» في الإيجاب، والقراءة الثانية بتنوين (كلٍّ) ولا إضافة، وعليه فمفعول (اسلك) هو ﴿زَوْجَيْنِ﴾، و﴿اثْنَيْنِ﴾ توكيد له، والجار والمجرور: ﴿مِن كُلٍّ﴾ يحتمل تعليقهما بـ: (اسلك) ويحتمل تعليقهما بمحذوف حال من ﴿زَوْجَيْنِ﴾ كان صفة له، التقدير: اسلك زوجين اثنين حالة كونهما من كل صنف من أصناف الحيوانات. ولا تنس: أن القراءتين ترجعان إلى معنى واحد، معه آخر لا يستغنى عنه.

﴿وَأَهْلَكَ﴾: معطوف على مفعول (اسلك) على القراءتين. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء. ﴿سَبَقَ﴾: ماض. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان به. ﴿الْقَوْلُ﴾: فاعله. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بـ: (على) و(مِنْ) بيان لما أبهم في ﴿مَن﴾، وجملة: ﴿سَبَقَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَن﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (على). ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تُخَاطِبْنِي﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (اسلك...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فِي الَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿ظَلَمُوا﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مُّغْرَقُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية تعليل للنهي، لا محل لها.

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ﴾ أي: علوت على السفينة، واستقررت فيها. ﴿وَمَن مَّعَكَ﴾ أي: من الذين آمنوا معك. ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى...﴾ إلخ: أمر الله نوحاً ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ بالأمر بالدعاء والثناء المذكورين، إظهاراً لفضله، وإشعاراً بأن في دعائه، وحمده مندوحةً عن دعاء قومه، وحمدهم، وثنائهم.

هذا؛ والمراد بـ: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، وكثيراً ما يعبر القرآن عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، وغير ذلك، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يتوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، لا سيما من قرأ القرآن، واطَّلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب. هذا؛ وانظر (الظلم) في الآية رقم [٦٠] من سورة (الحج).

هذا؛ و﴿ٱلْحَمْدُ﴾ في اللغة: الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل، والتعظيم، سواء أكان في مقابلة نعمة أم لا؟ فالأول كمن يحسن إليك، والثاني كمن يجيد صلاته، وهو في اصطلاح علماء التوحيد: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعماً على الحامد أو غيره سواء أكان ذلك قولاً باللسان، أو اعتقاداً بالجنان، أو عملاً بالأركان التي هي الأعضاء، كما قال القائل: [الطويل]

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي ولِسَانِي والضَّمِيرَ المُحَجَّبَا

ومما هو جدير بالذكر: أن معنى الشكر في اللغة هو معنى الحمد في الاصطلاح، وأما معنى الشكر في الاصطلاح، فهو: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية السابقة. ﴿ٱسْتَوَيْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع توكيد للضمير المتصل. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على الضمير المتصل، وهو التاء. ﴿مَّعَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿ٱسْتَوَيْتَ﴾. ﴿فَقُلِ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: (قل...) إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر

صفة (الله) أو بدل منه. ﴿نَجَّىٰنَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة القوم مجرور... إلخ.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى...﴾ إلخ: قيل: هذا الأمر لنوح كان حين دخل السفينة، فيكون قوله: ﴿مُّبَارَكًا﴾ يعني: بالسلامة، والنجاة. وقال ابن عباس، ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ: هذا حين خرج من السفينة، مثل قوله تعالى له في الآية رقم [٤٨] من سورة (هود): ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾. وهذا هو المعتمد.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وبالجملة فالآية تعليم من الله تعالى لعباده إذا ركبوا، وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم، وسلموا قالوا ذلك. وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه كان إذا دخل المسجد قال: (اللَّهُمَّ أنزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً، وأنتَ خيرُ الْمُنْزِلين). انتهى. ويقرأ: (مُنْزَلا) بضم الميم وفتح الزاي، وبفتح الميم وكسر الزاي، قراءتاه سبعيتان، وعلى القراءتين يحتمل أن يكون كل منهما مصدراً ميمياً، وأن يكون اسم مكان، وانظر ﴿مُّدْخَلًا﴾ في الآية رقم [٥٩] من سورة (الحج). هذا؛ وكسر الزاي هنا في القراءة الثانية لكسرها في المضارع، وفتحت الخاء في ﴿مُّدْخَلًا﴾ لضمها في المضارع. تأمل، وتدبر.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: ما ذكر من أمر نوح، وسفينته، ونجاته وهلاك الكافرين. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لدلالات على كمال قدرة الله تعالى، وأنه ينصر أنبياءه، ويهلك أعداءه، ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ أي: مختبرين قوم نوح وغيرهم من الأمم السابقة بإرسال الرسل إليهم، ليظهر المطيع منهم والعاصي، ويتبين للملائكة، وللناس حالهم، لا أن يستجد المولى سبحانه علماً بأحوالهم.

الإعراب: ﴿وَقُل﴾: الواو: حرف عطف. (قل): أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿رَّبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، وانظر إعراب ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٣] فهو مثله. ﴿أَنزِلْنِى﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿مُنزَلًا﴾: مفعول مطلق، أو هو ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. ﴿مُّبَارَكًا﴾: صفة له. ﴿وَأَنتَ﴾: الواو: واو الحال. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، و(خير) مضاف، و﴿ٱلْمُنزِلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير، والجملة الندائية والفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُل...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَآيَـٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء، (آيات): اسم (إن) مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إنْ): مخففة من الثقيلة لا عمل لها. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا) اسمها. ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾: اللام: هي الفارقة بين المخففة والنافية. (مبتلين): خبر (كان) منصوب وعلامة نصبه الياء... إلخ، وهذا الإعراب إنما هو على مذهب البصريين، وأما الكوفيون فيعتبرون (إنْ) نافية، واللام بمعنى «إلا»، والتقدير عندهم: وما كنا إلا مبتلين، وعلى المذهبين فالجملة فعلية، وهي معطوفة على الجملة الاسمية قبلها لا محل لها مثلها. هذا؛ وقول الكوفيين: إن اللام بمعنى «إلا» مثل قولهم في قول الشاعر ـ وهو الشاهد رقم [٤٢٠] من كتابنا فتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب ـ: [البسيط]

أمْسَى أَبَانُ ذَلِيلاً بَعْدَ عِزَّتِهِ وَمَا أَبَانُ لَمِنْ أعْلاَجِ سُودَانِ

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾: خلقنا، وأوجدنا. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد هلاك قوم نوح. ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾: يعني: قوم عاد، وقيل: هم قوم ثمود. ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾: هو هود، أو صالح، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. والذين قالوا بالقول الأول استدلوا عليه بذكر قوم هود بعد ذكر قوم نوح في كثير من السور، والذين قالوا بالثاني استدلوا عليه بقوله تعالى في آخر القصة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ والذين قالوا بالقول الأول أولوا الصيحة بمطلق العذاب. ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: هو مثل الآية رقم [٢٣]. هذا؛ وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وإنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم، وإنما أوحي إليه، وهو بين أظهرهم. وانظر قول النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ في الإعراب. هذا؛ و﴿ءَاخَرِينَ﴾ مفرده: آخر، وهو اسم على أفعل، والأنثى: أخرى، وجمعه: أُخَر، وأُخْرَيَات.

الإعراب: ﴿أَنشَأْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (أرسلنا...) إلخ في الآية رقم [٢٣] لا محل لها مثلها.

﴿قَرْنًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرِينَ﴾: صفة ﴿قَرْنًا﴾ وجمع؛ لأن ﴿قَرْنًا﴾ يتضمن أفراداً كثيرين، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. (أرسلنا): فعل، وفاعل. ﴿فِيهِمْ﴾: متعلقان به. ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿رَسُولًا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على

ما قبلها لا محل لها أيضاً. هذا؛ وقد قال النسفي: الإرسال يعدى بـ: «إلى» ولم يعد بـ: «في» إلا هنا، وفي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾ ولكن الأمة، والقرية جعلت موضعاً للإرسال ومثله قول رؤبة: [الرجز]

أُرْسِلْتَ فيهم مُصْعَباً ذَا إقْحَام طِبّاً فَقِيهاً بِذواتِ الأَبْلَام

﴿أَنِ﴾: مفسرة؛ لأنَّ (أرسلنا) متضمن معنى القول دون حروفه، وأجيز اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن، وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [٢٣]. هذا؛ ورؤبة يصف ممدوحه بأنه مُسَوَّدٌ في قومه ذو شجاعة فائقة، وبأنَّه حاذق ماهر في حل القضايا المعقدة مثل الطبيب الماهر بجراحة النساء في أرحامهنَّ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: هو مثل الآية رقم [٢٤] بلا فارق، والتقديم والتأخير في بعض الكلمات إنما هو للتفنن، وعطف الجملة هنا بالواو، وتلك بالفاء؛ لأن ما هنا عطف لما قالوه على ما قاله الرسول. ومعناه: أنه اجتمع في الحصول هذا الحق، وهذا الباطل، وليس بجواب للرسول متصل بكلامه، ولم يكن بالفاء، وجيء بالفاء في قصة نوح؛ لأنه جواب لقوله واقع عقيبه. انتهى. نسفي.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بلقاء ما فيها من الحساب، والثواب، والعقاب، وغير ذلك. ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: وسعنا عليهم نعم الدنيا؛ حتى بطروا بسبب كثرة الأموال، والأولاد، مع الصحة، والعافية، وراحة البال، وهناءة الضمير. ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٢٤] فهو مثله، مع زيادة إيضاح هنا.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (أرسلنا...) إلخ ﴿مِن قَوْمِهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ على اعتبار (أل) فيه للتعريف، أو بمحذوف صفة له على اعتبارها للجنس، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة ﴿قَوْمِهِ﴾ أو بدل منه، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، وجملة: (كذبوا بلقاء) معطوفة عليها لا محل لها مثلها، و(لقاء) مضاف، و﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف؛ إذ التقدير: ولقائهم الآخرة. ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة،

لا محل لها مثلها. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة (الحياة) مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. هذا؛ وانظر إعراب: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في الآية رقم [٢٤] وهي في محل نصب مقول القول مثلها أيضاً. ﴿يَأْكُلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿بَشَرٌ﴾. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، واعتبارها مصدرية ضعيف، وجملة: ﴿تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (مِنْ)، وجملة: ﴿يَأْكُلُ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿بَشَرٌ﴾ أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وجملة ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ معطوفة عليها على الوجهين المعتبرين فيها، وإعرابها مثلها بلا فارق، وقد حذف العائد، أو الرابط لدلالة الأول عليه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا﴾: المراد به: الرسول الذي دعاهم إلى توحيد الله، وعبادته. ﴿مِّثْلَكُمْ﴾: في أحوالكم، وتصرفاتكم، من أكل، وشرب، ونوم، ويقظة، وزواج، ومرض، وغير ذلك. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي: لمغبونون، ومغدورون بترككم آلهتكم، واتِّباعكم إياه، وانقيادكم له من غير فضيلة له عليكم. ومن حمقهم الشديد: أنهم أبوا اتِّباع مثلهم، وعبدوا أعجز منهم، وهي الحجارة؛ التي لا تنفع، ولا تضر.

الإعراب: ﴿وَلَئِنْ﴾: الواو: حرف عطف. واللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَطَعْتُم﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿بَشَرًا﴾: مفعول به. ﴿مِّثْلَكُمْ﴾: صفة له، والكاف في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء مهمل هنا. هذا؛ ونقل السيوطي في «همع الهوامع» عن شيخه الكافيجي: أن هذه هي «إذا» الشرطية، حذفت جملتها التي تضاف إليها، وعوض عنها التنوين كما في «يومئذٍ». ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ جواب القسم المدلول عليه باللام، وحذف جواب الشرط على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم، فالجواب للسابق منهما» قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جوابَ ما أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

هذا؛ والكلام كله من مقول الملأ. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ أي: هود النبي. ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ أي: مجردة من اللحوم، أو صارت تلك العظام تراباً متفتتاً. ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ أي: مبعوثون من قبوركم. ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي كلمة للبعد، كأنهم قالوا: بعيد بعيد ما توعدون. قال ابن الأنباري: وفي هيهات عشر لغات: بفتح التاء، وهي قراءة الجماعة، وهيهات بكسرها من غير تنوين، وهَيْهَاتٍ بالخفض، والتنوين، وهيهاتُ بالضم من غير تنوين، وبالرفع مع التنوين، وهيهاتاً بالنصب والتنوين، ومثله قول الأحوص: [الطويل]

تَذَكَّرْتُ أياماً مَضَيْنَ مِنَ الصِّبَا ... وَهَيهاتَ هَيْهاتاً إليكَ رُجُوعُهَا

واللغة السابعة: أيهات أيهات، وأنشد الفراء قول جرير: [الطويل]

فأَيْهاتَ أَيْهَاتَ العقيقُ وَمنْ بِهِ ... وَأَيْهاتَ خِلٌّ بِالعَقيقِ نُواصِلُه

وقرأ عيسى الهمداني (هيهاتْ هيهاتْ) بالإسكان، قال ابن الأنباري: ومن العرب من يقول: أَيْهان، ومنهم من يقول: أيْها بلا نون، وأنشد الفراء قول الشاعر: [الطويل]

وَمِنْ دونيَ الأَعْيَانُ والقِنْعُ كُلُّهُ ... وكِتْمَانُ أَيْهَا مَا أَشَتَّ وَأَبْعَدَا

الأعيان، والقنع، وكتمان كلها مواضع. انتهى. قرطبي بتصرف كبير مني. وألفت النظر إلى أنه لم يرد هذا اللفظ في القرآن في غير هذا الموضع. هذا؛ وانظر ﴿مِتَّ﴾ في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء). و(يَعِدُ) أصله: يَوْعِد؛ لأن ماضيه: وعد، فحذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها: الياء، والكسرة. وانظر الوعد ووفاءه في الآية رقم [٥٤]. من سورة (مريم).

الإعراب: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (يعدكم): مضارع، والفاعل يعود إلى الرسول المعبر عنه بـ: ﴿بَشَرٌ﴾، والكاف مفعول به أول. ﴿أَنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿مُّخْرَجُونَ﴾. ﴿مِتُّمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. (كنتم): ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تُرَابًا﴾: خبر (كان)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. (عظاماً): معطوف على ﴿تُرَابًا﴾. ﴿أَنَّكُم﴾: قال سيبويه: بدل من الأولى، وقال الفراء، والجرمي، والمبرد: مكررة للتوكيد، لما طال الكلام كان تكريرها حسناً. وقال الأخفش: (أنَّ) الثانية تؤول مع اسمها، وخبرها بمصدر في محل رفع فاعل بفعل مضمر يقع جواباً لـ: ﴿إِذَا﴾، و(إذا) ومدخولها في محل رفع خبر (أنَّ) الأولى.

هذا؛ وقال الجمل: وعبارة السمين: ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ...﴾ إلخ فيه أوجه: أحدها: أن اسم الأولى مضاف لضمير الخطاب حذف، وأقيم المضاف إليه مقامه، والخبر قوله: ﴿إِذَا مِتُّمْ﴾ و﴿أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ تكرير؛ لـ: (أنَّ) الأولى للتوكيد، والدلالة على المحذوف. والمعنى: أن إخراجكم إذا متم، وكنتم. والثاني: أن خبر (أن) الأولى هو ﴿مُّخْرَجُونَ﴾ وهو العامل في ﴿إِذَا﴾ وكررت الثانية توكيداً لما طال الفصل. وإليه ذهب الجرمي، والمبرد، والفراء. والثالث: أن خبر (أن) الأولى محذوف، لدلالة خبر الثانية عليه، تقديره: أنكم تبعثون، وهو العامل في الظرف، و(أنَّ) الثانية وما في حيزها بدل من الأولى. وهذا مذهب سيبويه. والرابع: أن يكون ﴿أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ مبتدأ، وخبره الظرف مقدماً عليه، والجملة خبر عن ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأولى، والتقدير: أيعدكم أنكم إخراجكم كائن، أو مستقر وقت موتكم. ولا يجوز أن يكون العامل في ﴿إِذَا﴾ ﴿مُّخْرَجُونَ﴾ على كل قول؛ لأن ما في حيز (أنَّ) لا يعمل فيما قبلها، ولا يعمل فيها ﴿مِتُّمْ﴾ لأنه مضاف إليه، و﴿أَنَّكُمْ﴾ وما في حيزه في محل نصب أو جر بعد حذف حرف الجر؛ إذ الأصل أيعدكم بأنكم. ويجوز ألا يقدر حرف جر، فيكون في محل نصب فقط انتهى. والمعتمد: أنه في محل جر بحرف جر محذوف، وهو مفاد كلام ابن هشام في المغني، والجار والمجرور هما المفعول الثاني، والجملة الفعلية: ﴿أَيَعِدُكُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، وهي من مقول الملأ.

﴿هَيْهَاتَ﴾: اسم فعل ماض مبني على الفتح، و﴿هَيْهَاتَ﴾ الثاني توكيد لفظي لا فاعل له، أما فاعل الأول ففيه وجهان: أحدهما: هو ضمير، تقديره: هيهات وقوع، وحصول خروجنا من القبور. ﴿لِمَا﴾: اللام: حرف جر. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفاعل المحذوف؛ لأنه مصدر، واللام فيها معنى التبيين. الوجه الثاني: أن اللام زائدة، و(ما) هي الفاعل. قال ابن الأنباري: ترفع الظاهر، ولا يرفع بها المضمر، وأنشد بيت جرير السابق. ﴿تُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة صلة (ما) والعائد محذوف؛ إذ التقدير: للذي توعدونه. هذا؛ وقد رأيت في بعض القراءات: أنه قد نون هيهات؛ وعليه فهو مصدر مبتدأ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبره، وعلى الاعتبارين: الفعلية، والاسمية؛ فالكلام مقول من الملأ.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)﴾

الشرح: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: أصله: إن الحياة إلا الحياة الدنيا، فأقيم الضمير مقام الأولى، لدلالة الثانية عليها حذراً من التكرير، وإشعاراً بأن تعيينها مغن عن التصريح بها، كقوله: [الطويل]

هِيَ النَّفْسُ ما حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ

وهذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا ما يتلوه من بيانه، ولا يقال له: ضمير القصة؛ لأن ضمير القصة يجب تفسيره بجملة، ومعناه: لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: قيل: معناه: نحيا، ونموت، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾ وقيل: نموت، أي: الآباء، ونحيا، أي: الأولاد، وقيل: المعنى: يموت قوم، ويحيا قوم. هذا؛ وفيهما مطابقة بين الموت والحياة، وهي من المحسنات البديعية، كما هو معروف، ومسطور. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ أي: من القبور بعد الموت، فهم يقرون بالموت، ويعترفون بوقوعه، ولكنهم ينكرون البعث، والحشر للحساب، والجزاء، وهذا ديدن الأمم السابقة في ذلك، وقريش كانت أشد الإنكار له، وفي عصرنا هذا؛ وجد كثيرون ينكرونه، وهم من أبناء المسلمين، فإذا كان كفار قريش قالوا كما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ فأبناء المسلمين الملحدون يقولون: إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع.

الإعراب: ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿هِىَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿حَيَاتُنَا﴾: خبر المبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة له مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف. ﴿نَمُوتُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الضمير فقط. وقول الجمل: جملة مفسرة لما ادعوه من أن حياتهم هي الحياة الدنيا؛ هذا حل معنى، لا حل إعراب، تأمَّل. وجملة ﴿وَنَحْيَا﴾ معطوفة عليها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، أو هي واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (مبعوثين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، أو هي في محل نصب حال من (نا) فتكون حالاً متعددة بنفسها، والرابط: الواو، والضمير، وعلى الأول فهي متعددة بسبب العطف. هذا؛ وإن اعتبرتها حالاً من فاعل ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فهي حال متداخلة، وهذا أقوى؛ لأن فيها معنى التوكيد.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾: يعنون الرسول المرسل إليهم. ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اختلق من تلقاء نفسه ما يدعيه من الرسالة، أو فيما يعدنا من البعث، والحساب، والجزاء... إلخ. ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدقين له فيما يدعيه. هذا؛ وانظر شرح (الإيمان) في الآية رقم [١٤] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رَجُلٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿افْتَرَىٰ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿رَجُلٌ﴾. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿كَذِبًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿افْتَرَىٰ...﴾ إلخ في محل صفة ﴿رَجُلٌ﴾. هذا؛ وإعراب: ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مثل إعراب ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بلا فارق، والجار والمجرور ﴿لَهُ﴾ متعلقان بـ: (مؤمنين)، والجملة الاسمية هنا في محل نصب حال من ﴿رَجُلٌ﴾، والرابط: الواو، والضمير. وساغ مجيء الحال من النكرة؛ لأنها تخصصت بالوصف، ولا تنس: أن الكلام كله في الآية من مقول الملأ في الآية رقم [٣٣].

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: قال: أي: هود أو صالح ـ عليهما السلام ـ كما رأيت في الآية رقم [٣١] ﴿رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾: شرح هذه الجملة مثل الآية رقم [٢٦] مع معرفة الفرق بين القائلين الداعيين. ﴿قَالَ﴾ أي: الله مجيباً دعوة الرسول الداعي على قومه بالهلاك، والنصرة له عليهم. ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي: بعد زمن قليل. ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾: على كفرهم، وتكذيبهم، وعدم إيمانهم، وذلك إذا عاينوا مقدمات العذاب الأليم، والعقاب الشديد. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾: صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة واحدة مع الريح التي أهلكهم الله تعالى بها، فماتوا عن آخرهم، ومعنى ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعدل من الله حيث استحقوا ذلك العذاب بكفرهم، وعنادهم، يقال: فلان يقضي بالحق، أي: بالعدل، والإنصاف.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ أي: هلكى هامدين، كغثاء السيل، وهو ما يحمله من بالي الشجر، والحشيش، والقصب مما يبس، وتفتت. ومثله الجفاء، ويجمع على: أغثية، كغراب، وأغربة، وعلى: غثيان، كغراب، وغربان، وخذ ما يلي: عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ الأمَمُ أَنْ تَدَاعىٰ عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الأكَلَةُ إلى قصْعَتِها**». فقال قَائِلٌ: أَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يومَئِذٍ يا رسولَ الله؟! قال: «**بَلْ أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كثيرٌ، ولكنكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ الله مِنْ صُدُورِ عدوِّكُم المهابةَ منكُمْ، وَلَيَقْذفَنَّ في قلوبِكُمُ الوَهنَ**». قِيلَ: ومَا الوَهَنُ يا رسولَ الله؟ قالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وكَرَاهيَةُ المَوْتِ**». رواه أبو داود، وأحمد، وغيرهما.

﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: هلاكاً لهم، يقال: بَعِدَ فلان بكسر العين بُعْداً بضم فسكون، وبَعَداً بفتحتين: إذا بَعِدَ بَعْداً بعيداً بحيث لا يرجى عوده، ثم استعير للهلاك، وخص بدعاء السوء. انتهى.

بيضاوي، وقال القرطبي: والبعد: الهلاك، والبعد: التباعد من الخير، يقال: بَعُدَ يَبْعُدُ بُعْداً؛ إذا تأخر، وتباعد، وبَعِدَ يَبْعَد بَعَداً: إذا هلك. قالت خِرْنق أخت طرفة بن العبد البكري لأمه: [السريع]

لا يَبْعَدَنْ قومي الَّذِينَ هُمُو ... سُمُّ العُداةِ، وَآفَةُ الجُزْرِ

وقال النابغة الذبياني: [الطويل]

لا تَبْعَدَنْ إنَّ المَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... وَكُلُّ امْرِئٍ يوماً بِه الحالُ زَائِلُ

وخذ قول فاطمة بنت الأخرم الخزاعية تبكي إخوتها: [المديد]

إخوتي لا تَبْعَدُوا أَبَداً ... وَبَلَى والله قد بَعِدُوا

كُلّ مَا حَيٌّ وَإِنْ أَمِرُوا ... واردو الحَوْضِ الذي وَرَدُوا

وانظر التعبير بـ: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ونحوه عن «الكافرين» هنا وفي الآية رقم [٢٨] ولا تنس: الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وانظر (الأنبياء) [٣٤].

الإعراب: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾: انظر الآية رقم [٢٦] فالإعراب فيها واف، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، أو بـ: ﴿نَٰدِمِينَ﴾ وقيل: متعلقان بمحذوف يدل عليه ما قبله، التقدير: ننصرك عما قليل، و(ما): مقحمة بين الجار والمجرور، وقيل: هي نكرة موصوفة بمعنى: «شيء»، فيكون ﴿قَلِيلٍ﴾ صفة لها، وقيل: هي بمعنى زمن فيكون ﴿قَلِيلٍ﴾ صفة، أو بدلاً منه. ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (يصبحن): مضارع ناقص مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوف لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة اسمه، والنون حرف لا محل له. هذا؛ وإعلاله مثل إعلال: (لتعلمن) في الآية رقم [٧١] من سورة (طه). ﴿نَٰدِمِينَ﴾: خبره، أو حال على اعتباره تاماً من واو الجماعة، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للقسم المقدر، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أخذتهم): ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾. (جعلناهم): ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿غُثَآءً﴾: مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فَبُعْدًا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (بعداً): مفعول مطلق، لفعل محذوف لا يظهر. ﴿لِّلْقَوْمِ﴾: متعلقان بالمصدر، أو بمحذوف صفة له. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة القوم مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، وجملة: (بعداً للقوم...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً؛ فبعداً... إلخ، والكلام مستأنف، لا محل له.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٤٣)﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾: خلقنا، وأوجدنا. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد قوم هود، أو صالح المهلكين. ﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾: أمماً، وأقواماً غيرهم، كقوم إبراهيم، ولوط، وشعيب، ويونس، وأيوب، وغيرهم على نبينا، وعليهم أجمعين ألف صلاة، وألف سلام. وانظر الآية رقم [٣١] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ أي: الوقت الذي حدد وأقّت لهلاكها. ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ أي: لا يؤخر هلاكهم عن الوقت المحدد لهم، فهو كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ هذا؛ وإنما جمع الضمير في الفعل ﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ مع كونه عائداً على أمة؛ لأن المراد أفراد الأمة، وهم كثيرون. هذا؛ وانظر شرح ﴿أُمَّةٍ﴾ في الآية رقم [٣٤] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿أَنشَأْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ في الآية رقم [٢٣] لا محل لها مثلها. ﴿قُرُونًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرِينَ﴾: صفة له منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿تَسْبِقُ﴾: مضارع. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أُمَّةٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤)﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾: تتواتر، وتتوالى، ويتبع بعضهم بعضاً، وهذا التتابع بمهلة. وقيل: بغير مهلة. هذا؛ ويقرأ: (تَتْرًى) بالتنوين على أنه مصدر، وعلى القراءتين فالتاء الأولى منقلبة عن واو، أصله وَتْرى، فقلبت الواو تاء، مثل: التقوى، والتكلان، وتجاه، ونحو ذلك. ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾: وتلك هي سنة الأمم الكافرة تكذب رسلها؛ ليحق عليها العذاب. ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: بالهلاك في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى.

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: حكايات وقصصاً يتحدث مَنْ بعدهم بأمرهم، وشأنهم، و﴿أَحَادِيثَ﴾ اسم جمع للحديث. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٢] من سورة (الحج)، أو هو جمع: أحدوثة، وهي ما يتحدث به تلهياً، كأضاحيك جمع: أضحوكة، وأكاذيب جمع: أكذوبة، وأعاجيب جمع: أعجوبة، وهي ما يتعجب منه. قال الأخفش: إنما يقال هذا في

الشر، ولا يقال في الخير، كما يقال: صار فلان حديثاً، أي: عبرةً ومثلاً، كما قال في آية أخرى، وهي رقم [١٩] من سورة (سبأ): ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

قال القرطبي قلت: وقد يقال: فلان حديثٌ حسنٌ: إذا كان مقيداً بذكر ذلك. ومنه قول ابن دريد في مقصورته: [الرجز]

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثاً حَسَناً لِمَنْ وَعَى

هذا؛ ويجدر بي أن أذكر هنا قول أحمد شوقي رحمه الله تعالى: [الكامل]

دقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قائلةٌ لَهُ: إنَّ الحَيَاةَ دقائِقٌ وَثَوانِ

فارْفَعْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ذِكرهَا فَالذِّكْرُ لِلإنسانِ عمرٌ ثانِ

ولا تنس: أن الذكر يكون بالخير لمن عمل صالِحَاً، ونافعاً، ويكون بالشر لمن عمل سيئاً، ومضراً، فالأنبياء، والصلحاء من علماء وغيرهم يذكرون بالخير، والثناء عليهم. والفاسدون، والطاغون يذكرون بالسوء، والذم لهم أمثالِ فرعون، ويزيد بن معاوية، والحجاج، ومن على شاكلتهم إلى يوم القيامة.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿رُسُلَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محلِ جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على مثلها في الآية رقم [٢٣] لا محل لها مثلها. ﴿تَتْرَا﴾: حال من ﴿رُسُلَنَا﴾ بمعنى: متواترين، منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. وعلى قراءته بالتنوين فهو مفعول مطلق عامله ﴿أَرْسَلْنَا﴾؛ لأنه متضمن معنى: واترنا، أي: تابعنا. وقيل: هو نعت مصدر محذوف، التقدير: أرسلنا إرسالاً متتابعاً، أو إرسالاً إثر إرسال.

﴿كُلَّ مَا﴾: (كل): ظرفية متعلقة بجوابها؛ إذ هي تحتاج إلى جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، و(ما): مصدرية توقيتية. ﴿جَاءَ﴾: ماض. ﴿أُمَّةً﴾: مفعول به. ﴿رَّسُولُهَا﴾: فاعله، و(ها): في محل جر بالإضافة، و﴿مَا﴾ والفعل جاء في تأويل مصدر في محل جر بإضافة (كلَّ) إليه، التقدير: كل وقت مجيء رسولها. وهذا التقدير، وهذه الإضافة هما اللذان سببا الظرفية لـ: (كل)، وقيل: ﴿مَا﴾ نكرة موصوفة، والجملة الفعلية بعدها صفة لها، وهي بمعنى: وقت أيضاً. ﴿كَذَّبُوهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية جواب ﴿كُلَّ مَا﴾ لا محل لها، و﴿كُلَّ مَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، أو هو معترض بين الجملتين المتعاطفتين. ﴿فَأَتْبَعْنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (أتبعنا): فعل، وفاعل. ﴿بَعْضَهُم﴾: مفعول به أول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَعْضًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ معطوفة أيضاً على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وإعرابها واضح. ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ﴾: هو مثل الآية رقم [٤١]، والجملة المنفية: ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في محل جر صفة (قوم).

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ﴾: هذا الإرسال تجده موسعاً، وواضحاً في سورة (الأعراف) وفي سورة (الشعراء) وسورة (القصص). ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: التسع المذكورة بالتفصيل في سورة (الأعراف) رقم [١٣٠] وما بعدها. (سلطان مبين): حجة واضحة ملزمة للخصم، ويجوز أن يراد به: العصا. وإفرادها؛ لأنها أول المعجزات، وأمها، تعلقت بها معجزات شتى، كانقلابها حية، وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر عند ضربه بها، وانفجار العيون من الحجر كلما ضربه بها، وحراستها له، ومصيرها شمعة تضيء بالليل المظلم، وشجرةً خضراء مثمرة، ورشاءً، ودَلْواً، وغير ذلك، ويجوز أن يراد بـ: (سلطان مبين) المعجزات، وبالآيات: الحجج الدامغات، وأن يراد بهما المعجزات جميعاً، فإنها آيات للنبوة، وحجة بينة على ما يدعيه النبي.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي: أعوانه على الظلم، والجبروت، والفساد، والطغيان. ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: عن الإيمان بالله، والمتابعة لموسى وهارون على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم، كما قال تعالى في سورة (القصص): ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾. هذا؛ وأصل ﴿عَالِينَ﴾ عاليين، فحذفت الكسرة التي على الياء لاستثقالها، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الياء التي هي علامة الجمع، وهذا في الجمع، كما تحذف من المفرد لالتقائها ساكنة مع التنوين.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. (أخاه): معطوف على موسى منصوب مثله، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰرُونَ﴾: بدل من (أخاه) أو عطف بيان عليه. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بالفعل أرسلنا، وهما مفعوله الثاني. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة (سلطان). ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مُوسَىٰ﴾ و﴿هَٰرُونَ﴾ أي: حالة كونهما مبعوثين. وقيل: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ متعلقان بمحذوف حال أيضاً. وما ذكرته سابقاً أقوى، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية رقم [٢٣] لا محل لها مثلها. ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية

معطوفة على جملة: ﴿أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. (كانوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَوْمًا﴾: خبر (كان). ﴿عَالِينَ﴾: صفة قوماً منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَكَانُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ أي: فرعون وملؤه. ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾: انظر الآية رقم [٢٤] وثني «البشر» هنا؛ لأنه يطلق على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ كما يطلق على الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ ولم يثن «المثل» لأنه في حكم المصدر، وقد جاءت تثنيته في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ الآية رقم [١٣] من سورة (آل عمران)، وجاء جمعه في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ وقيل: إنما وحد؛ لأن المراد المماثلة في البشرية، وليس المراد الكمية، وقيل: اكتفى بالواحد عن الاثنين.

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني: بني إسرائيل. ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾: خادمون، منقادون، متذللون، كالعبيد. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ أي: في الغرق في البحر، انظر تفصيل ذلك في سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿فَقَالُوٓاْ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو حرف عطف. (قالوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق، وانظر ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام. ﴿أَنُؤْمِنُ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (نؤمن): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿لِبَشَرَيْنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مِثْلِنَا﴾: صفة (بشرين) و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾: الواو: واو الحال. (قومهما): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿لَنَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿عَٰبِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو.. إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَقَوْمُهُمَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من بشرين، وسوغ ذلك الصفة، والرابط: الواو، والضمير، وجملة ﴿فَقَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي معطوفة على ما قبلها لا محل لها. (كذبوهما): ماض، وفاعله، ومفعوله، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية معطوفة على جملة (قالوا...) إلخ لا محل لها مثلها. (كانوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان) والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: قومه بني إسرائيل، ولم يتقدم لهم ذكر، ولا يجوز إرجاع الضمير إلى فرعون وملئه؛ لأن موسى أعطي التوراة بعد هلاك فرعون وقومه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وقد أوتي موسى التوراة جملةً واحدةً. هذا؛ وخصَّ موسى بالذكر؛ لأن التوراة أنزلت عليه في الطور وهارون خليفته في قومه، كما رأيت في سورة (الأعراف) وسورة (طه) ولو قيل: ولقد آتيناهما الكتاب؛ لجاز بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ الآية رقم [٤٨] من سورة (الأنبياء). ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: إلى طريق الخير، والفلاح، والنجاح، ولكن أكثرهم كانوا غير مهتدين بدليل اتخاذهم العجل إلهاً في حياة موسى وهارون، وقتلهم كثيراً من الأنبياء بعدهما، مثل: يحيى، وزكريا، وغيرهما. هذا؛ والترجي في هذه الآية، وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج، ورجاء لعباده. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ أي: بولادتها إياه من غير مسيس ذكرٍ لها. فالآية أمر واحد مضاف إليهما. أو المعنى: جعلنا عيسى ابن مريم آية؛ بأن ظهر منه معجزات كثيرة، أهمُّها: أنه تكلم في المهد، وجعلنا أمه آية بأن حملت وولدت من غير مسيس ذكرٍ لها، فحذفت إحداهما لدلالة الثانية عليها. وانظر الآية رقم [٩١] من سورة (الأنبياء)، فالكلام فيهما واحد، والمعنى واحد.

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ أي: مكان مرتفع، قيل: هي دمشق، وقيل: هي مدينة الرملة بفلسطين. وقيل: هي بيت المقدس، وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. قال كعب: بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقيل: هي مصر، وسبب الإيواء: أنها فرت بابنها إليها بصحبة يوسف النجار ابن عمها. ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: أرض مستوية يستقر عليها، وقيل: ذات ثمار، وزروع، فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها. و(معين): ماء جار ظاهر للعيون، يقال: معين، ومُعُن، كما يقال: رغيف، ورُغُف، فهو فعيل من: معن الماء: إذا جرى، أو من الماعون، وهو المنفعة؛ لأنه نفاع، أو هو مفعول من عانه: إذا أدركه بعينه؛ لأنه لظهوره مدرك بالعيون. وصف ماؤها بذلك؛ لأنه الجامع لأسباب التنزه، وطيب المكان. وانظر شرح: ﴿ذَاتِ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (الحج)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [١٢] ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان، والكلام معطوف على ما في الآية رقم [٢٣] أو هو مستأنف لا محل

له على الاعتبارين. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه، وجملة: ﴿يَهْتَدُونَ﴾ في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية تعليل للإتيان، لا محل لها. (جعلنا) فعل، وفاعل. ﴿ٱبْنَ﴾: مفعول به أول، وهو مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث المعنوي. (أمه): معطوف على (ابن)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به ثان، وجملة ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ذَاتِ﴾: صفة ﴿رَبْوَةٍ﴾، و﴿ذَاتِ﴾ مضاف، و﴿قَرَارٍ﴾ مضاف إليه. (معين): معطوف على ﴿قَرَارٍ﴾ وهو صفة لموصوف محذوف؛ إذ الأصل، وذات ماءٍ معين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ...﴾ إلخ: قيل: أراد بالرسل محمداً ﷺ وحده، وقيل: أراد به عيسى عليه السلام وحده، وقيل: أراد جميع الرسل. وخذ قول البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذلك، فقال: نداء، وخطاب لجميع الأنبياء، لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة؛ لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة، بل على معنى أن كلاً منهم خوطب به في زمانه، فيدخل تحته عيسى دخولاً أولياً، فيكون ابتداء كلام ذكر تنبيهاً على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة، وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم، واحتجاجاً على الرهبانية في رفض الطيبات، أو حكاية لما ذكر لعيسى، وأمه عند إيوائهما إلى الربوة؛ ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا. وقيل: النداء له، ولفظ الجمع للتعظيم. والطيبات: ما يستلذ به من المباحات، وقيل: الحلال الصافي القوام، فالحلال ما لا يعصى الله فيه، والصافي ما لا ينسى الله فيه، والقوام: ما يمسك النفس، ويحفظ العقل. انتهى. هذا؛ وانظر عدد الرسل في سورة (الحج) [٤٢].

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ أي: استقيموا على ما يوجبه الشرع، فإنه المقصود منكم، والنافع عند ربكم. ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي: فأجازيكم به. وفيه تحذير من مخالفة ما أمرهم الله به، قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: وإذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك؛ فَلأَنْ يكون تحذيراً لغيرهم أولى؛ لما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله طيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّباً، وإنَّ الله أَمَرَ المؤمنينَ بمَا أَمَرَ به الْمُرسلين، فقال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾، **وقالَ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾»، «**ثُمَّ ذَكَر الرجلَ يطيلُ السفر أَشْعَثَ أَغبَرَ، يَمُدُّ يَدَهُ إلى السَّماءِ: يا ربُّ يا رَبُّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومشربُهُ حَرامٌ، وملبَسُهُ حَرامٌ، وغُذيَ بالحرامِ. فأَنَّى يُسْتَجَابُ له؟**». أخرجه مسلم.

هذا؛ والمراد بـ: ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات، والحلال هو المراد عند الإطلاق، سواء أكان مستلذاً أم لا؛ لأن الحرام خبيث، ونجس، ورديء؛ وإن كان مستلذاً عند من يأكله من فاسقين، ومجرمين؛ الذين لا يبالون بما أخذوا، وما أكلوا؛ حتى حقَّ، وصدق عليهم قول الرسول ﷺ: «**يَأْتي على الناسِ زَمَانٌ، لا يُبالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنَ الْحَرَام**». رواه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. هذا؛ والأمر بالأكل مستعمل في كل من الوجوب، والندب والإباحة، فالأول: إذا كان لقيام البدن، والثاني: كالأكل مع الضيف، والثالث: في غير ما ذكر، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: «أدعو» أو أنادي. (أيها): نكرة: مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ: (يا)، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلرُّسُلُ﴾: بعضهم يعرب هذا؛ وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل فيه أن الاسم الواقع بعد أي واسم إشارة، إن كان مشتقاً فهو نعت، وإن كان جامداً كما هنا، فهو بدل، أو عطف بيان، وانظر الآية رقم [١] من سورة (الحج) إن أردت الزيادة، والجملة الندائية ابتدائية، لا محل لها. ﴿كُلُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. وهذا؛ والمفعول محذوف، تقديره: كلوا رزقكم. ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، وجوز الأخفش اعتبار ﴿مِنَ﴾ زائدة في الإيجاب، فيكون ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مفعولاً به، مجروراً لفظاً، منصوباً محلاً. والمعتمد الأول، وجملة: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، و﴿صَٰلِحًا﴾ صفة لموصوف محذوف هو المفعول، التقدير: اعملوا عملاً صالحاً. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدهما، و(ما): تحتمل الموصوفة، والموصولة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالياء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى...﴾ إلخ تعليل للأمر، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: ملتكم ملة واحدة متحدة في العقائد، أو أصول الشرائع، أو: جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان، والتوحيد في العباد، والخطاب لأمة محمد ﷺ. ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ أي: متولي أموركم، ومالك جميع شؤونكم فخافونِ واحذرونِ. وقيل: المعنى: أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم، فأمركم واحد، وأنا ناصركم على

أعدائكم فاتقون، وينبغي أن تعلم: أن الآية مذكورة بجميع ألفاظها برقم [٩٢] من سورة (الأنبياء) مع إبدال ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ هناك بقوله: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ هنا، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذِهِۦ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب اسم (إنَّ) والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: خبر (إنَّ)، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: (إني بما...) إلخ في الآية السابقة لا محل لها مثلها، أو هي مستأنفة، وبه قال أبو البقاء، وغيره، وهذا على كسر الهمزة. ﴿أُمَّةً﴾: حال من ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ والعامل اسم الإشارة. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة ﴿أُمَّةً﴾. ﴿وَأَنَا۠﴾: الواو: واو الحال. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿رَبُّكُمْ﴾: خبر المبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو، والضمير، وقد جاءت الحال من المضاف إليه، وانظر الآية رقم [٧٢] من سورة (الحج) أو هي مستأنفة، لا محل لها، وأجيز عطفها على الجملة الاسمية قبلها. ﴿فَاتَّقُونِ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اتقون): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، وواقعاً؛ فاتقون. وهذا الكلام مستأنف لا محل له.

هذا؛ ويقرأ بفتح همزة (أنَّ) مع التشديد، والإعراب كما سبق، ويقرأ بفتح الهمزة مع التخفيف على أن اسمها ضمير الشأن، وما بعدها مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية في محل رفع خبرها، وعلى القراءتين تؤول مع اسمها وخبرها بمصدر وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو مجرور بحرف جر محذوف، التقدير: لأن هذه... إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿فَاتَّقُونِ﴾. الوجه الثاني: أنه معطوف على ما قبله مع تقدير الباء؛ إذ التقدير: إني بما تعملون عليم، وبأن هذه. والثالث: أن في الكلام حذفاً، التقدير: واعلموا: أن هذه... إلخ، وهذا مَعْزُوٌّ للفراء، والوجه الأول مَعْزُوٌّ لسيبويه على حد قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ...﴾ إلخ انتهى. عكبري، وقرطبي بتصرف مني. هذا؛ وفي الآية قراءات، وأوجه إعراب، كما في آية سورة (الأنبياء) ينبغي ملاحظتها.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: اختلف بنو آدم في الدين، فصاروا فرقاً، وأحزاباً، فَمِنْ موحد، ومن يهودي، ومن نصراني، ومن عابد صنم، ومن عابد شخص، حتى لعن بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم من بعض. ثم ذكر الله تعالى أن كلًّا منهم معجب برأيه، وضلالته. وهذا غاية الضلال. ومعنى ﴿زُبُرًا﴾: كتباً وضعوها، وضلالات افتروها. قاله ابن زيد، وقيل: إنهم

فرقوا الكتب، فاتبعت فرقة الصحف، وفرقة التوراة، وفرقة الزبور، وفرقة الإنجيل، ثم حُرِّفَ الكلُّ وبُدِّلَ. قاله قتادة. وقيل: المعنى: أخذ كل فريق منهم كتاباً آمن به، وكفر بما سواه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٣] من سورة (الأنبياء)، ففيها عظيم الفائدة.

﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: كل فريق، وملة. هذا؛ والحزب في اللغة: أصحاب الرجل الذين يكونون معه على مثل رأيه، وهم القوم الذين يجتمعون لأمرٍ حَزَبه، يعني: أهمه، والجمع: أحزاب. ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون، معجبون به، معتقدون أنه الحق. هذا؛ وقال القرطبي: وهذه الآية مثال لقريش خاطب به محمداً ﷺ في شأنهم متصلاً بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ الآية التالية.

هذا؛ و﴿لَدَيْهِمْ﴾ ظرف مكان بمعنى: عند، وهي معربة مثلها، وقد تستعملان في الزمان، وإذا أضيف «لدى» إلى مضمر كما هنا، قلبت ألفه ياء عند جميع العرب، إلا بني الحارث بن كعب، وبني خناعة، فلا يقلبونها تسوية بين الظاهر، والمضمر، ثم اعلم: أن «عند» أمكن من «لدى» من وجهين: أحدهما: أنها تكون ظرفاً للأعيان، والمعاني، تقول: هذا القول عندي صواب، وعند فلان علم به. ويمتنع ذلك في: «لدي»، ذكره ابن الشجري في أماليه، ومَبْرُمَان في حواشيه، والثاني: أنك تقول: عندي مال (وإن كان غائباً) ولا تقول: لدي مال (إلا إذا كان حاضِراً) قاله جماعة.

خاتمة: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذه الآية تنظر إلى قوله ﷺ: **«أَلَا إنَّ مَنْ قَبْلَكُم مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرقوا على ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإنَّ هذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِين، ثِنْتَانِ وسبعونَ في النارِ، وواحدَةٌ في الجَنَّةِ، وَهيَ الْجَمَاعَةُ»**. الحديث. أخرجه أبو داود، ورواه الترمذي، وزاد: قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **«مَا أَنَا عَلَيْهِ وأصحابي»**. أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو، وهذا يبين: أن الافتراق المحذر منه في الآية، والحديث، إنما هو في أصول الدين، وقواعده؛ لأنه قد أطلق عليها مللاً، وأخبر: أن التمسك بشيء من تلك الملل موجب لدخول النار، ومثل هذا لا يقال في الفروع، فإنه لا يوجب تعديد الملل، ولا عذاب النار. انتهى.

أقول: إنما يعني رحمه الله تعالى المذاهب الأربعة المختلفة في بعض الأحكام، فأهل هذه المذاهب يطلق عليهم اسم أهل السنة، والجماعة؛ لأنهم هم المتمسكون بسنّة رسول الله ﷺ، وسنّة خلفائه الراشدين، وصحابته المهتدين، بل وعاضُّون عليها بالنواجذ. والحمد لله رب العالمين.

هذا؛ وأصل الفرق ستة: حرورية، قدرية، جهمية، مرجئة، رافضة، جبرية، وانقسم كل منها إلى اثنتي عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين، وإنما سموا فرقاً؛ لأنهم فارقوا الإجماع. والحديث الشريف من جملة المعجزات؛ لأنه إخبار عن غيب قد وقع بعد وفاة النبي ﷺ.

بعد هذا؛ فالفرح: لذة في القلب بإدراك المحبوب؛ ولذا أكثر ما يستعمل في اللذات البدنية، وقد ذم الله الفرح في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾، ولكنه مطلق، فإذا قيد الفرح لم يكن ذماً لقوله تعالى في حق الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ أي: برحمته، وجوده، وإحسانه، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ من سورة (الروم) رقم [٤ و٥].

الإعراب: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾: الفاء: حرف استئناف. (تقطعوا): ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَمْرَهُم﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه منصوب على نزع الخافض، أي: تقطعوا في أمرهم بمعنى: تفرقوا. الثاني: هو مفعول به على معنى: قطعوا أمرهم؛ أي: فرقوا أمرهم. الثالث: أنه تمييز. محول عن الفاعل، بمعنى: تقطع أمرهم. وهذا ضعيف؛ لأنه معرفة، وهو لا يجوز عند البصريين. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿زُبُرًا﴾: حال من ﴿أَمْرَهُم﴾ أو من واو الجماعة، أو هو مفعول ثان للفعل السابق. اعتبارات. ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿حِزْبٍ﴾ مضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿فَرِحُونَ﴾ بعدهما، و(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالباء. ﴿لَدَيْهِمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياءً؛ لاتصاله بالهاء التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فَرِحُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿كُلُّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، والغمرة هنا مراد بها: الحيرة، والغفلة، والضلالة، والجهالة، والغمرة في الأصل: ما يغمرك ويعلوك من ماء، ونحوه، فهي مستعارة لما في قلوبهم من كفر، ونحوه، ومنه: الغِمر: الحقد؛ لأنه يغطي القلب، وهو بكسر الغين، وبفتحها: الماء الكثير؛ لأنه يغطي الأرض، وبضم الغين لمن لم يجرب الأمور، أي: فيه غباء، أو غباوة. وغمر الرداء الذي يشمل الناس بالعطاء، قال الشاعر: [الكامل]

غَمْرُ الرِّدَاءِ إذا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاء آجالهم بالقتل، أو بالموت، فهو تهديد، ووعيد، والمعنى: اترك يا محمد هؤلاء المعاندين يتحيرون، ويترددون في كفرهم، وطغيانهم إلى انقضاء آجالهم.

وانظر شرح ﴿حِينٍ﴾ في الآية رقم [٢٥]. ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم...﴾ إلخ: أي: يظنون: أنَّ ما نعطيهم إياه من مال، وبنين، وصحة، وعافية، وغير ذلك هو ثوابٌ ومكافأةٌ لهم على أعمالهم لمرضاتنا عنهم. ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: أن ذلك الإمداد، والمسارعة في الخيرات إنما هو استدراج لهم؛ لأنهم كالبهائم، لا فطنة لهم، ولا شعور.

روي عن سعيد بن ميسرة ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: (أَوْحَى الله إلى نَبِيٍّ من الأنبياءِ: أَيَفرَحُ عبْدِي أَنْ أَبْسُطَ له الدنيا، وَهُوَ أَبْعَدُ لَهُ مني، وَيَحْزَنُ أَنْ أَقْبِضَ عنهُ الدُّنْيَا، وهو أَقربُ لهُ مني؟). انتهى. جمل نقلاً عن الخطيب.

هذا؛ و﴿يَشْعُرُونَ﴾ من الشعور، وهو إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته. هذا؛ وفي الفعل نسارع وسابقه قراءات كثيرة.

الإعراب: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (ذرهم): أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف مفعول ثان، التقدير: ذرهم مستقرين في غمرتهم، ويجوز اعتبارهما متعلقين بالفعل قبلهما، والمفعول الثاني محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كانوا مصرين على كفرهم، وعنادهم؛ فذرهم. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. (يحسبون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل. و(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسمها. ﴿نُمِدُّهُم﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد: الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿مِن مَّالٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير العائد على الموصول، و﴿مِن﴾ مبينة لما أبهم فيه. (بنين): معطوف على ﴿مَّالٍ﴾ مجرور مثله وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿نُسَارِعُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن»، وعلى قراءته بالياء تقديره: «هو»، وعلى قراءته بالبناء للمجهول؛ فالجار والمجرور ﴿فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ نائب فاعله، وعلى قراءته بالبناء للمعلوم متعلقان به، مثل ﴿لَهُمْ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، والرابط محذوف، التقدير: نسارع لهم بهم، أو فيه، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل (يحسبون)، وهذه الجملة مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَل﴾: حرف إضراب انتقالي. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، والجملة الاسمية هذه معطوفة على مقدر ينسحب عليه الكلام، التقدير: كلا لا نفعل ذلك، بل هم لا يشعرون بشيء أصلاً؛ لأنهم كالبهائم؛ لا فطنة لهم، ولا شعور... إلخ. انتهى. جمل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون، والمعنى: أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه، قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: المؤمن جمع إحساناً، وخشيةً، والمنافق جمع إساءةً، وأمناً. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: آيات القرآن، أو الآيات الموجودة في الأرض، والسماء الدالة على قدرة الواحد الديان. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي: معه أحداً في ذاته، أو في صفاته، أو في أفعاله شركاً جلياً، ولا خفياً.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة، والصدقات. وقيل: يعملون ما عملوا من أعمال البر، وقرئ: (يأتون ما أتوا): مقصور؛ أي: يفعلون ما فعلوا من الطاعات. ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خائفة أن لا يقبل منهم ما أعطوا من الصدقات، وما فعلوا من الطاعات، وأن لا يقع على الوجه اللائق، فيؤخذوا به. ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ أي: خوفُهم؛ لأنهم إلى الله راجعون يوم القيامة، وهو يعلم ما يخفى عليهم. وفيه تنبيه على الخاتمة، وفي صحيح البخاري: «وإنما الأعْمالُ بالْخَواتِيم» وأما المخلط، والمسرف على نفسه، فينبغي له أن يكون تحت خوف من أن ينفذ عليه الوعيد بتخليطه وإسرافه. وقال أصحاب الخواص: وجل العارف من طاعته أكثر وجلاً من وجله من مخالفته؛ لأن المخالفة تمحوها التوبة، والطاعة تطلب بتصحيح الغرض.

بعد هذا: فعن عائشة الصديقية ـ رضي الله عنها، وعن أبويها ـ أنها قالت: يا رسول الله! ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهُمُ الذينَ يشْربُونَ الْخمرَ، ويسرقُونَ؟ قال: «**لا يا بَنْتَ الصديق! ولكن هم الَّذينَ يصومونَ، ويصلونَ، ويتصدَّقونَ، ويخافون ألا يُقبَلَ منهمْ، أولئِكَ الَّذينَ يُسارِعونَ في الخيرات**». أخرجه الترمذي.

وقال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: لقد أدركنا أقواماً كانوا من حسناتهم أن تردَّ أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها. وفي روايةٍ أخرى عنه: عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تردَّ عليهم. هذا؛ وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم؛ عقَّب ذلك بذكر المؤمنين المسارعين في الخيرات، ووعدهم، وذكر ذلك بأبلغ صفاتهم. انتهى. أقول: وهذا من باب المقابلة بين الفريقين، وقد نبهت على ذلك مراراً، انظر الآية رقم [١٤] من سورة (الحج).

هذا؛ والخشية: الخوف، وانظر الآية رقم [٨٠] من سورة (الكهف) والإشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة، وضعف، فالجمع بينهما ليس للتوكيد، وانظر الآية رقم [٢٨] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِّنْ خَشْيَةِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ بعدهما، و﴿خَشْيَةِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِم﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مُّشْفِقُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿هُم...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. هذا؛ وإعراب الآيتين التاليتين مثل هذه الآية مع ملاحظة وقوع الجملة الفعلية فيهما في محل رفع خبر المبتدأ؛ الذي هو الضمير، والاسم الموصول معطوف على اسم ﴿إِنَّ﴾ في الآية الأولى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: معطوف على اسم ﴿إِنَّ﴾ أيضاً. ﴿يُؤْتُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مَآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿ءَاتَواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: يؤتون الذي آتوه، والجملة الاسمية: (قلوبهم وجلة) في محل نصب من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿رَٰجِعُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ. و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأنهم، أو من أجل أنهم، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿وَجِلَةٌ﴾. تأمل، وتدبر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الموصوفون بالصفات المذكورة. ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: يرغبون في الطاعات أشد الرغبة، فيبادرونها. أو: يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة إليها كقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ فيكون إثباتاً لهم ما نفي عن أضدادهم. وقيل: المعنى: يسابقون من سابقهم إلى نيل المبرات. ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أي: لأجلها فاعلون السبق، أو سابقون الناس إلى الطاعة، أو الثواب، أو الجنة، فتكون اللام بمعنى: إلى، أو المعنى: سابقونها، أي: ينالونها قبل الآخرة؛ حيث عجلت لهم في الدنيا، كقوله تعالى: ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ هذا؛ وانظر العجلة في الآية رقم [٣٧] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل

قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، أو المفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُولَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) في الآية رقم [٥٨] التي رأيت أنَّ اسمها أربع موصولات متعاطفة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم...﴾ إلخ مستأنفة، أو ابتدائية، لا محل لها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. وقدم للفاصلة، وللاختصاص. ﴿سَٰبِقُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . .إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، فهي مؤكدة لها، وهي في محل رفع مثلها. هذا؛ وإن اعتبرتها في محل نصب حال من ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: قدر طاقتها، يريد الله تعالى بهذه الجملة التحريض، والحث على ما وصف به الصالحين، وتسهيله على النفوس. وهذه الجملة ومثيلتها في آخر سورة (البقرة) وفي سورة (الأنعام) رقم [١٥٢] وفي سورة (الأعراف) رقم [٤٢] ناسخ لجميع ما ورد في الشرع من تكليف لا يطاق، أو فيه مشقة شديدة، ومن ذلك من لم يستطع القيام في الصلاة؛ فليصل قاعداً، ومن لم يستطع الصوم في رمضان لسفر، أو مرض، ونحو ذلك؛ فليفطر، وليقض بعد التمكن من القضاء. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ أي: اللوح المحفوظ. وقال القرطبي: أظهر ما قيل فيه: إنه أراد كتاب إحصاء الأعمال الذي ترفعه الملائكة لذي الجلال والإكرام. وأضافه إلى نفسه؛ لأن الملائكة كتبت فيه أعمال العباد بأمره. انتهى. ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصدق، لا يوجد فيه ما يخالف الواقع، وفي هذا تهديد، وتأييس من الحيف، والظلم. ولفظ النطق للكتاب مجاز، والمراد أن الملائكة أو النبيين تنطق بما فيه. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بزيادة عقاب على ما يستحقون، ولا بنقصان ثواب على عمل صالح عملوه في دنياهم، وهذه الجملة تؤيد: أن المراد بالكتاب صحيفة الأعمال، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿نُكَلِّفُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿نَفْسًا﴾: مفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وُسْعَهَا﴾: مفعول به ثان، و(ها): في محل جر بالإضافة؛ من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها من الإعراب. ﴿وَلَدَيْنَا﴾: الواو: واو الحال. (لدينا): ظرف مكان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء لاتصاله بـ: (نا) التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿كِتَٰبٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿يَنطِقُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى كتاب. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، والجملة الفعلية: ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ في محل رفع صفة (كتاب)، والجملة الاسمية: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ...﴾ إلخ في محل نصب

حال من فاعل (نكلف) المستتر، والرابط: الواو، والضمير. وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.
﴿وَهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ.
﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُظْلَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها حالاً من ﴿كِتَٰبٌ﴾ بعد وصفه بما تقدم؛ فيكون الرابط: الواو فقط، وقيل: معطوفة على ما قبلها.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب كفار قريش، ويعم جميع الكافرين. ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: في حيرة، وعماية؛ لأنها مغطاة بغطاء الجهل، والكفر، والعناد، وانظر الآية رقم [٥٥]. ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: مما تقدم من أعمال البر في الآيات المتقدمة؛ قاله قتادة. أو من الكتاب الذي ينطق بالحق. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾ أي: للكفار أعمال خبيثة من المعاصي. ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: الأعمال الخبيثة التي طبعوا عليها أهون من الشرك الذي جبلوا عليه، وهم به متمسكون، أو المعنى: متجاوزة لما وصفوا به. ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ أي: لتلك الأعمال الخبيثة يعملون عليها مقيمون، لا يتركونها حتى يأخذهم الله بالعذاب، وقيل: المعنى لا بد أن يعملوها، ليدخلوا النار بسببها؛ لأنها مقدرة عليهم، لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة في الآخرة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف انتقال، وعطف. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة.
﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الكلام في الآية رقم [٥٦] وما بينهما اعتراض. ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿غَمْرَةٍ﴾ والهاء حرف تنبيه، لا محل له.
﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَعْمَٰلٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَعْمَٰلٌ﴾ و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ فيها معنى التأكيد للجملة قبلها، وقيل صفة ثانية لـ: ﴿أَعْمَٰلٌ﴾ وإعرابها مثل إعراب: ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾: متنعّميهم، أي رؤساءهم، وأغنياءهم. والمترف: المتنعم بلذائذ الدنيا، وشهواتها، والترف: رغد العيش، وهناءة البال، وراحة الضمير. ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: بالجوع. قاله الضحاك. وذلك حين دعا عليهم الرسول ﷺ، فقال: «**اللّهمّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى**

مُضَرَ! اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ». فابتلاهم الله بالقحط، والجدب، والجوع؛ حتى أكلوا العظام، والميتة، والجيف، والكلاب، وهلك الأموال، والأولاد، فاستغاثوا بالرسول ﷺ فدعا ربه، واستسقى فأغاثهم رب العزة بمطر غزير، نزل كأفواه القرب. هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني: بالسيف يوم بدر. وقال ابن جريج في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾: هم الذين قتلوا ببدر، والذين يجأرون هم الذين بمكة، قال القرطبي: فجمع بين القولين المتقدمين، وهو حسن. وانظر ما ذكرته في الآية [٧٦].

هذا؛ ومعنى ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ يضجون، ويستغيثون، وأصل الجؤار رفع الصوت بالتضرع، كما يفعل الثور، قال الأعشى يصف بقرة وحشية: [الطويل]

فَطَافَتْ ثَلاثاً بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... وَكَانَ النَّكِيرُ أَنْ تُطِيفَ وَتَجْأَرَا

وجأر النبات: طال، والأرض: طال نبتها، والجأْرُ من النبت: الغض، والكثير، والرجل الضخم. انتهى. جمل، وهو ما في القاموس المحيط. هذا؛ ولم يذكر هذا الفعل في غير هذه الآية، والآية رقم [٥٢] من سورة (النحل).

وجأر الرجل إلى الله عز وجل: تضرع بالدعاء. وقال قتادة: يصرخون بالتوبة، فلا تقبل منهم. قال الشاعر: [المتقارب]

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ ... فَطَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جُؤَارَا

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟﴾ أي: لا تصرخوا ولا تستغيثوا. ﴿إِنَّكُم مِّنَّا﴾ أي: من عذابنا. ﴿لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تمنعون، ولا ينفعكم جزعكم. وعلى قول قتادة معناه: لا تنصرون بقبول التوبة، ورفع العذاب عنكم. وما أشبه ما تضمنته الآيتان هنا بما تضمنته الآيتان [١٢ و١٣] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَآ﴾: انظر الآية رقم [٢٧] ﴿أَخَذْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مُتْرَفِيهِم﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿أَخَذْنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على القول المرجوح المشهور. ﴿إِذَا﴾: كلمة دالة على المفاجأة، وانظر ما ذكرته بشأنها في الآية رقم [٩٧] من سورة (الأنبياء). ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة: ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على اعتبارها ظرفاً، وابتدائية لا محل لها على اعتبار ﴿إِذَآ﴾ حرفاً، وهي عند التأمل جواب لـ: ﴿إِذَآ﴾ الأولى، وكان الواجب أن تقترن بالفاء، لكن قام مقامها ﴿إِذَآ﴾ الفجائية، على حد قول ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَتَخْلُفُ الفَاءَ إِذَا الْمُفَاجَأَهْ ... كَإِنْ تَجُدْ إِذَا لَنَا مُكَافَأَهْ

هذا؛ و﴿إِذَآ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. هذا؛ ويعتبر الأخفش ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في مثل هذه الآية جارة لـ: ﴿إِذَآ﴾، وقد رده ابن هشام في المغني، وعلى قوله: ف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ﴾ جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف التقدير: استمروا على ما ذكر حتى إذا...إلخ. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَجْـَٔرُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾، وعلامة جزمه حذف النون...إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: يقال لهم: لا تجأروا. وهذه الجملة المقدرة مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال مقدر، التقدير: بماذا يجابون، فيقال لهم: لا تجأروا...إلخ. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿إِنَّكُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف في محل نصب اسمها. ﴿مِّنَّا﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُنصَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع...إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُم...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى﴾: آيات القرآن الكريم. ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: يقرؤها عليكم محمد ﷺ. ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾: تعرضون مدبرين عن سماعها، وتصديقها، والأخذ بها، وهو هنا استعارة للإعراض عن الحق. هذا؛ وقال مجاهد: معناه: تستأخرون عن الإيمان. وأصله: أن ترجع القهقرى، قال الشاعر: [الكامل]

زَعَـمُـوا بِـأَنَّـهُـمُ عـلـى سُـبُـلِ الـنَّـجَـا ... ةِ وإنـمـا نُـكُـصٌ عـلـى الْأعـقـابِ

ونكص: رجع، قال الشاعر: [البسيط]

لَـيْـسَ الـنُّـكُـوصُ عـلـى الأدبـارِ مَـكْـرُمَـةً ... إنَّ الْـمَـكَـارِمَ إقْـدَامٌ عَـلَـى الْأَسَـلِ

الأسل: الرماح، والمراد الإقدام في ساحة الوغى. وقال آخر: [الطويل]

وَمَـا يَـنْـفَـعُ الْـمُـسْـتَـأْخِـرِيـنَ نُـكُـوصُـهُـمْ ... وَلَا ضَـرَّ أَهْـلَ الـسـابـقـاتِ الـتَّـقَـدُّمُ

وينبغي أن تعلم: أنه لم يذكر من هذه المادة في القرآن الكريم سوى المضارع هنا، والماضي في الآية رقم [٤٩] من سورة (الأنفال)، والمضارع منه يقرأ بضم الكاف وكسرها من بابي: دخل، وجلس.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾: قال الجمهور: الضمير عائد على الحرم، أو المسجد، أو البلد الذي هو مكة؛ وإن لم يتقدم له ذكر، لشهرته. ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ﴾: نحن أهل الحرم، فلا نخاف، وقالت

فرقة: الضمير عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات، والمعنى: يحدث لكم سماع آياتي كبراً، وطغياناً، فلا تؤمنوا به. قال ابن عطية: وهذا قول جيد. وقيل: الضمير للتكذيب. والقول الأول أولى بالاعتبار.

﴿سَٰمِرًا﴾: معناه: سماراً، فهو في الأصل مصدر جاء على لفظ الفاعل، كالعافية، والعاقبة، والكاذبة، وقرئ: (سمَّراً) و(سمَّاراً) جمع: سامر، ومثله قول امرئ القيس: [الطويل]

فَقَالَتْ سَبَاكَ الله إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ والناسَ أحوالِ؟!

وقيل: هو مفرد بمعنى الجمع كالحاضر، وهم القوم النازلون على الماء، والباقر: جمع البقر، والجامل جمع: الإبل ذكورها، وإناثها، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: أطفالاً، الآية رقم [٥] من سورة (الحج). وفحوى الآية: أن كفار قريش كانوا يقضون ليلهم حول الكعبة، وكان عامة سمرهم في الليل ذكر القرآن، وتسميته: سحراً، وشعراً، وكهانةً، ونحو ذلك من القول، وفي النبي ﷺ وقولهم فيه: هو ساحر، شاعر، كاهن، ونحو ذلك.

﴿تَهْجُرُونَ﴾: من الإهجار، وهو: الإفحاش في القول، وهو يؤيد قراءة الفعل بضم التاء وكسر الجيم، من: أهجر الرباعي، أو هو من الهجر بمعنى الإعراض عن النبي ﷺ، وعن الإيمان به، وعن الإيمان بالقرآن، وهو يؤيد قراءة الفعل بفتح التاء، وضم الجيم من: هجر الثلاثي، وقيل: هو بمعنى: تهذون وتقولون ما لا تعلمون، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَانَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ءَايَٰتِى﴾: اسم (كان) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة. ﴿تُتْلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿ءَايَٰتِى﴾، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان). ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿قَدْ كَانَتْ...﴾ إلخ تعليل لعدم النصر. (كنتم): ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة بعدهما، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: «تنكصون على أعقابكم»: في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿فَكُنتُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه... إلخ. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو بما بعدهما، والمعنى جيد على الاعتبارين. ﴿سَٰمِرًا﴾: حال ثانية، وجملة: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ في محل نصب حال ثالثة من واو الجماعة، فهي أحوال متكررة مترادفة، ويجوز اعتبار الثلاثة أحوالاً متداخلةً، كل واحدة حال من الضمير المستتر فيما قبلها. تأمل، وتدبر.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: القرآن؛ ليعلموا: أنه الحق من ربهم، بإعجاز لفظه، ووضوح مدلوله، فهو كقوله تعالى في الآية رقم [٨٢] من سورة (النساء): ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾. وسمي القرآن هنا قولاً؛ لأنهم خوطبوا به، وتدبر القرآن: التأمل في معانيه، والتبصر بما فيه، وأصل التدبر: النظر في عواقب الأمور، والتفكر في أدبارها، ثم استعمل في كل تدبر، وتأمل. والتفكر بمعنى التدبر، وهو تصرف القلب بالنظر في الدلائل. وهذا يرد قول من زعم من الروافض: أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول ﷺ، والإمام المعصوم.

﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: من الرسول، والكتاب، أو الأمن من عذاب الله تعالى، فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون، كإسماعيل عليه السلام، وأعقابه، فآمنوا بالله، وكتبه، ورسله، وأطاعوه. هذا؛ وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل»، فيكون المعنى: بل جاءهم ما لا عهد لآبائهم به، فلذلك أنكروه، وتركوا التدبر له، والتأمل فيه. هذا؛ والفعلان: جاء، ويأتي هنا بمعنى: وصل، وبلغ، فلذا تعديا لمفعول واحد، وإذا كانا بمعنى: حضر، وأقبل يكونان لازمين، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾. هذا؛ والكلام في: ﴿أَفَلَمْ﴾ مثل الكلام في: ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء).

تنبيه: قال الجمل نقلاً عن زاده: لما وصف الله حال الكفرة؛ الذين فرقوا دينهم؛ ردَّ عليهم بأن بيّن: أنَّ إقدامهم على هذه الضلالة لا بد أن يكون لأحد أربعة أمور: أحدها: ألَّا يتأملوا في دليل نبوته، وهو القرآن المعجز. ثانيها: أن يعتقدوا: أن بعثة الرسول أمر غريب لم تسمع، ولم ترد عن الأمم السالفة. وليس كذلك؛ لأنهم قد عرفوا بالتواتر: أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم. ثالثها: ألَّا يكونوا عالمين بأمانة مدَّعي الرسالة، وصدقه قبل ادعائه النبوة، وليس كذلك، فإنهم قد عرفوا منه قبل ادعاء النبوة كونه في نهاية الأمانة والصدق، فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على تسميته بالأمين الصادق؟! رابعها: أن يعتقدوا فيه الجنون، فهو الذي حمله على ادعائه الرسالة. وهذا أيضاً فاسد؛ لأنهم كانوا يعلمون: أنه أعقل الناس. انتهى. وسيأتي خامس في قوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ الآية رقم [٧٣].

الإعراب: ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف استئناف، أو هي حرف عطف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَدَّبَّرُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، أو معطوفة على جملة مقدرة قبلها، التقدير: فعلوا ما فعلوا مما سبق، فلم يدبروا القول. والأول أقوى هنا فيما يظهر. ﴿ٱلْقَوْلَ﴾: مفعول به، وانظر المتعلق في الشرح. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿جَآءَهُم﴾: ماض،

والهاء مفعول به. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل (جاء). ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿يَأْتِ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى ﴿مَّا﴾ وهو العائد، أو الرابط، والجملة صلة ﴿مَّا﴾ أو صفتها. ﴿ءَابَآءَهُمُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صفة ﴿ءَابَآءَهُمُ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿جَآءَهُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى: أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً، وكبيراً، وعرفوا نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفته، وطهره، ووفاءه بالعهود، وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعد ما عرفوه بصفاته النبيلة، وشيمه الحميدة. انتهى. ففي اتباعه النجاة، والفلاح، والخير، والنجاح لولا العنت، والتعنُّت. ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ أي: منكرون دعواه بعدما عرفوه حق المعرفة. قال سفيان الثوري: بلى قد عرفوه، ولكنهم حسدوه. أقول: وقد تجلى ذلك في قول أمية بن أبي الصلت، وأبي جهل، والوليد بن المغيرة حين اعترفوا برسالته ﷺ، ولكن كبرياؤهم، وعظمتهم، بل وحسدهم هو الذي سبب ضلالهم، وموتهم على الكفر، وذهابهم إلى جهنم وبئس المصير!

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿يَعْرِفُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿رَسُولَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. (هم): مبتدأ. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُنكِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: جنون، فلا يبالون بقوله، وليس هو كذلك؛ لزوال أمارات الجنون عنه، بل كانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلاً، وأتقنهم نظراً، وأثبتهم فكراً. ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالقرآن، والتوحيد، والدين الحق، والأمر الذي لا تخفى صحته، وحسنه على عاقل. هذا؛ وانظر شرح ﴿جِنَّةٌۢ﴾ في الآية رقم [٢٥]. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾: لأنه يخالف شهواتهم، وأهواءهم، فلذلك أنكروه. وإنما قيد الحكم بالأكثر؛ لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافاً، كما رأيت في الآية السابقة، أو خوفاً من توبيخ قومه له، ومنهم من ترك الإيمان لقلة

فطنته، وعدم فكرته، لا لكراهته للحق. وما ذكرته مشاهد في كل زمان، ومكان. هذا؛ والذي أعرض عن الإيمان خوفاً من توبيخ قومه له هو أبو طالب، كما قال في شعره: [الكامل]

لَـوْلَا الـمَـلَامَـةُ أو حَـذَارُ مَـسَـبَّـةٍ لَـرَأيْـتَـنِـي سَـمْـحـاً بِـذَاكَ مُـبِـيـنـا

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. وهي في المواضع الثلاثة مقدرة بـ: «بل» الانتقالية، وهمزة الاستفهام التقريري، والتقدير: بل أجاءهم، بل ألم يعرفوا رسولهم، بل أيقولون: به جنة. . .إلخ. انتهى. جمل.

﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . . إلخ، والواو فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جِنَّةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف. ﴿جَآءَهُم﴾: ماض، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى رسولهم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أي: ملتبساً بالحق. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (أكثرهم): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِلْحَقِّ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿كَٰرِهُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . . إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ...﴾ إلخ: فيه أقوال كثيرة: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ هنا هو الله سبحانه، وتعالى؛ قاله الأكثرون، منهم: مجاهد، وابن جريج، وأبو صالح، وغيرهم. ومن المعلوم: أن من أسماء الله تعالى «الحق» وعليه؛ فالمعنى: لو وافق الله أهواءهم، وما يريدون؛ لفسدت السموات. وقيل: المعنى: لو كانوا يكفرون بالرسل، ويعصون الله عز وجل، ثم لا يعاقَبون، ولا يجازون على ذلك، إما عجزاً، وإما جهلاً؛ لفسدت السموات، والأرض. وقيل: المعنى: لو كان الحق ما يقولون من اتخاذ آلهة مع الله تعالى؛ لاختلفت الآلهة فيما بينها، وأراد بعضهم ما لا يريده بعض، فاضطرب التدبير، وفسدت السموات، والأرض، وإذا فسدتا؛ فسد من فيهما، فيكون على حد قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الآية رقم [٢٢] من سورة (الأنبياء). وقيل: المعنى: لو اتبع الحق أهواءَهم بما يهوونه، وما يشتهونه؛ لبطل نظام العالم؛ لأن شهوات الناس تختلف، وتتضاد، وسبيل الحق أن يكون متبوعاً، وسبيل الناس الانقياد للحق. انتهى. قرطبي بتصرف.

وقيل: المراد بـ: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ القرآن، وعليه فالمعنى: ولو اتبع الحق الذي جاء به محمد ﷺ أهواءهم، وانقلب الحق شركاً؛ لجاء الله بالقيامة، وأهلك العالم من فرط غضبه، أو: لو اتبع الله أهواءهم بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك، والمعاصي؛ لخرج عن الألوهية، ولم يقدر أن يمسك السموات والأرض. وهو على أصل المعتزلة. انتهى. بيضاوي بتصرف.

﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾: إشارة إلى من يعقل من ملائكة، وإنس الأرض وجنِّها. وفيه تغليب العاقل على غير العاقل. هذا؛ وقرأ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (وما بينهما) فيكون فيه تغليب غير العاقل على العاقل.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بما فيه شرفهم، وفخرهم، وعزهم، وهو القرآن، فهو كقوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٤٤]: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، وفي سورة (صۤ) رقم [٤٩] ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾، ورقم [٨٧] منها أيضاً ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾. هذا؛ وأعاد الذكر مصرحاً به مع أن المقام مقام إضمار للتوكيد، والتشنيع عليهم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَوِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿ٱتَّبَعَ﴾: ماض. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: فاعله. ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر المجموع لفاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَفَسَدَتِ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (فسدت): ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية جواب (لو)، لا محل لها. ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على ما قبله. ﴿فِيهِنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والنون حرف دال على جماعة الإناث، و(لو) ومدخولها كلام معترض بين المتعاطفات، لا محل له. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف. ﴿أَتَيْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على (لو) ومدخولها لا محل لها أيضاً. ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿عَن ذِكْرِهِم﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُّعْرِضُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢﴾

الشرح: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾: أجراً على ما جئتهم به من الرسالة، وهو في آية (الكهف) رقم [٩٤] بمعنى الْجُعْل، والقِسْم من الأموال. هذا؛ ويقرأ هنا (خراجاً). ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾: رزقه في الدنيا، أو ثوابه في الآخرة، ويقرأ: (فخرج ربكَ)، ويقرأ: (خرجاً) في الموضعين، و(خراجاً) فيهما، فالقراءات ثلاث، وهي سبعية، وهما بمعنى واحد، وقال أبو حاتم: الْخَرْج:

الجُعْلُ، والْخَرَاجُ: العطاءُ، وقال النضر بن شميل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخرج، والخراج، فقال: الخراج: ما لزمك، والخرج: ما تبرعت به. وعنه: أن الخرج من الرقاب، والخراج من الأرض، ذكر الأول الثعلبي، والثاني الماوردي. أقول: ويراد بقوله: من الرقاب، ما كان يؤخذ من الجزية، وبالخراج: ما يفرض على الأرض؛ التي يستولي عليها المسلمون، ويتركونها بيد أصحابها.

هذا؛ وقال الإمام النسفي: خراجاً فخراج، وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك، وإلى كل عامل من أُجْرَتِهِ وجُعْلِهِ، والخرج أخص من الخراج، تقول: خراج القرية، وخرج الكوفة، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، ولذا حسنت القراءة الأولى. انتهى. ويعني بها: المرسومة في المصحف. انتهى. وفي المختار: وجمع الخرج: أَخْرَاج، وجمع الخراج: أَخْرِجَة، كزمان، وأزمنة، وجمع الجمع: أخاريج.

﴿خَيْرٌ﴾ أي: أفضل، وأعظم لكثرته، ودوامه. هذا؛ وسمى الله ثوابه وإكرامه لنبيه ﷺ على دعوته خراجاً للمشاكلة، والمزاوجة على حد قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ وهو كثير في القرآن الكريم، ونبهت عليه في محاله، وانظر شرح: ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ في الآية رقم [٥٨] من سورة (الحج) القريبة منك.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿تَسْـَٔلُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿خَرْجًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. (خراج): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كنت تسألهم أجراً وجزاءً؛ فجزاء ربك خير من جزائهم، وعليه: فالفاء هي الفصيحة، وقال الجمل: تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار؛ أي: لا تسألهم ذلك، فإنَّ ما رزقك الله خير. انتهى نقلاً من أبي السعود. تأمل، وتدبر. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ربك، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الصراط في اللغة: الطريق. فسمي الدين طريقاً على سبيل الاستعارة؛ لأنه يؤدي إلى الجنة، فهو طريق إليها، والدين الإسلامي تشهد العقول السليمة على

استقامته، فلا عوج فيه يوجب اتهامهم له. واعلم: أن الله سبحانه وتعالى، ألزمهم الحجة، وأزاح العلة في هذه الآيات بأن حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار، والاتهام، وبين انتفاء ما عدا كراهة الحق، وقلة الفطنة. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾: لا يعتقدون بوجودها بعد الموت، ولا يعترفون بها. ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: المستقيم. ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾: لعادلون عنه. يقال: نكب عن الطريق يَنْكُب نكوباً: إذا تركه، ومال إلى غيره، ومنه نكبت الريح: إذا لم تستقم على مجرى، وشر الريح النكباء، وهي الآتية بين جهتين من الجهات، سميت بذلك لعدولها عن المهاب. ونكبت حوادث الدهر، أي: أصابت بشدة، وهبت هبوب النكباء، هذا؛ ولا تنس: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

هذا؛ و(الآخرة) هي الحياة الثانية التي تكون بعد الموت، ثم بعد الحساب، والجزاء، ودخول الجنة، والخلود فيها، أو دخول النار والخلود فيها. و﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أصله: مُسْتَقْوِم؛ لأنه من: استقام، وهو أجوف واوي، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها بعد سلب سكونها، فصار «مُسْتَقِوم» ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، فصار مُسْتَقِيم.

الإعراب: ﴿وَإِنَّكَ﴾: الواو: واو الحال. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَتَدْعُوهُمْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (تدعوهم): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة (صراط)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّكَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر بالفعل ﴿تَسْـَٔلُهُمْ﴾، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم (إنَّ). ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (ناكبون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: (إن الذين...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، والضمير الموجود في الأولى يكفي رابطاً لهذه، كما هو منصوص عليه في مغني اللبيب، ومن أمثلته: (الذُّبَابُ يَطِيرُ، فَيَغْضَبُ زَيْدٌ).

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: يروى: أنه لما دعا النبي ﷺ على كفار قريش كما رأيت في الآية رقم [٦٥] واستجاب الله دعاءه، واشتد البلاء عليهم؛ حتى أكلوا الجيف، وغيرها؛ جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ، فقال له: أنشدك الله والرحم! ألست تزعم: أنك بعثت رحمة

للعالمين؟ فقال: «بلى!». فقال: قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فنزلت الآية. انتهى. نسفي، وهذا يفيد: أن القحط، والجوع نزل بهم بعد الهجرة، وأن أبا سفيان، ذهب إلى المدينة بعد غزوة بدر. لقوله: قتلت الآباء بالسيف، وهذا يتناقض مع اعتبار السورة مكية كلها. وأيضاً، فإن طلبهم الاستسقاء من النبي ﷺ كان في حياة أبي طالب، ولذا قال أبو طالب في مدحه ﷺ: [الطويل]

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقى الغمامُ بوجهِهِ ثِمَالُ اليتامَى، عِصْمةٌ لِلأَرَامِلِ

لذا فالقول: إن المعنى: لو رددناهم إلى الدنيا، ولم ندخلهم النار. وامتحناهم بعرض الإيمان عليهم هو المعتمد. ﴿لَّلَجُّواْ﴾: لثبتوا على كفرهم، وعنادهم، واللجاج: التمادي في العناد في تعاطي الفعل المزجور عنه. ﴿طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ أي: في عنادهم، وتمردهم. هذا؛ والطغيان: مجاوزة الحد، يقال: طغا، يطغى، ويطغو طغياناً: جاوز الحد، وكل مجاوز حده في العصيان طاغ، وكل مسرف في الظلم، والمعاصي طاغ. وطغى البحر: هاجت أمواجه. وطغا السيل: جاء بماء كثير، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، ويترددون، والعمه: التحير، والتردد، وهو قريب من العمى، لكن العمى يطلق على ذهاب نور العين، وعلى الخطأ في الرأي، والْعَمَهُ لا يطلق إلا على الثاني. وفي المصباح: عمهَ عَمَهاً من باب: تعب: إذا تردد متحيراً، وتَعَامَهَ مأخوذ من قولهم: أرضٌ عمهاءُ: إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة، فهو عَمِهٌ، وأَعْمَهٌ. انتهى. جمل. وهذا الفعل لم أر له ماضياً، ولا أمراً، فيظهر أنه فعل جامد لا يأتي منه غير المضارع، وإن ذكر في كتب اللغة ماض له لكنه لم يستعمل، ولم يتداول. هذا؛ والضر بضم الضاد خاص بما في النفس كمرض وهزال، والضر بفتح الضاد شائع في كل ضرر ومصيبة، وفي القاموس المحيط: الضَّر والضُّر والضَّرَر ضد النفع، والشدة، والضيق، وسوء الحال، والنقصان يدخل في الشيء، والجمع أضرار.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿رَحِمْنَـٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿بِهِم﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿مِّن ضُرٍّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَا﴾، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿لَّلَجُّواْ﴾: اللام: واقعة في جواب لو. (لَجُّوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محل لها. ﴿فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وقيل: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: بالقحط، والجدب سبع سنين حين دعا عليهم الرسول ﷺ، كما رأيت في الآية السابقة. ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: ما خضعوا، ولا لانت قلوبهم، ولا ذلوا لربهم. ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: ما لجؤوا إلى الله بالتضرع، والتذلل وقت نزول الشدائد بهم. هذا؛ وأصل (استكان) استكن من السكون؛ لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده، والألف من إشباع الفتحة، أو أصله: اسْتَكْوَنَ من الكون، فنقلت حركة الواو إلى الكاف، ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها بحسب الأصل، وانفتاح ما قبلها الآن.

هذا؛ وجاء الفعل الأول ماضياً، والثاني مضارعاً، ولم يجيئا ماضيين، ولا مضارعين، ولا جاء الأول مضارعاً والثاني ماضياً لإفادة الماضي وجود الفعل، وتحققه، وهو بالاستكانة أليق، بخلاف التضرع، فإنه أخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال، وأما الاستكانة فقد توجد منهم. انتهى. نقلاً عن السمين. هذا؛ واعتبار الألف بـ: (استكان) للإشباع، ومنه: [الكامل]

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَىٰ غَضُوبٍ جَسْرَةٍ

فإن هذا الإشباع ليس بفصيح، وهو من ضرورات الشعر، فينبغي أن ترفع منزلة القرآن عن ورود مثله فيه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب قسم. (قد): حرف تحقيق. ﴿أَخَذْنَـٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له، وقال الجمل: هذه الجملة تأكيد للشرطية قبلها. ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿ٱسْتَكَانُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لِرَبِّهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف، التقدير: وما يتضرعون لنا، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٧﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: في هذا العذاب ثلاثة أقوال: الأول: الجوع الذي نزل بهم بسبب القحط، والجدب؛ الذي حصل بدعاء الرسول ﷺ. والثاني: القتل

الذي وقع بهم في وقعة بدر. والثالث: العذاب الذي يحل بهم يوم القيامة. قال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم، عليه من الخزنة أربعمئة ألف، سودٌ وجوهُهُم، كالحةٌ أنيابُهُم، قد قلعت الرحمة من قلوبهم؛ إذا بلغوه فتحه الله ـ عز وجل ـ عليهم. ولعلك تدرك معي: أن هذا القول أولى بالاعتبار.

﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: متحيرون، آيسون من كل خير، لا يدرون ما يصنعون. هذا؛ وقد قال الفراء: المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه، وذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته، ولا يكون له جواب: قد أبلس. وأقول: سمي إبليس من هذا؛ لأنه أفلس من رحمة الله، وانقطع رجاؤه من سعة فضل الله. بعد هذا خذ ما رواه عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**إذا رأيْتُم الله يُعْطِي العبدَ ما يُحبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ على مَعْصِيَته، فذلكَ مِنْهُ تَعَالَى اسْتِدْراجٌ**». ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾. ذكره البغوي بغير سند، وأسنده الطبري، وانظر الآية رقم [٤٤] من سورة (الأنعام)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَآ﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك مبني على السكون في محل نصب. ﴿فَتَحْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿بَابًا﴾: مفعول به. ﴿ذَا﴾: صفة (باباً) منصوب مثله، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذا) مضاف، و﴿عَذَابٍ﴾: مضاف إليه. ﴿شَدِيدٍ﴾: صفة عذاب، وجملة: ﴿فَتَحْنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿إِذَا﴾: كلمة دالة على المفاجأة. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُبْلِسُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. والجملة الاسمية في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على اعتبارها ظرفاً، وابتدائية لا محل لها على اعتبار ﴿إِذَآ﴾ حرفاً، وانظر باقي الإعراب في الآية رقم [٦٥]. و﴿إِذَآ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. هذا؛ ويعتبر الأخفش ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في مثل هذه الآية جارة لـ: ﴿إِذَآ﴾، وقد رده ابن هشام في المغني، وعلى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ...﴾ إلخ جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف التقدير: فليستمروا على ما ذكر حتى إذا... إلخ. هذا؛ والتعبير بالفعل الماضي عن المستقبل على الاعتبار الأخير، والمعتمد عندي إنما هو لتحقق وقوعه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾: خلق، وأوجد. ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: لتحسوا بها ما نصب الله في هذا الكون من الآيات. ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القلوب لتتفكروا فيها، وخص الحواس الثلاث بالذكر؛

لأنها يتعلق بها من المنافع الدينية، والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها. هذا؛ وقد وحَّد سبحانه السمع في هذه الآية، وأمثالها دون الأبصار، والأفئدة لأمن اللبس. ولأنه في الأصل مصدر، يقال: سمعت الشيء سماعاً، وسمعاً، والمصدر لا يجمع؛ لأنه اسم جنس يقع على القليل، والكثير، فلا يحتاج فيه إلى تثنية، أو جمع، وقيل: وحّد السمع؛ لأن مدركاته نوع واحد وهو الصوت، ومدركات البصر والقلب مختلفة، والأفئدة جمع فؤاد، وهو القلب.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكركم قليل على هذه الجوارح التي خلقها الله لكم، وهي أساس منفعتكم في هذه الدنيا، وإنما كان شكركم قليلاً؛ لأنكم لم تعرفوا عظم هذه النعم، ووضعتموها في غير مواضعها؛ لأنكم لم تعملوا، وتستخدموا أبصاركم، وأسماعكم في آيات الله، وأفعاله، ولم تستدلوا بقلوبكم على نعم الله، وإفضاله. وفيه تنبيه على أن من لم يُعمل هذه الأعضاء فيما خلقت له؛ فهو بمنزلة عادمها؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ الآية [٢٦] من سورة (الأحقاف). وحقيقة الشكر: صرف كل نعمة لما خُلقت له، واستخدامها في طاعة الله، عز وجل. هذا؛ والفعل: «شكر» يتعدى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرت زيداً، وشكرت له، كما تقول: نصحته، ونصحت له. هذا؛ ولا تنس: أن في الكلام التفاتاً من التكلم في الآية السابقة إلى الخطاب في هذه الآية، انظر الالتفات في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿أَنشَأَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وهو العائد. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: مفعول به، وما بعده معطوف عليه، والجملة الفعلية: ﴿أَنشَأَ لَكُمُ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: لقد ذكر ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ في مغني اللبيب في هذه الجملة وأمثالها إعراباً، فأنا أنقله لك باختصار، فقال: ﴿مَّا﴾ محتملة لثلاثة أوجه: أحدها: الزيادة، فتكون إما لمجرد تقوية الكلام، فتكون حرفاً باتفاق، وقليلاً في معنى النفي، وإما لإفادة التقليل مثلها في: «أَكَلْتُ أَكْلاً مَا». وعلى هذا يكون تقليلاً بعد تقليل.

الوجه الثاني: النفي، و﴿قَلِيلًا﴾ نعت لمصدر محذوف، أو لظرف محذوف، أي: شكراً قليلاً، أو زماناً قليلاً. الثالث: أن تكون مصدرية، وهي وصلتها فاعل بـ: (قليل) و﴿قَلِيلًا﴾ حال معمول لمحذوف، وعليه المعنى، أي: شكروا، فأخروا قليلاً شكرهم، أجازه ابن الحاجب، ورجح معناه على غيره. انتهى. بتصرف كبير، ولم يذكر إعراب (قليلاً) على الوجه الأول، وذكر سليمان الجمل الوجه الأول، واعتبر (قليلاً) نعتاً لمصدر محذوف مثل اعتباره في الوجه الثاني، وذكر أبو البقاء

الوجه الثاني، وقال التقدير: فما يشكرون قليلاً، ولا كثيراً. وجملة: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ مستأنفة، أو تعليلية لا محل لها على الاعتبارين. وهذا الإعراب مأخوذ من إعراب ابن هشام لقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وهي الآية رقم [٨٨] من سورة (البقرة). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: خلقكم، وبثكم فيها للتناسل، وباب الفعل: قطع، ومنه: الذرية، وهي نسل الثقلين، تركوا همزها، والجمع: الذراريُّ بتشديد الياء. ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تجمعون للحساب والجزاء بعد إخراجكم من القبور.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿ذَرَأَكُمْ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: الواو: حرف عطف. (إليه): متعلقان بما بعدهما. ﴿تُحْشَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: المعنى: أن القادر على خلقكم، ثم جمعكم للحساب والجزاء هو الذي أحياكم بعد أن لم تكونوا شيئاً، وهو الذي يميتكم عند انتهاء آجالكم. ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: بقدرته، وحكمته، وتدبيره اختلاف الليل والنهار، بالزيادة والنقصان، كما هو مشاهد تبعاً لفصول السنة. وقيل: اختلافهما في الظلمة، والنور، وقيل: تكررهما يوماً بعد ليلة، وليلة بعد يوم. وكله مختص بالله تعالى لا يقدر عليه غيره. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون، وتتدبرون ذلك، فتعرفوا قدرته تعالى على البعث، والحساب، والجزاء، والإثابة، أو العقاب، أو: فتستدلوا بالصنع على الصانع، فتؤمنوا. هذا؛ وانظر شرح «العقل» في الآية رقم [١٠] من سورة (الأنبياء)، وشرح: ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [٣٠] منها، وشرح ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في الآية رقم [١٢] من سورة (الإسراء). ولا تنس: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والطباق بين ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ وهي من المحسنات البديعية اللفظية.

الإعراب: (هو الذي): مبتدأ، وخبر، وانظر الآية رقم [٧٩] لتفصيله. ﴿يُحْىِۦ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى الذي، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَيُمِيتُ﴾ معطوفة عليها، وحذف مفعول الفعلين

للتعميم، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَلَهُ﴾: الواو: حرف عطف. (له): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱخْتِلَٰفُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلَّيْلِ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. (النهار): معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي تقريعي. الفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: مضارع مرفوع... والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على جملة مقدرة قبلها.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ قَالُوا۟﴾ أي: كفار مكة. ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: كذبوا كما كذب الأولون، وأنكروا البعث، والحساب، كما أنكر الأولون، وهم: قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وأمثالهم، ثم بيّن قولهم، وإنكارهم للبعث بالجملة التالية. هذا؛ ويقرأ: ﴿أَءِذَا﴾ ﴿أَءِنَّا﴾ بقراءات كثيرة جملتها تسع، وكلها سبعية، وهذا الكلام: ﴿أَءِذَا...﴾ إلخ قد تكرر هو أو ما يماثله في آيات كثيرة، أذكر الآية رقم [٤٩ و٩٨] من سورة (الإسراء) وقولهم هذا تعجب منهم، واستبعاد للبعث بعد الموت، وفناء الجسد، وشاعرهم هو الذي يقول: [الوافر]

أَلا مَنْ بَلَّغ الرحمنَ عنِّي ... بأنِّي تاركٌ شَهرَ الصِّيَامِ

أيوعِدُنا ابنُ كَبْشَةَ أنْ سَنَحْيا ... وكيفَ حَيَاةُ أصداءٍ وَهَامِ؟!

أَتُتْرَكُ أنْ تَرُدَّ الموتَ عنِّي ... وتُحْيِيني إذا بَلِيَتْ عِظَامِي؟

فهو يقصد بابن كبشة: النبي ﷺ، وأبو كبشة هي كنية زوج حليمة مرضعته ﷺ، فقد كانوا يطلقون عليه ذلك تحقيراً له ﷺ، ولكنهم لم يتأملوا: أنهم كانوا قبل ذلك تراباً، فخلقهم الله، وأظهرهم إلى الوجود، وهم ظنوا: أن البعث، والإعادة يكونان في الدنيا، وهم لم يروا أحداً رجع إلى الدنيا ممن تقدمهم.

وانظر شرح ﴿مِتَّ﴾ في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف عطف انتقالي. ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِثْلَ﴾: مفعول به، وساغ ذلك؛ لأنه متضمن كلاماً كثيراً، فهو بمعنى الجملة، وقيل: هو صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: قالوا قولاً مثل... إلخ، و﴿مِثْلَ﴾ مضاف، و﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: مثل الذي قاله الأولون. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ مصدرية؛ فهي تؤول مع

الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: مثل قول الأولين، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة مقدرة، التقدير: فلم يعتبروا، بل قالوا... إلخ.

﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل، وفاعله. ﴿أَءِذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. وهذا عند سيبويه. ﴿مِتْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. وجواب (إذا) محذوف دل عليه الجملة الآتية، التقدير: أئذا متنا... نبعث، ولا يجوز أن يعمل فيها (مبعوثون)؛ لأن ما بعد (إنَّ) لا يعمل فيما قبلها، وينبغي أن تعلم: أنَّ (إذا) هنا ظرف مجرد عن الشرطية، فإن تقدير الكلام: أنبعث إذا... إلخ وهذا قول غير سيبويه، والكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا...﴾ إلخ مفسرة لمعنى ما تضمنه ﴿مِثْلَ﴾ من كلام. وقيل: بدل من سابقتها. تأمل. (كنا): ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿تُرَابًا﴾: خبرها، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. (عظاماً): معطوف على ما قبله. ﴿أَءِنَّا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إنا): حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مبعوثون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿أَءِنَّا...﴾ إلخ مؤكدة لما قبلها، والاستفهام فيها مبالغة بالإنكار، وبدون الاستفهام فيها حصل الإنكار بالأولى، وهذه مرتبطة فيها، فالإنكار بالأولى إنكار فيها أيضاً.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا﴾ أي: هذا الوعد، وهو البعث بعد الموت. ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾: وعد آباءنا قوم زعموا: أنهم رسل الله من قبل مجيء محمد، فلم نرهم بعثوا، ولم نر لذلك حقيقة؛ لأنهم ظنوا: أن البعث، والإعادة إنما يكون في الدنيا، وهم لم يروا، ولم يسمعوا: أن أحداً رجع إلى الدنيا ممن تقدمهم بعد الموت. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا الذي يقوله محمد من أننا نبعث بعد الموت إلا أكاذيب الأولين، وترهاتهم، وخرافاتهم التي سطروها. وانظر الآية رقم [٥] من سورة (الفرقان) لشرح ذلك. هذا؛ والآية بحروفها مذكورة في سورة (النمل) رقم [٦٨] مع ملاحظة تقديم (هذا) على (نحن) هناك؛ لأن المقصود بالذكر هناك إنما هو البعث، وأخَّر في هذه السورة (هذا) على (نحن)؛ لأن المقصود به هنا المبعوثون نظراً إلى الاهتمام في الموضعين، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، أو هي لام الابتداء. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿وُعِدْنَا﴾: ماض مبني للمجهول، مبني على السكون،

و(نا): نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿نَحۡنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع توكيد لِـ: (نَا). ﴿وَءَابَآؤُنَا﴾: معطوف على (نا) بعد توكيدها، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿مِن قَبۡلُ﴾: متعلقان بالفعل ﴿وُعِدۡنَا﴾، أو بمحذوف صفة لـ: (آباؤنا) أي: الكائنون من قبل، ومقتضى القاعدة: أن يكونا متعلقين بمحذوف حال منه؛ لأنه معرفة بالإضافة للضمير، ولكن المراد به الماضي، وهو لا يتفق مع الحال. تأمل، وبني ﴿قَبۡلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، وجملة: ﴿لَقَدۡ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، لا محل لها، والقسم وجوابه، والجملة الاسمية: ﴿إِنۡ هَٰذَآ...﴾ إلخ الكلام كله ففي محل نصب مقول القول؛ لأنه من مقول كفار قريش. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُلۡ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ كلاحقه في الآيات التالية، وهو جواب عما قالوه فيما تقدم. ﴿لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ﴾: يخبر بربوبيته، ويعترف بوحدانيته، وملكه الذي لا يزول، وقدرته التي لا تحول. ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: إن كنتم من أهل العلم، أو من العالمين بذلك. فيكون استهانةً لهم، وتقريراً لفرط جهالتهم، حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح، وإلزاماً بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره، ولذا أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا، فقال: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ ولا بد لهم من ذلك؛ لأن العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر، وأقل تأمل إلى الإقرار بأنه تعالى خالقها. ﴿قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتعظون وتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء، فهو على إحياء الموتى بعد موتهم أقدر، فإن بدأ الخلق ليس بأهون من إعادته، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. هذا؛ ويقرأ: (تَذْكُرُونَ) و(تَتَذَكَّرون).

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّمَنِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(مَنْ) اسم استفهام مبني على السكون في محل جر باللام. ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾. ﴿فِيهَآ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمۡ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿تَعۡلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف

للتعميم، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فأخبروني بخالقهما، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿سَيَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والسين حرف استقبال. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو لله، ويقرأ بغير لام، فيكون التقدير: هو الله، والقراءة باللام هي قراءة الجمهور، وهو جواب ما فيه اللام، فهو مطابق للفظ، والمعنى، والقراءة بغير لام حملاً على المعنى؛ لأن معنى ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾: من رب الأرض؟ فيكون الجواب: الله، أي: هو الله، والجملة الاسمية على القراءتين في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية مستأنفة في المعنى، وهي من مقول الله تعالى. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله: «أنت» وجملة: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ في محل نصب مقول القول، وإعرابها مثل إعراب: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ في الآية رقم [٨٠] بلا فارق. وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: هو مثل الآية [٨٥]. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ ولا بد لهم من ذلك؛ لأن الواقع يضطرهم إلى الاعتراف بأن الله هو المالك لما في هذا الكون، وذلك بأدنى نظر، وأقل تأمل. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: تخافون عقابه، فلا تشركوا به بعض مخلوقاته، ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته. أو المعنى: أفلا تخافونه في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء. هذا؛ وانظر الكلام على ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ في الآية رقم [٢٢] من سورة (الأنبياء)، وانظر شرح (التقوى) في الآية رقم [١] من سورة (الحج). هذا؛ ويقرأ: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: بغير لام فيه، وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال، بخلافه فيما قبله فحذف اللام منه حملاً على المعنى كما رأيت، والقراءة باللام موافقة للفظ والمعنى، والقراءة هنا وفيما بعده باللام حملاً على المعنى؛ لأنك إذا قلت: مَنْ رَبُّ هذا؟ فمعناه لمن هذا؟ فيجاب لفلان كقول الشاعر: [الطويل]

إذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ الْمَزَالِفِ والْقُرَى ... ورَبُّ الْجِيَادِ الْجُرْدِ قِيلَ: لِخَالِدِ

فالمزالف جَمْع: مَزْلَفَة، وهي المرحلة من الطريق، وهي أيضاً القرية بين الريف، والبرج.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿رَّبُّ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلسَّبْعِ﴾: صفة ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿وَرَبُّ﴾: معطوف على

ما قبله، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَرْشِ﴾: مضاف إليه... إلخ. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة ﴿ٱلْعَرْشِ﴾، والجملة الاسمية: ﴿مَن رَّبُّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: انظر الآية السابقة فالإعراب واحد على القراءتين، وانظر إعراب: ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فيها أيضاً إفراداً، وجملاً، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ملك كل شيء، زيدت فيه، الواو، والتاء للمبالغة كالرهبوت، والرغبوت، والرحموت من الرهبة، والرغبة، والرحمة. والمراد: السموات، وما فوقهن، وما بينهن، والأرضين، وما تحتهن، وما بينهن، وما لا يعلمه إلا هو، وقال مجاهد: ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خزائن كل شيء. ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: يغيث، ويحرس، ويحفظ، ويمنع. ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: ولا يغاث أحد، ولا يمنع منه، يقال: أجرت فلاناً على فلان: إذا أغثته منه، ومنعته. المعنى: يغيث من يشاء ممن يشاء، ولا يغيث أحد منه أحداً. ثم قيل: هذا في الدنيا، أي من أراد الله إهلاكه، وخوفه لم يمنعه منه مانع، ومن أراد نصره، وأمنه لم يدفعه من نصره، وأمنه دافع. وقيل: هذا في الآخرة؛ أي: لا يمنعه من مستحق الثواب مانع، ولا يدفعه عن مستوجب العذاب دافع. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: مجيراً، ومغيثاً غير الله فاذكروه.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: الإغاثة لله، أو هو المغيث، والمجير، لا مغيث غيره، ولا مجير سواه. ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: فكيف تخدعون، وتصرفون عن الإيمان بالله، وعبادته، وتوحيده مع ظهور الأمر. وتظاهر الأدلة على ما ذكر؟! أو: كيف يخيل إليكم أن تشركوا به ما لا يضر، ولا ينفع، والخادع: هو الهوى، والشيطان، والسحر: هو التخييل كما رأيت في الآية رقم [٥٧] من سورة (طه). وكل ما تقدم احتجاج على العرب المقرين بوجود الصانع، وهو الله تعالى. هذا؛ ومعنى ﴿بِيَدِهِۦ﴾: بقدرته، وتحت تصرفه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِيَدِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَلَكُوتُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿كُلِّ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر الميمي لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَنْ بِيَدِهِۦ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ مَنْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): مبتدأ. ﴿يُجِيرُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره:

«هو»، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يُجَارُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٨٥]، والجملة الشرطية بكاملها في محل نصب مقول القول. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ انظر الآية رقم [٨٦] ففيها الكفاية. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فَأَنَّىٰ﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ، أو هي الفصيحة. (أنى): اسم استفهام، وتعجب بمعنى: كيف مبني على السكون في محل نصب حال صاحبها الواو، وعاملها الفعل بعدها. ﴿تُسْحَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية على اعتبار الفاء فصيحة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كنتم تعترفون بذلك؛ فكيف تسحرون، أي: تخدعون..؟ والكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: بالقول الصدق من التوحيد، والوعد بالحساب، والثواب، والعقاب، لا ما يقوله الكفار من إثبات الشريك له تعالى، وإنكار البعث واليوم الآخر، وما يقع فيه. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: الكافرين ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ أي: في قولهم: اتخذ الله ولداً من الملائكة، أو من البشر، وكاذبون أيضاً في ادعائهم الشريك معه تعالى شأنه، وتعالت حكمته. وما أحراك أن تنظر ﴿الْكَذِبَ﴾ في الآية رقم [١٠٥] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف عطف انتقالي. ﴿أَتَيْنَاهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها في الآية رقم [٨٢] ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (نا). ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَكَاذِبُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (كاذبون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير الواقع مفعولاً به، والرابط: الواو، والضمير.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾: لتقدسه عن مماثلة أحد، وعدم احتياجه إلى أحد، بل

واستغنائه عن كل أحد. وفيه رد على مشركي العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله، وعلى اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، وعلى النصارى الذين قالوا: عيسى ابن الله. ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾: يساهمه في الألوهية، ويشاركه في الملكوتية. ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾: المعنى لو كان مع الله آلهة كما يدعون، ويفترون لذهب كل واحد منهم بما خلقه، واستبد به، وامتاز ملكه عن ملك الآخرين، وقوى نفسه، وجيشه، وأعوانه، ووقع بينهم التحارب، وظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء، واللازم باطل بالإجماع، والاستقراء، وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى إله واحد.

فقد قال تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٤٢]: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، وقال في سورة (الأنبياء) رقم [٢٢]: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ انظر شرح الآيتين في محلهما، فإنه جيد من حمده تعالى، وإذا كان الأمر كذلك؛ فاعلموا: أن الله إله واحد، بيده ملكوت كل شيء، ويقدر على كل شيء، وهو غني عن كل شيء.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: تنزه عن الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده. هذا؛ و﴿سُبْحَٰنَ﴾ اسم مصدر، وقيل: مصدر مثل: غفران، وليس بشيء؛ لأن الفعل سبَّح بتشديد الباء، والمصدر: تسبيح، ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله، مثل: معاذ الله، وقد أجري علماً على التسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قول الأعشى: [السريع]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مَنْ عَلْقَمَةُ الفَاخِرُ

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار، والجهل بحقيقة الحال، ولذلك جعل مفتاح التوبة، فقال موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال ذو النون ـ عليه السلام ـ: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقد نزه الله ذاته في كثير من الآيات بنفسه تنزيهاً لائقاً به، وجملة القول فيه: هو اسم موضوع موضع المصدر، وهو غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب من رفع وجر، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل، ولم ينصرف؛ لأن في آخره زائدتين الألف والنون، ومعناه: التنزيه، والبراءة لله عز وجل من كل نقص، فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره. وقد روي عن طلحة الخير بن عبيد الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحان الله؟ فقال: «تنزيه الله من كل سوء» والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه، لا من لفظه؛ إذ لم يجر من لفظه فعل، وذلك مثل: قعد القرفصاء، فالتقدير عنده: أنزه الله تنزيهاً، فوقع ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ مكان قولك: تنزيهاً لله.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿ٱتَّخَذَ﴾: ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مِن﴾: حرف صلة يفيد التوكيد. ﴿وَلَدٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها

اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، تقدم على اسمها، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة كسابقه. ﴿إِلَٰهٍ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء. وهو هنا مقدر بـ: «لو» الشرطية، انظر الشرح، وهو مثل الآية رقم [٧٣ و٧٦] من سورة (الإسراء). ﴿لَّذَهَبَ﴾: اللام: واقعة في جواب «لو» المقدرة. (ذهب): ماض. ﴿كُلُّ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿إِلَٰهٍ﴾ مضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل: (ذهب)، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: لذهب كل إله بالذي، أو: بشيء خلقه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: لذهب كل إله بخلقه. والجملة الفعلية هذه جواب لـ: «لو» المقدرة، والقائم مقامها (إذاً) و«لو» المقدرة، ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَلَعَلَا﴾: الواو: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب «لو» تقديراً بسبب العطف. (علا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل (علا)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿سُبْحَٰنَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف كما رأيت في الشرح، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافة المصدر لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿سُبْحَٰنَ﴾، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية مثل ﴿بِمَا خَلَقَ﴾ فعلى الأولين التقدير: عن الذي، أو: عن شيء يصفونه به، وعلى الثالث التقدير: عن وصفهم الله بما لا يليق به.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: يعلم سبحانه وتعالى ما غاب عن أبصار عباده، ويعلم ما يشاهدونه بحواسهم، فلا يغيب عن علمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم، فنبه سبحانه على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه فيه أحد من خلقه، وهو دليل قاطع على تفرده بالوحدانية، وعلى نفي الشريك له، وعلى نفي الولد له. ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزه، وتعاظم عمَّا يقوله المشركون من اتخاذ الشريك، والولد، والصاحبة له، جلَّت قدرته. هذا، و(تعالى) يأتي منه

مضارع: يتعالى بمعنى: يتعاظم ويتقدس، ولا أمر له، فهو ناقص التصرف، و«يتعالى» لم يرد في القرآن الكريم أيضاً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿عَٰلِمِ﴾: بالجر بدل من لفظ الجلالة، أو صفة له، ويقرأ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو عالم، وعليه: فالجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها، و﴿عَٰلِمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (تعالى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو». ﴿عَمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وما تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو: عن شيء يشركونه مع الله، وعلى الثالث تؤول مع الفعل بعدها بمصدر، التقدير: عن شركهم، وجملة: ﴿فَتَعَٰلَىٰ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، وذلك على قراءة الرفع، فكأنه قال: عَلِمَ الغيبَ والشهادة فتعالى، كقولك: زيد شجاع، فعظمت منزلته؛ أي شجع، فعظمت. وعلى قراءة (عالم) بالجر، فهي مستأنفة، لا محل لها، وقيل: على إضمار القول؛ أي: أقول: فتعالى الله. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: فقد علَّم الله نبيه ﷺ ما يدعو به، والمعنى: قل: يا رب إن أريتني ما يوعدون من العذاب في الدنيا، أو في الآخرة، فلا تجعلني في عداد الظالمين، ولا تعذبني بعذابهم! فعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: أخبر الله نبيه ﷺ أن له في أمته نقمة، ولم يخبره متى وقتها، فأمره أن يدعو هذا الدعاء، ويجوز أن يسأل النبي المعصوم ربه ما علم أنه يفعله، وأنه يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله، إظهاراً للعبودية، وتواضعاً لربه. واستغفاره ﷺ إذا قام من مجلسه لذلك، وتعليمه هذا الدعاء إما لهضم النفس، أو؛ لأن شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾.

أقول: وهذا كله يعني: أن المراد بالظالمين هم ما يكونون في هذه الأمة، وسياق الآيات يدل على أن المراد الظالمين، وهم الكفرة الذين جعلوا لله شريكاً، وجعلوا له صاحبةً وولداً، وقد توعدهم بالعذاب في غير ما آية، وكان النبي ﷺ يعلم: أن الله تعالى لا يجعله في القوم الظالمين إذا نزل بهم العذاب، ومع هذا فقد أمره ربه بهذا الدعاء، والسؤال ليعظم أجره، وليكون في كل الأوقات ذاكراً لربه، عز وجل. هذا؛ وتكرير النداء، وتصدير كل واحد بالشرط، والجزاء به فضل تضرع، وجؤار.

تنبيه: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى: ونداء الرب قد كثر حذف «يا» النداء منه في القرآن الكريم، وعلة ذلك: أن في حذفها من نداء الرب فيه معنى التعظيم له، والتنزيه، وذلك أن النداء فيه ضرب من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيدُ، فمعناه: تعالَ يا زيدُ، أدعوك يا زيدُ، فحذفت (يا) من نداء الرب ليزول معنى الأمر، وينقص؛ لأن «يا» تؤكده، وتظهر معناه، فكان في حذف (يا) التعظيم، والإجلال، والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في القرآن والكلام في نداء الرب لذلك المعنى، انتهى.

هذا؛ والرب يطلق، ويراد به السيد، والمالك، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ...﴾ إلخ وقوله أيضاً: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا...﴾ إلخ، وقال الأعشى: [الكامل]

رَبِّـي كَـرِيـمٌ، لا يـكـدِّرُ نِـعْـمَـةً ... وإذَا تُـنُـوشِـدَ فـي الْـمَـهَـارِقِ أَنْـشَـدا

كما يقال: رب الدار، ورب الأسرة، أي مالكها، ومتولي شؤونها. كما يراد به المربي، والمصلح، يقال: ربَّ فلان الضيعة، يربها: إذا أصلحها، والله سبحانه وتعالى مالك العالمين، ومربيهم، وموصلهم إلى كمالهم شيئاً فشيئاً، يجعل النطفة علقةً، ثم يجعل العلقة مضغةً، ثم يجعل المضغة عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يصوره، ويجعل فيه الروح، ثم يخرجه، وهو خلق صغير ضعيف، فلا يزال ينميه، وينشيه؛ حتى يجعله رجلاً، أو امرأة كاملين. ولا يطلق الرب على غير الله تعالى إلا مقيداً بالإضافة، مثل قولك: رب الدار، ورب الناقة، ونحو ذلك. والرب: المعبود بحق، وهو المراد منه تعالى عند الإطلاق، ولا يجمع إذا كان بهذا المعنى، ويجمع إذا كان معبوداً بالباطل، قال تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ كما يجمع إذا كان بأحد المعاني السابقة، قال الشاعر: [الطويل]

هَـنِـيـئـاً لأَرْبَـابِ الْـبُـيُـوتِ، بُـيُـوتـهُـمْ ... وَلِـلآكـلـيـن الـتَّـمْـرَ مَـخْـمَـسَ مَـخْـمَـسَـا

وهو اسم فاعل بجميع معانيه، أصله: رابب، ثم خفف بحذف الألف، وإدغام أحد المثلين في الآخر. وانظر شرح «الظلم» في الآية رقم [٦٠] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿رَّبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وباقي الإعراب مثل: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٣]. ﴿إِمَّا﴾: هي «إن» الشرطية مدغمة في «ما» الزائدة للتوكيد. ﴿تُرِيَنِّى﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم فعل الشرط، وحذفت نون الوقاية للتخفيف، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت». وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، أو مصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في

محل نصب مفعول به ثان. ﴿يُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف، وهو العائد، أو الرابط؛ إذ التقدير: إما تريني الذي، أو: شيئاً يوعدونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به ثان، التقدير: وعيدك لهم، وجملة: ﴿تُرِيَنِّي...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. هذا؛ وينبغي أن تعلم: أن الفعل يرى هنا بصري، وقد تعدى إلى المفعول الثاني بهمزة التعدية؛ لأن ماضيه هنا رباعي وهو أرى، ومضارعه: يُرِي.

﴿رَبِّ﴾: هذا النداء مؤكد لسابقه تأكيداً لفظياً، ومعترض بين فعل الشرط، وجوابه. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية. ﴿تَجْعَلْنِي﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿فِي الْقَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و﴿فِي﴾ بمعنى «مع». تأمل. ﴿الظَّالِمِينَ﴾: صفة ﴿الْقَوْمِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء... إلخ. هذا؛ والكلام: ﴿رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل رَّبِّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: كان كفار قريش ينكرون الوعيد، والتهديد بالعذاب، ويضحكون منه، ويسخرون، فقيل لهم: إن الله قادر على إنجاز ما يتوعدكم، ويتهددكم به، إن تأملتم، وعرفتم الحقيقة. وقد أخره سبحانه، وتعالى؛ لأنه علم أن بعضهم، أو بعض أعقابهم يؤمنون، وقد حصل ذلك حيث أسلم المئات منهم بعد الهجرة، وعلى رأسهم سيف الله، وسيف رسوله خالد بن الوليد الذي خرج من مكة مؤمناً طائعاً بعد غزوة الحديبية، أو المعنى: أن الله لا يعذبهم، وأنت يا محمد موجود بينهم، ومقيم بين أظهرهم، وهذا ما صرحت به آية (الأنفال) رقم [٣٣] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾.

الإعراب: ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿نُّرِيَكَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن»، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به أول. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿نَعِدُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل: نحن، والهاء مفعول به أول، والثاني محذوف، وهو العائد، أو الرابط؛ إذ التقدير: نريك الذي، أو: شيئاً نعدهموه، أو نعدهم إياه، و(أن) والمضارع في تأويل مصدر في

محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾ والجار، ومجرور متعلقان بـ: (قادرون) بعدهما. ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾: خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر بالفعلين السابقين، والرابط: الواو، والضمير. أو هي مستأنفة، لا محل لها، وهو أقوى، وأولى.

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾

الشرح: لقد أمر الله نبيه ﷺ في هذه الآية بالصفح، والعفو، ومكارم الأخلاق، ودفع السيئة بالحسنة، فما كان منها لهذه الأمة فيما بينهم؛ فهو محكم باق في الأمة إلى يوم القيامة، وما كان فيها من موادعة الكفار، وترك التعرض لهم، والصفح عن أمورهم فمنسوخ بآية القتال، وقيل: هي محكمة أيضاً في حق الكفار بحيث لم يؤد ذلك إلى وهن في الدين، أو إلى انتهاك حرمة المسلمين؛ إذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ما ذكر، وسترى مزيداً لذلك في سورة (فصلت) رقم [٣٣] إن شاء الله تعالى.

﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: يصفوننا من نسبة الشريك إلينا، ومن اتخاذ الصاحبة، والولد، أو بما يصفونك به يا محمد من قولهم: هو شاعر، ساحر، كاهن، مجنون، إلى غير ذلك. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. هذا؛ وأصل ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾: السَّيْوئَة، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء. وأصل ﴿يَصِفُونَ﴾: يَوْصِفون، فحذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها، وهما الياء والكسرة، وتحذف من المبدوء بالهمزة والنون والتاء حملاً على المبدوء بالياء من كل مضارع مأخوذ من ماض مبدوء بالواو، مثل وعد، وزن، ورث... إلخ، و﴿أَعۡلَمُ﴾ ليس على بابه من التفضيل؛ لأن الله لا يشركه في علمه أحد.

الإعراب: ﴿ٱدۡفَعۡ﴾: أمر، وفاعله: «أنت». ﴿بِٱلَّتِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(التي) صفة لموصوف محذوف، التقدير: بالخصلة التي، والجملة الاسمية: ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿ٱدۡفَعۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإنما لم يقل: فادفع بالتي هي أحسن، أي: بقرن الجملة الفعلية الطلبية بالفاء الفصيحة؛ لأنه على تقدير قائل قال: فكيف أصنع، فقال: ادفع بالتي هي أحسن. ﴿نَحۡنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعۡلَمُ﴾: خبره. ﴿بِمَا﴾: متعلقان به، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: أعلم بالذي، أو: بشيء يصفوننا به. أو بالذي، أو: بشيء يصفونك به. وعلى اعتبار المصدرية، تؤول (ما) مع الفعل بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: نحن أعلم بوصفهم لنا، أو بوصفهم لك، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال. ولا وجه له.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾: أمتنع، وأتحصن، وأعتصم بك. ﴿مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ أي: وساوسهم، ونخساتهم، ونزغاتهم الشاغلة عن ذكر الله تعالى، فعن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ: أنه رأى النبي ﷺ يصلي صلاةً، ـ قال عمرو ـ رضي الله عنه ـ: ولا أدري أي صلاة هي؟ ـ فقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ كبيراً (ثَلَاثاً)، والحمدُ للهِ كَثِيراً (ثلاثاً)، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصيلاً (ثلاثاً)، أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ، وَهَمْزِهِ، قَالَ: نَفْثُهُ: الشِّعْر، وَنَفْخُهُ: الكِبْرُ، وَهمْزُهُ: الْمُوتَةُ**» أخرجه أبو داود، والموتة: الجنون.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ أي: يكونوا معي في أموري، فإنهم إذا حضروا الإنسان كانوا معدّين للهمز، وإذا لم يكن حضور فلا همز. فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ اللُّقْمَةُ، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بهَا مِنْ أَذًى، ثُمَّ ليَأْكُلْها، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَغَ: فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّه لا يَدْرِي في أَيِّ طَعامِهِ البركةُ**». أخرجه مسلم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٤] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وخذ ما يلي:

فعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: حدَّث خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ﷺ عَنْ أَهَاوِيلَ يراهَا باللَّيْلِ، حَالَتْ بَيْنَهُ وبين صَلَاةِ اللَّيْلِ، فقال رسول الله ﷺ: «**يَا خَالِدُ بْنَ الوليد! أَلَا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ تَقُولُهُنَّ، ولَا تَقُولُهُنَّ ثلاثَ مَرَّاتٍ؛ حَتَّى يُذْهِبَ الله عَنْكَ ذَلِكَ؟**». قَالَ: بَلَى يا رسولَ الله بأبِي أَنْتَ وَأُمِّي! فَإِنَّما شَكَوْتُ هَذَا إِلَيْكَ رَجاءَ هَذَا مِنْكَ. قَالَ: **قُلْ: أَعُوذُ بكلماتِ الله التَّامَّةِ مِن غَضبِهِ، وعقابِهِ، وشَرِّ عبادِه، ومِنْ هَمزَاتِ الشَّيَاطِين، وأن يَحْضُرُونِ**». قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فَلَمْ أَلْبَثْ لياليَ حَتَّى جاءَ خَالِدُ بنُ الوليدِ، فقالَ: يا رسولَ الله بأبي أَنْتَ وأمِّي! والَّذي بَعثَك بالْحقِّ ما أتممتُ الْكلماتِ الَّتي عَلَّمْتَنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى أذهَبَ الله عني مَا كُنْتُ أَجِدُ، مَا أُبالِي لَوْ دَخَلْتُ عَلَى أَسَدٍ في خِيسَتِهِ بلَيْلٍ. رواه الطبراني في الأوسط، خيسة الأسد: موضعه الذي يأوي إليه.

وعن خالد ـ رضي الله عنه ـ: أنه أصابه أرَقٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ نِمْتَ، قُل: اللَّهُمَّ رَبَّ السمواتِ السبع ومَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِين وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لي جاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، أَوْ أَنْ يَطْغَى، عَزَّ جارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ**». رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، ويزاد: «**وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**».

الإعراب: ﴿وَقُل﴾: الواو: حرف عطف. (قل): أمر، وفاعله: أنت. ﴿رَّبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وفيه أوجه، انظرها بإعراب ﴿يَـٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٣]. ﴿أَعُوذُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿بِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنْ هَمَزَٰتِ﴾: متعلقان بما قبلهما، ويجوز تعليقهما وتعليق ما قبلهما بمحذوف حال، التقدير: أعوذ مستجيراً بك من همزات، و﴿هَمَزَٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ مضاف إليه، والجملة الندائية والجملة الفعلية كلتاهما في محل نصب مقول القول، و﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ﴾ الإعراب مثل ما قبلهما، والجملتان معطوفتان على ما قبلهما، فهما في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَحْضُرُونِ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير من حضورهم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: هذا الكلام متعلق بالفعل ﴿يَصِفُونَ﴾ في الآية رقم [٩١] والمعنى: لا يزالون مصرين على الشرك إلى وقت مجيء الموت، أو لا يزالون مستمرين على سوء الذكر، إلى هذا الوقت، وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض، والتأكيد للإغضاء عنهم، مستعيناً بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم، ويغريه على الانتصار منهم.

﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾: قال أبو البقاء: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه جمع على التعظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾. وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾. والثاني: أنه أراد: يا ملائكة ربِّي ارجعُونِ. والثالث: أنه دل بلفظ الجمع على تكرير القول، فكأنه قال: ربِّ ارجعْني، رَبِّ ارجعْني، ربِّ ارْجِعْني انتهى. بتصرف. ومعنى التكرير قيل به في قوله تعالى في سورة (قٓ): ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾، وبقول امرئ القيس: [الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ومثله كثير في الشعر العربي. هذا؛ وسؤال الرجعة إلى الدنيا ليس مختصاً بالكافر، فقد يسألها المؤمن كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ الآية رقم [١٠] من سورة (المنافقون). بل إن الندامة بعد الموت تعم الصالح والطالح، والمؤمن، والكافر. المؤمن الصالح يندم على عدم

الزيادة في الخيرات، والصالحات. والطالح الكافر يندم على عصيانه، وإسرافه في السيئات؛ فضلاً عن ندامته في الكفر، وعبادة غير الله تعالى.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ أحدٍ يموتُ إلا ندمَ**». قالوا: وما ندامتُهُ يا رسولَ الله؟! قال: «**إنْ كَانَ مُحْسِناً؛ نَدِمَ أَلَّا يكونَ ازدادَ. وإنْ كَانَ مسيئاً؛ نَدِمَ أَنْ لا يكُون نَزَعَ**». رواه الترمذي، والبيهقي.

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾: قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: ما تمنى أن يرجع إلى أهله، وعشيرته، ولا ليجمع الدنيا، ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع، فيعمل بطاعة الله، فرحم الله امرأً عمل فيما تمناه الكافر إذا رأى العذاب! فعن النبي ﷺ قال: «**إذَا عَايَنَ المؤمنُ الملائكةَ، قالُوا: نُرْجِعُكَ إلى الدُّنْيَا، فيقولُ: إلى دارِ الْهُمومِ، والأحزان، بل قدوماً إلى الله. وأما الكافر فيقول: ربي ارجعون**». وهذا بعد بشارة المؤمن برضا الله، ورضوانه، وبعد بشارة الكافر بغضب الله، وسخطه، وعذابه، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله؛ أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، ومَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله؛ كَرِهَ الله لقَاءَه**». فقُلْتُ: يا نَبِيَّ الله! أكراهيَةَ الموتِ، فكلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ قال: «**لَيْسَ ذلك، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إذَا بُشِّرَ برحْمَةِ الله ورضوانِهِ وَجَنَّتِه؛ أَحبَّ لِقَاءَ الله، فَأَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وإنَّ الكَافِرَ إذا بُشِّر بعذاب الله، وسَخطِهِ؛ كَرِهَ لقَاءَ الله، وَكَرِهَ الله لِقَاءَهُ**». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وانظر ما ذكرته الآية رقم [١٠٨] الآتية.

﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ أي: ضيعت من عمري، وتركت العمل به من الطاعات. أو المعنى: أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأعمل بطاعته. فيدخل فيه الأعمال البدنية، والمالية. ﴿كَلَّآۚ﴾: حرف ردع، وزجر، وانظر شرحها في الآية رقم [٧٩] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾: المراد بالكلمة: الطائفة من الكلام المنتظم بعضه مع بعض، وهو قوله: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ ومعنى ﴿هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ أي: لا ينفك عنها، بل يقولها دائماً؛ لاستيلاء الحسرة، والندم عليه، وقيل: معناها: لو أجيب إلى ما يطلب من الرجعة إلى الدنيا؛ لما وفى بما يقول، كما قال تعالى في الآية رقم [٢٨] من سورة (الأنعام): ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ وذلك للحكم الأزلي، في حقهم: أنهم أصحاب النار.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: من أمامهم. ﴿بَرۡزَخٌ﴾: حائل، وحاجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا، وكل حاجز بين شيئين؛ فهو برزخ، والمراد به المدة التي تكون من حين الموت إلى البعث. هذا؛ وما يجري على ألسنة العوام (من أن البرزخ جب تحبس فيه الأرواح) لا أصل له، وإنما الروح لها تعلق بالجسد الذي خرجت منه، وإن فني، فلها تعلق بالقبر الذي دفن فيه الجسد ليصدق عليه قول الرسول ﷺ في نعيم القبر، وعذابه في أحاديث كثيرة أذكر منها ما يلي: عن عبد الله بن عمر ـ رضي

الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أَحَدَكُمْ إذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْه مَقْعَدُهُ بالْغَدَاةِ، والعَشِيِّ، إنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَمِنْ أَهلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كانَ مِنْ أَهْلِ النارِ؛ فَمِنْ أَهْلِ النَّار، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حتى يَبْعَثَكَ الله إلى يوم القيامةِ**». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس إلى قبر منها فقال: «**ما يَأْتي على هذا الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يُنادي بصوتٍ ذلَقٍ طُلَقٍ: يا بْنَ آدَمَ نَسِيْتَني أَلَمْ تعلَمْ أنّي بَيْتُ الوحدةِ، وبَيْتُ الْغُرْبَةِ، وبَيْتُ الْوَحْشَةِ، وبَيْتُ الدودِ، وبَيْتُ الضِّيقِ إِلَّا مَنْ وَسَّعَنِي الله عليهِ**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**القَبْرُ إمَّا روضةٌ مِنْ رياضِ الجنةِ، أوْ حفرةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ**».

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾: لم يُرِدْ أنهم يرجعون يوم البعث إلى الدنيا، وإنما هو إقناط كلِّي لما علم أن لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة.

أما ﴿كَلِمَةٌ﴾ ففيها ثلاث لغات: الأولى كَلِمة على وزن نَبِقَة، وهي الفصحى، ولغة أهل الحجاز، وبها نطق القرآن الكريم في آيات كثيرة، وجمعها: كَلِم كَنبِق، والثانية: كِلْمَة على وزن سِدْرَة، والثالثة: كَلْمَة على وزن: تَمْرة، وهما لغتا تميم، وجمع الأولى: كِلْم، كسِدْرٍ، وجمع الثانية: كَلْم، كَتَمْر، وكذلك كل ما كان على وزن فَعِل، نحو: كَبِد، وكتف، فإنه يجوز فيه اللغات الثلاث، فإن كان الوسط حرف حلق جاز فيه لغة رابعة، وهي إتباع الأول للثاني في الكسر، نحو فِخِذ، وشِهِد، وهي في الأصل قول مفرد، مثل: محمد، وقام، وقعد، وفي، ولن، وقد تطلق على الجمل المفيدة كما في هذه الآية التي نحن بصدد شرحها، وقال النبي ﷺ: «**أَصْدقُ كَلِمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيدٍ**: [الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ـ مَا خَلَا الله ـ بَاطِلُ ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ»

المراد بـ: «كلمة» الشطر الأول بكامله، وتقول: قال فلان: كلمة، والمراد بها كلام كثير، وهو شائع، ومستعمل عربية في القديم، والحديث، وانظر شرح الكلام في الآية رقم [١٠٨] الآتية.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٧٨]. ﴿جَآءَ﴾: ماض. ﴿أَحَدَهُمُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلۡمَوۡتُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿أَحَدَهُمُ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وفيه أوجه أخر انظرها بإعراب ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ في الآية رقم [٢٣]. ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾: فعل دعاء مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة المدلول عليها بالكسرة مفعول به، والجملة الفعلية مع الجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب: ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾

ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. هذا؛ ويعتبر الأخفش ﴿حَتَّىٰ﴾ في مثل هذه الآية جارة لـ: ﴿إِذَا﴾، وقد رده ابن هشام في المغني، وعلى قوله فـ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا...﴾ إلخ جار ومجرور متعلقان بمحذوف. انظر الشرح، وهو يؤيد قول الأخفش في هذه الآية.

﴿لَعَلِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَعۡمَلُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿صَٰلِحٗا﴾: صفة مفعول محذوف، التقدير: أعمل عملاً صالحاً، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل). ﴿فِيمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (في)، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: في الذي، أو: في شيء تركته، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلِّيٓ...﴾ إلخ تعليل لطلب الرجوع، لا محل لها.

﴿كَلَّآۚ﴾: حرف ردع وزجر، مبني على السكون في محل نصب مقول القول لقول محذوف، وذلك على الحكاية، أي: فيقال له: كلا. ﴿إِنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(ها): اسمها. ﴿كَلِمَةٌ﴾: خبرها. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿قَآئِلُهَاۖ﴾: خبره، و(ها): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ﴿كَلِمَةٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهَا...﴾ إلخ تعليل للردع، والزجر، لا محل لها، والجملة المقدرة: يقال له: كلا... إلخ لا محل لها؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال مقدر، فكأن قائلاً قال: بماذا يجاب؟ فالجواب فيقال له: كلا.... إلخ. ﴿وَمِن﴾: الواو: حرف استئناف. (من ورائهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَرۡزَخٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿بَرۡزَخٌ﴾. ﴿يُبۡعَثُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوۡمِ﴾ إليها، التقدير: إلى يوم بعثهم، والجملة الاسمية: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وقيل: في محل نصب حال، وقيل: معطوفة، وهما ضعيفان.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: لقيام الساعة، والمراد بهذا النفخ النفخة الأولى. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: المراد: النفخة الثانية، فقد قال: يؤخذ بيد العبد يوم القيامة، فينصب على رؤوس الأولين، والآخرين، ثم ينادي مناد: هذا فلان ابن فلان، فمن كان له قِبَله حقٌّ، فليأت إلى حقه! فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده، أو ولده، أو زوجته، أو أخيه، فيأخذه منه، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فيقول الرب سبحانه وتعالى: آت هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب! قد فنيت الدنيا،

فمن أين أوتيهم؟ فيقول الرب للملائكة: خذوا من حسناته، فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته، فإن كان ولياً لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل، فيضاعفها الله تعالى حتى يدخله بها الجنة، ثم قرأ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ الآية رقم [٤٠] من سورة (النساء)، وإن كانَ شقِيّاً؛ قَالتِ الملائكةُ: رَبَّنَا فَنِيَتْ حَسَناتُهُ، وبقي طالبون، فيقول الله تعالى: «خذوا من أعمالهم، فأضيفوها إلى سيئاته، وصكوا له صكّاً إلى جهنم». انتهى. خازن، وقرطبي بتصرف، ولا تنس: أن التعبير بالماضي عن المستقبل في هذه الآية، وأمثالها، إنما هو لتحقيق وقوع الأمر المحدَّث عنه، وهو كثير في القرآن.

وفي رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنها النفخة الثانية، ومعنى ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: لا يتفاخرون بالأنساب يومئذ، كما كانوا يتفاخرون بها في الدنيا، ولا يتساءلون سؤال تواصل، كما كانوا يتساءلون في الدنيا: من أنت؟ ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد: أن الأنساب تنقطع.

هذا؛ وقد قال الله في سورة (الطور) رقم [٢٥]: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وقال في سورة (الصافات) رقم [٢٧]: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أقول: فآية (الطور) تنص على أن التساؤل إنما يكون في الجنة بلا ريب بدليل الآيات التي قبلها، والتي بعدها، وأما آية (الصافات) فهي تنص على أن التساؤل إنما يكون في يوم القيامة بدليل قوله تعالى قبلها بآيتين: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ وهي تعارض الآية التي نحن بصدد شرحها، وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في حل هذا التعارض: إن للقيامة أحوالاً، ومواطن، ففي موطن يشتد عليهم الخوف، فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل، فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقة، فيتساءلون. انتهى. . خازن.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٧٧]. ﴿نُفِخَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾: في محل رفع نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿فَلَآ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (لا): نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿أَنسَابَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف في محل رفع خبر (لا)، والجملة الاسمية جواب (إذا) لا محل لها. ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: (يوم): ظرف زمان متعلق بالخبر المحذوف الذي هو متعلق الظرف قبله، أو بمحذوف خبر ثان. و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية، لا محل لها مثلها.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: لقد ذكر الله تعالى الآية ولاحقتها في سورة (الأعراف) برقم [٨ و٩] وهناك زيادة هذه الجملة قبلهما: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ وذكر ثقل الموازين وخفتها في سورة (القارعة) أيضاً، وذكرت لك في الآية رقم [١٠٥] من سورة (الكهف) الاختلاف في الوزن، هل هو للأعمال، أو للأشخاص؟ انظرها تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. وأقول هنا: الجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان، له لسان، وكفتان، ينظر إليه الخلائق إظهاراً للمعدلة، وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم فينكرون، ولكن تعترف بها ألسنتهم، وتشهد بها جوارحهم، كما في سورة (النور)، وسورة (يس)، وسورة (فصلت).

والحكمة من وزن الأعمال مع علم الله بمقاديرها تتجلى فيما يلي: منها: إظهار العدل الإلهي، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة. ومنها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وإقامة الحجة عليهم في العقبى. ومنها: تعريف العباد ما لهم من خير، وشر، وحسنة، وسيئة. ومنها: إظهار علامة السعادة، والشقاوة. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته، و(موازين) جمع: ميزان، وأصله مِوْزان، قلبت الواو ياء لسكونها، وانكسار ما قبلها، ومثله: ميعاد، وميثاق، وميراث، وميقات، فأصل الياء فيهن واو. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون برضا الله، ودخول الجنة، الناجون من سخطه، ومن عذاب النار؛ لأن الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه، والفوز بكل محبوب، وأصله: المؤفلحون، انظر الآية رقم [١١٧] الآتية لإعلاله.

الإعراب: ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ثَقُلَتْ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر أولئك. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل لا محل له. فيكون ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبر (أولئك)، وعلى الوجهين فالجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: هو جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً؛ فهو مبتدأ، والجملة الفعلية بعده صلته، والجملة الاسمية: (أولئك...) إلخ في محل رفع خبره، وزيدت الفاء في الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وعلى جميع الاعتبارات؛ فالجملة الاسمية مفرعة عما قبلها، ومستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رجحت سيئاته على حسناته. هذا؛ وقد ذكر الله في الآية السابقة السعداء الذين غلبت حسناتهم على سيئاتهم، وذكر في هذه الآية الأشقياء الذين غلبت سيئاتهم على حسناتهم، وبقي صنف ثالث: وهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم أصحاب الأعراف؛ الذين ذكرهم الله في الآية رقم [٤٥] من سورة (الأعراف). ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: ضيعوها، وحرموها من جزيل ثواب الله تعالى، وكرامته. ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾: مقيمون، ماكثون، لا يخرجون منها أبداً، فهذه هي خسارتهم، وأية خسارة أعظم من الحرمان من الجنة ونعيمها الدائم، والخلود في النار، وانظر (الخسران) في الآية رقم [١١] من سورة (الحج)، وانظر شرح ﴿يَرِثُونَ﴾ في الآية رقم [١١]، وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٣٥] من سورة (الأنبياء).

تنبيه: روي عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه قال حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً.

الإعراب: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ...﴾ إلخ: انظر إعراب هذا الكلام في الآية السابقة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿خَسِرُوٓا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِى جَهَنَّمَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهم في جهنم، وقال الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي: ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾: بدل من الصلة، أي من جملة: ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ ولا محل للبدل، ولا للمبدل منه، أو الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان لـ: (أولئك)، وعلى هذه الأقوال فـ: (خالدون) فاعل بمتعلق الجار والمجرور. هذا؛ وإن اعتبرنا ﴿خَٰلِدُونَ﴾ خبراً ثانياً للمبتدأ (أولئك)، أو خبراً لمبتدأ محذوف، فيكون الجار والمجرور متعلقين به، التقدير: فأولئك الذين... خالدون في جهنم، أو التقدير: فهم خالدون في جهنم. وبقي وجه آخر، وهو اعتبار الجار، والمجرور متعلقين بمحذوف خبر مقدم، و﴿خَٰلِدُونَ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية بدل من جملة الصلة، وذلك على قول الزمخشري، ومتابعيه. تأمل، وتدبر.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: تحرق، واللفح كالنفح؛ إلا أنه أشد تأثيراً، وانظر الآية

رقم [٤٦] من سورة (الأنبياء) يقال: لفحته النار والسموم بحرها: أحرقته، ونفحته بالسيف نفحة: إذا ضربته به ضربة خفيفة. ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ أي: عابسون، وقد بدت أسنانهم، وتقلصت شفاههم، كالرأس المشوي في النار، قال الأعشى: [الرمل]

وَلَــهُ الْـمُـقْـدَمُ لا مِـثْـلَ لَـهُ ... سَـاعَـةَ الـشِّـدْقِ عَـنِ الـنَّـابِ كَـلَـحْ

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ قال: «**تَشْوِيهِ النَّارُ فَتَقْلِصُ شَفَتَهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى؛ حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ**». أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. هذا؛ ودهر كالح: شديد.

الإعراب: ﴿تَلْفَحُ﴾: مضارع. ﴿وُجُوهَهُمُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿النَّارُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر ثان للمبتدأ: (أولئك)، أو في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿كَالِحُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير، فهي حال متداخلة من وجه، وهو أولى من اعتبارها معطوفة على الجملة الفعلية قبلها.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: في الآية الكريمة توبيخ، وتقريع للذين دخلوا النار من الكفار. والمعنى: ألم تُقرأ عليكم آيات القرآن، وزواجره، وفيها تبين طريق الحق والنور، والإسلام والسلام، فأعرضتم عنها، ولم تصدقوا بها، وكنتم من المكذبين بما فيها؛ حتى استحققتم هذا العذاب الأليم، والعقاب الشديد؟!.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَكُنْ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم). ﴿ءَايَٰتِى﴾: اسم ﴿تَكُنْ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿تُتْلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى (آياتي)، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿تَكُنْ﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ تَكُنْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف. (كنتم): ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿فَكُنتُم...﴾ إلخ

معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: «يقال...» إلخ المقدرة معطوفة على جملة ﴿تَلْفَحُ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها، والمقدَّر كالموجود.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ (١٠٦)﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: يقرأ: (شقاوتنا). قال القرطبي: وأحسن ما قيل في معناه: غلبت علينا لذاتنا، وأهواؤنا. فسمى اللذات والأهواء شِقوة؛ لأنهما يؤديان إليها، كما قال تعالى في سورة (النساء) رقم [١٠]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾؛ لأن ذلك يودي بهم إلى النار، وقيل: ما سبق في علمك، وكتب علينا في أمّ الكتاب من الشقاوة. وهذا رده النسفي بقوله:

لا يصح؛ لأنه إنما يكتب ما يفعل العبد، وما يعلم: أنه يختاره، ولا يكتب غير الذي علم أنه يختاره، فلا يكون مغلوباً، ومضطراً في الفعل، وهذا؛ لأنهم إنما يقولون ذلك اعتذاراً لما كان منهم من التفريط في أمره، فلا يجمل أن يطلبوا لأنفسهم عذراً فيما كان منهم. انتهى. وانظر الفعل «يشقى» في الآية رقم [٢] من سورة (طه).

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ أي: كنا في فعلنا ضالين عن الهدى، وليس هذا اعتذاراً منهم، إنما هو إقرار، ويدل عليه الآية التالية. هذا؛ وانظر شرح: ﴿رَبِّ﴾ في الآية رقم [٩٤]، وشرح ﴿قَوْمًا﴾ في الآية رقم [٢٣]، وإعلال ﴿كُنتُمْ﴾ في الآية رقم [٣٨] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿غَلَبَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿شِقْوَتُنَا﴾: فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. والجملتان الندائية، والفعلية كلتاهما في محل نصب مقول القول. ﴿وَكُنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (كنا): ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿قَوْمًا﴾: خبر (كان). ﴿ضَآلِّينَ﴾: صفة ﴿قَوْمًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ (١٠٧)﴾

الشرح: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار، طلبوا الرجعة إلى الدنيا، كما طلبوها عند الموت، كما رأيت في الآية رقم [٩٩]. ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ أي: رجعنا إلى الكفر، والتكذيب بما جاءت به الرسل. ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: لأنفسنا، والله أعلم بمراده.

الإعراب: ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَخْرِجْنَا﴾: فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَإِنْ﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (إن): حرف شرط جازم. ﴿عُدْنَا﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(نا): فاعله، والمتعلق محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنَّا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿ظَٰلِمُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، ومتعلقه محذوف كما رأيت في الشرح، وفاعله مستتر فيه؛ لأنه جمع اسم الفاعل، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله مجيباً لهم. ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾: اسكتوا سكوت هوان، فإنها ليست مقام سؤال، مِنْ خسأت الكلب خسئاً: طردته، وخسأ الكلب بنفسه خسوءاً، يتعدى، ولا يتعدى، ولم يرد هذا الفعل في غير هذه الآية لا بصيغة الماضي، ولا المضارع، ولا الأمر، وقد جاء منه اسم الفاعل: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ في البقرة رقم [٦٥]، وفي الأعراف رقم [١٦٦]، و﴿خَاسِئًا﴾ في سورة (الملك) رقم [٤]. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: في رفع العذاب، أو تخفيفه، فإني لا أرفعه عنكم، فعند ذلك ييأس المجرمون من الفرج. قال الحسن رحمه الله تعالى: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار، ثم لا يتكلمون بعد ذلك، ما هو إلا الزفير، والشهيق، وعواء كعواء الكلاب، لَا يَفْهَمُونَ، ولَا يُفْهَمُون. انتهى. خازن.

وقال الزمخشري في الكشاف: وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن لهم ست دعَوات إذا دخلوا النارَ، قالوا ألف سنة: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾، فيجابون بما يلي: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ سورة (السجدة)، فينادون ألف سنة: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾؟ فيجابون: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ سورة (غافر)، فينادون ألف سنة: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؟ فيجابون: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ سورة (الزخرف)، فينادون ألف سنة: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فيجابون: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾. فينادون ألف سنة: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾، فيجابون: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم

﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ سورة (فاطر). فينادون ألف سنة: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ فيجابون: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

هذا، وإذا نظرت في الكشاف يتبين لك ما زدته عليه من ذكر الآيات بكاملها، وعزوها إلى سورها زيادة في الإيضاح. وينبغي أن تعلم: أنه لا يوجد في الآخرة ليل، ولا نهار، ولا شهور، ولا أعوام، وإن ما ذكر من الآلاف إنما هو بالتقدير، وقد يعترض بعض الناس، فيقول: هذا العذاب الشديد، والمكث الطويل في جهنم، هذا كله من أجل كفر الكافر في أيام معدودة في الدنيا، وكثير من الكفار لا يعيشون في الدنيا عشرين عاماً، ومنهم من يعيش أكثر، أو أقل، ولماذا استحقوا هذا العذاب الشديد الذي لا انتهاء له، ولا انقطاع؟ والجواب عن ذلك: أنهم استحقوا العذاب لإصرارهم على الكفر، ونيتهم البقاء عليه، ولو عاشوا آلاف السنين في الدنيا، فمن أجل هذا جوزوا بالخلود في نار الجحيم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ أي: المؤمنين، أمثال بلال، وخباب، وصهيب، وفلان، وفلان من ضعفاء المسلمين. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ أي: بما أنزلت من القرآن، وبما جاء به محمد ﷺ من الهدى، والفرقان. ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ أي: ذنوبنا. ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾ أي: برحمتك الواسعة التي وسعت كل شيء. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: وأنت أفضل، وأكرم ممن يرحم.

هذا؛ و﴿فَرِيقٌ﴾ طائفة من الناس، والفريق أكثر من الفرقة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، كرهط، وقوم. أما الكلام بالنسبة للبشر فهو يدل على أحد ثلاثة أمور:

أولها: الحدث الذي يدل عليه لفظ التكليم، تقول: أعجبني كلامُكَ زيداً! تريد: تكليمك إياه.

وثانيها: ما يدور في النفس من هواجس، وخواطر، وكل ما يُعبَّر عنه باللفظ، لإفادة السامع ما قام بنفس المخاطب، فيسمى هذا الذي تخيلته في نفسك كلاماً في اللغة العربية، تأمل قول الأخطل التغلبي: [الكامل]

لَا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ خُطْبَةٌ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ أَصِيلَا
إِنَّ الكَلامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ على الفُؤَادِ دَلِيلَا

وثالثها: كل ما تحصل به الفائدة، سواء أكان ما حصلت به لفظاً، أو خطاً، أو إشارةً، أو دلالةَ حالٍ. انظر إلى قول العرب: (القَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ)، وانظر إلى تسمية المسلمين ما بين دَفَّتَي المُصْحَفِ: (كَلَام الله)، ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، وقال جل شأنه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، وإلى كلمته جلَّت حكمته: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾، ثم انظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة الذي نفى الكلام اللفظي عن محبوبته، وأثبت لعينها القول، وذلك في قوله: [الطويل]

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً وَأَهلاً وسَهْلاً بالْحَبِيبِ الْمُتَيَّمِ

ثم انظر إلى قول نصيب بن رباح: [الطويل]

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى الله. ﴿اخْسَئُوا﴾: أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُكَلِّمُونِ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة المدلول عليها بالكسرة مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وهو ضمير الشأن؛ لأنه لا يعود إلى مذكور. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿فَرِيقٌ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿مِّنْ عِبَادِي﴾: متعلقان بـ: (فريق) أو بمحذوف صفة له، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ءَامَنَّا﴾: ماض مبني على السكون، و(نا): فاعله، ومتعلقه محذوف. انظر الشرح، والجملة الفعلية والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ...﴾ إلخ تعليل للأمر، وللنهي. هذا؛ وقرئ بفتح همزة (أن) وعليه فتؤول مع اسمها وخبرها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأنه... إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿تُكَلِّمُونِ﴾.

﴿فَاغْفِرْ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يرى صحة عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة. (اغفر): فعل دعاء، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، تقديره: ذنوبنا. ﴿لَنَا﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً منا؛ فاغفر لنا... إلخ، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَارْحَمْنَا﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها. ﴿وَأَنتَ﴾: الواو: واو الحال. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿الرَّحِمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره

الياء. . .إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر بالفعل: (ارحمنا)، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾

الشرح: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾: فجعلتموهم هزءاً، وسخريةً تسخرون منهم. هذا؛ ويقرأ بكسر السين، وضمها هنا، وفي سورة ص رقم [٦٣]. قال النحاس: وفرّق أبو عمرو بينهما، فجعل المكسورة من جهة التهزؤ، والمضمومة من جهة السخرة، ولا يعرف هذا التفريق الخليل، ولا سيبويه، ولا الكسائي، ولا الفراء. قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد، كما يقال: عِصِيّ وعُصِيّ، ولِجيّ ولُجِيّ. وحكى الثعلبي عن الكسائي، والفراء الفرق الذي ذكره أبو عمرو، وأن الكسر بمعنى الاستهزاء، والسخرية بالقول، والضم بمعنى التسخير، والاستعباد بالفعل. وقال المبرد: إنما يؤخذ التفريق بين المعاني عن العرب، وأما التأويل فلا يكون، والكسر في سخري في المعنيين جميعاً؛ لأن الضمة تستثقل في مثل هذا. انتهى. قرطبي. هذا؛ وسخرياً على اللغتين مصدر «سخر»، زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة.

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ أي: أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري؛ أي: توحيدي، والإيمان بي، فلم تخافوني، ولم تحفظوا كرامة أوليائي. ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾: استهزاءً بهم، وأضاف سبحانه الإنساء إلى المؤمنين؛ لأنهم كانوا سبباً لاشتغالهم عن ذكره، وتعدي شؤم استهزائهم بالمؤمنين إلى استيلاء الكفر على قلوبهم.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ وينظر إلى معنى هذا قوله تعالى في آخر المطففين: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ إلى آخر السورة، ويستفاد من هذا: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين، والاحتقار لهم، والإزراء عليهم، والاشتغال بهم فيما لا يعني، وأن ذلك مُبعد من الله، عز وجل. انتهى.

أقول: فإذا كان هذا في حق الكفار الذين كانوا يسخرون بالمؤمنين؛ فالمسلمون أحق بهذا الوعيد والتهديد؛ إذا كانوا يسخرون بإخوانهم المؤمنين، وقد وردت أحاديث كثيرة تشدد النكير على الذين يهزؤون بالناس، فعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المستهزئينَ بالناس يُفْتَحُ لأحدِهم في الآخرةِ بَابٌ إلى الْجَنَّةِ، فيُقَالُ لَهُ: هَلُمَّ! فيجيءُ بكَرْبِهِ، وَغَمِّهِ، فإذا جاءَهُ؛ أُغْلِقَ دُونَهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ له بابٌ آخَرُ، فيقالُ لَهُ: هَلُم! فيجيءُ بكربِهِ، وَغمِّه، فإذَا جاءَهُ أُغْلِقَ دُونَهُ، فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حتَّى إنَّ أَحَدَهُم لَيُفْتَحُ لَهُ البابُ مِنْ أبوابِ الجنةِ، فيقالُ لَهُ: هَلُمَّ فما يَأْتِيه مِنَ الإياسِ**». رواه البيهقي مرسلاً، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلِمُ أخُو الْمُسْلِمِ، لا يظلمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوى هاهُنَا، التقوى هاهُنَا،**

التقوى هَاهُنَا (ويشيرُ إلى صَدْرِهِ) بحسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أن يَحْقِرَ أخاهُ المسلمَ. كلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وعِرْضُهُ وَمَالُهُ». رواه مسلم وغيره، وقال تعالى في سورة (الحجرات): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾.

الإعراب: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (اتخذتموهم): ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به أول. ﴿سِخْرِيًّا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ...﴾ إلخ، وقد قال الجمل: هي محط التعليل؛ أي: للنهي عن الكلام. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿أَنسَوْكُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والكاف مفعول به أول. ﴿ذِكْرِى﴾: مفعول به ثان أوصل الفعل إليه همزة التعدية، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، و«أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ والفعل (أنسوكم) في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. هذا؛ ويعتبر الجرجاوي في إعرابه لشواهد ابن عقيل ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في مثل ذلك حرف ابتداء، والمعنى على ما جريت عليه في الإعراب. تأمل. (كنتم): ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، وجملة: (تضحكون منهم) في محل نصب خبر (كان)، وجملة ﴿وَكُنتُم...﴾ إلخ معطوفة على جملة (اتخذتموهم...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ أي: على أذاكم، واستهزائكم بهم، وصبروا على طاعتي، وانظر (الصبر) في الآية رقم [٨٥] من سورة (الأنبياء). ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أي: بجميع مراداتهم في جنة عرضها السموات والأرض. هذا؛ وإعلال (فائز) مثل إعلال (قائم) في الآية رقم [٢٦] من سورة (الحج).

هذا؛ و(الجزاء) و(المجازاة): المكافأة على عمل ما، تكون في الخير، وتكون في الشر، فمن الأول ما في الآية الكريمة، وقوله تعالى في سورة (الرحمن): ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ والثاني مثل قوله تعالى في آيات كثيرة بعد أن يذكر عذاب الكافرين، والظالمين: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذا؛ والفعل جزى، يجزي ينصب مفعولين.

الإعراب: ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾: فعل، وفاعل ومفعوله الأول، والثاني محذوف، التقدير: جزيتهم النعيم المقيم. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف متعلق بما

قبله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية لا غير. ﴿صَبَرُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، و(ما) والفعل ﴿صَبَرُوٓاْ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بالباء، التقدير: بصبرهم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. (إِنَّهم)(١): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿هُمُ﴾: توكيد لاسم (إنَّ) على المحل، أو هو ضمير فصل لا محل له من الإعراب. ﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿هُمُ﴾ مبتدأ؛ ف: ﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿أَنَّهُمْ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ ويقرأ بفتح همزة ﴿أَنَّهُمْ﴾(٢)، وعليه فهي تؤول مع اسمها وخبرها بمصدر، وفي هذا المصدر وجهان: أحدهما هو في محل نصب مفعول ثان للفعل (جزي)، وثانيهما هو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأنهم، أو لأنهم، فيبقى المفعول الثاني لجزي محذوفاً، كما رأيت تقديره، ولعلك تدرك معي: أن الآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول الله تعالى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾: أقمتم، ومكثتم، وبابه: فهم، وله مصادر كثيرة. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أحياء على ظهرها، أو أمواتاً في جوفها في القبور. ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ أي: كم سنة لبثتم في الأرض؟ وانظر الآية رقم [٢٥] من سورة (الكهف) فالبحث فيها جيد، وهذا السؤال للمشركين في النار، أو في عَرَصَاتِ القيامة.

تنبيه: الغرض من السؤال التبكيت والتوبيخ؛ لأنهم كانوا ينكرون اللبث في الآخرة أصلاً، ولا يعدون اللبث إلا في دار الدنيا، ويظنون أن بعد الموت يدوم الفناء، ولا إعادة، فلما حصلوا في النار، وأيقنوا دوامهم وخلودهم فيها؛ سألهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ منبهاً لهم على ما ظنوه دائماً طويلاً، وهو يسير بالإضافة إلى ما أنكروه، فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث تيقنوا خلافه، وهذا هو الغرض من السؤال. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

الإعراب: ﴿قَٰلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الله، أو إلى الملك المأمور بسؤالهم، ويقرأ بلفظ الأمر: (قل) للملك، أو لبعض رؤساء أهل النار. ﴿كَمْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالفعل بعده، وتمييزه محذوف، أي: كم سنة لبثتم؟ ﴿لَبِثْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب

---

(١) وهذه قراءة حمزة، والكسائي.

(٢) وهي قراءة الباقين.

مقول القول. ﴿عَدَدَ﴾: بدل من ﴿كَمْ﴾. ﴿سِنِينَ﴾: بدل من عدد منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، هذا الإعراب منقول عن أبي البقاء، وقال الجمل: ﴿عَدَدَ﴾: تمييز لـ: ﴿كَمْ﴾، و﴿عَدَدَ﴾ مضاف، و﴿سِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، والمعنى: لبثتم كم عدداً من السنين. انتهى. وبقول الجمل قال البيضاوي، والنسفي، ومكي، والجلال، وغيرهم وهو أخصر، وأفهم، وأولى، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أي: أقمنا، ومكثنا على وجه الأرض أحياء، أو في جوفها أمواتاً يوماً، أو بعض يوم، نصفه، أو ثلثه. . .إلخ استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار، أو لأنها كانت أيام سرورهم، وأيام السرور قصار، قال الشاعر: [الكامل]

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ وَطِوالُهُنَّ مَعَ السُّرورِ قِصَارُ

أو لأنها منقضية، والمنقضي في حكم المعدوم. وقيل: لأن العذاب رفع عنهم بين النفختين، فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم، وهو فحوى قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي: اسأل الحُسَّاب الذين يعرفون ذلك، أو الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها، فإنا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها، وإحصائها. أو اسأل الملائكة الذين يعدون أعمار الناس، ويحصون أعمالهم، الأول قول قتادة، والثاني قول مجاهد. هذا؛ وقرئ: (العَادِين) بتخفيف الدال؛ أي: الظالمين، فإنهم يقولون ما نقول، أو المعنى: اسأل العاديين، أي: المتقدمين المعمرين الذين عاشوا مئات السنين، كقولك: هذه بئر عادية، أي: قديمة، وحذف إحدى يائي النسب، كما قالوا: الأشعرون، وحذفت الأخرى لالتقاء الساكنين، كما رأيت في ﴿عَالِينَ﴾ رقم [٤٦].

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، وانظر الآية رقم [٢٧] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. ﴿لَبِثْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب (نذرت) في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) أيضاً. ﴿يَوْمًا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. ﴿بَعْضَ﴾: ظرف زمان معطوف على ما قبله، وهو مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿فَسْـَٔلِ﴾: الفاء: الفصيحة، وانظر مثلها في الآية رقم [١١٠] (اسأل): ويقرأ بحذف الهمزة فهو أمر على القراءتين، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة الفعلية: ﴿لَبِثْنَا...﴾ إلخ والمعطوفة عليها كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤﴾

الشرح: ﴿قَـٰلَ﴾: ويقرأ: (قل) كما في الآية رقم [١١٤]. ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ أي: ما لبثتم إلا زماناً قليلاً، أو لبثاً قليلاً، فقد سماه الله قليلاً؛ لأن الإنسان، وإن طال مكثه، ولبثه في الدنيا، فإنه يكون قليلاً في جنب ما يلبث في الآخرة؛ لأن الأول ينتهي، والثاني لا ينتهي أبداً. ﴿لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: صدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا، أي: لو علمتم عدد سني مكثكم في الدنيا، وعدد سني مكثكم في الآخرة، بل في النار لعلمتم علم اليقين: أن الأول لا يكاد يذكر بجانب الثاني؛ لأن الأول انقضى وانتهى، وأما الثاني فلا انقضاء له، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَـٰلَ﴾: ماض، أو أمر على نحو ما رأيت في الآية رقم [١١٤]. ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿لَّبِثۡتُمۡ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلٗاۖ﴾: صفة زمان محذوف، أو صفة مفعول مطلق محذوف، انظر الشرح. ﴿لَّوۡ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّكُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿كُنتُمۡ﴾: ماض ناقص، والتاء اسمه. ﴿تَعۡلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: تعلمون مقدار لبثكم في الدارين، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، هو شرط ﴿لَّوۡ﴾ عند المبرد، التقدير: لو حصل علمكم ونحو ذلك. وقال سيبويه ـ رحمهم الله جميعاً ـ: هو في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو علمكم حاصل، أو واقع. وقول المبرد هو المرجح؛ لأن ﴿لَّوۡ﴾، لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر على قول المبرد وفاعله المؤول جملة فعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، التقدير: لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم. . .لعلمتم يومئذ قلة لبثكم في الدنيا، كما علمتم اليوم، أو لعملتم بموجبه، ولم تركنوا إلى الدنيا، أو لما أجبتم بهذا الجواب، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾

الشرح: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ أي: مهملين كما خلقت البهائم، لا ثواب لها، ولا عقاب عليها، مثل قوله تعالى في الآية رقم [٣٦] من سورة (القيامة): ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ أي: هملاً كالبهائم، بل خلقناكم للتكليف، ثم للرجوع من دار التكليف، إلى دار الجزاء، فنثيب المحسن، ونعاقب المسيء، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ...﴾ إلخ من سورة (الذاريات).

قال الترمذي الحكيم رحمه الله تعالى: (إن الله خلق الخلق عبيداً ليعبدوه، فيثيبهم على العبادة، ويعاقبهم على تركها، فإن عبدوه فهم اليوم له عبيد أحرار كرام من رق الدنيا، ملوك في دار الإسلام، وإن رفضوا العبودية لله فهم اليوم عبيدٌ أبَّاقٌ، سُقَّاطٌ، لئامٌ، وغداً أعداء في السجون بين أطباق النيران). انتهى. قرطبي. هذا؛ ويقرأ: ﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمجهول فيكون متعدياً، ويقرأ بالبناء للمعلوم، فيكون لازماً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

روى البغوي بسنده عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً مصاباً مُرَّ به على ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، فرقاه في أذنه ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ...﴾ إلخ حتى ختم السورة، فبرأ، فقال رسول الله ﷺ: **بِمَاذَا رَقَيْتَ في أُذُنِهِ؟»**. فأخبره. فقال رسول الله ﷺ: **«والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رَجُلاً مُوقِناً قَرأَها على الجبلِ لَزَلَّ»**. انتهى خازن. ومعنى لزل: لتحرك من مكانه، ويروى (لزال) من الزوال، وهو الذهاب.

الإعراب: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. الفاء: حرف استئناف، أو هي حرف عطف على محذوف، انظر تفصيل ذلك في سورة (الأنبياء) رقم [٣٠] (حسبتم): فعل، وفاعل. ﴿أَنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة، وتبقى مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل نصب سد مسد مفعولي حسب. ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والميم علامة جمع الذكور. ﴿عَبَثًا﴾: مصدر فهو حال بمعنى: عابثين، أو هو مفعول لأجله، أي: لأجل العبث. ﴿وَأَنَّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (أنكم): حرف مشبه، والكاف اسمها. ﴿إِلَيْنَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، أو نائب فاعله حسبما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر معطوف على المصدر المؤول من: ﴿أَنَّمَا...﴾ إلخ فيكون الحسبان منسحباً عليه، ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿عَبَثًا﴾. هذا؛ والكلام ﴿أَفَحَسِبْتُمْ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول.

﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ﴾ أي: تنزه، وتقدس عن الأولاد، والشركاء، والأنداد، وعن أن يخلق شيئاً عبثاً، أو لعباً؛ لأنه الحكيم. ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الذي يحق له الملك مطلقاً، فإن من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه، وفي حال دون حال. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: فهو الواحد، الأحد، الفرد، الصمد؛ الذي يستحق العبودية، وما عداه عبيد له مملوكون في قبضته. ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾: مالكه، وهو الذي خلقه. ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ أي: الحسن، وقيل: الرفيع المرتفع، وقال البيضاوي: الذي يحيط بالأجرام، وتنزل منه محكمات الأقضية، والأحكام، ولذلك وصفه بالكريم، أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين، وإنما خص ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ بالذكر؛ لأنه أعظم المخلوقات. هذا؛ وقرئ برفعه على أنه تابع للفظ الجلالة.

الإعراب: ﴿فَتَعَٰلَى﴾: الفاء: حرف استئناف. (تعالى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾: بدل مما قبله، أو عطف بيان عليه. ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: بدل ثان، أو عطف بيان أيضاً، وبعضهم يعتبرهما صفتين للجلالة، والمعتمد ما ذكرته. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع، وفيه ثلاثة أوجه: الأول: كونه بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. والثاني: كونه بدلاً من ﴿لَآ﴾ وما عملت فيه؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء. والثالث: كونه بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف. وهو الأقوى.

﴿رَبُّ﴾: يجوز فيه أربعة أوجه: أحدها: أن يكون بدلاً من ﴿هُوَ﴾ بدل ظاهر من مضمر. الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هو رب. وحسن حذفه توالي اللفظ بـ: ﴿هُوَ﴾ مرتين. الثالث: أن يكون بدلاً ثالثاً من لفظ الجلالة، أو عطف بيان عليه. الرابع: أن يكون صفة للضمير، وذلك عند الكسائي، فإنه يجيز وصف الضمير الغائب بصفة مدح، فهو يشترط هذين الشرطين: أن يكون الضمير غائباً، وأن تكون الصفة صفة مدح. و﴿رَبُّ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلۡكَرِيمِ﴾: صفة ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ وعلى قراءته بالرفع فمن وجهين: أحدهما أنه نعت لـ: ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ أيضاً، ولكنه قطع عن إعرابه لأجل المدح على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الكريم، وهذا جيد لتوافق القراءتين في المعنى، والثاني كونه نعتاً لـ: ﴿رَبُّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط، والجملة الفعلية: ﴿فَتَعَٰلَى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: يعبده وحده، أو يتخذه شريكاً لله. ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾: لا حجة له باتخاذه إلهاً. ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾: جزاؤه، وعقابه عند خالقه، فهو مجازيه عليه لا محالة. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ أي: لا يسعد من جحد، وكذب بالله، وآياته، ورسله. هذا؛ وقد جعل سبحانه، وتعالى فاتحة السورة: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ وخاتمتها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.

هذا؛ ويقرأ (لا يَفْلَحُ) بفتح الياء واللام من الثلاثي، وقراءة الجمهور بضم الياء وكسر اللام من «أفلح» الرباعي، وإعلاله كما يلي: فأصله يُؤَفْلِح، فحذفت الهمزة للتخفيف حملاً على المبدوء بهمزة المضارعة، مثل أُؤَفْلِح، الذي حذفت همزته الثانية للتخلص من ثقل الهمزتين،

فصار: يفلح. وهذا الإعلال يجري في كل فعل ثلاثي مزيدة الهمزة في أوله للتعدية، مثل: أجاب، يجيب، وأكرم، يكرم، ونحو ذلك، كما حذفت الهمزة الثانية من (يؤمنون)؛ لأن ماضيه: آمن، وأصله: أأْمَن، والمضارع: يُؤَأْمِنُ أُؤْمِن، فتحذف من الأول، وتسهل في الثاني، وقد يجيء على القياس، وهو الأصل المهجور، كما في قول أبي حيان الفقعسي: [الرجز]

فَــإنَّــــهُ أَهــــلٌ لأنْ يُــــؤَكْــــرَمَــــا

ولا تنس: أن الهمزة المزيدة هذه تحذف من اسمي الفاعل، والمفعول المأخوذين من الفعل الثلاثي المزيدة فيه الهمزة، وذلك مثل: مكرِم، ومكرَم، والقياس: مُؤَكْرِم، ومُؤَكْرَم، وقس على ذلك. تنبه لهذا؛ واحفظه، والله ولي التوفيق.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَدْعُ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو». ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿مَعَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَـٰهًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة له. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿بُرْهَـٰنَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر ﴿لَا﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف الذي هو متعلق ﴿لَهُۥ﴾ قبله، أو بمحذوف خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ في محل نصب صفة ثانية لـ: ﴿إِلَـٰهًا﴾ لازمة له، فإن الباطل لا برهانَ به جيء بها للتأكيد، أو هي معترضة بين فعل الشرط، وجوابه.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنما): كافة، ومكفوفة. ﴿حِسَابُهُۥ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِۦٓ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: هو جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يَدْعُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وهو ضمير الشأن، والأمر. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُفْلِحُ﴾: مضارع. ﴿ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ ويقرأ بفتح الهمزة، وعليه فـ: (أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر

محذوف، التقدير: بأنه، وهذا الجار، والمجرور متعلقان بـ: ﴿حِسَابُهُۥ﴾، وقال الزمخشري، وتبعه البيضاوي: إن المصدر المؤول في محل رفع خبر المبتدأ، التقدير: فإنما حسابه عدم الفلاح، وهذا يعني: أنه خبر بعد خبرٍ.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾

الشرح: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، أمره ربه أن يتوجه إليه بخاتمة هذه السورة الكريمة بطلب المغفرة، والرحمة، وهما خير ما يسأل، ويطلب، ولم يأمره أن يتوجه إليه بطلب الدنيا وزينتها؛ لأنها لا بقاء لها، فقد روي: أن أول هذه السورة، وآخرها من كنوز الجنة، ومن عمل بثلاث آيات من أولها، واتعظ بأربع آيات من آخرها؛ فقد نجا وأفلح.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: إنما كان ذلك كذلك؛ لأن رحمته ـ جَلَّت قدرته ـ إذا أدركت أحداً؛ أغنته عن رحمة غيره، ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته تعالى، فهذه الآية مسك الختام لهذه السورة الكريمة، والحمد لله ربِّ العالمين.

الإعراب: ﴿وَقُل﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (قل): أمر، وفاعله مستتر فيه. ﴿رَّبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، وانظر ما فيه من أوجه الإعراب في: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٣] ﴿ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾: فعلا دعاء مبنيان على السكون، وفاعلهما ضمير مستتر فيهما، ومفعولاهما محذوفان؛ إذ التقدير: اغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا، والجملتان مع الجملة الندائية الجميع في محل نصب مقول القول. ﴿وَأَنتَ﴾: الواو: واو الحال. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿وَقُل...﴾ إلخ معطوفة على جملة مقدرة قبلها، التقدير: احْمَدِ الله، واشكره، وقل... إلخ، أو هي مستأنفة، لا محل لها، وعلى التقدير الأول الكلام مستأنف، لا محل له. تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

انتهت سورة المؤمنون شرحاً وإعراباً

بعونه تعالى وتوفيقه، والحمد لله رب العالمين.

سورة النور

سورة (النور)، وهي مدنية بالإجماع، وهي اثنتان، وقيل: أربع وستون آية. قال القرطبي: مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف، والسِّتر. وكتب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى أهل الكوفة: علموا نساءكم سورة (النور). وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لا تُنزلوا النساء الغُرَف، ولا تعلموهنّ الكتابة، وعلموهنّ سورة النور، والغَزْل. انتهى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ①﴾

الشرح: ﴿سُورَةٌ﴾: هي الطائفة من القرآن، التي أقلها ثلاث آيات، منقولة، ومستعارة من سور المدينة؛ لأنها محيطة بطائفة من القرآن، كالتي نحن بصدد شرحها، محتويةً على أنواع من العلم، احْتِوَاءَ سور المدينة على ما فيها، أو من السَّوْرَة، وهي الرتبة؛ لأن السُّوَر كالمراتب، والمنازل يرتقي فيها القارئ، ولها مراتب في الطول، والقصر، والفضل، والشرف، وثواب القراءة، قال النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَعْطَاكَ سَوْرَةً ... تَرى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

والحكم في تفصيل القرآن، وتقطيعه سوراً كثيرةٌ: منها: أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع، واشتمل على أصناف؛ كان أحسن من أن يكون بياناً واحداً. ومنها: أن القارئ إذا ختم سورة، ثم أخذ في أخرى؛ كان أنشط له، وأبعث على القراءة منه لو استمر على القرآن بطوله، ومِنْ ثَمَّ جزّأ القراء القرآن أسباعاً، وأجزاءً، وعشوراً، وأخماساً. ومنها: أن الحافظ إذا حفظ سورةً اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها، ولها فاتحةٌ وخاتمةٌ، فيعظم عنده ما حفظه، ويجل في نفسه، ومنه قول أنس ـ رضي الله عنه ـ: (كَانَ الرَّجُلُ إذَا قَرَأَ البقرةَ وآلَ عمْرَانَ جَلَّ فينا). أي: عظم ولذا أنزل الله التوراة، والإنجيل، وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة مترجمةَ السُّور. وبَوَّب المصنفون في كل فن من كتبهم أبواباً موشحةَ الصدور بالتراجم. انتهى. نسفي في سورة (البقرة) آية [٣٢] بتصرف كبير مني.

﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾ أي: نزل بها عليك جبريل يا محمد مفرقة منجمة، وهو بمعنى: نزلنا، والفرق بين الفعلين: أن أنزل يفيد: أن القرآن، أو السورة نزل دفعة واحدة، وأما نَزَّل فيفيد: أن القرآن نزل

مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع، ومقتضيات الأحوال على ما نرى عليه أهل الشعر والخطابة، وهذا مما يريب القرشيين كما حكى سبحانه وتعالى ذلك عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ فبين سبحانه الحكمة من ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ سورة (الفرقان) رقم [٣٢].

(فرضناها) أي: فرضنا عليكم، وعلى من بعدكم ما فيها من الأحكام. ويقرأ بتشديد الراء؛ أي: أنزلنا فيها فرائض مختلفة، أو للمبالغة في إيجاب أحكامها، أو المعنى: قطعناها في الإنزال نَجْماً نَجْماً، والفرض: القطع، ومنه فرائض الميراث، وفرض النفقة. ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات الدلالة، وانظر شرح (آية) في (الأنبياء) رقم [٥]. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون فتنتفعون بذلك، وأصل الفعل: تتذكرون، فحذفت إحدى التاءين للتخفيف، وهو كثير في القرآن الكريم، ويقرأ بتسكين الذال. هذا؛ والترجي في هذه الآية، وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترجٍّ، ورجاءٌ لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الإعراب: ﴿سُورَةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هذه سورة، أو هو مبتدأ خبره محذوف، التقدير: فيما أوحينا إليك سورة، وقال أبو عبيدة، والأخفش: مبتدأ خبره الجملة الفعلية بعده، وهو ضعيف جداً؛ لأنه نكرة، ولا يجوز الابتداء بالنكرة، وأضعف منه اعتبار (سورة) مبتدأ، والجملة بعده صفة له، والخبر في قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى...﴾ إلخ. هذا؛ ويقرأ: (سُورَةً) بالنصب فعلى اعتبارين: الأول: أنه منصوب بفعل محذوف، تقديره: اتْلُ سُورَةً. والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف، يفسره ما بعده، أي: أنزلنا سورة، ومثل ذلك قول الربيع بن ضبيع بن وهب: [المنسرح]

وَالذِّئْبَ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وحْدِي، وأخشَى الرِّيَاحَ والمَطَرَا

وقول الفراء: هو حال من الضمير المنصوب بعده، لا وجه له ألبتة، ومثله قول الزمخشري هو منصوب على الإغراء، التقدير: دونك سورة، ولا تنس: أن قراءة النصب ليست سبعية. ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صفة ﴿سُورَةٌ﴾ على جميع الوجوه المعتبرة في إعرابه، ما عدا وجه الاشتغال، فهي مفسرة للفعل المقدر بـ: «أنزلنا»، والجملتان: (فرضناها، وأنزلنا فيها) معطوفتان عليها. ﴿ءَايَٰتٍۭ﴾: مفعول به. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: صفة له، وكلاهما منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية: ﴿لَّعَلَّكُمْ...﴾ إلخ تعليل للإنزال وللفرض. وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له ألبتة.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾: لفظ الزنى مستعمل في اللغة قبل الشرع، مثل اسم السرقة، والقتل، وهو اسم لوطء الرجل امرأة في فرجها من غير نكاح، ولا شبهة نكاح بمطاوعتها. وإنما قدم سبحانه الزانية؛ لأن الزنى يكون في الأغلب بتعرضها للرجل، وعرض نفسها عليه، ولأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها. وقيل: لأن الزنى في النساء أَعَرُّ، وهو لأجل الحبل أضرُّ. وقيل: لأن الشهوة في المرأة أكثر، وعليها أغلب، فصدَّرها تغليظاً لتردع شهوتها، وإن كانت قد رُكِّب فيها حياء أكثر من الرجل، لكنها إذا زنت ذهب الحياء كله، وأيضاً فإن العار بالنساء ألحق؛ إذ موضوعهن الحجب والصيانة، فقدم ذكرهن تغليظاً واهتماماً، وهذا بخلاف حد السرقة حيث قدم جلت قدرته السارق على السارقة؛ لأن السرقة إنما تتولد من الجسارة، والقوة، والجراءة، وهي في الرجل أقوى، وأكثر. وهذه الآية ناسخة لآية الحبس، وآية الأذى اللتين في سورة (النساء) برقم [١٥ و١٦]. هذا؛ والزنى بالمد والقصر، قال الفرزدق: [الطويل]

يا خَالِدُ مَنْ يَزنِ يُعْلَمْ زناؤُهُ وَمَنْ يَشربِ الخرطومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرا

قال الفراء: المقصور من: زنى، والممدود من: زانى، يقال: زاناها مزاناة، وزناءً، وخرجت فلانة تزاني، وتباغي، وقد زنى بها، يزني زُناء، وزنىً.

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا﴾: هذا حد الزاني الحر، البالغ، البكر، العاقل، وكذلك الزانية البالغة، العاقلة، البكر، الحرة. وثبت بالسنة تغريب عام على الخلاف في ذلك بين الفقهاء. هذا؛ والسوط الذي يضرب به كل واحد منهما يكون وسطاً بين سَوْطَيْنِ، لا شديداً، ولا ليِّناً، ويجرَّد من الثياب مع إبقاء ساتر للعورة عليه، ويجتنب في الضرب المقاتل، ويكون الضرب غير مبرح ضرباً بين ضربين. هذا؛ والمخاطب بذلك ولاة الأمور، وقيل: الخطاب للمسلمين؛ لأن إقامة مراسم الدين واجبة على المسلمين، ثم الحاكم ينوب عنهم؛ إذ لا يمكنهم الاجتماع على إقامة الحدود. ولا بد لإقامة الحد المذكور من شهادة أربعة يشهدون: أنهم رأوا الميل بالمكحلة، أو بالإقرار من الزانِيَيْنِ، أو من أحدهما، كما ستعرفه، واختلفوا فيما يجب على الرجل يوجد مع المرأة في ثوب واحد، أو لحاف واحد، فالمتفق عليه التعزير للرجل، والمرأة، وله درجات متفاوتة عند الفقهاء، لا تبلغ الحد المقرر الثابت بالشهادة المذكورة، مع ملاحظة التلويث لشرفهما، وشرف أسرتهما.

هذا؛ وأما حدُّ الزانيين المحصنين، أو حدُّ أحدهما؛ فهو الرجم بالحجارة حتى يموت. والمراد بالإحصان التزوج بعقد صحيح، ودليل حدِّ الرجم ما يلي: فعن عبادة بن الصامت

ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه حُكْمٌ كَرُبَ لذلك، وتَرَبَّدَ وجهُهُ، فَأَنزل الله عليه ذاتَ يَوْمٍ، فَلُقِيَ كذلك، فلما سُرِّي عنه، قال: «**خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ الله لهنَّ سَبيلاً: الْبِكْرُ بالْبكرِ جَلْدُ مئةٍ، ونفيُ سَنَةٍ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ الرَّجْمُ**». رواه مسلم، والمراد بقوله ﷺ: «**قد جعل الله لَهُنَّ سبيلاً**». هو المذكور في الآية رقم [١٥] من سورة (النساء)، وكذلك الآية الكريمة المنسوخ تلاوتها، الباقي حكمُها، إلى يوم القيامة، ونصها: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم). وهذه الآية كانت من سورة (الأحزاب).

ولقد خطب سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على المنبر، فقال: (أيها الناسُ، إنَّ الله بعثَ محمداً ﷺ بالحقِّ، وأنزلَ عليه كتاباً هَادياً للنَّاسِ، بشيراً ونذيراً، وكان فيما أُنزِلَ عَلَيْهِ: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم) فقرأناها، ووعيْنَاهَا. ثم قال: إني خَشيتُ أن يطولَ بالناسِ زَمانٌ، فيقولَ قائلٌ: لا نجدُ الرَّجْمَ في كتابِ الله، فَيَضلُّوا بتركِ فريضةٍ أنزلها الله، أَلَا وإنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ لِمَنْ زَنَى؛ وَقَدْ أُحْصِنَ).

وعن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ: أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ، وهي حبلى من الزنى، فقالت: يا رسول الله! أصبتُ حداً، فأقمهُ عليَّ! فدعا نبي الله ﷺ وليها، فقال: «**أحسِنْ إليهَا، فإذَا وضعتْ فائتني بها**». ففعلَ، فأمر بها نبيُّ الله ﷺ، فشدت عليها ثيابها، ثم أمر بها، فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: تصلي عليها يا رسول الله! وقد زنتْ؟! قال: «**لقد تابتْ توبةً، لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل**». رواه مسلم.

وقد أيد ذلك قول الرسول ﷺ وفعله، فقد ثبت: أنه رجم ماعزاً، والغامِديَّة في حديث صحيح حينما اعترفا بالزنى. وورد في الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن أعرابيين جاءا إلى رسول الله ﷺ، ومع أحدهما ولدُهُ، فقال الوالدُ: يا رسول الله! إن ولدي هذا زنَى في زوْجتِهِ، وأشار إلى الأعرابيِّ الذي معه، فسُقْتُ للأعرابيّ مئَة شاةٍ وجاريةً كفارةً لوَلَدِي. فقال رسول الله ﷺ: «**رُدَّ الشياهَ، وأرْجعِ الجاريةَ، ولا بُدَّ مِنْ جلدِ ولدكَ مِئَة جَلْدةٍ، وَأنْ يُغَرَّبَ عاماً ويُنْفَى**». ثم قال ﷺ لأحد أَصْحابِهِ: «**اذهبْ مع هذا الأعرابيّ، واسْأَل المرأةَ، فإنْ أَقَرَّتْ بالزِّنَى فَاحْفِرُوا لها حُفْرَةً، وارْجموها حتى تموتَ، وإنْ لَمْ تُقِرَّ فلا سبيلَ لكم عليها**». ولكن المرأةُ أَقَرَّتْ بالزِّنَى، فرُجِمَتْ حتَّى فاضَتْ روحُهَا، وكانَ ذَلِكَ كفارةً لِذَنْبِهَا. رحمها الله تعالى.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾: رحمة، وقيل: الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في إيصال المحبوب، والرأفة أرق من الرحمة، والمعنى: أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله، ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده، فيعطلوا الحدود، أو يخففوا الضرب. وفي ﴿رَأْفَةٌ﴾ أربع قراءات. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَحَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ**

لأَهْلِ الأرْضِ مِنْ أنْ يُمْطَرُوا ثَلاثِينَ صَبَاحاً». وفي رواية: «**أرْبَعِينَ صَبَاحاً**». رواه النسائي هكذا مرفوعاً في الرواية الأولى، وموقوفاً في الثانية، ورواه ابن ماجه مرفوعاً في الأولى، ورواه ابن حبان في الأولى باختصار، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَوْمٌ مِنْ إمَامٍ عَادِلٍ أفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً، وَحدٌّ يُقَامُ في الأرْضِ بِحَقِّهِ أزْكى فِيهَا مِنْ مَطَرِ أربعين عاماً**». رواه الطبراني. وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أقِيمُوا حُدُودَ الله في القَرِيبِ والبَعيدِ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ في الله لَومَةُ لَائِمٍ**». رواه ابن ماجه.

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: في حكم الله، وطاعته، وإقامة حدوده؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ في حديث المخزومية التي سرقت: «**وَايم الله لَوْ أنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**». رواه الستة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ. ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: فإن الإيمان يقتضي الجدَّ في طاعة الله، والاجتهاد في إقامة حدوده، وتنفيذ أحكامه. وهو من باب التهييج، وإلهاب الغضب لله تعالى، ولتنفيذ أوامره.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يحضر إقامة الحد عليهما جمع من المؤمنين، أقله ثلاثة، وذلك زيادة في التنكيل، فإن التفضيح، والتشهير قد ينكل أكثر ما ينكل التعذيب، وأيضاً فيه ردع لمن حضره، وزجر لمن سمع به، وهذا لا ريب فيه.

تنبيه: بالإضافة لما ذكرته من أحاديث في الآية رقم [٣٢] من سورة (الإسراء) أذكر هنا ما يلي: عن حذيفة ـ رضي الله عنه: ـ أن النبي ﷺ قال: «**يَا مَعَاشِرَ النَّاسِ اتَّقُوا الزِّنَى، فَإنَّ فيهِ سِتَّ خِصَالٍ، ثَلَاثاً في الدُّنْيا، وَثَلَاثاً في الآخرةِ، فَأمَّا اللَّوَاتِي في الدُّنْيَا: فَيُذْهِبُ الْبَهَاءَ، وَيُورِثُ الْفَقْرَ، وَيُنْقِصُ الْعُمُرَ. وَأَمَّا اللَّواتي في الآخِرَةِ: فَيُوجِبُ السُّخْطَ، وسُوءَ الحسابِ، والخلودَ في النارِ**». وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أَعمَالَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ في كلِّ جمعةٍ مرَّتَيْنِ فَاشْتَدَّ غضبُ الله على الزُّناةِ**». وعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ السمواتِ السَّبْعَ، والأرَضِينَ السَّبْعَ لَيَلْعَنَّ الشَّيْخَ الزَّانِيَ، وإنَّ فُرُوجَ الزُّناةِ لَيُؤْذِي أَهْلَ النارِ نَتْنُ رِيحِهَا**». والمراد بالشيخ: من تجاوز الأربعين من عمره، وهذا الوعيد يشمل الذكر، والأنثى على السواء.

الإعراب: ﴿ٱلزَّانِيَةُ﴾: مبتدأ. ﴿وَٱلزَّانِى﴾: معطوف على المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وفي الخبر وجهان: أحدهما: محذوف، وهو قول سيبويه، التقدير: فيما يتلى عليكم، أو فيما فرض عليكم حكم الزانية، فقد حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وعند المبرد الخبر هو جملة: ﴿فَٱجْلِدُوا۟﴾ وهو موافق للكوفيين في هذا، ودخلت الفاء في الخبر زائدة؛ لأن الكلام في معنى الشرط التقدير: التي تزني؛ والذي يزني فاجلدوا... إلخ. هذا؛ وقد قرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره المذكور، وهذا هو المختار في أمثاله؛ لأن الخبر لا يكون إنشاء إلا بإضمار، وتأويل. هذا؛ ومثل هذه الآية في أوجه الإعراب الآية رقم [٣٨] من

سورة (المائدة)، والآية رقم [١٥] من سورة (النساء). (اجلدوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة على قول سيبويه، وفي محل رفع خبر المبتدأ على قول المبرد، ومفسرة لا محل لها على قراءة النصب. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿وَاحِدٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّنْهُمَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿وَاحِدٍ﴾، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿مِائَةَ﴾: مفعول مطلق، أو نائب مفعول مطلق، و(مئة) مضاف، و﴿جَلْدَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَأْخُذْكُم﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) والكاف مفعول به. ﴿بِهِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿رَأْفَةٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿فِي دِينِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، و﴿دِينِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿تُؤْمِنُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَالْيَوْمِ﴾: معطوف على لفظ الجلالة. ﴿الْآخِرِ﴾: صفة اليوم، وجملة: ﴿تُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. ﴿وَلْيَشْهَدْ﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف. (ليشهد): مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿عَذَابَهُمَا﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿طَائِفَةٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بطائفة، أو بمحذوف صفة لها، وجملة ﴿وَلْيَشْهَدْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها.

﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: اختلف العلماء في معنى الآية، وحكمها، فقال قوم: قدم المهاجرون المدينة، وفيهم فقراء، لا مال لهم، ولا عشائر، وفي المدينة نساء بغايا، هن أخصب أهل المدينة، فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن، لينفقن عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك، فنزلت هذه الآية، فحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا؛ لأنهنَّ كنَّ مشركات. وهذا قول مجاهد، وعطاء، وقتادة، والزهري، والشعبي، ورواية عن ابن عباس، ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وقال عكرمة: نزلت في نساءٍ كنَّ بمكة، والمدينة، لهنّ رايات يُعرفن بها، منهن: أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وكان الرجل في الجاهلية ينكح الزانية، يتخذها مأكلةً، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة، فاستأذن رجلٌ رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول، واشترطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده ـ رضي الله عنهم ـ قال: كان رجل، يقال له: مرثد بن أبي مرثد الغنوي ـ رضي الله عنه ـ وكان يحمل الأسارىٰ من مكة؛ حتى يأتي بهم المدينة، (وهذا عمل فدائي كان يقوم به ـ رضي الله عنه ـ ينقذ به بعض المستضعفين في مكة من الأسر والتعذيب) وكانت بمكة امرأة بغيٌّ، يقال لها: عناق، وكانت صديقة له في الجاهلية، فلما أتى مكة؛ دعته عناق إلى نفسها، فقال مرثد ـ رضي الله عنه ـ: إنّ الله حرم الزنى. قالت: فانكحني، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، قال: فأتيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله! أنكح عناقاً؟ فأمسك، فلم يرد شيئاً، فنزلت الآية الكريمة، فدعاني، فقرأها عليَّ، وقال: «**لا تنكحها**». أخرجه الترمذي، والنسائي، وأبو داود بألفاظ متقاربة. انتهى. وما أجدرك أن تنظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٢٠] من سورة (البقرة)، فإنك تجد مثل هذا عن مرثد، ـ رضي الله عنه ـ. هذا؛ وانظر ما أذكره في الآية رقم [٣٢] الآتية.

وخذ المعنى من قول النسفي ـ رضي الله عنه ـ أي: الخبيث الذي من شأنه الزنى، لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء، وإنما يرغب في نكاح خبيثة من شكله، أو في نكاح مشركة، والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال، وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة، أو المشركين. (أقول: والعكس مثله، وهو الواقع في كل زمان ومكان). ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنه تشبه بالفساق، وتعرض للتهمة، وتسبب لسوء المقالة، والطعن في النسب، وغير ذلك من المفاسد؛ ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة. انتهى. بيضاوي. وانظر ما ذكرته بشأن الزنى السرِّي، وهو تلقيح المرأة الشائع في هذه الأيام في أول سورة (المؤمنون).

فالآية تزهيد في نكاح البغايا؛ إذ الزنى عديل الشرك في القبح، والإيمان قرين العفاف، والتحصن، وهو نظير قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٦] الآتية. وقيل: كان نكاح الزانية محرماً في أول الإسلام، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٢] الآتية، وقيل: المراد بالنكاح: الوطء؛ لأن غير الزاني يستقذر الزانية، ولا يشتهيها، وهو صحيح، لكنه يقتضي إذاً قولك: الزاني لا يزني إلا بزانية، والزانية لا يزني بها إلا زان، وسئل رسول الله ﷺ عمن زنى بامرأة، ثم تزوجها، فقال: «**أَوَّلُهُ سِفَاحٌ، وَآخِرُهُ نِكَاحٌ، وَالْحَرَامُ لَا يُحَرِّمُ الْحَلَالَ**».

ومعنى الجملة الأولى: صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف، ولكن في الفواجر. ومعنى الثانية: صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء، ولكن للزناة. وهما معنيان مختلفان. وقدمت الزانية على الزاني أولاً، أي في الآية السابقة، ثم قدم عليها ثانياً، أي في هذه الآية؛ لأن تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا، والمرأة هي المادة التي نشأت منها تلك الجناية؛ لأنها لو لم تُطمِع الرجل، ولم تومض له، ولم تمكنه، لم يطمع، ولم يتمكن، وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح، والرجل أصل فيه؛ لأنه الخاطب، ومنه بدئ الطلب. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية السابقة في سبب تقديم ذكر الزانية على الزاني، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا انظر شرح (الحرام) في الآية رقم [٩٥] من سورة (الأنبياء). والنكاح: حقيقة في العقد، مجاز في الوطء على الأصح عندنا معاشر الشافعية، أما ﴿زَانٍ﴾ فأصله: زانيٌ بضمة على الياء علامة للرفع، وبكسرة على الياء علامة للجر في حالات الجر، وبتنوين الصرف، لكن استثقلت الضمة، أو الكسرة على الياء بعد كسرة، فسكنت الياء، فالتقى ساكنان: الياء والتنوين، فحذفت الياء لعلة الالتقاء، وبقيت النون مكسورة على ما كانت عليه قبل الإعلال، فقيل: (زانٍ) بالكسر، وإنما لم يقل: زانٌ بالرفع؛ لأن الياء محذوفة لعلة الالتقاء، فهي كالثابتة، فتمنع الرفع للنون، وهكذا قل في إعلال كل اسم منقوص مجرد من «أل» والإضافة، سواء أكان ثلاثياً، أم رباعياً؟.

الإعراب: ﴿ٱلزَّانِى﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنكِحُ﴾: مضارع مرفوع، والفاعل يعود إلى الزاني. هذا؛ ويقرأ الفعل بالجزم على النهي، وفي المرفوع أيضاً معنى النهي، وهو أبلغ، وآكد، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿زَانِيَةً﴾: مفعول به. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿مُشْرِكَةً﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿ٱلزَّانِى﴾ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. (الزانية): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنكِحُهَآ﴾: مضارع، والهاء مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿زَانٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مُشْرِكٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَحُرِّمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (حرم): ماض مبني للمجهول. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وإن اعتبرتها في محل نصب حال من «الزنى» المفهوم من المقام، وفحوى الكلام السابق، فيكون الرابط: الواو، وعود الإشارة إليه كما هو واضح، وتكون «قد» مقدرة قبل الجملة، والمعنى يؤيد هذا، ويقويه.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: يقذفونهن بالزنى. واستعير الرمي لسب المرأة وقذفها بالزنى؛ لأنه أذية في القول، قال ابن أحمر: [الطويل]

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدي بَرِيئاً وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

الطوي: البئر. وشروط إحصان القذف: الحرية، والعقل، والبلوغ، والإسلام، والعفة عن الزنى، والمحصن كالمحصنة في وجوب حد القذف لمن قذفه، والقذف بغير الزنى، مثل قول القائل: يا فاسق! يا خبيث! يا شارب الخمر! يوجب التعزير، ويكفي فيه شاهدان ليدرأ عن نفسه حد التعزير.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: يشهدون: أنهم رأوا الميل بالمكحلة، ولا يكفي رَأَيْتُهُمَا في فراش واحد، ولا رأيتُه فوقها، وقد جلد عمر ـ رضي الله عنه ـ ثلاثة شهداء على المغيرة بن شعبة حينما شهدوا عليه بالزنى، وجاء الرابع فقال: رأيت ساقاً يُرفع، ورجلاً يدفع، لا أدري ينفع أو لا ينفع؟! وقد عزر المغيرة، وعزله في قصة يطول شرحها، فقد شهد عليه بالزنى أبو بَكرة نُفَيْع بن الحارث، وأخوه نافع، وقال الزهراوي: عبد الله بن الحارث، وزياد بن سمية، وهو مستلحق معاوية، وشِبْل بن مَعْبد البجلي، فلما جاؤوا لأداء الشهادة وتوقف زياد ولم يؤدها، وقال ما ذكرته؛ جلَد عمر ـ رضي الله عنه ـ الثلاثة المذكورين. انتهى. قرطبي بتصرف.

﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾: أخف من ضربات الزاني لضعف سببه، واحتماله، ولذلك نقص عدده عن حد الزاني. هذا؛ وتخصيص المحصنات بالذكر لخصوص الواقعة، أو لأن قذف النساء أغلب، وأشنع، ولا يشترط اجتماع الشهود عند الأداء، بل يجوز أداء الشهادة منهم في حال تفرقهم؛ ولو في أيام.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾: هذا يقتضي مدة أعمارهم. فلا تقبل منهم ولهم أية شهادة كانت؛ لأن القاذف مفتر، ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد؛ خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله تعالى، فإن الأمر بالجلد، والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جواباً للشرط، لا ترتيب بينهما، فيترتبان عليه دفعة، كيف وحاله قبل الحد أسوأ مما بعده. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: فهذا حكم على القاذفين للمحصنات بالفسوق، أي: الخروج عن طاعة الله تعالى بعد جلدهم ثمانين جلدة، ورد شهادتهم، وعدم قبولها في أي شيء، وهذا أكبر رادع، وأعظم زاجر للذين يتكلمون في أعراض المؤمنات المحصنات، وقد عدَّه الرسول ﷺ من السبع الموبقات، وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَات**». قَالُوا: يا رسولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قالَ: «**الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وَقتلُ النفسِ التي حَرَّمَ الله إلَّا بالحَقِّ، وأكلُ الرِّبَا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتَّولِّي يوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحصناتِ الغافلاتِ الْمؤمِنَاتِ**». رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

هذا؛ وانظر شرح ﴿أَبَدًا﴾ في الآية رقم [٦٥] من سورة (الأنبياء)، و«أتى» يستعمل لازماً، كما في هذه الآية، ومتعدياً، وهو كثير، أما «الأبد» فهو الزمان الطويل الذي ليس له حد، فإذا قلت: لا أكلمك أبداً، فالأبد من وقت التكلم إلى آخر العمر. هذا؛ وما ذكرته من عدم قبول شهادة القاذف مدَّة حياته. هذا؛ و﴿الْفَاسِقُونَ﴾ جمع فاسق، وأصل الفسق: الخروج عن القصد، والفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله تعالى بارتكاب المعاصي، وله ثلاث درجات: الأولى: التغابي، وهو أن يرتكب الكبيرة أحياناً مستقبحاً إياها، والثانية: الانهماك، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها، والثالثة: الجحود، وهو أن يرتكبها مستصوباً إياها. فإذا شارف هذا المقام، وتخطى خططه؛ خلع ربقة الإيمان من عنقه، ولابس الكفر، وما دام في درجة التغابي، أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن؛ لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمَّى الإيمان انتهى. بيضاوي في غير هذا الموضع.

فائدة: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ «عشرون» و«ثلاثون» و«أربعون. . .إلخ»: كل واحد منها موضوع على صورة الجمع لهذا العدد، فإن قال قائل: لم كسر أول عشرين، وفتح أول ثلاثين وما بعده إلى ثمانين إلا ستين؟ فالجواب عند سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ: أن عشرين من عشرة بمنزلة اثنين من واحد، فكسر أول عشرين كما كسر أول اثنان، والدليل على هذا قولهم: سِتون وتِسعون كما قيل: سِتة، وتسعة. انتهى. احفظه فإنه جيد. هذا؛ وقال صاحب المختار: وإذا أضفته؛ أي: لفظ العقود؛ أسقطت النون، فقلت: هذه عشروك، وعشريَّ.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، أو خبره الجملة الفعلية: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ وما يعطف عليها، أو هو مبني على الفتح في محل نصب مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، انظر تفصيل هذا في الآية رقم [٢] فهو مثلها بلا فارق، والله ولي التوفيق. ﴿يَرْمُونَ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَأْتُوا﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِأَرْبَعَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، و(أربعة) مضاف، و﴿شُهَدَاءَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع

الصرف. هذا؛ وقرئ في الشاذ بتنوين (أربعةٍ) فيكون في ﴿شُهَدَآءَ﴾ أربعة أوجه: النعت لأربعة، أو البدلية منه، فهو مجرور مثله على الاعتبارين، والثالث: اعتباره حالاً من نكرة وهو: (أربعة)، والرابع: اعتباره تمييزاً لـ: (أربعة)، وهذان فيهما ضعف ظاهر، قال النحاس: ويجوز أن يكون شهداء في موضع نصب، بمعنى: ثم لم يحضروا أربعةً ﴿شُهَدَآءَ﴾. انتهى. قرطبي.

﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾: الفاء: حرف صلة، أو حرف استئناف. (اجلدوهم): أمر، وفاعله، ومفعوله. ﴿ثَمَٰنِينَ﴾: نائب مفعول مطلق منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ...﴾ إلخ مستأنفة، أو مفسرة، أو في محل رفع خبر المبتدأ على مثال ما رأيت بجملة: ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا تقبلوا): مضارع مجزوم بـ: (لَا) وعلامة جزمه حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهُمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من شهادة، كان صفة له. . . . ﴿شَهَٰدَةً﴾: مفعول به. ﴿أَبَدٗاۚ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات فيها.

(أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ و﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ خبره فالجملة الاسمية هي خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها، واعتبارها حالاً من واو الجماعة جيد، والمعنى يؤيده، ويقويه، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ولكن العطف هو المرجح. كما ستعرفه في المستثنى الآتي.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾

الشرح: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة، وفي حكم هذا الاستثناء، فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف؛ وإذا تاب، وندم على ما قال، وحسنت حالته بعد التوبة؛ قبلت شهادته، سواء تاب بعد إقامة الحد عليه، أو قبله، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ وقالوا: هذا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة، وإلى الفسق، وإذا تاب؛ تقبل شهادته، ويزول عنه اسم الفسق، يروى ذلك عن عمر، وابن عباس، وهو قول سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، والشعبي، وعكرمة، وعمر بن عبد العزيز، والزهري، وبه قال مالك، والشافعي. وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبداً؛ وإن تاب،

وقالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾. وهو قول النخعي، وشريح، وأصحاب الرأي، قالوا: بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد، قال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: هو قبل أن يحد شرٌّ منه حين يحد؛ لأن الحدود كفارات، فكيف تردُّونها في أحسن حاليه، وتقبلونها في شر حاليه؟! وذهب الشافعي إلى أنَّ حد القذف يسقط بالتوبة، وقال: الاستثناء يرجع إلى الكل، (أي: إلى الجُمَل الثلاث المتضمنة للجلد، وردِّ الشهادة، والتفسيق) وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة، إلا أن يعفو عنه المقذوف، فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو، ولا يسقط بالتوبة. فإن قلت: إذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله تعالى: أبداً، قلت: معنى أبداً ما دام مصراً على القذف؛ لأن أبد كل إنسان مدته على ما يليق به، كما يقال: شهادة الكافر لا تقبل أبداً، يراد بذلك ما دام على كفره، فإذا أسلم قبلت شهادته. انتهى.

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ أي: أعمالهم بالتدارك، ومنه: الاستسلام للحد، أو الاستحلال من المقذوف. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ أي: للقاذفين؛ إن هم تابوا، وأنابوا. ﴿رَّحِيمٞ﴾: بهم حيث وفقهم للتوبة ولإصلاح العمل بما ذكر، فبالتوبة ينتهي فسقهم، وتقبل شهادتهم، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب على الاستثناء من الجملة الأخيرة، وهل هو متصل، أو منقطع؟ فيه خلاف، أو هو في محل جر بدلاً من الضمير في لهم، وأجيز أن يكون مبتدأ، خبره الجملة الاسمية الآتية. ﴿تَابُواْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(بعد) مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، وجملة: ﴿تَابُواْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: خبران لـ: (إنَّ)، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر (الذين) على وجهٍ مرَّ ذكره، فتكون الفاء زائدة لتحسين اللفظ؛ ولأن الموصول يشبه الشرط في العموم، ويجب تقدير رابط للمبتدأ، أي: غفور لهم، رحيم بهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦﴾

الشرح: سبب نزول هذه الآية هو ما رواه أبو داود عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن هلال بن أمية الواقفي ـ رضي الله عنه ـ وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، كما رأيت في الآية رقم [١١٨] من سورة (التوبة) قذف امرأته عند النبي ﷺ بشَرِيك بن سَحْماء البلوي، والسحماء أمه، سميت بذلك لشدة سوادها، وأبوه اسمه عبدة بن الجد العجلاني

فقال النبي ﷺ: «**الْبَيِّنَةُ، أَوْ حَدٌّ في ظهْرِكَ!**». قال: يا رسول الله! إذا رأى أحدنا رجلاً على امرأته يلتمس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول: «**الْبَيِّنَةُ، أَوْ حَدٌّ في ظهْرِكَ**». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلنّ الله في أمري ما يبرئ ظهري من الحد، فنزلت الآية الكريمة، وما بعدها.

وقيل: لما نزلت الآية المتقدمة في الذين يرمون المحصنات، وتناول ظاهرها الأزواج، وغيرهم؛ قال سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! إن وجدت مع امرأتي رجلاً أمهله حتى آتي بأربعة؟! والله لأضربنه بالسيف غير مُصْفح عنه! فقال رسول الله ﷺ: «**أتعجبونَ من غيرةِ سعْدٍ؟ لأَنَا أَغيرُ منهُ، والله أَغْيَرُ مني**». انتهى. قرطبي.

وعن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ...﴾ إلخ قال سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ: لو أتيت لكاع، وقد تفخذها رجل، لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء؟! فو الله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب، وإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين جلدة! فقال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الأنصار، ألا تسمعون ما يقول سيدكم**». قالوا: لا تلمه، فإنه رجل غيور، ما تزوج امرأة قط إلا بكراً، ولا طلق امرأة، واجترأ رجل منا أن يتزوجها. فقال سعد ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، والله إني لأعرف: أنها من الله، وأنها حق، ولكن عجبت من ذلك لما أخبر الله! فقال النبي ﷺ: «**فإن الله يأبى إلا ذلك**». فقال: صدق الله ورسوله، قال: فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاء ابن عم له، يقال له: هلال بن أمية من حديقة له، فرأى رجلاً مع امرأته يزني بها، فأمسك حتى أصبح، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ، وذكر له ما تقدم... إلخ. انتهى. خازن.

رضي الله عن السعدين، فلا يستغرب منهما غيرتهما، وحميتهما، فإنهما سيدا قومهما، الأول ـ سيد الأوس بلا منازع ـ والثاني ـ سيد الخزرج بلا مكابر ـ والأول هو الذي اهتز عرش الرحمن لموته، وشيعته ملائكة السماء. هذا؛ ويروى أن عُوَيمِرَ بن زيد بن الجد بن العجلاني قذف زوجته أيضاً، وقد اختلف في المقذوف، فإن كان شريكاً هو المقذوف في الروايتين فالواقعة واحدة، وقد اختلف فبعضهم يرجح: أنها حادثة هلال، وبعضهم يرجح: أنها واقعة عويمر، وإن كان المقذوف متعدداً، فهما حادثتان، ولم يذكر أحد مقذوفاً غير شريك، والله أعلم بذلك.

وكانت هذه القصة في شهر شعبان سنة تسع من الهجرة، منصرف رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة. قاله الطبري، وروى الدَّارَقُطْنيُّ عن عبد الله بن جعفر ـ رضي الله عنهما ـ قال: حضرت رسول الله ﷺ حين لاعن بين عُويْمر العجلاني وامرأته، مرجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، و أنكر حملها الذي في بطنها، وقال: هو لابن السحماء، فقال رسول الله ﷺ: «**هاتِ امرأتك، فقد نزل القرآن فيكما**». فلاعن بينهما بعد العصر عند المنبر.

بيان حكم الآية: أنَّ الرجل إذا قذف امرأته، فموجبه موجب قذف الأجنبية في وجوب الحد عليه إن كانت محصنة، أو التعزير إن كانت غير محصنة، غير أن المخرج منهما مختلف، فإذا

قذف أجنبياً، أو أجنبية يقام عليه الحد، إلا أن يأتي بأربعة يشهدون بالزنى، أو يقر المقذوف بالزنى، فيسقط عنه الحد، وفي الزوجة؛ إذا وجد أحد هذين الأمرين، أو لاعن سقط عنه الحد، فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة؛ لأن الرجل إذا رأى مع امرأته رجلاً، ربما لا يمكنه إقامة البينة، ولا يمكنه الصبر على العار، فجعل الله اللعان حجة له على صدقه، فقال تعالى: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وإذا أقام الزوج بينة على زناها، أو اعترفت هي بالزنى سقط عنه الحد، واللعان؛ إلا أن يكون هناك ولد يريد نفيه، فله أن يلاعن لنفيه، وإذا أراد الحاكم المسلم أن يلاعن بينهما؛ بدأ بالرجل، فيقيمه، ويلقنه كلمات اللعان، فيقول: قل أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة من الزنى، وإن كان قد رماها برجل بعينه سماه في اللعان، ويقول كما يلقنه الحاكم المسلم، وإن كان هناك ولد، أو حمل يريد نفيه، يقول: وإن هذا الولد، أو هذا الحمل لمن الزنى، ما هو مني، ويقول في الخامسة: عليَّ لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة! وإذا أتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الحاكم له؛ لا تحسب، فإذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة، وحرمت عليه على التأبيد، وانتفى عنه النسب، وسقط عنه الحد، ووجب على المرأة حد الزنى، فهذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): مبتدأ، وجملة: ﴿يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾: صلة الموصول لا محل لها، ومتعلق الفعل محذوف تقديره بالزنى. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم). ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (يكن) مقدم. ﴿شُهَدَآءُ﴾: اسمها مؤخر. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَنفُسُهُمْ﴾: بدل من ﴿شُهَدَآءُ﴾، ويجوز نصب شهداء على اعتباره خبراً مقدماً لـ: ﴿يَكُن﴾، ويكون ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ اسمه مؤخراً، ويجوز نصب ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ على الاستثناء، أو على أنه خبر ﴿يَكُن﴾ ولكن لم يقرأ بنصبه. انتهى. مكي بتصرف. هذا؛ وأجيز اعتبار (إلا) بمعنى: «غير» على أنها صفة ﴿شُهَدَآءُ﴾ ظهر إعرابه على ما بعده بطريق العارية؛ لكونه على صورة الحرف، و(إلا) مضاف، و﴿أَنفُسُهُمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة (إلا) التي على صورة الحرف، وانظر تفصيل مثل هذا وشرحه في الآية رقم [٢٢] من سورة (الأنبياء). وجملة: ﴿وَلَمْ يَكُن...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ ويجوز اعتبارها معطوفة على جملة الصلة، والمعنى لا يأباه. تأمل.

﴿فَشَهَٰدَةُ﴾: الفاء: زائدة في الخبر لتحسين اللفظ، ولأن الموصول يشبه الشرط في العموم: (شهادة): في رفعه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مبتدأ، خبره محذوف، مقدر التقديم؛ أي: فعليهم شهادة أحدهم، أو الخبر محذوف، ومقدر التأخير، أي: فشهادة أحدهم كائنة، أو واجبة. الثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: فالواجب شهادة أحدهم. الثالث: أنه فاعل بفعل محذوف،

التقدير: فيكفي شهادة أحدهم. وهذه الوجوه صحيحة على نصب ﴿أَرْبَعُ﴾، وأما على رفعه؛ فهو خبر (شهادة أحدهم) بلا ريب، وشهادة مضاف، و﴿أَحَدِهِمْ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَرْبَعُ﴾: خبر المبتدأ، و(أربع) مضاف، و﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: (شهادة أحدهم...) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية رقم [٤]، وهي في الحقيقة عطف قضية على قضية، كما رأيت في الشرح. هذا؛ ويقرأ بنصب (أربع) على أنه مفعول مطلق عامله (شهادة) على حد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ الآية رقم [٦٣] من سورة (الإسراء)، وهذا صحيح على جميع الوجوه الأولى المعتبرة في إعراب (شهادة أحدهم).

﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾ قبلهما، وذلك على رفع ﴿أَرْبَعُ﴾، وأما على نصبه فيجوز فيهما ثلاثة أوجه: أحدها: أن يتعلقا بـ: ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾؛ لأنه أقرب إليهما. والثاني: أنهما متعلقان بقوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ﴾ أي: فشهادة أحدهم بالله، ولا يضر الفصل بـ: ﴿أَرْبَعُ﴾؛ لأنها معمولة للمصدر، فليست أجنبية عنه. والثالث: أن المسألة من باب التنازع، فإن كلًّا من (شهادة) و﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾ يطلبه من حيث المعنى، وتكون المسألة من إعمال الثاني للحذف من الأول، وهو مختار البصريين، وعلى قراءة رفع ﴿أَرْبَعُ﴾ فيتعين تعليقهما بـ: ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾؛ إذ لو علق بـ: (شهادة) لزم الفصل بين المصدر، ومعموله بالخبر، وهو لا يجوز؛ لأنه أجنبي.

﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. اللام: هي المزحلقة. (من الصادقين): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّٰدِقِينَ﴾ في محل نصب مفعول به للمصدر ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾، أو (شهادة) على نصب (أربع)، ويتعين أن تكون الجملة الاسمية معمولة لـ: ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾ على رفع ﴿أَرْبَعُ﴾ لما ذكرنا من التفرقة بالأجنبي، ولم تفتح همزة (إنَّ) من أجل اللام التي في الخبر، فإنها في الأصل لام الابتداء، وهي معلقة للمصدر عن العمل، كما علقت فعله عن العمل في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ وكما في الآية رقم [٨] الآتية. قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

وَكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فِعْلٍ عُلِّقَا ... بِاللَّامِ كَاعْلَمْ إِنَّهُ لَذُو تُقَى

﴿وَالْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿وَالْخَٰمِسَةُ﴾ أي: والشهادة الخامسة، كما رأيت في شرح الآية السابقة. ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: اللعن: الطرد من رحمة الله تعالى. هذا؛ ولقد كرر الله لعن الكفار في الآية رقم [١٦١] من سورة (البقرة)، كما لعن الظالمين، والكاذبين، والناقضين للعهد، والميثاق في آيات متفرقة، وهو دليل قاطع على أن من مات على كفره، فقد استحق اللَّعن من الله،

والملائكة، والناس أجمعين، وأما الأحياء من الكفار؛ فقد قال العلماء: لا يجوز لعن كافر معيَّن؛ لأن حاله عند الوفاة لا تعلم، فلعله يؤمن، ويموت على الإسلام، وقد قيد الله في آية (البقرة) إطلاق اللعنة على من مات على الكفر، ويجوز لعن الكفار، أي جملة بدون تعيين، كما في قولك: لعن الله الكافرين، يدل عليه قول النبي ﷺ: «**لَعَنَ الله اليهودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُوْمُ، فجَمَّلُوهَا فباعُوهَا**». وذهب بعضهم إلى جواز لعن إنسان معين من الكفار، بدليل جواز قتاله... وهو الصحيح، كيف لا؛ وقد لعن حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أبا سفيان وزوجه هنداً في شعره، ولم ينكر عليه النبي ﷺ وخذ قوله: [الكامل]

لَعَنَ الإلهُ وزَوْجَهَا مَعَهَا هِنْدَ الْهُنُودِ طَوِيلَةَ الْبَظْرِ

وقد لعن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ أبا سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، وغيرهم، الذين قدموا المدينة المنورة، بعد غزوة أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم جماعة من المنافقين، وقالوا للنبي ﷺ: ارفض ذكر آلهتنا بسوء، و قل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك! فشق ذلك على سيد الخلق، وحبيب الحق، فقال الفاروق: يا رسول الله! ائذن لي في قتلهم، فقال: إني أعطيتهم الأمان، فقال الفاروق: اخرجوا في لعنة الله، وغضبه، ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك، كيف لا؛ وهذه الآية تأمر المسلم أن يلعن نفسه إن كان من الكاذبين.

وأما العصاة من المسلمين، فلا يجوز لعن أحد منهم على التعيين قطعاً، وأما على الإطلاق فيجوز كما في قولك: لعن الله الفاسقين، والفاسقات، والفاسدين، والفاسدات... إلخ، لما روي: أن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ الله السَّارقَ يَسْرقُ الْبَيْضَةَ، والْحَبْلَ، فتُقْطعُ يَدُهُ**». ولعن رسول الله ﷺ: «**الْواشِمَةَ والمُسْتَوْشمةَ، وآكِلَ الرِّبَا، وَلَعَنَ مَنْ غيَّرَ مَنَار الأرْضِ، ومَن انتَسَبَ إلى غَيْرِ أبيهِ، ومَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوم لُوطٍ، وَمَنْ أَتَى امْرأَةً في دُبُرِهَا، وغَيْر ذَلكَ**». وكل هذا؛ وارد في الصحيح من الأحاديث.

﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: في قذف امرأته بالزنى وإلحاق العار بها. هذا؛ ولقد اختلف العلماء في حكم من قذف امرأته برجل سماه، وعيَّنه، هل يحدُّ، أم لا؟ فقال الإمام مالك: عليه اللعان لزوجته، وحُدّ للمرمي، أي: لمن قذفه، وبه قال أبو حنيفة؛ لأنه قاذف لمن لم يكن له ضرورة إلى قذفه. وقال الشافعي: لا حدَّ عليه؛ لأن الله عز وجل لم يجعل على من رمى زوجته بالزنى إلا حدًّا واحداً بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ...﴾ إلخ، ولم يفرق بين من ذَكَرَ رَجُلاً بعيْنه، وبين مَنْ لَمْ يَذْكُرْ، وقد رمى العجلانيُّ زوجته بشريك، وكذلك هلالُ بنُ أمية، فلم يُحَدَّ واحدٌ منهما. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾: الواو: حرف عطف. (الخامسة): معطوف على ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ على قراءة رفعه، أو هو مبتدأ. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لَعْنَتَ﴾: اسمها، و﴿لَعْنَتَ﴾ مضاف،

و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع بدل من (الخامسة)، أو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن لعنة الله عليه، والجار والمجرور متعلقان بـ: (الخامسة) أو بـ: «الشهادة» المقدرة قبلها. هذا؛ والبدلية على اعتبار (الخامسة) معطوفة على ﴿أَرۡبَعُ﴾ كما رأيت، وأما على اعتبارها مبتدأ؛ فالمصدر المؤول، أو الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبره. هذا؛ ويقرأ بتخفيف النون على أنها مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، و(لعنة) بالرفع مبتدأ، و﴿عَلَيۡهِ﴾ متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (أنْ) المخففة من الثقيلة، وتتأول مع اسمها المحذوف وخبرها بمصدر على مثال ما رأيت في محله. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمه ضمير مستتر يعود إلى ﴿أَحَدِهِمۡ﴾. ﴿مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كان من الكاذبين؛ فلعنة الله عليه، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (شهادة أحدهم...) إلخ فهي في محل رفع مثلها، والجملة الشرطية مرتبطة بها تمام الارتباط فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨﴾

الشرح: ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾: يدفع الحد عن المرأة التي قذفها زوجها، ولاعنها، وتوجب عليها الحد بلعانه هو أن ترد على الزوج بخمس شهادات مثل شهاداته التي رأيتها في الآية رقم [٦] فتقوم على مكان مرتفع بالمسجد، وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فيما رماني به من الزنى، وإن كان ولد، أو حمل، تقول: وإن هذا الولد، أو الحمل منه وليس من الزنى، وتقول في الخامسة: عَلَيَّ غضبُ الله، إن كان زوجي من الصادقين، فيما رماني به، ولا يتعلق بلعانها إلا هذا الحكم الواحد، وهو إسقاط الحد عنها، وانظر الأمور المتعلقة بلعان الزوج، ومن جملتها الفرقة بينهما، والتحريم على التأبيد لقول النبي ﷺ: «**المتلاعنان لا يجتمعان**». حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه، لا فيما له، فيلزمه الحد، ويلحقه الولد، لكن لا يرتفع التحريم؛ لأنه على التأبيد.

هذا؛ ويغلظ اللعان بين الزوجين بأربعة أشياء: بتعدد الألفاظ، وبالمكان، والزمان، وأن يكون بمحضر جماعة من الناس، أما تعدد الألفاظ فيجب ولا يجوز الإخلال بشيء منها، وأما المكان؛ فهو أن يلاعن في أشرف الأماكن، فإن كان بمكة؛ فبين الركن والمقام، وإن كان بالمدينة فعند منبر النبي ﷺ، وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر، وأما الزمان؛ فهو أن يكون بعد العصر، وأما الجمع؛ فأقله أربعة.

الإعراب: ﴿وَيَدْرَؤُا﴾: الواو: حرف استئناف. (يدرأ): مضارع. ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الْعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿أَن تَشْهَدَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن»، والفاعل يعود إلى المرأة المقذوفة، والمفهومة من الكلام السابق. ﴿أَرْبَعَ﴾: مفعول مطلق، أو نائبه، و(أربع) مضاف، و﴿شَهَادَاتٍ﴾ مضاف إليه. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل، أو بالمصدر شهادات على التنازع، والثاني أولى عند البصريين لقربه، والأول أولى عند الكوفيين لسبقه، و(أن تشهد) في تأويل مصدر في محل رفع فاعل للفعل يدرأ، التقدير: ويدرأ عنها العذاب شهودها أربع شهادات. ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: إعراب هذه الجملة ومحلها والكلام فيها مثل: ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الآية رقم [٦] وجملة: (يدرأ...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: تضمنت هذه الآية الشهادة الخامسة التي ترد بها المرأة على زوجها؛ الذي قذفها، ولاعنها، كما رأيت في الآية السابقة. هذا؛ وجعل الغضب في جانب المرأة؛ لأن النساء يستعملن اللعن كثيراً؛ كما قال لهن النبي ﷺ: **«لأنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير»**. فربما يجترئن على الإقدام لكثرة جري اللعن على ألسنتهن، وسقوط وقوعه في قلوبهن، فذكر الغضب في جانبهن، ليكون رادعاً لهن. انتهى. نسفي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَالْخَامِسَةَ﴾: معطوف على ﴿أَرْبَعَ﴾، على معنى: وتشهد الخامسة. ويقرأ بالرفع على اعتباره مبتدأ؛ لأنه صفة لموصوف محذوف؛ إذ الأصل: والشهادة الخامسة. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿غَضَبَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿أَنَّ﴾. هذا؛ ويقرأ بتخفيف (أنَّ)، فيكون اسمها ضمير الشأن محذوفاً، و(غَضَبُ) بالرفع مبتدأ، و﴿عَلَيْهَا﴾ متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. هذا؛ ويقرأ: (غَضِبَ) بكسر الضاد وفتح الباء على أنه ماض، وبرفع (اللهُ) على أنه فاعله، و﴿أَنَّ﴾ ومدخولها على جميع الاعتبارات والقراءات في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بـ: (الخامسة)، أو بـ: (الشهادة) المقدَّرة على قراءة النصب، أو في محل نصب بدلاً منها، وعلى قراءته بالرفع فالمصدر في محل رفع خبرها، وكذا إن قدرت المصدر مجروراً بحرف جر محذوف، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية السابقة لا محل لها مثلها: ﴿إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: إعراب هذه الكلمات مثل إعراب: ﴿إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في الآية رقم [٧] بلا فارق. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

الشرح: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: كرمه، وجوده، وإحسانه. ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾: الواسعة التي وسعت كل شيء، وجواب (لولا) محذوف، تقديره: لفضحكم، ولكنه ستر عليكم، أو: لعاجلكم بالعقوبة، ولكنه رحيم بكم؛ حيث دفع عنكم الحد باللعان. هذا؛ وفي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ التفات عن الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾، وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ انظر الالتفات في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء) والخطاب لكل من الفريقين، أي: القاذفين، والمقذوفات، ففي الكلام تغليب صيغة الذكور على صيغة الإناث؛ حيث لم يقل: عليكم، وعليكن، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿تَوَّابٌ﴾: كثير قبول التوبة من عباده، أو الرجاع على عباده بالرحمة، والمغفرة، فهو صيغة مبالغة. وتوبة العبد: رجوعه عن المعصية إلى الطاعة، وقرع باب ربه بالندم، والإنابة. ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما قدر، وقضى، وفعل من فرض الحدود، ووضع الزواجر عن المعاصي، والسيئات، لا يقضي، ولا يفعل إلا ما فيه حكمة؛ وإن خفيت على كثير من الناس. وانظر شرح لفظ الجلالة في الآية رقم [٣] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿فَضْلُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالمصدر ﴿فَضْلُ﴾ وهذا على اعتبار خبر المبتدأ محذوفاً، التقدير: موجود. هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر المبتدأ وهو قول ابن الشجري، ورده ابن هشام في المغني؛ لأن خبر المبتدأ بعد لولا واجب الحذف، والجملة الاسمية ابتدائية لا محل لها، وجواب لولا محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾: معطوف على ﴿فَضْلُ﴾ والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، ومتعلقه محذوف؛ إذ التقدير: رحمته بكم. ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾: خبران لها، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع معطوف على ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ ولولا ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾

الشرح: ﴿جَآءُو﴾: هذا الفعل وقع هنا لازماً متعدياً بالحرف، ويأتي متعدياً، وهو كثير. (الإفك): هو أبلغ ما يكون من الكذب، والافتراء، وأصله الأفك، وهو القلب؛ لأنه قول مأفوك

عن وجهه. أي: مقلوب عن وجهه الصحيح إلى الباطل، ومنه قيل للكذاب: أفّاكٌ؛ لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾. ﴿عُصْبَةٌ﴾: جماعة، وهي ما بين العشرة إلى الأربعين، ومثلها العصابة، ولا واحد لها من لفظها، كالنفر، والرهط، والمعشر. . .إلخ، والمراد هنا بـ: ﴿عُصْبَةٌ﴾ عبد الله بن أبَيٍّ، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحَمْنَة بنت جحش، ومن ساعدهم، وقال بقولهم. ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾: لا تظنوه، والخطاب للنبي ﷺ ولعائشة، ولأبويها، ولصفوان المتهم فيها، وإنما كان ما أشيع على السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ خيراً؛ لأن الله آجرهم على ذلك أجراً عظيماً، وأظهر براءتها، وشهد بكذب العصبة، وأوجب لهم الذم، وهذا غاية الفضل والشرف للنبي ﷺ، ولعائشة، ولأبويها، ولصفوان، ومن ساءه ذلك من المؤمنين.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ أي: من العصبة الكاذبة. ﴿مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أي: ما اجترح من الذنب، وعلى قدر ما خاض فيه. هذا؛ والخير في الحقيقة: ما زاد نفعه على ضره، والشر: ما زاد ضره على نفعه، وإن خيراً لا شرَّ فيه هو الجنة، وشرًّا لا خيرَ فيه هو النار، فأما البلاء النازل على الأولياء فهو خير؛ لأن ضرره من الألم قليل في الدنيا، وخيره هو الثواب الكثير في الآخرة، فنبه الله عائشة، وأهلها، وصفوان بهذا الخطاب لهم لِرُجحان النفع، والخير على جانب الشر في حقهم.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: تحمل معظمه، وبدأ بالخوض فيه، وقام بإشاعته، وهو عبد الله بن أبيّ ابن سلول. ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: عذاب النار في الآخرة، وروي: أن النبي ﷺ أمر بالذين تكلموا في عائشة، فجلدوا الحد جميعاً ثمانين ثمانين جلدة. وقيل: لم يحد أحد منهم. وقيل: حد حسان، ومسطح، ولم يحد ابن أُبَيّ، والمعتمد: أنهم حدوا جميعاً، وفي ذلك قال شاعر من المسلمين: [الطويل]

لَـقَـدْ ذَاقَ حَـسَّـانُ الَّـذِي كَـانَ أَهـلَـهُ ... وَحَـمْـنَـةُ إذ قـالـوا هـجـيـراً ومِـسْـطَـحُ

وابْـنُ سـلـولٍ ذاقَ فـي الـحـدِّ خِـزْيَـةً ... كَمَا خَاضَ في إفْكٍ مِنَ القولِ يُفْصِحُ

تَـعَـاطَـوْا بِـرَجْـمِ الـغَـيْـبِ زَوْجَ نَـبِـيِّـهِـمْ ... وسـخـطـةَ ذِي الـعـرشِ الـكـريـمِ فَـأَبْـرحُـوا

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: المشهور من الأخبار، والمعروف عند العلماء: أن الذي حُدَّ حسانُ، ومِسطحُ، وحَمنةُ، ولم يُسمع بحد لعبد الله بن أبيٍّ، وإنما لم يُحدّ؛ لأن الله تعالى قد أعدّ له في الآخرة عذاباً عظيماً، فلو حُدّ في الدنيا، لكان ذلك نقصاً من عذابه في الآخرة، وتخفيفاً عنه، وإنما حدّ هؤلاء المسلمون ليكفر عنهم إثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة من ذلك في الآخرة، وقد قال ﷺ في الحدود: «**إنها كفارات لمن أُقيمت عليه**». كما في حديث عبادة بن الصامت، ـ رضي الله عنه ـ.

ويحتمل أن يقال: إنما ترك حد ابن أبيٍّ استئلافاً لقومه، واحتراماً لابنه، وإطفاءً لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك، وقد ظهرت مبادئها من سعد بن عبادة، ومن قومه، كما في صحيح مسلم. انتهى.

هذا؛ وإن الآية الكريمة، وما بعدها إلى رقم [٢٦] نزلت في قذف السيدة عائشة، وبينت براءتها أحسن بيان، وإن الذي يبقى في نفسه شيء عليها فلاحَظَّ له في الإسلام؛ لأنه ينكر صريح القرآن، ومن أنكر شيئاً بيَّنه القرآن فهو كافر بإجماع المسلمين. وحديث الإفك رواه البخاري ومسلم عن عائشة نفسها، وها أنذا أذكره لك بحروفه برواية البخاري. والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً؛ أقرع بين أزواجه، فأيتُهُنَّ خرج سَهْمُهَا؛ خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها، فخرج سهمي، فخرجتُ معه بعد ما أُنزل الحجاب، فأنا أُحْمَلُ في هودج، وأُنْزَلُ فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل، ودَنَوْنَا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمتُ حين آذنوا، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقدٌ لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه.

فأقبل الذين يَرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلْنَ، وَلَم يَغْشَهُنَّ اللحمُ، وإنما يأكلْنَ العُلْقَةَ من الطعامِ، فلمْ يستنكر القومُ حين رفعوه ثقلَ الهودجِ، فاحتملوه، وكنت جاريةً حديثةَ السِّنِّ، فبعثوا الجمل، وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منزلهم، وليس فيه أحد، فَأَمَمْتُ منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونني، فيرجعون إليّ.

فبينما أنا جالسةٌ غلبتني عينايَ، فنمتُ، وكان صفوان بن المُعَطَّلِ السُّلمِيُّ، ثم الذَّكْوَانِيُّ من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم، فأتاني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيْقَظْتُ باسترجاعهِ حينَ أناخَ رَاحلَتَهُ، فوطِئَ يدَها، فركبْتُهَا، فانطلق يقود بي الراحلةَ حتى أتينَا الجيشَ بعد ما نزلوا مُعَرِّسينَ في نحرِ الظَّهيرةِ فهلَكَ مَنْ هَلكَ، وكان الذي تولى الإفكَ عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولٍ.

فقدمنا المدينة، فاشتكيْتُ بها شَهْراً، والناسُ يُفيضون في قَوْل أصحابِ الْإِفْكِ، ويَريبُني في وجعي أَنِّي لا أرى من النبي ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أمرضُ، إنما يدخلُ، فيُسَلِّمُ، ثم يقول: «**كيف تيكُمْ**»؟. لا أشعر بشيء من ذلك حتى نَقَهْتُ فخرجتُ أنا وأمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المناصِعِ مُتَبَرَّزِنا، لا نخرج إلا ليلاً إلى ليلٍ، وذلك قبل أن تُتَّخَذَ الكُنُفُ قَريباً من بيوتنا، وَأَمْرُنا أمر العربِ الأوَل في البرِّيَّةِ، أو في التَّنَزُّه.

فأقبلتُ أنا وأمُّ مسطحٍ بنت أبي رُهْمٍ نمشي، فَعَثَرتْ في مِرْطها، فقالت: تَعِسَ مسطحٌ، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً، شهد بَدْراً؟ فقالت: يا هَنْتَاهْ! أَلَمْ تسمعي ما قالوا؟! فأخبرتني بقول أهل الإفكِ، فازددتُ مَرَضاً على مرضي، فلما رجعْتُ إلى بيتي دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ، فسلَّمَ، فقال: «**كيف تيكُمْ**»؟ فقلت: ائْذَنْ لي إلى أَبَوَيَّ، قالت: وأنا حينئذ أريدُ أَنْ أستيقنَ الخبرَ مِنْ قِبَلِهِمَا. فأذنَ لي رسولُ الله ﷺ.

فأتيتُ أبويَّ، فقلت لأمي: ما يتحدثُ بِهِ الناسُ؟ فقالتْ: يا بُنَيَّةُ! هَوِّني على نفسِك الشأنَ، فو الله لقَلَّمَا كَانَتِ امرأةٌ قَطُّ وضيئةٌ عند رجلٍ يُحِبُّها، ولها ضرائر إلا أَكْثَرْنَ عليها! فقلتُ: سبحانَ الله، ولقدْ يتحدثُ الناسُ بهذا؟! قالت: فبتُّ تلكَ الليلةَ، حتى أَصْبَحتُ لا يرقأُ لي دمعٌ، ولا أكتحل بنومٍ، ثم أصبَحْتُ، فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأسامةَ بن زيدٍ حين استلبثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا في فراق أهله.

فأمَّا أسامةُ؛ فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الْوُدِّ لَهُمْ، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم إلَّا خيراً! وَأَمَّا عليّ، فقال: يا رسول الله! لَمْ يُضَيِّقِ الله عليك، والنساءُ سواها كثير، وسل الجارية تصْدُقْكَ. فدعا رسول الله ﷺ بريرةَ، فقال: «**يا بريرةُ! هل رأيتِ فيها شَيْئاً يَرِيبُكِ**»؟ فقالت بريرةُ: لا والذي بعثك بالحقِّ إنْ رأيتُ منها أمراً أغمِصُهُ عليها قطُّ أكثرَ من أنها جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ تنامُ عن العجين، فتأتي الداجنُ، فتأكلُهُ، فقام رسول الله ﷺ من يومِهِ، فاستعذر من عبد الله بن أبيّ ابن سلولٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**من يعذرُني مِنْ رجلٍ بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمتُ على أَهْلِي إلَّا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يَدْخلُ على أَهْلِي إلَّا مَعِي؟**».

فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله! أنا والله أعذرُكَ مِنهُ إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أَمَرْتَنَا ففعلْنا فيه أمرك. فقام سعدُ بنُ عُبادةٍ، وهو سَيِّدُ الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملَتْهُ الحَمِيَّةُ، فقال: كذبتَ، والله لا تقتلهُ، ولا تقدرُ على ذَلِكَ!

فقام أُسَيْدُ بن الْحُضَيْرِ، فقال: كذبْتَ لَعَمْرُ الله! والله لَنَقْتُلَنَّهُ! فإنك منافقٌ تُجادلُ عن المنافقين، فثار الحيَّانِ: الأوسُ، والخزْرَجُ حتى همُّوا ورسولُ الله ﷺ على المنبر، فنزلَ فَخَفَّضَهُمْ حتَّى سَكَتُوا، وسكَتَ، وَبَكَيْتُ يومي لا يرقأُ لي دمعٌ، ولا أكتحلُ بنومٍ، فأصْبح عندي أَبَوَاي وقدْ بَكَيْتُ ليلتَيْنِ ويوماً، حتى أَظُنُّ أَنَّ البكاءَ فَالِقٌ كبدي، قَالَتْ: فَبَيْنَمَا هُمَا جالسانِ عندي وَأَنَا أبكي؛ إذ استأذنتِ امرأةٌ من الأنصارِ، فأَذنتُ لها، فجَلَستْ تبكي معي، فبينما نَحْنُ كذلك؛ إذ دخلَ رسول الله ﷺ، فجلسَ، ولم يجلس عندي مِنْ يومَ قيل فيَّ ما قيلَ قبْلها، وقد مكثَ شهْراً لا يُوحى إليه في شأني بشيءٍ.

قالتْ: فتشهَّدَ، ثم قال: «**يا عائشةُ لَقَد بلغني عنك كذا وكذا، فإنْ كُنْتِ بَريئةً؛ فسيُبَرِّئُكِ الله، وإنْ كُنْتِ ألممتِ بذَنْبٍ؛ فاستغفري الله، وتوبي إلَيْهِ، فإنَّ العبْدَ إذَا اعترفَ بذنبِهِ، ثُمَّ تابَ، تابَ الله عليه**». فلَمَّا قَضَى رسولُ الله ﷺ مقالَتَهُ؛ قَلَصَ دَمْعِي؛ حَتَّى ما أُحسُّ مِنْهُ قَطْرةً، وَقلتُ لأبي: أجبْ عَني رسول الله ﷺ، قال: والله ما أَدْري ما أَقُولُ لرسولِ الله ﷺ! فقُلْتُ لأمِّي: أجيبي عَنِّي رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسولِ الله! قالَتْ: وأنا جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ، لا أقرأ كثيراً مِنَ القُرآنِ، فَقُلْتُ: والله لقد عَلِمْتُ أنكمْ سَمِعْتُمْ ما يتحدثُ به الناسُ، ووقَر في أنفسكُمْ، وصَدَّقْتُمْ به، ولَئِنْ قُلْتُ لكمْ: إني بريئةٌ ـ والله يعلمُ أنِّي لبريئةٌ ـ لا تُصَدِّقُوني بذلكَ، وَلَئنْ اعترفْتُ لكمْ بأمْرٍ، ـ والله يعلمُ أني لَبريئةٌ ـ لَتُصَدِّقُنِّي، والله، مَا أَجدُ لي ولكم مثلاً إلا أبَا يُوسُفَ؛ إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

ثُمَّ تحوَّلْتُ على فِراشي، وأنا أرْجو أَنْ يُبرِّئني الله، ولكنْ والله مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ في شأني وحياً يُتْلَى، ولأَنَا أَحْقَرُ في نفسي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّم بالْقُرآنِ في أمْري، ولكنِّي كنْتُ أرجو أن يَرى رسولُ الله ﷺ في النوم رُؤْيا يُبرِّئُني الله بها، فو الله مَا رَامَ مجلسَهُ، ولا خرجَ أحدٌ من أهلِ الْبَيْتِ حتى أُنزلَ عليه الوحيُ، فأخَذَهُ ما كَانَ يأخذُهُ من الْبُرَحاءِ، حتَّى إنهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْه مثلُ الجُمانِ من العرقِ في يومٍ شَاتٍ.

فلمَّا سُرِّي عنْ رسول الله ﷺ؛ وهو يَضْحَكُ، فكانَ أَوَّلَ كلمة تكلَّم بها أن قالَ لي: «**يا عائشةُ! احْمدي الله، فقد بَرَّأَكِ الله**». فقالَتْ لي أُمي: قومي إلى رسول الله ﷺ! فقُلْتُ: لا والله، لا أقومُ إليه ولا أحمدُ إلَّا الله! فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ...﴾ الآيات.

فلما أنزل الله عز وجل هذا في براءتي؛ قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه، وكان ينفقُ على مسطح بن أُثاثة لقرابته منه ـ: والله لا أُنْفِقُ على مِسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشةَ ما قالَ! فأنْزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقال أبو بكر: بلى! والله إني لأحِبُّ أَنْ يغفر الله لي! فرجع إلى مسطح الذي كان يُجْرِي عَلَيْهِ.

وكان رسول الله ﷺ يسألُ زينبَ بنتَ جَحْشٍ عن أَمْري، فقال: «**يا زينبُ! ما علمتِ؟ ما رأيْتِ؟**». فقالت: يا رسولَ الله! أحْمِي سمْعي، وبصري، والله ما علمتُ عليها إلا خيراً! قالتْ: وهِي التي كانَتْ تساميني، فعصمَها الله بالْورع. انتهى.

تنبيه: الغزوة التي حصل فيها حديث الإفك، هي غزوة المريسيع، وتسمى غزوة بني المصطلق، وكانت في السنة الرابعة، وقيل: في السادسة للهجرة، وسببها: أن النبي ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار والد جويرية ـ رضي الله عنها ـ. التي تزوجها الرسول ﷺ، فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم،

يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل. فاقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم، ونسائهم، وأموالهم، فأفاءها الله عليه، ثم ردها عليهم، وتزوج جويرية ـ رضي الله عنها ـ تأليفاً لهم؛ لأنهم أسلموا.

تنبيه: ذكرت لك فيما تقدم: أن قصة هلال بن أمية، وعويمر العجلاني ـ رضي الله عنهما ـ كانت سنة تسع من الهجرة منصرف رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، ويذكر أصحاب السير: أن قصة عائشة ـ رضي الله عنهما ـ كانت في غزوة بني المصطلق، وقد كانت سنة خمس، أو ست من الهجرة، وهذا يعني: أن الآيات التي تقص علينا قصة الإفك متقدمة في النزول على آيات اللعان، وإن كانت متأخرة عنها في التلاوة، وإنما قدمت آيات اللعان لتتصل بالآية التي تنص على قذف المحصنات، وحد القاذفين لهن، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿جَاءُو﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِالْإِفْكِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عُصْبَةٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مِنْكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿عُصْبَةٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله الأول. ﴿شَرًّا﴾: مفعوله الثاني، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَرًّا﴾. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف. ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الوجهين. ﴿لِكُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(كل) مضاف، و﴿امْرِئٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة امرئ. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿اكْتَسَبَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿امْرِئٍ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي اكتسبه. ﴿مِنَ الْإِثْمِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، و﴿مِنَ﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾، والجملة الاسمية: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾ فيكون ما بينهما اعتراضاً. ﴿وَالَّذِي﴾: الواو: حرف استئناف (الذي): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: صلة الموصول، لا محل لها، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب حال من فاعل ﴿تَوَلَّى﴾ المستتر. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة عذاب، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِي...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَوْلَآ﴾: هلا. ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾: حين سمعتم الإفك، والافتراء على السيدة عائشة. ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ أي: اعتقدوا بالذين منهم، والتعبير بأنفسهم على حد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ فالمؤمنون كالجسد الواحد، والطاعن في أخيه كالطاعن في نفسه، واللامز لأخيه كاللامز لنفسه.

﴿خَيْرًا﴾: عفافاً، وصلاحاً، وذلك نحو ما يروى أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال لرسول الله ﷺ: أنا قاطع بكذب المنافقين؛ لأن الله تعالى عصمك من وقوع الذباب على جلدك؛ لأنه يقع على النجاسات، فيتلطخ بها، فلما عصمك الله من ذلك القدر من القذر، فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة!

وقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: إن الله ما أوقع ظلك على الأرض، لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك الظل، فلما لم يُمَكِّنْ أحداً من وضع القدم على ظلك، كيف يمكن أحداً من تلويث عرض زوجتك! وكذا قال علي ـ رضي الله عنه ـ: إن جبريل عليه السلام أخبرك أن على نعليك قذراً، وأمرك بإخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر، فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشيء من الفواحش؟

وروي: أن أبا أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال لامرأته: ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله ﷺ سوءاً؟ فقال: لا، قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله ﷺ، فعائشة خير مني، وصفوان خير منك.

وإنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر، ولم يقل: ظننتم بأنفسكم خيراً، وقلتم؛ ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات، وليدل التصريح بلفظ الإيمان على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه، ولا مؤمنة على أختها قول غائب، ولا طاعن، وهذا من الأدب الحسن الذي قلَّ القائم به، والحافظ له، وليتك تجد من يسمع، فيسكت، ولا يشيع ما سمعه بإخوانه. انتهى. كله من قول النسفي، رحمه الله تعالى.

﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: كذب بيِّن لا حقيقة له، وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٣٥] من سورة (الأنبياء)، وانظر شرح (مبين) وإعلاله في الآية رقم [١١] من سورة (الحج)، وانظر (الإيمان) في الآية رقم [١٤] منها، وانظر شرح (يسمع) في الآية رقم [٤٦] من سورة (الحج) أيضاً.

الإعراب: ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض، وقيل: فيها معنى التوبيخ. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان بمعنى حين مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿ظَنَّ﴾ الآتي، وانظر ما

ذكرته في الآية رقم [١٦] فإنه جيد. ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿ظَنَّ﴾: ماض. ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. (المؤمنات): معطوف على ما قبله. ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل ﴿ظَنَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به. وجملة: ﴿ظَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِفْكٌ﴾: خبره. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ظَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَّوْلَا﴾: هلا. ﴿جَاءُو عَلَيْهِ﴾: على ما زعموا، وقذفوا به عائشة ـ رضي الله عنها ـ. ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي: يشهدون بما زعموا، وافتروا. ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: في حكم الله وشريعته. ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما زعموا، وافتروا؛ لأن الله تعالى جعل الفرق بين الرمي الصادق، والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة، وانتفاءها، والذين رموا عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم يكن لهم بينة على قولهم، فكانوا كاذبين. هذا؛ وانظر ما ذكرته بشأن ﴿الْكَذِبَ﴾ في الآية رقم [١٠٥] من سورة (النحل) فإنه جيد.

تنبيه: رتب سبحانه وتعالى الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا، لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالإنسان على ما هو عليه، فإنما يبنى على ذلك حكم الآخرة، ومما يقوي هذا المعنى ويَعْضُده، ما خرجه البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: أيها الناسُ! إنَّ الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فَمَن أظهر لنا خيراً؛ أمنَّاهُ، وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً؛ لم نأْمَنْه، ولم نصدّقه؛ وإن قال: إن سريرته حسنة. وأجمع العلماء: أنَّ الأحكام في الدنيا على الظاهر، وأن السرائر إلى الله عز وجل. انتهى. قرطبي.

فائدة: روي: أن حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قد أنكر أن يكون قال شيئاً في حق عائشة ـ رضي الله عنها ـ يتجلى ذلك في قوله: [الطويل]

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصبح غَرْثى مِنْ لحومِ الْغَوافِلِ
حليلةُ خيرِ الناسِ ديناً وَمَنصباً ... نَبيِّ الْهُدَى والمكْرُماتِ الْفَواضِلِ
عقيلةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بن غَالِبٍ ... كِرامِ المساعي، مَجْدُها غَيْرُ زائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ الله خيمَها ... وَطَهَّرَها مِنْ كُلِّ شَيْنٍ وباطِلِ
فَإنْ كَانَ ما بُلِّغْتِ أَنِّيَ قُلْتُهُ ... فَلا رَفعتْ سَوْطِي إِلَّي أَنَامِلِي
فكيفَ ووُدِّي ما حييتُ وَنُصْرتي ... لآلِ رسولِ الله زَيْنِ الْمَحَافِلِ
له رُتَبٌ عَالٍ على الناسِ فَضْلُها ... تَقَاصَر عنها سَوْرةُ الْمُتَطَاوِلِ

وقد روي: أنه لما أنشدها قوله: (حصان رزان...) إلخ قالت له: لَسْت كذلكَ، تريد: إنك وقعتَ في الغوافل. هذا؛ وحصان: عفيفة. ورزان: ذات ثبات، ووقار وعفاف. وغرثى: جائعة. ما تزن: ماتُتَّهم. الغوافل: جمع غافلة، أي: لا ترتع في أعراض الناس. والخيم: الطبيعة، والسجية.

الإعراب: ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض، واعتبرها ابن هشام للتوبيخ، والتنديم. ﴿جَآءُو﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِأَرْبَعَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بـ: ﴿شُهَدَآءَ﴾، و(أربعة) مضاف، و﴿شُهَدَآءَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف، والمانع له ألف التأنيث الممدودة، وهي علةٌ تقوم مقام علتين من موانع الصرف. وجملة: ﴿لَوْلَا جَآءُو...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِذْ﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (إذ): يظهر فيها معنى «إن» الشرطية، ولم يقل به ابن هشام في مغنيه، ولا المرادي في جناه، أو معنى (إذا) الشرطية، ولم يقل به ابن هشام، ونقله المرادي عن قوم من المتأخرين، ونقل تصحيح المغاربة في إبطاله. وظاهر نص الآية: أنها متضمنة معنى الشرط. هذا؛ ونقل ابن هشام، والمرادي عن سيبويه أن تكون للمفاجأة، ولا تكون إلا بعد: «بينا» و«بينما» واستشهد ابن هشام لذلك بقول عَنْبر بن لبيد العذري الجاهلي: [البسيط]

اسْتَقْدِرِ الله خيراً وارْضيَنَّ بهِ ... فبينَمَا الْعُسْرُ إذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ

وهو الشاهد رقم [١٣٠] من كتابنا فتح القريب المجيب. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَأْتُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱلشُّهَدَآءِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذ)؛ لأنها مشبهة بـ «إنْ» الشرطية لفظاً ومعنىً، كما رأيت قاله في المغني. وإعراب (أولئك...) إلخ مثل إعراب ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ في الآية رقم [٤] بلا فارق، و﴿عِندَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ: ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾،

و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ جواب (إذ) لا محل لها، و(إذ) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: معنى الآية: لولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة، وأن أتكرم عليكم في الآخرة بالرحمة، والعفو، والمغفرة؛ لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك. والخطاب للذين قذفوا السيدة عائشة، وهذا الفضل هو تأخير العذاب، وقبول التوبة لمن تاب. هذا؛ والإفاضة: الأخذ في الحديث. يقال: أفاض في الحديث، وخاض فيه واندفع، وانظر شرح (الآخرة) في الآية رقم [١١] من سورة (الحج)، وشرح ﴿عَذَابٌ﴾ في الآية رقم [٤٦] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: انظر الآية رقم [١٠] ففيها الكفاية مع ملاحظة: أن جواب (لولا) حذف هناك، وذكر هنا. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بـ: (رحمته)، أو هما متعلقان بمحذوف حال منه. (الآخرة): معطوف على ما قبله. ﴿لَمَسَّكُمْ﴾: ماض، والكاف مفعول به، واللام واقعة في جواب (لولا). ﴿فِى مَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿فِى﴾، وجملة: ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ صلة ﴿مَآ﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: ﴿فِى﴾، وعلى اعتبار ﴿مَآ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: ﴿فِى﴾ التقدير: لمسكم بسبب إفاضتكم، وخوضكم فيه، وهذا على اعتبار (في) للسببية، وفيه ضعف ظاهر. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل (مس). ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة له، وجملة: ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ...﴾ إلخ جواب (لولا) لا محل لها، و(لولا) ومدخولها كلام معطوف على مثله في الآية رقم [١٠] وهو في معنى التوكيد له، فيكون ما بينهما معترضاً، أو هو مستأنف، ولا محل له على الاعتبارين.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: الضمير المنصوب عائد على (الإفك). هذا؛ والتَّلَقِّي، والتَّلَقُّف، والتَّلَقُّن معانٍ متقاربة خلا أن في الأول معنى الاستقبال، وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة، وفي الثالث معنى الحذق، والمهارة. هذا؛ وقرأ جمهور السبعة بفتح التاء، واللام، والقاف

المشددة، ويقرأ بقراءات كثيرة. والمعنى: يروي حديث الإفك بعضكم عن بعض، وذلك: أن الرجل منهم كان يلقى الرجل، فيقول: بلغني كذا، وكذا، فينقله الآخر، إلى غيره بدون تروٍّ، وتعقُّل.

هذا؛ و(ألسنتكم): جمع: لسان، ويجمع أيضاً على: لُسُن بضم اللام، وضم السين، وتسكينها أيضاً، وهو على هذا مؤنث كذراع، وأَذْرُع، والأول مذكر، كحمار، وَأَحْمِرَة، وتصغيره على التذكير: لُسَيْن، وعلى التأنيث: لُسَيْنَة، وقد يجعل اللسان كناية عن كلمة السوء، كما في قول الشاعر: [الوافر]

لِسَانُ السُّوءِ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا وَحِنْتَ، وَمَا حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَا

فيؤنث لا غير، كما يجعل كناية عن الرسالة، أو عن القصيدة من الشعر كقول الآخر: [المتقارب]

أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ فَجَلَّى أحاديثُهَا عَنْ بَصَر

وقد أطلقه الله على القرآن الكريم بكامله مع التذكير في قوله في سورة (النحل) الآية رقم [١٠٣] حيث قال جل ذكره: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ كما أطلقه على الثناء الجميل، والذكر الحسن في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآية رقم [٥٠] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: من غير أن تتأكدوا من صحته، وتعلموا: أنه حق، وإنما قيد بالأفواه؛ مع أن القول لا يكون إلا بالفم؛ لأن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب، ثم يترجم عنه اللسان، والإفك الذي تكلموا فيه ليس إلا قولاً يدور في أفواههم من غير ترجمة عن علم به في القلب، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ رقم [١٦٧] من سورة (آل عمران). هذا؛ وجمع (أفواهكم) على الأصل؛ لأن الأصل في فم: فَوْه، مثل: حوض، وأحواض.

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾: تظنون ما تكلمتم به سهلاً، لا إثم فيه، ولا حرج. هذا؛ وإعلال «هيِّن» مثل إعلال «ميِّت» في الآية رقم [١٥] من سورة (المؤمنون). هذا؛ و«حسب» من باب: تعب في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس، فيكون من الباب السادس. ويقرأ (تحسبونه) بفتح السين، وكسرها، والمصدر: الحسبان بكسر الحاء، وحسبت المال حسباً من باب: قتل بمعنى: أحصيته عدداً. ﴿وَهُوَ﴾ أي: الإفك الذي تكلموا به. ﴿عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾: كبيرة من الكبائر. وهذا مثل قول النبي ﷺ في حديث القبرين: «**إنهما لَيُعَذَّبانِ، ومَا يُعَذَّبَانِ في كبيرٍ**». أي بالنسبة إليكم. هذا؛ وقد جزع بعضهم عند الموت، فقيل له ذلك، فقال: أخاف ذنباً لم يكن مني على بال، وهو عند الله عظيم، ومعنى ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: في حكمه وشريعته.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بأحد الفعلين: (مسكم) أو ﴿أَفَضْتُمْ﴾. هذا؛ وإن اعتبرتها حرف تعليل لما قبلها؛ فالمعنى لا يأباه. ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون.. إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعول به،

والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها، أو هي تعليل لما قبلها، فلا محل لها. ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، و(تقولون) بمعنى: تنطقون. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، أو بمحذوف حال من ﴿عِلْمٌ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً...إلخ. ﴿عِلْمٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، والجملة الفعلية صلة ما، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾: معطوفة على ما قبلها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿عَظِيمٌ﴾ بعده، و(عند) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَظِيمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾ إلخ: هذا عتاب لجميع المؤمنين، أي: كان ينبغي عليكم أن تنكروه، ولا تتناقلوه بألسنتكم، وكان الواجب عليكم أن تنزهوا الله عن أن يقع من زوج نبيه ﷺ وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان، وحقيقة البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة أن يقال في الإنسان ما فيه، وهذا المعنى جاء في قوله ﷺ لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ ما الْغيبةُ؟**». قالوا: الله، ورسولُهُ أَعْلَمُ! قال: «**ذِكْرُكَ أَخاكَ فيما يَكْرَهُ لَوْ بلغهُ ذَلكَ**». قيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ في أخي ما أَقُولُ؟ قال: «**إِنْ كَانَ فيهِ ما تَقُولُ، فقد اغْتَبْتَه، وإِنْ لَمْ يَكُنْ فيه ما تقُولُ، فَقَدْ بَهَتّهُ**». رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

هذا؛ و﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: هنا للتعجب من عظم الأمر. قال في الكشاف: فإن قلت: ما معنى التعجب في كلمة التسبيح؛ قلت: الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر، حتى استعمل في كل متعجب منه، أي بدون ملاحظة معنى التنزيه، أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة، فإنه لا يجوز؛ للتنفير عن النبي ﷺ، وهو خلاف مقصود الإرسال بخلاف كفرها. انتهى.

تنبيه: حث الله المؤمنين على تنزيه الله، وتقديسه من أن تكون امرأة نبيه فاجرة، وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرة، كالذي حصل من امرأة نوح، وامرأة لوط، ولم يجز أن تكون فاجرة؛ لأن النبي مبعوث إلى الكفار، ليدعوهم إلى التوحيد، والإيمان، فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه،

والكفر غير منفر عندهم، وأما الدعارة، والفجور فمن أعظم المنفرات، وهذا يفيد أن الزنى لم تبحه أمة من الأمم، ما عدا الأمم البدائية في الأزمان الغابرة، والأمم الإباحية في العصور الحديثة.

هذا؛ وإعلال ﴿قُلْتُم﴾ مثل إعلال ﴿كُنتُم﴾ في الآية رقم [٣٨] من سورة (الأنبياء)، وانظر شرح ﴿يَسْمَع﴾ في الآية رقم [٤٥] منها، وانظر الكلام في الآية رقم [١٠٩] من سورة (المؤمنون)، وشرح (سبحان) في الآية رقم [٩١] منها.

الإعراب: ﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لولا): حرف تحضيض، واعتبرها ابن هشام مفيدة للتوبيخ، والتنديم. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بالفعل ﴿قُلْتُم﴾ فهو مبني على السكون في محل نصب، قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز الفصل بين لولا، وقلتم بالظرف. قلت: للظروف شأن، وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها، وأنها لا تنفك عنها، فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها. قال أبو حيان: وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظرف، وهو جارٍ في المفعول به، تقول: لولا زيداً ضربت، ولولا عمراً قتلت، وقال الزمخشري أيضاً: فإن قلت: أي فائدة في تقديم الظرف حتى وقع فاصلاً؟ قلت: الفائدة فيه بيان: أنه كان الواجب عليهم أن يحترزوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم، فلما كان ذكر الوقت أهم وجب تقديمه.

﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ وتسهيله، فتولدت واو الإشباع، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿قُلْتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿يَكُونُ﴾: مضارع ناقص. ﴿لَنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿يَكُونُ﴾ تقدم على الاسم. ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والمصدر المؤول من المضارع، وناصبه في محل رفع اسم ﴿يَكُونُ﴾ مؤخر. ﴿بِهَٰذَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه مقحم بين الجار والمجرور، لا محل له، وجملة: ﴿مَّا يَكُونُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْتُم...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها من الإعراب. وجملة: ﴿وَلَوْلَا إِذْ...﴾ إلخ معطوفة على ما يشبهها في الآية رقم [١٢] لا محل لها مثلها. ﴿سُبْحَانَكَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بُهْتَانٌ﴾: خبره. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة (بهتان) والجملتان: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧)﴾

الشرح: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يحرم الله عليكم. وقيل: معناه ينهاكم الله. ﴿أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ أي: في عائشة؛ لأن مثله لا يكون إلا نظير القول في

المقول عنه بعينه، أو فيمن كان في مرتبته من أزواج النبي ﷺ ـ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فلا تعودوا لقذف أزواج النبي ﷺ، وفيه تعريض بأن من قذف أزواجه عليه الصلاة والسلام فهو ليس بمؤمن.

قال هشام بن عمار: سمعت مالكاً يقول: من سبّ أبا بكر، وعمر أُدِّبَ، ومن سب عائشة قُتل؛ لأن الله يقول: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ...﴾ إلخ فمن سب عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل. وقال أصحاب الشافعي: من سب عائشة ـ رضي الله عنها ـ أُدّب كما في سائر المؤمنين، ولا يسلب عنه الإيمان، وإنما هو على حد قول النبي ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**». قال أصحاب مالك في الرد عليهم بقولهم: ليس الأمر كما زعمتم، فإن أهل الإفك رَمَوْا عائشة المطهرة بالفاحشة، فبرأها الله تعالى مما قالوا، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر. فهذا طريق قول مالك، وهي سبيل الآية، وهي لائحة لأهل البصائر، ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب. انتهى. قرطبي بتصرف ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

هذا؛ وإعلال «يعظ» مثل إعلال «يَعِدُ» في الآية رقم [٣٥] من سورة (المؤمنون)، وانظر شرح (مثل) في الآية رقم [٦٠] من سورة (الحج)، وشرح (الأبد) في الآية رقم [٤].

الإعراب: ﴿يَعِظُكُمُ﴾: مضارع، والكاف مفعول به. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿أَن تَعُودُوا﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وفي المصدر المؤول من المضارع وناصبه أوجه: أحدها: أنه مجرور بـ: «عن» محذوفة، وهذا على تأويل ﴿يَعِظُكُمُ﴾ بـ «ينهاكم»، أو هو مجرور بـ «في» محذوفة على لفظه، وهو عند البصريين في محل جر بإضافته لمفعول لأجله محذوف، التقدير: كراهة عودكم، وهو عند الكوفيين على تقدير: لئلا تعودوا، وقد مر معنا كثير من مثله. ﴿لِمِثْلِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُم﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كُنتُم...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنتم مؤمنين؛ فلا تعودوا... إلخ، وجملة: ﴿يَعِظُكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: المعنى يبين ويوضح الله الدلالات الواضحات، وأحكام الشرائع، والآداب الجميلة، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمر عائشة، وصفوان، وبكم جميعاً، وأعمالكم، وتصرفاتكم. ﴿حَكِيمٌ﴾: في جميع تشريعاته، وتدابيره، بل وبجميع صنعه.

الإعراب: ﴿وَيُبَيِّنُ﴾: الواو: حرف عطف. (يبين): مضارع. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان به. ﴿الْآيَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الاسمية: (الله عليم حكيم) في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، وإعادة الاسم الكريم بلفظه للتعظيم والتشريف، وكان حقه الإضمار، وجملة: (يبين...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي: تفشو، وتظهر، وتنتشر. ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: في المحصنين، والمحصنات، والمراد بهذا اللفظ العام عائشة وصفوان ـ رضي الله عنهما ـ، وقيل: بل المراد العموم، فكل من أحب أن تشيع الفاحشة، أو تظهر في بيت من بيوت المسلمين فهو داخل في حكم هذه الآية.

أقول: وهو الحق؛ لأن خصوص السبب لا يمنع التعميم، كما قد قررته مراراً. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: الحد، والذم في الدنيا، (و) في (الآخرة) لهم عذاب النار، وهذا للمنافقين فأما المؤمنون إذا أقيم عليهم حد القذف، فهو كفارة لهم، وقال الطبري: معناه إن مات مصراً على القذف غير تائب.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أي: مقدار عظم الذنب، والمجازاة عليه، ويعلم كل شيء من براءة عائشة، وما خاضوا فيه... إلخ. ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: قيل: معناه: يعلم ما في قلب من يحب أن تشيع الفاحشة في المؤمنين والمؤمنات، فيجازيه على ذلك، وأنتم لا تعلمون ذلك، فقد روي من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَيُّمَا رَجُلٍ شَدَّ عَضُدَ امْرِئٍ من الناسِ في خصومةٍ لا عِلْمَ لهُ بِها، فهو في سَخَطِ الله حتى ينزعَ عنها، وأيُّما رجُلٍ قال بشفاعتِهِ دُونَ حدٍّ مِنْ حدود الله أنْ يُقامَ؛ فقد عاند الله حقاً، وأقدم على سخطِهِ، وعليه لَعْنَةُ الله تتابَعُ إلى يومِ الْقيامةِ. وأَيُّما رَجُلٍ أشَاعَ عَلَى رجُلٍ مُسْلمٍ كلمةً، وهو منها بريءٌ يَرى أَنْ يَشينَهُ بهَا في الدنيا؛ كان حَقّاً على الله تعالى أَنْ يرْمِيهُ بها في النار**». ثم تلا مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ...﴾ إلخ. الآية. انتهى. قرطبي.

هذا؛ والفعل (يعلم) من المعرفة، لا من العلم. انظر شرح ذلك في الآية رقم [٣٩] من سورة (الأنبياء)، وشرح لفظ الجلالة في الآية رقم [٣] من سورة (الحج)، وشرح (الإيمان) في الآية رقم [١٤] منها.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿يُحِبُّونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿يُحِبُّونَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل ﴿تَشِيعَ﴾، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة له. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بـ: ﴿عَذَابٌ﴾ أو بمحذوف صفة له. (الآخرة): معطوف على ﴿ٱلدُّنْيَا﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (الله)، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: قال البيضاوي رحمه الله تعالى: هذا تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة، ولذا عطف قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ على حصول فضله، ورحمته عليهم. انتهى. هذا؛ ومن رأفته سبحانه إظهار براءة المقذوفين، وإثباتها. ومن رحمته غفران ذنب القاذف إذا تاب. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد بالخطاب مسطحاً، وحسان بن ثابت، وحمنة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر شرح (رؤوف) في الآية رقم [٦٥] من سورة (الحج). هذا؛ وإعراب الآية مثل إعراب الآية رقم [١٠] بلا فارق. تأمَّل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: زخارفه، ووساوسه، وأحابيله، فيحمل الإنسان على إشاعة الفاحشة، والكذب، والافتراء، والبهتان. ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ﴾: يدعو، ويزين، ويزخرف. ﴿بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ أي: بالقبائح من الأقوال، والأفعال،

وكل ما يكره الله تعالى. والآية عامة في حق كل واحد؛ لأن كل مكلف ممنوع من ذلك، وانظر مرجع الضمير في الإعراب.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما اهتدى، ولا أسلم، ولا عرف رُشْداً، ولا صلح. هذا؛ ويقرأ بتشديد الكاف، فيكون المعنى: إن تزكيته، وتطهيره، وهدايته لكم إنما هي بفضله، وتوفيقه. ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾: يطهر بالتوبة، وصالح الأعمال ﴿مَن يَشَاءُ﴾ تطهيره من الذنب بالرحمة، وقبول التوبة. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم. ﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتكم وإخلاصكم.

هذا؛ و﴿خُطُوَاتِ﴾ جمع: خُطْوة بضم الخاء، وسكون الطاء، وهي في الأصل ما بين القدمين، فاستعيرت هنا لوسوسة الشيطان، وزخرفته، وتجمع في القلة على «خُطوات» بضم الخاء، وتثليث الطاء، أي الضم بإتباع ثانيه لأوله، والفتح، وإبقاء السكون على حاله كما في المفرد، وتجمع في الكثرة على خُطىً بضم الخاء. هذا؛ والْخَطْوة بفتح الخاء: المرة الواحدة، وجمعها: خَطَوات بفتح الخاء والطاء لا غير.

بعد هذا أنقل لك ما قاله المرحوم مصطفى الغلاييني في جامع الدروس العربية: وإن جمعت اسماً ثلاثياً مضموم الأول، أو مكسوره، ساكن الثاني، صحيحه، خالياً من الإدغام، مثل: خُطْوة، وجُمْل، وهِنْد، وقِطعة، وفِقْرة؛ جاز فيه ثلاثة أوجه: الأول: إتباع ثانيه لأوله، كخُطُوات، وجُمُلات، وهِنِدات، وقِطِعات، وفِقِرات. الثاني: فتح ثانيه، كخُطَوات، وجُمَلات، وهِنَدات، وقِطَعات، وفِقَرات. الثالث: إبقاء ثانيه على حاله من السكون، كخُطْوَات، وجُمْلَات، وهِنْدَات، وقِطْعات، وفِقْرات.

أما الاسم فوق الثلاثي، كزيْنَب، والاسم الصفة، كَضَخْمَة، والاسم الثلاثي المحرك الثاني، كشَجَرة، والاسم الثلاثي الذي ثانيه حرف علة، كجَوْزَة، والاسم الثلاثي الذي فيه إدغام، كمرَّة، فكل ذلك لا تغيير فيه عند جمعه جمعَ مؤنثٍ سالماً. انتهى.

الإعراب: (يا): حرف نداء ينوب مناب: «أدعو». (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدل من (أي) أو عطف بيان عليه، أو صفة له، وانظر الآية رقم [١] من سورة (الحج) ففيها بحث جيد، وجملة: ﴿ءَامَنُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا تَتَّبِعُوا﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿خُطُوَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿خُطُوَاتِ﴾ مضاف، و﴿الشَّيْطَانِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية: ﴿لَا تَتَّبِعُوا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، كالجملة الندائية قبلها.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَّبِعْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿خُطُوَٰتِ﴾: مفعول به، و ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: مضاف إليه، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فقد غوى وضل. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وهي عائدة على: ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وقيل: عائدة على (مَنْ)، والمعنى: إن المتبع للشيطان يأمر... إلخ، فإنه بسبب اتباعه القبائح صار ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾؛ لأنه لما ضل في نفسه؛ صار يضل غيره؛ لأن شأن الشيطان الإضلال، ومن اتبعه فإنه يترقى من رتبة الضلال، والفساد، إلى رتبة الإضلال، والإفساد. ﴿يَأْمُرُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (مَنْ)، أو إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾. كما رأيت. والثاني هو المتبادر إلى الفهم. ﴿بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَأْمُرُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: هو جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها، أو لجواب الشرط المحذوف، حسب ما رأيت في مرجع الضمير.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: انظر الآية رقم [١٠] ففيها الكفاية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿زَكَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مِنكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَحَدٍ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها؛ صار حالاً». وهذا هو الأقوى. ﴿مِّنْ﴾: حرف صلة. ﴿أَحَدٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿مَا زَكَىٰ...﴾ إلخ جواب (لولا). وقال الكسائي: هذه الجملة جواب لقوله أولاً، وثانياً: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ وما بينهما معترض لا محل له، و(لولا) ومدخولها كلام معطوف على مثله فيما تقدم، لا محل له مثله.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُزَكِّى﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية خبر (لكن). ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يزكي الذي، أو شيئاً يشاء تزكيته. والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿مَا زَكَىٰ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ مستأنفة، لا محل لها، واعتبارها حالاً من فاعل ﴿يُزَكِّى﴾ المستتر لا بأس به، وعليه: فالرابط: الواو، وإعادة الاسم الكريم بلفظه للتعظيم، والتشريف.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: ولا يحلف، من «الأَلِيَّة» وهي اليمين، ومنه قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ الآية رقم [٢٢٦] من سورة (البقرة)، وقالت جماعة: لا يُقَصِّر، من قولك: ألوت في كذا: إذا قصرت فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا...﴾ إلخ الآية رقم [١١٨] من سورة (آل عمران).

فالماضي: ائتلى، والمضارع: يأتلي، ولم أره في القاموس المحيط بهذا المعنى، ولكن فيه: أَتَلَ، يَأْتِلُ أَتْلاً، وَأَتلاناً، وَأَتَلالاً محركتين: قارَبَ الخطو في غضب، ومن الطعام امتلأ، والأوْتل: الشبعان، وقوم أُتُلٌ بضمتين، وَوُتُلٌ شباعُ انتهى. هذا؛ ويقرأ: (ولا يَتَأَلَّ) من الأَلِيَّةِ، وهي اليمين. وفي المختار: آلى يُؤْلي إيلاءً: حلف، وتَأَلَّى، وائْتَلَى مثله، قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ والأَلِيَّةُ اليمين، وجمعها: ألَايا، والأَلْيَة بالفتح: أَلْيَةُ الشاةِ، ولا تقل: إِلْية بالكسر، ولا: لِيَّة وتثنيتها: أَلْيَانِ بغير تاء. انتهى.

﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ أي: في الدين، ومكارم الأخلاق. ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ أي: في المال، والغنى. ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ...﴾ إلخ أي: يعطوا وينفقوا من أموالهم على أصحاب القرابات والمساكين ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ من وطنهم من أجل دين الله. هذا؛ ويقرأ: (تؤتوا) بتاء المضارعة على الالتفات، ويعضده قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وانظر الالتفات في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء).

﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾: وليتجاوزوا عن الجفاء، والإساءة عمن أساء إليهم، وليعرضوا عن عقوبتهم، وليرجعوا إلى الإحسان عمن أساء إليهم. هذا؛ وأولوا، وأولي هو جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده «ذو» المضاف إن كان مرفوعاً، و«ذا» المضاف إن كان منصوباً، و«ذي» المضاف إن كان مجروراً.

وأما (ليعفوا) فهو بمعنى: ليصفحوا، فهو مرادف لما بعده، وهو كثير في القرآن بهذا المعنى كثرة لا تعد، ولا تحصى، كما يأتي (عفا) بمعنى الكثرة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ أي: حتى كثروا، ونموا في أنفسهم، وأموالهم. من قولهم: عفا النبات، وعفا الشحم، والوبر: إذا كثر. قال الحطيئة: [الطويل]

بِمُسْتَأْسِدِ الغُرْبانِ عافٍ نَباتُهُ بِأَسْؤُقِ عافياتِ الشَّحْمِ كُومِ

وعفا المنزل، يعفو عفاء: إذا انمحت آثاره، وذهبت معالمه، قال الشاعر: [البسيط]

وبالصَّريمةِ مِنْهُمْ منزلٌ خَلَقٌ عافٍ تَغَيَّرَ إِلَّا النُّؤْيُ وَالْوَتِدُ

وعفو المال ما يفضل عن النفقة، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾
والعافي: طالب المعروف، والإحسان، قال عروة بن الورد: [الطويل]

وإِنِّـي امْـرُؤٌ عـافـي إِنـائِـيَ شِـرْكَـةٌ ... وَأَنْـتَ امْـرُؤٌ عـافـي إِنـائِـكَ وَاحِـدُ

وجمع العافي: عفاة، قال الأعشى: [المتقارب]

تَـطُـوفُ الْـعُـفَـاةُ بِـأَبْـوَابِـهِ ... كَـطَـوْفِ الـنَّـصَـارَى بِـبَـيْـتِ الْـوَثَـنْ

بعد هذا: فالآية الكريمة نزلت في قصة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ومسطح بن أثاثة، وهو ابن خالته، وكان من المهاجرين البدريين المساكين، وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ينفق عليه لفقره، وقرابته، فلما خاض مسطح في الإفك مع الخائضين، وأنزل الله براءة السيدة عائشة ـ كما رأيت فيما سبق ـ حلف أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ألا ينفق عليه، ولا ينفعه بشيء أبداً. فلما نزلت الآية الكريمة؛ قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: والله إني لأحب أن يغفر الله لي! فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبداً، وجاء مسطح، فاعتذر إليه، وأقيم الحد عليه، كما رأيت فيما سبق.

وقال الضحاك، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم، وصلاتهم عن كل مَنْ قال في الإفك، وقالوا: لا نصل مَنْ تكلم في شأن عائشة. فنزلت الآية فيهم جميعاً. والأول أصح، وذكره بلفظ الجمع فيه دلالة واضحة على فضل أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وعلو شأنه، ومرتبته؛ حيث احتمل الأذى من ذوي القربى، ورجع على مسطح بما كان ينفقه عليه، وهذا من أشد الجهاد؛ لأنه جهاد النفس. هذا؛ وخصوص السبب لا يمنع التعميم، فهنيئاً لمن اقتدى بأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في عفوه وصفحه عمَّن أساء إليه. وخذ هذه الطرفة اللطيفة، وهي: أن ابن المقري ـ رحمه الله تعالى ـ منع عن ولده النفقة تأديباً له على أمر وقع منه، فكتب إلى والده رحمه الله تعالى يقول: [السريع]

لَا تَـقْـطَـعَـنْ عَـادَةَ بِـرٍّ وَلَا ... تَـجْـعَـلْ عِـقَـابَ الْـمَـرْءِ فِـي رِزْقِـهِ
فَـإِنَّ أَمْـرَ الإِفْـكِ مِـنْ مِـسْـطَـحٍ ... يَـحُـطُّ قَـدْرَ الـنَّـجْـمِ مِـنْ أُفْـقِـهِ
وَقَـدْ جَـرَى مِـنْـهُ الـذي قَـدْ جَـرَى ... وَعَـوتِـبَ الـصِّـدِّيـقُ فِـي حَـقِّـهِ

فكتب إليه والده رحمه الله تعالى يقول: [السريع]

قَـدْ يُـمْـنَـعُ الْـمُـضْـطَـرُّ مِـنْ مِـيـتَـةٍ ... إِذَا عَـصَـى بِـالـسَّـيْـرِ فِـي طُـرْقِـهِ
لأَنَّـهُ يَـقْـوى عَـلَـى تَـوْبَـةٍ ... تَـكُـونُ إِيـصَـالاً إِلَـى رِزْقِـهِ
لَـوْ لَـمْ يَـتُـبْ مِـسْـطَـحُ مِـنْ ذَنْـبِـهِ ... مَـا عُـوتِـبَ الـصِّـدِّيـقُ فِـي حَـقِّـهِ

انتهى.. من السيرة الحلبية. وابن المقري ـ رحمه الله تعالى ـ من علماء الشافعية القدامى.

هذا؛ وفي الآية دليل، بل وحث كبير على أن من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها؛ فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه. كيف لا؟ وقد قال النبي ﷺ لابن سَمُرَة: «**إذا حلفْتَ على يمين، فرأيتَ غيرها خَيْراً منها، فائْتِ الذي هوَ خَيرٌ، وكفِّرْ عَنْ يَمينِكَ**». ويروى الحديث أيضاً بلفظ الغيبة، وكلاهما في الصحيح. هذا؛ وقد ذكرت لك أن آية البقرة رقم [٢٢٣] نزلت في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وهي: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): ناهية جازمة. ﴿يَأْتَلِ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿أُوْلُواْ﴾: فاعله مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلُواْ﴾ مضاف، و﴿ٱلْفَضْلِ﴾: مضاف إليه. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾. ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمصدر المؤول من المضارع، وناصبه في محل جر بحرف جر محذوف مع «لا» النافية؛ إذ التقدير: على أن لا يؤتوا. ذكره الزجاج، وقال أبو عبيدة: التقدير: في أن يؤتوا. والأول أوضح معنًى كما ترى.

﴿أُوْلِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و(أولي) مضاف، و﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف. ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: معطوفان على ﴿أُوْلِي﴾ وعلامة نصب الأول الفتحة، وعلامة نصب الثاني الياء. تأمل. ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يُؤْتُوٓاْ﴾ وتعليقهما بـ: (المهاجرين) جيد، و(سبيل) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿وَلَا يَأْتَلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾: مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون.. .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَلَا يَأْتَلِ...﴾ إلخ لا محل لها، وجملة ﴿وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ معطوفة أيضاً لا محل لها. هذا؛ ومتعلق الفعلين محذوف. ﴿أَلَا﴾: حرف عرض، وهو أولى من اعتباره حرف تحضيض. ﴿تُحِبُّونَ﴾: مضارع، وفاعله، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، وإعادة الاسم الكريم بلفظه للتشريف، والتعظيم. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: يقذفون بالزنى، وانظر الآية رقم [٤] ففيها الكفاية. ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: السليمات الصدور، والنقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء، ولا مكر؛ لأنهن لم يجربن الأمور، ولم يرزنَ الأحوال، فلا يفطنَّ لما تفطن له المجربات العرافات، قال الشاعر: [الكامل]

وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِطَفْلَةٍ مَيَّالَةٍ بَلْهَاءَ تُطْلِعُنِي عَلَى أَسْرارِهَا

الطَّفلة بفتح الطاء: المرأة الناعمة، وطفلة الأنامل: رخصتها، وميَّالة، أي: مختالة، وبلهاء من البله، وهي التي لا مكر لها، ولا دهاء، وكذلك البله من الرجال في قول النبي ﷺ: «**أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ**». وهو جمع الأبله، وهو الغافل عن الشر، المطبوع على الخير، وأما الأبله الذي لا عقل له فغير مراد في الحديث؛ لأن المقام مقام مدح. ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بإقامة الحد عليهم. ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بالطرد من رحمة الله. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: جعل الله القذفة ملعونين في الدارين، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة؛ إن لم يتوبوا لعظم ذنوبهم.

قيل: هو حكم كل قاذف ما لم يتب، وقيل: هو مخصوص بمن قذف أزواج النبي ﷺ، ولذلك قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لا توبة لعبد الله بن أبي، ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في إفك عائشة ـ رضي الله عنها ـ، علماً بأن ما ذكر في هذه السورة يشمل القاذفين، والقاذفات، والمقذوفين، والمقذوفات على السواء. وذلك بالنسبة للأجر، والثواب، والغضب، والعقاب.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿يَرْمُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: ثلاث صفات لموصوف محذوف منصوب؛ إذ التقدير: النساء المحصنات... إلخ، وعلامة النصب فيهن الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لُعِنُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (الآخرة): معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَرْمُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿لُعِنُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف (لهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿لُعِنُوا۟...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. تأمل.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ أي: تنطق الألسنة في الآخرة بما قذفت في الدنيا، وهذا قبل أن يختم الله على أفواههم، كما قال تعالى في سورة (يس) رقم [٦٥]: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم...﴾ وبعد الختم تنطق الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا، كما تشهد الأسماع والأبصار والجلود على العبد بما عمل صاحبها في الدنيا، وهو ما أفادته الآية رقم [٢٠] من سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ هذا؛ وقول القرطبي، رحمه الله تعالى: «والمعنى: يوم تشهد ألسنة بعضهم على بعض بما كانوا يعملون من القذف، والبهتان» لا وجه له.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بمتعلق (لهم) أي في الخبر المحذوف، وإنما لم يعلق بـ: ﴿عَذَابٌ﴾ وهو مصدر، وشرط عمله عند البصريين ألا يوصف، وهنا قد وصف، وأجيب عن هذا بأن الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره. ﴿تَشْهَدُ﴾: مضارع. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان به. ﴿أَلْسِنَتُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَشْهَدُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل (تشهد)، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، والمفعول محذوف، وهو العائد، أو الرابط؛ إذ التقدير: بالذي، أو: بشيء كانوا يعملونه. وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: تشهد عليهم ألسنتهم... بعملهم. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تشهد عليهم ألسنتهم، وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه، وانظر الآية رقم [٥٦] من سورة (الحج). ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ﴾ أي: جزاءهم الواجب. وقيل: حسابهم العدل، وانظر شرح ﴿ٱلدِّينِ﴾ في الآية رقم [٧٨] من سورة (الحج)، وانظر شرح لفظ الجلالة في الآية رقم [٣] منها. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء. وقال البيضاوي: الثابت بذاته، الظاهر بألوهيته، لا يشاركه في ذلك غيره، ولا يقدر على الثواب، والعقاب سواه. أو ذو الحق البيِّن، أي: العادل، الظاهر عدله، ومن كان هذا شأنه، ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة. انتهى.

وقيل: معناه: يبين لهم أحقِّيَّة ما كان يعدهم في الدنيا. وقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وذلك أن عبد الله بن أبي ابن سلول كان يشك في الدين، فيعلم يوم القيامة: أن الله هو الحق المبين؛ أي لارتفاع الشكوك، وحصول العلم الضروري.

قال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ ولم يغلِّظ الله في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في إفك عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فأوجز في ذلك، وأشبع، وفصَّل، وأجمل، وأكد، وكرَّر، وما ذاك إلا لأمرٍ. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من أذنب ذنباً، ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الإفك. ولقد برأ الله أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها، وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم عليها السلام بإنطاق ولدها، وبرأ عائشة ـ رضي الله عنها ـ بهذه الآي العظام في كتابه المعجز، المتلوِّ على وجه الدهر بهذه المبالغات. فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك، وما ذاك إلا لإظهار علوِّ منزلة رسوله، والتنبيه على إنافة محله ﷺ وعلى آله. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بأحد الفعلين: ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾ و(يَعْلَمُونَ)، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، والتنوين عوض عن الجملة المحذوفة التي رأيت تقديرها في الشرح. ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به أول. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿دِينَهُمُ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿الْحَقَّ﴾: صفة ﴿دِينَهُمُ﴾. هذا؛ ويقرأ بالرفع فيكون صفة لفظ الجلالة، والجملة الفعلية: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يعلمون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: توكيد للفظ الجلالة، أو هو ضمير فصل لا محل له. ﴿الْحَقُّ﴾: خبر ﴿أَنَّ﴾. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، و﴿الْحَقُّ﴾ خبره، وعليه فالجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. ﴿الْمُبِينُ﴾: صفة ﴿الْحَقُّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (يعلمون) وجملة: ﴿وَيَعْلَمُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)﴾

الشرح: قال ابن زيد رحمه الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ من النساء ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال، وكذا (الخبيثون للخبيثات)، وكذا (الطيبات للطيبين) و(الطيبون للطيبات) فتكون هذه الآية مبنية على قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ...﴾ إلخ الآية رقم [٣].

وقال مجاهد، وابن جبير، وعطاء، وأكثر المفسرين: المعنى: الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول، وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول. قال النحاس في كتاب معاني القرآن: وهذا أحسن ما قيل في هذه الآية. انتهى. قرطبي. وعليه فالكلام الخبيث صدر من الرجل الخبيث، وهو عبد الله بن أبيٍّ، وأضرابه من المنافقين، والطيبون من الرجال، والطيبات من النساء لم يتكلموا في حق عائشة إلا بالقول الطيب، وهو تبرئتها مما رماها به الخبيثون، والخبيثات. وعليه في الكلام استعارة تصريحية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾: الإشارة إلى عائشة، وصفوان ـ رضي الله عنهما ـ وذكرهما الله بلفظ الجمع للتعظيم، والتكريم، أي: منزهون مما يقوله الخبيثون، والخبيثات في حقهما. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي: لذنوبهم. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: في الجنة. وانظر الآية رقم [٥٠] من سورة (الحج) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وروي عن علي بن زيد بن جدعان، عن جدته، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: لقد أُعْطِيتُ تِسعاً ما أُعْطِيَتْهُنَّ امرأةٌ: لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكراً، وما تزوج بكراً غيري، ولقد تُوفّي رسول الله ﷺ، وإن رأسه لفي حجري، ولقد قُبر في بيتي، ولقد حفَّتِ الملائكة بيتي، وإنْ كان الوحي لينزل عليه؛ وهو في أهله، فينصرفون عنه، وإنْ كان لينزل عليه؛ وأنا معه في لحافه، فما يُبينُني عن جسده، وإني لابنة خليفته، وصِدّيقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خُلِقْتُ طيبةً وعند طيب، ولقد وُعِدتُ مغفرةً ورزقاً كريماً، تعني قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ انتهى. قرطبي. وكان مسروق رحمه الله تعالى إذا حدث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ يقول: حدثتني الصِّدِّيقةُ بنت الصِّدِّيق، حبيبةُ رسول الله ﷺ، المبرَّأةُ من السماء.

هذا؛ وانظر ما وصفها به حسان ـ رضي الله عنه ـ في أبياته التي ذكرتها في الآية رقم [١٣]. وروي: أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ دخل على عائشة ـ رضي الله عنها ـ في مرضها، وهي خائفة من القدوم على الله تعالى، فقال: لا تخافي! لأنك لا تقدمين إلا على مغفرة، ورزق كريم، وتلا الآية، فغشي عليها فرحاً بما تلا.

الإعراب: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وما بعدها معطوفتان أيضاً عليها، لا محل لهما مثلها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف

خطاب لا محل له. ﴿مُبَرَّءُونَ﴾: خبره مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بـ: ﴿مُبَرَّءُونَ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: مبرؤون من الذي، أو من شيء يقولونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ) أي: مبرؤون من قولهم. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي في محل رفع خبر ثان للمبتدأ. ﴿وَرِزْقٌ﴾: معطوف على ماقبله. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة له.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ أي: تستأذنوا. والاستئناس في الأصل: الاستعلام، والاستكشاف، استفعال من: أنس الشيء: إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً، أي: حتى تستعلموا: أيؤذن لكم في الدخول أم لا؟ فإذاً هو من باب الكناية عن الاستئذان، أو هو من باب الإرداف؛ أي: ترادف اللفظين. ﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ أي: تقولوا: السلام عليكم. ولقد اختلف في أيهما يقدم: الاستئذان، أم السلام، فقيل: يقدم الاستئذان، فيقول: أأدخل؟ سلام عليكم، كما في الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام. وقال الأكثرون: يقدم السلام، فيقول: سلام عليكم، أأدخل؟ وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها، وتستأذنوا. ولكل فريق دليله.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: الاستئذان، والتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة. أو ما ذكر خير لكم من تحية الجاهلية. كان الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير بيته؛ قال: حييتم صباحاً. أو حييتم مساءً، ودخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحدٍ! هذا؛ والترجي إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله لا يحصل منه ترج لعباده.

هذا؛ وإن سبب نزول هذه الآية ما رواه الطبري، وغيره عن عدي بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله! إني أكونُ في بيتي على حال، لا أحبُّ أن يراني عليها أَحَدٌ، لا والدٌ، ولا ولدٌ، فيأتي الأبُ فيدخلُ عليّ، وإنهُ لا يَزالُ يدخلُ عليَّ رجالٌ منْ أهلي؛ وأنا عَلى تلك الحالِ، فكيفَ أَصْنَعُ؟ فنزلت الآية، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: يا رسولَ الله! أفرأيتَ الخانات، والمساكن في طرق الشام، ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾.

هذا؛ وإن الرجل لا يستأذن على أهل بيته، ولكن يسن في حقه أن يسلم عليهم إذا دخل، وإذا دخل بيتاً ليس فيه أحد؛ فيسن في حقه أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: وذكر لنا: أن الملائكة ترد السلام. وقال: إذا دخلت بيتك؛ فسلم على أهلك، فهم أحق مَنْ سلمت عليهم، فإن كان فيه معك أمك، أو أختك، فقالوا: تنحنح، واضرب برجلك؛ حتى ينتبها لدخولك؛ لأن الأهل لا حشمة بينك، وبينها، وأما الأم، والأخت، فقد تكونان على حالة لا تحب أن تراهما فيها. وقد روى عطاء بن يسار: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**. قال إني أَخْدُمُها، قال: **«اسْتَأْذِنْ عليْها»**. فعاوَدَهُ ثلاثاً. قال: **«أتحِبُّ أن تراها عُريَانةً؟»**. قال: لا، قالَ: **«فاسْتَأْذِنْ عَلَيْها»**. ذكره الطبري.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ﴾: انظر الآية رقم [٢١] ففيها الكفاية. ﴿بُيُوتًا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، رحمه الله تعالى. والمحققون ـ وعلى رأسهم الأخفش ـ ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب عندهم انتصاب المفعول به على السعة بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في: (دخلت المدينة، ونزلت المدينة، وسكنت الشام) ﴿غَيۡرَ﴾: صفة ﴿بُيُوتًا﴾، و﴿غَيۡرَ﴾ مضاف، و﴿بُيُوتِكُمۡ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿لَا تَدۡخُلُواْ﴾. ﴿وَتُسَلِّمُواْ﴾: معطوف على ما قبله، فهو منصوب مثله... إلخ، والواو فاعله... إلخ. ﴿عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿خَيۡرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَّكُمۡ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيۡرٌ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾: انظر مثلها في الآية رقم [١]، والجملة الاسمية هنا متعلقة بكلام محذوف، التقدير: أنزل عليكم حكم الاستئذان، أو قيل لكم: استئذنوا قبل دخول بيوت غيركم إرادة أن تذكروا، وتعملوا بما هو أصلح لكم. انتهى. بيضاوي بتصرف كبير.

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ﴾ أي: في البيوت. ﴿أَحَدٗا﴾: يأذن لكم في الدخول. ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ﴾ أي: حتى يأتي من يأذن لكم، فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على

العورات فقط، بل وعلى ما يخفيه الناس عادة، مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور، واستثني ما إذا عرض فيه حرق، أو غرق، أو كان فيه منكر ونحو ذلك؛ فإنه يجوز اقتحام البيوت من غير إذن أهلها في تلك الحالات.

﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟﴾: ولا تلحوا بطلب الدخول، ولا تقفوا على الباب ملازمين، ولا تجدوا في نفوسكم على صاحب البيت، بل ولا تروا أن فيه غَضاضةً، وانتقاصاً من كرامتكم. ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي: الرجوع المفهوم من الفعلين السابقين أطهر لقلوبكم، وأصلح لأعمالكم، فإن للناس حاجات وأحوالاً يكرهون الدخول عليهم فيها، وإذا حضر إلى الباب، فلم يستأذن، وقعد على الباب منتظراً خروج صاحب الدار جاز له ذلك، فقد كان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يأتي دور الأنصار لطلب الحديث، فيقعد، ولا يستأذن، حتى يخرج إليه صاحب الدار، فإذا خرج، ورآه قال: يا بن عم رسول الله! لو أخبرتني بمكانك، فيقول: هكذا أمرنا أن نطلب العلم.

وإذا وقف على الباب، فلا يجوز له أن ينظر من شقه إذا كان مردوداً، فعن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً اطَّلَعَ على النَّبيِّ ﷺ من حُجْرٍ في حُجْرَةِ النبي ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مِدْرَاةٌ يَحُكُّ به رأسَهُ، فقال النبي ﷺ: «**لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تنْظُرُ؛ لَطَعنْتُ بها في عَيْنِكَ، إنما جُعِلَ الاسْتِئذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، والمِدْراةُ المِشْطُ، ويروى: مِدْرى بالقصر.

وعن عبد الله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أبْوابها، ولكن ائْتُوهَا من جَوَانِبِها، فاسْتأْذِنُوا، فَإن أُذِنَ لَكُم فَادْخُلُوا، وإلَّا؛ فَارْجِعُوا**». رواه الطبراني في الكبير، فينبغي أن يقف المستأذن على يمين الباب، أو يساره، ولا يستقبله، ثم إذا قيل: من هذا؟ قال: أنا فلان، أو: أبو فلان، ولا يقل: أنا؛ فإنه لا يعرف، وقد أنكر النبي ﷺ على من قال: أنا. فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: اسْتَأْذَنْتُ على النَّبِيِّ ﷺ، فقال: «**مَنْ هذا؟**». فقُلْتُ: أنا، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَنَا، أَنَا**». كأنه كره ذلك. رواه الشيخان وغيرهما.

فينبغي مراعاة هذه الآداب في الاستئذان، وإنا لنفخر بما شرع الله لنا من آداب كثيرة، ومن جملتها هذا الاستئذان، وإن كثيراً من غير المسلمين يحسدوننا على هذا الأدب، فقد ذكر لي أحد إخواني: أن نصرانياً قال له: نحسدكم على ما في دينكم من آداب، وفي طليعتها أدب الاستئذان. ولكن الكثير من المسلمين قد أهملوا هذه الآداب، واعتبروها مَعَرَّةً لهم، وانتقاصاً من أقدارهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله! هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تَوَعُّدٌ لمن يتجسس على البيوت، ويحاول الدخول على غفلة من أهلها، والنظر إلى ما لا يحل، ولا يجوز، ولغيرهم ممَّن يرتكب شيئاً من المحظورات.

فائدة: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ في مثل هذا التركيب: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾: دخلت «إِنْ» على «لَمْ» ليرتد الفعل إلى أصله في لفظه، وهو الاستقبال؛ لأنَّ «لَمْ» تَرُدُّ لفظ المستقبل إلى معنى المضي، و«إِنْ» ترد الماضي إلى معنى الاستقبال، فلما صارت «لَمْ» ولفظ المستقبل بعدها بمعنى الماضي ردتها «إِنْ» إلى الاستقبال؛ لأن «إِنْ» ترد الماضي إلى معنى الاستقبال. انتهى.

هذا؛ وإعلال ﴿تَجِدُوا﴾ مثل إعلال (يَعِدُ) في الآية رقم [٣٥] من سورة (المؤمنون)، وانظر شرح (أحد) في الآية رقم [٣٢] من سورة (الكهف)، وأما ﴿قِيلَ﴾ فأصلها: قُوِل، بضم القاف، وكسر الواو، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها، بعد سلب حركتها، فصار (قِوْل) بكسر القاف وسكون الواو، ثم قلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة بعد كسرة، فصار قيل.

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَجِدُوا﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وهو في محل جزم فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية. ﴿تَدْخُلُوهَا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) . . . إلخ، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، وانظر ما ذكرته في الآية السابقة، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور. والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يُؤْذَنَ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: في محل رفع نائب فاعله، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلها، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿قِيلَ﴾: ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: هو، يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وإذا قيل قول، وقيل: الجار والمجرور لكم في محل رفع نائب فاعل، وقيل: جملة: (ارجعوا) هي نائب الفاعل، وهذا على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «بحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه» وهذا كلام لا غبار عليه، انظر الشاهد [٧٩٣] من كتابنا فتح القريب المجيب والكلام عليه.

﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ارْجِعُوا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مفسرة لنائب الفاعل على اعتباره ضميراً، أو هي في محل

نصب مقول القول، أو هي نفسها في محل رفع نائب فاعل، كما رأيت، فتكون على الحكاية، وهو المعتمد، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ لا محل لها... إلخ. ﴿فَٱرْجِعُواْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، والجملة: (ارجعوا) في محل جزم جواب الشرط... إلخ، و(إن) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَزْكَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَزْكَىٰ﴾. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: الله عليم بعملكم، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: روي: أن بعض المسلمين لما نزلت آية الاستئذان السابقة تعمق في الأمر، فكان لا يأتي موضعاً خرباً، ولا مسكوناً إلا سلم، واستأذن، فنزلت هذه الآية، حيث أباح الله تعالى فيها رفع الاستئذان في كل بيت، لا يسكنه أحد؛ لأن العلة إنما هي لأجل خوف الكشفة على الحرمات، فإذا زالت العلة زال الحكم. انتهى. قرطبي.

هذا؛ والمراد بالبيوت غير المسكونة كالربط، والمدارس، والخانات المعدة لنزول المسافرين، والحوانيت المعدة للبيع والشراء، والمحلات المعدة لقضاء الحاجة من بول، وغائط، والفنادق المعدة لنوم الغرباء، وإيوائهم مع العلم أنه لا يجوز دخول غرفة من غرف الفندق حتى يعلم، ويتأكد: أنه ليس فيها أحد؛ لأن من المعلوم أن كثيراً من الغرباء يكونون مع أزواجهم، مصطحبين لهنَّ في سفرهم.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إثم، ومؤاخذة. ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ أي: استمتاع كالاستكنان من الحر والبرد، وإيواء الأمتعة، والجلوس للمعاملة. وقيل: المراد لكم فيها أمتعة كالحقيبة ونحوها مما يصطحبه المسافر في سفره. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ...﴾ إلخ: فيه وعيد، وتهديد لمن يدخل مدخلاً لفساد، أو بقصد تطلع على عورات، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لَّيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جُنَاحٌ﴾: اسم ليس مؤخر، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ في محل جر بحرف جر

محذوف، التقدير: في دخول بيوت غير مسكونة. والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿جُنَاحٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، وانظر الآية رقم [٢٧] لإعراب مثل هذه الكلمات بالتفصيل. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَتَٰعٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَتَٰعٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية في محل نصب صفة ثانية لـ: ﴿بُيُوتًا﴾ أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿لَّيْسَ...﴾ إلخ هي بمنزلة الاستثناء من قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، وهو بمعنى: يعرف، فيتعدى لمفعول واحد فقط، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يعلم الذي، أو: شيئاً تبدونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم إبداءكم، وفيه ضعف ظاهر. ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: معطوف على ما قبله على جميع الاعتبارات. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾: هذا خطاب موجه للنبي ﷺ أمره ربه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم عما لا يجوز النظر إليه، وغض البصر: كفه عن المحرمات، يقال: غض بصره، يغضه غضاً. قال عنترة الجاهلي ـ وفيه شهامة أكثر من مئات الألوف من المسلمين في هذه الأيام ـ: [الكامل]

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِيَ جَارَتِي ... حَتَّى يُوارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا

وقال حاتم الطائي، والجاهلي أيضاً ـ وفيه غيرة وحمية أكثر من عشرات الملايين من مسلمي هذه الأيام ـ: [الكامل]

وَأَغُضُّ طَرْفِي إنْ بَدَتْ لِيَ جَارَتِي ... حَتَّى يُوارِيَ جَارَتِي الْخِدْرُ

﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ أي: يستروها عن أن يراها من لا يحل نظرهم إليها، أو يحفظوها عن الزنى، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ...﴾ إلخ انظر الآية رقم [٥] من سورة (المؤمنون). ولم يذكر الله تعالى ما يغض البصر عنه، ويحفظ الفرج منه؛ لأن ذلك معلوم بالعادة، وأن المراد منه المحرَّم دون المحلَّل، وعلى الاعتبار الأول فالصحيح أن الجميع مراد، واللفظ عام.

وروى بَهْز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه، عن جده ـ رضي الله عنهم ـ قال: قلت: يا رسول الله! عوراتُنا ما نأتي منها، وما نذرُ؟ قال: «**اِحْفَظْ عورَتَكَ إلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أو ما مَلَكتْ يَمينُك**». قال: الرجلُ يكونُ مع الرجل، قال: «**إن استطَعْتَ ألَّا يَراها أحدٌ فافعَلْ**». قلتُ: الرجلُ يكونُ خالياً؟ فقال: «**الله أحَقُّ أنْ يُسْتَحْيَا منهُ مِنَ الناسِ**». وقد ذكرت عائشة ـ رضي الله عنها ـ رسول الله ﷺ، وحالها معه، ﷺ، فقالت: (ما رأيْتُ مِنْهُ، وَلَا رَأى منِّي) فحذفت ـ رضي الله عنها ـ مفعول الفعلين، والمراد به: الفرج. وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَنْظُر الرَّجُلُ إلى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، ولا الْمرأةُ إلى عَوْرةِ الْمَرْأةِ، ولا يُفْض الرَّجُلُ إلى الرجلِ في ثوبٍ واحدٍ، ولا تُفْض الْمرأةُ إلى المرأةِ في ثوبٍ وَاحِد**». أخرجه مسلم.

﴿ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ أي: غض البصر، وحفظ الفرج أطهر في الدين، وأبعد من دنس الآثام والريبة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾: لا يخفى عليه إجالة أبصارهم، واستعمال سائر حواسهم، وتحريك جوارحهم، وما يقصدون بها، فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون. هذا؛ و﴿يَصۡنَعُونَ﴾ أبلغ من قوله: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ في الآية السابقة، من حيث إن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه، وتروٍّ، وتحرِّي إجادة، ولذلك ذم به خواص اليهود وذلك في سورة (المائدة) الآية رقم [٦٣] بينما ذم عوامهم بقوله ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ وذلك في الآية رقم [٦٢] منها.

هذا؛ ولقد كره الشعبي أن يُديم الرجل النظر إلى ابنته، أو أمه، أو أخته، وزمانه خير من زماننا هذا، وحرام على الرجل أن ينظر إلى ذاتِ مُحَرَّمةٍ نظرَ شهوة يردِّدها. انتهى. قرطبي.

تنبيه: البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأهم طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وعن كل ما يخشى الفتنة من أجله، ورحم الله من يقول: [البسيط]

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
والْمَرْءُ ما دامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُها ... في أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ فَعَلَتْ في قلبِ صَاحِبِها ... فِعْلَ السِّهامِ بِلَا قَوْسٍ، ولَا وتَرِ
يَسُرُّ نَاظِرَهُ ما سَاءَ خاطِرَهُ ... لَا مَرْحَباً بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة تحذر من سقطاته. وترغب في غضه، وكفه عن النظر إلى المحرمات، فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهامِ إبْليسَ، مَنْ تَرَكَها مِنْ مَخافَتِي، أبْدَلْتُهُ إيماناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ في قَلْبِهِ**». رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

هذا؛ وإن الإسلام أباح النظرة الأولى نظرة الفجاءة، وحرم النظرة الثانية نظرة التتبع، والتمتُّع، والمعاودة؛ لأن النظر إلى النساء باب عظيم من أبواب البلاء، فقد قال الرسول ﷺ

لعلي كرم الله وجهه: «**يَا عَلَيُّ! لا تُتْبِع النَّظْرَةَ النظرةَ، فإنما لكَ الأولَى، وَعَلَيْكَ الثانِيَةُ**». وفي رواية: «**وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ**». والأحاديث في ذلك كثيرة مسطورة.

خاتمة: نظر الرجل إلى المرأة على ستة أضرب: أحدها: نظره ـ ولو كان شيخاً هرماً، عاجزاً عن الوطء ـ إلى أجنبية لغير حاجة؛ فغير جائز. الثاني: نظره إلى زوجته، فيجوز أن ينظر كل شيء منها حتى الفرج مع الكراهة. والثالث: نظره إلى ذوات محارمه، فيجوز فيما عدا ما بين السرة والركبة إذا كان بغير شهوة. والرابع: النظر لأجل النكاح أي نظر الخاطب إلى خطيبته، وبالعكس، فيجوز إلى الوجه والكفين. والخامس: النظر للمداواة، فيجوز إلى المواضع التي يحتاج إليها، وهذا عند فقد امرأة تعالج المرأة، فإن وجدت امرأة مسلمة؛ فهي أحق، وإذا لم توجد مسلمة؛ فامرأة كافرة أحق من الرجل؛ وإن كان مسلماً صالحاً. والسادس: النظر للشهادة عليها، أو للمعاملة معها، فيجوز النظر إلى الوجه خاصة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَغُضُّواْ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو جواب ﴿قُل﴾. وتقدير الكلام: إن تقل لهم يغضوا، قاله الأخفش، ورده قوم، قالوا: لأن قول الرسول لهم لا يوجب أن يغضوا، وهذا عندي لا يبطل قوله؛ لأنه لم يُرِدْ أمر الكفار، بل المؤمنين كما هو واضح، وإذا قال لهم الرسول: غضوا أبصاركم؛ غضوها؛ لأنهم مأمورون بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾.

والوجه الثاني: حكي عن المبرد، وهو أن التقدير: قل لهم: غضوا؛ يغضوا، فيغضوا المصرح به جواب غضوا المحذوف، حكاه جماعة عنه، ولم يتعرضوا لإفساده، وهو فاسد لوجهين: أحدهما: أن جواب الشرط، يخالف الشرط، إما في الفعل، وإما في الفاعل، أو فيهما، فأما إذا كان مثله في الفعل والفاعل فهو خطأ، كقولك: قم تقم، والتقدير على ما ذكر في هذا الوجه: إن يغضوا يغضوا، والوجه الثاني أن الأمر المقدر للمواجهة، ويغضوا على لفظ الغيبة، وهو خطأ إذا كان الفاعل واحداً.

والوجه الثالث من الأوجه الأولى: أنه مجزوم بلام محذوفة، تقديره: ليغضوا، فهو أمر مستأنف، وجاز حذف اللام لدلالة ﴿قُل﴾ على الأمر، وهذه التوجيهات أخذتها من إعراب الآية رقم [٣١] من سورة (إبراهيم) ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ بالمقايسة بين ما هنا وهناك، فإن التعبير في الآيتين واحد، ولم يذكر أحد شيئاً في إعراب الآية هنا، وما هناك منقول عن أبي البقاء العكبري، ومكي بن أبي طالب القيسي، مع الإشارة إلى ما ذكره ابن هشام في مغنيه. رحم الله الجميع رحمة واسعة، وشملنا معهم ببره، وإحسانه، وفضله، وكرمه، وجوده.

هذا؛ و﴿يَغُضُّواْ﴾ مجزوم على جميع الوجوه المذكورة، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، أو في محل نصب مقول القول على حسب الوجوه المعتبرة فيها، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة وهذا على مذهب الأخفش الذي يجيز زيادتها في الإيجاب، ويؤيده قوله تعالى في سورة (الحجرات): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ وهو مذهب الكوفيين. ﴿أَبْصَـٰرِهِمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وقيل: ﴿مِنْ﴾ أصلية جارة، وعليه فالجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَيَحْفَظُواْ﴾: معطوف على ما قبله على جميع الوجوه المعتبرة فيه. ﴿فُرُوجَهُمْ﴾: مفعول به، و(الهاء) في محل جر بالإضافة، ودخلت ﴿مِنْ﴾ في غض البصر، دون حفظ الفرج لتدل على أن أمر النظر أوسع، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن، وصدورهن، وكذا الإماء المستعرضات للبيع في الزمن الماضي، وأما الفروج؛ فمضيق فيها.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف للخطاب حرف لا محل له. ﴿أَزْكَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وهو أفعل تفضيل، فاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «هو». ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَزْكَىٰ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿خَبِيرٌ﴾: خبرها. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بخبير، وانظر إعراب مثل الباقي في الآية رقم [٢٨] فهو مثله بلا فارق، وفي الآية السابقة ما يشبهه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَـرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: خص الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد، فإن قوله جل ذكره في الآية السابقة: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يكفي؛ لأنه قول عام يتناول

الذكر، والأنثى من المؤمنين، حسب كل خطاب عام في القرآن، وبدأ جل ذكره بغض البصر، قبل حفظ الفرج؛ لأن البصر رائد القلب، كما أن الحمَّى رائد الموت، وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَيْنَ لِلْقَلْبِ رَائِدٌ فَمَا تَأْلَفُ الْعَيْنَانِ فَالْقَلْبُ آلِفُ

ورحم الله من يقول: [الطويل]

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْبَعَتْكَ الْمَنَاظِرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

هذا؛ وقد قيل: إن النظر بريد الزنى، ورسول الفحش، والخنا، ورحم الله أحمد شوقي؛ إذ يقول: [الخفيف]

نَظْرَةٌ، فَابْتِسَامَةٌ، فَسَلَامٌ فَكَلَامٌ، فَمَوْعِدٌ، فَلِقَاءُ

هذا؛ وإن الله جلت قدرته أمر المرأة بغض بصرها عن الرجل، كما أمر الرجل بغض البصر عنها؛ لأنه قد يعجبها من الرجال ما يعجب الرجال من النساء، حتى لا نقع في فتنة عمياء، تورثها البلاء، والشقاء، فقد روى الترمذي، وأبو داود ـ رحمهما الله تعالى ـ عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كُنْتُ عِندَ رسول الله ﷺ، وعندَهُ مَيْمُونَةُ بنتُ الحارِثِ؛ إذْ أَقْبَلَ ابْنُ أمّ مَكْتُومٍ، فدخَلَ عَلَيهِ، وذلك بَعْدَمَا أُمِرْنَا بالْحِجَابِ، فقال رسولُ الله ﷺ: **«احْتَجِبَا مِنْهُ»**. فَقُلْنَا: يا رسول الله! أَلَيْسَ أَعْمَى، لا يُبْصِرُنَا، ولَا يَعْرِفُنَا؟! فقال: **«أَفَعَمْيَاوانِ أَنْتُمَا، أَلَسْتُمَا تُبْصِرانِهِ؟!»**.

﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: بالتستر، أو التحفظ عن الزنى، وهو الأولى. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: لغير مَحْرَمٍ. والمراد بالزينة: ما تتزين به المرأة من حليٍّ، أو كحل، أو خضاب في الرجل، والسوار في المعصم، والقرط في الأذن، والقلائد في العنق، فلا يجوز للمرأة إظهارها، ولا يجوز للأجنبي النظر إليها، والمراد من الزينة النظر إلى مواضعها من البدن. ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: من الزينة.

قال سعيد بن جبير، والضحاك، والأوزاعي: الوجه والكفان، وقال ابن مسعود: هي الثياب، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: هي الكحل، والخاتم، والخضاب في الكف، فما كان من الزينة الظاهرة، يجوز للرجل الأجنبي النظر إليه للضرورة، مثل تحمل الشهادات، ونحوه من الضرورات؛ إذا لم يخف فتنة، وشهوة، فإن خاف شيئاً من ذلك؛ غَضَّ البصر، وإنما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها؛ لأنه ليس بعورة، وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنها عورة، يدل على ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: (أَنَّ أسماءَ بِنتَ أبي بَكْرٍ ـ رَضيَ الله عنهما ـ دَخَلَتْ عَلَى رسولِ الله ﷺ، وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فَأَعْرَضَ

عنها رسول الله ﷺ، وقالَ لها: «**يا أَسْماءُ! إِنَّ المرأةَ إذا بَلَغَتِ المحيضَ؛ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنها إِلَّا هَذَا، وأشار إلى وَجْهِهِ، وَكَفَّيْهِ**». وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٠] الآتية.

فهذا أقوى في جانب الاحتياط، ولمراعاة فساد الناس، فلا تُبْدِ المرأة من زينتها، إلا ما ظهر من وجهها وكفيها. والله الموفق لا رب سواه. وقد قال ابن خُوَيْزِ مَنْدَادَ من علماء المالكية: إن المرأة إذا كانت جميلة، وخيف من وجهها، وكفيها الفتنة، فعليها ستر ذلك، وإن كانت عجوزاً، أو مُقَبَّحَةً؛ جاز أن تكشف وجهها، وكفيها.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: (الخمر) جمع: الخمار بكسر الخاء، وهو ما تغطي به رأسها، ومنه اخْتَمَرتِ المرأة، وتَخَمَّرَتْ، وهي حسنة الْخِمْرَة، ويجمع الخمار على أخمرة أيضاً، قال الراعي النميري، وينسب للقتال الكلابي: [البسيط]

صَلَّى عَلَى عَزَّةَ الرحْمنُ وابْنَتِهَا ... لَيْلى وصَلَّى على جَارَاتِها الأُخَرِ

هُنَّ الحَرَائرُ لا رَبَّاتُ أَخْمِرَةٍ ... سُودُ المَحَاجِرِ، لا يَقْرَأْنَ بالسُّورِ

و﴿جُيُوبِهِنَّ﴾: جمع: جيب، وهو موضع القطع عند الرقبة والصدر من الثوب، والمراد: ليُلقينَ ثيابهن على نحورهن، وصدورهن. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة، ولا للأجانب، وهي ما عدا الوجه والكفين، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت: رحم الله نساء المهاجرات الأُوَل لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن أزرهن، فاختمرن بها. ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن ـ رضي الله عنهم ـ وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها، وما هنالك، فشقته عليها، وقالت: إنما يضرب بالكثيف الذي يستر.

﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾: فهؤلاء هم الذين يجوز لهم أن ينظروا إلى الزينة الباطنة، ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة، ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدن زوجته؛ غير أنه يكره له النظر إلى فرجها، ولهذا المعنى بدأ الله بالبعولة؛ لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا. هذا؛ ولا يفوتني أن أذكر أن نظر الرجل إلى فرج زوجته كثيراً، يورث عمى القلب، ومن ذلك كثرة النسيان. وقد تساهل أصبغ من المالكية تساهلاً كبيراً في ذلك، ولا شك أنه تختلف مراتب ما يبدى لهم، فيبدى للأب ما لا يجوز إبداؤه لولد الزوج.

هذا؛ والمراد بـ: ﴿أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ الذكور، ويدخل فيه أولاد الأولاد، وإن سفلوا من ذكور كانوا أو إناث كبني البنين وبني البنات، وكذلك آباء البعولة، والأجداد، وإن علوا، وكذلك أبناء البنات، وأبناء الإخوة، وأبناء الأخوات، وإن سفلوا، وهذا كله في معنى ما حرم من المناكح، فإن ذلك على المعاني في الولادات، وهؤلاء محارم، انظر الآية رقم [٢٣] من سورة (النساء). هذا؛

ولم يذكر الله الأعمام، والأخوال مع كونهم من المحارم، وأولادهم ليسوا من المحارم باتفاق جميع المسلمين؛ لأن مناكحتهم صحيحة لا حرج فيها. ولم يذكر جلت قدرته ما يحرم بالرضاع. وقد ذكرته آية النساء المذكورة. تنبه لهذا؛ واحفظه، وقيل: لم يذكر الأعمام، والأخوال؛ لأنهم في معنى الإخوان، أو؛ لأن الأحوط أن يتسترن عنهم أن يصفوهن لأولادهم.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات من أهل دينهم، أراد به: أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة ما عدا ما بين السرة، والركبة، فلا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتعرى من ثيابها عند الذمية، أو الوثنية؛ لأنها ليست من نساء المؤمنات، ولأنها أجنبية في الدين. فكانت أبعد من الرجل المسلم الذي يحل نكاحه، وكان قد كتب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى أبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ: أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات، وذلك لئلا تصف الكافرة جسد المسلمة لزوجها، أو غيره من أقاربها. ولا يفوتني أن أذكر: أنه تقدم الطبيبة الكافرة في معالجة المرأة المسلمة، ومداواتها على الطبيب المسلم، ولو كان صالحاً، ولكن المسلمين في هذه الأيام يقدمون الطبيب الكافر على الطبيب المسلم بل وعلى الطبيبة المسلمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ أي: من العبيد والإماء، بمعنى يجوز للمرأة المسلمة أن تكشف من بدنها ما عدا ما بين السرة والركبة لمن تملكه من العبيد، ولا أطيل الكلام في ذلك؛ لأنه لم يعد الرق موجوداً في الدنيا. ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ الإربة: الحاجة، يقال: أَرِبْتُ كذا، آرِبُ أَرَباً، والإِرْب، والإِرْبة، والمأْرُبة، والأَرَب: الحاجة، والجمع: مآرب، أي: حوائج، وانظر الآية رقم [١٨] من سورة (طه) وقال طرفة بن العبد البكري: [الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ قَالَ الْجَهْلَ والحوبَ والخنَا تَقَدَّمَ يَوْماً ثُمَّ ضَاعَتْ مَآرِبُهْ

هذا؛ وقد اختلف في المراد بذي الإربة، فقيل: هو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء، وقيل: هو الأبله، وقيل: هو العنين، وقيل: هو الخصي، وقيل: هو الرجل يتبع القوم، فيأكل معهم، لا همة له إلا ذلك، ولا حاجة له في النساء، وقيل: هو المخنث. وبهذه الصفة كان «هِيْتُ» المخنث عند رسول الله ﷺ، فلما سمع منه ما سمع من وصف محاسن المرأة، وهي بادية بنة غيلان أمر بالاحتجاب منه.

فقد ذكر الواقدي، والكلبي: أن «هيتاً» المخنث، قال لعبد الله بن أمية المخزومي، وهو أخو أم سلمة لأبيها، وأمه عاتكة عمة رسول الله ﷺ، قال له، وهو في بيت أخته أم سلمة، ورسول الله ﷺ يسمع: إن فتح الله عليكم الطائف، فعليك ببادية بنت غيلان بن سلمة الثقفي، فإنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان، مع ثغر كالأقحوان، إن جلست تبنَّتْ، وإن تكلمت تغنَّتْ، بين رجليها كالإناء المكفوء، وهي كما قال قيس بن الخطيم: [المنسرح]

تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهْيَ لاهِيَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وجهها نُزُفُ

بـيـنَ شُـكـولِ الـنِّـسَـاءِ خـلْـقَـتُـهَـا قـصْـدٌ، فـلا جَـبْـلَـةٌ، ولا قَـضَـفُ
تـنـامُ عـنْ كُـبْـرِ شـأنِـهـا فـإذا قَـامَـتْ رُوَيْـداً تـكـادُ تَـنْـقَـصِـفُ

تغترق الطرف: أي من نظر إليها استغرقت طرفه، وبصره، وشغلته عن النظر إلى غيرها، وهي لاهية عنه، غير محتفلة به. نزف: أي: كأنما ينزف الدم من وجهها لشدة حمرته، وشقرته، والشكول: الضروب، والأمثال. وقصْدٌ: ليست بالجسيمة، ولا النحيفة. والجبلة: الغليظة. والقضف: الدقة، وقلة اللحم.

فقال له النبي ﷺ: «**لقد غَلْغَلْتَ النظرَ إليها يا عَدُوَّ الله**». ثم أجلاه عن المدينة إلى الحِمَىٰ. رواه مسلم. وزاد أبو داود في رواية: فاحجبوه، وأخرجوه إلى البيداء، فكان يدخل كل جمعة فيستطعم، ولم يزل بذلك المكان حتى قُبض النبي ﷺ، فلما ولي أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ كُلِّمَ فيه، فأبى أن يرده، فلما ولي عمر ـ رضي الله عنه ـ؛ كُلِّم فيه، فأبى أن يرده، ثم كُلِّمَ فيه عثمان رضي الله بَعْدُ، وقيل: إنه كَبِرَ، وضعف، فأذن له أن يدخل المدينة. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع، فيطلعوا عليها، أو لم يعرفوا العورة من غيرها لصغرهم. وقيل: لم يطيقوا أمر النساء. هذا؛ والطفل اسم جنس وضع موضع الجمع اكتفاءً بدلالة الوصف؛ أي الموصول. انظر الآية رقم [٥] من سورة (الحج) فالبحث فيها ضافٍ كافٍ، ويقرأ شاذاً: (الأطفال) كما قرئ: (عَوَرات) بفتح الواو شاذاً قراءةً، ولغةً، وانظر ما ذكرته في خطوات في الآية رقم [٢١] وانظر شرح النساء في الآية رقم [٦٠] الآتية.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: قيل: كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها الأرض ليسمع صوت خلخالها، أو يتبين، فنهين عن ذلك، وقيل: إن الرجل تغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال، ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن، وقد علل الله ذلك برغبتهن في معرفة ما يخفين من زينتهن، فنهى الله عن ذلك؛ لأن إسماع صوت الزينة كإبداء الزينة، أو أشد، والغرض التستر، وسد الذريعة، ولذا نهى الله عنه، والنهي للتحريم، إن فعلت ذلك تبرجاً، وتعرضاً للرجال، علماً بأن الخلخال لم يكن في هذه الأيام زينة للنساء، ولكن الآنسة في هذه الأيام تكشف عن ساعديها، ونحرها، وأذنيها لتري زينتها للغادين، والرائحين بلا خجل، ولا ارعواء، لا من الله، ولا من الناس، ولا حول، ولا قوة إلا بالله!.

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: من التقصير الواقع في أمره، ونهيه، وراجعوا طاعته، فيما أمركم به، ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة. قيل: إن أوامر الله، ونواهيه في كل باب، لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها، وإن ضبط نفسه، واجتهد، فلا ينفك عن تقصير يقع

منه، فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة، والاستغفار، ووعد بالفلاح إذا تابوا، واستغفروا، وقد قيل: أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة إلى التوبة. وينبغي أن تعلم: أن التوبة المقبولة هي التوبة النصوح التي ذكرها ربنا في سورة (التحريم) ولها شروط: الندم بالجنان، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالأركان، ورد الحقوق لأصحابها بحسب الإمكان.

وقد كان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار، والتوبة مع كونه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وذلك تعليم لنا، وترغيب في كثرة الاستغفار، والتوبة إلى الله تعالى، فعن الأغر أغر مزينة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُوبُوا إلى رَبِّكُمْ، فَو الله إِنِّي لأَتُوبُ إلى ربِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى مئَةَ مَرَّةٍ في اليَوْمِ**». رواه مسلم، وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: إنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لرسولِ الله ﷺ في المجلس يقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لي، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التوابُ الرَّحيمُ مئَةَ مَرَّةٍ**». أخرجه عبد بن حميد الكشي، والأحاديث المرغبة في التوبة كثيرة لا تعد، ولا تحصى. ولا تنس: أن في الآية التفاتاً من الغيبة في كل ما تقدم إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ...﴾ إلخ، وانظر الالتفات في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء).

خاتمة: يطعن المستشرقون، وكثير من المسلمين المثقفين في أحكام الإسلام، ويصفونه بالقسوة في حدوده التي وضعها لبعض الجرائم التي يقترفها العبد، مثل إقامة الحد على الزاني، والزانية، من جلد، أو رجم حسب ما رأيت في مطلع هذه السورة، فنرد عليهم، ونقول لهم: إن الإسلام الحنيف كرم المرأة، وأحاطها بسياج من العفة، وحفظ الشرف، ورفعة القدر، وعلو المكانة، فهو لم يفتح لها الباب على مصراعيه، تخالط من تشاء، وترافق من تشاء، وتتأبط من تشاء، وإنما أمرها في القعود في بيتها، وكلف الرجل بالإنفاق عليها، وتقديم مطالبها، وقد شرع من التعاليم، والآداب ما يجعلها في كن منيع من الوقوع في جريمة الزنى، فقد حرم النظر منها، وإليها كما رأيت، وشرع الاستئذان في الدخول على البيوت؛ حتى لا يداهمها رجل في بيتها، وقد تكون وحدها، وحرم عليها التبرج، والخروج إلى الشوارع متهتكة، وحرم عليها الخلوة بمن يحل له زواجها، فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله والْيَوْمِ الآخِرِ، فَلَا يَخْلُوَنَّ بامْرأَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**».

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ والدُّخولَ عَلَى النساءِ**». فَقالَ رَجُلٌ من الأنْصارِ: أَفَرأَيْتَ الْحَمَ؟ قال: «**الْحَمُ الْمَوْتُ**». أخرجه البخاري، ومسلم. وقد فسر العلماء الحَمُ بأنه أخو الزوج وابن أخيه، وعمه وابن عمه، ونحوهم مما يشمل أقارب الزوج وأقارب الزوجة، ومعنى قول النبي ﷺ: «**الْحَمُ الْمَوْتُ**». أي: الخوف منه أكثر من غيره، والشر يتوقع منه، والفتنة أكثر؛ لتمكنه من الوصول إلى المرأة، والخلوة بها من غير أن ينكر عليه أحد، وكان المعنى: موته، ولا يختلي بامرأة قريبة.

وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**إيَّاكَ والْخَلْوَةَ بالنِّساء، والَّذِي نفسي بيَدِهِ، مَا خَلَا رَجُلٌ بامْرَأَةٍ إلَّا وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ بَينَهُما، وَلأَنْ يَزْحَمَ رَجُلٌ خنزيراً مُتَلَطِّخاً بِطِينٍ، أَوْ حَمَأْةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَزْحَمَ مَنْكِبُهُ مَنْكِبَ امْرأةٍ لَا تَحِلُّ لهُ**». رواه الطبراني.

تنبيه: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ: ليس في كتاب الله تعالى آية أكثر ضمائر من هذه الآية، جمعت خمسة وعشرين ضميراً للمؤمنات، من مخفوض ومرفوع.

تنبيه: قرأ الجمهور: (أَيُّه) بفتح الهاء، وبدون ألف، وقرأ ابن عامر بضمها، ووجهه أن تُجعل الهاء من نفس الكلمة، فيكون إعراب المنادى فيها. وضعف أبو علي الفارسي ذلك جداً، وقال: آخر الاسم هو الياء الثانية من «أيٍّ» فالمضموم ينبغي أن يكون آخر الاسم، ولو جاز ضم الهاء ها هنا لاقترانها بالكلمة لجاز ضم الميم في (اللهم) لاقترانها بالكلمة في كلام طويل، والصحيح: أنه إذا ثبت عن النبي ﷺ قراءة، فليس إلا اعتقاد الصحة في اللغة، فإن القرآن هو الحجة، وأنشد الفراء: [الرجز]

يَا أَيُّهَ الْقَلْبُ اللَّجُوجُ النَّفْسِ أَفِقْ عَنِ الْبِيْضِ الْحِسَانِ اللُّعْسِ

وبعضهم يقف (أَيُّهْ) وبعضهم يقف (أيها) بالألف؛ لأن علة حذفها في الوصل، إنما هو سكونها وسكون اللام، فإذا كان الوقف ذهبت العلة، فرجعت الألف. وهذا الاختلاف الذي ذكرناه كذلك هو في الآية رقم [٤٩] من سورة (الزخرف) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾، وأيضاً في الآية رقم [٣١] من سورة (الرحمن) في قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ انتهى. قرطبي، وقد رسمت الهاء في هذه المواضع الثلاثة بدون ألف، وثبتت في غير هذه المواضع حملاً لها على الأصل، كما تراه في جميع آيات القرآن، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَغۡضُضۡنَ﴾: مضارع مبني على السكون، لاتصاله بنون النسوة، والنون فاعله، وهو في محل جزم، والكلام فيه كما في الآية السابقة. ﴿مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: قل في هذا الكلام ما رأيته في الآية السابقة من الإعراب، والهاء فيهما وفيما يأتي في محل جر بالإضافة، والنون فيهما، وفيما يأتي حرف دال على جماعة الإناث. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿يُبۡدِينَ﴾: مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، وهو في محل جزم بلا الناهية، والنون فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يَغۡضُضۡنَ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿زِينَتَهُنَّ﴾: مفعول به... إلخ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء. وقيل: بدل من ﴿زِينَتَهُنَّ﴾ ولا وجه له. ﴿ظَهَرَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾ وهو العائد، أو الرابط. ﴿مِنۡهَاۖ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾، والجملة

الفعلية صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾: مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، وهو في محل جزم بلام الأمر، والنون فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾: الباء: حرف جر صلة. (خمرهن): مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وقيل: الباء حرف جر أصلي، وهي للتبعيض. ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهو بمعنى يلقين.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: هو مثل ما قبله في إعرابه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، والأسماء الآتية كلها معطوفة على هذا المجرور، و﴿ءَابَآءِ﴾ مضاف، و﴿بُعُولَتِهِنَّ﴾ مضاف إليه، و﴿أَبْنَآءِ﴾ مضاف، و﴿بُعُولَتِهِنَّ﴾ مضاف إليه. ﴿بَنِيٓ﴾: معطوف على ما قبله مجرور أيضاً، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾ مضاف، و﴿إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ مضاف إليه. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على الأسماء المجرورة قبله. ﴿مَلَكَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿أَيْمَٰنُهُنَّ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: أو الذي ملكته أيمانهن.

﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾: معطوفة على ما قبله، مجرور أيضاً، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿غَيْرِ﴾: بالجر صفة ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ أو بدل منه، ويقرأ بالنصب، وفيه وجهان: أحدهما: النصب على الحال من الضمير المستتر في ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ وثانيهما: النصب على الاستثناء من الضمير المستتر في ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ أيضاً، و﴿غَيْرِ﴾ مضاف، و﴿أُوْلِي﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلِي﴾ مضاف، و﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ أو من ﴿أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾. ﴿ٱلطِّفْلِ﴾: معطوف على بعولتهن... إلخ، وما بعده من أسماء. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة ﴿ٱلطِّفْلِ﴾. ﴿لَمْ يَظْهَرُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿عَوْرَٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ مضاف إليه.

(لا): ناهية جازمة. ﴿يَضْرِبْنَ﴾: مضارع مبني على السكون في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والنون فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (لا يبدين...) إلخ. ﴿بِأَرْجُلِهِنَّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لِيُعْلَمَ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع نائب فاعل. ﴿يُخْفِينَ﴾:

مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة التي هي فاعله، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ليعلم الذي، أو شيء يخفينه. ﴿مِن زِينَتِهِنَّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾ والهاء فيه وفي جميع ما تقدم في محل جر بالإضافة، والنون فيه وفي جميع ما تقدم حرف دال على جماعة الإناث، و«أنْ» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل يضربن. ﴿وَتُوبُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (توبوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، وهو الأقوى لا محل لها. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من واو الجماعة، وهي حال مؤكدة. ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾ في الآية رقم [٢١]، والجملة الندائية لا محل لها مثل الجملة الفعلية قبلها. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، وجملة: ﴿تُفْلِحُونَ﴾ في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُمْ...﴾ إلخ تعليل للحث على التوبة.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى: لما نهى عما عسى أن يفضي إلى السفاح، المخل بالنسب المقتضي للألفة، وحسن التربية، ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع الإنساني بعد الزجر عنه مبالغة فيه، عقبه بالأمر بالنكاح، الحافظ له. انتهى. والخطاب لأولياء الحرائر، وسادة الإماء. وفيه دليل واضح على أن المرأة، ليس لها أن تنكح نفسها بغير ولي، وهو قول أكثر الفقهاء، لقول النبي ﷺ: «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ**». أخرجه أبو داود، والترمذي، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ. ولهما عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ: أنه قال: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا؛ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ثَلَاثاً، فَإِنْ أَصَابَهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا، فَإِنْ تَشَاجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ**».

وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا زوجت الثيب، أو البكر البالغ نفسها بغير ولي، وبحضور شاهدين كفأً لها؛ جاز. وقال مالك: إن كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها. وإن كانت شريفة فلا. ودليل الشافعي وأحمد بن حنبل ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ الحديثان المذكوران عن أبي موسى، وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ.

هذا؛ وقد اختلف في هذا الأمر، فقال قوم: هو للوجوب، وقال قوم: هو للندب، والقول الفصل فيه: إن الرجل إن كان يتوق للزواج، وقادراً على تكاليفه، ويخشى على نفسه الهلاك في

الدين، أو في الدنيا، أو فيهما؛ فهو واجب له، كيف لا؟ وقد قال الرسول ﷺ: **«مَنْ رَزَقَهُ الله امرأةً صَالِحةً، فَقد أَعَانَهُ على شَطْرِ دينِه، فَلْيَتَّقِ الله في الشَّطْرِ الْبَاقي»**. أخرجه الطبراني في الأوسط، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ. وفي روايةٍ للبيهقي: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تَزَوَّجَ الْعبدُ؛ فقد استكمل نِصفَ الدِّين؛ فَلْيَتَّقِ الله في النصف الباقي»**. وأقول: إن المرأة في هذه الأيام صارت الدين كله، وكذلك المرأة إن كانت محتاجة للنكاح لعدم نفقة، أو خوف زنى.

وأما من لا تتوق نفسه إلى الزواج، وهو قادر عليه؛ فالتخلي للعبادة أفضل له من النكاح، كيف لا؟ وقد روى عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: أنه قال: **«يا مَعْشَر الشَّبابِ من اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّهُ أَغضُّ للْبصرِ، وَأَحصنُ لِلفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بالصَّوم، فَإِنَّه له وِجَاءٌ»**. أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما، الباءة: كناية عن الجماع، كما تفسر بمؤن النكاح، والوجاء بكسر الواو: رَضُّ الأنثيين، وهو نوع من الخصاء، فالصوم يكسر شهوة الشاب، وكذلك المرأة، فالتخلي للعبادة أفضل لها؛ إن كانت غير محتاجة. . .إلخ.

هذا؛ والنكاح لغة: الضم، يقال: تناكحت الأشجار؛ أي: انضم بعضها إلى بعض، وشرعاً عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ إنكاح، أو تزويج، وهو حقيقة في العقد، مجاز في الوطء على الأصح عندنا معاشر الشافعية، والكفاءة معتبرة في النكاح، ولها شروط ستةٌ عند الحنفية، وهي: العلم، والمال، والسن، والجمال، والنسب، والدين، وأما عند الشافعية فقد نظمها بعضهم بقوله: [الكامل]

شَرْط الْكَفَاءَةِ خمسةٌ قَدْ حُرِّرَتْ ... يُنْبِيكَ عَنْهَا بَيْتُ شِعْرٍ مُفْرَدُ
نَسَبٌ ودينٌ حِرْفَةٌ حُرِّيَّةٌ ... فَقدُ العيوبِ، وفي اليسارِ تردُّدُ

وأما في هذه الأيام فلم يعد لهذه الأمور اعتبار إلا المال، فإنه الميزان الذي توزن به النساء والرجال كما قال القائل: [الكامل]

قالُوا: الكَفَاءَةُ سِتَّةٌ فأَجَبْتُهُمْ ... قَدْ كَانَ هَذَا في الزَّمانِ الأَقْدَمِ
أَمَّا بَنُو هذَا الزَّمَانِ فإنهم ... لا يَعْرِفون سِوى يَسَارِ الدِّرهَمِ

وفي الآية الكريمة حث، وترغيب في نكاح الصالحين، والصالحات، ولو كانوا عبيداً، وإماءً، أو فقراء، كيف لا؟ وقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: **«تُنْكَحُ المرأةُ لأَرْبعٍ: لِمَالِهَا، ولِحَسَبِها، ولِجَمَالِها، ولدينها، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّين تَرِبَتْ يَدَاكَ!»**. رواه الستة إلا الترمذي، وكذلك الرجل ينكح للأربعة المذكورة، بل نفر الرسول ﷺ من زواج امرأة ليست ذات دين، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ تَزَوَّج امرأةً لِعِزِّهَا؛ لَمْ يَزِدْهُ الله إلَّا ذُلّاً، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِمالِها؛ لَمْ يَزِدْهُ الله إلَّا فَقراً، وَمَنْ تَزَوَّجَها لحَسبِهَا؛ لَمْ يَزِدْهُ الله**

إلَّا دَنَاءَةً، وَمَنْ تَزَوَّج امرأةً لم يُردْ بها إلَّا أن يَغُضَّ بَصَرَهُ، وَيحصِّن فَرْجَهُ، أَوْ يَصلَ رَحِمَهُ؛ بارَكَ الله لهُ فيها، وباركَ الله لها فيه». رواه الطبراني في الأوسط، وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله ﷺ: **«لا تَزَوَّجُوا النِّساءَ لِحُسْنِهِنَّ، فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ، ولا تَزَوَّجوهنَّ لأَمْوالِهِنَّ؛ فَعسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغيهُنَّ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلى الدِّينِ، والخُلُقِ، وَلَأَمَةٌ خَرْماءُ سوداءُ ذاتُ دينٍ أَفْضَلُ»**. رواه ابن ماجه. والعكس صحيح.

بعد هذا ف: ﴿ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾: جمع: أيم، وهي من ليس لها زوج؛ بكراً كانت، أو ثيباً، ومن ليس له زوج؛ بكراً كان، أو ثيباً، وقد آمَ، وآمَتْ، وتَأَيَّما: إذا لم يتزوجا؛ بكْرينِ كانا، أَوْ ثَيِّبَيْنِ. قال الشاعر: [الطويل]

فَـإِنْ تَـنْـكِـحِـي أنـكِـحْ، وَإِنْ تَـتـأَيَّـمِـي وإنْ كُـنْـتُ أَفْـتَـى مِـنْـكُـمُ أَتـأَيَّـم

وقال جميل بن معمر العذري: [الطويل]

أُحِـبُّ الْأيـامَـى إذْ بُـثَـيْـنَـةُ أَيِّـمٌ وَأَحْـبَـبْـتُ لـمَّـا أَنْ غَـنِـيـتِ الْـغَـوانِـيَـا

ويقال: أَيِّمٌ بيِّنُ الْأيْمَةِ، وَقَدْ آمَتْ هِيَ، وإِمْتُ أَنَا. قال الشاعر: [الطويل]

لَـقَـدْ إِمْـتُ حَـتَّـى لامـنـي كُـلُّ صـاحـبٍ رَجَـاءً بـسـلْـمـى أن تَـئِـيـمَ كَـمَـا إِمْـتُ

و﴿ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾ أصله: يَتائِمَ، مثل اليتامى أصله: أَيَائِمُ فقلبا. ﴿عِبَادِكُمْ﴾: جمع: عبد، ويجمع على عبيد، وأَعْبُدٍ وعُبدان، والمراد هنا الأرقاء، ويطلق لفظ العبد على الحر أيضاً، كيف لا؟ وقد أطلق الله هذا اللفظ على حبيبه محمد ﷺ، وأضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً في كثير من الآيات. (إمائكم): جمع أمة، والمراد به هنا: الرقيقات، والمملوكات، كما يطلق على الحرة؛ فقد قال النبي ﷺ: **«ما مِنْ عَبْدٍ، ولا أمةٍ إلَّا ولهُ ثلاثةُ أَخِلَّاءَ...»**. الحديث.

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: لا تمتنعوا من زَواج الرجل، وتزويج المرأة بسبب الفقر، فقد وعد الله المتزوجين الطالبين العفة بالزواج، والراغبين في طاعته تعالى بالغنى، وهذا شرط اشترطه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«التَمِسُوا الرِّزْقَ بالنِّكاح»**. وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: (عجبٌ لِمَنْ لا يطلبُ الغنى بالنكاح) فإن قيل: كثيراً ما نجد الناكح فقيراً معدماً، قلت: ينبغي أن يعرف العبد ما شرطه الله للغنى، وهو التقوى كما رأيت، وكذلك ما قيده بإرادته ومشيئته، ولا يشاء الحكيم العليم إلا ما اقتضته الحكمة، وما فيه مصلحة، فقد قال جل ذكره: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

فمن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضاً بعزب كان غنياً، فأصبح فقيراً بالنكاح، وبفاسق تاب، واتقى الله، وكان له شيء، فأصبح فقيراً بعد توبته. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي: غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق وهو أيضاً واسع الفضل والرحمة، وواسع القدرة والعلم والحكمة.

﴿عَلِيمٌ﴾: يبسط الرزق لمن يشاء، ويقدر. هذا؛ وقد قال الله تعالى في الآية رقم [١٣٠] من سورة (النساء): ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾. فجملة القول نفحات الله، وخيراته مأمولة في كل حال موعود بها، من عزوبة، أو تزوج، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَنكِحُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (أنكحوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الأيامى، والجملة الفعلية، بل الآية بكاملها معطوفة على ما تضمنت السورة الكريمة من حوادث. ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾: معطوف على الأيامى منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه؛ لأنه جمع اسم فاعل، ﴿وَإِمَآئِكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف فيهما في محل جر بالإضافة. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَكُونُواْ﴾: مضارع ناقص، فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فُقَرَآءَ﴾: خبره، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُغْنِهِمُ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿يُغْنِهِمُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: خبران له، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾ أي: ليجتهد في طلب العفة، وقمع الشهوة؛ حتى لا يقع في الزنى، والحرام الذين لا يجدون ما يتزوجون به من صداق، ونفقة، وقد أرشد هؤلاء الرسول ﷺ إلى الصوم، كما رأيت في الآية السابقة. ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: يوسع عليهم في الرزق من جوده وإحسانه، ويجدون أهبة الزواج، وتكاليفه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: المكاتبة، و﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون، ويلتمسون. قيل: نزلت الآية الكريمة في عبد لحويطب بن عبد العزى، يقال له: صبح، أو صبيح، طلب من سيده أن يكاتبه،

فأبى عليه، فأنزل الله هذه الآية، فكاتبه حويطب على مئة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً، فأداها، وقتل يوم حنين ـ رضي الله عنه ـ، وأرضاه.

بيان حكم الآية، وكيفية المكاتبة: وذلك أن يقول السيد لعبده: كاتبتك على كذا من المال، ويسمي مالاً معلوماً، تؤدي ذلك في نجمين، أو في نجوم معلومة، كل نجم (قِسْط) كذا، فإذا أديت ذلك؛ فأنت حر، ويقبل العبد ذلك، فإذا أدى العبد المال المتفق عليه عتق، ويصير أحق بمكاسبه من سيده، وما فضل بيده بعد أداء المال المتفق عليه فهو له، ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق، وإذا عجز عن أداء المال كان لسيده أن يفسخ كتابته، ويرده إلى العتق، ويكون ما في يده من المال لسيده، لما روي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ـ رضي الله عنهم ـ أنه قال، قال رسول الله ﷺ: **«المكاتبُ عبدٌ ما بقي عليهِ درهمٌ»**. أخرجه أبو داود. وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أمر إيجاب، يجب على السيد أن يكاتب عبده الذي علم أن فيه خيراً؛ إذا سأل العبد ذلك على قيمته، أو على أكثر من قيمته، وإن سأل المكاتبة على أقل من قيمته، لا يجب، وهو قول عطاء، وعمرو بن دينار؛ لما روي: أن سيرين، ـ أبا محمد بن سيرين ـ سأل أنس بن مالك ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أن يكاتبه، فأبى، فانطلق سيرين إلى الفاروق ـ رضي الله عنه ـ، فشكاه إليه، فدعاه الفاروق، فقال له: كاتبه، فأبى، فضربه بالدِّرَّة، وتلا قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فكاتبه. انتهى خازن بتصرف.

وقد اختلف في معنى (الخير) فقال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ : أظهر معاني الخير في العبد، الاكتساب مع الأمانة، فأحب أن لا يمنع من المكاتبة؛ إذا كان هكذا، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«ثَلاثةٌ حَقٌّ على الله عَوْنُهُمْ: المكاتَبُ الذي يُرِيدُ الْأداءَ، والنَّاكحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ، والْمُجَاهِدُ في سبيل الله»**. أخرجه الترمذي، والنسائي.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾: هذا خطاب لسادات المكاتبين أن يحطوا عنهم شيئاً من المال الذي كاتبوهم عليه. وقيل: هو حث لجميع المسلمين على مساعدتهم في تحرير رقابهم، ولذا فقد جعل الله لهم نصيباً مفروضاً من الزكاة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ من آية التوبة رقم [٦٠]. وأكتفي بهذا؛ لأنه لم يبق للرق وجود في الدنيا. وقد كان في الزمن الغابر وقبل الإسلام يعمُّ العالمَ وجوده، ولا أحكام تضبطه، ثمَّ أخذت أحكامه قسطاً كبيراً من الفقه الإسلامي.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾: المراد بـ: (الفتيات): الإماء، و﴿ٱلْبِغَآءِ﴾ الزنى، فقد روي عن جابر، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبيٍّ المنافق، فقد كانت له جاريتان: إحداهما تسمى: معاذة، والأخرى مسيكة، وكان يكرههما على الزنى، ويضربهما عليه ابتغاء المال، وكسب الولد، إن حبلت إحداهما، أو كلتاهما، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت

الآية فيه، وفيمن فعل فعله من المنافقين، ومُعاذة هذه أم خولة التي جادلت النبي ﷺ في زوجها، كما ستعرفه إن شاء الله تعالى في مطلع سورة (المجادلة). انتهى. قرطبي بتصرف.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ أي: إن أراد الفتيات؛ أي: الإماء تعففاً عن الزنى، وذلك: أن الفتاة إذا أرادت التحصن، فحينئذ يمكن، ويتصور أن يكون السيد مكرهاً، ويمكن أن ينهى عن الإكراه، وإذا كانت الفتاة لا تريد التحصن، فلا يتصور أن يقال للسيد: لا تكرهها؛ لأن الإكراه لا يتصور فيها، وهي مريدة للزنى، فهذا أمر في سادةٍ، وفتياتٍ حالهم هذه، وإلى هذا المعنى أشار ابن العربي رحمه الله تعالى، فقال: إنما ذكر الله إرادة التحصن من المرأة؛ لأن ذلك هو الذي يصور الإكراه، فأما إذا كانت راغبة في الزنى لم يتصور إكراه، فحصّلوه. وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين:

فقال بعضهم: إن الكلام راجع إلى ﴿الْأَيَامَىٰ﴾ في الآية السابقة. قال الزجاج، والحسين بن الفضل: في الكلام تقديم وتأخير، أي وأنكحوا الأيامى والصالحين من عبادكم، إن أردنَ تحصناً. وقال بعضهم: هذا الشرط في قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ﴾ مُلْغىً، ونحو ذلك مما يَضْعُف، والله الموفق. انتهى. قرطبي بتصرف. هذا؛ وقيل: هذا الشرط لا مفهوم له. ﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: الشيء الذي تكسبه الأمة بفرجها، والولد يسترق فيباع، وقيل: كان الزاني يفتدي ولده من المزنيّ بها بمئة من الإبل يدفعها إلى سيدها.

وقال أبو السعود ـ رحمه الله تعالى ـ: وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنى، وإخراج ما عداها من حكمة، كما كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنى لخصوص الزاني، أو لخصوص الزمان، أو لخصوص المكان، أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه في الجملة، بل للمحافظة على عادتهم المستمرة، حيث كانوا يكرهونهن على البغاء، وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهرتهن الآمرة بالفجور، وقصورهن في معرفة الأمور، الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح. انتهى.

هذا؛ و﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حطامها الفاني، وإنما سمى سبحانه منافع الدنيا عرضاً؛ لأنه لاثبات لها ولا دوام، فكأنها تعرض، ثم تزول بخلاف منافع الآخرة، فإنها دائمة لا انقطاع لها، و﴿عَرَضَ﴾ بفتح العين والراء هنا، وهو بضم العين وسكون الراء: ناحية الشيء من أي وجه جئته، وهو بفتح العين وسكون الراء: ضد الطول، وهو بكسر العين وسكون الراء: النفس، يقال: أكرمت عنه عرضي، أي صنت عنه نفسي، وهو أيضاً: رائحة الجسد وغيره، طيبة كانت أو خبيثة، يقال: فلان طيب العرض، أو منتن العرض، وانظر شرح ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في الآية رقم [٧٢] من سورة (طه).

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾: على الزنى. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لهن، أو: له إن تاب، والأول أوفق للظاهر، ولما في مصحف ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (بَعْدَ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ

غفورٌ رحيمٌ) وكان الحسن يقول: لهنَّ والله! لهن والله! ولا يرد عليه: أن المكرهة غير آثمة، فلا حاجة إلى المغفرة؛ لأن الإكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات، ولذلك حرم على المكره القتل، وأوجب عليه القصاص.

خاتمة: يطعن المستشرقون، والملحدون من أبناء المسلمين في الإسلام، وينعتونه بالقسوة، وبأنه عمل على تكديس الرق، وتكريسه، ويستدلون على ذلك بما كان عند الخلفاء والأثرياء من العبيد، والسراري الكثيرة. والجواب، بل والرد المفحم لهم: أن الإسلام لم يبتدع الرق، ولم يعمل على تشجيعه، وإنما جاء والبشرية غارقة بمآسي الرقيق، فلو دعا الإسلام من أول نشأته إلى تحرير الرق، لنفر منه الأثرياء، وذوو الجاه، والسلطان.

ولكنه عمل على تحرير الرقيق بشتى الوسائل، وفتح أبواباً كثيرةً لتحريره، لم نجد ذلك في اليهودية، ولا في النصرانية، ولا في المجوسية وغيرها من الديانات على ممر العصور، فهذه المكاتبة التي رأيت شرحها، وقد جعل الإسلام تحرير الرقيق أول ما يجب في الكفارات لمن كان يملك رقيقاً، أو قدر على شرائه، وذلك في كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة القتل غير العمد، وكفارة الجماع في أيام رمضان، ونحو ذلك. هذا بالإضافة إلى الترغيب في عتق الرقيق احتساباً لوجه الله تعالى، يتجلى ذلك في قول الرسول ﷺ: «**مَنْ عَتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً كَانَتْ فِكَاكَهُ مِنَ النَّار**».

هذا؛ بالإضافة إلى حسن المعاملة التي أمر بها الإسلام في التخاطب بين السيد وعبده، وفي المأكل، والملبس، والعمل. ففي التخاطب قال الرسول ﷺ: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي، ولْيَقُلْ: يا مَوْلَايَ**». وذلك لئلا ينكسر خاطر العبد بكلمة: عبدي، فكانت كلمة: يا مولاي متبادلة بين السيد، ومملوكه. وأما في المأكل والملبس، والعمل؛ فقد قال الرسول الله ﷺ: «**إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أيدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ الله أَخَاهُ تَحْتَ يدِهِ، فَلْيُطْعمهُ مِمَّا يَأْكُلُ، ولِيُلبِسْهُ مِمَّا يَلْبس، ولا يُكلِّفهُ مِنَ العملِ ما يَغْلبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ ما يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ**». رواه البخاري، وغيره من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ. هذا؛ ويلحق بالعبد الأجير، والخادم الضعيف، والدابة.

لذا لم يكن التذمر موجوداً عند طبقة العبيد في الإسلام، بل كان السادة والعبيد متحابين متوادين متآلفين، ولم تقم ثورات للعبيد على أسيادهم في بلاد المسلمين، كالذي حدث عند الأوربيين وذلك للظلم الذي أحاط بالعبيد في أوربا خلال القرون الوسطى، وكان من أبرزها الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر الميلادي، وما تلاها من ثورات واحتجاجات في إنكلترا وغيرها، حتى أدى ذلك إلى إلغاء الرق في مطلع القرن العشرين، ولو بقي الرق موجوداً في بلاد المسلمين إلى اليوم لما رأينا أثراً لهذا التذمر الذي حصل في أوربا، وهذه دولة الولايات المتحدة التي تدعي التقدمية، وتدافع عن حقوق الإنسان لا يزال التمييز العنصري موجوداً في جميع هيئاتها، فكيف يصمون الإسلام مما هو منه براء؟!.

الإعراب: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: الواو: حرف استئناف. (ليستعفف): مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَجِدُونَ﴾: مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، وهو العائد. ﴿نِكَاحًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر، بعدها «أن» مضمرة. ﴿يُغْنِيَهُمُ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة، والهاء: مفعول به. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جرّ بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾ والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وفي الخبر وجهان: أحدهما محذوف، وهو قول سيبويه، التقدير: فيما يتلى عليكم حكم الذين يبتغون. . . إلخ، وعند المبرد الخبر هو جملة: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ...﴾ إلخ، وهو موافق للكوفيين في هذا، ودخول الفاء في الخبر زائدة؛ لأن الكلام في معنى الشرط، أو الموصول في محل نصب مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، وهو المختار في أمثاله؛ لأن الخبر لا يكون جملة إنشائية، إلا بإضمار وتأويل، ومثل هذه الآية في أوجه الإعراب الآية رقم [٢ و٤]. ﴿يَبْتَغُونَ﴾: مضارع وفاعله. ﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(من) بيان لما أبهم في الموصول. ﴿مَلَكَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف إذ التقدير: من الذين ملكتهم أيمانكم، وجملة: ﴿يَبْتَغُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها.

﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي زائدة. (كاتبوهم): أمر، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة على قول سيبويه، وفي محل رفع خبر المبتدأ على قول المبرد، ومفسرة لا محل لها على الاشتغال، والجملة الاسمية، أو الفعلية المقدرة لا محل لها. تأمل. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿عَلِمْتُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿فِيهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من خيراً، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة. . . إلخ، وجملة: ﴿عَلِمْتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الشرطية مرتبطة بما قبلها، لا محل لها أيضاً.

(آتوهم): أمر، وفاعله، ومفعوله. ﴿مِّن مَّالِ﴾: متعلقان به، و﴿مَّالِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿الَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة ﴿مَّالِ اللَّهِ﴾. ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿الَّذِىٓ﴾ وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي آتاكموه، وجملة: ﴿وَءَاتُوهُم...﴾ إلخ معطوفة

على جملة (كاتبوهم. . .) إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا تكرهوا): مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَتَيَٰتِكُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَرَدْنَ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والنون فاعله. ﴿تَحَصُّنًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. . .إلخ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن أردن تحصناً؛ فلا تكرهوهن على البغاء. وانظر الشرح، والجملة الشرطية مرتبطة بما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿تُكْرِهُوا۟﴾. ﴿عَرَضَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور مثله. . .إلخ.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُكْرِههُّنَّ﴾: مضارع فعل الشرط. والفاعل يعود إلى (مَنْ) والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بـ: ﴿غَفُورٌ﴾ بعدهما. و﴿بَعْدِ﴾ مضاف، و﴿إِكْرَٰهِهِنَّ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والنون علامة جمع الإناث. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر (إنَّ). ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: (إن الله. . .) إلخ في محل جزم عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محلَّ المفرد، وانظر المتعلق المحذوف في الشرح، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾: بكسر الياء المشددة، أي: بينت هذه الآيات الأحكام، والحدود، وهي واضحة في نفسها، يصدقها الكتب القديمة، والعقول السليمة، أو مِنْ بَيَّنَ بمعنى: تبين، ومنه المثل: [الرجز]

قَـدْ بَـيَّـنَ الـصـبـحُ لِـذي عَـيْـنَـيْـنِ

هذا؛ ويقرأ بفتح الياء المشددة على أن المراد الآيات التي بُيِّنتْ في هذه السورة، وأوضِحَتْ في معاني الأحكام والحدود، وجاز أن يكون الأصل مبيناً فيها، فاتسع في الظرف، أي أجري مجرى المفعول به، ومنه قول رجل من بني عامر، لم يسم: [الطويل]

وَيَوماً شَهِدْنَاهُ سُلَيْماً وَعَامِراً قَلِيلاً سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نَوَافِلُهُ

﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: ومثلاً من أمثال من قبلكم، أي وقصة عجيبة مثل قصصهم، وهي قصة عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فإنها كقصة يوسف، ومريم على نبينا، وحبيبنا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: وتخصيص المتقين بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بمواعظ القرآن، وتذكيره. هذا؛ وقد قيل: المثل من نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾ إلخ، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾.

بعد هذا: انظر (نا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم)، وشرح أنزل، ونزل في الآية رقم [١].

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَنزَلْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ءَايَٰتٍ﴾: مفعول به. ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾: صفة له منصوب مثله، وعلامة نصبهما الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مؤنث سالمان، وجملة: (قد أنزلنا...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف. (مثلاً): معطوف على ﴿ءَايَٰتٍ﴾. ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (مثلاً). ﴿خَلَوْاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، وهو أولى من تعليقهما بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. (موعظة): معطوف على مثلاً. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: متعلقان بـ: (موعظة) أو بمحذوف صفة لها، وجملة: ﴿خَلَوْاْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: النور في كلام العرب: الأضواء المدركة بالباصرة، أو هو كيفيةٌ تدركها الباصرة أولاً، وبواسطتها تدرك سائر المبصرات. وفي تأويل هذه الجملة أقوال

كثيرة، وتفسيرات عديدة، فقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: الله هادي السموات، والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون. وقيل: معناه: الله منوّر السموات والأرض، وقد قرئ به، وقيل: نور السماء بالملائكة، ونور الأرض بالأنبياء، وقيل: معناه: مزين السموات والأرض، زين السماء بالشمس، والقمر، والنجوم، وزين الأرض بالأنبياء، والعلماء، والمؤمنين، يقال: زين الأرض بالنبات، والأشجار، وقيل: معناه: أن الأنوار كلها منه تعالى. وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح، فيستعمل مجازاً فيما صح من المعاني ولاح: فيقال منه: كلام له نور، ومنه الكتاب المنير، ومنه قول الشاعر: [الكامل]

نَسَبٌ كَأَنَّ عليهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى ... نوراً، ومِنْ فَلَقِ الصَّباحِ عَمُودَا

والناس يقولون: فلان نور البلد، وشمس العصر، وقمره، قال النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر: [الطويل]

فَإِنَّكَ شَمْسٌ والملوكُ كَوَاكِبٌ ... إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

فيجوز أن يقال: لله تعالى نور، من جهة المدح؛ لأنه أوجد الأشياء، ونورُ جميع الأشياء منه ابتداؤها، وعنه صدورها، وهو سبحانه ليس من الأضواء المدركة، تنزه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وجملة القول: إن بالله تعالى وبقدرته أنارت أضواء السموات والأرض، واستقامت أمورها، وقامت مصنوعاتها. فالكلام على التقريب للذهن.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن، وهو النور الذي يهتدي به. وقيل: أراد بالنور: القرآن. وقيل: هو محمد ﷺ، وقيل: هو الطاعة، سمى سبحانه طاعته نوراً، وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تشريفاً، وتفضيلاً، وعلى الثلاثة الأخيرة فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر.

﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾: هي الكوة في الحائط غير النافذة، قاله ابن جبير، وجمهور المفسرين، وهي أجمع للضوء، والمصباح فيها أكثر إنارة منه في غيرها، وهي على وزن مفعلة كالمقراض، والمصفاة، قال الشاعر: [البسيط]

كأنَّ عَيْنَيْه مِشْكاتَانِ في حَجَرٍ ... قِيضَا اقْتِيَاضاً بأَطْرَافِ الْمَناقيرِ

﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾: الفتيل الذي تشتعل فيه النار للإضاءة، و﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ جسم شفاف، والمصباح فيه أضوأ، وأنور منه في غير الزجاج. ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي في الإنارة، والضوء، والمراد بـ: ﴿كَوْكَبٌ﴾ أحد الكواكب الخمسة السيارة، التي هي: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، ووصفه بـ: ﴿دُرِّيٌّ﴾ أي شديد الإنارة نسبة إلى الدر في صفائه، وحسنه، وإن كان الكوكب أضوأ من الدر، لكنه يفضل الكوكب بصفائه، كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ، قيل:

إن الله شبه المصباح بالكوكب، ولم يشبهه بالشمس، والقمر؛ لأنهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب. هذا؛ ويقرأ ﴿دُرِّيٌّ﴾ بقراءات كثيرة.

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي: يستمد المصباح زيته من زيت شجرة كثيرة البركة، وهي شجرة الزيتون، ذات المنافع الكثيرة. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٠] من سورة (المؤمنون). هذا؛ ويقرأ: (تُوقَد) بالتاء على إسناده إلى الزجاجة، و(تَوقَّد) على أنه أصله: تتوقد.

﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: فقد قال ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم: الشرقية هي التي تصيبها الشمس إذا أشرقت، ولا تصيبها إذا غربت؛ لأن لها ستراً. والغربية عكسها، أما شجرة الزيتون المذكورة هنا فإنها في صحراء ومنكشف من الأرض، لا يواريها عن الشمس شيء في أول النهار، ولا في آخره، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي شرقية غربية، وما كانت بهذه المثابة؛ فزيتها أطيب زيت. وقيل: المعنى: أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر، ولا في غرب يضرها البرد. وقيل: المعنى: هي شامية؛ لأن الشام وسط الأرض لا شرقي، ولا غربي. وقيل: ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا؛ لأنها لو كانت في الدنيا، لكانت شرقية، أو غربية، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره. وقيل غير ذلك، والأول هو الأولى بالاعتبار.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي: يكاد يضيء بنفسه من غير نارٍ تمسه، وذلك لشدة صفائه، وحسنه، وجودته، وفرط تلألئه، ورونقه. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي أنه اجتمع في المشكاة ضوء المصباح، إلى ضوء الزجاجة، وإلى ضوء الزيت الصافي الجيد، فصارت المشكاة كأنور ما يكون، لحصر النور فيها، وعدم نفاذه إلى خارجها، فكذلك براهين الله تعالى واضحة، وهي برهان بعد برهان، وتنبيه بعد تنبيه، كإرساله الرسل، وإنزاله الكتب، ومواعظ تتكرر فيها لمن له عقل معتبر.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ هدايته، وسعادته، ومن لم يهده الله فلا هادي له، ولا يرى النور مهما قدمت له من البراهين، والحجج. قال تعالى في الآية رقم [١٧] من سورة (الكهف): ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾. ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ أي: يبين الله الأشياء للناس تقريباً للأفهام، وتسهيلاً لسبيل الإدراك، وإدناء للمعقول من المحسوس توضيحاً وبياناً. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عن علمه شيء في الأرض، ولا في السماء، معقولاً كان، أو محسوساً، ظاهراً كان، أم خفياً، وفيه وعد لمن تدبر الأمثال، وانتفع بها، ووعيد لمن لم يكترث بها، ولم يستفد منها.

هذا؛ وعلى اعتبار الممثل به فقد اختلف العلماء في معنى هذا التمثيل، فقيل: المراد به الهدى، ومعناه: أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور، والجلاء إلى أقصى الغايات، وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية، وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت، بلغ النهاية

في الصفاء، والرقة، والبياض، فإذا كان كذلك؛ كان عاملاً في صفائه، وصلح أن يجعل مثلاً لهداية الله تعالى.

وقيل: وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ قال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ، فالمشكاة صدره، و﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ قلبه، و﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾ فيه النبوة. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، هي شجرة النبوة، يكاد محمد ﷺ، وأمره يتبين للناس، ولو لم يتكلم به أنه نبي، كما يكاد ذلك الزيت يضيء، ولو لم تمسسه نار.

وروي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - في هذه الآية قال: المشكاة جوف محمد ﷺ، والزجاجة قلبه، والمصباح النور الذي جعله الله فيه، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا يهودي، ولا نصراني، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾: إبراهيم عليه الصلاة، والسلام، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: نور قلب إبراهيم، ونور قلب محمد ﷺ.

وقال محمد بن كعب القرظي: المشكاة: إبراهيم، و﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾: إسماعيل، و﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾: محمد ﷺ وعليهم أجمعين، سمى الله محمداً مصباحاً، كما سماه: (سراجاً منيراً)، والشجرة المباركة إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ لأن أكثر الأنبياء من صلبه، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، يعني إبراهيم لم يكن يهودياً، ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً؛ لأن اليهود تصلي إلى الغرب، والنصارى تصلي إلى الشرق، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يوحى إليه، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ نور نبي من نسل نبي، نور محمد على نور إبراهيم.

وقيل: وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن، قال أبي بن كعب: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه، والزجاجة قلبه، و﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾ ما جعله الله فيه من الإيمان، والقرآن، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، هي شجرة الإخلاص لله وحده، فمثله مثل شجرة التفَّ بها الشجر، فهي خضراء ناعمة نضرة، لا تصيبها الشمس؛ إذا طلعت، ولا إذا غربت، فكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شيء من الفتن، فهو بَيْنَ أربع خلال، إن أُعْطِيَ؛ شكر، وإن ابْتُلِيَ؛ صبر، وإن حكم؛ عدل، وإن قال؛ صدق، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾، أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾، قال أُبيّ: أي: فهو يتقلب في خمسة أنوار، قوله نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هذا مثلُ نور الله وهداه في قلب المؤمن، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوئه، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم؛ ازداد هدىً على هدىً، ونوراً على نورٍ.

وقال الكلبي: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني: إيمان المؤمن وعمله. وقيل: نور الإيمان، ونور القرآن، وقيل: هذا مثل القرآن، فالمصباح هو القرآن، فكما يستضاء بالمصباح؛ فكذلك يهتدى

بالقرآن. والزجاجة قلب المؤمن، والمشكاة فمه ولسانه، والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ أي: نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾. وقيل: تكاد حجة القرآن تتضح؛ وإن لم يقرأ. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ يعني: القرآن نور من الله لخلقه، مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن، فازدادوا بذلك نوراً على نور. انتهى. خازن بحروفه. هذا؛ وضرب المثل يكون بدنيء محسوس معهود، لعليٍّ رفيع غير معاين، ولا مشهود، فأبو تمام لما قال في المأمون: [الكامل]

إِقْدَامُ عَمْروٍ في سماحةِ حاتمٍ ... في حِلْمِ أَحْنَفَ في ذكاءِ إِيَاسِ

فقيل له: إن الخليفة فوق مَنْ مثلته بهم، فقال مرتجلاً: [الكامل]

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ ... مَثَلاً شَرُوداً في النَّدَى والْبَاسِ

فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلاً مِنَ الْمِشْكَاةِ والنِّبْرَاسِ

هذا؛ وقد اختلفوا أيضاً في هذا التشبيه، هل هو تشبيه مركب، أي: قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، بل قصد تشبيه هداه، وإتقان صنعته في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور الذي تتخذونه، وهو أبلغ صفات النور عندكم؟ أو هو تشبيه غير مركب؛ أي: قصد مقابلة جزء بجزء؟ وهل المشكاة عربية، أم حبشية معربة؟ خلاف. انتهى. جمل بحروفه.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿نُورُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِۚ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿نُورِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وإن اعتبرت الكاف اسماً فهي الخبر، وتكون الكاف مضافاً، و(مشكاة) مضافاً إليه، والجملة الاسمية: ﴿مَثَلُ...﴾ إلخ مفسرة لما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِصْبَاحٌۖ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل جر صفة (مشكاة). هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور فيها متعلقين بمحذوف صفة (مشكاة)، فيكون ﴿مِصْبَاحٌۖ﴾ فاعلاً بمتعلق الجار والمجرور. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾: مبتدأ. ﴿فِي زُجَاجَةٍۖ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ﴿مِصْبَاحٌۖ﴾، أو هي مستأنفة، لا محل لها، وقيل: مفسرة لما قبلها، وعلى الأول فالرابط: إعادة المصباح بلفظه. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾: مبتدأ. ﴿كَأَنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(ها): اسمها. ﴿كَوْكَبٌ﴾: خبرها. ﴿دُرِّيٌّ﴾: صفة ﴿كَوْكَبٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ﴿زُجَاجَةٍۖ﴾، أو هي مستأنفة، لا محل لها، وقيل: مفسرة لما قبلها.

﴿يُوقَدُ﴾: مضارع مبني للمجهول، ويقرأ بالتاء، بالبناء للمعلوم، كما يقرأ بالبناء للماضي وبالتاء، ونائب الفاعل على الأول يعود إلى ﴿كَوْكَبٌ﴾ والفاعل على الثاني يعود إلى ﴿الزُّجَاجَةُ﴾ وعلى الثالث يعود إلى ﴿كَوْكَبٌ﴾، والجملة الفعلية على الأول، والثالث في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿كَوْكَبٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بـ: ﴿دُرِّيٌّ﴾ وعلى الثاني في رجوع الفاعل، فالجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ الذي هو الزجاجة. ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو من نائبه المستتر في الفعل. ﴿مُّبَارَكَةٍ﴾: صفة ﴿شَجَرَةٍ﴾. ﴿زَيْتُونَةٍ﴾: بدل من ﴿شَجَرَةٍ﴾ أو هي عطف بيان عليها، وهذا مذهب الكوفيين، وتبعهم أبو علي الفارسي من البصريين، والأول أشهر، وهو قول البصريين، فإنهم لا يجيزون عطف البيان في النكرات، وهو مثل قوله تعالى في الآية رقم [١٦] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾. ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾: صفة ثانية لـ: ﴿شَجَرَةٍ﴾ منفية. (لا غربية): معطوف على ما قبله.

﴿يَكَادُ﴾: مضارع ناقص مرفوع. ﴿زَيْتُهَا﴾: اسم يكاد، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿يُضِيءُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى زيتها، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿يَكَادُ﴾، وجملة: ﴿يَكَادُ...﴾ إلخ في محل جر صفة ثانية، أو ثالثة لـ: ﴿شَجَرَةٍ﴾ وقال أبو البقاء: نعت لـ: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿تَمْسَسْهُ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم) والهاء مفعول به. ﴿نَارٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، التقدير: ولو لم تمسسه نار؛ لأضاء، و(لو) ومدخولها في محل نصب حال من فاعل ﴿يُضِيءُ﴾ المستتر، وهذه الحال لاستقصاء الأحوال، أي: حتى في هذه الحال. انتهى. جمل.

﴿نُّورٌ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، وقيل: ﴿نُّورٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، و﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾ متعلقان بمحذوف صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة، أي: ذلك النور نور عظيم كائن على نور كذلك، لا على أنه عبارة عن نور واحد معين، أو غير معين فوق نور آخر مثله، ولا عن مجموع نورين اثنين فقط، بل عبارة عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحدٍّ معين، وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر؛ لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة. انتهى. جمل. والجملة الاسمية: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ فيها معنى التأكيد لجملة: ﴿يُضِيءُ...﴾ إلخ ﴿يَهْدِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لِنُورِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يهدي الله لنوره الذي، أو: شخصاً يشاء هدايته. وجملة: ﴿يَهْدِي...﴾ إلخ مستأنفة،

لا محل لها. وجملة: ﴿وَيَضْرِبُ...﴾ إلخ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مستأنفة، لا محل لها، والجار والمجرور ﴿بِكُلِّ﴾ متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدهما والذي هو خبر المبتدأ، و(كل) مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)﴾

الشرح: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾: المراد به جميع المساجد. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المساجد بيوت الله في الأرض، تضيء لأهل السماء، كما تضيء النجوم لأهل الأرض. وقيل: المراد بالبيوت أربعة مساجد، لم يبنها إلا نبي: (الكعبة) بناها إبراهيم، وإسماعيل، وجعلاها قبلة، و(بيت المقدس) بناه داود، وسليمان، و(مسجد المدينة) و(مسجد قباء) بناهما رسول الله ﷺ، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين. والمعتمد الأول؛ لما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ الله؛ فَلْيُحِبني، وَمَنْ أَحَبَّني؛ فَلْيُحِبَّ أصحابي؛ وَمَنْ أَحَبَّ أصحابي؛ فَلْيُحبَّ القرآنَ، وَمَنْ أَحَبَّ القرآنَ؛ فليحبَّ المساجدَ، فإنها أَفنيَةُ الله، وَأَبْنِيَتُهُ، أذنَ الله في رَفْعِهَا، وبارَكَ فيها، مَيمُونَةٌ مَيْمونٌ أهلُها، محفوظَةٌ محفوظٌ أَهْلُها، هُمْ في صلاتِهِمْ، والله عز وجل في حوائِجِهِمْ، هُمْ في مساجِدِهِمْ، والله مِنْ وَرَائِهِمْ**». انتهى. قرطبي بتصرف، والأحاديث المرغبة في لزوم المساجد كثيرة لا تعد، ولا تحصى.

﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: أمر، وقضى، وحكم أن تبنى، وتشيد. قاله مجاهد، وعكرمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...﴾ إلخ وقال ﷺ: «**مَنْ بَنَى مَسْجِداً يَبْتَغي بِهِ وجْهَ الله؛ بَنَى الله لَهُ بيتاً في الجَنَّةِ**». رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ بَنَى لله مسجداً قَدْرَ مَفْحَصِ قَطَاةٍ، بنى الله لَهُ بيتاً في الجنةِ**». رواه الطبراني في الصغير، وابن حبّان، والبزار، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة تحض على بناء المساجد، وتشييدها من غير إسراف في زخرفتها.

وقال الحسن البصري، وغيره: معنى ﴿تُرْفَعَ﴾ تعظم، وتطهر من الأنجاس، والأقذار. هذا؛ وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَخرجَ أَذًى مِنَ الْمَسْجِدِ؛ بَنَى الله لهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ**». رواه ابن ماجه. وعن أبي قُرْصَافَة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ابْنُوا المساجِدَ، وأخرِجُوا القُمَامَةَ مِنْهَا، فَمَنْ بَنَى لله مَسْجِداً بَنَى الله لَهُ بَيْتاً في الجنةِ**». فَقَالَ رَجُلٌ: يا رسولَ الله! وَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ التي تُبْنَى في الطريقِ؟ قَالَ: «**نَعمْ، وإخراجُ الْقُمَامَةِ مِنْهَا مُهُورُ الْحُورِ الْعِينِ**» رواه الطبراني في الكبير.

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ أي: بالتقديس، والتحميد، والتهليل، والتكبير، أو بقراءة القرآن الكريم، أو بالصلاة، والتسليم على سيد المرسلين، أو بمدارسة العلوم الشرعية على جميع

أنواعها، واختلاف فنونها. ويجب أن تجنب المساجد البيع، والشراء، وإنشاد الضائع، والجلوس فيها لحديث الدنيا، فإن ذلك يمحق الحسنات، ويضاعف السيئات، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَمِعَ رَجلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً في المسجدِ؛ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهَا الله عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا**». رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وغيرهم، وعنه ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا رَأَيْتُم مَنْ يبيعُ، أَوْ يَبْتَاعُ في المسجدِ فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ الله تجَارَتَكَ، وإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فقولوا: لا رَدَّها الله عَلَيْكَ**». رواه الترمذي والنسائي وابن خزيمة والحاكم، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَيَكونُ في آخرِ الزّمانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَديثُهُمْ في مَسَاجِدِهِمْ، ليسَ لله فِيهِمْ حَاجَةٌ**». رواه ابن حبَّان في صحيحه. ولولا الإطالة لذكرت لك الكثير الكثير من هذا.

وأما تناشد الأشعار في المسجد فاختلف في ذلك، فمن مانع مطلقاً، ومن مجيز مطلقاً، والأولى التفصيل، وهو أن ينظر إلى الشعر، فإن كان مما يقتضي الثناء على الله عز وجل، أو على رسوله ﷺ، أو الذب عنهما، كما في شعر حسان ـ رضي الله عنه ـ، أو يتضمن الحض على الخير والوعظ، والزهد في الدنيا، والتقلل منها؛ فهو حسن في المساجد، وغيرها كقول أبي العتاهية: [الكامل]

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا بِشُرُوطِهَا ... فَمِنَ الضَّلَالِ تَفَاوُتُ الْمِيقَاتِ
وَإِذَا اتَّسَعْتَ بِرِزْقِ رَبِّكَ فَاجْعَلَنْ ... مِنْهُ الْأَجَلَّ لِأَوْجُهِ الصدقاتِ
في الْأَقْربينَ وفي الأباعدِ تارةً ... إِنَّ الزكاةَ قَرِينَةُ الصَّلواتِ

وللشافعي ـ رضي الله عنه ـ أشعار في الحكمة لا بأس بإنشادها حتى في مجالس الوعظ والإرشاد، كالذي ذكرته في الآية رقم [٣٢] من سورة (الإسراء). وأما الشعر المشتمل على المجون، والكذب، والتزين بالباطل، والمدح الكاذب، فلا يجوز إنشاده في المسجد، ولا في غيره، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ. قالت: ذُكِرَ الشعراءُ عند رسول الله ﷺ، فقال: «**هُوَ كَلَامٌ حَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبيحهُ قَبِيحٌ**». وأما النوم في المسجد فإنه مكروه إلا للغرباء، الذين لا بيوت لهم، فهو جائز.

وعن فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ قالت: كانَ رسولُ الله: ﷺ إِذَا دخلَ الْمَسْجِدَ؛ قَالَ: «**باسمِ الله، والسَّلامُ على رسولِ اللهِ. اللهمَّ اغفر لي ذنوبي، وافتحْ لي أبوابَ رحْمَتِكَ**». وإِذَا خَرَجَ؛ قَالَ: «**باسمِ اللهِ، والسلام عَلَى رسُول اللهِ. اللهمَّ اغفرْ لي ذنوبي، وافْتَحْ لي أَبْوابَ رَحْمَتِكَ وفَضْلِكَ**». رواه ابن ماجه. وعن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دَخلَ أحدُكمُ المسجدَ؛ فلْيَرْكَعْ رَكْعَتَينِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ**». رواه مسلم.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾: اختلف العلماء في وصف الله تعالى المسبِّحين، فقيل: هم المراقبون أمر الله، الطالبون رضاه، الذين لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شيء من أمور الدنيا. وقال كثير من الصحابة: نزلت هذه الآية في أهل الأسواق، الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة؛ تركوا كل عمل، وبادروا. ورأى سالم بن عبد الله أهل الأسواق؛ وهم مقبلون إلى الصلاة، فقال: هؤلاء الذين أراد الله بقوله: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ. هذا؛ ويقرأ الفعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباء وفتحها، كما يقرأ (تسبح) بالتاء، وعلى ما تقدم؛ فالمراد مَنْ يسبح في الصلاة.

هذا؛ و(الغدو): جمع: غدوة بضم الغين فيهما، وهي ما بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس، وقيل: إلى الضحوة الكبرى، والغداة بفتح الغين في الأصل: الضحوة، ولو حملها حامل على أول النهار لجاز له التذكير، والجمع: غدوات. (الآصال): جمع: أصيل، وهو الوقت بين العصر، والمغرب، ويجمع أيضاً على أصَائِل، وَأُصُل، وأصْلَان. هذا؛ وقيل: الآصال جمع: أُصُل، والأُصُل جمع: أصيل، ثم أصائل جمع الجمع، قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

لَعَمْرِيَ أَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلِهِ ... وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالأَصَائِلِ

هذا؛ ويطلق الأصيل على الشعاع الممتد من الشمس إلى الماء مثل الحبال، ويشبه لون أشعته في الماء لون الذهب، وانظر مقابلة (العشي) بـ: (الإبكار) في الآية رقم [٤١] من سورة (آل عمران)، ومقابلة (البكرة) بـ: (الأصيل) في الآية رقم [٥] من سورة (الفرقان)، ومقابلة (الغداة) بـ: (العشي) في الآية رقم [٥٢] من سورة (الأنعام) ففيهما كبير فائدة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فِى بُيُوتٍ﴾: فيه ستة أوجه: أحدها: أنهما متعلقان بمحذوف صفة (مشكاة) أي: كمشكاة موجودة في بيوت. الثاني: أنهما متعلقان بمحذوف صفة ﴿مِصْبَاحٌ﴾، أي: مصباح كائن في بيوت. الثالث: أنهما متعلقان بمحذوف صفة ﴿زُجَاجَةٍ﴾ أي: زجاجة موجودة في بيوت. الرابع: أنهما متعلقان بـ: ﴿يُوقَدُ﴾ وعلى هذه الأوجه لا يوقف على ﴿عَلِيمٌ﴾. الخامس: أنهما متعلقان بمحذوف، أي: سبحوه في بيوت. السادس: أنهما متعلقان بـ: ﴿يُسَبِّحُ﴾ أي: يسبح رجال في بيوت، ولفظ ﴿فِيهَا﴾ تكرر للتوكيد، وعلى هذين الوجهين يوقف على ﴿عَلِيمٌ﴾ انتهى. نقلاً عن السمين بتصرف. وفي القرطبي: قال ابن الأنباري: سمعت أبا العباس يقول: هو حال للمصباح، والزجاجة، والكوكب، كأنه قال: وهي في بيوت. وقال الترمذي الحكيم محمد بن علي: (في بيوت) منفصل، كأنه يقول: الله في بيوت... وبذلك جاءت الأخبار: أنه من جلس في المسجد، فإنه يجالس ربه. وجوز ابن الأنباري تعليقهما بمحذوف خبر مقدم، على أن ﴿رِجَالٌ﴾ مبتدأ مؤخر، فإن قيل: فما الوجه في تعليقهما بمحذوف صفة لأحد الأسماء الثلاثة المذكورة، أو بـ: ﴿يُوقَدُ﴾، ولا يكون مشكاة، أو مصباحٌ، أو زجاجةٌ إلا في بيت واحد، قيل:

هذا من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد، ويختم بالجمع، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ ونحوه، وقيل: رجع إلى كل واحد من البيوت، وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾.

﴿أَذِنَ﴾: ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تُرْفَعَ﴾: مضارع مبني للمجهول، منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ونائب الفاعل يعود إلى ﴿بُيُوتٍ﴾ و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: في رفعها. والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَذِنَ﴾، وجملة: ﴿أَذِنَ...﴾ إلخ في محل جر صفة (بيوت). ﴿وَيُذْكَرَ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وهو مبني للمجهول أيضاً. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱسْمُهُۥ﴾: نائب فاعل. ﴿يُسَبِّحُ﴾: مضارع، فعلى قراءته بالبناء للمعلوم فاعله ﴿رِجَالٌ﴾. وعلى قراءته بالبناء للمجهول، فنائب الفاعل متعلَّق أحد المجرورات بعده، والأول أولى، لاحتياج العامل إلى مرفوعه فالذي يليه أولى، وعلى هذا فالوقف على (الآصال) و﴿فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما، وعلى هذا فـ: ﴿رِجَالٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما: هو مبتدأ مؤخر، والخبر متعلق ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ وهذا وجه رأيته فيما سبق. والثاني: هو فاعل لفعل محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: يسبحه رجال، وهذه الجملة وقعت جواباً لسؤال مقدر، فكأن سائلاً سأل: من يسبحه؟ فقيل: يسبحه رجال. وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف، التقدير: المسبح لله تعالى رجال، وتبقى الجملة الاسمية جواباً للسؤال المقدر، ومثل هذه الآية قول نهشل بن حري، ونسب لغيره، وهو الشاهد رقم [١٩٣] من كتابنا فتح رب البرية، والشاهد رقم [١٠٤٨] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الطويل]

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ ... ومُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطوائِحُ

إذ التقدير: يبكيه ضارع، وجملة: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب حال من نائب فاعل ترفع المستتر، والرابط: الضمير المجرور بقوله ﴿فِيهَا﴾ وقيل: صفة ثانية لبيوت.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿رِجَالٌ﴾: جمع: رجل. مأخوذ من الرجولة، وهي البطولة، والشهامة، وغيرهما، والمرأة مأخوذة من المرء، وهو الرجل؛ لأنها خلقت منه، وجعلت نهمتها فيه. ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ﴾: لا تشغلهم. ﴿تِجَٰرَةٌ﴾: قيل: خص التجارة بالذكر؛ لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلوات، والطاعات. وأراد بالتجارة: الشراء، وإن كان اسم التجارة يقع على البيع، والشراء جميعاً؛ لأنه ذكر البيع بعده، وقيل: التجارة لأهل الجلب، والبيع ما باعه الرجل على يده. ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ أي: لا يشغلهم بيع.

﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: باللسان، والقلب، وقيل: المراد به الصلاة، وحضور المساجد لإقامتها. والأول أقوى لذكر الصلاة بعده، وعطفها عليه. ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: إقامة الصلاة في وقتها؛ لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة. وانظر شرح الصلاة، والزكاة في الآية رقم [٣٠] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، وانظر إعلال (إقام) في الآية رقم [٧٣] من سورة (الأنبياء) وانظر ما ذكرته في الآية السابقة بشأن أهل الأسواق.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ أي: يوم القيامة. ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: من هوله، وحذر الهلاك. والتقلب: التحول، والمراد: قلوب الكفار، وأبصارهم، فتقلب القلوب: انتزاعها من أماكنها إلى الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها، ولا هي تخرج، وأما تقلب الأبصار؛ فتحول هيئتها إلى العمى بعد البصر، بمعنى: تزيغ، ولا تبصر. وانظر الآية رقم [٤٣] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ الآية رقم [١٠] من سورة (الأحزاب).

والمعنى: إن هؤلاء الرجال، وإن بالغوا في ذكر الله، والطاعات؛ فإنه مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته. وقد قيل في معنى تقلب القلوب والأبصار: إن القلوب تتقلب بين الطمع في النجاة، والخوف من العقاب في ذلك اليوم، وتقلب الأبصار، تنظر من أية ناحية يُعْطَوْن كتبهم، وإلى أية ناحية يُؤخذ بهم. وقيل: إن قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك، وكذلك أبصارهم؛ لرؤيتهم اليقين، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ فما كان يراه في الدنيا غيّاً يراه رشداً في الآخرة، إلا أن ذلك لا ينفعهم. وقيل: تقلب على جمر جهنم، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ الأحزاب رقم [٦٦]، وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ...﴾ الآية رقم [١١٠] من سورة (الأنعام).

وقيل: المعنى: تتقلب أحوالها، فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه، وتبصر الأبصار ما لم تبصر. هذا؛ وتخصيص الرجال بالذكر دليل على أن النساء لاحظ لهن في المساجد؛ إذ لا جمعة عليهن ولا جماعة، وأن صلاتهن في بيوتهن أفضل، فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**صَلَاةُ الْمَرأةِ في بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا في حُجْرَتِهَا، وَصَلَاتُهَا في مَخْدَعِهَا أفضلُ مِنْ صَلَاتِهَا في بَيْتِهَا**». رواه أبو داود، وابن خزيمة في صحيحه. والمخدع: الخزانة ونحوها في داخل البيت، وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تمنعُوا نسَاءكُم المساجدَ، وبيوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنّ**». رواه أبو داود.

فهذا النهي للفتنة، فإذا أمن الإنسان الفتنة، وعدم النظر إليهن، فلا يمنعن، ولا سيما العجائز وهذا في عصر النبوة، وآداب الإسلام معمول بها، والإسلام في قمة رفعته، وعزته، والكل يخاف الله جل وعلا، فما بالك الآن أيها المسلم؛ وقد كثر الفجور والفسوق، وكثير من

الفتيات عاريات، مائلات، مميلات في الشوارع، والنوادي، وعلى شواطئ الأنهار، والبحار، يا عجباً! يمنعهن نبي الإسلام من الذهاب إلى المساجد لعبادة الله، والأزواج، والآباء، والإخوة، لا يمنعونهن من هذا التبرج، ويل لكم يا أولياء النساء! إذا قدرتم على منعهن، ولم تمنعوهن، فإنه تنزل عليكم اللعنات، وتشملكم السخطات، ويلحقكم غضب الله، وانتقامه في يوم لا تملك فيه نفس لنفس نفعاً، ولا دفعاً.

الإعراب: ﴿رِجَالٌ﴾: فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ أو هو مبتدأ مؤخر، خبره ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ انظر الآية السابقة. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تُلْهِيهِمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به. ﴿تِجَارَةٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿رِجَالٌ﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿بَيْعٌ﴾: معطوف على ﴿تِجَارَةٌ﴾. ﴿عَن ذِكْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿ذِكْرِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿وَإِقَامِ﴾: معطوف على ذكر، وهو مضاف، و﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿وَإِيتَآءِ﴾: معطوف على ذكر أيضاً، وهو مضاف، و﴿ٱلزَّكَوٰةِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿يَخَافُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿يَوْمًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب وهو الهاء، والرابط: الضمير فقط، وهو واو الجماعة، وأجيز اعتبارها صفة ثانية لـ: ﴿رِجَالٌ﴾. ﴿تَتَقَلَّبُ﴾: مضارع. ﴿فِيهِ﴾ متعلقان به. ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾: فاعله. ﴿وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية في محل نصب صفة يوماً.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: المعنى: إن الرجال الذين اشتغلوا بذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتأدبوا بآداب المساجد إنما فعلوا ذلك ليجزيهم، أي: ليثيبهم أعظم من عملهم في الدنيا فرضاً، كان أو نفلاً، كيف لا؟! والله الحليم الكريم يجزي المؤمن على عمله الصالح في الدنيا الحسنة بعشر أمثالها، كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام [١٦٠] وهذا أقل ما وعد به سبحانه من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين، وبسبعمئة وبغير حساب، كما في هذه الآية: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: أشياء كثيرة لم يعدهم إياها على أعمالهم، ولم تخطر ببالهم.

وفي أبي السعود: أي: يتفضل عليهم بأشياء لم توعد لهم بخصوصياتها، أو بمقاديرها، ولم يخطر ببالهم كيفياتها، ولا كمياتها، بل إنما وعدت بطريق الإجمال في مثل قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية رقم [٢٦] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف

سلام. وقول النبي ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطر على قلب بَشر» وغير ذلك من المواعيد الكريمة. انتهى. جمل. خرج الحديث في الصحيح من حديث سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ. وهو ما في القرطبي، وأسنده الخازن إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير، فيوسع في الدنيا، استدراجاً تارة، وابتلاء أخرى، وإكراماً ثالثة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ سورة (الطلاق) رقم [٢ و٣] هذا؛ وأما في الآخرة فرزقه جلت قدرته للمؤمنين واسع، لا يضبطه عد، ولا يحصره كيل، ولا وزن، بخلاف رزق الدنيا فإنه مضبوط محصور. وقول القرطبي: أي: من غير أن يحاسب على ما أعطاه. لا وجه له؛ إذ ما ذكره خصوصية لسليمان بن داود عليهما السلام؛ حيث قال الله له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. سورة (صٓ) رقم [٣٩].

خاتمة: الآيات الثلاث تثني على عباد الله المؤمنين الذين يألفون المساجد، ويتأدبون بآدابها، وبالإضافة لما ذكرته في الآيتين السابقتين أذكر لك نبذة من أحاديث سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ في فضل صلاة الجماعة، والمحافظة عليها، وما يترتب على تركها، وإهمالها من الوعيد الشديد.

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ قال: «**إذَا رَأَيْتُم الرجُلَ يَعتادُ المساجدَ؛ فاشهدُوا لَهُ بالإيمانِ، قال الله عز وجل:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾». رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم. وعنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ، قال: «**مَنْ أَلِفَ الْمَسْجِدَ أَلِفَهُ الله**». رواه الطبراني في الأوسط. وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الْمَسْجِدُ بيتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَتَكَفَّلَ الله لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بالرَّوح، والرّحْمَةِ، والجواز على الصِّراطِ إلى رضوانِ الله إلى الْجَنَّةِ**». رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، والبزار. وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ، قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ في بيْتِهِ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَهُوَ زائِر الله، وَحَقٌّ على الْمَزُورِ أَنْ يُكرمَ الزَّائِرَ**». رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ، أو رَاحَ، أَعَدَّ الله لهُ في الجنةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا، أَوْ رَاحَ**». رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما، وعنه أيضاً قال، قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، فَيُسْبِغُهُ، ثُمَّ يأْتي الْمَسْجِدَ، لا يُريدُ إلّا الصلاةَ؛ إلَّا تَبَشَّشَ الله إليهِ، كما يَتَبَشَّشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِطَلْعَتِهِ**». رواه ابن خزيمة في صحيحه.

هذا؛ وصلاة الجماعة تضعف على صلاة الرجل في بيته وفي سوقه سبعاً وعشرين درجةً؛ ومع ذلك فليست الأوقات الخمسة في درجة واحدة من الفضل، فأفضل صلاة في الجماعة، هي

صلاة صبح يوم الجمعة، ثم صبح كل يوم، ثم صلاة عشاء كل يوم، ثم صلاة العصر، ثم صلاة الظهر، ثم صلاة المغرب، وكلما بعد بيت المصلي عن المسجد كان أعظم أجراً، وذلك لزيادة الأجر، المترتب على كثرة الْخُطى.

فعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المساجِدِ بالنورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**. رواه أبو داود، والترمذي، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْمَشَّاؤُونَ إلى الْمَسَاجِدِ في الظُّلمِ؛ أولئكَ الْخوَّاضُونَ في رَحْمَةِ اللهِ تَعالى»**. رواه ابن ماجه، والترمذي.

وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ في جَمَاعةٍ فكأنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، ومَنْ صَلَّى الصُّبْحَ في جماعةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى الليْلَ كُلَّهُ»**. رواه مسلم، ومالك، وأبو داود وهذا في ترغيب الصلاة في الجماعة ووعد الخير فيها، وعلى أدائها.

أما في التحذير من تركها، والوعيد في إهمالها ـ وعلى الأخص: صلاة الفجر، وصلاة العشاء ـ فخذ ما يلي: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أثقلَ صلاةٍ على المنافقينَ صلاةُ العشاءِ، وصلاةُ الفَجْرِ، (أي في الجماعة) ولَوْ يعلمون ما فيهما (أي: من الأجر والثواب) لأَتَوْهُمَا، وَلَوْ حَبْواً. وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بالصلاةِ فتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رجلاً، فيُصلِّيَ بالناسِ، ثمَّ أنْطلِقَ مَعي برجالٍ معَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، إلى قومٍ لَا يَشْهدُونَ الصلاةَ، فَأُحرِّقَ عليهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»**. رواه البخاري، ومسلم.

وعن معاذ بن أنس ـ رضي الله عنه ـ، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: **«الْجَفَاءُ كُلُّ الْجَفَاءِ، والْكُفْرُ والنِّفَاقُ، مَنْ سَمِعَ مُنَادِيَ الله يُنَادِي إلى الصَّلاةِ؛ فَلَا يُجيبُهُ»**. رواه أحمد، والطبراني، وفي روايةٍ أخرى للطبراني: **«بِحسْبِ المُؤمنِ من الشَّقاءِ والخَيْبَةِ أنْ يَسْمعَ المؤذِّنَ يُثَوِّبُ بالصَّلاةِ فلا يُجيبُهُ»**. والمراد بالتثويب هنا: إقامة الصلاة، أو: الأذان مطلقاً.

وخذ ما يلي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ صَلَّى لله أَرْبَعِينَ يوماً في جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التكبيرة الأولى (أي: مع الإمام) كُتِبَتْ له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»**. رواه الترمذي. ومما يحزُّ في القلب وتدمع له العين أن نرى من يصلي جماعة أربعين سنة لا تفوته التكبيرة الأولى مع الإمام، بل ويأتي إلى المسجد قبل الفجر بساعة، أو أكثر، يقوم، ويقعد يصلي، ولكنه مع الأسف معرضاً عن الحق مؤيداً للباطل! وقد رأيت من يعتدي على كرامة الناس، وحرماتهم، وينفعل، ويثور، ويغضب لأقل شيء، فهؤلاء أقل ما أقول في شأنهم: إن صلاتهم لا ترفع فوق رؤوسهم شبراً، ولا صلاة لهم؛ لأن من شأن الصلاة أن تنهي صاحبها عن الفحشاء، والمنكر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾. وقال الرسول ﷺ: **«مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صلاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ والمنكرِ؛ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ الله إلَّا**

بُعْداً». والله ولي التوفيق. علماً بأن هذه الأحاديث مقتطفة من كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، رحمه الله تعالى، وهو نزر من بحر، والله ولي التوفيق.

الإعراب: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» المضمرة بعد لام التعليل، والهاء مفعول به أول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿أَحْسَنَ﴾: مفعول به ثان، وأحسن مضاف، و﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: أحسن الذي، أو شيء عملوه، واعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية ضعيف، تأمل. و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُسَبِّحُ﴾، أو بـ: ﴿يَخَافُونَ﴾، أو بفعل محذوف، التقدير: فعلوا ذلك؛ ليجزيهم الله، أو بالفعل: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار اللام لام العاقبة، والصيرورة، لا لام العلة على حد قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ ومتعلقة بمحذوف حال. ﴿وَيَزِيدَهُم﴾: معطوف على ما قبله، والفاعل يعود إلى الله، والهاء مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، التقدير: ما يليق بكرمه، وجوده. ﴿مِّن فَضْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَرْزُقُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به أول، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يرزق الذي، أو شخصاً يشاء الله رزقه. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول ثان محذوف، التقدير: رزقاً كائناً بغير، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له، و(غير) مضاف، و﴿حِسَابٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿يَرْزُقُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: لما ضرب الله مثلاً لحال المؤمن، وأنه في الدنيا والآخرة في نور، وأنه فائز بالنعيم المقيم؛ أتبعه بضرب مثل لأعمال الكفار، وشبهها بالسراب، وهذا من لطف الله وكرمه وحكمته، ورحمته؛ حيث جرت سنته في كتابه ألا يذكر التكذيب من الكافرين، والمنافقين إلا ويذكر التصديق من المؤمنين، ولا يذكر الإيمان إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنّة إلا ويذكر النار، ولا يذكر الرحمة، إلا ويذكر الغضب، والسخط، ليكون المؤمن راغباً راهباً، خائفاً راجياً.

هذا؛ والسراب: ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر كالماء في البادية يلتصق بالأرض، وله رهجة، واهتزاز كالماء في الغدران، و«الآل» الذي يكون ضُحَىً كالماء؛ إلا أنه يرتفع عن

الأرض حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء، وسمي السراب سراباً؛ لأنه يسرب، أي يجري كالماء، ولا يكون إلا في البرية، والأرض الفلاة في أيام القيظ الحارة، فيغتر به العطشان، والمسافر، وقد يريق ما معه من الماء اغتراراً به، قال الشاعر: [الطويل]

فلمَّا كَفَفْنَا الحربَ صارتْ عُهُودُهُمْ كَلَمْعِ سرابٍ بالْفَلَا مُتَألِّقِ

وقال آخر: [الطويل]

فَكُنْتُ كَمُهْرِيقِ الذي في سِقَائِهِ لِرَقْرَاقِ آلٍ فوقَ رَابيةٍ صَلْدِ

و(القيعة) جمع: القاع، مثل: جيرة وجار. قاله الهروي. وقال أبو عبيدة: قيعة، وقاع واحد حكاه النحاس، والقاع: ما انبسط من الأرض، واتسع، ولم يكن فيه نبات، وفيه يكون السراب، والآل، وجمع قاع على: أَقْوع، وأقواع، وقيعان، وأصله: قِوْعان، قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وقرئ: (بقيعاتٍ) ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾: أي: يظنه، ويتوهمه العطشان ماء، وانظر (حسب) في الآية رقم [١٥]، وشرح ﴿ٱلْمَآءِ﴾ في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: لم يجد ما قدره، وتوهمه ماءً في مكان السراب، أو المعنى: لم يجده شيئاً نافعاً، فحذف الصفة، واكتفى بالموصوف، وهذا كثير في القرآن والكلام العربي. ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: وجد الله بالمرصاد، أو وجد عقابه، ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي: جزاء عمله، قال امرؤ القيس: [الوافر]

فَوَلَّى مُدْبِراً يَهْوِي حَثِيثاً وَأَيْقَنَ أَنَّهُ لَاقَى حِسَابَا

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يُحاسب العباد على كثرتهم، وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة، ووصف سبحانه نفسه بسرعة الحساب مع ما ذكر ليدل بذلك على كمال قدرته؛ لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، ولا يحتاج إلى آلة حاسبة، ولا إلى أمارة، ولا إلى مساعد، لا جرم كان قادراً على أن يُحاسب جميع الخلائق في أقل من لمح البصر. وقيل: معناه: يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد، فبادروا إلى الطاعات، واكتساب الحسنات.

هذا؛ وفي الآية الكريمة مثل ضربه الله تعالى للكفار الذين يؤملون ثواب أعمالهم، فإذا قدموا على الله تعالى يوم القيامة؛ وجدوا ثواب أعمالهم محبطة بالكفر. ووجه التشبيه: أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر، يعتقد: أن له ثواباً عند الله تعالى، وليس كذلك، فإذا وافى عرصات القيامة؛ لم يجد الثواب الذي كان يؤمله، بل وجد العقاب العظيم، والعذاب الأليم، فعظمت حسرته، وتناهى غمه، فشبه الله تعالى حاله بحال العطشان الذي اشتدت حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب في الأرض الفلاة؛ تعلق قلبه به، وأخذ يسعى إليه، فإذا جاء المكان الذي تراءى له فيه السراب لم يجد فيه شيئاً، فكذلك الكافر يحسب أن عمله نافعه، فإذا احتاج

إلى عمله؛ لم يجده أغنى عنه شيئاً، ولانفعه. وهذا يسمى بالتشبيه التمثيلي. وتفيد الآية الكريمة، والتي تليها: أن أفعال الكافر إذا كانت برّاً، كصلة القرابة ونحوها، لا يثاب عليها، ولا ينتفع بها في الآخرة، ومثلها الآية رقم [٢٣] من سورة (الفرقان) بيد أنه يطعم بها في الدنيا، دليله ما رواه مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنها قالت: قلت: يا رسول الله، ابنُ جُدْعان، كان في الجاهلية يصلُ الرَّحمَ، ويُطْعِمُ المسكين، فهلْ ذلكَ نافِعُهُ؟ قال: «**لا ينفعُهُ، إنَّهُ لَمْ يقلْ يَوماً: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطيئتي يَوْمَ الدِّين**». وروي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا يظلمُ مُؤْمناً حَسَنةً، يُعْطى بهَا في الدُّنْيَا، ويُجزَى بها في الآخرة، وَأَمَّا الْكافِرُ، فيُطْعَم بحَسَناتِ ما عمِلَ للهِ بهَا في الدُّنْيَا، حتَّى إذا أَفْضَى إلى الآخرةِ، لم تَكُنْ لَهُ حَسَنةٌ يُجزَى بهَا**». وهذا نصٌّ. ثم قيل: هل بحكم هذا الوعد الصادق لا بد أَنْ يُطْعَمَ الكافرُ، ويُعْطى بحسناته في الدنيا، أو ذلك مقيد بمشيئة الله المذكورة في قوله تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ الآية رقم [١٨] من سورة (الإسراء) وهذا هو الصحيح من القولين؟ بينما نجد آية (هود) رقم [١٥] قد أطلقت، ولم تقيد بالمشيئة، وكذلك آية الشورى رقم [٢٠] أطلقت.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: والصحيح: أنه من باب الإطلاق، والتقييد، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فهذا ظاهره خبر عن إجابة كل داع، دائماً على كل حال، وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

وأخيراً أقول: إن معنى إطعام الكافر في الدنيا: إدرار الرزق عليه، ومدُّه بالصحة، والعافية، وسروره في الدنيا، وراحة باله، وهناءة عيشه، وغير ذلك من نعيم الدنيا، وملذاتها.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف، أي: بالله: صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: مبتدأ ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، ـ أي جمعه ـ لفاعله. ﴿كَسَرَابٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ الثاني، وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى مثل؛ فهي الخبر، وتكون مضافة و(سراب) مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بدل اشتمال من الموصول. و﴿كَسَرَابٍ﴾ متعلقين بمحذوف خبره. ولا أرتضيه، والمعنى لا يقويه. ﴿بِقِيعَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (سراب). ﴿يَحْسَبُهُ﴾: مضارع، والهاء مفعول به أول. ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾: فاعله. ﴿مَآءً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل جر صفة ثانية لـ: (سراب) أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، والرابط: الضمير فقط. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَآءَهُۥ﴾: ماض، ومفعوله، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على

المرجوح المشهور. ﴿لَمْ يَجِدْهُ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ والفاعل يعود إلى الظمآن، والهاء مفعول به أول. ﴿شَيْئًا﴾: مفعول به ثان على اعتباره بمعنى: ماء، أو هو مفعول مطلق على اعتباره مصدراً بمعنى وجداناً، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف بعد ﴿حَتَّى﴾ لا محل له.

وقال الجمل: غاية لمحذوف، تقديره: ويقصده، ولا يزال جائياً إليه، حتى إذا جاءه... إلخ، وهذا يؤيد رأي الأخفش الذي يعتبر «حتى» في مثل ذلك جارة لـ: «إذا». (وجد): ماض. ﴿اللَّهَ﴾: مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿الظَّمْآنُ﴾. ﴿عِندَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، أو هو متعلق بمحذوف مفعول ثان لـ: (وجد)، وجملة: ﴿وَوَجَدَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة محذوفة مدلول عليها بالمذكورة؛ إذ التقدير: لم يجد عمله الذي رجا ثوابه. ﴿فَوَفَّاهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (وفّاه): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به أول. ﴿حِسَابَهُ﴾: مفعول به ثان، و(الهاء) في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَاللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿سَرِيعُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿الْحِسَابِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها؛ إذ التقدير: سريعٌ حسابُهُ، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وفحوى الآية معطوف على فحوى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ...﴾ إلخ.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ...﴾ إلخ: هذا مثل آخر ضربه الله تعالى للكفار، أي: أعمالهم كسراب بقيعة، أو كظلمات. قال الزجاج: إن شئت مثِّل بالسراب، وإن شئت مثِّل بالظلمات، فـ: ﴿أَوْ﴾ للإباحة حسبما تقدم من القول في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ...﴾ الآية رقم [١٩] من سورة (البقرة). وقال الجرجاني: الآية الأولى في ذكر أعمال الكفار، والثانية في ذكر كفرهم، ونسق الكفر على أعمالهم؛ لأنه أيضاً من أعمالهم، وقد قال تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الآية رقم [٢٥٧] من سورة (البقرة) أي: من الكفر إلى الإيمان. وقال أبو علي الفارسي: التقدير: كذي ظلمات، ودل على هذا المضاف قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ...﴾ إلخ فالضمير يعود إلى المضاف المحذوف. قال القشيري: فعند الزجاج التمثيل وقع لأعمال الكفار. وعند الجرجاني لكفر الكافر. وعند أبي علي للكافر نفسه. وقال ابن عباس: هذا مثل قلب الكافر. انتهى. قرطبي. رحم الله الجميع رحمة واسعة، وأدخلنا معهم جنته! وقال الخازن:

أعلم الله سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار إن كانت حسنة؛ فهي كسراب بقيعة، وإن كانت قبيحة؛ فهي كظلمات. ومثله في البيضاوي.

﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ أي: عميق كثير الماء، ولجة البحر: معظمه، وجمعها: لجج، فأما اللَّجَّة؛ فأصوات الناس. يقال: سمعت لجَّة الناس؛ أي: أصواتهم وصخبهم. قال أبو النجم الفضل بن قدامة العجليُّ: [الرجز]

تـدافـع الـشَّـيْـبُ ولـم تُـقَـتَّـلِ فـي لَـجَّـةٍ أمـسـكْ فـلانـاً عـن فُـلِ

و﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ أي: يعلو ذلك البحر العميق، ويُغطيه موج. ﴿مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ أي: من فوق الموج موج ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ أي: ومن فوق هذا الموج الثاني سحاب. هذا؛ والسحاب اسم جنس، واحده سحابة، فلذلك وصف بالجمع، وهو الثقال بقوله تعالى في الآية رقم [١٢] من سورة (الرعد): ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ وتجمع السحابة على سحاب، وسحائب، وسُحُب.

﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: المعنى: أن البحر اللجي يكون قعره مظلماً جداً. بسبب غمورة الماء له، فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة، فإذا كان فوق الأمواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى. ثم قيل: المراد بهذه الظلمات: ظلمة السحاب، وظلمة الموج، وظلمة الليل، وظلمة البحر، فلا يبصر من كان في هذه الظلمات شيئاً، كذلك الكافر، له ظلمات كثيرة: ظلمة الاعتقاد، وظلمة التفكير، وظلمة القول، وظلمة العمل. وقيل: شبه بالبحر اللجي قلبه، وبالموج ما يتغشى قلبه من الشك، والجهل، والحيرة، وبالسحاب الختم، والطبع على قلبه. قال أُبَيُّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: الكافر يتقلب في خمس من الظلمات: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات في النار، وبئس القرار، والكلام جار مجرى الاستعارات، والكنايات. تأمَّله، وتدبره.

﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي: إذا أخرج شخص يده ليراها؛ لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة. وقيل: المعنى لم يرها إلا بعد الجهد، كما تقول: ما كدت أراك من الظلمة، وقد رآه بعد يأس، وشدة. وقيل: هو مبالغة في لم يرها، أي لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها، ومثله قول ذي الرمة: [الطويل]

إذَا غَـيَّـر الـنَّـأْيُ الـمـحـبِّـيـنَ لَـمْ يَـكَـدْ رَسِـيـسُ الْـهَـوَى مِـنْ حُـبِّ مَـيَّـةَ يَـبْـرَحُ

أي: لم يقرب من البراح فماله يبرح. هذا؛ وقال الفراء: «كاد» صلة، أي لم يرها، وحكاه أبو حاتم عن الأخفش أيضاً، وهي مؤكدة لمعنى الكلام؛ لأن الظلمات التي ذكرها الله تعالى، بعضها يحول بين الناظر والمنظور إليه. وروي معناه عن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ واستشهدوا بقول زيد الخير ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

سَرِيعٌ إِلى الْهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلَاحُهُ فَمَا إِنْ يَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ

أراد فما يتنفس قرنه، أي مقارنه، وهو محاربه. وقال آخر: [الطويل]

وَأَلَّا أَلُوم النفسَ فيما أصابني وَأَلَّا أَكَادُ بالَّذي نِلْتُ أَنْجَحُ

معناه: وألا أنجح بالذي نلت، وبه قيل في قوله تعالى في الآية رقم [١٥] من سورة (طه): ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا...﴾ إلخ.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ أي: ومن لم يقدّر له الهداية، ولم يوفقه لأسبابها. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي من لم يجعل الله له ديناً فما له من دين، ومن لم يجعل الله له نوراً يمشي به يوم القيامة لم يهتد إلى الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وجملة القول: من لم يهده الله لم يهتد، وقد قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ الله خَلَقَ الخلْق في ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِه، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ**». أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ. فإذاً الهداية هداية الله، والتوفيق توفيق الله.

وقد يعترض بعض الناس على ذلك، فيقول: إذاً لا مؤاخذة على العبد، فكيف يعذبه الله، ولم يهده، ولم يوفقه للإيمان؟ والجواب: أن عدم توفيق الله للعبد معناه تقدير ضلاله، وهذا التقدير مبني على علم الله الأزلي بأن هذا العبد لو ترك وشأنه، لم يختر سوى الكفر، والضلال، ولذا قدره الله عليه، هذا بالإضافة إلى اختياره الضلال، بعد أن بين الله لكل واحد الخير، والشر، والحسن، والقبيح، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: بينا له طريق الخير، وطريق الشر، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: قال مقاتل بن سليمان رحمه الله تعالى: نزلت الآيتان في عتبة بن ربيعة، كان يلتمس الدين في الجاهلية، ولَبِس المسوح، فلما جاء الإسلام؛ كفر. وقال الماوردي: في شيبة أخيه، كان يترهب في الجاهلية، ويلبس المسوح، ويطلب الدين، فكفر بالإسلام، وكلاهما مات كافراً، فلا يبعد أن يكونا هما المراد بالآية وغيرهما، وقد قيل: نزلتا في عبد الله بن جحش وكان قد أسلم، وهاجر إلى الحبشة، ثم تنصر بعد إسلامه. انتهى. قرطبي بتصرف. أقول: والآيتان تشملان كل كافر بالله ورسوله إلى يوم القيامة بلا ريب ولا شك. تأمل، وتدبر.

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿كَظُلُمَٰتٍ﴾: معطوفان على ﴿كَسَرَابٍ﴾ في الآية السابقة. ﴿فِى بَحْرٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (ظلمات). ﴿لُّجِّىٍّ﴾: صفة ﴿بَحْرٍ﴾. ﴿يَغْشَىٰهُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء مفعول به. ﴿مَوْجٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر صفة ثانية لـ: ﴿بَحْرٍ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(الهاء) في محل جر بالإضافة. ﴿مَوْجٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ﴿مَوْجٌ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ متعلقين بمحذوف

صفة ﴿مَوْجٌ﴾، فيكون ﴿مَوْجٌ﴾ الثاني فاعلاً بمتعلق الجار والمجرور: ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ﴾ مثل سابقه على الاعتبارين فيه. ﴿ظُلُمَٰتُۢ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هذه ظلمات، ويقرأ بالجر على اعتباره بدلاً من (ظلمات) الأولى، كما يقرأ: (سَحَابُ ظلماتٍ) بالإضافة، ولا تنوين في (سحاب) للإضافة. ﴿بَعْضُهَا﴾: مبتدأ، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿فَوْقَ﴾ مضاف، و﴿بَعْضٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع، أو في محل جر صفة (ظلمات). هذا؛ والجملة الاسمية المقدرة هذه ظلماتٌ إلخ على قراءة الرفع في محل جر صفة (ظلمات) الأولى، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، والرابط على الاعتبارين إعادة الظلمات بلفظها. ﴿إِذَآ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿أَخْرَجَ﴾: ماض، والفاعل تقديره: «هو»، يعود إلى غير مذكور، والمراد به من كان في الظلمات. ﴿يَدَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها... إلخ. ﴿لَمْ يَكَدْ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ واسمه يعود إلى ما عاد إليه فاعل ﴿أَخْرَجَ﴾. ﴿يَرَىٰهَاۗ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ما عاد إليه... إلخ، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿لَمْ يَكَدْ﴾، والجملة: ﴿لَمْ يَكَدْ...﴾ إلخ جواب: (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَّمْ يَجْعَلِ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وهو في محل جزم فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من نوراً، كان صفة له... إلخ. ﴿نُورًا﴾: مفعول به. ﴿فَمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ما): نافية. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿نُّورٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [٣٣]. هذا؛ وإن اعتبرت (من) اسماً موصولاً؛ فالجملة الفعلية بعده صلته، والجملة الاسمية: (ما له من نور) خبره، ودخلت الفاء على الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: لما ذكر الله وضوح الآيات؛ زاد في الحجة، والبينات، وبين: أن مصنوعاته تدل بتغييرها على أن لها صانعاً قادراً على الكمال، فله بعثةُ الرسل، وقد بعثهم، وأيدهم بالمعجزات،

وأخبروا بالجنة والنار، والخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ، وهو يعم كل مخاطب من العقلاء. والمعنى: ألم تعلم علماً يقينياً يشبه المشاهدة في اليقين، والوثاقة بالوحي والاستدلال.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: من الملائكة. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: من الجن والإنس، والحيوان والنبات والجماد، وهو ما صرحت به الآية رقم [٤٤] من سورة (الإسراء): ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. انظر شرحها هناك، والمعنى: يقدس الله، وينزهه عن كل نقص وآفة أهل السموات، والأرض. وانظر الكلام على (مَنْ) و(ما) في الآية رقم [٤٥] الآتية.

تنبيه: جاء لفظ التسبيح بالماضي أحياناً، وبالمضارع أحياناً، وبالأمر أحياناً، وبالمصدر أحياناً أخرى استيعاباً لهذه المادة من جميع جهاتها، وألفاظها، وهي أربع: المصدر، والماضي، والمضارع، والأمر. وهذا الفعل بألفاظه الأربعة قد عدي باللام تارةً، مثل قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ...﴾ إلخ وبنفسه أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وقوله تعالت حكمته: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ وأصله التعدي بنفسه؛ لأن معنى سبَّحته: بعدته من السوء، منقول من «سَبَح»: إذا ذهب، وبَعُد، فاللام إما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له، وإما أن يراد بـ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ اكتسب التسبيح لأجل الله. ولوجهه خالصاً. انتهى. نسفي. من سورة (الحديد).

﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي: باسطات أجنحتهن في الهواء. قيل: خص الطير بالذكر من جملة الحيوان؛ لأنها تكون بين السماء والأرض أثناء طيرانها، فتكون خارجة عن حكم من في السموات والأرض.

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾: قال مجاهد، وغيره: الصلاة للإنسان، والتسبيح لما سواه من الخلق. وقال سفيان: للطير صلاة ليس فيها ركوع، ولا سجود. وقيل: إن ضربها بأجنحتها صلاة، وإن أصواتها تسبيح، حكاه النقاش. ﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحد مما ذكر. ﴿عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ أي: علم الله تسبيح المسبح، وصلاة المصلي من جميع المخلوقات، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: لا يخفى عليه طاعتهم، ولا تسبيحهم. ومن هذه الجهة يجوز نصب ﴿كُلٌّ﴾ عند البصريين، والكوفيين بإضمار فعل يفسره ما بعده. وقد قيل: المعنى: قد علم كل مصلٍّ صلاة نفسه، وكل مسبحٍ تسبيحه الذي كُلِّفه. هذا؛ وقد قرئ ﴿عَلِمَ﴾ بالبناء للمعلوم وللمجهول، كما قرئ بتشديد اللام، كما قرئ بنصب (الطير)، وقراءة الجمهور الرفع، مع نصب ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ على القراءتين، وقرئ برفعهما (والطيرُ صافاتٌ)، وانظر شرح ﴿ٱلطَّيْرُ﴾ في الآية رقم [٣١] من سورة (الحج). هذا؛ والصلاة هنا بمعنى التسبيح، فهو بمعنى المرادف، وكرر للتوكيد.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير هنا. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل.

﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُسَبِّحُ﴾: مضارع. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾: معطوف على ﴿مَن﴾. ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: حال منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. هذا؛ و(الطير) بالنصب مفعول معه، وعلى رفعه ورفع (صافات) فهما مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿يُسَبِّحُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول الفعل ﴿تَـرَ﴾ وقيل: هو قلبي فالمصدر سد مسد مفعوليه، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ تَـرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، سوغ الابتداء به، وهو نكرة الإضافة المقدرة. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَلِمَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، أو إلى ﴿كُلٌّ﴾، انظر الشرح. ﴿صَلَاتَهُۥ﴾: مفعول به. ﴿وَتَسْبِيحَهُۥ﴾: معطوف عليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿عَلِمَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿كُلٌّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (الله): مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبره. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عليم بالذي، أو بشيء يفعلونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: عليم بفعلهم، والجملة الاسمية: (الله...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح أي: إن جميع الموجودات في السموات والأرض من أفلاك وكواكب في السموات، وما على الأرض من جبال وأنهار وبحار، فكل ذلك ملك لله تعالى، وفي تصرفه، وعنه نشأ، ، ومنه بدأ لا يشركه فيه أحد، وما يملكه العبد في هذه الدنيا، فإنما هو ملك له في الظاهر، قد منحه الله له؛ ليتمتع به على سبيل الوكالة، والأمانة، فويل لمن قصر في الوكالة، وخان في الأمانة! وقيل: معناه: إن خزائن المطر، والرزق بيد الله، ولا يملكها أحد سواه. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع، والمآب، والمآل بعد الموت إلى الله تعالى، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وانظر شرح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. (إلى الله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: الكلام عليه هنا كما في الآية رقم [٤١]. ﴿يُزْجِى سَحَابًا﴾: يسوق، ويجري إلى حيث يشاء، والسحاب: الغيوم التي تراها العيون في السماء. ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ أي: يجمعه عند انتشائه؛ ليقوى، ويتصل، ويكثف. وقرئ (يُوَلِّف) بدون همز، والسحاب واحد في اللفظ، ولكن معناه جمع، وهو غربال الماء. قاله علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه. هذا، وقيل: السحاب: الغيم فيه الماء، أو لم يكن فيه ماء، ولهذا قيل: سحاب جهام، وهو الخالي من الماء، وأصل السحب: الجر، وسمي السحاب سحاباً، إما لجر الريح له، أو لجره الماء، أو لانجراره في سيره، ووصفه الله بـ: ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ في الآية رقم [١٢] من سورة (الرعد)، لثقله بالماء الذي يحمله إلى حيث شاء الله الخلاق العظيم.

هذا؛ وينبغي أن تعلم أن «بين» لا تقع إلا لاثنين فصاعداً، ووقوعها هنا لجماعة السحاب؛ لأنه بمعنى الجمع كما تقول: جلست بين الشجر؛ لأنه جمع، والسحاب مؤلف من قطع ينضم بعضها إلى بعض. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ أي: مجتمعاً يركب بعضه بعضاً، كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ والرَّكْمُ: جمع الشيء، يقال: رَكَم الشيء، يَرْكُمُه رَكْماً: إذا جمعه، وألقى بعضه على بعض، وارْتَكم الشيء، وتراكم: إذا اجتمع.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: من وسطه وهو مخارج القطر، وقد قال كعب: إن السحاب غِرْبال المطر، ولولا السحاب حين ينزل المطر من السماء؛ لأفسد ما يقع عليه من الأرض. وفي ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ قولان: أحدهما: أنه البرق قاله أبو الأشهب العقيلي، ومنه قول الشاعر: [الوافر]

أَثَرْنَ عَجَاجَةً، وَخَرَجْنَ مِنْهَا ... خُرُوجَ الْوَدْقِ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ

الثاني: أنه المطر قاله الجمهور، قال امرؤ القيس: [الطويل]

فَدمْعُهُمَا وَدْقٌ، وسَحٌّ، وَدِيمَةٌ ... وَسَكْبٌ وَتَوْكَافٌ، وَتَنْهَمِلانِ

وقال عامر بن جوين الطائي: [المتقارب]

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا ... وَلَا أَرْض أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾: وفيه معنيان: أحدهما: أن يخلق الله في السماء جبالاً من برد، كما خلق في الأرض جبالاً من حجر. والثاني: أن يريد الكثرة بذكر الجبال،

كما يقال: فلان يملك جبالاً من ذهب. والأول فحوى قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾: فيكون إصابته نقمة حيث يهلك من يصيبه، وأمواله، وزرعه، وهذا مشاهد في بعض السنين، ويكون صرفه نعمة، فلا يضر، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل البرد في الغالب في أواخر فصل الربيع، حين يكون الزرع قد قارب الحصاد، ولله في خلقه وحكمته شؤون، لا اعتراض عليها.

﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ أي: ضوء ذلك البرق الذي في السحاب. ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: من شدة بريقه، وضوئه. هذا؛ والبرق مصدر: برق، يبرق: إذا لمع. والرعد: مصدر: رعد، يرعد، وهما معروفان ومشاهدان للناس جميعاً، وتفسيرهما في الشرع غير تفسيرهما وشرحهما في العلم الحديث. هذا؛ وذكر الله في الآية رقم [١٣] من سورة (الرعد) أن الناس بعضهم يخافون من البرق ولمعانه، وبعضهم يطمعون فيما وراءه، وفيما يبشر به من مطر. هذا؛ و(السنا) بالقصر الضوء، وشدة بريق البرق، قال الشماخ: [الوافر]

وَمَـــا كَـــادَتْ إِذَا رَفَـــعَـــتْ سَـــنَـــاهَـــا لِـيُـبْـصِـرَ ضَـوءَهَـا إِلَّا الـبَـصِـيـرُ

وهو أيضاً نبت يتداوى به، و«السناء» بالمد: الرفعة، والعلو في الشرف والحسب، وقد قرأه طلحة بن مُصَرِّف هنا بالمد على المبالغة في شدة الضوء، والصفاء، فأطلق اسم العلو، والشرف. هذا؛ ويقرأ ﴿يَذۡهَبُ﴾ بفتح الياء من الثلاثي، وهي سبعية، وقرئ بضم الياء من الرباعي، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ والمشهور في العلم الحديث: أن الأبخرة إذا تصاعدت من البحار، والأنهار الموجودة في الأرض، ولم تحللها حرارة معينة، فبلغت الطبقة الباردة من الهواء، وقوي البرد هناك؛ اجتمع، وصار سحاباً، فإن لم يشتد البرد تقاطر مطراً، وإن اشتد، فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجاً، وإلا نزل بَرَداً، وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً، فينقبض، وينعقد سحاباً، وينزل منه المطر أو الثلج، وكل ذلك لا بد وأن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم؛ لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها، وأوقاتها. انتهى. بيضاوي بتصرف. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾: انظر الآية قبلها فالإعراب واحد. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُؤَلِّفُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿بَيۡنَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿يَجۡعَلُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾ أيضاً، والهاء مفعوله الأول. ﴿رُكَامٗا﴾: مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. ﴿فَتَرَى﴾: الفاء: حرف عطف، وسبب. (ترى): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل

مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْوَدْقَ﴾: مفعول به. ﴿يَخْرُجُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الودق. ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (الودق) والرابط: الضمير فقط، وجملة ﴿فَتَرَى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً، والرابط: الضمير المجرور محلاً بالإضافة.

(يُنَزِّلُ): مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن جِبَالٍ﴾: فيه ثلاثة أقوال: أحدها هما بدل مما قبلهما، والثاني: هما متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف، التقدير: شيئاً كائناً من جبال، و«شيئاً» المحذوف، هو مفعول (يُنَزِّلُ)، وهو فحوى كلام الزمخشري، وابن عطية. هذا؛ وأجاز الأخفش اعتبار ﴿مِنْ﴾ صلة، و﴿جِبَالٍ﴾ هو مفعول به، وهذا على مذهبه بجواز زيادة «مِنْ» في الإيجاب. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿جِبَالٍ﴾. ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾: فيه ثلاثة أقوال أيضاً: أحدها: هما بدل من قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، أو من قوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾. والثاني: هما متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف، وهذا المحذوف بدل من المحذوف المقدر قبل: ﴿مِن جِبَالٍ﴾. والثالث: ﴿مِنْ﴾ زائدة، و﴿بَرَدٍ﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع، والخبر متعلق فيها، والجملة الاسمية صفة ﴿جِبَالٍ﴾ وهذا على مذهب الأخفش الذي يجيز زيادة «مِنْ» في الإيجاب، وجملة: ﴿وَيُنَزِّلُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلست مفنداً.

﴿فَيُصِيبُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (يصيب): مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: فيصيب به الذي، أو: شخصاً يشاء إصابته بذلك البرد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإن عطفتها على ما قبلها؛ فلست مفنداً، والجملة بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها؛ إذ التقدير: ويصرفه ـ أي: البرد ـ عن الذي، أو: عن شخص يشاء صرفه عنه. ﴿يَكَادُ﴾: مضارع ناقص. ﴿سَنَا﴾: اسم ﴿يَكَادُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وعلى قراءته بالمد فالضمة ظاهرة، و﴿سَنَا﴾ مضاف، و﴿بَرْقِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَذْهَبُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾. ﴿بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلى قراءة الفعل بضم الياء؛ فالباء صلة، و(الأبصار) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ في محل نصب خبر (يكاد)، وجملة: ﴿يَكَادُ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿سَحَابًا﴾ على بعده عنها، والرابط: الضمير المجرور محلاً بالإضافة؛ لأنها عائدة عليه، وقيل: صفة ﴿بَرَدٍ﴾، وليس بشيء، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. تأمَّل.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: بالمعاقبة بينهما، أو بنقص أحدهما، وزيادة الآخر، تبعاً لفصول السنة، أو بتغيير أحدهما بالحر، والبرد، والظلمة، والنور، وكل ذلك مشاهد، وقيل: تقليبهما باختلاف ما يقدر فيهما من خير، وشر، ونفع، وضر. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في الذي ذُكِر، من تقلب الليل، والنهار، وأحوال المطر، والصيف، والشتاء. ﴿لَعِبْرَةً﴾: اعتباراً، وعظةً، وتذكرة. ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي: لأهل العقول السليمة، والبصائر النيرة، فيستدلون بذلك على قدرة الله وتوحيده.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «**يُؤذيني ابنُ آدم، يَسبُّ الدهرَ، وأنا الدهرُ، بيدي الأمر، أُقَلِّبُ الليل، والنهار**». متفق عليه، ومعنى هذا الحديث: أن العرب كانوا يقولون عند النوازل، والشدائد: أصابنا الدهر، ويذمونه في أشعارهم، فقيل لهم: لا تسبوا الدهر، فإن فاعل ذلك هو الله عز جل، والدهر مصَرَّف تقع فيه التأثيرات، كما تقع بكم.

تنبيه: لقد عدد الله في هذه الآيات من الدلائل على وحدانيته وقدرته ما فيه عبرة لمن يعتبر، وذكرى لمن يتذكر، حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض، وكل ما يطير بين السماء والأرض، ودعاءهم له، وابتهالهم إليه، وأنه سخر السحاب التسخير الذي وصفه، وما يحدث فيه من أفعاله؛ حتى ينزل المطر منه، وأنه يقسم رحمته بين خلقه، ويقبضها، ويبسطها على ما تقتضيه حكمته، ويريهم البرق في السحاب، الذي يكاد يخطف أبصارهم؛ ليعتبروا، ويحذروا، ويعاقب بين الليل، والنهار، ويخالف بينهما في الطول، والقصر، وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده، وقدرته، ودلائل منادية على كمال صفاته لمن نظر، وفكر، وتبصر، وتدبر. انتهى. كشاف بتصرف.

الإعراب: ﴿يُقَلِّبُ﴾: مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول به. (النهار): معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَعِبْرَةً﴾: اللام: لام الابتداء. (عبرة): اسم (إنَّ) مؤخر. ﴿لِّأُوْلِي﴾: متعلقان بمحذوف صفة (عبرة)، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(أولي) مضاف، و﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة أيضاً لا محل لها.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ أي: كل ما يدب على وجه الأرض، من إنسان، وحيوان، وهوام، وغير ذلك. هذا؛ ويقرأ: (والله خالقُ كلِّ دابة) ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ أي: من نطفة، وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا، ولا يدخل فيه الملائكة والجن؛ لأنَّا لم نشاهدهم، وقيل: إن أصل جميع الخلق من الماء، وذلك أن الله خلق ماء، فجعل بعضه ريحاً ونوراً، فخلق منه الملائكة، وجعل بعضه ناراً، فخلق منه الجن، وجعل بعضه طيناً، فخلق منه آدم.

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾: كالحيات، والديدان، والحيتان، ونحو ذلك، وسمي الزحف على البطن مشياً على الاستعارة، أو المشاكلة لما بعده. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾: كبني آدم، والطير إذا مشى على الأرض. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾: كالبهائم، والسباع، قال النقاش: إنما اكتفى في القول بذكر ما يمشي على أربع عن ذكر ما يمشي على أكثر؛ لأن جميع الحيوان إنما اعتماده على أربع، وهي قوام مشيه، وكثرة الأرجل في بعضه زيادة في خلقته، لا يحتاج ذلك الحيوان في مَشْيه إلى جميعها.

هذا؛ و﴿دَآبَّةٍ﴾ تشمل من يعقل، وما لا يعقل، فغلب من يعقل لما اجتمع مع من لا يعقل؛ لأنه المخاطب، والمتعبد، ولذلك قال: ﴿فَمِنْهُم﴾، وقال: ﴿مَّن يَمْشِي﴾ لأن الأصل أن تكون (مَنْ) للعاقل، و(ما) لغير العاقل، وقد يعكس هذا فتستعمل (مَنْ) لغير العاقل كما في هذه الآية، وتستعمل (ما) للعاقل كما في الآية رقم [٦] من سورة (المؤمنون) وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ وذلك قليل، وأكثر ما تكون (ما) للعاقل إذا اقترن العاقل بغير العاقل في حكم واحد، كما في الآية رقم [٤٩] من سورة (النحل)، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ، وقوله سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية رقم [١] من سورة (الجمعة)، وكذلك الآية رقم [١] من سورة (الحديد)، ورقم [١] من سورة (الصف)، فإن كل ما في السموات والأرض ممن يعقل، وما لا يعقل قد اقترنا في حكم واحد، وهو السجود والتسبيح، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ ويكون في الكلام تغليب، كما تستعمل في المبهم أمره كقولك، وقد رأيت شبحاً من بُعْدٍ: (انْظُرْ إلى مَا أَرَى) و(مَنْ، ومَا) تكونان بلفظ واحد للمفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر والمؤنث.

﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: ما ذكر، وما لم يذكر، بسيطاً أو مركباً على اختلاف الصور في الأعضاء، والهيئات، والحركات، والطبائع، والقوى، والأفعال مع اتحاد العنصر بمقتضى

مشيئته، وحكمته. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: على ما ذكر، لا يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وهذه الآية فيها من دلائل قدرة الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب.

الإعراب: ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿خَلَقَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿دَآبَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مِّن مَّآءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، وعلى القراءة الثانية ف: (خالق) هو خبر المبتدأ، و(خالق) مضاف، و﴿كُلَّ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والآية بجملتها معطوفة على ما ذكر في الآيات السابقة من دلائل قدرته، جلت حكمته. ﴿فَمِنْهُم﴾: الفاء: حرف تفريع وعطف. (منهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، هذا هو الظاهر والمتبادر، والأصح: أن مضمون الجار والمجرور مبتدأ، و﴿مَّن﴾ هي الخبر؛ لأن (مِنْ) الجارة دالة على التبعيض؛ أي: فبعض المخلوقات، وجمع الضمير يؤيد ذلك، ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ، يرشدك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ من الآية رقم [١١٠] من سورة (آل عمران)، فعطف (أكثرهم) على (منهم) يؤيد: أن معناه بعضهم، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِنْهُمْ لُيُوثٌ، لَا تُرامُ وَبَعْضُهُمْ   مِمَّا قَمِشْتَ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ

حيث قابل لفظ «منهم» بما هو مبتدأ أعني لفظة «بعضهم» وهذا مما يدل على أن مضمون «منهم» مبتدأ. هذا؛ وليوث جمع: ليث، وهو الأسد. لا ترام: لا تقصد. قمشت: جمعت من هنا وهناك، والمراد رذالة الناس، والقمش: الرديء من كل شيء. ﴿يَمْشِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (من) تقديره: «هو». ﴿عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة من، أو صفتها، والجملة: ﴿فَمِنْهُم مَّن...﴾ إلخ معطوفة، ومفرعة عما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملتان: ﴿مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ معطوفتان عليها، وإعرابهما لاخفاء فيه إن شاء الله تعالى. ﴿يَخْلُقُ﴾: مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يخلق الله الذي، أو شيئاً يشاء خلقه، وجملة: ﴿يَخْلُقُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان ب: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، وكل مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل لمشيئة الله تعالى، لا محل لها.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ﴾ للحقائق بأنواع الدلائل، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٤]. ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: بالتوفيق للنظر في هذه الآيات، والتدبر لمعانيها. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: إلى دين الإسلام، الذي هو دين الله، وطريقه إلى جنته ورضاه، وانظر الآية رقم [٧٣] من سورة (المؤمنون). ولا تنس: الالتفات من التكلم إلى الغيبة، وانظر رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره أقسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَنزَلْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ءَايَٰتٍ﴾: مفعول به. ﴿مُّبَيِّنَٰتٍۚ﴾: صفة لها، وعلامة نصبهما الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مؤنث سالمان، والجملة الفعلية: ﴿لَقَدْ ...﴾ إلخ لا محل لها على الاعتبارين في اللام. تأمل. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَهْدِى﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يهدي الذي، أو: شيئاً يشاء هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

تنبيه: لما ذكر الله إنزال الآيات مبينات موضحات ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق: فرقة صدقت ظاهراً، وكذبت باطناً، وهم المنافقون، وهم المذكورون في هذه الآية وما بعدها إلى رقم [٥٤]، وفرقة صدقت ظاهراً وباطناً، وهم المؤمنون المخلصون، وهم المذكورون في الآية رقم [٥٥ و٥٦]، وفرقة كذبت ظاهراً وباطناً، وهم الكافرون المذكورون في الآية رقم [٥٧]، وبدأ بالمنافقين لشدة شكيمتهم، وبيان: أنهم أسوأ حالاً من المشركين.

وهذه الآيات نزلت في رجل منافق اسمه بشر، تخاصم مع يهودي في قضية، فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ ليحاكمه عنده، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، وهو الذي سماه الله الطاغوت في الآية رقم [٦٠] من سورة (النساء) فأبى اليهودي عليه، ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ، فحكم لليهودي، فلم يرض المنافق بقضاء رسول الله ﷺ، وقال: تعالَ نتحاكم

إلى عمر، فأتيا عمر ـ رضي الله عنه ـ، فقال اليهودي: اختصمت أنا وهذا إلى محمد، فقضى لي عليه، فلم يرض بقضائه، وزعم أنه مخاصمي إليك، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال لهما: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل البيت، وأخذ السيف، ثم خرج، فضرب به عنق المنافق حتى برد ـ أي: مات ـ وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله، وقضاء رسوله، فنزلت الآيات، وآية النساء رقم [٦٠] وقال جبريل عليه السلام: (إِنَّ عُمَرَ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ) فسمي الفاروق ـ رضي الله عنه ـ حينئذ.

الشرح: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون، وإنما جمع الضمير، والمراد به هنا واحد فقط؛ لأن كل المنافقين على طريقته في المكر، والخبث، والكفر، وبمقالته يقولون، وأضمر قبل الذكر لعلمهم من المقام، ولدلالة الكلام عليهم. ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا﴾ أي: يقولون ذلك بألسنتهم من غير اعتقاد بقلوبهم. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُم﴾ أي: يعرض عن الإيمان بالله ورسوله، وعن الانقياد لحكمهما وطاعتهما. ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد قولهم: آمنا بالله وبالرسول وأطعنا، ويدعون إلى غير حكم الله. ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويدعون إلى حكم الطاغوت، ليسوا بالمؤمنين الحقيقيين؛ لأن المؤمنين المخلصين يقولون: سمعنا، وأطعنا، ويرضون بحكم الله وحكم رسوله. وفيه إعلام من الله بأن جميع المنافقين منتف عنهم الإيمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء، والإعراض؛ وإن كان من بعضهم؛ فالرضا بالإعراض من كلهم جعلهم جميعاً في حكم واحد.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو: فاعله. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَبِٱلرَّسُولِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. (أطعنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿فَرِيقٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنۡهُم﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿فَرِيقٌ﴾. ﴿مِّنۢ بَعۡدِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾، و﴿بَعۡدِ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، وجملة ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿يَتَوَلَّىٰ...﴾ إلخ معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع اسم (ما)، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (المؤمنين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها حالاً من واو الجماعة؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، واسم الإشارة العائد إلى الواو.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: ليحكم النبي ﷺ، فإنه الحاكم ظاهراً، أو المدعو إليه، وذكر الله لتعظيمه، والدلالة على أن حكمه في الحقيقة حكم الله. ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ أي: فاجأ فريق منهم الإعراض إذا كان الحق عليهم، لعلمهم بأنك لا تحكم لهم، بل تحكم عليهم؛ لأنك لا تحكم إلا بالحق، وهو مبالغة في شرح التولي، والإعراض عن حكم الرسول ﷺ، وعدم الرضا به.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: إذا عرفوا: أن الحق معهم ولهم على غيرهم. ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ أي: مطيعين منقادين لحكمه لثقتهم: أنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً، لا رضاً بحكم الله، وحكم رسوله.

قال الزجاج: الإذعان: الإسراع مع الطاعة، والمعنى: أنهم لمعرفتهم: أنه ليس معك إلا الحق الخالص والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة إليك إذا كانوا مبطلين؛ لئلا تنتزع الحق من قلوبهم، وعيونهم بقضائك عليهم لخصومهم، وإن عرفوا، وأيقنوا: أن الحق لهم على خصمهم؛ أسرعوا إليك، ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمة غيرهم. وهذا المرض قد استشرى عند الأغلبية الساحقة من المسلمين في هذه الأيام، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأكثرهم لا يرضون بشرع الله.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): انظر الآية رقم [٣٩]. ﴿دُعُوٓاْ﴾: ماض مبني للمجهول، مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وتقدير الكلام: دعوا إلى حكم الله، وحكم رسوله، فحذف المضاف لوضوحه. ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِيَحۡكُمَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة جوازاً بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (رسوله).

﴿بَيۡنَهُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿دُعُوٓاْ إِلَى...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح.

﴿إِذَا﴾: كلمة دالة على الفجاءة، وانظر الآية رقم [٩٧] من سورة (الأنبياء) تجد البحث وافياً كافياً. ﴿فَرِيقٞ﴾: مبتدأ. ﴿مِّنۡهُم﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿فَرِيقٞ﴾. ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في

الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿فَرِيقٌ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، وهذا على اعتبار ﴿إِذَا﴾ الفجائية ظرفاً، والجملة الاسمية جواب (إذا) الشرطية، و﴿إِذَا﴾ الفجائية واقعة في جواب (إذا) الشرطية، كما إذا وقعت الفاء في جوابها، وفي الآية دليل على أن «إذا» الشرطية لا تكون معمولة لجوابها؛ لأن ما بعد «إذا» الفجائية لا يعمل فيما قبلها، ومثلها الآية رقم [٥٤] من سورة (النحل)، ﴿وَإِذَا﴾ ومدخولها كلام معطوف على جملة: (يقولون. . .) إلخ لا محل له مثلها.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَكُن﴾: مضارع ناقص فعل الشرط. ﴿لَّهُمُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿يَكُن﴾ مقدم. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: اسمه مؤخر، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يَأْتُوٓاْ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما. ﴿مُذْعِنِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿يَأْتُوٓاْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، وإن ومدخولها كلام معطوف على (إذا) ومدخولها لا محل له مثله.

﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك، ونفاق، فهو يمرض قلوبهم، أي: يضعفها، وذلك بضعف الإيمان فيها، والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن، فيخرجه عن الاعتدال اللائق به، ويوجب الخلل في أفعاله، وقد يؤدي إلى الموت، واستعير هنا لما في قلوبهم من الجهل، وفساد العقيدة. ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ أي: شكوا في نبوة محمد ﷺ، وعدله، أو رأوا منه تهمة، فزالت ثقتهم، ويقينهم به.

﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾: ذكر الله السبب في صدودهم عن حكومة الرسول ﷺ؛ إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين، أو مرتابين في أمر نبوته، أو خائفين من جوره وظلمه، ثم أبطل خوفهم من جوره وظلمه، حيث قال جلت قدرته: ﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا يخافون أن يجور عليهم بحكمه لمعرفتهم بعدله، وإنما هم ظالمون، يريدون أن يظلموا من له الحق، وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله ﷺ، فمن ثَمَّ يأبون المحاكمة إليه. والحيف: الميل، والجور في القضاء.

وفي البيضاوي في قوله تعالى: ﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: إضراب عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الأول؛ أي: هو النفاق في قلوبهم. ووجه التقسيم: أن امتناعهم، إما لخلل فيهم،

أو في الحاكم. والثاني: إما أن يكون محققاً عندهم، أو متوقعاً، وكلاهما باطل؛ لأن منصب نبوته، وفرط أمانته يمنعه، فتعين الأول، وظلمهم يعمُّ خلل عقيدتهم، وميل نفوسهم إلى الحيف. والفصل ـ أي: ضمير الفصل ـ لنفي ذلك عن غيرهم، سيما المدعو إلى حكمه. انتهى. بتصرف.

الإعراب: ﴿أَفِي﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وذم. (في قلوبهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر، ويجوز اعتباره فاعلاً بمتعلق الجار والمجرور بالاتفاق لاعتماده على الاستفهام، والتقدير: أيوجد في قلوبهم مرض؟ وعليه هو نائب فاعل لهذا المقدر. ﴿أَمِ﴾: حرف عطف بمعنى «بل» للانتقال. ﴿ٱرْتَابُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿أَمِ﴾: حرف عطف بمعنى «بل» أيضاً. ﴿يَخَافُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَحِيفَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ خبره؛ فالجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها؛ لأن «بل» للإضراب. تأمل، وتدبر.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: كتاب الله وحكم رسوله. ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بما أنزل الله عليه، وبما ألهمه، وعلمه من لدنه علماً. ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ﴾: قال: ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أخبر الله بطاعة المهاجرين، والأنصار؛ وإن كان ذلك فيما يكرهون، أي: هذا قول المؤمنين، وهؤلاء المنافقون لو كانوا مؤمنين حقاً، لكانوا يقولون: سمعنا وأطعنا. وفي الآية الكريمة تعليم أدب الشرع على معنى: أن المؤمنين، كذا ينبغي أن يكونوا أن يقولوا. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون برضا الله، ونعيم الجنة في الآخرة، وهذا من عادته تعالى في لطفه، وكرمه في إتباع المحقِّ المبطلَ، والتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره ما لا ينبغي، وانظر زيادة على ذلك في الآية رقم [٣٩].

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿قَوْلَ﴾: خبر كان مقدم، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، وهذه الإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مجرد عن الشرطية هنا، مبني على السكون في محل نصب متعلق بالمصدر قبله. ﴿دُعُوٓاْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في

محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِيَحْكُمَ﴾: مضارع يقرأ بالبناء للمعلوم، وبالبناء للمجهول، فهو منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى رسوله. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بالفعل على أنه نائب فاعله على قراءة الفعل بالبناء للمجهول. وقيل: نائب الفاعل يعود إلى مصدر الفعل؛ لأن معناه: ليفعل الحكم بينهم، والهاء في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿دُعُوٓاْ﴾، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، وقرأ أمير المؤمنين عليٌّ كرم الله وجهه، والحسن برفع (قولُ المؤمنين) على أنه اسم ﴿كَانَ﴾، والمصدر المؤول في محل نصب خبرها، وقراءة الجمهور بالنصب أقوى؛ لأن أولى الاسمين بكونه اسماً لـ: ﴿كَانَ﴾ أوغلهما في التعريف، والمصدر المؤول أوغل بخلاف (قولَ المؤمنين) فإن الإضافة فيه بنية الانفصال. ﴿سَمِعْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: (أطعنا) معطوفة عليها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ مستأنفة، لا محل لها، وإعرابها مثل إعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في الآية السابقة.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يأمران به، وينهيان عنه، أو يطع الله في الفرائض، ورسوله في السنن. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: فيما سره، وأحزنه. ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾: على ما مضى من ذنوبه. ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ أي: فيما بقي من عمره. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أي: برضوان الله ورحمته، وجنته؛ كيف لا؟ والله يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ الآية رقم [٦٩] من سورة (النساء).

فائدة: ذكر أَسْلَمُ ـ رضي الله عنه ـ: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بينما هو قائم في مسجد النبي ﷺ، وإذا رجل من دهاقين الروم قائم على رأسه، وهو يقول: أشهد أن لا إلهَ إلَّا الله، وأشهدُ أنّ محمداً رسولُ اللهِ، فقال له عمر: ما شأنك؟ قال: أسلمتُ للهِ. قالَ: هل لهذا من سبب؟ قال: نعم، قرأت التوراة، والزبور، والإنجيل، وكثيراً من كتب الأنبياء، فسمعت أسيراً يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما في الكتب المتقدمة، فعلمت: أنها من عند الله فأسلمت، قال: ما هذه الآية؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ والفائز من نجا من النار، وأدخل الجنة! فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: قال النبي ﷺ: **«أُوتيتُ جَوامِعَ الْكَلِمِ»**. انتهى. قرطبي بتصرف. وانظر الآية رقم [٥٤] الآتية.

هذا؛ والخشية: الخَوف. وانظر الآية رقم [٨٠] من سورة (الكهف)، وانظر (التقوى) في الآية رقم [١] من سورة (الحج). هذا؛ وقرأ حفص (يَتَّقْه) بسكون القاف على نية الجزم، قال الشاعر: [الوافر]

وَمَنْ يَتَّقْ فَإِنَّ اللهَ مَعَهُ ورِزْقُ الله مُؤْتَابٌ وَغَادي

وكسرها الباقون؛ لأن جزمه بحذف حرف العلة من آخره على القاعدة في جزم المعتل. وأسكن الهاء أبو عمر وأبو بكر، واختلس الكسرة يعقوب، وقالون، وأشبع كسرة الهاء الباقون، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُطِعِ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: معطوف عليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَيَخْشَ﴾: مضارع معطوف على فعل الشرط مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: معطوف على ما قبله مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، ثم تلاها تسكين القاف للتخفيف، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، وانظر مثل إعراب الجملة الاسمية: (أولئك. . .) إلخ في الآية رقم [٥٠] فهي مثلها بلا فارق، وهي في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [٣٣]. والجملة الاسمية: ﴿وَمَن...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾: حلفوا، وسمي الحلف قسماً؛ لأنه يكون عند انقسام الناس إلى مصدق، ومكذب، وهو رباعي كما ترى، فهمزته تثبت في الماضي، والأمر، وتحذف في المضارع مع ضم حرف المضارعة كما تراه في الآية رقم [٦٣] في إعلال (يصيب). هذا؛ وأما «قسم» الثلاثي فإنه بمعنى: جزأ وفرق، فمضارعه بفتح حرف المضارعة، وهمزته في الأمر همزة وصل. ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها، و(الجهد) بفتح الجيم: المشقة، وبضمها الطاقة والقدرة، وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية رقم [٧٩] من سورة (التوبة).

﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾: قال القرطبي رحمه الله تعالى: عاد القول إلى ذكر المنافقين، فإن الله لما بيّن كراهتهم لحكم النبي ﷺ أتوه، فقالوا: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا، ونسائنا، وأموالنا؛

لخرجنا، ولو أمرتنا بالجهاد؛ لجاهدنا، فنزلت هذه الآية؛ أي: وأقسموا بالله أنهم يخرجون معك في المستقبل، ويطيعون. انتهى. ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مستعار من جهد نفسه إذ بلغ أقصى وسعها.

﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ۖ﴾ أي: لا تحلفوا كذباً بالله. ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ﴾ أي: هذه طاعة القول باللسان، دون الاعتقاد بالقلب، وهي معروفة، أي أمر عرف منكم أنكم تكذبون، وتقولون ما لا تفعلون. وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل، وأمثل من يمين باللسان، لا يوافقها الفعل. انتهى. خازن. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: من طاعتكم بالقول، ومخالفتكم بالفعل، فلا يخفى عليه شيء من سرائركم.

بعد هذا انظر شرح (الإيمان) في الآية رقم [١٤] من سورة (الحج)، وإعلال ﴿لَيَخْرُجُنَّۖ﴾ مثل إعلال (لتعلمن) في الآية رقم [٧١] من سورة (طه). هذا؛ وأمر يتعدى لمفعولين، تارة بنفسه. كما في قولك: أمرتك الخير، وتارة يتعدى إلى الثاني بحرف الجر، كما في قولك: أمرتك بالخير، ومثله: استغفر، واختار، وكنى، وسمَّى، ودعا، وصدَّق، وزوَّج، وكال، ووزن، فمثال «استغفر» وقد نصب مفعولين صريحين قول الشاعر: [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ الله ذَنباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... ربَّ العِبادِ إليهِ الوجهُ والعَمَلُ

ومثال «أمر» وقد نصب مفعولين صريحين قول عمرو بن معدي كرب، وينسب لغيره: [البسيط]

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَركْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

هذا؛ والأمر من: أَمَر: مُرْ، وأصله: اؤْمُرْ، لكن لم يستعمل على الأصل، وحذفت الهمزتان تخفيفاً لاجتماع الضمات، وهذا الحذف واقع في الأمر المأخوذ من: أخذ وأكل، فيقال: خُذْ، وكُلْ، وقد قالوا: اؤْمُرْ، و: اؤْخُذْ، فاستعملا على الأصل، ومنه: (أْوْمُرْ) في الآية رقم [١٤٤ و١٩٩] من سورة (الأعراف)، ورقم [١٣٢] من سورة (طه)، والآية رقم [١٧] من سورة لقمان، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (أقسموا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَهْدَ﴾: مفعول مطلق عامله: (أقسموا) وهو من معناه، أو هو حال من واو الجماعة بمعنى جاهدين، أو مجتهدين، وجملة ﴿وَأَقْسَمُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (يقولون...) إلخ في الآية رقم [٤٧] و﴿جَهْدَ﴾ مضاف، و﴿أَيْمَٰنِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَئِنْ﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَمَرْتَهُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَيَخْرُجُنَّۖ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (يخرجن): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة، المدلول عليها بالضمة في محل رفع فاعل، والنون للتوكيد

حرف لا محل له، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط، وقسم فالجواب للسابق منهما»؛ ما لم يتقدم عليهما ما يحتاج إلى خبر، فيصح أن يكون الجواب للشرط المتقدم، وأن يكون جواباً للقسم، والمرجح أن يكون للشرط مطلقاً، قال ابن مالك ـ رحمه الله ـ في ألفيته: [الرجز]

واحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جوابَ مَا أخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

وَإنْ تَوَالَيَا وَقَبْلُ ذُو خَبَرْ فالشَّرْطَ رَجِّحْ مطلقاً بَلَا حَذَرْ

ورُبَّمَا رُجِّحَ بعدَ قَسَمِ شرْطٌ بلا ذِي خَبَرٍ مُقَدَّمِ

هذا؛ والقسم المحذوف وجوابه المذكور، والشرط المذكور، وجوابه المحذوف كلٌّ ذلك جواب لقوله: (أقسموا بالله) ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّا تُقْسِمُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿طَاعَةٌ﴾: مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: طاعة معروفة خير من قسمكم، أو خبر مبتدأ محذوف، التقدير: أمرنا طاعة ونحو ذلك: المطلوب منكم طاعة. وأجاز البيضاوي تقدير: ولتكن طاعة معروفة، فتكون طاعة فاعلاً لفعل محذوف. ولكنه ضعيف؛ لأن الفعل لا يحذف إلا لدليل، وقال: قرئت بالنصب على تقدير: أطيعوا طاعة. وقال العكبري: ولو قرئ بالنصب لكان جائزاً في العربية، وذلك على المصدر، أي: أطيعوا طاعةً، وقولوا قولاً، أو اتخذوا طاعةً، وقولاً. . .إلخ، وكانه لم يطلع على القراءة بالنصب، ﴿مَّعْرُوفَةٌ﴾: صفة ﴿طَاعَةٌ﴾، والجملة الاسمية أو الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿خَبِيرٌ﴾: خبرها. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَبِيرٌ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: خبير بالذي، أو: بشيء تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: خبير بعملكم، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها.

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: فيما يأمران به، وفيما ينهيان عنه. هذا؛ وقد قرن الله طاعته بطاعة رسوله ﷺ في كثير من الآيات، كما هو معلوم، من ذلك قوله تعالى في

سورة (النساء) رقم [٨٠]. ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ ومن القرطبي: وفي حديث: أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ ثَلاثٍ فَرَّقَ الله بَيْنَهُ وبيْنَ رَحْمَتِهِ يَومَ القِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: أُطِيعُ الله، ولا أُطِيعُ الرسولَ، والله تعالى يقول:** ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، **ومن قال: أقيم الصلاة، ولا أوتي الزكاة، والله تعالى يقول:** ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، **ومَنْ فَرَّقَ بَيْنَ شكرِ الله وشكرِ والديْهِ، والله عز وجل يقول:** ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾». انتهى.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي: أعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله، وأصل الفعل: تتولوا، فحذف إحدى التاءين، وهو كثير في القرآن الكريم، ودل على ذلك: أن بعده ﴿وَعَلَيْكُم﴾ ولم يقل: وعليهم. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾: إذ المعنى: فإن تتولوا عن ما ذكر فإنكم لن تضروه، وإنما تضرون أنفسكم، فإن الرسول ﷺ ليس عليه إلا ما حمله الله تعالى، وكلفه من أداء الرسالة، فإذا أدى ما عليه فقد خرج عن عهدة تكليفه، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التقى بالقبول والإذعان، فإن لم تفعلوا، وتوليتم؛ فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وشديد انتقامه.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ أي: وإن أطعتموه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه؛ فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى، فالضرر في توليكم، والنفع في طاعتكم عائدان إليكم. فقد جعل الاهتداء مقروناً بطاعة الرسول ﷺ. ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: ما على الرسول إلا أن يبلغكم ما يوحى إليه من ربه، فليس له نفع في طاعتكم، ولا عليه ضرر في إعراضكم. و﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾ بمعنى التبليغ، كالأداء بمعنى التأدية، و﴿ٱلْمُبِينُ﴾ الظاهر لكونه مقروناً بالدلائل النيرة والمعجزات الباهرة، وانظر إعلال ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الحج). ولقد صرف الله الكلام عن الغيبة في الآية السابقة، إلى الخطاب في هذه الآية على طريق الالتفات، وهو أبلغ في تبكيتهم، وانظر الالتفات في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَطِيعُواْ﴾: أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. والتي بعدها معطوفة عليها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف، وقيل: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّوْاْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون.. إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها.. إلخ. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، وقيل: الجواب محذوف، التقدير: فاعلموا أنما عليه ﷺ ما حمل. وهو تكلف لا داعي له. (إنما): كافة، ومكفوفة. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿حُمِّلَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى الرسول، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: فإنما

عليه الذي، أو: شيء حمله، والجملة الاسمية هذه في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والجملة بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق، و(إن) ومدخولها كلام مفرع عما قبله، ومستأنف لا محل له. ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾: هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿عَلَى الرَّسُولِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر قصر مهمة الرسول على التبليغ. ﴿الْبَلَاغُ﴾: مبتدأ مؤخر ﴿الْمُبِينُ﴾: صفة له، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾

الشرح: الخطاب في هذه الآية لرسول الله ﷺ، ولأصحابه، و﴿مِنكُمْ﴾ للبيان والتخصيص كالتي في آخر سورة (الفتح)، وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورثهم الأرض، ويجعلهم فيها خلفاء، كما فعل ببني إسرائيل؛ حين أورثهم أرض مصر، والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكن الدين المرتضى، وهو دين الإسلام، وتمكينه: تثبيته، وتوطيده، وأن يؤمن سربهم، ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه، وذلك أن النبي ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، أي بعد السر بالدعوة ثلاث سنين، ولما هاجروا إلى المدينة كانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه، حتى قال رجل: أما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع السلاح؟ فقال ﷺ: **«لا تلبثون إلا يسيراً؛ حتى يجلسَ الرجلُ منكم في الملأ العظيم محتبياً، ليس عليهِ حديدة»**.

فأنجز الله وعده، وأظهرهم على جزيرة العرب، وافتتحوا بعدها بلاد المشرق، والمغرب، ومزقوا ملك الأكاسرة، وملكوا خزائنهم، واستولوا على الدنيا، قال الضحاك في كتاب النقاش: هذه الآية تتضمَّن صحة خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ رضي الله عنهم ـ؛ لأنهم أهل الإيمان، وعملوا الصالحات؛ وقد قال الرسول ﷺ: **«الْخِلَافَةُ بعدي ثلاثونَ سَنَةً، ثُمَّ تكونُ مُلْكاً»**. رواه سفينة مولى رسول الله ﷺ. وفي روايةٍ: **«ثم تكون ملكاً عضوضاً»**. أي جائراً، وإلى هذا القول ذهب ابن العربي في أحكامه، واختاره، وقال: قال علماؤنا هذا الآية دليل على خلافة الخلفاء الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ، وأن الله تعالى استخلفهم، ورضي أمانتهم، وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم؛ لأنهم لم يتقدمهم أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا، فاستقر الأمر

لهم، وقاموا بسياسة المسلمين، وذبّوا عن حوزة الدين، فنفذ الوعد فيهم، وإذا لم يكن هذا الوعد لهم نجز، وفيهم نفذ، وعليهم ورد، ففيمن يكون إذاً، وليس بعدهم مثلهم إلى يومنا هذا، ولا يكون فيمن بعدهم ـ رضي الله عنهم ـ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ليجعلنهم متصرفين في الأرض تصرف الملوك في مماليكهم، وعطف (عَمِلوا) على ﴿ءَامَنُواْ﴾ احتراس يوحي: أن الإيمان بدون عمل صالح لا يحقق استخلافاً في الأرض، بل ولا يدخل جنة، وهذا نبهت عليه مراراً وتكراراً. ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كما استخلف داود، وسليمان، وغيرهما من الأنبياء، وكما استخلف بني إسرائيل، وأهلك الجبابرة بمصر والشام، وأورثهم أرضهم، وديارهم.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾: اختاره بقوله في سورة (المائدة) رقم [٣]: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يوسع لهم في البلاد؛ حتى يملكوها، ويظهر دينهم على سائر الأديان. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: آمنين، فأنجز الله وعده، وأظهر دينه، ونصر أولياءه، وأبدلهم بعد الخوف أمناً، وبسطاً في الأرض.

فقد أخرج البخاري عن عدي بن حاتم الطائي ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجلٌ، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر، فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «**يا عديُّ هل رأيت الحيرة؟**». قلت: لم أرها، ولقد أُنبئت عنها، قال: «**فإن طالت بك حياةٌ؛ لترينّ الظعينة ترحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخافُ أحداً إلا الله**». قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّار طيئ الذين قد سَعَّروا البلاد؟! «**ولئن طالت بك حياة؛ لَتُفتحنّ كنوز كسرى**» قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: «**كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يُخرِجُ ملء كفه من ذهب، أو فضة يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه، ولَيَلْقَيَنَّ الله أحدكم يوم القيامة، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولَنَّ: ألم أبعث إليك رسولاً، فيبلغك؟ فيقول: بلى! يا رب، فيقول: ألم أُعطك مالاً، وأُفْضِل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم**». قال عدي ـ رضي الله عنه ـ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اتقوا النار، ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**».

قال عَديٌّ ـ رضي الله عنه ـ: فرأيتُ الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلا الله، وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترُونَّ ما قال أبو القاسم ﷺ: يُخرجُ الرجل ملء كفه ذهباً... إلخ. انتهى. خازن.

﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾: فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يعبدون غيري. الثاني: لا يراؤون بعبادتي أحداً. الثالث: لا يخافون غيري. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. الرابع: لا يحبون غيري. قاله مجاهد. ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: كفر هذه النعم، أي: جحدها، ولم

يرد الكفر بالله، وانظر (الكفر) في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء). ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: العاصون الخارجون عن طاعة الله تعالى، وانظر الآية رقم [٤]، وانظر شرح ﴿ٱلدِّينِ﴾ في الآية رقم [٧٨] من سورة (الحج)، وشرح (العبادة) في رقم [٦٧] من سورة (الأنبياء).

قال أهل التفسير: أول من كفر النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان ـ رضي الله عنه ـ، فلما قتلوه؛ غيَّر الله ما بهم، وأدخل عليهم الخوف، حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً، فعن ابن أخي عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما أُريد قتلُ عثمان جاء عبد الله بن سلام، فقال عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئتُ في نصرك، قال: اخرج إلى الناس، فاطردهم، فإنك خارجاً خيرٌ لي منك داخلاً، فخرج عبد الله إلى الناس، فقال: أيها الناس، إن لله سيفاً مغموداً عنكم، وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله ﷺ، فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله إن قتلتموه لَتَطْرُدُنَّ جيرانكم الملائكة، وَلَيَسُلَّنَّ الله سيفه المغمود عنكم، فلا يُغمد إلى يوم القيامة! قالوا: اقتلوا اليهودي، واقتلوا عثمان. أخرجه الترمذي. زاد في رواية غير الترمذي، فما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفاً، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿وَعَدَ﴾: ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿ءَامَنُواْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب حال من واو الجماعة، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها. (عملوا): ماض، وفاعله. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (يستخلفنهم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. والجملة الفعلية جواب قسم محذوف، التقدير: أقسم ليستخلفنهم في الأرض، والقسم وجوابه كلام معطوف على جملة: ﴿وَعَدَ...﴾ إلخ بواو محذوفة، أو نزَّل ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ في تحققه منزلة القسم، فتلقي بما يتلقى به القسم، كأنه قيل: أقسم الله ليستخلفنكم. انتهى. زمخشري من الكشاف، ومثله ما نقله الجمل عن السمين، وزاد فيه قوله على الاعتبار الأول: ويكون، مفعول الوعد محذوفاً، تقديره: وعدهم الاستخلاف، لدلالة قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ عليه.

وأما مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ فقد قال: أصل «وعد» أن يتعدى إلى مفعولين، ولك أن تقتصر على أحدهما، فلذلك تعدى في هذه الآية إلى مفعول واحد، وفسر العِدَة بقوله سبحانه: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ كما فسر العِدَة في المائدة بقوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ رقم [١٠]

وكما فسر الوصية في (النساء) بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ الآية رقم [١١].

﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿ٱسْتَخْلَفَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، ويقرأ بالبناء للمجهول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، أو هو في محل رفع نائب فاعل. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: ليستخلفنهم استخلافاً مثل استخلاف الذين من قبلهم، وهذا ليس مذهب سيبويه؛ وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها، وجملة: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة ﴿دِينَهُمُ﴾، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: الذي ارتضاه لهم، وكذلك جملة: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ معطوفة على ما قبلها، ويقرأ بتشديد النون، وتخفيفها. ﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَمْنًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» و﴿بَعْدِ﴾ مضاف، و﴿خَوْفِهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿أَمْنًا﴾: مفعول به ثان للفعل (يبدل). ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ضمير الغائبين، والرابط: الضمير، وهو واو الجماعة، أو هي مستأنفة، لا محل لها. أو هي في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم يعبدونني، والجملة الاسمية مستأنفة، وفي توجيه الحالية ذكر الجمل خمسة أوجه من الفاعل، أو من المفعول، وكلها تعود لما ذكرته. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُشْرِكُونَ﴾: مضارع، والواو فاعله. ﴿بِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، أو هي بدل مما قبلها، فتكون حالاً متداخلة على الأول، وبمعنى التفسير على الثاني.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وبعد مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾:

الفاء: واقعة في جواب الشرط، وإعراب: (أولئك هم الفاسقون) مثل إعراب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في الآية رقم [٥٠] بلا فارق، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [٣٣]. هذا؛ وإن اعتبرت (من) اسماً موصولاً فهو مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرَ...﴾ إلخ صلته، وخبره الجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ وزيدت الفاء في الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وعلى الاعتبارين فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: انظر الآية رقم [٣٠] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾: في جميع ما أمركم به، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾، وانظر الآية رقم [٥٤]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: تنالكم رحمة الله. وانظر ما ذكرته في مثل هذا الترجي في الآية رقم [١].

الإعراب: ﴿وَأَقِيمُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (أقيموا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على مقدر يقتضيه السياق، التقدير: دوموا على الإيمان. واعملوا صالحاً، وأقيموا الصلاة، أو هي معطوفة على جملة: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في الآية رقم [٥٤] وما بينهما كلام معترض لا محل له، وهذا الاعتراض فاصل، وهو وعد على المأمور به، فيكون تكريراً للأمر بطاعة الرسول ﷺ للتأكيد، وتعليق الرحمة بها، أو بالمندرجة هي فيه بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ كما علق الهدى، وربطه بطاعته ﷺ، والجملتان: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ معطوفتان عليها، وجملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ تعليل للأمر، و﴿تُرْحَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعلَّ). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم..

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: لا تظنن يا محمد الكفار معجزين الله عن إدراكهم، وإهلاكهم، فهم لا يفوتونه، ولا يفلتون من عقابه وانتقامه. هذا؛ ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد عاقل، ويقرأ الفعل بالياء. (مأواهم النار): مقرهم، ومآلهم جهنم. ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع، والمآب، وانظر شرح (بئس) في الآية رقم [٧٨] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت». وعلى قراءته بالياء، فالفاعل

تقديره: «هو»، فعلى القراءتين الفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ كذا قيل، وهو غير مسلم؛ لأنه يمتنع، أو يبعد جعله الرسول ﷺ؛ لأن مثل هذا الحسبان لا يتصور منه حتى ينهى عنه، وهذا على الخطاب، وأما على قراءته بالياء، فإن الفاعل مضمر يعود على ما دل السياق عليه، أي: لا يحسبن حاسب، أو أحد، وعوده على الرسول ﷺ ضعيف للمعنى المتقدم، ويجاب: بأنه لا يلزم من النهي عن الشيء وقوعه من المنهي عنه، فيكون على سبيل الفرض، والتقدير. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلته. ﴿مُعْجِزِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُعْجِزِينَ﴾. هذا؛ وقيل: إن فاعل (يحسبن) بالياء هو ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمفعول الأول محذوف، فيكون تقدير الكلام: ولا يحسبن الذين كفروا أحداً معجزين، أو لا يحسبوهم معجزين، فحذف المفعول الأول؛ لأن الفاعل، والمفعولين لشيء واحد، فاكتفى بذكر واحد عن اثنين. وقدر القرطبي الكلام: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين الله في الأرض.

قال النحاس: وما علمت أحداً من أهل العربية بصرياً، ولا كوفياً، إلا وهو يُخَطِّئ قراءة حمزة، وهي قراءة الياء، فمنهم يقول: هي لحن؛ لأنه لم يأت إلا بمفعول واحد لـ: (يحسبنَّ) وممن قال هذا أبو حاتم. وقال الفراء: هو ضعيف، وأجازه على ضعفه، على أنه يحذف المفعول الأول. انتهى. قرطبي. (مأواهم): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلنَّارُ﴾: خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها عطف خبر على إنشاء على رأي بعضهم، أو هي معطوفة على مقدر. تقديره: بل هم مقهورون مدركون، أي فهو عطف خبر على خبر. ﴿وَلَبِئْسَ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: لام الابتداء. (بئس): ماض جامد دال على إنشاء الذم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: فاعله، والمخصوص بالذم محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. هذا؛ ويجوز اعتبارها واقعة في جواب قسم محذوف، والجملة الفعلية جوابه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

سبب نزول الآية الكريمة: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وجَّه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار ـ يقال له: مُدلج بن عمرو ـ إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقت الظهيرة؛ ليدعوه، فدخل ـ أي: بدون استئذان ـ فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته فيها، فقال ـ رضي الله عنه ـ:

لوددت: أن الله عز وجل نهى آباءنا، وأبناءنا، وخدمنا أن يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن؛ ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ، فوجده، وقد أنزلت عليه هذه الآية، وهي إحدى الآيات التي نزلت توافق رأي عمر، رضي الله عنه.

وقيل: نزلت في أسماء بنت مَرْثَد ـ رضي الله عنها ـ، كان لها غلامٌ كبير، فدخل عليها في وقت كرهته، فأتت رسول الله ﷺ، فقالت: إن خدمنا، وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها! فأنزل الله الآية.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: الآية رجوع إلى تتمة الأحكام السالفة ـ أي: في الاستئذان ـ بعد الفراغ من الإلهيات، الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيرها، والوعد عليها، والوعيد على الإعراض عنها، والمراد به: خطاب الرجال، والنساء، غُلِّب فيه الرجال. انتهى. أقول: وهذا نبهت عليه كثيراً بأن نداء الذكور يَعُمُّ النساء، إلا ما ورد بخصوصه.

الشرح: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: من العبيد، والإماء، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٤] من سورة (الحج). ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ أي: من الأطفال الأحرار، والمراد بهم: من بلغوا سن التمييز، والعقل وغيرهما، واتفق العلماء على أنَّ الاحتلام بلوغ، وعلى أن الحيض بلوغ، ولو كانا في السن العاشرة، أو غيرها، واختلفوا فيما إذا بلغا خمس عشرة سنة، ولم يحتلم الذكر، ولم تحض الأنثى، فقال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: لا يكون بالغاً حتى يبلغ ثمان عشرة سنة، ويستكملها، والجارية سبع عشرة سنة، وتستكملها. وقال الشافعي، وأبو يوسف، ومحمد، وأحمد ـ رضوان الله عليهم ـ: في الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفاً، وتجري عليهما الأحكام الشرعية، وتجب عليهما التكاليف الإلهية. وعن علي ـ كرم الله وجهه ـ أنه كان يعتبر القامة، وقدرها، بخمسة أشبار، وبه أخذ الفرزدق في قوله يمدح يزيد بن المهلب في مرثية له: [الكامل]

مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ ... وَسَمَا فَأَدْرَكَ خَمْسَةَ الأَشْبَارِ

وهذا هو الشاهد رقم [٦٣٤] من كتابنا فتح القريب المجيب، انظر شرحه، وإعرابه هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾: في اليوم والليلة، وهي الأوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها، وملازمة التعري. ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ﴾: فهذا وقت القيام من المضاجع، وطرح ثياب النوم، ولبس ثياب النهار. ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾: وهو وقت القيلولة، والراحة، والهدوء والسكون في البيت. ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَآءِ﴾: وهو وقت التعري للنوم، ولقد خص الله هذه الأوقات الثلاثة بالذكر؛ لأنها ساعات الخلوات، ووضع الثياب، فربما يبدو من الإنسان ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد، والصبيان، فأمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات، وغير العبيد، والصبيان يستأذن في جميع الأوقات، وهو ما رأيته في الآية رقم [٢٨] وما بعدها.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ﴾ أي: هي ثلاثة أوقات تكون فيها عوراتكم متعرضة للانكشاف، وسميت هذه الأوقات عورات؛ لأن الإنسان يضع فيها ثيابه. فتبدو عورته. هذا؛ و﴿عَوْرَٰتٍ﴾ جمع: عورة، ولم تحرك عين الاسم بالفتح؛ لأنها حرف علة، ولو حركت بالفتح، لانقلبت ألفاً على القاعدة المشهورة: إذا تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً. انظر ﴿خُطُوَٰتِ﴾ في الآية رقم [٢١] وما ذكرته في شرحها. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ﴾ أي: إثم ومؤاخذة بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان من المماليك والصبيان والخدم.

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾: يتردد هؤلاء عليكم، يدخلون، ويخرجون في أشغالكم، وقضاء حوائجكم. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾: يطوف بعضكم على بعض، والمراد به كثرة الدخول، والخروج. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ﴾ أي: كما بين حكم الاستئذان في هذه الآية، وفي الآية رقم [٢٨] يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم إلى بيانها، والتي أيضاً هي دلالات واضحة على قدرته، وحكمته العالية. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأمور خلقه، وبمصالحهم. ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما شرع لهم.

خاتمة: لقد اختلف في حكم هذه الآية، فقيل: إنها منسوخة، وعليه ابن عباس وسعيد بن المسيب، وعكرمة ـ رضي الله عنهم ـ. وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة قاله الشعبي، وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: إن ناساً يقولون: نسخت، والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون به الناس، قيل: ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن: هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾؛ والناس يقولون: أعظمكم بيتاً، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر الآية رقم [٢١] فالإعراب فيها واف. ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾: مضارع مجزوم بلام الأمر، والكاف مفعول به. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿مَلَكَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذين ملكتهم أيمانكم، والجملة الفعلية: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ما قبله، فهو في محل رفع مثله. ﴿لَمْ يَبْلُغُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْحُلُمَ﴾: مفعول به. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿ثَلَٰثَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾، وقيل: هو مفعول مطلق على معنى: ثلاثة استئذانات، والأول أقوى؛ لأنه لم يرد تكرار الاستئذان، و﴿ثَلَٰثَ﴾ مضاف، و﴿مَرَّٰتٍۚ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿لَمْ يَبْلُغُواْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿مِّن قَبْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ في محل نصب بدل من (ثلاث مرات) أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي من قبل، وأجاز أبو البقاء وجهاً

ثالثاً، وهو الجر بدلاً من مرات، و(قبل) مضاف، و﴿صَلَوٰةِ﴾ مضاف إليه، و(صلاة) مضاف، و﴿ٱلْفَجْرِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَحِينَ﴾: ظرف زمان معطوف على ﴿مِّن قَبْلِ﴾ على جميع الاعتبارات. ﴿تَضَعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ثِيَابَكُم﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، و﴿مِّن﴾ بمعنى «في» أو بمعنى أجل، وجملة: ﴿تَضَعُونَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (حين) إليها. (من بعد): معطوفان على ﴿مِّن قَبْلِ﴾، على جميع الاعتبارات فيهما، و﴿بَعْدِ﴾ مضاف، و﴿صَلَوٰةِ﴾ مضاف إليه، و﴿صَلَوٰةِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعِشَآءِ﴾ مضاف إليه. ﴿ثَلَٰثُ﴾: بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي أوقات ثلاث عورات، فحذف المبتدأ، والمضاف، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ ويقرأ بنصب ﴿ثَلَٰثُ﴾ على البدلية من ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾، أو على تقدير: أعني: ثلاث، وذلك على القطع. و﴿ثَلَٰثُ﴾ مضاف، و﴿عَوْرَٰتٍ﴾ مضاف إليه. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿عَوْرَٰتٍ﴾.

﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (ليس) تقدم على اسمها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿جُنَاحٌ﴾: اسم ليس مؤخر. ﴿بَعْدَهُنَّ﴾: ظرف زمان متعلق بجناح، أو بمحذوف صفة له، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وقيل: صفة ﴿عَوْرَٰتٍ﴾، وليس بشيء. ﴿طَوَّٰفُونَ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم طوافون مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان به، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هي تعليل لنفي الجناح. ﴿بَعْضُكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، التقدير: يطوف على بعض، أو طائف على بعض، والجملة الاسمية هذه بدل مما قبلها، أو هي مؤكدة مبينة، بمعنى: أنها أفادت ما أفادته الجملة التي قبلها، فكانت بدلاً، أو مؤكدة. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بدلاً من ﴿طَوَّٰفُونَ﴾، قاله ابن عطية، كما أجيز اعتباره فاعلاً لفعل مقدر، أي: يطوف بعضكم، حذف الفعل لدلالة ﴿طَوَّٰفُونَ﴾ عليه، قاله الزمخشري، وعليه البيضاوي.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف يقع مفعولاً مطلقاً عامله ما بعده، التقدير: يبين الله لكم الآيات تبييناً كائناً مثل تبيين آيات الاستئذان المتقدم ذكرها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يُبَيِّنُ﴾: مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ مستأنفة أيضاً، لا محل لها. تأمل.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: معنى هذه الآية: أن الأطفال أمروا بالاستئذان في الأوقات الثلاثة المذكورة في الآية السابقة، وأبيح لهم الأمر في غير ذلك كما ذكرنا، ثم أمر الله تعالى في هذه الآية أن يكونوا إذا بلغوا الحلم على حكم الرجال في الاستئذان في كل وقت، وهذا بيان من الله عز وجل لأحكامه، وإيضاح حلاله وحرامه. وقال هنا: ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ ولم يقل: فليستأذنوكم، وقال في الأولى: ليستأذنكم؛ لأن الأطفال غير مخاطبين، ولا متعبدين، وإنما المخاطب أولياؤهم. هذا؛ وبينت في الآية رقم [٢٨] أن الاستئذان واجب حتى إن الرجل يستأذن على أمه كلما دخل عليها، وكرر سبحانه هنا قوله: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ للمبالغة، والتأكيد في الأمر بالاستئذان. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٣٩]. ﴿بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿مِنكُمُ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْأَطْفَٰلُ﴾. ﴿ٱلْحُلُمَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة إذا إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (ليستأذنوا): مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿ٱسْتَـْٔذَنَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، التقدير: الذين كانوا، أو وُجِدُوا من قبلهم، والهاء في محل جر بالإضافة، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف. والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف يقع مفعولاً مطلقاً للفعل قبله، التقدير: فليستأذنوا استئذاناً كائناً مثل استئذان الذين من قبلهم، وانظر مذهب سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ في الآية رقم [٥٥] وذلك بقوله تعالى: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ...﴾ إلخ هذا؛ وانظر إعراب: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ في الآية السابقة، فهو مثلها بلا فارق.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: (القواعد): جمع: قاعد بلا هاء؛ ليدل حذفها على أنه قعود الكبر، كما قالوا: امرأة حامل، ليدل بحذف الهاء على أنه حمل حَبَل، وقالوا في غير

ذلك: قاعدة في بيتها، وحاملة على ظهرها. وقال مكي: على النسب، أي ذات قعود. وقيل: حذفت الهاء للفرق بينه وبين القاعدة؛ أي الجالسة. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢] من سورة (الحج) تجد ما يسرك، و﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ اسم جمع لا واحد له من لفظه؛ لأن مفرده: امرأة، وجمعها في القلة: نسوة، وفي الكثرة: نساء، وتجمع أيضاً على: نسوان، ونسون، ونسنين، وهذه الجموع كلها مأخوذة من النسيان الذي رأيته في الآية رقم [٢٤] من سورة (الكهف) فهي مطبوعة عليه؛ إما إهمالاً، وإما كذباً. ويقال لكل واحد من هذه الجموع: اسم جمع، لا واحد له من لفظه. هذا؛ والمرأة مأخوذة من المرء، وهو الرجل؛ فلذا سميت بذلك، والأم الأولى حواء سميت بذلك؛ لأنها مأخوذة من: حي، وهو آدم عليهما السلام.

هذا؛ والقواعد من النساء: اللاتي قعدن عن الولد، والمحيض. وقال ربيعة: هي التي إذا رأيتها تستقذرها من كبرها. أقول: والمراد من تجاوزت الستين من عمرها، فإنها لا يميل إليها، ولا يشتهيها إلا من كان في سنها، أو أسنَّ منها. ﴿ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أي: لا يردن الأزواج لكبرهن، فأما من كانت فيها بقية جمال، وهي محل الشهوة؛ فلا تدخل في حكم هذه الآية، والمراد: لا يرغبن في الزواج.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾: إثم، ومؤاخذة. ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي: الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار. وأقول: ولا حرج عليها في كشف دائرة وجهها إذا كانت قد سترت جميع جسدها، وكانت في السن التي ذكرتها، وغير متبرجة، ولكن مما يؤسف له، بل ويحز في القلب أن نرى في هذه الأيام بنت الستين، والسبعين متحجبة، متسترة، محتشمة، وبناتها، وكناتها، وقريباتها يمشين معها، وهنَّ هالعات، خالعات من الحياء، خاليات، ومن الدين مارقات، ولا حول، ولا قوة إلا بالله!.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ أي: غير مظهرات من زينتهن، ومحاسنهن ما يجب عليهن ستره، وذلك ليستهوين الرجال، فإن ذلك من أقبح الأشياء، وأبعده عن الحق، والتبرج: التكشف، والظهور للعيون، ومنه بروج مشيدة، وبروج السموات والأسوار، أي: لا حائل دونها يسترها، ثم قيل: من التبرج أن تلبس المرأة ثوبين رقيقين يصفان حجم أعضائها، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أهلِ النارِ، لَمْ أرَهُمَا: قومٌ معهم سِيَاطٌ كأذنابِ البَقَرِ، يضْرِبُونَ بهَا النَّاسَ، ونِسَاءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مُميلاتٌ مَائِلاتٌ رؤوسهنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ المائلةِ، لا يدخُلْنَ الجنةَ، ولا يجدْنَ ريحَها، وَإِنَّ رِيحهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرةِ كَذَا، وَكَذا**». أخرجه مسلم، وغيره، وفي حديث آخر عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «**الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ ملعوناتٌ**». وعَنْ أبي موسى الأشعريِّ، رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**أَيُّما امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرتْ فمرَّتْ على قَوْمٍ؛ لِيَجِدُوا ريحَهَا، فَهيَ زَانِيةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**». رواه النسائي، وابن خزيمة، وابن حبَّان في صحيحيهما، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٠ و٣١].

هذا؛ وقد قيل: إن المعنى: كاسيات من الثياب، عاريات من لباس التقوى؛ الذي قال الله تعالى فيه في الآية رقم [٢٦] من سورة (الأعراف): ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ وأنشدوا: [الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يلبسْ ثياباً مِنَ التُّقى تَقَلَّبَ عُرْيَاناً، وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طاعةُ ربِّهِ ولا خيرَ فِيمَنْ كَانَ للهِ عاصِيَا

وفي هذا الكلام إستعارة لا تخفى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ أي: يطلبن العفة، والمحافظة على الشرف، ولا يلقين شيئاً من الثياب، ويسترن وجوههنَّ، وجميع أجسادهن؛ لأنه أبعد من التهمة. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: بنياتهن، وأقوالهن.

الإعراب: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾: الواو: حرف استئناف. (القواعد): مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من القواعد على اعتبار أل للتعريف، أو بمحذوف صفة له، على اعتبارها للجنس، وهو أولى؛ لأن كثيرين لا يجيزون مجيء الحال من المبتدأ. ﴿ٱلَّٰتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة (القواعد) لا لـ: ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْجُونَ﴾: مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة التي هي فاعله. ﴿نِكَاحًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿فَلَيْسَ﴾: الفاء: زائدة للتوكيد. (ليس): ماض ناقص. ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿جُنَاحٌ﴾: اسم ليس مؤخر، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، ودخلت الفاء على الخبر؛ لأن المبتدأ موصوف بموصول، لو كان ذلك الموصول مبتدأ؛ لجاز دخولها في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، ولا يجوز أن يكون ﴿ٱلَّٰتِى﴾ صفة لـ: ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾؛ إذ لا يبقى مسوغ لدخول الفاء في خبر المبتدأ، وقال أبو البقاء: ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط؛ لأن الألف، واللام بمعنى: اللاتي قعدن، وهذا مذهب الأخفش. انتهى.

﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب، واستقبال. ﴿يَضَعْنَ﴾: مضارع مبني على السكون، وهو في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾، والنون فاعله. ﴿ثِيَابَهُنَّ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿غَيْرَ﴾: حال من نون النسوة، أو من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، و﴿غَيْرَ﴾ مضاف، و﴿مُتَبَرِّجَٰتٍ﴾: مضاف إليه. ﴿بِزِينَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿أَن يَضَعْنَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: في وضعهن ثيابهن، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿جُنَاحٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والمصدر المؤول من: (أن يستعففن) في محل رفع مبتدأ، و ﴿خَيْرٌ﴾: خبره التقدير: والاستعفاف خير لهن من الوضع. ﴿لَّهُنَّ﴾: متعلقان بخير، والجملة الاسمية: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: اختلف العلماء في هذه الآية، فقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما أنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى، والزمنى، والعمي، والعرج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله عز وجل عن أكل الأموال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يضعف عن التناول، فلا يستوفي من الطعام حقه. فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فعلى هذا التأويل تكون ﴿عَلَى﴾ بمعنى «في» أي: ليس في الأعمى. والمعنى: ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى، والمريض، والأعرج حرج؛ أي: إثم ومؤاخذة.

وقيل: كان العميان، والعرجان، والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء؛ لأن الناس يقذرونهم، ويكرهون مؤاكلتهم، وكان الأعمى يقول: ربما آكل أكثر من ذلك، ويقول الأعرج والمريض: ربما أجلس مكان اثنين. فنزلت هذه الآية.

وقيل: نزلت ترخيصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت مَنْ سماهم الله في باقي الآية، وذلك: أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام، فإذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم إلى بيت أخيه، أو بيت أمه، أو بعض من سمى الله تعالى، فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك، ويقولون: ذهب بنا إلى غير بيته. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: كان المسلمون إذا غزوا؛ دفعوا مفاتيح بيوتهم إلى الزمنى، ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك، ويقولون: لا ندخلها، وأصحابها غُيَّبٌ، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم. وقيل: نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد. فعلى هذا تم الكلام عند قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ...﴾ إلخ كلام مستأنف. انتهى. خازن. وهذا الأخير نفاه البيضاوي، حيث قال: وهو لا يلائم ما قبله، وما بعده.

هذا؛ وقيل: لما نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قالوا: لا يحل لأحد منا أن يأكل من أحد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ والمعنى: ولا عليكم أيها الناس حرج، ولكن لما اجتمع المخاطَب وغير المخاطَب غلّب المخاطب لينتظم الكلام. وذكر بيوت القرابات، وسقط منها بيوت الأبناء، فقال المفسرون: ذلك؛ لأنها داخلة في قوله في بيوتكم؛ لأن بيت ابن الرجل بيته، لما جاء في قول النبي ﷺ للرجل الذي شكا إليه أباه، وأنه يأخذ ماله: «**أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ**». وقوله ﷺ: «**إِنَّ أَطْيَبَ مَا يَأْكُلُ المرءُ مِنْ كَسْبِهِ، وإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ**».

هذا؛ وقال العلماء: الأكل من بيوت المذكورين إذا أذنوا في ذلك، وقال آخرون: أذنوا له، أو لم يأذنوا فله أن يأكل؛ لأن القرابة التي بينهم هي إذن منهم، والمعتمد: أن الإذن شرط في حل الأكل في هذه الأيام؛ لأن بعض النفوس لا تسمح حتى للإخوة، والأخوات، وذلك ملموس عند كثير من الأشحاء.

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: عنى بذلك: وكيل الرجل، وقيِّمه في ضيعته، وماشيته، لا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل، ولا يدخر. وقيل: يعني: بيوت عبيدكم، ومماليككم، وذلك: أن السيد يملك منزل عبده. هذا؛ ويقرأ (مِفْتَاحَه) وقرأ سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: (مَفَاتِيحَه) وعلى قراءة (مفاتح) يكون قد حذف منه عند الجمع الألف التي تقلب ياء في صيغة منتهى الجموع، كما تقول في مصباح: مصابح، وفي محراب: محارب، والمفتاح: آلة الفتح، كالْمِفْتَح. وقيل: مفاتح جمع: مَفْتح أو مِفتح، ومفاتيح جمع: مفتاح.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: يعني: أو بيوت صديقكم، كان الرجل من السلف يدخل دار صديقه، وهو غائب، فيسأل جاريته كيسه، فيأخذ ما شاء، فإذا حضر مولاها، فأخبرته، أعتقها سروراً بذلك، فأما الآن؛ فقد غلب الشح على النفوس، فلا يأكل الإنسان إلا بإذن. هذا؛ والصديق هو من يصدقك في مودته، وتصدقه في مودتك، وهو يطلق على المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث؛ لأنه على وزن فعيل، وفعيل يطلق على ما ذكر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾. و(عَدُوٌّ) على وزن فعيل يطلق على ما ذكر، كما رأيت في الآية رقم [٣٩] من سورة (طه). وقال جرير، وقد أطلق صديقاً على جماعة الإناث: [الطويل]

دَعَوْنَ الْهَوَى ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: الصداقة أوكد من القرابة ألا ترى: أن الجهنميين لما استغاثوا، لم يستغيثوا بالآباء والأمهات، فقالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ الآيتان رقم [١٠٠ و١٠١] من سورة (الشعراء)، وانظر ما ذكرته في الخل والخليل في الآية رقم [٣١] من سورة (إبراهيم) على حبيبنا، وشفيعنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إثم، ومؤاخذة. ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أي: متفرقين، جمع: شت، والشت: المصدر بمعنى التفرق، قيل: إنها نزلت في بني ليث بن بكر، وهم حيّ من بني كنانة، كان الرجل منهم، لا يأكل وحده حتى يجد ضيفاً يأكل معه، فربما قعد الرجل من الصباح إلى المساء، وربما كانت معه الإبل الحُفَّل، فلا يشرب من ألبانها حتى يأتي من يشاربه، فإذا أمسى؛ ولم يجد أحداً؛ أكل. وقال القرطبي: وقد يمكث أياماً جائعاً حتى يجد من يؤاكله، وهي مبالغة غير مقبولة منه، وهذا خلق ورثه أولئك القوم من (إبراهيم) عليه السلام، فقد كان لا يأكل وحده؛ حتى يجد من يأكل معه، وهذا مشهور عنه. وقد قال قيس بن عاصم المنقري الصحابي ـ رضي الله عنه ـ وينسب لحاتم الطائي يخاطب زوجته: [الطويل]

إِذَا مـا صَـنَـعْـتِ الـزَّادَ فـالْـتَـمِـسِـي لَـهُ أكـيـلاً فـإنِّـي لَـسْـتُ آكِـلَـهُ وَحْـدِي

وانظر الشاهد [٣٩٨] من كتابنا فتح القريب المجيب تجد ما يسرك. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته، وصداقته، فيدعوه إلى طعامه، فيقول: والله إني لأجنح ـ أي: أتحرج ـ أن آكل معك؛ وأنا غني، وأنت فقير. فنزلت هذه الآية، وقيل: نزلت في قوم من الأنصار، كانوا لا يأكلون؛ إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فرخص الله لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا جميعاً، أو متفرقين. انتهى. خازن، وقرطبي بتصرف. وهذا يفيد: أن الآية الكريمة نزلت في أسباب متعددة، كما يحتمل أن يكون نزولها جملة واحدة، وأن يكون متفرقاً.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: ليسلم بعضكم على بعض، هذا في دخول الرجل بيت نفسه، يسلم على أهله، ومن في بيته. قال قتادة ـ رضي الله عنه ـ: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك، فهم أحق من سلمت عليه، وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد، فقل: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت، ورحمة الله وبركاته. حُدِّثْنَا أن الملائكة ترد عليه. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا لم يكن في البيت أحد: فليقل: السلام علينا من ربنا، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت، ورحمة الله وبركاته. وعن زيد بن أسلم ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً؛ فَسَلِّمُوا على أَهْلِهَا، واذكُروا اسمَ الله، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا سَلَّمَ حِينَ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، وذكرَ اسمَ الله على طعامِهِ، يقولُ الشيطانُ لأصحابِهِ: لا مَبِيتَ لَكُمْ هَاهُنَا، ولا عَشَاءَ. وَإِذَا لَمْ يُسَلِّمْ أَحَدُكُم؛ إِذَا دَخَلَ، وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ الله على طعامِهِ؛ قالَ الشيطانُ لأصحابِهِ، أَدْرَكْتُمُ المبيتَ، والعَشَاءَ**».

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: ثابتة بأمره، مشروعة من لدنه. ﴿مُبَٰرَكَةً﴾: لأنها ترجى بها زيادة الخير، وتكثير الحسنات، ورفع الدرجات في الجنة. ﴿طَيِّبَةً﴾: تطيب بها نفس المستمع، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَتَى لَقِيتَ أَحَداً مِنْ أُمَّتِي؛ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ؛ يَطُلْ عُمُرُكَ، وإذا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، يَكْثُرْ خَيْرُ بَيْتِكَ، وَصَلِّ صَلَاةَ الضُّحَى، فَإِنَّهَا**

صَلَاةُ الأبرارِ الأوَّابِينَ». لذا وصف الله التحية بـ: ﴿طَيِّبَةً﴾ وبـ: ﴿مُبَٰرَكَةً﴾؛ لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها ما ذكرت.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: كرر الله هذه الجملة ثالثة لمزيد التأكيد، وتفخيم أمر الأحكام المختتمة بها، وفصل الأولين بما هو المقتضي لذلك، وختم هذه بما هو المقصود منه، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: تفهمون، فتتدبرون الحق، والخير في الأمور، فتتبعونه، وتهتدون بهديه، وانظر شرح (العقل) في الآية رقم [١٠] من سورة (الأنبياء)، وشرح (النفس) في الآية رقم [٣٥] منها.

الإعراب: ﴿لَّيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَّيْسَ﴾ تقدم على اسمها، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿حَرَجٌ﴾: اسم ﴿لَّيْسَ﴾ مؤخر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿عَلَى ٱلْأَعْرَجِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿حَرَجٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. هذا؛ وجه للإعراب، والوجه الثاني: أن تعطف الجار، والمجرور على مثلهما. و﴿حَرَجٌ﴾ على مثله، والعامل في الأولين، والمعطوفين عليهما عامل واحد، وهو ﴿لَّيْسَ﴾، وتكون (لا) زائدة لتأكيد النفي، ومثل الآية الكريمة قول الأعور الشني: [المتقارب]

هَـوِّنْ عَـلَـيْـكَ فـإنَّ الأُمُـو ... رَ بِـكَـفِّ الإلـهِ مـقـادِيـرُهَـا

فـلـيـسَ بـآتـيـكَ مَـنْـهِـيُّـهَـا ... ولا قَـاصِـرٌ عـنـكَ مـأمُـورُهـا

وهذان البيتان هما الشاهد رقم [٢٥٧] من كتابنا فتح القريب المجيب. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: معطوفان على ما تقدم، والكاف في محل جر بالإضافة فيه، وفيما يلي، والميم حرف دال على جماعة الذكور، و«حرج» المعطوف على مثله محذوف، لدلالة ما قبله عليه، وهذا إن كان الكلام مرتبطاً ببعضه، وإن كان غير مرتبط بما قبله، فالجملة الاسمية مستأنفة، وهو ما أفاده القرطبي، والخازن، وغيرهما من المفسرين، ويكون الوقف على قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ تاماً، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: في الأكل، فالجار والمجرور متعلقان بـ: «حرج» المحذوف المقدر، أو في محل جر صفة له، وهذا لا يرتضيه سيبويه؛ لأنه لا يجيز حذف الموصوف وبقاء صفته إلا في مواضع معينة معروفة، انظرها في مغني اللبيب باب الحذف، والتقدير، وقيل: المصدر المؤول مبتدأ مؤخر، والجار والمجرور ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وهذا لا يؤيده معنىً، ولا يصح إعراباً. ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وما بعدهما معطوف عليهما، ولا تنس: الإضافة.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر معطوفة على بيوتكم. ﴿مَلَكْتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَّفَاتِحَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها. ﴿صَدِيقِكُمْ﴾: معطوف على ﴿ءَابَآئِكُمْ﴾. هذا؛ وإعراب: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟﴾ لا يخفى عليك بعدما تقدم إن شاء الله تعالى، وهذه الجملة بدل من الجملة السابقة على اتصال الكلام ببعضه، ومستأنفة، لا محل لها بالإعراض عن الكلام السابق. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من واو الجماعة. ﴿أَشْتَاتًا﴾: معطوف عليه.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٣٩]. ﴿دَخَلْتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿بُيُوتًا﴾: انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٧] في مثله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿فَسَلِّمُوا۟﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (سلموا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿تَحِيَّةً﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف، التقدير: فحيوا تحية. وقيل: عامله: سلموا من غير لفظه؛ لأنه بمعنى تسليماً، على حد قعدت جلوساً، وجملة: ﴿فَسَلِّمُوا۟...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿مِّنْ عِندِ﴾: متعلقان بـ ﴿تَحِيَّةً﴾: أو بمحذوف صفة لها. ﴿مُبَٰرَكَةً﴾: صفة (تحية). ﴿طَيِّبَةً﴾: صفة ثانية، أو حال منها بعد وصفها بما تقدم. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: انظر الآية رقم [٥٨] ففيها الكفاية، وجملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تعليل لتبيين ما ذكر من الأحكام السابقة.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الكاملون في الإيمان. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: إيماناً خالصاً من صميم قلوبهم. ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: مع الرسول ﷺ. ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾: كالجمعة، والعيدين، والحروب، والمشاورة في الأمور المهمة في الدين، أو الدنيا. ووصف الأمر بالجامع للمبالغة، وفيه إسناد مجازي؛ لأن الأمر لما كان سبباً في جمعهم، نسب الجمع إليه مجازاً. ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ أي: لم يتفرقوا عنه. ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ أي: يستأذنوا رسول الله ﷺ، فيأذن

لهم. واعتباره في كمال الإيمان؛ لأنه كالمصداق لصحته، والمميز للمخلص فيه من المنافق الذي ديدنه التسلل، والفرار، ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس الرسول ﷺ بغير إذنه ولذلك أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فإنه يفيد: أن المستأذن مؤمن لا محالة، وأن الذاهب بغير إذن ليس كذلك، وإنما ضيق عليهم في ذلك؛ لأنه لا بد لرسول الله ﷺ في الأمور المهمة من ذوي رأي، وقوة يظاهرونه عليها، ويعاونونه، ويستضيء بآرائهم، ومعارفهم، وتجاربهم، فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق عليه، ويشعث عليه رأيه، فمن ثَمَّة ضيق عليهم الأمر في الاستئذان.

﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: ما يعرض لهم من المهام. ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ أي: في الذهاب، والانصراف، والمعنى: إن شئت؛ فأذن، وإن شئت؛ فلا تأذن. ففيه تفويض الأمر إلى رأي رسول الله ﷺ، واستدل به على أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾: بعد الإذن، فإن الاستئذان ولو لعذر قصور؛ لأنه تقديم لأمر الدنيا على الدين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لذنوب عباده. ﴿رَّحِيمٌ﴾: حيث يسَّر عليهم، ورخَّص لهم في الضرورة في أمور كثيرة، كما هي معروفة في الشريعة.

تنبيه: روي: أن هذه الآية نزلت في حفر الخندق حين جاءت قريش بجيوشها؛ وقائدها أبو سفيان، وغطفان؛ وقائدها عيينة بن حصن الفزاري، فضرب النبي ﷺ الخندق حول المدينة باستشارة سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة، فكان المنافقون يتسللون لواذاً من العمل، يعتذرون الأعذار الكاذبة.

وقال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد رجل أن يخرج من المسجد لحاجة، أو عذر، لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ، بحيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن شاء منهم، وهذا كان بعد انتهاء غزوة الخندق.

قال مجاهد: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيديه، قاله أهل العلم، وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام، لا يخالفونه، ولا يرجعون عنه إلا بإذن، وإذا استأذن الإمام؛ إن شاء؛ أذن له، وإن شاء؛ لم يأذن، وهذا إذا لم يكن حدث يمنعه من المقام بأن يكونوا في المسجد، فتحيض امرأة منهم، أو يجنب رجل، أو يعرض له مرض، فلا يحتاج إلى الاستئذان. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة مفيدة للحصر. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ صلة

الموصول لا محل له. ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّمَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر (كان)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ﴿جَامِعٍ﴾: صفة أمر، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (إذا)، لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على جملة الصلة، لا محل له مثلها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها. ﴿يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ هي توكيد للجملة السابقة، وتعظيم، وتفخيم لهذا الأمر المذكور. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): مثل سابقتها. ﴿ٱسْتَـْٔذَنُوكَ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها... إلخ. ﴿لِبَعْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(بعض) مضاف، و﴿شَأْنِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَأْذَن﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (ائذن): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّمَن﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام. ﴿شِئْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو: لشخص شئته. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ)، وجملة ﴿فَأْذَن...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ معطوفة على جواب (إذا)، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليل للأمر، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ أي: لا تنادوا الرسول ﷺ من بعيد بقولكم: يا أبا القاسم، ونحوه، بل عظموه، كما قال تعالى في سورة (الحجرات): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾ إلخ الآيات من أولها. وقال سعيد بن جبير، ومجاهد ـ رحمهما الله تعالى ـ: المعنى: قولوا: يا رسول الله! في رفق، ولين، ولا تقولوا: يا محمد! بتجهم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى: احذروا دعاء الرسول إذا أسخطتموه، فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره، أي: موجب للانتقام. وقيل: المعنى: لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض، والمساهلة في الإجابة، والرجوع بغير إذن، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والمراجعة بغير إذنه محرمة، وإجابته ﷺ واجبة، ولو كان المسلم في الصلاة، كما صحت بذلك الأحاديث.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾: التسلل، والانسلال: الخروج قليلاً قليلاً في استخفاء، واللواذ: من الملاوذة، وهي أن تستتر بشيء مخافة مَن يراك، فقد كان المنافقون يتسللون، ويخرجون من المسجد يوم الجمعة؛ لأنه لم يكن أثقل عليهم منه، وحضور الخطبة، وسماعها فيه. وقال الحسن: ﴿لِوَاذًا﴾ فراراً من الجهاد، وثبت هذا عنهم في حفر الخندق حول المدينة، ومنه قول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: [الخفيف]

وَقُرَيْشٌ تَلُوذُ مِنَّا لِوَاذاً ... لَمْ يُقِيمُوا وخَفَّ منها الحُلُومُ

ولم تقلب الواو في لواذاً ألفاً لتحركها في لاوذ، يقال: لاوذ، يلاوذ ملاوذةً، ولواذاً. ولاذ يلوذ لوذاً، ولياذاً، انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها اتباعاً لـ: لاذ في الاعتلال. هذا؛ وقد قال السيوطي في همع الهوامع في باب الإبدال ما يلي: تبدل الياء بعد كسرة من واو، هي عين مصدر لفعل معل العين، موزون بفعال، نحو قام قياماً، وعاد عياداً، بخلاف عين غير المصدر كصِوان، وسواك، والمصدر المفتوح أوله، كَرَواح، أو المضموم كقُوَار، أو المكسور الذي لم يعل عين فعله، كـ: لاوذ لِواذاً، وعاود عِواداً، أو الموزون بَفَعَل كالحول. وتبدل أيضاً بعد كسرة من واو هي عين جمع لواحد ساكن العين، أو معتلها، صحيح اللام، موزون بفعال، كثوب وثِياب، وحوض وحِياض، ودار ودِيار، وريح ورِياح بخلاف عين المفرد. انتهى. هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ تهديد، ووعيد.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: يعرضون عن أمره، وهم المنافقون، يقال: خالفه إلى الأمر؛ إذ ذهب إليه دونه، ومنه ما حكى الله تعالى من قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ﴾ وخالفه عن الأمر: إذا صد عنه دونه، والضمير في ﴿أَمْرِهِۦٓ﴾ لله سبحانه، أو للرسول ﷺ، والمعنىٰ: يخالفون عن طاعته، ودينه. هذا؛ وقال أبو عبيدة، والأخفش: ﴿عَنْ﴾ في هذا الموضع زائدة. وقال الخليل، وسيبويه: ليست بزائدة، وإنما هي بمعنى: بعد أمره، ومنه قوله تعالى في الآية رقم [٥١] من سورة (الكهف): ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾. هذا؛ وقال ابن هشام في المغني: «يخالفون» متعد، وقد جاء لازماً هنا؛ لأنه بمعنى: يخرجون عن أمره، وأورد بيت ذي الرمة، وهو الشاهد رقم [٩٢٠] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الطويل]

وَإِنْ تَعْتَذِرْ بِالمحلِ مِنْ ذِي ضُروعِهَا ... إلى الضَّيْفِ يَجْرَحْ في عَرَاقِيبِهَا نَصْلي

فإنه قال: ضمن «يجرح» معنى: «يفسد». ولذا جاء لازماً.

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: بلاء في الدنيا، أو قتل، أو زلازل، وأهوال، أو تسليط سلطان جائر، أو قسوة القلب عن معرفة الله تعالى ومعرفة حقوقه، وهو أعظم ما يصاب به العبد: فعند ذلك لا تؤثر فيه المواعظ، ولا يقبل النصائح، انظر الآية رقم [٥٨] من سورة (الكهف)، أو إسباغ النعم استدراجاً. ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: وجيع في الآخرة.

هذا؛ و﴿تُصِيبَهُمْ﴾ ماضيه: أصاب، وهو يحتمل معاني كثيرة، تقول: أصاب السهم، يصيب إذا لم يخطئ هدفه، وأصاب الرجل في قوله، أو في رأية أتى بالصواب، وأصاب فلاناً البلاء، يصيبه وقع عليه، وهو المراد هنا وفي أكثر الآيات القرآنية. هذا؛ وأصاب يأتي بمعنى أراد، وقصد، ومنه قوله تعالى في سورة (صٓ) رقم [٣٦]: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ قاله مجاهد. والعرب تقول: أصاب الصواب، وأخطأ الجواب. قاله ابن الأعرابي، وقال الشاعر: [المتقارب]

أَصَابَ الْكَلَامَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ... فَأَخْطَا الجوابَ لَدَى الْمُفْصِلِ

أي: أراد الكلام.

وأصل يُصيبُ: يُؤَصْوِب، أو يُؤَصْيِبُ، فقل في إعلاله: حذفت الهمزة للتخفيف، حملاً على المبدوء بهمزة المضارعة، مثل: أؤصيب الذي حذفت همزته الثانية للتخلص من ثقل الهمزتين، فصار: (يُصْوِب، أو يُصْيِب)، ثم يقال: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو، أو الياء، وهي الكسرة إلى الصاد قبلها، بعد سلب سكونها، فصار: (يُصِيبُ أو يُصِوْبُ)، ثم قلبت الواو في

الثاني ياء لانكسار ما قبلها. هذا؛ وإذا دخل الجازم على المضارع، فيصير: لم تُصِيبْ. فيحذف حرف العلة لالتقاء الساكنين، فيصير لم يُصِبْ، وهذا الإعلال يجري في كل فعل ثلاثي مزيدة الهمزة في أوله للتعدية، مثل: أجاب، يجيب، وأكرم، يكرم، ونحو ذلك، كما حذفت الهمزة الثانية من «يؤمنون» لأن ماضيه: آمن. وأصله أأْمَن، والمضارع يُؤَأْمِن، أُؤْمِن، فتحذف من الأول، وتسهل في الثاني، وقد يجيء على القياس، وهو الأصل المهجور، كما في قول أبي حيان الفقعسي: [الرجز]

فَــــإِنَّــــهُ أَهْـــلٌ لأَنْ يُـــؤَكْـــرَمَـــا

ولا تنس: أن الهمزة المزيدة هذه تحذف من اسمي الفاعل والمفعول المأخوذين من الفعل الثلاثي المزيدة فيه الهمزة، وذلك مثل: مُكْرِم، ومُكْرَم، ومصيبة، ومصاب. وقس على ذلك. تنبه لهذا، واحفظه، فإنه جيد.

الإعراب: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿دُعَآءَ﴾: مفعول به أول، وهو مضاف، و﴿ٱلرَّسُولِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، أو من إضافة المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً. ﴿بَيْنَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالمصدر قبله، وقيل: متعلق بمحذوف حال، ولا وجه له، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿كَدُعَآءِ﴾: الكاف: اسم بمعنى «مثل» مبني على الفتح في محل نصب مفعول به ثان للفعل السابق، والكاف مضاف، و(دعاءِ): مضاف إليه، و(دعاء): مضاف، و﴿بَعْضِكُم﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بَعْضًا﴾: مفعول به للمصدر، وجملة: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق هنا. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به وجملة: ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(من) بيان لما أبهم في الموصول. ﴿لِوَاذًا﴾: حال بمعنى: ملاوذين، وقيل: هو مفعول مطلق عامله ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ من غير لفظه، وجملة: ﴿قَدْ يَعْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلْيَحْذَرِ﴾: الفاء: حرف عطف، على قول من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (ليحذر): مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿يُخَالِفُونَ﴾: صلة الموصول، ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقال أبو عبيدة والأخفش: ﴿عَنْ﴾ زائدة، و﴿أَمْرِهِۦٓ﴾ مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ في محل نصب مفعول به للفعل (يحذر).

﴿يُصِيبَهُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعله. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة له، وجملة: ﴿فَلْيَحْذَرِ...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء، وعلى اعتبار الفاء الفصيحة؛ فالتقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منهم فليحذر. . . إلخ.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)﴾

الشرح: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خلقاً، وملكاً، وعبيداً، وقد غُلِّب غير العاقلين على العاقلين. انظر الآية رقم [٤٥]. ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها المكلفون من المخالفة، والموافقة لأوامر الله، ورسوله، والنفاق، والإخلاص في الأعمال. وإنما أكد علمه بـ ﴿قَدْ﴾ لتأكيد الوعيد، والتهديد. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: جل شأنه يوم القيامة للحساب، والجزاء. والمراد: المنافقون الذين كانوا يتسللون لواذاً، أو هو عام، وهو أولى. وفي الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة. انظر الالتفات في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأنبياء)، والفعل ﴿يُرْجَعُونَ﴾ يقرأ بالبناء للمعلوم، وبالبناء للمجهول. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: من الخير والشر، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بعقابه. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا تخفى عليه خافية من أعمال العباد، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، لا محل لها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق هنا. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. (يوم): معطوف على محل ﴿مَا﴾ الموصولة فهو مفعول به مثله. ﴿يُرْجَعُونَ﴾: مضارع مبني للمعلوم، أو للمجهول مرفوع. . . إلخ، والواو فاعل، أو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾: الفاء: حرف عطف. (ينبئهم): مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به أول. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها،

والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: فينبئهم بالذي، أو: بشيء عملوه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملهم. والجملة الفعلية: ﴿فَيُنَبِّئُهُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. (الله): مبتدأ. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾، و(كل) مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

انتهت سورة (النور) شرحاً وإعراباً، بعون الله وتوفيقه،

والحمد لله رب العالمين

سورة الفرقان

سورة (الفرقان) وهي مكية، وآياتها سبع وسبعون، وكلماتها ثمانمئة واثنتان وتسعون، وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمئة وثلاثون، وقال ابن عباس وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ:

السورة مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت في المدينة، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

قال القرطبي: ومقصود هذه السورة ذكر موضع عظم القرآن، وذكر مطاعن الكفار في النبوة، والرد على مقالاتهم، فمن جملتها قولهم: إن القرآن افتراه محمد ﷺ، وإنه ليس من عند الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾

الشرح: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾: تكاثر خيره من البركة، وهي كثرة الخير، وزيادته، ومعنى «تبارك الله» تزايد خيره، وتكاثر، أو تزايد عن كل شيء، وتعالى عنه في صفاته، وأفعاله، وهي كلمة تعظيم وتقديس، لم تستعمل إلا لله وحده، وهو ملازم للماضي، لا يأتي منه مضارع، ولا أمر، قال الطِّرِمَّاح: [الطويل]

تَبَارَكْتَ لا مُعْطٍ لِشَيْءٍ مَنَعْتَهُ ... وَلَيْسَ لِمَا أَعْطَيْتَ يَا رَبُّ مَانِعُ

وقال آخر: [الطويل]

تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرْ يَقَعْ ولَكَ الشُّكْرُ

﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾: القرآن سماه الله: فرقاناً؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام بتقريره، أو بين المحق والمبطل بإعجازه، أو لكونه نزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، ولهذا قال: ﴿نَزَّلَ﴾ بالتشديد لتكثير التفريق، وينبغي أن تعلم: أن الفرقان يطلق على كل منزل من السماء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ...﴾ إلخ الآية رقم [٤٨] من سورة (الأنبياء).

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الإسراء) ففيها الكفاية. ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾: النذير: المحذر من الهلاك، والنذير: المنذر من الشر، و(نذير) مخوف من غضب الله تعالى، وعقابه، والمراد بـ: (العالمين) الإنس والجن؛ لأن النبي ﷺ قد كان أرسل إليهما،

ونذيراً لهما، ولم يكن غيره عام الرسالة إلا نوح، عليه الصلاة والسلام، فإنه عمَّ برسالته جميع الإنس، والجن بعد الطوفان؛ لأنه بدأ به الخلق.

الإعراب: ﴿تَبَارَكَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿نَزَّلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد. ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نَزَّلَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿لِيَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو الله تعالى، أو عبده، وهو أوفق بالمقام، وأقوى في المعنى، كما أجيز عوده على الفرقان. ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بما بعدهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿نَذِيرًا﴾: خبر (يكون)، و«أن» المضمرة والفعل (يكون) في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿نَزَّلَ﴾، وجملة: ﴿تَبَارَكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو المتصرف فيهما كيف يشاء. ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: نزه سبحانه وتعالى نفسه عما قاله المشركون من أن الملائكة بنات الله، وعما قالته اليهود: عزير ابن الله، جل الله تعالى، وعما تقوله النصارى: المسيح ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ أي: هو المنفرد بالإلهية، وفيه رد على الثنوية، والحلولية، وعبّاد الأوثان. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: مما تطلق عليه صفة المخلوق، أحدثه إحداثاً مراعياً فيه التقدير حسب إرادته، كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة، وصور، وأشكال معينة. ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ أي: سواه، وهيأه لما يصلح له، لا خلل فيه، ولا تفاوت. وقيل: قدر كل شيء تقديراً من الأجل، والرزق، فجرت المقادير على ما خلق. ولا شبهة فيه لمن يقول: إن الله شيء، ويقول بخلق القرآن؛ لأن الفاعل بجميع صفاته، لا يكون مفعولاً له، على أن لفظ شيء اختص بما يصح أن يخلق بقرينة خلق، وهذا أوضح دليل لأهل السنة والجماعة في الرد على المعتزلة في خلق أفعال العباد. انتهى. نسفي بتصرف.

وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: فقدَّر كل شيء، وهيأه لما أراد منه من الخصائص، والأفعال، كتهيئة الإنسان للإدراك، والفهم، والنظر، والتدبير، واستنباط الصنائع المتنوعة، ومزاولة الأعمال المختلفة، إلى غير ذلك. أو: فقدره للبقاء إلى أجل مسمى. وقد يطلق الخلق

لمجرد الإيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق، فيكون المعنى: وأوجد كل شيء، فقدره في إيجاده، حتى لا يكون متفاوتاً. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِى﴾: بدل مما قبله، أو نعت له. أو عطف بيان عليه، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الذي، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أمدح، أو أعني. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لم يتخذ): مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿وَلَدًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المجرور باللام فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لم يكن): مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم). ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر يكن مقدم. ﴿شَرِيكٌ﴾: اسمه مؤخر. ﴿فِى ٱلْمُلْكِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة شريك، أو هما متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَخَلَقَ﴾: الواو: حرف عطف. (خلق): ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾: الفاء: حرف عطف. (قدره): ماض، ومفعوله، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً. ﴿تَقْدِيرًا﴾: مفعول مطلق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي: الكفار عبدة الأوثان. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: من دون الله تعالى. ﴿ءَالِهَةً﴾: المراد بها: الحجارة، ونحوها مما كانوا يتخذونه آلهة. ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ أي: عاجزون عن خلق أي شيء. ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: لأن عبدتهم ينحتونهم، ويصورونهم. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: وما فعله إبراهيم الخليل في الأصنام أكبر دليل على ذلك. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: إماتة أي إنسان، أو حيوان، ونحوه. ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾ أي: إحياء أي ميت من إنسان، أو غيره. ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي: بعثاً بعد الموت، والمعنى: لا يميتون أحداً، ولا يحيونه، ولا بعثاً له بعد موته.

الإعراب: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (اتخذوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ءَالِهَةً﴾، كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». وقيل: في محل نصب مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول

به. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَخْلُقُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿ءَالِهَةً﴾. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُخْلَقُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ معطوفة على جملة: ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ فهي في محل نصب مثلها، وجملة: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾: معطوفة عليها أيضاً. ﴿حَيَوٰةً﴾: معطوف على ﴿مَوْتًا﴾، وأيضاً: ﴿نُشُورًا﴾ معطوف عليه، و﴿لَّا﴾ في الجميع زائدة لتأكيد النفي، وجملة: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة على الاعتبارين فيها، والرابط هنا: الضمير المجرور محلاً بالإضافة، أو هي مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: كفار قريش، أو النضر بن الحارث. ﴿إِنْ هَـٰذَآ﴾ أي: ما هذا القرآن. ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ أي: كذب، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١] من سورة (النور). ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: اختلقه، واخترعه محمد ﷺ من عند نفسه. ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ أي: اليهود، قاله مجاهد. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد: أبو فكيهة مولى بني الحضرمي، وعداس، وجبر، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب. ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا﴾ أي: بظلم حيث اعتبروا الكلام المعجز إفكاً مختلقاً متلقفاً من اليهود. ﴿وَزُورًا﴾: بنسبة ما هو بريء منه إليه، واعتبارهم العربي يتلقن من العجمي كلاماً عربياً، أعجز بفصاحته جميع الفصحاء، وأخرس ببلاغته جميع البلغاء.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوٓا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿هَـٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿إِفْكٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الرسول ﷺ المعبر عنه بـ: ﴿عَبْدِهِۦ﴾ في الآية رقم [١]، أو هو محذوف لدلالة المقام عليه، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿إِفْكٌ﴾. (أعانه): ماض، والهاء مفعول به. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿قَوْمٌ﴾: فاعله. ﴿ءَاخَرُونَ﴾: صفة ﴿قَوْمٌ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو... إلخ، وجملة: ﴿وَأَعَانَهُۥ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي

في محل رفع مثلها، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (اتخذوا من دونه...) إلخ. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف عطف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءُو﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ظُلْمًا﴾: مفعول به على اعتبار «جاء» متعدياً، أو هو منصوب بنزع الخافض، التقدير: جاؤوا بظلم. وأجاز فيه السمين أن يكون حالاً بمعنى: ظالمين. ﴿وَزُورًا﴾: معطوف على ما قبله على الوجهين المعتبرين فيه، وجملة: ﴿فَقَدْ جَآءُو...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (قال الذين...) إلخ، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين، وقيل: الفاء الفصيحة، ولا معنى لها كما ترى.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾: القائل هو النضر بن الحارث، كان يقول: إن هذا القرآن ليس من عند الله، وإنما هو مما سطره الأولون، مثل حديث رستم، وإسفنديار. ومعنى ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ انتسخها محمد ﷺ من جبر، ويسار، وعداس، وأبي فكيهة، وطلب أن تكتب له؛ لأنه كان لا يكتب، ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي: تقرأ عليه؛ لأنه كان لا يكتب. هذا؛ وانظر شرح (الآصال) في الآية رقم [٣٦] من سورة (النور)، والبكرة: من طلوع الشمس إلى الضحوة الكبرى، وهي بضم الباء، وسكون الكاف، ومثله: الإبكار، وقد قوبل بالعشي في الآية رقم [٤١] من سورة (آل عمران). هذا؛ و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ جمع: أسطورة، وإسطارة بكسر الهمزة، فالأول مثل: أحدوثة، وأضحوكة، وأعجوبة، وجمعها: أحاديث، وأضاحيك، وأعاجيب. وقيل: واحدها: سَطَر بفتح السين والطاء، وأسطار: جمع، وأساطير: جمع الجمع، مثل: أقوال، وأقاويل. هذا؛ وسطر الكتابة جمعه في القلة: أسطر، وفي الكثرة: سطور، مثل فَلْس، وأَفْلُس، وَفُلُوس. هذا؛ وقد قيل في معنى ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: إنها الترهات وهي عند العرب غامضة، ومسالك وعرة مشكلة، يقول قائلها: أخذنا في التُّرَّهات، بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح إلى الطريق المشكل؛ الذي لا يعرف، فجعلت الترهات مثلاً لما لا يعرف، ولا يتضح من الأمور المشكلة الغامضة؛ التي لا أصل لها.

﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: جمع أَوَّل، وفيه مسائل: الأولى: الصحيح: أن أصله (أَوْأَل) بوزن: أفعل، قلبت الهمزة الثانية واواً، ثم أدغمت في الأولى، بدليل قولهم في الجمع: أوائِل، وقيل: إن أصله (وَوَّل) بوزن: فوعل، قلبت الواو الأولى همزة، وإنما لم يجمع على أَوَاول لاستثقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع.

الثانية: الصحيح: أن أول لا يستلزم ثانياً، وإنما معناه ابتداء الشيء، ثم قد يكون له ثان، وقد لا يكون، تقول: هذا أول مال اكتسبته، وقد لا تكتسب بعده شيئاً، وقد تكتسب، وقيل: إنه يستلزم ثانياً، كما أن الآخر يقتضي أولاً، فلو قال: إن كان أول ولد تلدينه ذكراً، فأنت طالق، فولدت ذكراً، ولم تلد غيره، وقع الطلاق على الأول دون الثاني.

الثالثة: لأول استعمالان: أحدهما: أن يكون صفة، أي أفعل تفضيل بمعنى الأسبق، فيعطى هذا حكم أفعل التفضيل من منع الصرف، وعدم تأنيثه بالتاء، ودخول مِنْ عليه، نحو هَذَا أَوَّلُ من هذين، ولقيته عاماً أَوَّلَ. والثاني: أن يكون اسماً مصروفاً، نحو لقيته عاماً أولاً، ومنه قولهم: ما له أولٌ، ولا آخرٌ، قال أبو حيان: في محفوظي: أن هذا يؤنث بالتاء، ويصرف أيضاً، فيقال: أَوَّلَةٌ، وآخرةٌ بالتنوين. انتهى. جمع الجوامع شرح همع الهوامع للسيوطي.

الإعراب: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذه أساطير، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾: ماض، والفاعل يعود إلى الرسول ﷺ الذي يعنونه، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ و«قد» قبلها مقدرة، وقيل: ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ مبتدأ، والجملة الفعلية خبره. وليس بشيء. ﴿فَهِيَ﴾: الفاء: حرف عطف. (هي): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿تُمْلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى ما قبله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿بُكْرَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. (أصيلاً): معطوف عل ما قبله، وجملة: ﴿وَقَالُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ...﴾ إلخ: ذكر السر دون الجهر؛ لأنه مَنْ علم السر فهو في الجهر أعلم، ولو كان القرآن مأخوذاً من أهل الكتاب، وغيرهم لما زاد عليه، وقد أعجزكم عن آخركم بفصاحته، وتضمن أخباراً مغيبة مستقبلة، وأشياء مكنونة، لا يعلمها إلا عالم الأسرار؛ فكيف تجعلونه أساطير الأولين؟! وأيضاً لو كان مأخوذاً من هؤلاء لتمكن المشركون منه أيضاً، كما تمكن محمد ﷺ، وحينئذ كانوا يقدرون على معارضته، ولكنهم كانوا معاندين للحق، لا يهتدون إليه سبيلاً.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: فلذلك لا يعاجلكم بالعقوبة أيها المبطلون على ما تفترونه؛ مع كمال قدرته عليها، واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صباً. هذا؛ و﴿كَانَ﴾ في هذه الآية، وأمثالها من أفعال الاستمرار ليس على بابه من المضي، وإن المعنى: كان، ولم يزل كائناً إلى يوم القيامة، وإلى أبد الآبدين في الدنيا، والآخرة.

قال المرحوم سليمان الجمل: ومعلوم: أن ﴿كَانَ﴾ في القرآن الكريم على أوجه: بمعنى الأزل، والأبد، وبمعنى المضي المنقطع، وهو الأصل في معناها، وبمعنى الحال، وبمعنى

الاستقبال، وبمعنى: صار، وبمعنى: ينبغي، وبمعنى: حضر، أو: وجد، أو حصل، وترد للتأكيد، وهي زائدة. انتهى. نقلاً عن كرخي.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَنزَلَهُ﴾: ماض، والهاء مفعوله. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿الَّذِي﴾ وهو العائد. ﴿السِّرَّ﴾: مفعول به. ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال من ﴿السِّرَّ﴾. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿أَنزَلَهُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿الَّذِي﴾ أيضاً. ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: خبران لـ: ﴿كَانَ﴾ وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار قريش. ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ﴾: يعنون سيد الخلق، وحبيب الحق محمداً ﷺ. ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾: كما نأكل. ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي: يلتمس المعاش، كما نلتمسه نحن، وإذا كان موصوفاً بهذين الوصفين مثلنا؛ فمن أين له الفضل علينا؟ ولا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة، ولا يحق له أن يترفع علينا بشيء، وكانوا يقولون له: لست بملك؛ لأنك بشر مثلنا، والملك لا يأكل، ولا يملك؛ لأن الملك لا يتسوق، وأنت تتسوق، تبيع وتشتري في الأسواق. وما قالوه فاسد؛ لأن أكله الطعام لكونه آدمياً، ولم يدَّع أنه ملك، ومشيه في الأسواق لتواضعه. وكانت تلك صفته في التوراة، ولم يكن صخاباً في الأسواق، وليس شيء من ذلك ينافي النبوة، ولم يدَّعِ أنه ملك من الملوك. انتهى. خازن بتصرف.

وقال القرطبي: عيّروه بأكل الطعام؛ لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملَكاً، وعيّروه بالمشي في الأسواق حين رأوا الأكاسرة، والقياصرة، والملوك الجبابرة يترفعون عن الأسواق، وكان ﷺ يخالطهم في أسواقهم، يأمرهم، وينهاهم، فقالوا: هذا يطلب أن يتملك علينا، فماله يخالف سيرة الملوك، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٠] الآتية، وإنما قالوا ما تقدم لعمههم، وقصور نظرهم على المحسوسات، فإن تميز الرسل عن سواهم ليس بأمور جسمانية، وإنما هو بأحوال نفسانية، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ...﴾. الآية آخر سورة (الكهف).

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أي: يصدقه، ويشهد له، ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ أي: داعياً إلى الله مرغباً في رحمته، مخوفاً من عقابه، وانظر الآية رقم [١]. هذا؛ وفي الآية دليل على أن دخول الأسواق مباح للتجارة، وطلب المعاش لمن اتقى الله في بيعه، وشرائه، وكان ﷺ يدخلها لحاجته، وليذكر الخلق بأمر الله، ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل لتؤمن برسالته، ولم يكن فظّاً ولا غليظاً، ولا صخَّاباً في الأسواق.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (لهذا): متعلقان بمحذوف خبره، والهاء حرف تنبيه لا محل له مقحم بينهما. ﴿ٱلرَّسُولِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، وبعضهم يعربه صفة. ﴿يَأْكُلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّسُولِ﴾. ﴿ٱلطَّعَامَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلرَّسُولِ﴾، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال الاستفهام لتضمنه معنى الفعل: أستفهم، أو اسم الإشارة، وجملة: ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾: معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَلَكٌ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، كالجملة الاسمية: ﴿مَالِ هَٰذَا...﴾ إلخ. ﴿فَيَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء السببية، واسمه يعود إلى ﴿ٱلرَّسُولِ﴾. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده، وقيل: متعلق بمحذوف حال. ولا وجه له. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿نَذِيرًا﴾: خبر (يكون)، و«أن» المضمرة والمضارع الناقص في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: فهلا نزول ملك من السماء، فيكون نذيراً معه؟! والجملة الفعلية ﴿وَقَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ أي: ينزل عليه كنز من السماء ينفقه، فلا يحتاج إلى المشي في الأسواق لتحصيل معاشه. ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بستان فيه أنواع الثمار. ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: هو فلا أقل من ذلك إن لم يكن له كنز من ذهب، وانظر ما اقترحوه على رسول الله ﷺ في الآية رقم [٩٠] من سورة (الإسراء) وما بعدها تجد ما يسرك. هذا؛ ويقرأ: (نأكل) بالنون.

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: انظر الآية رقم [٤٧] من سورة (الإسراء) تجدْ فيها الكلام كافياً شافياً، وانظر شرح «الظلم» و(البغي) في الآية رقم [٦٠] من سورة (الحج)،

وانظر التعبير بـ: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عن الكافرين في الآية رقم [٢٨] من سورة (المؤمنون). وقد وضع الظالمين موضع الضمير تسجيلاً عليهم بوصف الظلم، وتجاوز الحد.

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يُلْقَىٰٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿كَنزٌ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أُنزِلَ...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَكُونُ﴾: مضارع ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُونُ﴾ مقدم. ﴿جَنَّةٌ﴾: اسمها مؤخر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وجملة: ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ على القراءتين في محل رفع صفة ﴿جَنَّةٌ﴾. ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): ماض. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: فاعله، ومقتضى القياس الإضمار، غير أنه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوا. ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿تَتَّبِعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رَجُلًا﴾: مفعول به. ﴿مَّسْحُورًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (قالوا ما لهذا...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: اقترحوا عليك ما تقدم من نزول ملك من السماء يعاونك في تبليغ رسالتك، وإنزال كنز من السماء تنفقه على نفسك، أو يكون لك بستان فيه أنواع الثمار تتمتع فيه بحياتك، وتجد فيه هناءتك، وسرورك، كما أنهم مثلوك تارة بالساحر، وتارة بالشاعر، وتارة بالمجنون، وأخرى بالكاهن. ﴿فَضَلُّوا۟﴾ أي: فيما اقترحوا عليك، وفيما مثلوك به، وحاروا، وخرجوا عن جادة الحق والصواب في جميع تصرفاتهم، واقتراحاتهم، وأمثلتهم. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: فلا يجدون طريقاً وحيلة في صد الناس عنك، أو لا يجدون طريقاً إلى الهدى والرشاد، والخطاب في ذلك للنبي ﷺ وحده. هذا؛ وانظر شرح (مثل) في الآية رقم [٦٠] من سورة (الحج)، وشرح (ضل) في الآية رقم [١٠٤] من سورة (الكهف)، ولا تنس: أن الآية مذكورة بحروفها كاملة برقم [٤٨]. من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿ٱنظُرْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال، عامله ما بعده. ﴿ضَرَبُوا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْأَمْثَٰلَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به لـ: ﴿ٱنظُرْ﴾ المعلق عن العمل لفظاً، وتقدير الكلام: انظر كيفية ضرب الأمثال لك. ﴿فَضَلُّوا۟﴾: فعل، وفاعل، والجملة

الفعلية مع المعلق بها المحذوف معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها. (لا): نافية. ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿سَبِيلًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها، والفاء في الجملتين حرف عطف وسبب.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾: انظر الآية رقم [١] والمعنى هنا: تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيراً مما قالوا، وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات، والقصور. ﴿إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي: من الذي قالوا وأفضل من البستان الذي ذكروا. ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي...﴾ إلخ: أي بيوتاً مشيدة. فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي ليجعلَ لي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، قُلْتُ: لَا يَا رَبِّ، ولَكِنْ أشبعُ يَوْماً، وَأَجُوعُ يَوْماً ـ أو قالَ: ثلاثاً، أو نحو هذا ـ فإذا جُعْتُ؛ تضرعْتُ إليك، وذكرْتُكَ، وإذا شَبِعْتُ؛ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ**». وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لَو شِئْتُ؛ لسارتْ معي جبالُ مكة ذهباً، جاءني مَلَكٌ، إنَّ حُجْرَتَهُ لَتُسَاوي الكعبة، فقال: يا محمدُ! رَبُّك يُقْرِئُكَ السلام، ويقولُ: إنْ شِئْتَ نبيّاً عَبْداً، وإنْ شِئْت نبيّاً ملكاً! فنظرتُ إلى جبريل، فأشار إليَّ: أنْ ضَعْ نَفْسَك، فَقُلْتُ: نبيّاً عَبْداً**». قَالَتْ: فكان رسولُ الله ﷺ بعد ذلك، لا يأكُلُ مُتَّكِئاً، يقولُ: «**أَنا عَبْدٌ، آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ العبدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ**». ذكر هذين الحديثين البغوي بسنده. انتهى. خازن. هذا؛ وذكر القرطبي: أن الملك الذي نزل على الرسول ﷺ، وعرض عليه ما تقدم هو (رضوان) خازن الجنان، وساق الحديث مع تغيير في بعض ألفاظه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ و﴿قُصُورًا﴾ جمع قصر، وهو البناء المشيد المتميز عن غيره بضخامة بنائه، وزخرفته. سمي بذلك؛ لقصور الفقراء عن تحصيله، وحبسهم عن نيله، والوصول إليه، أو لأن مَنْ فيه مقصور عن أن يوصل إليه، وقيل: العرب تسمي بيوت الطين: القصر، وما يتخذ من الصوف والشعر: البيت.

الإعراب: ﴿تَبَارَكَ﴾: ماض. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَاءَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى الله، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿جَعَلَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم جواب الشرط، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لَكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿جَعَلَ﴾، وقيل: هما المفعول الثاني تقدم على الأول. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به. ﴿مِّن ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرًا﴾ لأنه أفعل تفضيل، فاعله مستتر فيه، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، وجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ لا محل لها؛

لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، والجملة الشرطية: ﴿إِن شَآءَ جَعَلَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿تَبَارَكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، أو مستأنفة. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: بدل من ﴿خَيْرًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿تَجْرِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل ﴿تَجْرِي﴾، والجملة الفعلية هذه في محل نصب صفة ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿وَيَجْعَل﴾: الواو: حرف عطف. (يجعل): مضارع معطوف على جواب الشرط، وهو ﴿جَعَلَ﴾ أي: على محله. هذا؛ ويقرأ بالرفع، وفيه وجهان: أحدهما: أنه مستأنف، والثاني: أنه معطوف على جواب الشرط، وقال الزمخشري: لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جوابه الجزم، والرفع، وقال: وليس هذا مذهب سيبويه، بل مذهبه أن الجواب محذوف، وأن هذا المضارع منوي به التقديم، ومذهب المبرد والكوفيين: أنه جواب على حذف الفاء، ومذهب آخرين: أنه جواب لا على حذفها، بل لما كان الشرط ماضياً ضعيف تأثير: ﴿إِن﴾ فيه، فارتفع. قلت: فالزمخشري بنى قوله على هذين المذهبين. ثم قال الشيخ: وهذا التركيب جائز فصيح، وزعم بعض أصحابنا أنه لا يجيء إلا في الضرورة. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

هذا؛ وذكر الزمخشري قول زهير بن أبي سلمى المزني في مدح هرم بن سنان: [البسيط]

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ ... يَقُولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

وقايس بينه وبين الآية، ولا وجه له؛ لأن الجواب في الآية مذكور، وفيها عطف (يجعل) على الجواب، والجواب في البيت غير مذكور، لذا قيلت فيه الأقوال الكثيرة، وَأُوِّلَ التأويلات المتعددة. وينبغي أن تعلم أن بيت زهير هو الشاهد رقم [٧٨٧] من كتابنا فتح القريب المجيب، انظر شرحه وإعرابه وما قيل فيه هناك؛ تجد ما يسرك. هذا؛ ولم يقرأ الفعل (يجعل) بالنصب، ولو قرئ؛ لطبقت القاعدة المشهورة عليها، وهي: «إذا عطف على جواب الشرط مضارع بالواو، أو بالفاء جاز جزمه، ورفعه، ونصبه» وآية البقرة رقم [٢٨٣] هي التي طبقت القاعدة المذكورة عليها لقراءة الفعل(فيغفر) بالأوجه الثلاثة، وإذا عطف بالواو أو بالفاء مضارع على فعل الشرط جاز جزمه ونصبه، ويمتنع الرفع. قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته مقرراً القاعدتين المذكورتين: [الرجز]

والْفِعلُ مِنْ بعدِ الْجَزَا إنْ يَقْتَرِنْ ... بِالفا، أَوِ الْوَاوِ بِتَثْلِيث قَمِنْ

وَجَزْمٌ أَوْ نَصْبٌ لِفِعْلٍ إثْر فَا ... أَوْ واوٍ انْ بِالْجُمْلَتَيْنِ اكْتُنِفَا

وفاعل (يجعل) يعود إلى (الله) تعالى. ﴿لَّكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وقيل: هما في محل المفعول الثاني. ﴿قُصُورًا﴾: مفعول به.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ أي: فقصرت أنظارهم على الدنيا وحطامها الفاني، وظنوا: أن الكرامة إنما هي بالمال، فطعنوا فيك بفقرك. أو المعنى: فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب؟ وكيف يصدقون بتحقيق ما وعدك في الآخرة، وهم لا يؤمنون بها؟ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ أي: وهيأنا للمكذبين بها ناراً شديدة الاستعار. وقيل: هو اسم لواد من أودية جهنم، فيكون صرفه باعتبار المكان. هذا؛ والمراد بـ: (الساعة) يوم القيامة، وانظر الآية رقم [٩٦] من سورة (الأنبياء) وانظر شرح (السعير) في الآية رقم [٤] من سورة (الحج). هذا؛ و(أعتدنا) دليل واضح على وجود النار الآن كما أن الجنة موجودة الآن، لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب، تبتدأ بعده الجمل. ﴿كَذَّبُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱلسَّاعَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. (أعتدنا): فعل، وفاعل. ﴿لِمَن﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، وجملة: ﴿كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ﴾: صلة (مَنْ) أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها. ﴿سَعِيرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَعْتَدْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: من مسيرة خمسمئة عام، وتأنيث الفاعل، وهو عائد على ﴿سَعِيرًا﴾؛ لأنه بمعنى النار، أو جهنم. ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ أي: سمعوا لها صوت التغيظ، شبَّه صوت غليانها بصوت المغتاظ، وزفيره، وهو صوت يسمع من جوفه. هذا؛ وإن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية؛ أمكن أن يخلق الله فيها حياة، فترى، وتتغيظ، وتزفر، وقيل: إن ذلك لزبانيتها، فنسب إليها على حذف المضاف. انتهى. بيضاوي.

قال القرطبي: والأول أصح لما روي مرفوعاً: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فلْيَتَبَوَّأْ بَيْنَ عَيْنَيْ جهنم مقعداً!**». قيل: يا رسولَ الله! ولها عينانِ؟! قال: «**أما سمعتمُ الله عز وجل يقول**: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ...﴾ إلخ. **يخرجُ عُنُقٌ مِنَ النار، لهُ عينانِ تُبْصرانِ، ولسانٌ ينطقُ، فيقولُ: وُكِّلْتُ بكلِّ مَنْ جَعَلَ مع الله إلهاً آخَرَ، فلهو أبْصَرُ بهِمْ مِنَ الطَّيرِ بحبِّ السِّمْسِمِ فيلتقطهُ**».

وخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عُنُقٌ من النارِ يومَ القيامةِ لهُ عينانِ تُبْصرانِ، وَأُذُنانِ تسمعانِ، ولسانٌ ينطقُ، يقولُ: إني وُكِّلْتُ بثلاثةٍ: بكلِّ جَبَّارٍ عنيدٍ، وبِكُلِّ مَنْ دَعا مع الله إلهاً آخَرَ، وبالْمُصَوِّرِينَ**». انتهى. قرطبي.

بعد هذا انظر شرح ﴿يَسۡمَعُ﴾ في الآية رقم [٤٥] من سورة (الأنبياء). بقي أن تعلم: أن التغيظ يرى بظهوره على وجه المغتاظ، ولا يسمع، والزفير يسمع؛ لأنه صوت يخرج من الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع، فكيف جمع بينهما في السماع؟! وهو مؤول على أن المعنى: رأوا لها تغيظاً، وسمعوا لها زفيراً. قال الشاعر: [مجزوء الكامل]

وَرَأَيْتُ زَوْجَكِ فِي الوَغَى ... مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحا

أي: وحاملاً رمحاً؛ لأن الرمح لا يتقلد. ولنا كلام طويل في آية (الحشر) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ إن شاء الله تعالى، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالحٌ لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿رَأَتۡهُم﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة، لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث التي هي حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى ﴿سَعِيرًا﴾ وانظر الشرح، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿مِّن مَّكَانِۢ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿بَعِيدٖ﴾: صفة (مكان). ﴿سَمِعُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهَا﴾: متعلقان به، أو هما متعلقان بمحذوف حال مما بعدها، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿تَغَيُّظٗا﴾: مفعول به. (زفيراً): معطوف على ما قبله، وانظر الشرح، وجملة: ﴿سَمِعُواْ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها في محل نصب صفة ﴿سَعِيرًا﴾.

﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣﴾

الشرح: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا﴾ أي: من النار. ﴿مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تضيق عليهم النار، كما يضيق الزُّج في الرمح. هذا؛ وإن الكرب يشتد مع الضيق، كما أن الراحة، والهدوء، والطمأنينة تزيد مع السعة؛ ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض. ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد، والأعمال، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾، أو قرنوا مع الشياطين لقوله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ أي: قرناءهم من الشياطين، أو قرنوا مع ما اكتسبوا من العقائد الزائفة، والملكات الباطلة، لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ...﴾ إلخ. أو المعنى قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال، ومعنى ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مشدودين في الأغلال والقيود، قال عمرو بن كلثوم في معلقته: [الوافر]

فَآبُوا بِالنِّهابِ وبِالسَّبَايَا ... وَأُبْنَا بِالمُلُوكِ مُقَرَّنِينَا

قال تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾. ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أي: هلاكاً، يتمنون الهلاك، وينادونه، فيقولون: يا ثبوراه تعال، فهذا أوانك وحينك، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَوّلُ مَنْ يقولُهُ إبليسُ، وَذَلِكَ: أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يُكسى حُلَّةً من النارِ، فتُوضعُ على حاجِبَيْهِ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ، وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهو يَقُولُ: وَاثُبورَاه**». انتهى. قرطبي. هذا؛ وإعلال ﴿دَعَوْا۟﴾ مثل ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ في الآية رقم [١٠٩] من سورة (الأنبياء)، وأصل ﴿أُلْقُوا۟﴾: «أُلْقِيُوا» فحذفت الضمة التي على الياء للثقل، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، ثم قلبت كسرة القاف ضمة لمناسبة واو الجماعة.

الإعراب: ﴿وَإِذَآ﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): انظر الآية السابقة. ﴿أُلْقُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَكَانًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مَكَانًا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والأصل: في مكان، فلما حذف الجار انتصب على الظرفية. ﴿ضَيِّقًا﴾: صفة ﴿مَكَانًا﴾. ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿دَعَوْا۟﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب إذا، لا محل لها، وإذا ومدخولها معطوف على مثله في الآية السابقة فهو في محل نصب صفة مثله، والضمير في منها عائد على ﴿سَعِيرًا﴾ في الآية رقم [١١]، وانظر تأويله في الآية السابقة. ﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية، متعلق بالفعل قبله، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ثُبُورًا﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف، أي: ثبرنا ثبوراً، قاله الزجاج: وقال أبو البقاء عامله: ﴿دَعَوْا۟﴾ من غير لفظه. وقيل: هو مفعول به للفعل قبله، وقيل: هو منادى، انظر الشرح.

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ أي: يقال لهم: لا تدعوا... إلخ. ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾: هلاكاً. ﴿كَثِيرًا﴾ أي: لأن عذابكم أنواع كثيرة، كل نوع منها ثبور لشدته، أو لأنه يتجدد على حد قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أو لأن العذاب لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور. وقال القرطبي: وقال ﴿ثُبُورًا﴾ لأنه مصدر يقع للقليل والكثير، ولذلك لم يجمع، وهو كقولك: ضربته ضرباً كثيراً، وقعد قعوداً طويلاً. ونزلت الآيات في ابن خَطَل وأصحابه.

الإعراب: ﴿لَّا﴾: ناهية. ﴿تَدۡعُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿ثُبُورٗا﴾: يقال فيه: ما قيل في الآية السابقة. ﴿وَٰحِدٗا﴾: صفة له، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول محذوف، التقدير: يقال لهم: لا تدعوا، وهذه الجملة المقدرة معطوفة على جملة: ﴿وَٱدۡعُواْ...﴾ إلخ، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَٱدۡعُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (ادعوا): فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ثُبُورٗا﴾: هو مثل سابقه. ﴿كَثِيرٗا﴾: صفة له. ﴿وَٱدۡعُواْ...﴾ إلخ هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ﴾: الإشارة: إلى العذاب المذكور في الآيات السابقة، والاستفهام، والتفضيل، والترديد للتقريع مع التهكم. أو: إلى الكنز، والجنة المذكورين في الآية رقم [٨]. وإضافة (الجنة) إلى ﴿ٱلۡخُلۡدِ﴾ للمدح، أو للدلالة على خلودهم، وعدم فنائها، أو للتمييز عن جنات الدنيا. ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ﴾: في علم الله القديم الأزلي، أو في اللوح المحفوظ، أو لأن ما وعده الله المتقين في تحققه كالواقع، كأنه قد كان مكتوباً في اللوح المحفوظ، قيل: أن يخلقهم الله بأزمنة متطاولة: أن الجنة مآلهم، ومصيرهم جزاءً لهم على أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: إن قيل: كيف قال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ﴾ ولا خير في النار؟! فالجواب أن سيبويه حكى عن العرب: الشقاء أحب إليك أم السعادة؟ وقد علم: أن السعادة أحبُّ إليه. وقيل: ليس هو من باب: أفعل منك، وإنما هو كقولك: عنده خير، قال النحاس: وهذا قول حسن، كما قال حسان ـ رضي الله عنه ـ يمدح النبي ﷺ، ويهجو أبا سفيان: [الوافر]

أَتَـهْـجُـوهُ، وَلَـسْـتَ لَـهُ بِـكُـفْءٍ؟! فَـشَـرُّكُـمَـا لِـخَـيْـرِكُـمَـا الْـفِـدَاءُ

وقيل: إنما قال ذلك على معنى: علمكم واعتقادكم أيها الكفار، وذلك أنهم لما كانوا يعملون عمل أهل النار، صاروا كأنهم يقولون: إن في النار خيراً. انتهى. أقول: وما آية (يوسف) رقم [٣٩] منك ببعيد.

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَذَٰلِكَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ وتقريع. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿خَيۡرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف. ﴿جَنَّةُ﴾: معطوف على اسم الإشارة، وهو مضاف،

و﴿ٱلْخُلْدِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة الجنة. ﴿وُعِدَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: نائب فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف، وهو العائد؛ إذ التقدير: وعدها المتقون، وهذه الجملة صلة الموصول لا محل لها. ﴿كَانَتْ﴾: فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هي» يعود إلى (الجنة). ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿كَانَتْ﴾؛ لأنه يصح التعليق بالفعل الناقص على المعتمد، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿جَزَآءً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿جَزَآءً﴾: خبر (كانت). ﴿وَمَصِيرًا﴾: معطوف عليه بالواو العاطفة، وجملة: ﴿كَانَتْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾، والرابط: الضمير فقط، وساغ ذلك؛ لأن الفعل كان من أفعال الاستمرار، كما قد نبهت عليه مراراً، وجملة: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿لَّهُمْ﴾: للمتقين. ﴿فِيهَا﴾: في جنة الخلد. ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾: من النعيم، ولعله يَقْصُر هَمُّ كل طائفة على ما يليق برتبتها؛ لأن الظاهر: أن الناقص لا يدرك شيئاً مما هو للكامل بالتشهي. وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة، وما فيها من النعيم دائم؛ لأن من تمام النعيم أن يكون دائماً؛ إذ لو انقطع لكان مشوباً بضرب من الغم، وأنشد في المعنى: [الوافر]

أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدي في سُرُورٍ ... تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالَا

وينبغي أن تعلم: أن الله يزيل كل خاطر عن أهل الجنة مما هو مستحيل وجوده في الجنة كتشهي الولد، بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات إلى غيره. ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ أي: وعد الله عباده المؤمنين إذا دعوه، وسألوه من كرمه، وَجوده أن ينيلهم مسؤولهم، فلذا سألوه بقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾، وقالوا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، وكذلك الملائكة طلبوا للمؤمنين، وسألوا ربهم بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ...﴾ إلخ وما في: ﴿عَلَىٰ﴾ من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده، ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز، فإن تعلق الإرادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للإنجاز.

الإعراب: ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو هما متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع

مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي في محل نصب حال ثانية من جنة الخلد. و﴿يَشَآءُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي يشاؤونه. ﴿خَٰلِدِينَۚ﴾: حال من واو الجماعة منصوب فهي حال متداخلة من وجه، وعلامة نصبه الياء. . إلخ، وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَا﴾، أو يعود على الوعد المفهوم من قوله: ﴿وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ﴾. ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من وعداً، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وقال أبو البقاء: متعلقان بخبر ﴿كَانَ﴾ والمعنى لا يؤيده، ولو قال: متعلقان بـ: ﴿كَانَ﴾ نفسها؛ لكان مقبولاً، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَعْدًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿مَّسْـُٔولًا﴾: صفة وعداً، وجملة: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: يقرأ الفعل بالياء، والنون، والحشر: الجمع، والمراد: بعثهم للحساب، والجزاء. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غير الله من الملائكة، وعيسى، وعزير، والجن، فيكون قد خص العقلاء لقرينة السؤال، والجواب، فتكون (ما) مستعملة في العقلاء فقط، وهذا وجه أول، والوجه الثاني: أن المراد: ما عبد من دون الله جميعاً العقلاء وغيرهم، وغلب غير العاقل على العاقل. والوجه الثالث: أن المراد: ما لا يعقل فقط، والله قادر على أن ينطق الحجارة التي عبدت من دون الله تعالى، أو تتكلم بلسان الحال، كما قيل: في شهادة الأيدي والأرجل، كما رأيت في الآية رقم [٢٤] من سورة (النور). ﴿فَيَقُولُ﴾ أي: الله تعالى للمعبودين. وقرئ الفعل بالنون. ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى﴾: أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم. ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: خرجوا عن الصراط المستقيم بإرادتهم. والمراد بـ: ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ دين الإسلام، وتعاليمه السمحة.

تنبيه: قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: فالله سبحانه قد سبق في علمه بالمسؤول عنه؛ فما فائدة هذا السؤال؟ قلت: فائدته: أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم، فيبهتوا، وينخذلوا، وتزيد حسرتهم، ويكون ذلك نوعاً مما يلحقهم من غضب الله، وعقابه، ويغتبط المؤمنون، ويفرحوا بحالهم، ونجاتهم من فضيحة أولئك، وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفاً للمكلفين، وفيه كسر بيِّن لقول من يزعم: أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه: أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم؟ فيتبرؤون من

إضلالهم، ويستعيذون به أن يكونوا مضلين، ويقولون: بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم، فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر، ونسيان الذكر، وكان ذلك سبب هلاكهم، فإذا برأت الملائكة، والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم، واستعاذوا منه؛ فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة، وتنزيهاً منه، ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضيل بالنعمة، والتمتيع بها، وأسندوا نسيان الذكر، والتسبب للبوار إلى الكفرة، فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ ولو كان هو المضل على الحقيقة؛ لكان الجواب العتيد أن يقولوا: بل أنت أضللتهم. انتهى. كشاف، وهذا مبني على مذهبه في الاعتزال وهو أن العبد يخلق أفعال نفسه، وهذا بخلاف مذهب أهل السنّة، وهو أن الله خالق للعبد، ولعمله. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٤] من سورة (النمل) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يوم): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر. ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: فعل مضارع، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى الله، أو تقديره: «نحن» على قراءته بالنون، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: والذي يعبدونه. ﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، وجملة: «اذكر يوم...» إلخ المقدرة معطوفة على جملة: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فَيَقُولُ﴾: الفاء: حرف عطف. (يقول): فعل مضارع، والفاعل تقديره: «هو»، أو: «نحن» على القراءتين. ﴿ءَأَنتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَضْلَلْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿عِبَادِى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء حرف تنبيه لا محل له. و(أولاء) اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب بدل من ﴿عِبَادِى﴾، أو هو نعت له، أو عطف بيان عليه، وجملة: ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: (يقول...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿يَحْشُرُهُمْ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿ضَلُّوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: مفعول به، أو هو منصوب بنزع الخافض؛ إذ الأصل: «عن السبيل». وجملة: ﴿ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: قال المعبودون من دون الله. ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهاً لك عن الأنداد، والشركاء. وقال البيضاوي: تعجباً مما قيل لهم؛ لأنهم إما ملائكة، أو أنبياء معصومون، أو جمادات لا تقدر على شيء، أو إشعار بأنهم الموسومون بتسبيحه، وتوحيده، فكيف يليق بهم إضلال عبيده، أو تنزيهاً لله عن الأنداد. ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ أي: ما صح، وما استقام لنا أن نوالي أعداءك، بل أنت ولينا من دونهم. وقيل: معناه: ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا، ونحن عبيدك. ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾: بطول العمر، والصحة، والنعمة في الدنيا على جميع أنواعها، فاستغرقوا في الشهوات. ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: أعرضوا عن المواعظ، والإيمان بالقرآن، وقيل: تركوا ذكرك، وغفلوا عنه، فأشركوا بك بطراً، وجهلاً، حتى عبدونا من غير أن نأمرهم به. ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ أي: هلكى، قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مأخوذ من البوار، وهو الهلاك، وقال بعضهم: الواحد: بائر، والجمع: بور، كما يقال: عائذ، وعوذ، وقيل: ﴿بُورًا﴾ عمياً عن الحق، والبوار: الهلاك.

وفي المصباح: بار الشيء يَبُور بُوْراً بالضم: هلك، وبار الشيء بَوَاراً: كَسَد على الاستعارة؛ لأنه إذا ترك صار غير منتفع به، فأشبه الهالك من هذا الوجه، ورجل بائر: فاسد، لا خير فيه، وفي الأساس: (فلان له نورُهُ، وعليك بورُهُ) أي: هلاكه، ونزلت بَوارِ على الكفار، أي: هلاك، ومن المجازات: بارت البياعات: كَسَدَت، وسوق بائرة، وبارت الأيم: إذا لم يرغب فيها، وكان الرسول الله ﷺ يتعوذ من بوار الأيم. وبارت الأرض: إذا لم تزرع، وأرض بوار، وأرضون بور. ودار البوار: جهنم، قال تعالى في حق زعماء الكفار: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ الآية رقم [٢٨] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف في محل نصب مقول القول. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير الشأن محذوف. ﴿يَنۢبَغِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿لَنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿نَّتَّخِذَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿مِن دُونِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما المفعول الثاني له، والكاف

في محل جر بالإضافة. هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف حال من أولياء، كان صفة له فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً».

﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وقرئ: (نُتَّخَذَ) بالبناء للمجهول، وعليه فنائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن»، وهو المفعول الأول، والمصدر المؤول من: ﴿أَن نَّتَّخِذَ﴾ في محل رفع فاعل ﴿يَنۢبَغِى﴾، وجملة: ﴿يَنۢبَغِى لَنَآ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ زائدة فالمعنى لا يأباه، وتكون جملة: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وتكون الجملة، والكلام مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ الآية رقم [٩٢] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. وإن اعتبرت الكلام من باب التنازع؛ فتكون ﴿كَانَ﴾ و﴿يَنۢبَغِى﴾ قد تنازعا في المصدر المؤول، فيعمل فيه أحدهما، ويضمر في الآخر على الاختلاف بين البصريين، والكوفيين أيهما أولى، فالمعنى لا يأباه، وتبقى جملة: ﴿يَنۢبَغِى﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿وَلَـٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك، مهمل لا عمل له. ﴿مَّتَّعْتَهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول. ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (آباءهم): معطوف على الضمير المنصوب، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، وجر. ﴿نَسُوا۟﴾: ماض مبني على الضم في محل نصب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلذِّكْرَ﴾: مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل ﴿نَسُوا۟﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَكَانُوا۟﴾: الواو: واو الحال. (كانوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَوْمًۢا﴾: خبر كان. ﴿بُورًا﴾: صفة له، وجملة (كانوا...) إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وساغ ذلك؛ لأن الفعل (كان) من أفعال الاستمرار، وإن اعتبرت الجملة الفعلية مستأنفة؛ فلست مفنداً، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: يقول الله عند تبري المعبودين. والخطاب مع المشركين. وقال ابن زيد: المعنى: فقد كذبكم أيها المؤمنون هؤلاء الكفار بما جاء به محمد ﷺ. وعلى هذا فمعنى: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: من الحق. ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ أي:

للعذاب. وهذا على القول الأول، والمعنى على قول ابن زيد: فما يستطيعون لكم صرفاً عن الحق الذي هداكم الله إليه. ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ أي: من الله، وهذا على القول الأول، وعلى القول الثاني: ولا نصراً؛ لأنفسهم مما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم إياكم، وقرئ الفعل: ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء والياء. ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أي: يشرك؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن جعل المخلوق شريك خالقه؛ فقد ظلم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. هذا؛ وقيل: إن الخطاب يعم جميع المكلفين من المسلمين والكافرين، فيكون الشرط للعموم، ويشمل الظلم الشرك، وجميع المنكرات. ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾: فسر العذاب بالخلود في النار، وهو يليق بالمشرك، دون الفاسق إلا على قول المعتزلة والخوارج القائلين بتخليد الفاسق في النار. هذا؛ وينبغي أن تعلم: أن بقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم...﴾ إلخ التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب.

الإعراب: ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: زائدة على تقدير: «القول» قبلها، وقيل: الفاء الفصيحة، وليس بقوي. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَذَّبُوكُم﴾: ماض، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف؛ أي: فيقول الله لهم: فقد كذبوكم... إلخ. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿تَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو: بشيء تقولونه. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف تفريع وعطف. (ما): نافية. ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿صَرْفًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿نَصْرًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَظْلِم﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو»، والمفعول محذوف، تقديره: نفسه، أو غيره. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر العائد على (مَنْ)، و(مِنْ) بيان لما أبهم فيها. ﴿نُذِقْهُ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به ثان. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية: ﴿نُذِقْهُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. والجملة الاسمية: ﴿وَمَن...﴾ إلخ مستأنفة بالنسبة لما قبلها، وهي من مقول الله تعالى المقدر.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ...﴾ إلخ: هذا رد لقول المشركين في الآية رقم [٧]. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لمَّا عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة، وقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ...﴾ إلخ حزن النبي ﷺ لذلك، فنزلت تعزية له، فقال جبريل عليه السلام: السلام عليك يا رسول الله! الله ربك يقرئك السلام، ويقول لك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ...﴾ إلخ. ومعنى الآية: أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله، فلا وجه لهذا الطعن، وما أنا إلا رسول، وما كنت بدعاً من الرسل، وهم كانوا مثلي (يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق).

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي: إن الدنيا دار ابتلاء، وامتحان، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس: مؤمن، وكافر، فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني. ومعنى هذا: أن كل واحد مختبر بصاحبه، فالغني ممتحن بالفقير، عليه أن يواسيه، ولا يسخر منه، والفقير ممتحنٌ بالغني، عليه ألا يحسده، ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق.

فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: أنه سمع النبي ﷺ أنه قال: «**وَيلٌ لِلْعالِمِ من الجاهلِ، وويلٌ لِلْجاهِلِ من العالِم، وويلٌ للمالك من المملوكِ، وويلٌ للمملوكِ مِنَ المالِك، وويلٌ للشديد من الضعيف، وويلٌ للضعيفِ من الشديدِ، وويلٌ للسلطان مِنَ الرعيةِ، وويلٌ للرعية مِنَ السُّلْطَانِ، وَبَعْضُهُمْ لِبعضٍ فِتْنَةٌ وهو قوله تعالى**: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ﴾». أسنده الثعلبي، تغمده الله برحمته.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وغيره من الزعماء حين رأوا أبا ذر، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما من فقراء المسلمين، فقالوا على سبيل الاستهزاء: أنسلم، فنكون مثل هؤلاء؟! ولا تنس: الالتفات من المفرد إلى الجمع.

﴿أَتَصْبِرُونَۗ﴾ أي: على هذه الحالة من الفقر، والشدة، والأذى. ولهمزة الاستفهام معادل، تقديره: أم لا تصبرون، وهو يقتضي جواباً، كما قال المزني: بلى ربنا! نصبر، ونحتسب. ونظير هذه الجملة قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾. ولما صبر المؤمنون الأولون؛ أنعم الله عليهم بنعم لا تعد، ولا تحصى، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ أي: بكل امرئ، وبمن يصبر، أو يجزع، ومن يؤمن، ومن لا يؤمن، وبمن أدى ما عليه من الحق، ومن لا يؤدي. وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، يبلغ به النبي ﷺ قال: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إلى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ بالْمَالِ وَالْجِسْمِ، فَلْيَنْظُرْ إلى مَنْ هُوَ دُونَهُ في الْمَالِ وَالْجِسْمِ**». أخرجه البخاري، وغيره. ولمسلم

«انْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ».

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿قَبْلَكَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. وقيل: متعلق بمحذوف حال، وليس بقوي، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، واعتبرت مثله في الآية رقم [٢٥] من سورة (الأنبياء) مفعولاً به. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَيَأْكُلُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (يأكلون): مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿ٱلطَّعَامَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، والرابط: الضمير فقط، قال أبو البقاء: إذ المعنى إلا وهم يأكلون، وهو قول ابن هشام في المغني. وقال الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي كعادتهما: الجملة صفة لموصوف محذوف. والمعنى عندهم: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين، وماشين. وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور، أي: ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ والأول أقوى، وجملة: ﴿وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، وجملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿بَعْضَكُمْ﴾: مفعول به أول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِبَعْضٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من (فتنة) كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿فِتْنَةً﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (تصبرون): فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، وانظر الشرح. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. وهو من أفعال الاستمرار. ﴿رَبُّكَ﴾: اسم (كان) والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بَصِيرًا﴾: خبر (كان) والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الجزء ١٩

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾: لا يؤملون، وأصل الرجاء: الأمل في الشيء، والطماعية فيه، قال الشاعر: [الوافر]

أَتَرْجُو أُمَّةٌ قَتَلَتْ حُسَيْناً شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ

وقيل: معنى ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ هنا: لا يبالون، قال خبيب بن عدي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَرْجُو إِذَا كُنْتُ مُسْلِماً عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

وقد يأتي الرجاء بمعنى الخوف، وبه فسر كثير من المفسرين الآية هنا، وهي لغة تهامة، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في صفة عسَّال، أي الذي يقطف عسل النحل: [الطويل]

إِذَا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلُ

وقال بعض العلماء: لا يقع الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد، أي: النفي، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ وقال بعضهم: بل يقع في كل موضع دل عليه المعنى، وهو المعتمد. ﴿لِقَآءَنَا﴾ أي: بالبعث، والحشر، والنشر، ولا يؤملون خيراً، أو لا يخافون لقاءنا بالشر، وأصل اللقاء: الوصول إلى الشيء، ومنه الرؤية، فإنه وصول إلى المرئي، وأصل «لقاء» لقاي؛ لأنه من: لقي، فقل في إعلاله: تحركت الياء، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين.

﴿لَوْلَآ﴾: هلا. ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيخبروننا بصدق محمد ﷺ، أو يكونون رسلاً إلينا من دونه. ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ أي: جهرةً، وعياناً، فيأمرنا بتصديقه، واتباعه. ونظيره الآية رقم [٩٤] و [٩٥] من سورة (الإسراء).

﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: تعظموا. ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق للأفراد من الأنبياء، الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتها، وما هو أعظم من ذلك. ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: تجاوزوا الحد في الظلم تجاوزاً بالغاً أقصى مراتبه؛ حيث عاينوا المعجزات القاهرة، فأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية؛ لأن الملائكة لا ترى إلا عند الموت، أو عند نزول العذاب، والله تعالى لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، فلا عين تراه. هذا؛ والعتو: العناد، والطغيان، والعاتي: المجاوز للحد في الاستكبار، والعاتي: الجبار أيضاً. وقيل: العاتي: هو المبالغ في ركوب المعاصي، المتمرد الذي لا يقع منه الوعظ، والتنبيه موقعاً. انتهى. مختار. وانظر الآية رقم [٨] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ وقال الزمخشري: وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب، ألا ترى: أن المعنى: ما أشد استكبارهم، وما أكبر عتوهم!. انتهى.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان

بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿نَرَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن». ﴿رَبَّنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَقَدِ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. (عَتَوْا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عُتُوًّا﴾: مفعول مطلق. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿وَعَتَوْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: عند الموت، وقيل: يوم القيامة، وعلى الأول فالمراد: ملائكة الموت، وعلى الثاني فالمراد: ملائكة العذاب. ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: وذلك أن ملائكة الرحمة تبشر المؤمنين بالجنة، والرحمة، ويقولون للمجرمين: لا بشرى لكم بالخير، ولا بشارة لكم بالجنة، كما بشر المؤمنون. ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تقول الملائكة: حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقيل: إذا خرج الكفار من قبورهم تقول الملائكة لهم: حراماً محرماً عليكم أن تكون لكم البشرى. وقيل: هذا قول الكفار للملائكة، وذلك أن العرب كانت إذا نزلت بهم شدة، ورأوا ما يكرهون قالوا: حجراً محجوراً، فهم يقولون ذلك إذا عاينوا الملائكة.

ومعنى الآية على ذلك: أنهم يطلبون نزول الملائكة، وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة؛ كرهوا لقاءهم، وفزعوا منهم؛ لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون، وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة. هذا؛ وانظر شرح الملائكة في الآية رقم [١٠٣] من سورة (الأنبياء) أما ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فالتنوين ينوب عن جملة محذوفة دل عليها ما قبلها؛ أي: يرون الملائكة و(إذ) مضافة لهذه الجملة في الأصل، فحذفت الجملة، وعوض عنها التنوين، وكسرت الذال لالتقاء الساكنين، كما كسرتِ الهاء في: صهٍ، ومهٍ عند تنوينهما، ومثل ذلك قل في: حينئذٍ، وساعتئذٍ، ونحوهما.

هذا؛ والحِجْرُ يطلق على أشياء كثيرة: حجر الإنسان بفتح الحاء وكسرها، وهو ما بين يديه من ثوبه، ويقال: نشأ فلان في حجر فلان؛ أي: تحت رعايته، وعنايته، وهو بفتح الحاء: المنع من التصرفات المالية لصغر، أو سفه، أو فلس، وغير ذلك، والحجر بكسر الحاء، يطلق على الفرس الأنثى، وعلى العقل، قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾، ويطلق على حجر إسماعيل بجوار الكعبة المعظمة، وعلى حجر ثمود؛ أي: بلادهم، وعلى الحرام، كما في هذه الآية، وقال الشاعر: [الطويل]

أَلَا أَصْبَحَتْ أَسْمَاءُ حِجْراً مُحَرَّما وَأَصْبَحْتُ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِهَا حَمَا

أراد: ألا أصبحت أسماء حراماً محرماً. قاله رجل كانت له امرأة، فطلقها، وتزوجها أخوه. أي: أصبحتُ أخا زوجها بعد ما كنت زوجها. وقد نظم بعضهم المعاني المتقدمة بقوله: [البسيط]

رَكِبْتُ حِجْراً، وطُفْتُ الْبَيْتَ خَلْفَ الْحِجْرِ وَحُزْتُ حَجْراً عظيماً في دُخولِ الْحِجرِ

للهِ حَجْرٌ مَنَعَنِي مِنْ دُخُولِ الْحِجْرِ مَا قُلْتُ حِجْراً، وَلَوْ أُعْطِيْتُ مِلْءَ الْحَجْرِ

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: قال أبو البقاء: في العامل فيه ثلاثة أوجه: أحدها: اذكر يوم، والثاني: يعذبون يوم، والكلام الذي بعده يدل عليه، والثالث: لا يبشرون يوم يرون، ولا يجوز أن تعمل فيه البشرى لأمرين: أحدهما: أن المصدر لا يعمل فيما قبله. والثاني: أن المنفي لا يعمل فيما قبل «لا». ﴿يَرَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: مفعول به. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿بُشْرَىٰ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على فتح مقدر على الألف في محل نصب. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: فيه أوجه: أحدها: هو تكرير لـ: ﴿يَوْمَ﴾ الأول، أي: تأكيد له. والثاني: هو خبر ﴿بُشْرَىٰ﴾ فيعمل فيه المحذوف، والجار والمجرور ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ تبيين، أو خبر ثان. والثالث: أن يكون الخبر ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ما يتعلق به اللام. والرابع: أن يعمل فيه ﴿بُشْرَىٰ﴾ إذا قدرت أنها منونة غير مبنية مع ﴿لَا﴾، ويكون الخبر ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، وسقط التنوين لعدم الصرف، ولا يجوز أن يعمل فيه بشرى؛ إذا بنيتها مع ﴿لَا﴾. انتهى. وقال ابن هشام في المغني: ألا ترى أن اليوم لو علق بـ: ﴿بُشْرَىٰ﴾ لم يصح من وجهين: أنه مصدر، وأنه اسم لـ ﴿لَا﴾، انتهى. و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين.

والجملة الاسمية: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، تقديره: تقول الملائكة، أو يقولون، فعلى الأول: الجملة في محل نصب حال من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ وعلى الثاني: الجملة في محل نصب حال من واو الجماعة، وعلى الوجهين الرابط الضمير فقط. (يقولون): فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿حِجْرًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف

واجب الحذف. ﴿مَحْجُورًا﴾: تأكيداً لما قبله؛ أي: فهو صفة مؤكدة، والجملة الناتجة من المصدر، وفعله المحذوف في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿يَرَوْنَ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَدِمْنَآ...﴾ إلخ: أي: وعمدنا إلى ما عمل الكفار في كفرهم من أعمال صالحات كقرى الضيف، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف، وبر الوالدين، والإحسان إلى اليتيم، والأرملة، والمسكين، فأحبطناه لفقد الشرط الأساسي لقبول عمل البر، وهو الإيمان بالإسلام، وبمحمد ﷺ. ففي الآية الكريمة تشبيه حال الكفار، وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم، فقدم إلى أشيائهم، وقصد إلى ما تحت أيديهم، فأفسدها، فمزقها وأبطلها، ولم يبق لها أثراً. والهباء: غبار يرى في شعاع الشمس يدخل من كوة في بيت مظلم. فقد شبه عملهم المحبط في حقارته، وعدم نفعه بالهباء المنثور الذي لا يمكن نظمه، والانتفاع به، ولا يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل. ولا تنس: أن في الكلام استعارة عن كونه لا يقبل الاجتماع، ولا يقع به الانتفاع، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٩] من سورة (النور) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ ومثل هذه الآية في معناها، ومغزاها قوله تعالى في الآية رقم [١٨] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾.

الإعراب: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (قدمنا): فعل، وفاعل. ﴿إِلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ ﴿إِلَىٰ﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: إلى الذي، أو إلى شيء عملوه، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في (ما)، وجملة: ﴿وَقَدِمْنَآ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (جعلناه): فعل ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿هَبَآءً﴾: مفعول به ثان. ﴿مَّنثُورًا﴾: صفة ﴿هَبَآءً﴾، وقيل: من تعدد المفعول الثاني، ولا وجه له، وجملة: ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة. ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾: مكاناً يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس، والتحادث، و﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: مكاناً يأوون إليه للاسترواح بالأزواج،

والتمتع بهن، تجوزاً له من مكان القيلولة على التشبيه، كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب، ولا نوم في الجنة، ولكن الله تعالى سمى مكان استراحتهم إلى الحور العين، وأزواجهم اللاتي دخلن معهم الجنة مقيلاً على طريق التشبيه، وانظر ما ذكرته في مثل هذا التفضيل في الآية رقم [١٥]. هذا؛ وقد جُعِل المؤمنون المطيعون ربَّهم أصحابَ الجنة؛ بمعنى: مالكيها؛ لملازمتهم لها، وعدم انفكاكهم عنها. وقل مثله في أصحاب النار. والمقيل: مكان القيلولة.

الإعراب: ﴿أَصْحَٰبُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ مضاف إليه. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: (يومَ): ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر أول، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، ووقع ظرف الزمان خبراً عن الجثة؛ لأنه أفاد فائدة، قال ابن مالك رحمه الله تعالى: [الرجز]

وَلَا يَكُونُ اسْمُ زَمَانٍ خَبَرا ... عَنْ جُثَّةٍ، وَإِنْ يُفِدْ فَأَخْبِرَا

﴿خَيْرٌ﴾: خبر ثان، ﴿مُّسْتَقَرًّا﴾: تمييز. ﴿وَأَحْسَنُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مَقِيلًا﴾: تمييز أيضاً، وقد حذف المفضل عليه، والتقدير: خير مستقراً من مستقر أهل النار، وأحسن مقيلاً من مقيل أهل النار. هذا؛ وقيل: إن التفضيل ليس على بابه، وليس مراداً هنا وعليه ف: ﴿مُّسْتَقَرًّا﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿خَيْرٌ﴾، و﴿مَقِيلًا﴾ ظرف مكان متعلق بـ (أحسن)، والجملة الاسمية: ﴿أَصْحَٰبُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقيل: الظرف متعلق بـ ﴿خَيْرٌ﴾، والأول أقوى معنىً، وأولى اعتباراً.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾: أصله: تتشقق فحذفت إحدى التاءين للتخفيف، وهو كثير في القرآن الكريم، والكلام العربي. ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي: بسبب طلوع الغمام منها، وهو الغمام المذكور في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. والغمام: سحاب أبيض مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ أي: ينزلون بصحائف العباد إلى الأرض، وذلك لحساب الثقلين من الإنس، والجن. قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: تتشقق سماء الدنيا، فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في الأرض من الجن، والإنس، ثم تشقق السماء الثانية، فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في سماء الدنيا، ثم كذلك حتى تنشق السماء السابعة؛ وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي تليها، ثم ينزل الكُرُوبيون، ثم حملة العرش. هذا؛ وقرئ الفعل: (نُزِّلَ) بقراءات كثيرة، وإذا نزل ملائكة سماء الدنيا؛ اصطفوا حول العالم المجموع في المحشر صفاً، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية؛ اصطفوا خلف هذا الصف،

وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة، كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار والهرب، قال تعالى في سورة (الفجر): ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وقد تقدم لهذا مزيد بسط في آخر سورة (إبراهيم) عند قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ...﴾ إلخ، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر. ﴿تَشَقَّقُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾، وجملة: اذكر يوم... إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَنُزِّلَ﴾: الواو: حرف عطف. (نزل): ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: نائب فاعله. ﴿تَنزِيلًا﴾: مفعول مطلق، وجملة: ﴿وَنُزِّلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿تَشَقَّقُ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة. ﴿ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: الملك الثابت له تعالى؛ لأن كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى إلا ملكه؛ لأن السلطان الظاهر، والاستيلاء الكلي العام الثابت صورةً ومعنىً، ظاهراً، وباطناً بحيث لا زوال له أصلاً، ولا يكون إلا لله تعالى، وهو فحوى قوله تعالى في آخر سورة (الانفطار): ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾: شديداً لما ينالهم فيه من الأهوال، ويلحقهم من الخزي والهوان، وهو على المؤمنين أخف من صلاة مكتوبة.

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فَقُلْتُ: مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**والَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عن المؤمِنِ حتَّى إِنَّهُ يكونُ أخفَّ عليهِ من صلاةِ الْمكتوبةِ يُصَلِّيها في الدُّنْيَا**».

الإعراب: ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله؛ لأنه مصدر. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: صفة ﴿ٱلْمُلْكُ﴾. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (يوم القيامة). ﴿يَوْمًا﴾: خبر (كان). ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿عَسِيرًا﴾ بعدهما. ﴿عَسِيرًا﴾: صفة ﴿يَوْمًا﴾، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية السابقة، أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ من فرط الحسرة، وشدة الندامة، وعض اليدين، وأكل البنان، وحرق الأسنان، ونحوها كنايات عن شدة الغيظ، والحسرة؛ لأنها من روادفهما. هذا؛

والظالم هو الذي يظلم غيره بالاعتداء على حقوقه، أو على كرامته، وحرماته، والظالم هو الذي يظلم نفسه بالكفر، أو بالمعاصي، وارتكاب الفواحش والمنكرات، وكثيراً ما يعبر القرآن عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، وغير ذلك، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يتوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، ولا سيما من قرأ القرآن منهم، واطلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب.

﴿يَـقُولُ يَـٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: طريقاً إلى النجاة، أو طريقاً واحداً، وهو طريق الحق، ولم تتشعب بي طرق الضلالة، والمراد بالرسول هنا: محمد ﷺ.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة وما بعدها في عقبة بن أبي معيط بن أمية، بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان قد نطق بالشهادتين، ثم ارتد عن الإسلام، وسبب نطقه بهما أنه صنع يوماً طعاماً، ودعا الناس إليه، ودعا رسول الله ﷺ، فلما قدم الطعام، قال الرسول ﷺ: «**لا آكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**». فنطق بهما، وأكل ﷺ من طعامه، وكان عقبة صديقاً لأُبيٍّ بن خلف الجمحي، فلما أخبر أُبيٌّ بما وقع لعقبة، قال له: يا عقبة! صبأت، قال: لا والله ما صبأت، ولكن دخل بيتي رجل، فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي، ولم يطعم، فشهدت له، فطعم، فقال: لا أرضى عنك أبداً، حتى تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عقبة، فعاد بزاقه على وجهه، فحرقه، وبقي أثره في وجهه حتى قتل يوم بدر، وأما أُبيّ فقد ضربه النبي يوم أحد بنبل فطعنه، وكان ذلك سبب موته وذهابه إلى جهنم وبئس المصير، وعقاب عقبة في جهنم كما هو نص الآية أنه يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه، ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبتت يده أكلها تحسراً ونَدَامَةً على ما فعل.

الإعراب: ﴿وَيَوۡمَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (يوم): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر. ﴿يَعَضُّ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلظَّالِمُ﴾: فاعله. ﴿عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء، نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَعَضُّ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (يوم) إليها، وجملة: (اذكر يوم...) إلخ معطوفة على جملة: اذكر يوم تشقق... إلخ المقدرة، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿يَـقُولُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلظَّالِمُ﴾. (يا): حرف تنبيه، وقيل: أداة نداء، والمنادى محذوف، تقديره: يا قوم ونحوه، والأول أقوى، كما يؤخذ من قول ابن هشام في المغني. (ليتني): حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿ٱتَّخَذۡتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَعَ﴾:

ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من: ﴿سَبِيلًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وقيل: مفعول ثان، وليس بشيء، و(مع) مضاف، و﴿ٱلرَّسُولِ﴾ مضاف إليه. ﴿سَبِيلًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ٱتَّخَذْتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (ليت)، والجملة الاسمية: ﴿يَـٰلَيْتَنِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿ٱلظَّالِمُ﴾، والرابط: الضمير فقط.

﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ﴾: دعاء بالثبور والهلاك على مخالفة الكافر ومتابعته، قال الزجاج: أصلها يا ويلتي، فأبدل من الياء ألفاً؛ لأنها أخف من الياء والكسرة. هذا؛ وقرئ بالياء على الأصل، قال البيضاوي: أصله في الشر، فأطلق في كل أمر فظيع. انتهى. أقول: وهي كلمة تحسر وتلهف على ما فات، وتستعمل عند الداهية العظيمة، وجاءت للتعجب في الآية رقم [٧٢] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾: فلان كناية عن الأعلام، وإن أريد به الجنس، فكل من اتخذ من المضلين خليلاً، كان اسم علم لخليله لا محالة، فجعله كناية عنه، وقيل: هو كناية عن الشيطان بدليل الآية التالية، وفي الجمل نقلاً عن السمين: فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور، وهو منصرف، و«فل» كناية عن نكرة من يعقل من الذكور، وفلانة كناية عن علم من يعقل من الإناث، و«فلة» كناية عن نكرة من يعقل من الإناث، والفلان والفلانة بالألف واللام كناية عن غير العاقل، ولام فل وفلان فيها وجهان: أحدهما: أنها واو، والثاني: أنها ياء انتهى. والخليل: الصاحب، والصديق الذي صفت مودته، فتجد من خلاله مثل ما يجد من خلالك، ويسعى لمصلحتك، كما يسعى لمصلحته، بل قد يؤثرك على نفسه، ويبذل روحه من أجلك، كما قال ربيعة بن مقروم الضبي: [الوافر]

أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو ... مَوَدَّتَهُ، وإنْ دُعِي اسْتَجَابَا

إذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي ... وَزَادَ سِلاحَهُ مِنْكَ اقْتِرَابَا

وهو معدوم في هذا الزمن الذي فسد أهله، وصاروا خلّاً ودوداً كما قال القائل: [الوافر]

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ خِلٍّ وَدُودِ ... فَقَالُوا النَّاسُ مِنْ خَلٍّ وَدُودِ

فَقُلْتُ أَلَيْسَ فِيهِم ذُو وَفَاءٍ؟ ... فَقَالُوا كَانَ ذَلِكَ فِي الجُدُود

احفظ هذين البيتين، ولا تنس ما فيهما من الجناس التام. لذا فإنه لا وجود للصديق، بالمعنى الحقيقي، بل صار وجوده مستحيلاً كما قال القائل: [الكامل]

قَدْ قِيلَ إنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلاثَةٌ ... الْغُولُ والْعَنْقَاءُ والْخِلُّ الْوَفِي

وقال الآخر: [الوافر]

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ خِلٍّ وَفِيٍّ ... فَقَالُوا ما إلى هذا سَبِيلُ
تَمَسَّكْ إنْ ظَفِرْتَ بِذَيْلِ حُرٍّ ... فَإنَّ الْحُرَّ في الدنيا قَلِيلُ

ومما هو جدير بالذكر: أن كل صداقة لا تكون على أساس من التقوى تنقلب عداوة في الدنيا والآخرة، خذ قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الآية رقم [٦٧] من سورة (الزخرف) انظر شرحها هناك. وانظر نتيجة صداقة إبليس في الآية رقم [٢٢] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وفي سورة (قٓ) أيضاً.

الإعراب: (يا): حرف نداء ينوب مناب: أدعو. (ويلتا): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وقد قلبت الياء ألفاً في إحدى القراءتين كما رأيت، والياء في محل جر بالإضافة، وأصل النداء أن يكون لمن يعقل، وقد ينادى ما لا يعقل مجازاً، مثل: يا أسفي ونحوه، والمعنى هنا: أيها الويل احضر، فهذا أوان حضورك. ﴿لَيْتَنِي﴾: حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم اسمها. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿أَتَّخِذْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿فُلَانًا﴾: مفعول به أول. ﴿خَلِيلًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿لَمْ أَتَّخِذْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (ليت)، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: يقول الظالم النادم، لقد أضلني من اتخذته في الدنيا صديقاً، وصاحباً عن القرآن، والإيمان به. وقيل: ﴿عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: عن الرسول، والأول أقوى لوروده في كثير من الآيات بمعنى الذكر. ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ أي: هديت إليه، وتمكنت منه. ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: الخليل المضل، أو إبليس؛ لأنه حمله على مصاحبته، وطاعته فيما أراد منه، ومخالفته للرسول ﷺ، أو كل من تشيطن، وتمرد عن الحق فهو يدعو إلى الضلال سواء أكان من الجن، أو من الإنس. ﴿لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾: الخذل: الترك من الإغاثة، وهذا دأب الضالين المضلين من الإنس، والجن، يوالون الإنسان، ويتقربون إليه؛ حتى يودون به إلى الهلاك، ثم يتركونه ولا ينفعونه بشيء، ومنه خذلان إبليس للمشركين لما ظهر لهم في صورة سراقة بن مالك يوم غزوة بدر، فلما رأى الملائكة؛ تبرأ منهم، وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أكبر دليل على ذلك.

تنبيه: نزلت الآيات الثلاث في عقبة بن أبي معيط وأُبيِّ بن خَلَف، وخصوص السبب لا يمنع التعميم، والحكم عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله تعالى إلى يوم القيامة. وقد بين الرسول ﷺ الفوائد، والمنافع التي يكتسبها الإنسان من مجالسة الأخيار، والمفاسد والمضار التي تتسبب من مخالطة الأشرار. وخذ ما يلي: فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الجليس الصالحِ والجليس السوءِ، كحامِلِ المسكِ، ونافِخِ الكيرِ، فحامِلُ المِسْكِ إمَّا أَنْ يحْذِيكَ، وإما أَنْ تَبْتَاعَ مِنه، وإمَّا أن تجد منه ريحاً طيّبَةً. ونافخ الكير إما أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أن تجد منه ريحاً خبيثةً**». متفق عليه. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمَرْءُ على دينِ خليلِهِ فلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ**». أخرجه أبو داود، والترمذي. ولهما عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصاحِبْ إلَّا مؤمناً، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ**». وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قيل: يا رسولَ اللهِ! أَيُّ جلسائِنا خَيْرٌ؟ قالَ: «**مَنْ ذَكَّرَكُم بالله رؤْيَتُهُ، وزاد في علمِكمْ منْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بالآخِرَةِ عَمَلُهُ**». رواه البزار. وقال مالك بن دينار: إنك إن تنقُل الأحجارَ مع الأبرارِ خيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تأْكُلَ الخبيصَ مع الفجارِ. والخبيص: حلواء تصنع من التمر، والسمن، وأنشد: [الطويل]

وَصَاحِبْ خِيَارَ الناسِ تَنْجُ مُسَلَّما ... وَصَاحِبْ شِرَارَ النَّاسِ يَوْماً فَتَنْدَمَا

وقال عدي بن زيد العبادي، وهما في معلقة طرفة بن العبد: [الطويل]

عَنِ المرءِ لَا تَسْأَلْ؛ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بالْمقارِنِ يَقْتَدِي

إِذَا كُنْتَ في قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... وَلَا تَصْحَبِ الأردَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

الإعراب: ﴿لَّقَدۡ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَضَلَّنِي﴾: فعل ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى (فلان)، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بَعۡدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله أيضاً، وقيل: متعلق بمحذوف حال، ولا وجه له. و﴿بَعۡدَ﴾ مضاف، و﴿إِذۡ﴾ ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محلَ جر بالإضافة. ﴿جَآءَنِيۗ﴾: فعل ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾، والجمل الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: اسم (كان). ﴿لِلۡإِنسَٰنِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿خَذُولٗا﴾: خبر (كان)، وهو مبالغة اسم الفاعل، وجملة ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها من كلام الله، وليست من مقول الظالم، وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾: النبي ﷺ، وقوله هذا في الدنيا بثاً إلى الله، أو في الآخرة شكوى إليه تعالى. ﴿إِنَّ قَوْمِى﴾ أي: قريشاً. ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾: أعرضوا عنه، واستكبروا، وقالوا فيه غير الحق من أنه سحر، وشعر، وكهانة، وأساطير الأولين... إلخ، فعزاه الله بالآية التالية. وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّقَ مُصْحَفَهُ وَلَمْ يَتَعَاهَدْه، وَلَمْ يَنْظُرْ فِيه جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَعَلِّقاً بِه، يَقولُ: يا رَبَّ الْعَالمِينَ، إنَّ عَبْدَكَ هَذَا اتَّخَذَنِي مَهْجوراً، فَاقْضِ بَيْنِي وبَيْنَهُ**». ذكره الثعلبي، وانظر سورة (الإسراء) رقم [٧٨] فهو جيد.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: فاعله. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (رب): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، وانظر شرح (رب) في الآية رقم [٩٤] من سورة (المؤمنون)، وإعراب مثله في الآية رقم [٢٣] منها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿قَوْمِى﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿هَـٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿مَهْجُورًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ قَوْمِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، كالجملة الندائية قبلها، وجملة: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا...﴾ إلخ أي: كما جعلنا لك يا محمد عدواً من مشركي قومك، وهو أبو جهل وغيره، فكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من مشركي قومه، فاصبر لأمري كما صبروا، فإني متوليك بالهداية، والتوفيق لما أحبه، وأرضاه، وناصرك على أعدائك، والعدو يكون واحداً، ويكون جمعاً، وانظر شرحه في الآية رقم [٣٩] من سورة (طه)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله الفعل بعده، التقدير: جعلنا لكل نبي عدوّاً جعلاً كائناً مثل جعل أبي جهل وأمثاله عدوّاً لك، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل.

﴿لِكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول، وكل مضاف، و﴿نَبِيٍّ﴾ مضاف إليه. ﴿عَدُوًّا﴾: مفعول به أول. ﴿مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿عَدُوًّا﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الفعلية: ﴿وَكَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَكَفَىٰ﴾: الواو: واو الاستئناف. (كفى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بِرَبِّكَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (ربك): فاعل (كفى) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿هَادِيًا﴾: تمييز، وأجيز اعتباره حالاً. ﴿وَنَصِيرًا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَكَفَىٰ...﴾ إلخ مستأنفة، أو معطوفة على ما قبلها لا محل لها على الاعتبارين، والحالية ضعيفة فيها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾: اختلف في قائل ذلك على قولين: أحدهما: أنهم كفار قريش، قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. الثاني: أنهم اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقاً، قالوا: هلا أنزل عليه جملة واحدة، كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود على نبينا، وعليهم أجمعين ألف صلاة، وألف سلام، فقال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: نقوي به قلبك، فتعيه، وتحمله؛ لأن الكتب المتقدمة إنما أنزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون، والقرآن إنما أنزل على نبي أمي، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، فالمتأخر قد نسخ كثيراً من الآيات المتقدمة، أو نسخ بعض أحكامها، ولأن منه ما هو جواب لمن سأل عن شيء، ولأن منه ما نزل لحل مشكلة حصلت في عهد النبي ﷺ، فتفريقه كان أوعى للنبي ﷺ، وأيسر على العامل به، وحفظه أسهل، فكان كلما نزل وحي جديد زاد قلب النبي ﷺ قوةً وثباتاً، وازداد المؤمنون به إيماناً فوق إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾. رقم [٢] من (الأنفال).

فإن قيل: هلا أنزل دفعة واحدة وحفظه؛ إذ كان ذلك في قدرته، فالجواب: أن في قدرة الله أن يعلم نبيه القرآن كله في لحظة واحدة، ولكنه لم يفعل، ولا معترض عليه تعالى في حكمه، وقد بينا وجه الحكمة ظاهراً في ذلك، ولله في كتابه، وقضائه، وقدره أسرار حيرت ذوي العقول، والأبصار. ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة وتمهل في ثلاث وعشرين سنة.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون المعنى: وأمرنا بترتيل قراءته، وذلك قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ أي: اقرأه بترسل، وتثبت، ومنه حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في صفة قراءته ﷺ: «**لا كَسَرْدِكُمْ هَذَا، لَوْ أَرَادَ السامِعُ أَنْ يَعُدَّ حُروفَهُ لَعَدَّها**». انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿نُزِّلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: نائب فاعل ﴿نُزِّلَ﴾. ﴿جُمْلَةً﴾: حال من ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: مجتمعاً. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة لها، وجملة: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (قال الرسول...) إلخ فتكون الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا...﴾ إلخ معترضة بين المتعاطفتين، أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف مع عامله، التقدير: نزلنا تنزيلاً مثل ذلك التنزيل. هذا؛ وإن اعتبرت الكاف اسماً فالمحل لها، وتكون مضافة، واسم الإشارة في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لِنُثَبِّتَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن». ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فُؤَادَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والفعل نثبت في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل المقدر المحذوف، وجملة: «نزلناه كذلك...» إلخ المقدرة في محل نصب مقول القول لقول محذوف، أي قال الله تعالى: (نزلناه كذلك...) إلخ؛ لأنها ليست من مقول الذين كفروا، وجملة: قال الله تعالى... إلخ مستأنفة، لا محل لها. (رتلناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: «نزلناه» المقدرة فهي من مقول الله تعالى المحذوف المقدر. ﴿تَرْتِيلًا﴾: مفعول مطلق.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: بسؤال عجيب كأنه مثل في البطلانِ يريدون به القدح في نبوتك. ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إلا أتيناك بالجواب الحق الدامغ لما يسألونه، وقيل: (لا يأتونك بمثل) كقولهم في صفة عيسى: إنه خلق من غير أب، وألحق ما فيه نقض حجتهم كآدم؛ إذ خلق من غير أب وأم. ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: تفصيلاً، والمعنى: أحسن من مثلهم تفصيلاً، وبياناً، فحذف لفهمه من المقام، أو المعنى: لا يأتونك بحال، وصفة عجيبة، مثل قولهم: هلا أنزل عليك القرآن جملة واحدة إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا أن تعطاه،

وما هو أحسن تكشيفاً لما بعثت عليه، ودلالةً على صحته، يعني: إن تنزيله مفرقاً، وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق، كلما نزل شيء منها دخل في الإعجاز من أن ينزل كله جملة.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَأْتُونَكَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والكاف مفعوله. ﴿بِمَثَلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿جِئْنَاكَ﴾: فعل ماض، و(نا): فاعله، والكاف مفعول به. ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أوهما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول، والجملة الفعلية: ﴿جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، وهي على تقدير قد قبلها. (أحسن): معطوف على (الحق) مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للصفة ووزن أفعل. ﴿تَفْسِيرًا﴾: تمييز.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً قال: يا رسول الله! قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أيحشر الكافر على وجهه؟! فقال ﷺ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ على الرِّجْلَيْنِ في الدُّنْيَا قَادِرٌ على أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!**» قال قتادة رحمه الله تعالى حين بلغه: بلى وعزة ربنا! رواه البخاري ومسلم، وانظر الآية رقم [٩٧] من سورة (الإسراء)، والآية رقم [١٠٢] من سورة (طه) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: مكانةً ومنزلةً، أو مسكناً ومنزلاً. ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: أخطأ طريقاً، والطريق لا تضل، وإنما هو من الإسناد المجازي للمبالغة، والمعنى: إن حاملكم على هذه الأسئلة أنكم تضلون سبيله، وتحتقرون منزلته ومكانته، ولو نظرتم بعين الإنصاف، وأنتم من المسحوبين على وجوههم؛ لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه، ومنزلة سبيلكم أضل من سبيله. هذا؛ وانظر الآية رقم [٩٧] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني، أو أذم. أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، أو هو في محل رفع مبتدأ خبره ما يأتي. ﴿يُحْشَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو نائب فاعله، والجمل الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، التقدير: يحشرون مكبوبين على وجوههم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿شَرٌّ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مَّكَانًا﴾:

تمييز. ﴿وَأَضَلُّ﴾: معطوف على ﴿شَرٌّ﴾. ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿أُولَٰئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة على الأوجه المتقدمة في الموصول، وفي محل رفع خبره على اعتباره مبتدأ، وجملة: ﴿الَّذِينَ...﴾ إلخ سواء أكانت فعلية، أم اسمية، فهي مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥)﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة. ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ...﴾ إلخ: الواو في هذه الآية لمطلق الجمع، ولا تفيد ترتيباً؛ لأن من المعلوم أن إيتاء التوراة، كان بعد إيتاء الرسالة لموسى وهارون بنحو من ثلاثين سنة، وكذلك الفاء في الآية التالية لا تفيد تعقيباً ولا ترتيباً؛ لأن كلاً من الجعل والقول، كان قبل إيتاء التوراة كما علمت. وانظر شرح الآية رقم [٢٩] من سورة (طه) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ وقال البيضاوي في معنى ﴿وَزِيرًا﴾: يوازره في الدعوة، وإعلاء الكلمة، ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة، فإن المتشاركين في الأمر متوازران عليه، وأيضاً فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء، ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿آتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مُوسَى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف. ﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به ثان. وجملة: ﴿وَلَقَدْ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له، المراد منه تسلية النبي ﷺ بحكاية ما جرى بين الأنبياء وبين أقوامهم حكاية إجمالية كافية فيما هو المقصود. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَخَاهُ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَارُونَ﴾: بدل من ﴿أَخَاهُ﴾، أو عطف بيان عليه. ﴿وَزِيرًا﴾: مفعول به ثان. هذا؛ وقيل: ﴿وَزِيرًا﴾ حال، والمفعول الثاني (معه) ولا وجه له، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. هذا؛ وانظر إعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾ في سورة (طه) رقم [٣٧] فهو جيد.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦)﴾

الشرح: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ﴾ أي: إلى فرعون وقومه. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: فذهبا إليهم، فأبلغاهم الرسالة، فكذبوهما. هذا؛ وقال الجمل: إن كان المراد بالآيات مصنوعات الله تعالى الدالة على انفراده بالملك والعبادة، فالأمر ظاهر، وإن كان المراد بها

خصوص الآيات التسع التي جاء بها موسى للقبط لم يظهر، وذلك؛ لأن وقت الأمر بالذهاب إلى القبط، لم يكونوا قد رأوا شيئاً من الآيات التسع حتى يكلموا بها؛ لأن الأمر بالذهاب إليهم كان في واقعة الطور، وهي كانت قبل مجيء مصر، ومخاطبة فرعون وقومه، فلا تخلص إلا بحمل الماضي على معنى الاستقبال، أي: سيكذبوا بآياتنا انتهى. نقلاً عن شيخه. ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾: قال البيضاوي: أي: فذهبا إليهم، فكذبوهما، فدمرناهم تدميراً، فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاءً بما هو المقصود، وهو إلزام بالحجة ببعثة الرسل، واستحقاق التدمير بتكذيبهم. هذا؛ والتدمير الإهلاك بأمر عجيب، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَقُلْنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (قلنا): فعل، وفاعل. ﴿ٱذْهَبَآ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله. ﴿إِلَى ٱلْقَوْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة ﴿ٱلْقَوْمِ﴾، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. (دمرناهم): ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، انظر تقديرها في الشرح، وجملة: ﴿ٱذْهَبَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (فقلنا...) إلخ معطوفة على جواب القسم في الآية السابقة، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة (قلنا...) إلخ لا محل لها أيضاً.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾: ذكر الله جنس الرسل، والمراد: نوح وحده؛ لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا نوح وحده، فنوح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ إنما بعث بلا إله إلا الله، وبالإيمان بما ينزل الله، فلما كذبوه؛ كان في ذلك تكذيب لكل من بعث بعده بهذه الكلمة، وقيل: إن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل؛ لأنهم لا يفرق بينهم في الإيمان، ولأنه ما من نبي إلا يصدق سائر أنبياء الله، فمن كذب منهم نبياً، فقد كذب كل من صدقه من النبيين. انتهى. قرطبي. ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: جعلنا إغراقهم، أو قصتهم. ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ أي: علامة ظاهرة على قدرتنا. ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: هيأنا. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: قوم نوح ومن سار على طريقتهم، وانظر التعبير عن الكافرين، في الآية رقم [٢٧]. ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: في الآخرة، وتلك سنة الله في الكافرين والجاحدين، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولا تحويلاً. هذا؛ وانظر قصة نوح مع قومه مفصلة في سورة (هود) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿وَقَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (قوم): في نصبه أربعة أقوال: الأول: العطف على الضمير المنصوب، فيكون المعنى: ودمرنا قوم نوح. الثاني: أنه منصوب بفعل محذوف،

تقديره: اذكر. الثالث: أنه منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده، التقدير: وأغرقنا قوم نوح أغرقناهم. الرابع: أنه منصوب بـ: ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ قاله الفراء، ورده النحاس، قال: لأن «أغرقنا» ليس مما يتعدى إلى مفعولين، فيعمل في المضمر وفي (قوم نوح)، وأقوى هذه الأقوال أولها: و(قوم) مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه. ﴿لَّمَّا﴾: حرف وجود لوجود. عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿كَذَّبُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على القول بحرفية ﴿لَّمَّا﴾، وهي في محل جر بإضافة ﴿لَّمَّا﴾ إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿ٱلرُّسُلَ﴾: مفعول به. ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية جواب ﴿لَّمَّا﴾، لا محل لها، و﴿لَّمَّا﴾ ومدخولها في محل نصب حال من (قوم نوح)، والرابط: الضمير في الجملتين، وعلى هذا فلا يتأتى الوجه الثالث في قوم نوح، لأن أغرقناهم حينئذ جواب ﴿لَّمَّا﴾، جوابها لا يفسر غيره، وإنما يتأتى على اعتبار ﴿لَّمَّا﴾ ظرف زمان متعلقاً بالفعل (أغرقنا) مجرداً من معنى الشرطية. تأمل. (جعلناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ءَايَةً﴾، كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: الواو: واو الحال. (أعتدنا): فعل، وفاعل. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ ﴿أَلِيمًا﴾ بعدهما. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به. ﴿أَلِيمًا﴾: صفته، وجملة: (أعتدنا...) إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، وإعادة (الظالمين) بلفظه بدلاً من الضمير، وضعاً للظاهر موضعه تسجيلاً عليهم بوصف الظلم للمبالغة، و«قد» مقدرة قبل الجملة.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَعَادًا﴾ أي: قوم عاد الذين كذبوا نبيهم هوداً، فأهلكهم الله بالريح العقيم. ﴿وَثَمُودَا۟﴾: هم قوم صالح، فأهلكهم الله بالرجفة، وقد كثر ذكر هاتين القبيلتين في كثير من السور، وانظر سورة (هود) وسورة (الأعراف) ففيهما تفصيل أكثر من غيرهما. ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾: الرس في كلام العرب البئر التي تكون غير مطوية، والجمع: رساس، قال الشاعر: [المتقارب]

وَهُمْ سَائِرُونَ إِلَى أَرْضِهِمْ فَيَا لَيْتَهُمْ يَحْفِرُونَ الرِّسَاسَا

والرس: اسم واد في قول زهير بن أبي سلمى المزني في معلقته: [الطويل]

فَهُنَّ لِوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ ... بَكَرْنَ بُكُوراً، واسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ

ورسست رساً: حفرت بئراً، ورُسَّ الميت: أي قُبر، والرس: الإصلاح بين الناس، والإفساد، أيضاً، فهو من الأضداد. هذا؛ وفي الرس وفي أصحابه أقوال كثيرة أنقلها لك من القرطبي وغيره، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سألت كعباً عن أصحاب الرس، قال: صاحب (يس) الذي قال: (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) قتله قومه، ورسُّوه في بئر لهم، يقال له: الرّس، طرحوه فيها. وكذا قال مقاتل. وقال السدي: هم أصحاب قصة (يس) أهل أنطاكية، والرس: بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار مؤمن آل (يس) فنسبوا إليها.

وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: هم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر، فدعا عليهم نبيهم، وكان من ولد يهوذا، فيبست الشجرة، فقتلوه، ورسُّوه في بئر، فأظلتهم سحابة سوداء، فأحرقتهم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هم قوم بأذربيجان، قتلوا أنبياء، فجفت أشجارهم وزروعهم، فماتوا جوعاً، وعطشاً.

وقال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر يقعدون عليها، وأصحاب مواش، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم شعيباً، فكذبوه وآذوْه، وتمادوْا على كفرهم وطغيانهم، فبينما هم حول البئر في منازلهم، انهارت بهم، وبديارهم، فخسف الله بهم، فهلكوا جميعاً.

وقال قتادة: أصحاب الرس وأصحاب الأيكة أمَّتان، أرسل الله إليهما شعيباً، فكذبوه، فعذبهما الله بعذابين. قال قتادة: والرس قرية بفَلْج اليمامة. وقال الكلبي: أصحاب الرس قوم أرسل الله إليهم نبياً فقتلوه، وهم أول من عمل نساؤهم السُّحْق؛ ذكره الماوردي. وقيل: هم أصحاب الأخدود، الذين حفروا الأخاديد، وحرقوا فيها المؤمنين. وقيل: هم بقايا من قوم ثمود، وأن الرس البئر المذكورة في الحج رقم [٤٥].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: كان نبي يقال له: حنظلة بن صفوان، فقتلوه، فأهلكهم الله تعالى. وأخيراً أذكر أنه يوجد بين الحجاز ونجد قرية تسمى: الرس، وهي مأهولة بالسكان، فيكون حنظلة بن صفوان ـ وهو عربي ـ أرسل إلى هذه القرية، ولا تزال معالمها قائمة إلى أيامنا هذه.

هذا؛ وزاد البيضاوي في أصحاب حنظلة النبي: ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون، وسموها عنقاء لطول عنقها، وتسكن جبلهم الذي يقال له: فتخ، أو دمخ، وتنقض على صبيانهم، فتخطفهم إذا أعوزها الصيد، ولذلك سميت مغرباً، فدعا عليها حنظلة، فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوه، فأهلكوا، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: وأهلكنا قروناً كثيراً بين عاد، وثمود، وأصحاب الرس لا يعلمها إلا الله. والإشارة راجعة إلى تلك القرون الكثيرة فلذا صح دخول «بين» عليها؛ لأنها لا تدخل

إلا على متعدد لفظاً، أو حكماً، وهي ظرف مكان بمعنى: وسْط بسكون السين، تقول: جلست بين القوم، كما تقول: جلست وسْط القوم. هذا؛ والبين: الفراق، والبعاد، وهو أيضاً: الوصل، فهو من الأضداد، كالجَوْن يطلق على الأسود، والأبيض، ومن استعماله بمعنى الوصل ما قرئ به في سورة (الأنعام) الآية رقم [٩٤]: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ حيث قرئ برفعه، ومن استعماله بمعنى الفراق، والبعاد قول كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ في قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ: [البسيط]

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

هذا؛ والقرون جمع قرن، بفتح القاف وسكون الراء، وهو مئة سنة على الصحيح، وقيل: ثمانون، وقيل: ثلاثون. ويقال: القرن في الناس أهل زمان واحد، وهو المراد في الآية الكريمة ونحوها، وقال الرسول ﷺ: «**خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي... إلخ**». ومنه قول الشاعر: [الطويل]

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمِ ... وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

وخذ قول لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ ... لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الأَوَائِلُ

والقرن بفتح القاف أيضاً: الزيادة العظمية التي تنبت في رؤوس بعض الحيوانات، ومنه إسكندر ذو القرنين. والقرن: الجبل الصغير، وذؤابة المرأة من الشعر، والقرن من القوم: سيدهم، ومن السيف: حده ونصله، وجمعه في كل ما تقدم: قرون. هذا؛ وهو بكسر القاف، وسكون الراء: الكفؤ في الشجاعة، والعلم، ونحوهما، والجمع على هذا: أقران.

الإعراب: ﴿وَعَادًا﴾: الواو: حرف عطف. (عاداً): معطوف على (قوم نوح) وهو على معنى: وأهلكنا عاداً، أو هو معطوف على الضمير المنصوب بقوله (دمرناهم) أو بقوله (جعلناهم) كما جوز اعتباره منصوباً بفعل محذوف تقديره: اذكر عاداً. ﴿وَثَمُودَاْ﴾: معطوف على ما قبله، ويقرأ بتنوينه مصروفاً على إرادة الأب، أو الحي. ﴿وَأَصْحَٰبَ﴾: معطوف على ما قبله، و(أصحاب) مضاف، و﴿ٱلرَّسِّ﴾ مضاف إليه. (قروناً): معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة: (قروناً)، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة ثانية لـ (قروناً).

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين، ووصفنا لهم ما فعلوا من تكذيب الأنبياء، وجرى عليهم ما جرى من عذاب الله، وتدميره.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: أهلكناه إهلاكاً، والتتبير: التفتيت، والتكسير، ومنه: التبر، وهو كسار الفضة، والذهب، وانظر شرح المثل في الآية رقم [٦٠] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿وَكُلًّا﴾: الواو: حرف عطف. (كلاً): مفعول به لفعل محذوف، دل عليه ما بعده، التقدير: وأنذرنا، أو حذرنا، أو خوفنا. ﴿ضَرَبْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مفسرة لما قبلها؛ لأنها دالة عليها، والأولى معطوفة على ما قبلها من جمل. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بما قبلهما. و﴿الْأَمْثَالَ﴾: مفعول به. ﴿وَكُلًّا﴾: الواو: حرف عطف. (كلاً): مفعول به مقدم. ﴿تَبَّرْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿تَتْبِيرًا﴾: مفعول مطلق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ يعني: قريشاً مروا مراراً في متاجرهم إلى الشام، و«أتى» يستعمل متعدياً بنفسه، أو بـ: «إلى» وقد عدَّاه هنا بـ: «على»؛ لأنه بمعنى: مروا كما رأيت. ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾: أراد جنس القرى، وعبر بواحدة عن الجميع، وهي خمس قرى؛ لأنها عظمى قرى قوم لوط، واسمها سذوم بالذال، أو بالدال. ﴿أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ أي: بالحجارة من السماء، أي: بعد جعل عاليها سافلها، فأهلك الله أربعاً من القرى، ونجت واحدة، وهي أصغرها، وقد كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾: في مرورهم عليها، فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾، وقال جل شأنه: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ الأولى رقم [١٣٧] من سورة (الصافات)، والثانية رقم [٧٩] من سورة (الحجر). ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يؤملون، أو: لا يخافون، وانظر الآية رقم [٢١]. ﴿نُشُورًا﴾ أي: بعثاً، وحساباً؛ لأنهم كانوا كفرة، لا يتوقعون ذلك، فلذلك لم ينظروا، ولم يتعظوا، فمروا بها كما مرت ركابهم، وانظر شرح ﴿الْقَرْيَةِ﴾ في الآية رقم [٦] من سورة (الأنبياء)، وشرح ﴿السَّوْءِ﴾ في الآية رقم [٧٤] منها. هذا؛ وانظر قصة لوط في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) مفصلة تفصيلاً كافياً.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿أَتَوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق، وجملة: (لقد أتوا...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه مستأنف لا محل له، وهو في المعنى معطوف على مثله في الآية رقم [٣٥]. ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿الْقَرْيَةِ﴾. ﴿أُمْطِرَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿الْقَرْيَةِ﴾ تقديره: «هي». ﴿مَطَرَ﴾: مفعول مطلق مبين للهيئة، وأجاز أبو البقاء اعتباره مفعولاً ثانياً، ولا وجه له، و﴿مَطَرَ﴾ مضاف، و﴿السَّوْءِ﴾ مضاف إليه، والجملة

الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام متضمن معنى التوبيخ والتقريع، الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. لم: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكُونُوا۟﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَرَوْنَهَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . .إلخ، والواو فاعله. و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿يَكُونُوا۟﴾، وهذه الجملة معطوفة على جملة محذوفة يقتضيها المقام، التقدير: ألم يكونوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرونها، أو أكانوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرونها في مرات مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود، والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب، أو حرف انتقال. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْجُونَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان). ﴿نُشُورًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، أو معطوفة على ما قبلها، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ أي: أبو جهل، وأمثاله، والخطاب للنبي ﷺ. ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: سخريةً واستهزاءً، وقد أخذ الله المستهزئين بالرسول ﷺ أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ الآية رقم [٩٥] من سورة (الحجر). هذا؛ وهزواً مصدر: هزأ يهزأ هزأ من باب فتح، ويأتي أيضاً من باب: تعب، والمصدر يأتي بضم الزاي، وسكونها، وتخفيف الهمزة، فتقلب واواً، وقد قرئ بهما، وهما قراءتان سبعيتان. هذا؛ والاستهزاء بالناس حرام قطعاً، وآية (الحجُرات) الناهية عن السخرية، والاستهزاء بالناس معروفة، وأحاديث النبي ﷺ الناهية عن ذلك كثيرة، ومسطورة، ومشهورة. ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾: أرادوا بهذا الاستفهام التقرير والتحقير. نزلت الآية الكريمة في أبي جهل، وغيره من المستهزئين، وهي شبيهة بالآية رقم [٣٦] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [١٢]. ﴿رَأَوْكَ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والكاف مفعوله، وقد اكتفى الفعل به؛ لأنه بصري، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿إِن﴾: نافية. ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . .إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها من الإعراب، وهي مخالفة لأدوات الشرط في

ذلك، فإن أدوات الشرط متى أجيبت بـ: «إنْ» النافية، أو بـ: «ما» أو بـ: «لا» وجب اقترانها بالفاء، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب. ﴿أَهَٰذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير وتحقير. الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿بَعَثَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿رَسُولًا﴾: حال من الضمير المنصوب، وقيل: هو مفعول مطلق؛ لأن معنى بعث: أرسل، ويكون معنى رسولاً: رسالة، وجملة: ﴿بَعَثَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي بعثه الله رسولاً، والجملة الاسمية: ﴿أَهَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، يقع حالاً من واو الجماعة، التقدير: قائلين: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى...﴾ إلخ. هذا؛ وأجيز اعتبار الجملة الاسمية: ﴿أَهَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، تقديره: يقولون: أهذا الذي... إلخ، وهذه الجملة جواب (إذا) لا محل لها، وعليه فجملة: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ...﴾ إلخ معترضة بين شرط (إذا) وجوابها.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾: قولهم هذا دليل على شدة مجاهدة الرسول ﷺ في دعوتهم، وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم، حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم، واستمساكهم بعبادة آلهتهم. ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: لولا أن ثبتنا عليها، واستمسكنا بعبادتها. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ...﴾ إلخ: وعيد وتهديد ودلالة على أنهم لا يفوتونه، وإن طالت مدة الإمهال، فلا بد للوعيد أن يلحقهم، فلا يغرنهم التأخير. ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: هو كالجواب عن قولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ لأن نسبة الرسول ﷺ إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه، ويروى: أن هذا الكلام من قول أبي جهل الخبيث. وانظر شرح ﴿كَادَ﴾ في الآية رقم [٧٣] من سورة (الإسراء) فإنه جيد.

الإعراب: ﴿إِن﴾: مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها عند البصريين، وقال الكوفيون: هي حرف نفي بمعنى ما. ﴿كَادَ﴾: فعل ماض من أفعال المقاربة، واسمها ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الرسول ﷺ. ﴿لَيُضِلُّنَا﴾: اللام: هي الفارقة بين النفي والإثبات عند البصريين، وهي بمعنى «إلا» عند الكوفيين. (يضلنا): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الرسول أيضاً، و(نا): ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَادَ﴾. ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لَوْلَآ﴾:

حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿صَبَرْنَا﴾: فعل ماض مبني على السكون، و(نا): فاعله. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿أَن﴾ والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف أيضاً، وتقدير الكلام لولا صبرنا موجود لأضلنا عن آلهتنا. والكلام: ﴿إِن كَادَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول المحذوف المقدر في الآية السابقة قبل: ﴿أَهَٰذَا...﴾ إلخ. ﴿وَسَوْفَ﴾: الواو: حرف استئناف. (سوف): حرف استقبال. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿حِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿يَرَوْنَ﴾: فعل مضارع، والواو فاعله. ﴿الْعَذَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿حِينَ﴾ إليها. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَضَلُّ﴾: خبر المبتدأ. ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿مَنْ أَضَلُّ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَنْ﴾ اسماً موصولاً مفعولاً به، فيكون: ﴿أَضَلُّ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف، تقديره: هو أضل، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها ليست من مقولهم. تأمل، وتدبر، والله أعلى، وأعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَرَءَيْتَ﴾: أخبرني. ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: بأن أطاع هواه، وبنى عليه دينه، لا يسمع حجة، ولا يبصر دليلاً؛ وقد طبع على قلبه. وقال القرطبي: عَجَّب نبيه ﷺ من إصرارهم على الشرك مع إقرارهم بأنه خالقهم، ورازقهم، ثم يعمد أحدهم إلى حجر يعبده من غير حجة. قال الكلبي وغيره: كان العرب إذا هوي الرجل منهم شيئاً عبده من دون الله، فإذا رأى أَحْسَنَ منه؛ ترك الأول، وعَبَد الأحسن. انتهى. ويروى: أن أحدهم إذا كان في سفر، وأراد أن ينام، فإنه يأخذ ثلاثة أحجار، فيختار إحداهن، وينصبها إلهاً، ويتوسد الثانية في نومه، ويستنجي بالثالثة من غائطه وبوله.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: **حفيظاً تمنعه من الشرك والمعاصي، أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام، وتقول له: لا بد أن تسلم شئت، أو أبيت، ولا إكراه في الدين، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ والخطاب كله للنبي ﷺ.**

هذا؛ و«الهوى» يقصر، ويمد، والمراد بالأول: الحب، والعشق، والغرام، وهو أيضاً محبة الإنسان للشيء، وغلبته على قلبه، ومنه ما في الآية الكريمة، وقد نهى الله عنه بقوله: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ ومدح من يخافه، ويخشاه بقوله: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: نهاها عن شهواتها، وما

تدعو إليه من معاصي الله تعالى، ويراد بالممدود: ما بين السماء والأرض، وقد جاء الهوى بمعنى العشق ممدوداً في الشعر، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

وَهَانَ عَلَى أَسْمَاءَ إِنْ شَطَّتِ النَّوى نَحِنُّ إِلَيْهَا وَالْهَوَاءُ يَتُوقُ

وإليك هذين البيتين فإنهما من النكت الحسان: [الكامل]

جُمِعَ الْهَوَاءُ مَعَ الْهَوَى فِي مُهْجَتِي فَتَكَامَلَتْ فِي أَضْلُعِي نَارَانِ

فَقَصَرْتُ بِالْمَمْدُودِ عَنْ نَيْلِ الْمُنَى وَمَدَدْتُ بِالْمَقْصُورِ فِي أَكْفَانِي

وقال أبو عبيدة: لم نجد الهوى يوضع إلا موضع الشر؛ لأنه لا يقال: فلان يهوى الخير، بل يقال: فلان يحب الخير، وجمعه: أهواء، وجمع الممدود: أهوية.

الإعراب: ﴿أَرَءَيْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام تعجبي. (رأيت): فعل، وفاعل. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول. ﴿ٱتَّخَذَ﴾: ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَنِ﴾. ﴿إِلَـٰهَهُۥ﴾: مفعول به أول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَوَىٰهُ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿إِلَـٰهَهُۥ﴾ مفعولاً ثانياً مقدماً، و﴿هَوَىٰهُ﴾ مفعولاً أولاً مؤخراً، (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿وَكِيلًا﴾: خبر ﴿تَكُونُ﴾، وجملة: ﴿تَكُونُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أَفَأَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان للفعل ﴿أَرَءَيْتَ﴾، والجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها. والجملة الفعلية: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ﴾: المعنى: بل أتظن: أن أكثرهم يسمعون الكلام سماع قبول، أو يفهمون ما تقول لهم، فيجدي معهم الكلام، وتفيد الحجج، والبراهين، فتهتم بشأنهم، وتطمع في إيمانهم، وهو أشد مذمة مما قبله حتى حقَّ بالإضراب عنه إليه، وتخصيص الأكثر؛ لأنه كان منهم من آمن، ومنهم من عقل الحق ولم يقبله استكباراً، وعناداً، أو خوفاً على الرياسة، والزعامة أن تذهب منه، وهذا يشمل كل من كابر وعاند، في عهد النبي ﷺ وبعده إلى قيام الساعة.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾: في عدم الانتفاع بقرع الآيات آذانهم، وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل، والمعجزات. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: من الأنعام؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها، وتتجنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يفرقون بين إحسانه وإساءة الشيطان، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار؛ ولأنها إن لم تعتقد حقاً، ولم تكتسب خيراً؛ لم تعتقد باطلاً، ولم تكتسب شراً، بخلاف هؤلاء؛ ولأن جهالتها لا تضر بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدي إلى تهييج الفتن، وصد الناس عن الحق؛ ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال، فلا تقصير منها ولا ذم، وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم. انتهى. بيضاوي بتصرف بسيط. هذا؛ وانظر الآية رقم [١٧٩] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، وهي بمعنى بل التي للإضراب كما رأيت في الشرح. ﴿تَحْسَبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَسْمَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾، وجملة: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل ﴿تَحْسَبُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَالْأَنْعَامِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿هُمْ أَضَلُّ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ألم تنظر إلى صنعه سبحانه وتعالى. ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي: بسطه، فعم الأرض، وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور؛ لأنه ظل ممدود لا شمس معه، ولا ظلمة شديدة، وهو أطيب الأحوال؛ لأن الظلمة الشديدة تنفر الطبع، وتمنع النظر، وشعاع الشمس يسخن الجو، ويبهر البصر، ولذلك وصف به الجنة، فقال جل شأنه: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾. ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: أي دائماً ثابتاً لا يزول، ولا يذهب بالشمس، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد إلى يوم القيامة، وقيل: المعنى لو شاء لمنع الشمس الطلوع؛ أي: ولكنه لم يشأ ذلك. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي: جعلنا الشمس بنسخها الظل عند مجيئها دالة على أن الظل شيء؛ لأن الأشياء تعرف بأضدادها، فلولا الشمس ما عرف الظل، ولولا النور ما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها، والدليل هنا

فعيل بمعنى الفاعل، وقيل: بمعنى المفعول، كالقتيل، والدهين، أي دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به، وأزالته، ولم يؤنث (الدليل)؛ لأنه في معنى الاسم، كما يقال: الشمس برهان، والشمس حق. هذا؛ ولا تنس: أن في الآية الكريمة التفاتاً من الغيبة إلى التكلم.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام تقريري. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف المقصورة، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الحال تقدم على عامله وصاحبه. ﴿مَدَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبِّكَ﴾. ﴿ٱلظِّلَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بدل اشتمال من: ﴿رَبِّكَ﴾، والمعنى: ألم تر إلى ربك كيفية مد الظل. ومثل ذلك قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٥٩]: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ فالجملة الفعلية: ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ بدل اشتمال من العظام، وانظر الشاهد [٣٧٣] من كتابنا فتح القريب المجيب، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى ﴿رَبِّكَ﴾، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَجَعَلَهُۥ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (جعله): فعل ماض، والهاء مفعوله الأول، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّكَ﴾. ﴿سَاكِنًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، أو هو مستأنف لا محل له على الاعتبارين، وقيل: الكلام في محل نصب حال. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلشَّمْسَ﴾: مفعول به أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما بعدهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وليس بشيء. ﴿دَلِيلًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿جَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

تنبيه: الإعراب المتقدم إنما هو إعراب ابن هشام في مغني اللبيب وتقديره، كما في الشاهد الذي ذكرته لك في كتابنا، وبعضهم يعتبر الجملة الفعلية ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل: (ترى) المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أي: أخذنا ذلك الظل الممدود. ﴿إِلَيْنَا﴾: إلى حيث أردنا وشئنا. ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً غير عسير، أو قليلاً قليلاً، أي جزءاً فجزءاً بالشمس التي تأتي عليه، فالظل مكثه في هذا الجو بمقدار طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس صار الظل

مقبوضاً. هذا؛ وقيل: معنى ﴿يَسِيرًا﴾ سريعاً؛ قاله الضحاك. وقال قتادة: خفياً، أي إذا غابت الشمس قبض الظل قبضاً خفياً، كلما قبض جزء منه جعل مكانه جزء من الظلمة، وليس يزول دفعة واحدة. هذا؛ وجاء بـ: ﴿ثُمَّ﴾ العاطفة التي هي للتراخي في هذه الآية وسابقتها لتفاضل ما بين الأمور، فكان الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم من الثاني، شبه سبحانه وتعالى تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت. هذا؛ ولا تنس: الحكمة المترتبة على مد الظل وقبضه بواسطة الشمس، أي بشروقها، وغروبها، وهي انتظام مصالح الكون، وتحصيل ما لا يحصر من منافع الخلق به. هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿قَبَضْنَٰهُ﴾ استعارة تصريحية تبعية، استعير فيها لفظ المشبه به، وهو البعد، والتراخي للمشبه، وهو تفاضل الأمور.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿قَبَضْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَبْضًا﴾: مفعول مطلق. ﴿يَسِيرًا﴾: صفة له.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: ستراً للخلق يقوم مقام اللباس في ستر البدن. قال الطبري: وصف الليل باللباس تشبيهاً من حيث يستر الأشياء، ويغشاها. ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: راحة للأبدان بالانقطاع عن الأشغال، وأصل السبات من التمدد، وقيل للنوم: سبات؛ لأنه بالتمدد يكون، وفي التمدد معنى الراحة. وقيل: السبت: القطع، فالنوم انقطاع عن الأعمال، ومنه سبت اليهود لانقطاعهم عن الأعمال فيه. ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ أي: ذا نشور، أي انتشار ينتشر الناس فيه للمعاش، أو هو بعث من النوم كبعث الأموات، وفيه إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت، والبعث يوم القيامة، ومن وصية لقمان عليه السلام لابنه: يا بني كما تنام، فتوقظ، كذلك تموت، فتنشر. هذا؛ وسبت الشيء: قطعه، وسبت الرأس: حلقه، والسبت: مصدر ويوم من أيام الأسبوع، وجمعه: أسبت، وسبوت، والسبت أيضاً: النوام، والفرس، والجواد، والرجل الداهية. هذا؛ والسِّبت بكسر السين: الجلد المدبوغ، قال عنترة في وصف الشجاع الذي افتخر بقتله: [الكامل]

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءَمِ

وكان النبي ﷺ إذا أصبح قال: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**». وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق، فيها إظهار لنعمته على خلقه؛ لأن في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية، ودنيوية، وقد كثر هذا الامتنان من الله على خلقه مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢]

من سورة (الإسراء)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ الآية رقم [٢٣] من سورة (الروم).

هذا؛ والنوم قسمان: نوم العين، ونوم القلب، فنوم العين فترة طبيعية تعتري الحيوان، وتتعطل حواسه بها. وأما نوم القلب فهو تعطيل القوى المدركة. والثاني لم يقع منه ﷺ؛ لأن قلبه لا ينام، كما في حديث الصحيحين عنه ﷺ: أنه قال: «**إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**». ورحم الله البوصيري إذ يقول: [البسيط]

لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ ... قَلْباً إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

هذا؛ والمنام مصدر ميمي بمعنى النوم، أو هو اسم مكان بمعنى موضعه، أو اسم زمان بمعنى زمانه؛ لأن «مفعلاً» يصلح لهذا كله. هذا؛ والنوم هو الموتة الصغرى، لذا أرشدنا سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ أن نقول عند القيام من النوم: «**سُبْحَانَ مَنْ أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**».

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿لِبَاسًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول به. ﴿لِبَاسًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ﴾ بمعنى: بعث، وفي آية (الأعراف) رقم [٥٧] بالمضارع. ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: ويقرأ: (الريح) بالإفراد. هذا؛ وذكر سبحانه وتعالى في الآية رقم [١٦٤] من سورة (البقرة) أن من الآيات الدالة على قدرته تصريف الرياح، وتصريفها: تقليبها شمالاً، وجنوباً، وقبولاً، ودبوراً، وانظر الآية رقم [٦٩] من سورة (الإسراء).

﴿بُشْرًۢا﴾: جمع بشير، وهو بضم الباء وسكون الشين، ويقرأ بضمتين، مثل: رُسُل، وسُبل ونحوهما. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل: عسر، ويسر، وأسد، ورحم. هذا؛ ويقرأ: (نُشُراً) بضم النون، مع ضم الشين وسكونها، على أنه جمع: نشور بمعنى: ناشر وبمعنى: طاهر، ويجوز أن يكون جمع: نشور بمعنى: منشور، ويقرأ: (نَشْراً) بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر نشر بعد الطي، والقراءات كلها سبعية، كما يقرأ: (بُشْرى) على وزن: حُبْلى، أي: ذات بشارة، وكما يقرأ: (بَشْراً) بفتح الباء وسكون الشين، وهو مصدر بشرته: إذا بشرته.

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: إن الرياح ثمان: أربع منها عذاب، وهي القاصف، والعاصف، والصرصر، والعقيم. وأربع منها رحمة، وهي: الناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات. ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ يعني: أمام المطر الذي هو رحمته سبحانه وتعالى؛ وإنما سماه رحمة؛ لأنه سبب لحياة الأرض. هذا؛ و﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ بمعنى: أمام، وقدام مستعمل في القرآن الكريم بكثرة، وكل ذلك من باب الاستعارة. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: انظر الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء). ﴿طَهُورًا﴾: مطهراً، قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ وهو اسم لما يتطهر به، كالوَضوء والوَقود بفتح الواو، لما يتوضأ به، ويوقد به، قال النبي ﷺ: **«التُّرَابُ طَهُورُ الْمُؤْمِنِ طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِيهِ أَنْ يُغْسَلَ سَبْعاً، إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ»**. ووصف الماء به إشعار بالنعمة فيه، وتتميم للنعمة فيما بعده، فإن الماء الطهور أنفع وأهنأ مما خالطه ما يزيل طهوريته. هذا؛ والطهور بضم الطاء: المصدر، ولا تنس: الالتفات في الآية من الغيبة إلى جمع المتكلم.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾: هذه الجملة مثل الجملة في الآية السابقة في إعرابها. ﴿بُشْرًا﴾: حال من الرياح، وقيل: مفعول مطلق، وهذا على قراءته بالنون؛ لأن أرسل وأنشر متقاربان في المعنى. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿بُشْرًا﴾، أو بمحذوف صفة له، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿يَدَيْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء لأنه مثنى لفظاً، وحذفت النون للإضافة، و﴿يَدَيْ﴾: مضاف، و﴿رَحْمَتِهِۦ﴾ مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (أنزلنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، والالتفات يمنع العطف. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ويجوز تعليقهما بمحذوف حال من ﴿مَآءً﴾، كان صفة له فلمَّا قُدّم عليه؛ صار حالاً. ﴿مَآءً﴾: مفعول به. ﴿طَهُورًا﴾: صفة له.

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ﴾: بالمطر. ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي: بالجدب، والمحل، وعدم النبات. قال كعب: المطر روح الأرض يحييها الله به، وقال في سورة (الحج): ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ وإنما ذكر ﴿مَّيْتًا﴾؛ لأن البلدة في معنى البلد. قاله الزجاج، وقيل: أراد بالبلدة المكان، وقد أنثها الأعشى في قوله: [البسيط]

وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ ... لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ

وقال جران العود أيضاً: [الرجز]

وبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ ... إِلَّا الْيَعَافِيرُ، وَإِلَّا الْعِيسُ

و(نُسْقِيْهِ): يقرأ بضم النون من الرباعي، وبفتح النون من الثلاثي، ومن الأول قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ وانظر الآية رقم [٢١] من سورة (المؤمنون)، وكذلك شرح (ميت) في الآية رقم [١٥] منها. ﴿أَنْعَٰمًا﴾: الأنعام تطلق على المأكول من الحيوانات: البقر، والغنم، والإبل، والماعز، والمراد هنا المأكول وغيره. ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ أي: بشراً كثيراً، واحده: إنسِيٌّ، وهو قول الأخفش، والمبرد، وأحد قولي الفراء، وله قول آخر، وهو أن يكون واحده إنساناً، ثم تبدل من النون ياء، فتقول: أناسي، والأصل أناسين، مثل: سرحان، وسراحين، وبستان، وبساتين، فجعلوا الياء عوضاً من النون، وعلى هذا يجوز سراحيَّ وبساتيَّ لا فرق بينهما، وقال: لا فرق بينهما. انتهى. قرطبي. وقال الجمل: أناسين، كسرحان، وسراحين وهذا مذهب سيبويه، وهو الراجح. وجزم ابن هشام، وابن مالك بأنه جمع: إنسان لا جمع إنسي، وقد قال: ﴿كَثِيرًا﴾ ولم يقل: كثيرين؛ لأن فعيلاً قد يراد به الكثرة، وهو يطلق على المفرد والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، نحو قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ قال الجمل نقلاً عن شيخه: خص الأنعام بالذكر؛ لأنها ذخيرتنا، ومدار معاش أكثر المدر، ولذلك قدم سقيها على سقيهم، كما قدم عليها إحياء الأرض، فإنها سبب لحياتها وتعيشها، فقدم ما هو سبب حياتهم، ومعاشهم. انتهى.

الإعراب: ﴿لِّنُحْـِۧىَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (أنزلنا) في الآية السابقة. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بَلْدَةً﴾: مفعول به. ﴿مَّيْتًا﴾: صفة: ﴿بَلْدَةً﴾. ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾: فعل مضارع معطوف على الفعل قبله منصوب مثله، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَنْعَٰمًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة. . . إلخ، ﴿خَلَقْنَآ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: من الذي خلقناه. ﴿أَنْعَٰمًا﴾: مفعول به ثان للفعل (نسقي). (أناسي): معطوف على ﴿أَنْعَٰمًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، إن كان جمع: إنسي، والياء نيابة عن الفتحة إن كان جمع إنسان؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وأصله أناسين، وتكون النون قد قلبت ياء، وأدغمت الياء في الياء. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة أناسي على الوجهين المعتبرين فيه.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: صرفنا المطر بين الناس، مرة ببلدة، ومرة ببلدة أخرى في البلدان المختلفة، والأوقات المتغايرة، والصفات المتفاوتة، من وابل، وطل، وغيرهما، وعن

ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه في الأرض، وقرأ هذه الآية. وهذا كما روي مرفوعاً: «**ما من ساعة من ليل، ولا نهار؛ إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء**». وروي عن ابن مسعود يرفعه قال: «ليس من سنة بأمطر من سنة أخرى، ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق، فجعلها في هذه السماء الدنيا، في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم، ووزن معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم، وإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك المطر إلى الفيافي والبحار».

وقال القرطبي: الضمير المنصوب يعود إلى القرآن، وقد جرى ذكره في الآية رقم [١]، وفي الآية رقم [٢٩]، وفي الآية رقم [٣٠] وهي على التوالي ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾. ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾. ﴿ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ فيكون كما في الآية رقم [٤١] من سورة (الإسراء) ولم يوافق القرطبي عليه أحد من المفسرين. ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: ليتعظوا، ويعتبروا، وقرئ الفعل بالتخفيف هنا، وفي سورة (الإسراء) فيكون بمعنى الذكر.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: جحوداً لنعم الله تعالى، وقلة الاكتراث لها، أو جحودها بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا، ومن لا يرى الأمطار إلا بالأنواء كافر، بخلاف من يرى أنها من خلق الله، والأنواء وسائط، وأمارات يجعله جل ذكره وتعالى شأنه، فعن زيد بن خالد الجهني ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر ماء من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هلْ تدرون ماذَا قال ربكمْ؟**». قَالُوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قال: يقول: «**أصبحَ من عبادي مؤمِنٌ بي وكافِرٌ، فأمَّا مَنْ قال: مُطِرْنا بفضلِ اللهِ ورحمتِهِ، فذلك مؤمِنٌ بِي، وكافِرٌ بالكواكب، وأمَّا مَنْ قالَ: مُطِرْنَا بنوْءِ كذَا وكذَا، فذلك كافرٌ بي مؤمِنٌ بالكواكِبِ**». متفق عليه. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ﴾: انظر الآية رقم [٣٥] ففيها الكفاية. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَأَبَىٰٓ﴾: الفاء: حرف عطف. (أبى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿أَكْثَرُ﴾: فاعله، و﴿أَكْثَرُ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كُفُورًا﴾: مفعول به، وقيل: مفعول مطلق، ولا وجه له البتة، وجملة: ﴿فَأَبَىٰٓ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ أي: رسولاً ينذرهم، كما قسمنا المطر بين الناس، ولكننا لم نفعل، بل جعلناك نذيراً لجميع البشر لترتفع درجتك، ويزداد فضلك وقدرك، وفضلناك على سائر الرسل، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾: فيما يريدونك عليه، وحاشاه ﷺ أن يطيع الكافرين، وإنما أراد سبحانه وتعالى بهذا تهييجه، وتهييج أصحابه، وتحريكهم. ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ أي: بالقرآن، أي جادلهم به، وقرعهم بالعجز عن معارضته. ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾: جامعاً لكل أنواع المجاهدة. والمراد: أن الكفار يجدُّون، ويجتهدون في معارضتك، ومحاربتك، وتوهين أمرك، وصد الناس عنك، فقابلهم بما تقدر عليه من جدك واجتهادك، وعضك على نواجذك بما تغلبهم به، وترد كيدهم في نحورهم، وإن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شِئْنَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَبَعَثْنَا﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (بعثنا): فعل، وفاعل. ﴿فِي كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ ﴿نَّذِيرًا﴾ بعدهما. و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿قَرْيَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿نَّذِيرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَبَعَثْنَا...﴾ إلخ جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً؛ فلا... إلخ. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُطِعِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لا)، والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت» ﴿الْكَافِرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿فَلَا تُطِعِ...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿وَجَاهِدْهُم﴾: فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جِهَادًا﴾: مفعول مطلق. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة له.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: الله الذي. . .إلخ، فكنى جلّت قدرته عن نفسه بضمير الغيبة. و﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: أرسلهما، وخلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يختلطان، ولا يتمازجان من: مرج دابته: إذا خلاها وأرسلها في المرعى، ومَرِج الدين والأمر: اختلط واضطرب؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾، وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: «**إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ مَرِجَتْ عهودُهُمْ، وَخفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا، وَهَكَذَا، ـ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ـ**» فَقَالَ: كَيْفَ أَصْنَعُ عِنْدَ ذَلِكَ، جعلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟! قَالَ: «**الْزَمْ بَيْتَكَ، وامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ أَمْرِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ**». خرجه النسائي، وأبو داود، وغيرهما. هذا؛ ومصدر «مرج» المرْج، وهو أيضاً أرض ذات نبات، ومرعى، والجمع: مروج مثل: فلس، وفلوس. وانظر ما ذكرته في سورة (المائدة) رقم [١٠٥].

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ أي: أحدهما حلو شديد العذوبة قاطع للعطش لشدة عذوبته. ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي: شديد الملوحة، ولشدة ملوحته فيه مرارة. وفي القاموس: فَرُت الماء ككرُم فُرُوتةً: عَذُب، وفيه أيضاً أَجَّ الماء أجوجاً بالضم يَأْجَج، كيسمع، ويضرب، وينصر، أي: فيأتي فعله من ثلاثة أبواب: إذا اشتدت ملوحته. هذا؛ وفي قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ استعارة تصريحية حيث شبههما جلت قدرته، وتعالت حكمته بطائفتين معاديتين، تريد كل منهما الإيقاع بالأخرى، وتتربص بها الدوائر، ولكنها عندما تحصل على ما تريد تمتنع من البغي، فجعل المعنى المستعار كاللفظ المقول. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزاً من قدرته؛ فلا يختلط أحدهما بالآخر فلا يرى، ولا يشاهد، كما قال جل شأنه في سورة (الرحمن): ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾. ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: ستراً مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر، فالبرزخ الحاجز، والحجر المانع، وقيل: حراماً محرماً أن يَعْذُبَ هذا الملح بالعَذْبِ، أو يملح هذا العذب بالملح، وانظر الآية رقم [٢٢].

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف، أو حرف عطف. (هو): ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مَرَجَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَذْبٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿فُرَاتٌ﴾:

صفة: ﴿عَذْبٌ﴾، صفة كاشفة على حد: أحمر قان، وأبيض ناصع، ونحو ذلك، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾. والرابط: اسم الإشارة، واعتبرها السمين مستأنفة، وجوز الحالية، وأعتمد الحالية، أو هي مقولة لحال محذوفة، أي مقولاً فيهما: هذا عذب... إلخ، وهو أظهر. وجملة: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها، بلا فارق. (جعل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية وهو في موضع المفعول الثاني. هذا؛ ويجوز اعتبار الظرف متعلقاً بمحذوف حال من ﴿بَرْزَخًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿بَرْزَخًا﴾: مفعول به. ﴿وَحِجْرًا﴾: معطوف عليه. ﴿مَّحْجُورًا﴾: تأكيد لما قبله، أي: فهو صفة مؤكدة، وجملة: ﴿وَجَعَلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، وهذا ممَّا يؤكد الحالية في الجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ...﴾ إلخ، وإذا لم نعتبرها حالاً فهي معترضة بين المتعاطفين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾: يحتمل الماء أمرين: أحدهما: المراد به الماء الذي خمر به طينة آدم، عليه الصلاة والسلام. والثاني: المراد به النطفة. وعلى الاحتمالين فقد جعل الله الماء جزءاً من مادة البشر لتجتمع وتسلس، وتقبل الأشكال والهيئات بسهولة. ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي: خلق الله من الماء المذكور بشراً وقسمه قسمين: ذوي نسب، أي: ذكور ينسب إليهم، وذوات صهر، أي: إناثاً يصهر بهن، وهو كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: حيث خلق مادة واحدة بشراً، ذا أعضاء مختلفة، وطباع متباعدة، وجعله قسمين متقابلين، لا يمكن التعايش إلا باجتماعهما، ولا يعمر الكون إلا بتمازجهما واختلاطهما. هذا؛ واشتقاق الصهر من صهرت الشيء: إذا خلطته، فكل واحد من الصهرين قد خالط صاحبه، فسميت المناكح صهراً لاختلاط الناس بها، وتقاربهم بسببها، وانظر شرح كان في الآية رقم [٦]. قال ابن سيرين ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ وعلي ـ رضي الله عنه ـ؛ لأنه جمعه معه نسب، وصهر. هذا؛ وجمع الصهر: أصهار.

تنبيه: قال الخليل: الصهر: أهل بيت المرأة، وقال: ومن العرب من يجعل الأحماء، والأختان جميعاً أصهاراً. وقال الأزهري: الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم، وذوات المحارم، كالأبوين، والإخوة، وأولادهم، والأعمام، والأخوال، والخالات، فهؤلاء أصهار زوج المرأة، ومن كان من قِبَل الزوج من ذوي قرابته المحارم، فهم أصهار المرأة أيضاً، وقال ابن السكيت: كل من كان من قِبَل الزوج من أبيه، أو أخيه، أو عمه، فهم الأحماء، ومن كان من قِبَل

المرأة؛ فهم الأختان، ويجمع الصنفين: الأصهار، وصاهرت إليهم، ولهم، وفيهم: إذا تزوجت فيهم. هذا؛ ولا تنس: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾: انظر الآية السابقة ففيها الكفاية. (جعله): فعل ماض، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿نَسَبًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: ﴿فَجَعَلَهُۥ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. (صهراً): معطوف على ما قبله. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿رَبُّكَ﴾: اسم (كان)، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿قَدِيرًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: لما عدد الله النعم وبيّن كمال قدرته؛ عجب من المشركين في إشراكهم به من لا يقدر على نفع، ولا ضر؛ أي: إن الله هو الذي خلق ما ذكره، ثم إن هؤلاء لجهلهم يعبدون من دونه أمواتاً جمادات، لا تنفع، ولا تضر.

﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾: روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال: الكافر هو إبليس ظهر على عداوة ربه. والمعنى: معيناً للشيطان على المعاصي. وقيل: المعنى: وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً، لا قدر له، ولا وزن عنده، من قول العرب: ظهرت به، أي: جعلته خلف ظهرك، ولم تلتفت إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾، وهو نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ فيكون المعنى: كفر الكافرين هين على الله تعالى، والله مستهين به؛ لأن كفر الكافر لا يضره.

وقيل: المعنى: وكان الكافر على ربه الذي يعبده، وهو الصنم قوياً غالباً يعمل به ما يشاء؛ لأن الجماد لا قدرة له على دفع ضر، وجلب نفع، وانظر الآية رقم [٣] وشرحها. هذا؛ والظهير: المعين، والمعاون، والمساعد، فهو فعيل بمعنى مفاعل، يطلق على المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، قال تعالى في سورة (التحريم): ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ ومثله: الخليط والصديق، قال الشاعر في وصف النساء: [الرجز]

هُـنَّ صَـدِيـقٌ لِـلَّـذِي لَـمْ يَـشِـبِ

الإعراب: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يعبدون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما،

و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿لَا يَنفَعُهُمْ﴾ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط، رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ معطوفة عليها، وجملة: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها، والجار والمجرور: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ متعلقان بـ ﴿ظَهِيرًا﴾ بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وأجيز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر (كان)، و﴿ظَهِيرًا﴾ حالاً، أو خبراً ثانياً لـ (كان)، والأول أقوى.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: الخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ، يقول الله له: إنما أنت مبشر للمؤمنين الطائعين بالجنة ونعيمها الدائم، ومنذرٌ للكافرين، والفاسدين المفسدين بنار السموم وعذاب الجحيم. هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قصر إضافي، وهو هنا قصر موصوف على صفة، وهو كثير في كتاب الله تعالى. ولا تنس: المطابقة بين ﴿مُبَشِّرًا﴾ و(نذيراً).

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مُبَشِّرًا﴾: مفعول به ثان، أو هو حال مستثنى من عموم الأحوال. (نذيراً): معطوف على ما قبله بالواو العاطفة. هذا؛ وعبارة الشهاب: أي ما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك مبشراً ونذيراً فلا تحزن على عدم إيمانهم. انتهى. جمل، وهو يفيد الحالية. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ. ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أو على ما جئتكم به من الوحي، والقرآن. ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: فتقولوا حينئذ: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعوننا إليه فلا نتبعه. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾: والمراد إلا فعل من شاء. ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: أن يتقرب إليه، ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة، فصور سبحانه ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود فعله، أو المعنى: لكن من شاء أن يتخذ بإنفاق ماله سبيلاً إلى ربه، وعليه فالمعنى: لا أسألكم لنفسي أجراً، ولكن أمنع من إنفاق المال إلا في طلب مرضاة الله، واتخاذ السبيل إلى جنته.

هذا؛ والسبيل: الطريق، يذكر، ويؤنث بلفظ واحد، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ

﴿ٱدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ والجمع على التأنيث: سبول، وعلى التذكير: سُبُل بضمتين، وقد تسكن الباء، كما في: رسل، وعسر، ويسر. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل: حلم، ورحم، وعُسْر... إلخ.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من ﴿أَجْرٍ﴾، كان صفة له... إلخ. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَجْرٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع بمعنى: لكن. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَتَّخِذَ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿سَبِيلًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً. وقيل: في محل نصب مفعول ثان لـ ﴿يَتَّخِذَ﴾، وليس بشيء، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿سَبِيلًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿شَآءَ أَن...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ أي: في استكفاء شرور الكافرين المجرمين، والاستغناء عن أجورهم، فإن الله هو الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون، فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم، وأما الله تعالى فإنه حي لا يموت، فلا ينقطع توكل من توكل عليه، ولا يضيع البتة. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾: نزهه سبحانه عن صفات النقصان، مثنياً عليه بأوصاف الكمال، طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على فضله، وكرمه، وجوده.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾: فهو هنا بمعنى: اكتف، فالباء زائد عند الجمهور في الفاعل، وهو لازم لا ينصب المفعول به، ومثله مضارعه، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾، وأما إذا كان بمعنى: جزى، وأغنى؛ فيكون متعدياً لمفعول واحد، وإذا كان بمعنى: وقى؛ فإنه يكون متعدياً لمفعولين، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾.

(ذنوب): جمع ذنب، وهو يطلق على مخالفة الله فيما أمر، أو فيما نهى عنه، وهو على درجات، منها الصغائر، ومنها الكبائر، وتفصيلها معروف في محالها. هذا؛ وذنوب بالمعنى

المتقدم بضم الذال، وهو بفتحها بمعنى النصيب، قال تعالى في سورة (الذاريات) رقم [٥٩]: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ وذنوب بفتحها: الدلو العظيمة في الأصل، قال الراجز: [الرجز]

إِنَّا إِذَا شَارَبَنَا شَرِيبُ لَهُ ذَنُوبٌ، وَلَنَا ذَنُوبُ

فَإِنْ أَبَى كَانَ لَهُ القَلِيبُ

الإعراب: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: الواو: حرف استئناف. وقيل: عاطفة. (توكل): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَلَى الْحَيِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة ﴿الْحَيِّ﴾، وجملة: ﴿لَا يَمُوتُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب. (سبح): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِحَمْدِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: سبح ملتبساً بحمده تعالى. وهو أولى، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَسَبِّحْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَكَفَى﴾: الواو: حرف استئناف. (كفى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بِهِ﴾: الباء: حرف جر زائد، والضمير فاعل (كفى)، فهو مجرور لفظاً مرفوع محلاً. ﴿بِذُنُوبِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَبِيرًا﴾ بعدهما، و(ذنوب) مضاف، و﴿عِبَادِهِ﴾ مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، ﴿خَبِيرًا﴾: تمييز لجملة (كفى به)، وقيل: حال، والأول أعرف في مثل ذلك، وجملة: ﴿وَكَفَى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩)﴾

الشرح: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: من أيام الدنيا، أي في قدرها؛ لأنه لم يكن ثمة شمس، ولو شاء لخلقهن في لمحة البصر، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت، والتأني في الأمور. هذا؛ وما ذكر من أن الله ابتدأ الخلق يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة عصراً، فخلق الأرض في يومين: الأحد، والاثنين، وما بينهما في يومين: الثلاثاء، والأربعاء، والسموات في يومين: الخميس، والجمعة، كل ذلك لم يثبت، قاتل الله اليهود، فإنهم يقولون: استراح ربنا يوم السبت؛ فلذا اختاروه للراحة والعبادة، وقال ﴿بَيْنَهُمَا﴾، ولم يقل: بينهن؛ لأنه أراد الصنفين، أو النوعين، أو الشيئين، كقول القطامي: [الوافر]

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنَّ حِبَالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتِ انْقِطَاعَا

أراد: وحبال تغلب، فثنى، والحبال: جمع؛ لأنه أراد الشيئين، والنوعين. وانظر الآية رقم [٢٤] من سورة (الشعراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ قال: إنما خلقهما في ستة أيام، وهو يقدر على أن يخلقهما في لحظة تعليماً لخلقه الرفق، والتثبت.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: استولى، ولا يجوز تفسيره باستقر، وثبت، فيكون صفة لله من صفات الحوادث، وهناك من يقول: استوى استواء يليق به، وهو مذهب السلف، والأول مذهب الخلف، وهذا التأويل ينبغي أن يقال في كل ما يوهم وصفاً، لا يليق به تعالى، وانظر الآية رقم [٢٢] من سورة (الأنبياء) لشرح العرش؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ﴾: اسأل عنه ﴿خَبِيرًا﴾ قاله الزجاج، وقد حكى هذا جماعة من أهل اللغة: أن الباء تكون بمعنى عن، كما قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ وقال علقمة بن عَبدة: [الطويل]

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

أي: عن النساء. ورده، وأنكره جماعة. وقال البيضاوي: فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالماً يخبرك بحقيقته، وهو الله تعالى، أو جبرائيل، أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقوك فيه. وقيل: الضمير لـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ والمعنى: إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى؛ فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم انتهى، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة ثانية لـ ﴿ٱلْحَىِّ﴾، أو هو بدل من: ﴿ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الذي، أو في محل رفع مبتدأ، خبره ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني الذي. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على السموات. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم، والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿فِى سِتَّةِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿خَلَقَ﴾، و﴿سِتَّةِ﴾ مضاف، و﴿أَيَّامٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ لا محل لها. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: بالرفع يجوز فيه ثلاثة أوجه: أن يكون بدلاً من فاعل: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ المستتر، وأن يكون خبراً لـ: ﴿ٱلَّذِى﴾ على وجه فيه، أو خبراً لمبتدأ محذوف، تقديره: هو الرحمن، وأن يكون مبتدأ خبره جملة: ﴿فَسْـَٔلْ﴾ والفاء زائدة على رأي الأخفش، وهو أحد وجهين في الآية رقم [٢] من سورة (النور).

هذا؛ وقرئ بالجر على أنه بدل من: ﴿ٱلۡحَيِّ﴾. ويجوز فيه النصب على تقدير: أعني الرحمن، ولم يقرأ به أحد. ﴿فَسۡـَٔلۡ﴾: الفاء: زائدة على وجه رأيته، وهي حرف استئناف على غيره، ويكون الوقف على ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾. (اسأل): فعل أمر، وفاعله مستتر وجوباً تقديره: «أنت». ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما على اعتبار الباء بمعنى «عن»، ومتعلقان بما بعدهما على إبقائها على ظاهرها. ﴿خَبِيرٗا﴾: مفعول به، وقيل: حال، ولا وجه له، وجملة: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ مستأنفة، لا محل لها، أو هي خبر المبتدأ على وجه مر ذكره في الرحمن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: لمشركي قريش. ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: لله تعالى، ومن أسمائه: الرحمن. ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: على جهة الإنكار، والتعجب، أي: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة. يعنون: مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في عهد النبي ﷺ، وكأنهم فهموا: أن تعدد الأسماء يدل على تعدد المسمى، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء).

﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ أي: تأمرنا أنت يا محمد، وقرئ بالياء، يعنون الرحمن، أو الرسول ﷺ، ويكون من قول بعضهم لبعض، وعلى القراءتين فالاستفهام تعجبي إنكاري. ﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾ أي: زادهم قول القائل لهم: ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ نفوراً عن الدين، وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول في هذه الآية: إلهي زادني لك خضوعاً ما زاد عداك نفوراً؟. انتهى. وأنا أقول: اللهم زدني لك خضوعاً ما زاد الفاسدين المفسدين نفوراً عن الحق والدين. هذا؛ وفي هذه الآية سجدة، فيسن للقارئ، والسامع، والمستمع السجود عند تلاوتها. وانظر ما ذكرته في الآية الأخيرة من سورة (الأعراف)، والآية رقم [٥٠] من سورة (النحل) أيضاً.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف، (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وإذا قيل قول، وقيل: الجار، والمجرور ﴿لَهُمُ﴾ متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل. وقيل: جملة: ﴿ٱسۡجُدُواْ...﴾ إلخ في محل رفع نائب فاعل، وهذا على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه». وهذا كلام لا غبار عليه، انظر الشاهد رقم [٧٩٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» والكلام عليه. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما في محل نائب فاعل.

﴿ٱسْجُدُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، أو هي في محل رفع نائب فاعل على نحو ما رأيت، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿وَمَا﴾: الواو: زائدة مقوية للكلام. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو في محل رفع خبر مقدم. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: خبر، أو مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَنَسْجُدُ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري تعجبي. (نسجد): فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿لِمَا﴾: اللام: حرف جر. (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿تَأْمُرُنَا﴾: فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، أو هو على حسب قراءته، بالتاء، أو بالياء، و(نا): ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: تأمرناه، أو تأمرنا به، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر باللام، التقدير: أنسجد من أجل أمرك، والجملة الفعلية: ﴿أَنَسْجُدُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَزَادَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (زادهم): فعل ماض، والهاء مفعوله الأول. ﴿نُفُورًا﴾: مفعوله الثاني، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى المفهوم من الكلام السابق، أي: زادهم قول القائل، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (إذا)، لا محل لها مثله.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ أي: منازل للكواكب السبعة السيارة. وأصل البروج: القصور العالية، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ سميت هذه المنازل بروجاً؛ لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة التي هي القصور لسكانها، وهي اثنا عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. والكواكب السيارة هي المريخ، وله: الحمل، والعقرب. والزهرة، ولها: الثور، والميزان. وعطارد ـ ويمنع من الصرف لصيغة منتهى الجمع ـ وله: الجوزاء، والسنبلة. والقمر، وله السرطان. والشمس، ولها: الأسد. والمشتري، وله: القوس، والحوت. وزحل ـ ويمنع من الصرف للعلمية والعدل ـ وله: الجدي، والدلو، وانظر

الآية رقم [١٦] من سورة (الحجر)، وسورة يس [٣٩] لمعرفة منازل القمر. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾: يعني: الشمس؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾. ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾: مضيئاً بالليل.

تنبيه: البروج الاثنا عشر مقسمة على فصول السنة كما يلي: فللربيع: الحمل، والثور، والجوزاء، وللصيف: السرطان، والأسد، والسنبلة. وللخريف: الميزان، والعقرب، والقوس. وللشتاء: الجدي، والدلو، والحوت.

الإعراب: ﴿تَبَارَكَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿بُرُوجًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿بُرُوجًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿تَبَارَكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، وإعرابها واضح. (قمراً): معطوف على: ﴿سِرَاجًا﴾. ﴿مُّنِيرًا﴾: صفة له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: خلفاً وعوضاً، يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر. قال شقيق ـ رحمه الله تعالى ـ: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: فاتتني الصلاة الليلة، قال: فأدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله تعالى جعل الليل، والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر، وروى مسلم عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»**. فيكون معنى ﴿خِلْفَةً﴾ يخلف أحدها الآخر، ومن هذا المعنى قول زهير بن أبي سلمى المزني في معلقته: [الطويل]

بِهَا الْعِينُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وقيل: جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه، فجعل هذا أسود، وهذا أبيض، وقيل: يخلف أحدهما صاحبه: إذا ذهب هذا جاء هذا، فهما يتعاقبان في الضياء، والظلمة، والزيادة، والنقصان. انتهى. خازن.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: يتذكر، فيعلم: أن الله لم يجعله كذلك عبثاً، فيعتبر في مصنوعات الله، ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل، والفكر، والفهم. ﴿أَوْ أَرَادَ

شُكُورًا﴾: أن يشكر الله على ما أولاه من النعم، أو ليكون الليل والنهار وقتين للذاكرين، والشاكرين. هذا؛ و﴿يَذَّكَّرَ﴾ أصله: يتذكر، فقلبت التاء ذالاً، وأدغمت الذال في الذال، ومثله كثير في القرآن الكريم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥٣] إفراداً، وجملاً. ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿خِلْفَةً﴾: مفعول به ثان، وقيل: هو على حذف مضاف، التقدير: ذوي خلفة. وقيل: هو حال. ﴿لِّمَنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿جَعَلَ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ﴿خِلْفَةً﴾. ﴿أَرَادَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (من) وهو العائد، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَذَّكَّرَ﴾ في محل نصب مفعول به، ومفعول يذكر محذوف، التقدير: أن يذكر ما فاته ونحو ذلك، وجملة: ﴿أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ...﴾ إلخ: صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف، وجملة: ﴿أَرَادَ شُكُورًا﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: قال القرطبي رحمه الله تعالى: لما ذكر جهالات المشركين، وطعنهم في القرآن، والنبوة؛ ذكر عباده المؤمنين أيضاً، وذكر صفاتهم، وأضافهم إلى عبوديته تشريفاً لهم، كما قال في أول سورة (الإسراء): ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ...﴾ إلخ فمن أطاع الله، وعبده، وشغل سمعه، وبصره، ولسانه، وقلبه بما أمره به؛ فهو الذي يستحق اسم العبودية، ومن كان بعكس هذا؛ شمله قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ الآية رقم [١٧٩] من سورة (الأعراف)، وأيضاً الآية رقم [٤٤] من هذه السورة.

﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: عبارة عن عيشهم، ومدة حياتهم، وتصرفاتهم، فذكر من ذلك المهم، وهو المشي. ﴿هَوْنًا﴾ أي: بالسكينة، والوقار، متواضعين، غير أشرين، ولا مرحين، ولا متكبرين، بل علماء حكماء، أصحاب وقار وعفة، ولذا كره الإسراع في المشي، قال الزهري: سرعة المشي تذهب بهاء الوجه. قال ابن عطية: يريد الإسراع الحثيث؛ لأنه يخل بالوقار؛ والخير في التوسط.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ أي: السفهاء بما يكرهونه. ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: تسلُّماً منكم، ومتاركةً لكم، فأقيم السلام مقام التسلم، أي: وإن سفه عليهم جاهل؛ حلموا، ولم يجهلوا، وليس المراد السلام المعروف، فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعاً ومروءةً، قال القرطبي: هذه الآية كانت قبل آية السيف، نسخ منها ما يخص الكفرة، وبقي أدبها في المسلمين إلى يوم القيامة، فالإعراض عن الجاهلين في كل وقت، وحين هو المطلوب من المسلم؛ ليسلم له

شرفه، وتبقى له كرامته، ويسلم له عرضه، وورعه، وأحاديث الرسول ﷺ المرغبة في الحلم، والإعراض عن الجاهلين كثيرة، والشعر العربي طافح بذلك، أذكر من ذلك قول رجل من بني سلول: [الكامل]

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي ... فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينِي
غَضْبَانَ مُمْتَلِئاً عَلَيَّ إِهَابُهُ ... إِنِّي وَرَبِّكَ سُخْطُهُ يُرْضِينِي

وروى الأصمعي بيتين في هذا المعنى، وهما: [السريع]

لا يَغْضَبُ الْحُرُّ عَلَى سَفْلَةٍ ... وَالْحُرُّ لا يُغْضِبُهُ النَّذْلُ
إِذَا لَئِيمٌ سَبَّنِي جُهْدَهُ ... أَقُولُ زِدْنِي فَلِيَ الْفَضْلُ

وما أحسن قول الآخر: [الوافر]

يُشَافِهُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ عَيْبٍ ... فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبَا
يَزِيدُ سَفَاهَةً فأزيدُ حِلْمَاً ... كَعُودٍ زَادهُ الإِحْرَاقُ طِيبَا

وأخيراً؛ فالجاهل من يجهل ما يتعلق به من المكروه والمضرة، ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم كيفيته، وحاله، ولا يشتري الحلم بالجهل، ولا الأناة بالطيش، ولا الرفق بالخرق، كما قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

فَإِنْ تَزْعُمِينِي كُنْتُ أَجْهَلُ فِيكُمُ ... فَإِنِّي شَرَيْتُ الْحِلْمَ بَعدَكِ بِالْجَهْلِ

وإن لم يكن كذلك يصدق عليه: أنه من أكبر الجهال، والحمار أفضل منه، كما قال الشاعر الحكيم: [الكامل]

فَضْلُ الْحِمَارِ عَلَى الْجَهُولِ بِخَلَّةٍ ... مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ الَّذِي يَدْرِيهَا
إِنَّ الْحِمَارَ إِذَا تَوَهَّمَ لَمْ يَسِرْ ... وَتُعَاوِدُ الجهالُ ما يُؤْذِيهَا

الإعراب: ﴿وَعِبَادُ﴾: الواو: حرف استئناف. (عباد): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ، وقال الأخفش: في محل رفع صفة: (عباد)، والخبر محذوف. وقال الزجاج: في محل رفع صفة (عباد الرحمن)، والخبر الجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ﴾ الآتية في الآية رقم [٧٥]، وما بين المبتدأ والخبر أوصاف لهم، وما تعلق بها. ﴿يَمۡشُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هَوۡنٗا﴾: حال من واو الجماعة بمعنى: هينين؛ أو هو صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: يمشون مشياً هوناً. (إذا): انظر الآية رقم [٦٠].

﴿خَاطَبَهُمُ﴾: فعل ماض، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْجَٰهِلُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿سَلَٰمًا﴾: مفعول به لـ: ﴿قَالُوا۟﴾، وإن كان مصدراً، فأعمل فيه القول؛ لأنه لم يحك قولهم بعينه، إنما حكى معنى قولهم، ولو حكى قولهم بعينه؛ لكان محكياً، ولم يعمل فيه القول: انتهى. مكي. وقيل: هو مفعول مطلق، عامله ﴿قَالُوا۟﴾ من غير لفظه، وقيل: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: قالوا قولاً سلاماً، والمعتمد الأول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على جملة الصلة، لا محل له مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾: قال الزجاج: بات الرجل، يبيت: إذا أدركه الليل، نام، أو لم ينم، ويقال: بات فلان يفعل كذا: إذا فعل ليلاً، وليس بات بمعنى نام في الليل، تقول: بات فلان يصلي: إذا لم يزل يصلي بالليل، ومنه الآية الكريمة. قال زهير بن أبي سلمى المزني: [الطويل]

فَبِتْنَا قِيَاماً عِنْدَ رَأْسِ جَوَادِنَا ... يُزَاوِلُنَا عَنْ نَفْسِهِ وَنُزَاوِلُهْ

﴿سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾: المعنى: يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجداً على وجوههم، وقياماً على أقدامهم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من صلى ركعتين، أو أكثر بعد العشاء الأخيرة، فقد بات لله ساجداً، وقائماً. وقال الكلبي: من أقام ركعتين بعد المغرب، وأربعاً بعد العشاء، فقد بات ساجداً قائماً. وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى العشاءَ في جماعةٍ؛ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ؛ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**». رواه مالك ومسلم. هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٨] و [٧٩] من سورة (الإسراء)، وما ذكرته في الآية رقم [٣٨] من سورة (النور). ورحم الله من يقول في صفة عباد الرحمن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً: [الكامل]

امْنَعْ جُفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ مَنَامَا ... وَاذْرِ الدُّمُوعَ عَلى الْخُدُودِ سِجَامَا

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ وَمُحَاسَبٌ ... يَا مَنْ عَلَى سُخْطِ الْجَلِيلِ أَقَامَا

للهِ قَوْمٌ أَخْلَصُوا فِي حُبِّهِ ... فَرَضِي بِهِمْ وَاخْتَصَّهُمْ خُدَّامَا

قَوْمٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْهِم ... بَاتُوا هنالِكَ سُجَّداً وقِيَامَا

خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ التَّعَفُّفِ ضُمَّراً ... لَا يَعْرِفُونَ سِوَى الْحَلَالِ طَعَامَا

هذا؛ و﴿سُجَّدًا﴾ جمع: ساجد، وهو اسم فاعل لذا تعلق به الجار والمجرور، و(قياماً) جمع قائم، وقدم السجود على القيام، وإن كان قبله في الفعل لمراعاة رؤوس الآي، كما ترى.

الإعراب: (الذين): معطوف على مثله في الآية السابقة، وجملة: ﴿يَبِيتُونَ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿لِرَبِّهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما على التنازع، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿سُجَّدًا﴾ خبر: ﴿يَبِيتُونَ﴾ على اعتباره ناقصاً، وحال من واو الجماعة على اعتباره تاماً. (قياماً): معطوف على ما قبله بالواو العاطفة.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: هذه صفة ثالثة من صفات: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾. ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي: هم مع طاعتهم، وسجودهم، وقيامهم لربهم مشفقون خائفون من عذاب الله تعالى، يدعون بهذا الدعاء، وذلك لعدم اعتدادهم بأعمالهم، وعدم وثوقهم بنجاتهم من عذاب جهنم على ما هم عليه من العبادة، والطاعة، وحسن الحال. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: لازماً لزوماً كلياً في حق الكفار، ولزوماً بعد إطلاقهم إلى الجنة في حق عصاة المسلمين، وفي المختار: الغرام: الشر الدائم، والعذاب، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: هلاكاً لازماً. انتهى. ومنه سمي الغريم لملازمته من له عليه حق، من دم أو مال، أو نحوهما، وفلان مغرم بكذا، أي: ملازم له ومولع به، وهذا معناه في كلام العرب فيما ذكر ابن الأعرابي، وابن عرفة وغيرهما، وقال الأعشى: [الخفيف]

إنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وإنْ يُعْـ ... ـطِ جَزِيلاً فَإنَّهُ لا يُبَالِي

وقال الحسن: كل غريم يفارق غريمه إلا غريم جهنم هذا؛ والمَغرَم بفتح الميم والراء: الخسران، والضياع، ومن دعاء الرسول ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المأثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَأعوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ، ما ظهرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ**». وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا...﴾ إلخ الآية رقم [٩٨] من سورة (التوبة)، وفي حديث النبي ﷺ الذي يرويه علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: «**إذَا كَانَتِ الأَمَانَةُ مَغْنَماً، وَالزَّكَاةُ مَغْرَماً...**». والمغرم بزنة المفعول: أسير الحب، والعشق، وقول الله تعالى في سورة (الواقعة) ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ معناه: إنا لملزمون غرامة ما أنفقنا. ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بئس المستقر، وبئس المقام، وقد أنث الفعل ﴿سَاءَتْ﴾ مع كون الفاعل مميز بمذكر، وهو: مستقر؛ لأن «المستقر» عبارة عن جهنم، ولفظها

مؤنث، فلذلك جاز تأنيث فعله. هذا؛ والمستقر، والمقام بمعنى واحد، أي: فهما مترادفان، وقال بعضهم: مستقرًّا لعصاة المؤمنين، ومقاماً للكافرين، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱصْرِفْ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿عَنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، والإضافة من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، وأصل الكلام: التعذيب في جهنم. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عَذَابَهَا﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف... إلخ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر فيه تقديره: «هو». ﴿غَرَامًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجمل كلها في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(ها): ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿سَآءَتْ﴾: فعل ماض لإنشاء الذم، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هي» دل عليه التمييز بعده، وهو: ﴿مُسْتَقَرًّا﴾. ﴿وَمُقَامًا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿سَآءَتْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ...﴾ إلخ تعليل لجملة: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا...﴾ إلخ، أو تعليل ثان، وهي بدورها في محل نصب مقول القول. وقال الزمخشري في الكشاف: والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين، ومترادفين، وأن يكونا من كلام الله تعالى، وحكاية لقولهم. ولا تنس: أن المخصوص بالذم محذوف، التقدير: ساءت مستقراً هي هي، فـ: هي الثاني هو المخصوص. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿سَآءَتْ﴾ بمعنى: أحزنت، فتكون متصرفة ناصبة للمفعول، وهو هنا محذوف أي: إن جهنم أحزنت أصحابها، وداخليها، ويكون: ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ تمييزاً، أو حالاً. وهو تكلف لا داعي له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية، فقال النحاس: ومن أحسن ما قيل في معناها: أن من أنفق في غير طاعة الله فهو الإسراف، ومن أمسك عن طاعة الله عز وجل فهو الإقتار، ومن أنفق في طاعة الله فهو القوام. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من أنفق مئة ألف في حق فليس بسرف، ومن أنفق درهماً في غير حقه فهو سرف، ومن منع من حق عليه فقد قتر. وقاله مجاهد، وابن زيد، وغيرهما. وقال عون بن عبد الله: الإسراف: أن تنفق مال غيرك.

وقال ابن عطية: هذا؛ ونحوه غير مرتبط بالآية، والوجه أن يقال: إن النفقة في معصية أمر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره، وكذلك التعدي على مال الغير، وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك، وإنما التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات، فأدب الشرع فيها أن لا يفرط الإنسان حتى يضيع حقاً آخر، أو عيالاً ونحو ذلك، وألا يضيق أيضاً ويقتر حتى يجيع العيال، ويفرط في الشح، والحسن في ذلك هو القوام، أي: العدل.

وقال أبو عبيدة: لم يزيدوا على المعروف، ولم يبخلوا، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ الآية رقم [٢٩] من سورة (الإسراء). وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الآية رقم [٣١] من سورة (الأعراف)، انظر تفسير الآيتين في محالهما. وقال الشاعر الحكيم: [الطويل]

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَمْرِ، وَاقْتَصِدْ ... كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

وقال آخر: [الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ أَعْطَى نَفْسَهُ كُلَّ مَا اشْتَهَتْ ... وَلَمْ يَنْهَهَا تَاقَتْ إِلَى كُلِّ بَاطِلِ

وَسَاقَتْ إِلَيْهِ الإِثْمَ وَالْعَارَ بِالَّذِي ... دَعَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَاوَةِ عَاجِلِ

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لابنه عاصم: كل في نصف بطنك، ولا تطرح ثوباً حتى تستخلقه، ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم. وقال حاتم الطائي: [الطويل]

إِذَا أَنْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وَفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

هذا؛ ويقرأ ﴿يَقْتُرُوا۟﴾ بقراءات كثيرة، والمعنى، والإعراب لا يتغيران، و﴿قَوَامًا﴾: بفتح القاف: عدلاً، ويقرأ بكسر القاف، أي: سداداً، ومِلاكَ حالٍ. وقال البيضاوي: هو ما يقام به الحاجة، لا يزيد عليها، ولا ينقص. هذا؛ وقد حث الله على الاعتدال، والتوسط في كل شيء حتى في المشي، ورفع الصوت، قال تعالى حكاية عن وصية لقمان لابنه، وهو يعظه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ما قبله، ﴿إِذَآ﴾: انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿أَنفَقُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، تقديره: المال، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُسْرِفُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، التقدير: لم يسرفوا في إنفاقه، والجملة الفعلية جواب: ﴿إِذَآ﴾ لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ معطوفة عليها،

لا محل لها مثلها، و﴿إِذَآ﴾ ومدخولها صلة الموصول لا محل له. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مقدر فيها، أي: كان الإنفاق، دل عليه الكلام السابق. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر أول لـ (كان)، و﴿قَوَامًا﴾ خبر ثان، أو هو حال من الضمير المستتر في متعلق: ﴿بَيْنَ﴾، فهو حال مؤكدة، وأجاز الفراء أن تكون ﴿بَيْنَ﴾ اسم (كان) مبني على الفتح مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الآية رقم [١١] من سورة (الجن) فـ ﴿دُونَ﴾ مفتوح وهو مبتدأ، وإنما جاز ذلك؛ لأن هذه الألفاظ كثر استعمالها بالفتح، فتركت على حالها في موضع الرفع، وكذلك يقول في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ الآية رقم [٩٤] من سورة (الأنعام) وهو مرفوع بالفعل: ﴿تَّقَطَّعَ﴾، لكنه ترك مفتوحاً لكثرة وقوعه كذلك، وخالفه البصريون في ذلك. انتهى. من قول مكي بن أبي طالب القيسي. هذا؛ وقد قرئ في سورة (الأنعام) بالرفع، وفسر بالوصل، انظر شرح الآية في محلها من سورة (الأنعام)، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وقيل: معطوفة على ما قبلها، وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه لهما البتة.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ...﴾ إلخ: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: نفى الله عن عباده المؤمنين أمهات المعاصي بعد أن أثبت لهم أصول الطاعات إظهاراً لكمال إيمانهم، وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك، أي: فعل الطاعات، وترك المنهيات، وتعريضاً للكفرة بأضداد ذلك، أي إنهم جمعوا بين ترك الطاعات والمأمورات، وفعل المنهيات، ولذلك عقبه بالوعيد تهديداً لهم، فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الذنب أكبر عند الله؟ قال: «**أن تدعو لله نداً، وهو خلقك**». قلت: ثم أيُّ؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تُزاني حليلة جارك**». فأنزل الله تصديقه الآية الكريمة ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ...﴾ إلخ. أخرجه مسلم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن ناساً من أهل الشرك قتلوا، فأكثروا، وزنوا، فأكثروا، فأتوا النبيَّ ﷺ، فقالوا: إن الذي تقول، وتدعو إليه لحسنٌ، وهو يخبرنا بأن لما عملنا كفارة، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ...﴾ إلخ، ونزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ...﴾ إلخ الآية رقم [٥٣] من سورة (الزمر) انظر شرحها، وتفسيرها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٨] من سورة (النساء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وانظر ما ذكرته في حق الزاني، وبشاعة الزنى في الآية رقم [٢] من سورة (النور)، والآية رقم [٣٢] من سورة (الإسراء)، والآية رقم [٥] من سورة (المؤمنون)، وانظر ما ذكرته في حق قاتل النفس بغير حق في الآية رقم [٣٣] من سورة (الإسراء)، وانظر شرح (دعا) في الآية رقم [١١٠] منها أيضاً، وشرح (النفس) في الآية رقم [٣٥] من سورة (الأنبياء).

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى الثلاثة المذكورة: الشرك، وقتل النفس، والزنى. والوعيد، والتهديد لا يتوقفان على فعل الثلاثة، بل المراد، ـ والله أعلم ـ: ومن يفعل شيئاً من ذلك يلق أثاماً؛ لأن كل واحد من الثلاثة كبيرة من الكبائر تستوجب العقاب الشديد، والعذاب الأليم في نار الجحيم، و(الأثام) في كلام العرب: العقاب بوزن الوبال، والنكال، ومنه قول الشاعر: [الوافر]

جَـزَى اللهُ ابْـنَ عُـرْوَةَ حَـيْـثُ أَمْـسَـى عَـقُـوقـاً، وَالْـعُـقُـوقُ لَـهُ أَثَـامُ

أي: جزاء، وعقوبة. وقال عبد الله بن عمرو، وعكرمة ومجاهد ـ رضي الله عنهم ـ: إن ﴿أَثَامًا﴾ واد في جهنم، جعله الله عقاباً للكفرة، قال الشاعر: [المتقارب]

لَـقِـيـتَ الْـمَـهَـالِـكَ فِـي حَـرْبِـنَـا وَبَـعْـدَ الْـمَـهَـالِـكِ تَـلْـقَـى أَثَـامَـا

وقال السدي: هو جبل في جهنم، قال الشاعر: [الوافر]

وَكَـانَ مُـقَـامُـنَـا نَـدْعُـو عَـلَـيْـهِـمْ بِـأَبْـطَـحَ ذِي الْـمَـجَـازِ لَـهُ أَثَـامُ

هذا؛ والحق الذي تقتل به النفس هو واحد من ثلاثة أمور بيَّنها النبي ﷺ بقوله: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثلاثٍ: الثيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**». أخرجه الخمسة ما عدا ابن ماجه عن عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع معطوف على ما قبله. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وتعليقه بمحذوف حال من (إلهاً) ضعيف، و﴿مَعَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به. ﴿آخَرَ﴾: صفة له، وجملة: ﴿لَا يَدْعُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ...﴾ إلخ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون صفة: ﴿النَّفْسَ﴾، وجملة: ﴿حَرَّمَ اللَّهُ﴾ صلة: ﴿الَّتِي﴾، والعائد محذوف، التقدير: حرم الله قتلها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِالْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المقدر، أي: إلا مقتولة بالحق، وجملة: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها. ﴿وَمَن﴾: الواو: واو الاعتراض، وقيل: حرف عطف.

(من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وهو مفيد للعموم، ولذا صح الاستثناء منه كما ستقف عليه. ﴿يَفْعَلْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره: «هو» يعود إلى (من). ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به، واللام للبعد، والكاف للخطاب حرف لا محل له. ﴿يَلْقَ﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (من) أيضاً. ﴿أَثَامًا﴾: مفعول به. وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، قيل: هو جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية: (من...) إلخ معترضة مع ما يتعلق بها بين الصفات المتعاطفة، لا محل لها، وقيل: معطوفة. وليس بشيء.

﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿يُضَٰعَفْ﴾: يقرأ بالجزم، والرفع على الاستئناف. ويقرأ: (يُضَعَّف) بتشديد العين، والجزم، والرفع أيضاً، فهذه أربع قراءات سبعية. وقرئ: (نضعِّف) بالنون وتشديد العين المكسورة، ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية إلى الكفر، ويدل عليه الآية التالية. هذا؛ والمضاعفة المكاثرة، وضعف الشيء بكسر الضاد وسكون العين مثله، وضعفاه: مثلاه. وأضعافه: أمثاله. هذا هو الأصل في الضعف، ثم استعمل في المثل، وما زاد عليه، وليس للزيادة حد، فيقال: هذا ضعف هذا، أي مثله، أو مثلاه، أو ثلاثة أمثاله، وهكذا. ويقال: أضعفت الشيء، وضعفته، وضاعفته، فمعناه ضممت إليه مثله فصاعداً، وقال بعضهم: ضاعفت أبلغ من ضعَّفت، ولذا قرأ أكثرهم في هذه الآية: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ وفي الآية رقم [٤٠] من سورة (النساء): ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: هو اليوم الذي يقوم فيه الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وكثر التعبير عنه بألفاظ كثيرة، مثل القارعة، والحاقة، والطامة، والصاخة، وغير ذلك، وأصل القيامة: القوامة؛ لأنها من قام يقوم، قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة. و(يخلد): يقرأ بالجزم والرفع، وبالبناء للمعلوم، وللمجهول، وبالتاء خطاباً للكافر. ﴿مُهَانًا﴾: ذليلاً محتقراً، جامعاً للعذاب الروحاني والجسماني. والخلود في العذاب: عدم الخروج منه أبداً. هذا؛ ويقرأ بمد الضمير بقوله (فيه) مبالغة في الوعيد، والعرب تمدُّه للمبالغة.

الإعراب: ﴿يُضَٰعَفْ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول بدل من الفعل ﴿يَلْقَ﴾، وإبدال الفعل مستعمل في اللغة العربية، قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

وَيُبْدَلُ الْفِعْلُ مِنَ الْفِعْلِ كَمَنْ يَصِلْ إِلَيْنَا يَسْتَعِنْ بِنَا يُعَنْ

ومن شواهده الشعرية قول عبيد الله بن الحر الجعفي في رجل تقاعد عن مبايعة الملك، وهو الشاهد رقم [١٦٨] من كتابنا فتح رب البرية: [الرجز]

إنَّ عَلَيَّ اللهَ أَنْ تُبَايِعَا ... تُؤْخَذَ كَرْهاً أو تَجِيءَ طَائِعَا

حيث أبدل تؤخذ من تبايع، والمعنى: إن علي والله، فلما حذف الجار نصب لفظ الجلالة. وأيضاً قول عبيد الله بن الحر الجعفي: [الطويل]

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا

فالفعل تلمم بدل من تأتنا فكل فعل يبدل من سابقه إذا كان بمعناه، قال الشاعر: [مجزوء الكامل]

إنْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدِرُوا ... أَوْ يَبْخَلُوا لَا يَحْفِلُوا

يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِيـ ... ـنَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

فقوله: يغدوا بدل من قوله: لا يحفلوا. وخذ قول وداك بن ثميل المازني شاعر إسلامي. هذا؛ والأبيات الثلاثة هي الشاهد رقم [٨٢٧] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الطويل]

رُوَيْدَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ ... تُلَاقُوا غَداً خَيْلِي عَلَى سَفَوَانِ

تُلَاقُوا جِيَاداً لا تَحِيدُ عن الْوَغَى ... إذَا مَا غَدَتْ فِي الْمَأزِقِ الْمُتَدَانِي

تُلَاقُوهُمُ، فَتَعرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ ... عَلَى مَا جَنَتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَثَانِ؟

فقد أبدل «تلاقوا» الثاني من الأول، والثالث من الثاني. هذا؛ وتبدل الجملة من الجملة، كما ستعرفه في الآية رقم [١٣٣] من سورة (الشعراء) إن شاء الله تعالى. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: نائب فاعل، على قراءة الفعل بالرفع، فالجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من فاعل ﴿يَفْعَلْ﴾ المستتر، وعلى قراءة الفعل بالنون فالعذاب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَيَخْلُدْ﴾: الواو: حرف عطف. (يخلد): معطوف على ما قبله على جميع القراءات. ﴿فِيهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُهَانًا﴾: حال من فاعل: (يخلد)، أو من نائب فاعله. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ أي: من الشرك، ومن قتل النفس، ومن الزنى؛ أي: ومن جميع المعاصي. ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبمحمد ﷺ نبيّاً،

وشفيعاً، ورسولاً، ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي: يرضي الله، ورسوله؛ بأن صلى، وصام، وحج، وزكى، وعمل أنواع البر والخيرات، فقد شرط الله لقبول التوبة الإيمان الصحيح، والعمل الصالح، وكلٌّ منهما احتراس يفيد عدم قبول التوبة إلا بوجودهما معاً. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (طه) رقم [٨٢]. ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ هذا؛ والتوبة المقبولة هي التوبة النصوح التي ذكرها الله في سورة (التحريم) ولها شروط: الندم بالجنان، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالأركان، ورد الحقوق لأصحابها بحسب الإمكان. وانظر نص الآيتين رقم [١٧] و [١٨] من سورة (النساء).

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾: معنى إبدال السيئات حسنات: أن الله يمحوها بالتوبة المقبولة، ويثبت مكانها الحسنات: الإيمان، والطاعة، والتقوى. وقيل: يبدلهم بالشرك إيماناً، وبقتل المسلمين قتل المشركين، وبالزنى عفة وإحصاناً. وقيل: يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم، أو يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة بأن يزيل الأولى، ويأتي بالثانية مكانها. هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (هود): ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾. وقال الرسول ﷺ لمعاذ ـ رضي الله عنه ـ: **«اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»**. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: انظر الآية رقم [٦]. هذا؛ وقد أفرد الضمير في الأفعال الثلاثة، وجمع اسم الإشارة العائد إلى (مَنْ) وأفرد الضمير في الأول مراعاة للفظ (مَنْ)، وجمع في الثاني مراعاة لمعناها.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء من فاعل (يلقى) العائد إلى ﴿مَن﴾ الأولى. ﴿تَابَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، وهو العائد، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، وجملة: (آمن) مع المتعلق المحذوف معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وكذلك جملة: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾. و﴿عَمَلًا﴾ مفعول به، أو هو مفعول مطلق معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يُبَدِّلُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: مفعول به أول. ﴿حَسَنَٰتٍۗ﴾: مفعول به ثان، فهما منصوبان، وعلامة نصبهما الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مؤنث سالمان، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يُبَدِّلُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مفرعة، ومستأنفة، وهذا الإعراب يجعل هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها؛ لذا فالوجه اعتبار: ﴿مَن﴾ مبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، والفاء زائدة لتحسين اللفظ، ومضمون الجملة الاسمية: ﴿إِلَّا مَن تَابَ...﴾ إلخ مستثنى من مضمون الكلام

السابق. هذا، وأجيز في مثل هذه الآية اعتبار: ﴿مَن﴾ شرطية، جوابها الجملة الاسمية الآتية، وتبقى الجملة الاسمية في محل نصب على الاستثناء. ومثل هذه الجملة في إعرابها الآية رقم [١٦٠] من سورة (البقرة)، والآية رقم [٦٠] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. وجملة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط إعادة الاسم الكريم بلفظه.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن تَابَ﴾ أي: من الشرك، والمعاصي، بتركها، والندم على فعلها. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: عملاً صالحاً، يتلافى به ما فرط من الطاعات، أو خرج من المعاصي، ودخل في الطاعات. ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يرجع إليه تعالى؛ إذ التوبة: الرجوع عن الذنوب إلى علام الغيوب. ﴿مَتَابًا﴾ أي: مرضياً عند الله، ماحياً للعقاب، محصلاً للثواب، أو يرجع إلى الله مرجعاً حَسَناً. وفي كلام بعض العرب: لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد، والظمآن الوارد، والعقيم الوالد.

وعن الحارث بن سويد عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**للهُ أفرحُ بتوبةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ، وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، فَطَلَبَهَا حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ، أَوْ مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ، عَلَيْهَا زَادُهُ وَشَرَابُهُ، فالله أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمؤمِنِ مِنْ هَذَا بِراحِلَتِهِ**». أخرجه البخاري، ومسلم، ومعنى فرح الله بتوبة العبد: رضاه عنه، وغفر ذنوبه، وستر عيوبه.

هذا؛ وقد قال القفال: يحتمل أن تكون الآية الأولى فيمن تاب من المشركين، ثم عطف عليه من تاب من المسلمين، وأتبع توبته عملاً صالحاً، فَلَهُ حكمُ التائبين، ولا تنس: الاحتراس في الآيتين، وهو: اشتراط الإيمان الصحيح، والعمل الصالح لقبول التوبة؛ ولذلك قيل: من تاب بلسانه، ولم يحقق ذلك بفعله، فليست تلك التوبة نافعة، بل من تاب وعمل صالحاً، فحقق توبته بالأعمال الصالحة، فهو الذي تاب إلى الله متاباً، أي تاب حق التوبة، وهي النصوح، ولذا أكد بالمصدر، فـ: ﴿مَتَابًا﴾ مصدر معناه التأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ أي: فإنه يتوب إلى الله حقّاً، فيتقبل الله توبته حقّاً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَابَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط

ومتعلقه محذوف، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿وَعَمِلَ﴾: فعل ماض معطوف على ما قبله، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿يَتُوبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (من) أيضاً، تقديره: «هو». ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بالمصدر بعدهما. ﴿مَتَابًا﴾: مفعول مطلق، وهو مصدر ميمي مؤكد لفعله، والجملة الفعلية: ﴿يَتُوبُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: (إنه...) إلخ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٦٨]. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً فهو مبتدأ، وجملة: ﴿تَابَ﴾ مع المتعلق المحذوف صلته، وخبره: الجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّهُۥ...﴾ إلخ ودخلت الفاء عليها، وهي خبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: (من تاب...) إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهو أقوى من العطف على ما قبلها. تأمل.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: لا يحضرون مجالس الباطل، وعن ابن الحنفية: اللهو، والغناء. وعن مجاهد: أعياد المشركين. والزور: كل باطل زُوِّر وزخرف وزين، وأعظمه الشرك، وتعظيم الأنداد، والمعاندين لله. وقال علي بن أبي طلحة ومحمد بن علي: المعنى لا يشهدون بالزور. وقال الزمخشري: ويحتمل: أنهم لا يشهدون شهادة الزور، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. هذا؛ وانظر ما ذكرته في شهادة الزور في الآية رقم [٣٠] من سورة (الحج).

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾: اللغو: ما ينبغي أن يلغى ويطرح. والمعنى: إذا مروا بأهل اللغو، والمشتغلين به؛ مروا معرضين عنهم، مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم، والخوض معهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الآية رقم [٥٥] من سورة (القصص). هذا؛ ومن ترك اللغو: الإغضاء عن الفواحش، والصفح عن الذنوب، والكناية عما يستهجن التصريح به.

﴿كِرَامًا﴾ أي: مروا مرّ الكرام الذين لا يدخلون في الباطل، يقال: تكرم فلان عما يشينه، أي: تنزه، وأكرم نفسه عنه. روي أن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ سمع غناء، فأسرع، وذهب، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**لَقَدْ أَصْبَحَ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ كَرِيماً**». كيف لا؟ وقد قال ـ رضي الله عنه ـ: الغناء ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء الزرع. قال القرطبي: من الغناء ما ينتهي سماعه إلى التحريم، وذلك كالأشعار التي توصف فيها الصور

المستحسنات، والخمر، وغير ذلك مما يحرِّك الطباع، ويخرجها عن الاعتدال، أو يثير فيها كامناً من حب اللهو. انتهى.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع معطوف على مثله في الآيات السابقة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْهَدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . .إلخ، والواو فاعله، ﴿ٱلزُّورَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿مَرُّواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱللَّغْوِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح، وجملة: ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾ جواب (إذا) لا محل لها. ﴿كِرَامًا﴾: حال من واو الجماعة، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على جملة الصلة، لا محل له مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قرئ عليهم القرآن، أو وعظوا. ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا...﴾ إلخ: قيل: إن المعنى: إذا تليت عليهم آيات الله؛ وجلت قلوبهم، فخروا سجداً، وبكياً، ولم يخروا عليها صماً وعمياناً، بل هم سامعون بآذانٍ واعية، مبصرون بعيون راعية لما أمروا به، ونهوا عنه، لا كالمنافقين، وأشباههم. دليله قوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٥٨]: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، وقوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [١٠٧]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾. ﴿صُمًّا﴾: جمع: أصم، وهو الذي لا يسمع ما يقال له. ﴿وَعُمْيَانًا﴾: جمع: أعمى، ومؤنثه عمياء، ويجمع أيضاً على: عُمْي، وَأَعْمَاء، وَعُمَاة.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): معطوف على ما قبله. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿ذُكِّرُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(آيات) مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَخِرُّواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿صُمًّا﴾: حال من واو الجماعة. (عمياناً): معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿لَمْ يَخِرُّواْ...﴾ إلخ جواب: ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها صلة الموصول، كلام لا محل له.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا...﴾ إلخ: في هذه الآية إرشاد كريم من الله تعالى، وتعليم لعباده أن يسألوا الله الذرية الصالحة، والزوجة المطيعة، والمتقية، كيف لا؟ وقد قال الله تعالى حكاية عن قول زكريا ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾. وقد دعا الرسول ﷺ؛ لأنس بن مالك بقوله: «**اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ**».

وذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده، قرت عينه بأهله وعياله؛ حتى إذا كانت عنده زوجة صالحة مطيعة، اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة، وكانت عنده ذرية محافظون على الطاعة، معاونون له على وظائف الدين والدنيا، لم يلتفت إلى زوجة غيره، ولا إلى ولده، فقد قيل: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته، وأولاده مطيعين لله عز وجل، فيطمع أن يَحُلُّوا معه في الجنة، فيتم سروره، وتقر عينه بذلك. هذا؛ ويقرأ (ذريتنا) بالإفراد، و(هَبْ) ماضيه وهب، فتحذف الواو من مضارعه وأمره، مثل وعد، يعد، عِد. ووزن، يزن، زِن. والقياس من كسر الهاء؛ لأن الواو لا تسقط إلا على هذا التقرير، مثل عِد، وزِن ونحوهما، إلا أن الهاء فتحت من يَهب؛ لأنها حرف حلق، فهي عارضة، فلذلك لم تَعُد الواو كما لم تَعُد في يسع ويدع.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: أئمة يقتدون بنا في الخير. وفيه دليل على أن الرياسة في الدين مطلوبة، وطلبها من الله مندوب، وكان القشيري أبو القاسم شيخ الصوفية يقول: الإمامة بالدعاء لا بالدعوى، أي: بتوفيق الله، وتيسيره ومنته، لا بما يدعيه كل واحد لنفسه. وقال إبراهيم النخعي: لم يطلبوا الرياسة في الدنيا، بل بأن يكونوا قدوة في الدين.

هذا؛ و﴿أَزْوَٰجِنَا﴾ جمع: زوج، وهو يطلق على الرجل، والمرأة، والقرينة تبين الذكر، والأنثى، ويقال لها أيضاً: زوجة، وحذف التاء منها أفصح إلا في الفرائض، فإنها بالتاء أفصح لتوضيح الوارث. هذا؛ والزوج: القرين، قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ أي: وقرناءهم، الآية رقم [٢٢] من سورة (الصافات). والزوج: ضد الفرد، وكل واحد منهما يسمى زوجاً أيضاً، يقال للاثنين هما زوجان، وهما زوج، كما يقال: هما سيان، وهما سواء، وقال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: من كل نوع ذكراً وأنثى، الآية رقم [٤٠] من سورة (هود) وقال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ...﴾ إلخ الآية رقم [١٤٣] من سورة (الأنعام)، والمعنى: ثمانية أفراد، والزوج: الصنف، والنوع، قال تعالى في سورة (لقمان) رقم [١٠]: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي: صنف من النبات، وقال تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾. (ذرياتنا): جمع: ذرية، وهي النسل من بني

آدم، وهي تقع على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ وعلى الواحد كما في قوله تعالى حكاية عن قول زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾. قيل: هي مشتقة من الذَّرا بفتح الذال، وهو كل ما استذريت به، يقال: أنا في ظل فلان، وفي ذَرَاه، أي في كنفه وستره، وتحت حمايته، وهو بضم الذال: أعلى الشيء، وقيل: هي مشتقة من الذَّرْء، وهو الخلق، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أبدلت همزة الذَّرْء ياء، ثم شددت الياء، وتبعتها الراء في التشديد.

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: يحتمل أن تكون من القرار، وهو السكون، والهدوء، ويحتمل أن تكون من القُرّ، وهو الأشهر، والقُرّ: البرد؛ لأن العرب تتأذى بالحر، وتستريح إلى البرد، وأيضاً فإن دمع السرور بارد، ودمع الحزن ساخن؛ فمن هذا يقال: أقر الله عينك، وأسخن الله عين العدو. قال الشاعر: [الطويل]

فَكَمْ سَخِنَتْ بِالأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ وَقَرَّتْ عُيونٌ دَمْعُهَا الْيَوْمَ سَاكِبُ

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣] من سورة (القصص) وقد وحد ﴿قُرَّةَ﴾ لأنه مصدر، والمصدر يصلح للمفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وإنما قال: ﴿أَعْيُنٍ﴾ وهو جمع قلة بخلاف: «عيون» وهو جمع كثرة؛ لأنه أراد أعين المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾. هذا؛ ولفظ (إمام) يستوي فيه المفرد، والجمع، فالمطابقة حاصلة. وقال البيضاوي: وتوحيد ﴿إِمَامًا﴾ لدلالته على الجنس، وعدم اللبس كقوله جل ذكره في الآية رقم [٥] من سورة (الحج): ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أو لأنه مصدر في أصله، أو لأن المراد، واجعل كل واحد منا إماماً، أو لأنهم كنفس واحدة، لاتحاد طريقتهم، واتفاق كلمتهم. وقيل: هو جمع آم، كصائم، وصيام، ومعناه: قاصدين لهم، مقتدين بهم. انتهى. بتصرف. هذا؛ و(إمام): قدوة، وهو أيضاً الكتاب، والرسول، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ والإمام: الطريق الذي يؤتم به، قال تعالى في سورة (الحجر): ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وخذ قول لبيد في معلقته: [الكامل]

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهم وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): معطوف على ما قبله. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، الواو ضمير متصل في محل رفع فاعل. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هَبْ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾: متعلقان بالفعل: ﴿هَبْ﴾ أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿قُرَّةَ

﴿أَعۡيُنٖ﴾، على القاعدة (نعت النكرة؛ إذا تقدم عليها صار حالاً) و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿قُرَّةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أَعۡيُنٖ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱجۡعَلۡنَا﴾: فعل دعاء، وفاعله أنت، و(نا): مفعول به. ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من (إماماً)، كان نعتاً له فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة التي رأيتها. ﴿إِمَامًا﴾: مفعول به. هذا؛ والجملة: ﴿رَبَّنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المتصفين بما فصل في حيز الموصولات الثمانية، وهي إحدى عشرة خصلة: التواضع، والحلم، والتهجد في الليل، والخوف من نار جهنم وعذابها، وترك الإسراف في الإنفاق، والتقتير فيه، والنزاهة عن الشرك، وترك الزنى، وعدم قتل النفس، والتوبة، وتجنب الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله، والتضرع إليه بطلب الزوجات الصالحات، والذرية المستقيمة على الصراط المستقيم.

﴿يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾: يكافؤون على اتصافهم بتلك الصفات الحميدة بالغرفة، وهي الدرجة الرفيعة، وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا، و﴿ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ اسم جنس أريد به الجمع لقوله تعالى في الآية رقم [٣٧] من سورة (سبأ): ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ وقوله تعالى في الآية رقم [٢٠] من سورة (الزمر): ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ وتجمع على: غرف، وغرفات، كما في هاتين الآيتين. ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ أي: ينالون الغرف والنعيم المقيم في الجنة بسبب صبرهم على الطاعات، وعن المعاصي، وعن السيئات، وعلى أنواع البلاء، وكل ذلك مستقى من هدي القرآن الكريم، وهدي الرسول ﷺ.

وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المشرقِ، أو المغربِ لِتفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تلك منازلُ الأنبياءِ، لَا يبلغها غيرهم، قال: «**بَلَى وَالذي نفسي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**». وخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفاً يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**». فقام إليه أعرابيٌّ، فقال: لِمَنْ هي يا رسولَ الله؟! قال: «**هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى للهِ بِاللَّيْلِ، والناسُ نِيَامٌ**». انتهى. قرطبي. وهذا الحديث يروى بروايات كثيرة في «الترغيب والترهيب» للمنذري، وغيره.

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ أي: يعطون في الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، ويقرأ بالتخفيف، ومعناه: يجدون، ويصادفون، وكل شيء استقبل شيئاً، أو صادفه فقد لقيه؛ لأن ما لقيك فقد لقيته، وما لقيته فقد لقيك، ومثله: ما نالك فقد نلته، وما نلته فقد نالك. ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾: هما اسمان مترادفان على المعتمد، وقيل: التحية البقاء الدائم، والملك العظيم، وهذه التحية، والسلام من الملائكة، كما أخبر الله في الآيتين رقم [٢٣ و٢٤] من سورة (الرعد) بقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ وقيل: هذه التحية، والسلام من الله تعالى. وقيل: يحيي بعضهم بعضاً، ويسلم بعضهم على بعض. هذا؛ والتحية: مصدر: حيَّاه بتشديد الياء، وأصل معناه: الدعاء له بالحياة، ثم عم في كل كلام يلقيه بعض الناس على بعض بقصد الدعاء، كقولهم: أبيت اللعن، وأنعموا صباحاً، ونحوه، ثم خصته الشريعة الإسلامية بكلام معين، وهو قول القائل: السلام عليكم. قال الرسول ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟**». قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «**أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**». وفي سورة (النساء) رقم [٨٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾. هذا؛ وإذا ورد على إنسان كتاب بالتحية ونحوها ينبغي أن يرد الجواب؛ لأن الكتاب من الغائب كالسلام من الحاضر. وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان يرى رد الكتاب واجباً، كما يرى رد السلام للإنسان الحاضر. والتحية: الملك أيضاً، من ذلك «التحيات لله» معناه: الملك لله تعالى، قال عمرو بن معديكرب: [الوافر]

أَسِيرُ بِهِ إِلَى النُّعْمَانِ حَتَّى ... أُنِيخَ عَلَى تَحِيَّتِهِ بِجُنْدِ

وتكون التحية بمعنى البقاء، قال زهير بن جناب الكلبي: [مجزوء الكامل]

أَبَنِيَّ إِنْ أَهْلِكْ فَإِ ... نِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ بَنِيَّهْ
وَتَرَكْتُكُمْ أولادَ سَا ... دَاتٍ زِنَادُكُمُ ورِيَّهْ
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى ... قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّهْ

معناه: إلا البقاء، فإنه لا ينال، ويقال: حيَّاكَ اللهُ وَبَيَّاكَ، فمعنى حيَّاكَ: ملكك، ومعنى بيَّاك: أضحكك.

الإعراب: ﴿أُوْلَئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسرة في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يُجْزَوْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿الْغُرْفَةَ﴾: مفعول به ثان. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿صَبَرُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، و(ما) المصدرية، والفعل: ﴿صَبَرُوا﴾ في

تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. انظر الشرح، وجملة: ﴿يُجْزَوْنَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (عباد الرحمن) على اعتبار الاسم الموصول خبراً له. ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾: الواو: حرف عطف. (يلقون): فعل مضارع مبني للمجهول على قراءته بالتشديد، والواو نائب فاعله، ومبني للمعلوم على قراءته بالتخفيف، والواو فاعله. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿تَحِيَّةً﴾: مفعول به. ﴿وَسَلَٰمًا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَيُلَقَّوْنَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦﴾

الشرح: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾: مقيمين في تلك الغرفة لا يخرجون، ولا يموتون. ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: نعم المستقر، ونعم المقام، وانظر تأنيث الفعل: ﴿سَآءَتْ﴾ في الآية رقم [٦٦] فـ: ﴿حَسُنَتْ﴾ مثله. هذا؛ ومقام أصله: مُقْوَم، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت فتحة الواو إلى القاف قبلها، ثم قل: تحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت ألفاً.

الإعراب: ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَاۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿حَسُنَتْ﴾: فعل ماض لإنشاء المدح، وفاعله مستتر مميز بما بعده. ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: تمييز، والتقدير: حسن المستقر مستقراً. هذا؛ وقال أبو البقاء: الفاعل في: ﴿حَسُنَتْ﴾ ضمير: ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ وعليه فلا مدح في هذه الجملة، والمعتمد الأول. ﴿وَمُقَامًا﴾: معطوف على ما قبله، والمخصوص بالمدح محذوف؛ إذ التقدير: «حسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً هِيَ». والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وقيل: في محل نصب حال ثانية من الغرفة، والحال الأولى: ﴿خَٰلِدِينَ﴾، ولا أسلمه، بل أعتمد اعتبار ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حالاً من واو الجماعة، وأجيز اعتبار الجملة الفعلية حالاً من الضمير المجرور بـ: (في) وهو عائد على ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ ويكون الرابط: الواو فقط. والمعتمد الأول.

هذا؛ والحال في هذه الآية حال مقدرة؛ إذ الحال بالنسبة للزمان على ثلاثة أقسام: حال مقارنة، وهي الغالبة، نحو قوله تعالى، حكاية عن قول امرأة إبراهيم ـ على نبينا وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ﴾. وحال مقدرة، وهي المستقبلة، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، ومثلها الحال في هذه الآية. وحال محكية، وهي الحال الماضية،

نحو: جاء زيدٌ أمْسِ رَاكِباً. وهناك الحال الموطئة، وهي التي تذكر توطئة للصفة بعدها، بمعنى أن المقصود الصفة، وهذا كثير في القرآن الكريم، خذ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨٣] من سورة (الشعراء) ففيها بحث آخر.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى﴾ أي: ما يصنع وما يفعل بكم؛ فوجودكم وعدمكم سواء. انتهى. خازن. وقال القرطبي: هذه آية مشكلة تعلقت بها الملاحدة، يقال: ما عبأت بفلان؛ أي: ما باليت به، أي ما كان له عندي وزن، ولا قدر. وأصل يعبأ من العِبْء، وهو الثقل، قال أبو زبيد الطائي، يصف أسداً: [الوافر]

كَأَنَّ بِصَدْرِهِ وَبِجَانِبَيْهِ عَبِيراً بَاتَ يَعْبَؤُهُ عَرُوسُ

أي: يجعل بعضه على بعض، فالعبء: الحمل الثقيل، والجمع: أعباء، و«العبء» المصدر. وقال الزمخشري: لما وصف عبادة العباد، وعدَّد صالحاتهم وحسناتهم، وأثنى عليهم من أجلها، ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة؛ أتبع ذلك ببيان: أنه إنما اكترث لأولئك، وعبأ بهم، وأعلى ذكرهم، ووعدهم ما وعدهم؛ لأجل عبادتهم، فأمر رسوله أن يصرح للناس، ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم، إنما هو للعبادة وحدها، لا لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة، ولم يعتد بهم، ولم يكونوا عنده شيئاً يبالي به. انتهى. وهو جيد جيد جداً.

﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾: لولا عبادتكم، فإن شرف الإنسان، وكرامته بالمعرفة والطاعة، وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء، وقيل: معناه: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة، فيكون كقوله تعالى في الآية رقم [١٤٧] من سورة (النساء): ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: بما أخبرتكم حيث خالفتموه، وإذا كان الخطاب لمشركي قريش؛ فيكون في الكلام التفات من خطاب المؤمنين الصادقين إلى خطاب المشركين المعاندين، وهذا على رأي الزمخشري. وإذا كان الخطاب في الأول، والثاني لكفار قريش، فلا التفات في الكلام.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ أي: يكون جزاء التكذيب ـ وهو العذاب ـ لازماً لكم، يحيق بكم لا محالة، أو أثره لازماً لكم؛ حتى يكبكم في النار، واللَّزام بالفتح: اللزوم، وبكسر اللام: الملازمة، وقد قرئ بفتح اللام، وكسرها، كالثبات، والثبوت، وقد فسر بالعذاب في الآخرة، وفسر بالقتل يوم بدر. ولزام على القراءتين مصدر، وقد وقع على القراءتين موقع اسم الفاعل، فعلى الكسر وقع موقع ملازم، وعلى الفتح وقع موقع لازم، فيكون مثل قوله تعالى في آخر سورة (الملك): ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: غائراً.

تنبيه: فقد روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: (خمسٌ قدْ مضيْنَ: الدخانُ، واللزامُ، والرومُ، والبطشةُ، والقمر. وفي رواية: الدخانُ، والقمرُ، والرومُ، والبطشةُ، واللزامُ) وقوله: خمس أي: خمس علامات دالة على قيام الساعة. قد مضين، أي: وقعن، الأول: الدخان المذكور في سورة (الدخان) في قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ وعلى هذا فالمراد به شيء يشبه الدخان. وذلك: أنه لما نزل بقريش الجوع، صار الواحد منهم يرى كأن بينه وبين السماء دخاناً. والقمر، أي: في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾. والروم، أي: المذكور في قوله تعالى سورة (الروم): ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾. والبطشة، أي: المذكورة بسورة (الدخان) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ وهي القتل يوم بدر. واللزام، أي: في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول مطلق عامله ما بعده، التقدير: أي عبء يعبأ بكم، وقيل: ﴿مَا﴾ نافية. ﴿يَعْبَؤُا۟﴾: فعل مضارع. ﴿بِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبِّى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿دُعَآؤُكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وخبر المبتدأ محذوف، التقدير: موجود، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف أيضاً دل عليه ما قبله، والكلام: ﴿مَا يَعْبَؤُا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: هي الفصيحة، والمعنى يؤيده. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي معطوفة على ما قبلها، وهي في محل نصب مقول القول على الاعتبارين. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (سوف): حرف استقبال وتسويف. ﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى المفهوم من التكذيب، انظر تقديره في الشرح. ﴿لِزَامًا﴾: خبر: ﴿يَكُونُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

انتهت سورة الفرقان شرحاً، وإعراباً، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

والحمد لله رب العالمين.

سورة الشعراء

سورة (الشعراء)، وهي مكية إلا أربع آيات من آخر السورة، من قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾...﴾ إلخ وهي مئتان وسبع وعشرون آية، وألف ومئتان وتسع وسبعون كلمة، وخمسة آلاف، وخمسمئة وأربعون حرفاً. انتهى. خازن.

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: **«أُعطِيتُ السورةَ التي تُذكرُ فيها البقرةُ من الذكر الأول، وأُعطِيتُ (طَهَ) و(الطواسين) من ألواح موسى، وأُعطِيتُ فَوَاتِحَ القرآن، وخَوَاتِيمَ سورةِ (البقرةِ) مِنْ تحتِ العَرشِ، وأُعطِيتُ الْمُفصَّلَ نافِلةً»**. وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: **«إنَّ اللهَ أَعْطَانِي السَّبْعَ الطِّوالَ مَكانَ التوراةِ، وَأَعْطَانِي ﴿الٓمٓصٓ﴾ مكانَ الإنجيلِ، وَأَعْطانِي (الطواسينَ) مكانَ الزبورِ، وفضَّلَنِي بـ: (الْحَوَامِيم) والمفصَّل مَا قَرَأَهنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي»**. انتهى. جمل نقلاً عن القرطبي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿طسٓمٓ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: عجزت العلماء عن علم تفسيرها، وفي رواية أخرى عنه: أنه قَسَم، وهو اسم من أسماء الله تعالى. والجواب الآية رقم [٤] الآتية. وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن أقسم الله به. وقال مجاهد: هو اسم للسورة. وقال القرظي: أقسم الله بطَوْلِهِ، وسنائِه، وملكه. وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: الطاء: طور سيناء، والسين: إسكندرية، والميم مكة. وقال جعفر الصادق بن محمد بن علي، ـ أي زين العابدين رضي الله عنهم أجمعين ـ: الطاء: شجرة طوبى، والسين: سدرة المنتهى، والميم: محمد ﷺ. وقيل: الطاء من الطاهر، والسين من السميع، أو من السلام، والميم من المجيد. و(طسم) و(طس) بمعنى واحد، قال المتنبي في مطلع قصيدة له مدح بها أبا الحسن علي بن عبد الله العدوي: [الطويل]

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

والطَّواسينُ، والطَّوَاسيمُ سور في القرآن جُمعت على غير قياس، وأنشد أبو عبيدة: [الرجز]

وَبِالطَّوَاسِيمِ الَّتِي قَدْ ثُلِّثَتْ وَبِالْحَوَامِيمِ الَّتِي قَدْ سُبِّعَتْ

قال الجوهري: والصواب أن تجمع بذوات، وتضاف إلى واحد، فيقال: ذواتُ طسم، وذواتُ حم. انتهى. قرطبي. ﴿ءَايَٰتُ﴾: جمع آية، وهي تطلق على معان كثيرة: الدلالة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وتطلق على المعجزة، مثل انشقاق القمر، ونحوه، وعصا موسى، ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾. وتطلق على الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾. كما تطلق على جملتين، أو أكثر من كلام الله تعالى، وعلى السورة بكاملها، وهي المرادة هنا.

﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: هو في اللغة: الضم، والجمع، وسميت الجماعة من الجيش كتيبة؛ لاجتماعهم، كما سمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يضم الكلام بعضه إلى بعض، ويجمعه، ويرتبه، وفي الاصطلاح: اسم لجملة مختصة من العلم، مشتملة على أبواب، وفصول، ومسائل غالباً. والمراد به هنا: القرآن الكريم الذي أنزل على قلب محمد ﷺ. ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾: الظاهر إعجازه، وصحته، وما فيه من الأحكام، والمبين للحق من الباطل، والحلال، والحرام، وقصص الأنبياء، ونبوة محمد ﷺ، وانظر وصفه بـ: ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ في أول سورة (لقمان) وهو اسم فاعل من: أبان الرباعي، أصله المبْيِن بسكون الباء وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ولا تنس: أن اسم الفاعل من بان الثلاثي: «بائن».

الإعراب: ﴿طسٓمٓ﴾: في إعراب هذا اللفظ وأمثاله وجوه: الأول: أن محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا طسم، أو هو مبتدأ خبره ما بعده. والثاني: أن محله النصب على أنه مفعول به لفعل محذوف، التقدير: اقرأْ، أو اتلُ طسم، أو هو منصوب على تقدير حذف حرف القسم، كما تقول: اللهَ لأفعلنَّ، والناصب فعل محذوف أيضاً، التقدير: التزمت الله، أي اليمين به. والثالث: أن محله الجر على القسم، وحرف الجر محذوف، وبقي عمله بعد الحذف؛ لأنه مراد، فهو كالملفوظ به، وتقدير الكلام على هذا: أقسم، أو أحلف بـ﴿طسٓمٓ﴾، وضعف هذا سليمان الجمل، فقال: وهذا ضعيف؛ لأن ذلك، أي حذف الجار وإبقاء عمله من خصائص الجلالة المعظمة، لا يشركها فيه غيرها، ولا محل لها من الإعراب على اعتبارها وأمثالها حروفاً مقطعة، أو مختصرة من أسماء. وكذلك على قول السلف في هذا اللفظ، وأمثاله: الله أعلم بمراده بذلك، لا محل له من الإعراب؛ لأن الإعراب فرع معرفة المعنى.

﴿تِلۡكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، وأجيز اعتباره خبر لمبتدأ محذوف التقدير: هذه تلك، فتكون ﴿ءَايَٰتُ﴾ بدلاً من اسم الإشارة، والأول أقوى، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ءَايَٰتُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿ءَايَٰتُ﴾: مضاف،

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: صفة ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، والجملة الاسمية: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو: ﴿طسٓمٓ﴾ على الوجه الثاني من وجهي الرفع، كما رأيت، والرابط: اسم الإشارة على اعتبار الإشارة عائدة على ﴿طسٓمٓ﴾، وهي مستأنفة على بقية الأوجه فيه.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: لعلك مهلك نفسك، وقاتلها. وأصل البخع أن يبلغ الذابح بالذبح البِخَاع، وهو عرق مستبطن الفقار، وذلك أقصى حد الذبح. وفي المصباح المنير: وبَخَعَ نفسه بَخْعاً من باب: نفع: قتلها من وجد، أو غيظ. وبَخَعَ لي بالحق بُخُوعاً: انقاد له، وخضع. و(لعلَّ) هنا للإشفاق؛ أي: أشفق على نفسك أن تقتلها. ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لئلا يؤمنوا، أو خيفة عدم إيمانهم. فقد شبه الله نبيه ﷺ حين تولى عنه المشركون برجل فارقه أحبته، فهو يتساقط حسرات عليهم، ويهلك نفسه وجداً عليهم، وتلهفاً على فراقهم. ففي الكلام استعارة تمثيلية. وبخع نفسه: قتلها غماً، قال ذو الرمة: [الطويل]

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ ... بِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

والترجي هنا ليس على بابه، بل المقصود منه النهي؛ أي: لا تبخع نفسك، أي: لا تهلكها غماً على عدم إيمانهم، وقيل: هو للإشفاق على بابها. هذا؛ والفراق بين الترجي، والإشفاق: أن الأول في المحبوب، والثاني في المكروه، وما في الآية من هذا القبيل، وقيل: (لعلَّ) هنا للاستفهام، وهو رأي الكوفيين، ومثل الآية الآية رقم [٦] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿لَعَلَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿بَٰخِعٌ﴾: خبرها، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿نَّفْسَكَ﴾: مفعول به لـ ﴿بَٰخِعٌ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. (أن): حرف مصدري، ونصب. (لا): نافية. ﴿يَكُونُوا۟﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ (أن)، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبر ﴿يَكُونُوا۟﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، و(أن) والفعل ﴿يَكُونُوا۟﴾ في تأويل مصدر في محل جر بلام تعليل محذوفة، التقدير: لئلا يكونوا، وهو قول الكوفيين، أو هو في محل جر بإضافة مفعول لأجله إليه، التقدير: مخافة عدم إيمانهم، وهو قول البصريين، ومثل هذه الآية قول عمرو بن كلثوم، وهو الشاهد رقم [٤٨] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الوافر]

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّا ... فَعَجَّلْنَا الْقِرَى أَنْ تَشْتُمُونَا

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ أي: دلالة ملجئة إلى الإيمان، أو بلية قاسرة عليه. ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ أي: منقادين ذليلين، وأصل الكلام: فظلوا لها خاضعين، فاقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الخبر على أصله. وقيل: لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء، أجريت مجراهم، وقيل: المراد بـ: (الأعناق) الرؤساء، أو الجماعات، من قولهم: جاءنا عُنُق من الناس لفوج منهم، وقيل: إنما أراد أصحاب الأعناق، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وقيل: إن المعنى: إن ذلت رقابهم ذلوا، فالإخبار عن الرقاب إخبار عن أصحابها، ويسوغ في كلام العرب أن تترك الخبر عن الأول وتخبر عن الثاني، قال الأغلب العجلي: [الرجز]

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي نَقَضْنَ كُلِّي، وَنَقَضْنَ بَعْضِي

فأخبر عن الليالي، وترك الطول، وقال جرير: [الوافر]

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ

وإنما جاز ذلك؛ لأنه لو أسقط مرّ وطول من الكلام لم يفسد معناه انتهى. قرطبي، وما في البيتين يعبر عنهما بتعبير آخر، وهو: أن المضاف اكتسب التأنيث من المضاف إليه. انظر الشاهد رقم [٩٠٢] وما بعده في كتابنا فتح القريب المجيب، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

تنبيه: ذكر الزمخشري، والقرطبي: أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال: ستكون لنا عليهم الدولة، فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة، ويلحقهم هوانٌ بعد عزة. انتهى. وأعتقد أن هذه المقالة مكذوبة على ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. هذا؛ ويقرأ الفعلان ﴿نَّشَأْ نُنَزِّلْ﴾ بالنون والياء.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿نَّشَأْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: «نحن»، أو تقديره: «هو»، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿نُنَزِّلْ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل تقديره: «نحن»، أو «هو». ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿آيَةً﴾، كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿آيَةً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿نُنَزِّلْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَظَلَّتْ﴾: الفاء: حرف عطف. (ظلت): فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث

حرف لا محل لها. ﴿أَعْنَٰقُهُمْ﴾: اسم (ظَلَّتْ)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿خَٰضِعِينَ﴾: خبر (ظَلَّتْ) منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿فَظَلَّتْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم...﴾ إلخ؛ لأنه لو قيل: أنزلنا؛ لكان صحيحاً على حد قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ وهذا التعبير لا يجوز؛ لأنه لا يكون في النثر فعل الشرط مضارعاً، والجواب ماضياً، وإنما ميدانه الشعر، قال قعنب ابن أم صاحب: [البسيط]

إنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً عَنِّي، وَمَا يَسْمَعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وهذا هو الشاهد رقم [١١٧٦] من كتابنا فتح القريب المجيب، وفي الآية الكريمة عطفت جملة: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ...﴾ إلخ على جواب الشرط، وفعلها ماض، وجواب الشرط مضارع، واغتفر ذلك؛ لأنه يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الأوائل. انتهى. مغني اللبيب. هذا؛ وقيل: إن جملة: ﴿فَظَلَّتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾

الشرح: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ أي: أهل مكة. ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ أي: جديد، أو متجدد إنزاله، لا أنه مخلوق، والمراد بالذكر: الآيات؛ التي تنزل بعد الآيات، والسورة التي تنزل بعد السورة. أو المراد به ما يذكرهم به النبي ﷺ، ويعظهم. وإضافته إلى الرحمن؛ لأنه ﷺ لا ينطق إلا بالوحي، فقوله، ووعظه، وتحذيره ذكر، وهو محدث متجدد. ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ﴾: عن الذكر. ﴿مُعْرِضِينَ﴾ أي: جددوا له إعراضاً عنه، وكفراً به، وازدادوا عتواً، وعناداً، وقابلوه بالتكذيب، والسخرية، والاستهزاء. هذا؛ والفعل «أتى، يأتي» يستعمل لازماً، إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، ويستعمل متعدياً، إن كان بمعنى: وصل، وبلغ، كما في هذه الآية ونحوها، ومثله فعل: «جاء» في التعدية واللزوم، مع اختلاف اللفظ واتفاق المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَأْتِيهِم﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿ذِكْرٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ذِكْرٍ﴾، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿مُحْدَثٍ﴾ تقدم عليه، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من: ﴿ذِكْرٍ﴾؛ لأنه وصف بمحدث، وهذا أضعف الأقوال. ﴿مُحْدَثٍ﴾: صفة ﴿ذِكْرٍ﴾ على لفظه، وقرئ بالرفع صفة له على محله، وأجاز

الكسائي نصبه على الحال، ولم أجد قراءة بالنصب، وهذا كله من الآية رقم [٢] من سورة (الأنبياء). وجملة: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿عَنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُعْرِضِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، أو في محل نصب حال من الضمير المنصوب، أو في محل نصب حال من الفاعل الموصوف بما ذكر، و«قد» قبلها مقدرة، والرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (عن).

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي: النبي ﷺ، حيث لم يؤمنوا بالذكر الذي جاءهم به؛ حيث أعرضوا عنه، وأمعنوا في تكذيبه، حيث أدى بهم إلى الاستهزاء المخبر به عنهم ضمناً بما يلي. هذا؛ وفي الآية رقم [٥] من سورة (الأنعام): ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ وفسرت الحق هناك بالقرآن المنزل من عند الله على قلب محمد ﷺ. ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا...﴾ إلخ: أي سيظهر لهم عاقبة استهزائهم عند نزول العذاب بهم يوم القيامة، أو حين يعلو شأن الإسلام، وتنزل بهم الذلة، والمهانة، وقد حقق الله وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده حين هزموا في وقعة بدر الكبرى، ثم تم ذلك يوم فتح مكة حين وقفوا بين يدي رسول الله ﷺ صاغرين ذليلين حقيرين ينتظرون ما يفعل بهم من قتل، أو نفي، أو استرقاق، ففي الآية الكريمة وعيد، وتهديد، وإنذار بأنهم سيعلمون ما يحل بهم من ذلة، وصغار؛ إن لم يؤمنوا، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: هي الفصيحة كأنه قيل: إذا أردت أن تعرف ماذا كان موقفهم من الذكر حين أعرضوا عنه، وصرفوا عن التأمل فيه، فقد كذبوا، وفيه من الضعف ما لا يخفى. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَذَّبُوا﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول به محذوف مع المتعلق انظر الشرح، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾: الفاء: حرف عطف. السين: حرف استقبال. (يأتيهم): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿أَنبَٰٓؤُا﴾: فاعل. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية ضعيفة هنا، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بإضافة ﴿أَنبَٰٓؤُا﴾ إليها. ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا بِهِۦ...﴾ إلخ صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً

بالباء، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بإضافة: ﴿أَنبَٰٓؤُاْ﴾ إليه، التقدير: أنباء استهزائهم، وجملة: (سيأتيهم...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ﴾: انظر الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنبياء). ﴿يَرَوْا﴾ أي: الكفار، ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب، والغرائب. ﴿كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ...﴾ إلخ: نبه على عظمته، وقدرته، وأنهم لو رأوا بقلوبهم، ونظروا ببصائرهم؛ لعلموا: أن الله تعالى هو الذي يستحق العبادة وحده؛ إذ هو القادر على كل شيء، والخالق لكل شيء، والمحيط علمه بكل شيء، و(الزوج) المراد به هنا: الجنس، والنوع، والصنف الحسن من النبات، مما يأكل الناس والأنعام.

هذا؛ وقال الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم، وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة، والإحاطة: أن كلمة «كل» تدل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل، و«كم» تدل على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة. وانظر شرح ﴿تَنبُتُ﴾ في الآية رقم [٢٠] من سورة (المؤمنون)، وانظر شرح: ﴿كَرِيمٍ﴾ في الآية رقم [٥٨] الآتية.

وهنا أذكر: أنه تعالى وصف النبات بـ: ﴿كَرِيمٍ﴾ لأحد أمرين: الأول: أن النبات نوعان: نافع، وضار، فدل بكلمة ﴿كَرِيمٍ﴾ على أن المراد النوع النافع، وخلّى ذكر الضار. والثاني: أن المراد: النافع والضار من النبات، ووصفهما بـ: ﴿كَرِيمٍ﴾ تنبيهاً على أنه ما خلق شيئاً إلا لحكمة، وربما خفيت أسرارها على ابن آدم، ولكنه تعالى عالم بما يجهل العبد الفقير.

وأما (نا) في قوله تعالى ﴿أَنبَتْنَا﴾ فقد قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح): وقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا﴾، ﴿وَهَبْنَا﴾، ﴿نَحْنُ﴾، ﴿إِنَّا﴾ لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء، وأمثال، وعلى الواحد العظيم المطاع؛ الذي له أعوان يطيعونه، وإن لم يكونوا له شركاء، ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك، أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنوده، فإذا كان الواحد من الملوك، يقول: فعلنا، وإنا، ونحن... إلخ، ولا يريدون: أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء، ومليكه هو أحق أن يقول: فعلنا، ونحن، وإنا... إلخ، مع أنه ليس له شريك، ولا مثل، بل له جنود السموات، والأرض. انتهى.

أقول: و(نا) هذه تسمى نون العظمة، وليست دالة على الجماعة، كما يزعم الملحدون، والكافرون، فالله لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكثيراً ما يتكلم بها العبد، فيقول: أخذنا، وأعطينا... إلخ، وليس معه أحد، والغاية من هذا الكلام الرد على النصارى الذين يدخلون الشبهة على السذج من المسلمين بأن الإله ثلاثة أقانيم: الأب، والابن،

وروح القدس، ويدعمون شبهتهم هذه بالألفاظ الموجودة في القرآن، والتي ظاهرها يفيد الجمع. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. (الواو): حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَمْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. وقال الجلال: خبرية بمعنى: كثيراً، وجوز أبو البقاء اعتبارها ظرفاً لما بعدها، كما جوز اعتبارها مصدراً، أي: فهي مفعول مطلق، والمعتمد الأول، ثم الثاني. انظر مبحثها في كتابنا: فتح القريب المجيب. ﴿أَنۢبَتْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور بـ: (في). وقال الجمل، وقول آخر لأبي البقاء: (كل) تمييز لـ: (كَمْ) فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وهو ﴿مِن﴾، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿زَوْجٍ﴾ مضاف إليه. ﴿كَرِيمٍ﴾: صفة ﴿زَوْجٍ﴾، وجملة: ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعول، أو مفعولي الفعل ﴿يَرَوْا﴾، والجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها من الإعراب.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: إنبات تلك الأصناف. ﴿لَءَايَةً﴾ أي: علامة تدل على أنه واحد، وعلى أنَّ مُنْبِتَها تام القدرة والحكمة، سابغ النعمة والرحمة؛ أي: دلالة على كمال قدرتنا، وتوحيدنا، كما قال القائل: [المتقارب]

وَفِـي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ ... تَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّـهُ وَاحِـدُ

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: في علم الله، وقضائه، فلذلك لا ينفعهم ما يرون من الآيات العظام؛ لأن الله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فمن يهديهم إلى الإيمان بعد الله، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى﴾: حرف جر. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ ﴿فِى﴾، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له من الإعراب. ﴿لَءَايَةً﴾: اللام: لام الابتداء. (آية): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِى...﴾ إلخ مستأنفة، أو ابتدائية، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿أَكْثَرُهُم﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مرفوع، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾

منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. هذا؛ وقال سيبويه: (كان) زائدة، وعليه تكون (ما) عاملة عمل «ليس» و﴿أَكْثَرُهُم﴾ اسمها، و﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ خبرها، وعلى الاعتبارين فالجملة: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين، وقيل: في محل نصب حال، وليس بالقوي.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الغالب القادر على الانتقام من الكفرة. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: حيث أمهلهم، ولم يعاجلهم بالعقوبة، أو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تاب، وآمن. هذا؛ والخطاب للنبي ﷺ، و(الرب) انظر شرحه في الآية رقم [٩٤] من سورة (المؤمنون).

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَهُوَ﴾: اللام: هي اللام المزحلقة. (هو): ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر (إن). ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: خبر ثان. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، وما بعده خبران عنه، فتكون الجملة الاسمية: ﴿لَهُوَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (إن). هذا؛ ودخلت اللام على ضمير الفصل على الوجه الأول فيه؛ لأنه إذا جاز أن تدخل على الخبر، فدخولها على الفصل أولى؛ لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل على المبتدأ، وانظر الآية رقم [٤٤] الآتية.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ...﴾ إلخ: هذا شروع في قصص سبع ذكرها الله تعالى في هذه السورة، أولها قصة موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وهذا النداء كان لموسى في طريق عودته من مدين إلى مصر، كما رأيت في سورة (طه)، وكما ستقف عليه مفصلاً في سورة (القصص) إن شاء الله تعالى، وكان النداء بكلام نفساني سمعه من كل الجهات من غير واسطة، والنداء: الدعاء بـ «يا فلان» أي: قال ربك: يا موسى. وموسى أصله: (موشى) مركباً من اسمين: الماء، والشجر، فالماء يقال له في العبرانية: (مو)، والشجر يقال له: (شا) فعربته العرب، وقالوا: موسى بالسين، وسبب تسميته بذلك: أن امرأة فرعون التقطته من نهر النيل بين الماء، والشجر، لمَّا ألقته أمُّه فيه، كما رأيت في سورة (طه) وكما ستقف عليه مفصلاً في سورة (القصص) إن شاء الله تعالى.

﴿ٱئْتِ﴾: أمر من «أتى» الثلاثي الذي شرحته لك في الآية رقم [٥] فهو بهمزتين: همزة الوصل التي يتوصل بها إلى النطق بالساكن، والثانية هي فاء الفعل، ولا يجتمع همزتان، فإذا

ابتدأت الكلام، قلت: إيتِ بإبدال الثانية ياءً لكسر ما قبلها، فإذا وصلت الكلام زالت العلة في الجمع بين همزتين، فتحذف همزة الوصل وتعود الهمزة الأصلية، فتقول: ائْتِ، ومثل ذلك قل في إعلال: أذن يأذن ونحوه.

﴿ٱلْقَوْمَ﴾: هو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ومعشر، ونفر. . .إلخ، وهو يطلق على الرجال دون النساء بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

وَمَـــا أَدْرِي ـ وَسَـــوْفَ إِخَـــالُ أَدْرِي ـ أَقَـــوْمٌ آلُ حِـــصْـــنٍ أَمْ نِـــسَـــاءُ؟

وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إن كل لفظ (قوم) في القرآن، إنما يراد به الرجال، والنساء جميعاً، وهو يذكر، ويؤنث، انظر الآية رقم [١٠٥] الآتية. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: بالكفر، واستعباد بني إسرائيل، وذبح صبيانهم، واستحياء بناتهم. ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: قال المسعودي: ولا يعرف لفرعون تفسير في العربية، وظاهر كلام الجوهري: أنه مشتق من معنى العتو، فإنه قال: والفراعنة: العتاة، وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة، أي: دهاء، ومكر، وفرعون لقب لمن ملك العمالقة في مصر، كقيصر، وكسرى لملكي الفرس، والروم، وكان فرعون موسى مصعب بن الريان، وقيل: ابنه الوليد من بقايا قوم عاد، وفرعون يوسف ـ على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام ـ ريان بن الوليد، وبينهما أكثر من أربعمئة سنة، وعاش ستمئة وعشرين سنة، وكان ملك فرعون موسى أربعمئة سنة، ولم ير مكروهاً قط، ولو حصل له في تلك المدة جوع يوم، أو وجع يوم؛ أو حمى يوم لما ادَّعى الربوبية.

﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ أي: ألا يخافون عقاب الله، وانتقامه، ويمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، وذلك مع الإيمان به، وتصديق موسى فيما جاء به من عند ربه. هذا؛ والفعل مأخوذ من (التقوى) وهي حفظ النفس من العذاب الأخروي، وأصل المادة من الوقاية، وهي الحفظ والتحرز من المهالك في الدنيا، والآخرة، وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة). هذا؛ ويقرأ الفعل بالتاء، فيكون في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب زجراً لهم، وغضباً عليهم.

قال الزمخشري: فإن قلت فما فائدة هذا الالتفات، والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة، والملتفت إليهم غيب لا يشعرون، قلت: إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم، وإلقائه إلى مسامعهم؛ لأنه مبلغه، ومنهيه، وناشره بين الناس، وله فيه لطف، وحث على زيادة التقوى، وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين، وفيها أوفر نصيب للمؤمنين. انتهى.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو: اتل، ويدل للأول ما صرح به

في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ ويدل للثاني، ما صرح به في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أو هو مفعول به لهذا المقدر، ورجحه ابن هشام في المغني، وذكر الأول أيضاً. ﴿نَادَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿أَنِ﴾: حرف مصدري. ﴿ائْتِ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت»، و﴿أَنِ﴾ والفعل في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن ائت. هذا؛ وأرجح اعتبار (أن) حرف تفسير، والجملة الفعلية مفسرة للفعل نادى، وشرط التفسير موجود هنا، وهو سبق «أن» بجملة فيها معنى القول دون حروفه. ﴿الْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿الظَّالِمِينَ﴾: صفة له منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿قَوْمَ﴾: بدل من ﴿الْقَوْمَ﴾، أو عطف بيان عليه، و﴿قَوْمَ﴾ مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿نَادَىٰ رَبُّكَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه واستفتاح، يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. وقيل: هي حرف عرض، وقيل: الهمزة حرف استفهام معناه التعجب، و(لا) نافية، ولا وجه له البتة. ﴿يَتَّقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وقال النسفي: ويحتمل: أنها في محل نصب حال من الضمير في ﴿الظَّالِمِينَ﴾ أي: يظلمون غير متقين الله وعقابه، فأدخلت همزة الإنكار على الحال، والكلام ﴿وَإِذْ نَادَىٰ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي: قال موسى: يا رب. ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ أي: في دعوى الرسالة. ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي: بسبب تكذيبهم إياي. ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾: بأداء الرسالة للعقدة التي فيه بسبب وضع الجمرة عليه، وهو صغير لمَّا نتف لحية فرعون، فغضب منه، وأراد قتله، فأشارت عليه زوجته، أن يختبره، فقدم له تمرة، وجمرة، فأخذ الجمرة، ووضعها على لسانه، فحصل فيه ثقل في النطق. ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ أي: أرسل جبريل إلى هارون، واصطفيه رسولاً مثلي. ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾: المراد بالذنب هنا: قتل القبطي على ما يأتي بيانه في سورة (القصص) إن شاء الله تعالى. ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ أي: يقتلوني قصاصاً به، وفي هذا دليل واضح على أن

الخوف قد يصحب الأنبياء، والفضلاء، والأولياء مع معرفتهم بالله، وأن لا فاعل إلا هو؛ إذ قد يسلط من شاء على من شاء.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: رتب استدعاء ضم أخيه إليه، وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة: خوف التكذيب، وضيق الصَّدْرِ انفعالاً عنه، وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق؛ لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين، يقوي قلبه، وينوب منابه متى تعتريه حبسته، حتى لا تختل دعوته، ولا تبتر حجته، وليس ذلك تعللاً منه، وتوقفاً في تلقي الأمر، بل طلباً لما يكون معونةً على امتثاله، وتمهيد عذره فيه. انتهى. كيف لا وقد صرح بذلك في قوله: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ وما أحراك أن تنظر الآيات رقم [٢٥] وما بعدها من سورة (طه).

هذا؛ وقد كان هارون عليه السلام، أكبر من موسى، وأفصح لساناً منه، وأجمل، وأوسم، وكان أبيض اللون، وكان موسى آدم اللون، أقنى، أجعد، وكان هارون ألين عريكةً من موسى، على نبينا وحبيبنا وعليهم جميعاً ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام.

هذا؛ وأصل الخوف: انزعاج في الباطن يحصل من توقع مكروه يقع في المستقبل. وأما التخوف؛ فإنه يأتي بمعنى التَّنَقُّص، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية رقم [٤٧] من سور النحل، يروى: أن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ قال على المنبر: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾؟ فسكتوا، فقام شيخ من هذيل، وقال: هذه لغتنا: التَّخَوُّف: التَّنَقُّص، قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: فهل تعرف العرب هذا في أشعارهم؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي: [البسيط]

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أيها الناس! عليكم بديوانكم لا تضلوا! قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم. وانظر ما ذكرته في الشعراء والشعر في الآية رقم [٢٢٤] الآتية. هذا؛ ويأتي الخوف بمعنى العلم، وبه قيل في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا...﴾ إلخ الآية رقم [١٨٢] من سورة (البقرة)، وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٢٩] من سورة (البقرة)، بعد هذا انظر شرح: ﴿ذَنۢبٌ﴾ في الآية رقم [٥٨] من سورة (الفرقان)، وشرح ﴿رَبِّ﴾ في الآية رقم [٩٤] من سورة (المؤمنون).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى موسى، تقديره: هو. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف، حذفت منه أداة النداء، وانظر الآية رقم [١٦٩] الآتية. ﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره:

«أنا». ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يُكَذِّبُونِ﴾: فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة المدلول عليها بالكسرة مفعول به، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿أَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول كالجملة الندائية قبلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيَضِيقُ﴾: الواو: حرف عطف. (يضيق): فعل مضارع. ﴿صَدۡرِي﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على خبر: (إن)، أو هي مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ معطوفة عليها على الوجهين المعتبرين فيها. هذا؛ ويقرأ الفعلان بالنصب على: ﴿يُكَذِّبُونِ﴾. ﴿فَأَرۡسِلۡ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كانت الأمور الثلاثة متوقعة الحصول فأرسل. (أرسل): فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿وَلَهُمۡ﴾: الواو: حرف استئناف. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿ذَنۢبٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَخَافُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أخاف): فعل مضارع، والفاعل أنا، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَقۡتُلُونِ﴾ في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿فَأَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير (فأنا أخاف...) إلخ، والجملة الاسمية هذه معطوفة على ما قبلها، أو تعليل، ولا محل لها على الوجهين.

﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله لموسى. ﴿كَلَّاۖ﴾ أي: لن يقتلوك، فهو ردع وزجر عن هذا الظن، وأمر بالثقة بالله تعالى، أي: ثق بالله، وانزجر عن خوفك منهم، فإنهم لا يقدرون على قتلك، ولا يقوون عليه. ﴿فَٱذۡهَبَا﴾ أي: اذهب أنت، وأخوك، فقد جعلته رسولاً معك. والخطاب لموسى، وثني، ففيه تغليب الحاضر على الغائب عن ذلك المكان، وهو هارون؛ لأنه إذ ذاك كان بمصر، والإرسال والخطاب المذكوران كانا في الطور في طريق عودة موسى من مدين إلى مصر. ﴿إِنَّا﴾: يريد نفسه سبحانه وتعالى. ﴿مَعَكُم﴾: جمع الضمير، والخطاب لموسى وحده؛ لأن المراد موسى وهارون، فأجراهما مجرى الجمع تعظيماً لشأنهما، أو المراد: هما، وفرعون. ﴿مُّسۡتَمِعُونَ﴾: سامعون ما يقولون، وما يجيبون، وما يجري بينكما وبينه، فأظهركما

عليه. مثل سبحانه وتعالى نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم، وترقباً لإمداد أوليائه منهم، مبالغةً في الوعد بالإعانة، فلذلك تجوَّز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات، بعد هذا انظر شرح ﴿كَلَّا﴾ في الآية رقم [٧٩] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله. ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر مبني على السكون في محل نصب مقول القول. ﴿فَاذْهَبَا﴾: الفاء: حرف عطف. (اذهبا): فعل أمر مبني على حذف النون، والألف فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة المفهومة من قوله: ﴿كَلَّا﴾ كأنه قيل: ارتدع يا موسى عما تظن، فاذهب أنت والذي طلبته. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مَعَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر (إنَّ)، أو هو متعلق بما بعده، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾: خبر ثان لـ: (إنَّ)، أو هو خبر واحد على اعتبار الظرف متعلقاً به مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وهي مفيدة للتعليل، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ﴾: الخطاب لموسى، وغلبه على أخيه هارون الغائب كما رأيت في الآية السابقة. ﴿إِنَّا رَسُولُ﴾: في إفراده أوجه: أحدها: هو مصدر كالرسالة، أي ذوا رسول، أو: إنا رسالة على المبالغة. والثاني: أنه اكتفى بأحدهما؛ إذ كانا على أمر واحد. والثالث: أن موسى عليه السلام كان هو الأصل وهارون تبع، فذكر الأصل. انتهى. عكبري.

وقال الخازن: فإن قلت: هلا ثنى الرسول، كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ الآية رقم [٤٧] من سورة (طه)؟، قلت: الرسول قد يكون بمعنى المرسل، وبمعنى الرسالة، فجعله ثَمَّ بمعنى المرسل فلم يكن بدٌّ من تثنيته، وجعله هنا بمعنى الرسالة، فجازت التسوية فيه؛ إذا وصف به الواحد، والتثنية، والجمع، والمعنى إنا ذوا رسالة، قال كُثَيِّرُ عزة: [الطويل]

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا فُهْتُ عِنْدَهُمْ ... بِشَيْءٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

أي: برسالة، وقال الأسعر الجعفي: [الوافر]

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي عَمْرٍو رَسُولاً ... بِأَنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

أي: أبلغهم رسالة. وقال العباس بن مرداس: [الوافر]

أَلَا مَــنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـي خُـفَـافَـاً رَسُـولاً بَـيْـتُ أَهْـلِـكَ مُـنْـتَـهَـاهَـا

يعني: رسالة، فلذلك أنثها، وقيل: إنهما لاتفاقهما في الرسالة، والشريعة، والأخوة، فصارا كأنهما رسول واحد. وقيل: كل واحد منا رسول رب العالمين. انتهى. بتصرف.

﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو نبي الله يعقوب، ومعناه بالعبرانية: صفوة الله، أو عبد الله فـ: «إسرا» هو العبد أو الصفوة، و«أيل» هو الله، ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقد ولد يعقوب في حياة جده إبراهيم، وهو النافلة التي امتن الله بها على إبراهيم بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ ولقد وجدت في كثير من المراجع الموجودة عندي: أن يعقوب كان توأماً مع أخ له اسمه عيصو في بطن واحد، فعند خروجهما من بطن أمهما تزاحما، وأراد كل أن يخرج قبل صاحبه، فقال عيصو ليعقوب: إن لم تدعني أخرج قبلك، وإلا خرجت من جنبها، فتأخر يعقوب شفقة منه على أمه؛ فلذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبارين، والله أعلم بحقيقة ذلك.

هذا؛ و: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جمع عالَم بفتح اللام، وهو يقال لكل ما سوى الله، ويدل له الآية رقم [٢٣] و [٢٤] والعوالم كثيرة لا تحصيها الأرقام، وهي منتشرة في هذا الكون المترامي الأطراف في البر والبحر؛ إذ كل جنس من المخلوقات يقال له: عالم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا...﴾ إلخ: أي: أطلقهم من استعبادك لهم، وخلهم يذهبوا إلى فلسطين، وكانت مسكن يعقوب وإسحاق، والذي أتى بهم إلى مصر هو يوسف عليه السلام، كما هو معروف، ومشهور، وكان فرعون قد استعبدهم، واستذلهم أربعمئة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستمئة ألف، وثلاثين ألفاً. يروى: أنهما انطلقا إلى باب فرعون، فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه، فدخل البواب عليه، وقال: هاهنا إنسان يزعم: أنه رسول رب العالمين، فقال: إيذن له، لعلنا نضحك منه، فدخلا عليه، وأديا الرسالة.

وروى وهب، وغيره: أنهما لما دخلا على فرعون وجداه قد أخرج سباعاً من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها، فخاف سواسها أن تبطش بموسى وهارون، فأسرعوا إليها، وأسرعت السباع إلى موسى وهارون، فأقبلت تلحس أقدامهما، وتبصبص إليهما بأذنابها، وتلصق خدودها بفخذيهما، فعجب فرعون من ذلك، فقال: ما أنتما؟ قالا: إنا رسول رب العالمين، فعرف موسى؛ لأنه نشأ في بيته. فقال: ما يلي.

الإعراب: ﴿فَأْتِيَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ائتيا): فعل أمر مبني على حذف النون، والألف فاعله. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَٱذْهَبَا...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿فَقُولَآ﴾: الفاء: حرف عطف. (قولا): فعل أمر، والألف فاعله. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿رَسُولُ﴾: خبر (إنّ) وهو مضاف، و﴿رَبِّ﴾

مضاف إليه، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَنْ﴾: حرف تفسير لتضمن الرسول معنى الإرسال، والإرسال بمعنى القول دون حروفه، كما في الوحي، والمناداة، والكتابة، والإشارة، ونحو ذلك. ﴿أَرْسِلْ﴾: فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَعَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بَنِىٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء، نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِىٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿أَنْ أَرْسِلْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مفسرة لمعنى الإرسال، كما رأيت، وقيل: ﴿أَنْ﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب بنزع الخافض، والأول أقوى، وأرجح.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ...﴾ إلخ: فحذف: فأتيا فرعونَ، فقالا له ذلك؛ لأنه معلوم لا يخفى، وهذا الاختصار كثير في التنزيل، والمعنى: ربيناك صغيراً، ولم نقتلك فيمن قتلنا. والوليد: الصبي لقرب عهده بالولادة. ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ أي: أقمت عندنا في إعزاز وإكرام ورعاية سنين، أي: ثلاثين، وقد ذكر السبب في سورة (طه)، وسأذكره في سورة (القصص)؛ إن شاء الله تعالى أيضاً.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿نُرَبِّكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿فِينَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿وَلِيدًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة، التي ذكرتها لك كثيراً. ﴿وَلِيدًا﴾: حال من كاف الخطاب، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَبِثْتَ﴾: الواو: حرف عطف. (لبثت): فعل، وفاعل. ﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿سِنِينَ﴾، كان صفة له... والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿سِنِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَلَبِثْتَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾: أراد قتله القبطي. وبخه على قتله، معظماً إياه، بعد أن عدد عليه نعمه. والفَعْلة بفتح الفاء: المرة من الفعل، وقرئ بكسر الفاء بمعنى الهيئة، والحال، قال الأعشى: [البسيط]

كَـأَنَّ مِـشْـيَـتَـهَـا مِـنْ بَـيْـتِ جَـارَتِـهَـا ... مَـرُّ الـسَّـحَـابَـةِ لَا رَيْـثٌ وَلَا عَـجَـلُ

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: في قتلك القبطي. وقيل: أي: بنعمتي التي كانت لي عليك من التربية، والرعاية، والإحسان إليك. هذا؛ وقد رُبِّيَ موسى عليه السلام في بيت فرعون ثلاثين عاماً، وخرج إلى مدين، فأقام عشرة أعوام، ودعا فرعون إلى الله ثلاثين عاماً، وعاش بعد غرق فرعون خمسين عاماً.

هذا؛ والكفر: ستر الحق بالجحود والإنكار، وكفر فلان النعمة، يكفرها كفراً، وكفوراً، وكفراناً: إذا جحدها، وسترها، وأخفاها. وكفر الشيء: ستره، وغطاه. وسمي الكافر كافراً؛ لأنه يغطي نعم الله بجحدها، وعبادته غيره. وسمي الزارع كافراً؛ لأنه يلقي البذر في الأرض، ويغطيه، ويستره بالتراب، قال تعالى في تشبيه حال الدنيا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ وسمي الليل كافراً؛ لأنه يستر كل شيء بظلمته. قال لبيد بن ربيعة الصحابي - رضي الله عنه - في معلقته: [الكامل]

حَـتَّـى إِذَا أَلْـقَـتْ يَـداً فِـي كَـافِـرٍ ... وَأَجَـنَّ عَـوْرَاتِ الـثُّـغُـورِ ظَـلَامُـهَـا

الإعراب: ﴿وَفَعَلْتَ﴾: الواو: حرف عطف. (فعلت): فعل، وفاعل. ﴿فَعْلَتَكَ﴾: مفعول مطلق، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿فَعْلَتَكَ﴾. وجملة: (فعلت): صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، وهو ضمير المصدر على حد قوله تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وجملة: ﴿وَفَعَلْتَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿وَأَنتَ﴾: الواو: واو الحال. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى. ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي: فعلت تلك الفعلة. يريد: قتل القبطي. ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: من الجاهلين. وقد قرئ به، والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل،

والسفه، أو: من المخطئين؛ لأنه لم يتعمد قتله، أو: من الذاهلين عما يؤول إليه أمر الوكز؛ لأنه أراد به التأديب، والردع، والزجر من الاعتداء على الإسرائيلي الذي كان مع القبطي. أو: من الناسين على حد قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فقد بيّن عليه الصلاة والسلام بهذا: أن التربية فيهم لا تنافي النبوة والحلم على الناس، وأنَّ القتل خطأ، أو في وقت لم يكن فيه شرع لا ينافي النبوة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿فَعَلْتُهَآ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، أو مفعول مطلق. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء مهمل لا عمل له، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَأَنَا۠﴾: الواو: واو الحال. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿إِذًا﴾ ظرفاً متعلقاً بـ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ فالمعنى لا يأباه، ويكون معناه: ﴿حِينَئِذٍ﴾. وانظر الآية رقم [٤٢] الآتية، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أي: خرجت فاراً من بلدكم حين خفت بطشكم، وعقوبتكم. ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ أي: أنعم عليّ، ومنحني من فضله حكمةً، وعلماً، ونبوةً. ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: اصطفاني، واختارني رسولاً لكم. هذا، وقد فسرت الحكم ـ وهو الحكمة ـ بما رأيت. والحكمة: كل كلمة وعظتك، أو دعتك إلى مكرمة. وأصل الفعل: ﴿خِفْتُكُمْ﴾ خَوِفْتكم، فحذفت الواو لاستثقال الكسرة عليها، ثم قلبت فتحة الخاء كسرة؛ لتدل على حركة المحذوف، ولو كانت الحركة دليلاً على المحذوف؛ لكانت ضمة. تأمل.

الإعراب: ﴿فَفَرَرْتُ﴾: الفاء: حرف عطف. (فررت): فعل، وفاعل. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿لَمَّا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل فررت أيضاً، وهي بمعنى حين. ﴿خِفْتُكُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿لَمَّا﴾ إليها. هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿لَمَّا﴾ متطلبة جملتين، فقد حذف جوابها لدلالة ما قبله عليه. هذا؛ وقرئ: (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم على اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر باللام، التقدير: لتخوفي منكم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (فررت). ﴿فَوَهَبَ﴾: الفاء: حرف عطف. (وهب): فعل ماض. ﴿لِى﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبِّى﴾: فاعل: (وهب) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها

اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿حُكۡمٗا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَوَهَبَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿وَجَعَلَنِي﴾: الواو: حرف عطف. (جعلني): فعل ماض، والنون للوقاية، والياء مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّي﴾، تقديره: «هو». ﴿مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: متعلقان بالفعل: (جعل) وهما في محل نصب مفعوله الثاني، وجملة: ﴿وَجَعَلَنِي...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾

الشرح: لقد اختلف العلماء في معنى هذه الآية، وأنا أنقل لك ما ذكره النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ فيها، حيث قال: كرَّ على امتنانه عليه بالتربية، فأبطله من أصله، وأبى أن تسمى نعمة؛ لأنها نقمة حيث بيّن أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل؛ لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته له، ولو تركهم لرباه أبواه من غير امتنان عليه، فكأن فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه، وإخراجه من حجر أبويه إذا حقَّقت. وتعبيدهم: تذليلهم، واتخاذهم عبيداً انتهى. هذا؛ ويقال: عبدته وأعبدته؛ إذا ذللته، واستعبدته، واتخذته عبداً، قال الفراء، وأنشد: [البسيط]

عَلَامَ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ أَبَاعِرُ مَا شَاؤُوا وَعُبْدَانُ؟

وقال الخازن: وقيل: هو على طريق الإنكار، والمعنى: أتمنُّ عليّ أن ربيتني، وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد، والمعاملات القبيحة، أو يريد: كيف تمن عليّ بالتربية، وقد استعبدت قومي؟! ومن أهين قومه فقد ذل، فتعبيد بني إسرائيل قد أحبط حسناتك إلي، ولو لم تستعبدهم، ولم تقتل أولادهم؛ لم أرفع إليك حتى تربيني، وتكفلني، ولكان لي من أهلي من يربيني، ولم يلقوني باليم.

هذا؛ وقد وحد الضمير في قوله تعالى: ﴿تَمُنُّهَا﴾ و﴿عَبَّدتَّ﴾ وجمع في ﴿خِفۡتُكُمۡ﴾؛ لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ﴾ وأما الامتنان فمنه وحده، وكذا التعبيد، وتلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة، لا يدري ما هي إلا بتفسيرها.

الإعراب: ﴿وَتِلۡكَ﴾: الواو: حرف عطف. (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿نِعۡمَةٞ﴾: خبر المبتدأ. ﴿تَمُنُّهَا﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿نِعۡمَةٞ﴾. ﴿عَلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنۡ﴾: حرف مصدري، ونصب.

﴿عَبَّدتَّ﴾: فعل، وفاعل. ﴿بَنِيٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾ مضاف، و﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، و﴿أَنۡ﴾ والفعل بعدها في تأويل مصدر؛ قال السمين: في محله أوجه سبعة: أحدها: أنه في محل رفع عطف بيان لـ: (تلك) كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ. والثاني: أنه في محل نصب مفعولاً لأجله. والثالث: أنه بدل من: ﴿نِعۡمَةٞ﴾. والرابع: أنه بدل من الهاء في ﴿تَمُنُّهَا﴾. والخامس: أنه مجرور بباء مقدرة؛ أي: بأن عبدت. والسادس: أنه خبر مبتدأ مضمر؛ أي: هي. والسابع: أنه منصوب بإضمار: أعني. انتهى. جمل. والجملة الاسمية: ﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ...﴾ إلخ: أي: إنك تدعي: أنك رسول رب العالمين، فما صفته، وذلك؛ لأنك إذا أردت السؤال عن صفة زيد، تقول: ما زيد؟ تعني: أطويل، أم قصير، أفقيه، أم طبيب؟ وقيل: هو سؤال عن الجنس، والله منزه عن الجنسية، والماهية؛ فلذلك عدل موسى ـ عليه السلام ـ عن جوابه، وأجابه بذكر أفعاله، وآثار قدرته؛ التي تعجز الخلائق عن الإتيان بمثلها. ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ: أي: رب السموات، والأرض هو خالقهما.

فاعرفوا: أنه لا يمكن تعريفه إلا بما ذكرته لكم، فإن أيقنتم بذلك؛ لزمكم أن تقطعوا: أنه لا جواب لكم عن هذا السؤال إلا ما ذكرته من الجواب. ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل، فكفى خلق هذه دليلاً، أو إن كان يرجى منكم الإيقان؛ الذي يؤدي إليه النظر الصحيح؛ نفعكم هذا الجواب، وإلا لم ينفع، والإيقان: العلم الذي يستفاد بالاستدلال، ولذا لا يقال: الله موقن.

هذا؛ وقد أعاد الضمير إلى السموات والأرض مثنى والمرجوع إليه مجموع السموات والأرض. وتثنية الجمع جائزة على تأويل الجماعتين، قال الشاعر يذم عاملاً على الصدقات: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَداً ... فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ؟

لأَصْبَحَ النَّاسُ أَوْبَاداً وَلَمْ يَجِدُوا ... عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ

فقد ثنى «جمال» الذي هو جمع: جمل. والعقاب: صدقة عام، والسبد: المال القليل. واللبد: المال الكثير. وأوباداً: هلكى جمع: وَبْد، فهو يقول: صار عمرو عاملاً على الزكوات

في سنة واحدة، فظلم، وأخذ أموالنا بغير حق؛ حتى لم يبق لنا إلا شيء قليل من المال، فكيف يكون حالنا، أو كيف يبقى لأحد لو صار عمرو عاملاً في زكاة عامين؟ ثم أقسم، فقال: والله لو صار عاملاً سنتين؛ لصارت القبيلة هلكى، فلا يكون لهم عند التفرق في الحرب جمالان، فيختل أمر الغزوات. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٩] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: فاعله. ﴿وَمَا﴾: الواو: صلة. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿رَبُّ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿رَبُّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: «هو»، و﴿رَبُّ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه... إلخ. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على السموات والأرض. ﴿بَيْنَهُمَآ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الاسمية المقدرة: «هو رب...» إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مُّوقِنِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فآمنوا به وحده، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشراف قومه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانوا خمسمئة رجل عليهم الأسْوِرة. ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أي: جواب موسى، فإني أطلب منه ماهية إلهه الذي يدعيه، وهو يجيبني بأنه مالك السموات والأرض وما بينهما؛ أي: يجيبني بأفعاله، وآثاره، فهو يستغرب من جوابه؛ لأنهم يزعمون قدم السموات، والأرض، وينكرون حدوثهما، وأن لهما ربّاً.

﴿قَالَ﴾ أي: موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ...﴾ إلخ: أي: خالقكم، وخالق آبائكم، فإن لم تستدلوا على الخالق العظيم بما ذكرت لكم؛ فاستدلوا بخلقه لكم، ولآبائكم الأولين. وإنما قال: ورب آبائكم؛ لأن فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره دون مَنْ تقدَّمهم، وهذا شأن كلِّ من ادَّعى الألوهية لنفسه.

﴿قَالَ﴾ أي: فرعون. ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ...﴾ إلخ: حيث يجيب عن السؤال بما لا نفهمه، ويتكلم بكلام لا نقبله، فكأنه لا يفهم السؤال، ثم هو يزعم: أن في الوجود إلَهاً غيري. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في الآية رقم [٥] من سورة (الفرقان)، وشرح: ﴿رَبَّكَ﴾ في الآية رقم [٩]. أما ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾ فهو ظرف مكان لا يتصرف، فهو ملازم للظرفية أبداً، يقال: قعد حَوْلَه وحَوَالَهُ، وحَوْلَيْهِ، وحَوَالَيْهِ، ولا تقل: حَوالِيهِ بكسر اللام، وقعد بحِيالِهِ، وحِيَالَه، أي: بإزائِهِ، وإزاءَهُ. هذا؛ وسمى فرعون موسى رسولاً على طريق السخرية.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿فِرْعَوْنُ﴾. ﴿لِمَنْ﴾: اللام: حرف جر، (من): اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعى به انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. وقيل: الهمزة للاستفهام، و(لا) نافية. ﴿تَسْتَمِعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿رَبُّكُمْ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. (رب): معطوف على ما قبله، وهو مضاف، و﴿ءَابَآئِكُمُ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل. . . إلخ، والكاف في محل جر بالإضافة. . . إلخ. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صفة ﴿ءَابَآئِكُمُ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية المقدرة: «هو ربكم. . .» إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى فرعون. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَسُولَكُمُ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿رَسُولَكُمُ﴾. ﴿أُرْسِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿رَسُولَكُمُ﴾. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وجملة: ﴿أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها، ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مجنون): خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى. ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: فإنكم تشاهدون كل يوم: أنه يأتي بالشمس من المشرق، ويحركها على مدار، غير مدار اليوم الذي قبله، حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع ينتظم به أمور الكائنات، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: إن كان لكم عقل علمتم

أن لا جواب لكم فوق ذلك، لا ينهم أولاً، ثم لما رأى شدة شكيمتهم، خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم. انتهى. بيضاوي.

هذا؛ وإنك لترى: أن موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، قد تدرج معهم في الجواب، وإلقاء الحجج وطرح الأدلة على وجود الصانع الحكيم من قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ...﴾ إلخ، وختم الآية الأولى بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، وختم الثالثة بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، وهذا التدرج معهم كان من الملاينة إلى الغلظة، كما رأيت. هذا؛ وانظر شرح «العقل» في الآية رقم [١٠] من سورة (الأنبياء).

تنبيه: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾: يريد بهما ناحيتي الأرض، أي له سبحانه الأرض كلها، لا يختص به مكان دون مكان. هذا؛ وقد قال سبحانه في سورة (الرحمن): ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ أي: مشرقي الشتاء والصيف ومغربهما، أو مشرقي الشمس والقمر ومغربهما، وقال تعالى: في سورة (المعارج) وغيرها: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾. فقد جمع المشرق والمغرب، كما ترى باعتبار مشارق الشمس ومغاربها في السنة، وهي ثلاثمئة وستون، تشرق كل يوم في واحد منها، وكذا تغرب في واحد منها، وكان من حق المشرق، والمغرب فتح العين، وهي الراء؛ لأن المصدر الميمي، واسمي الزمان والمكان إذا أخذ أحدها من فعل ثلاثي مفتوح العين، أو مضمومها في المضارع أن يكون بفتح العين قياساً، ولكن التلاوة جاءت بكسرها، وأيضاً جاء كثير بكسر العين، وهو مذكور في كتب النحو، من ذلك: المسجد، والمنبِت، والمسقِط، والمرفِق، والمنْحِر، والمجزِر، والتحقيق: أنها أسماء نوعية، غير جارية على فعلها، وإلا فلا مانع من الفتح. هذا؛ وتقديم المشرق على المغرب، بجميع تصاريفه إيماء بأفضليته على المغرب. ولا تنس المطابقة بين المشرق والمغرب، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو»، يعود إلى ﴿مُوسَىٰٓ﴾ عليه السلام، ﴿رَبُّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: رب العالمين رب، وهو مضاف، و﴿ٱلۡمَشۡرِقِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، ﴿وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾: معطوف على ما قبله، (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على: ﴿ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾، ﴿بَيۡنَهُمَآ﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿تَعۡقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ لا محل لها؛

لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: إن كنتم تعقلون كلامي؛ فتدبروا ما أقوله لكم. والكلام: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: قال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ في آخر الآية السابقة: وهذا غاية الإرشاد؛ حيث عمم أولاً بخلق السموات والأرض، وما بينهما، ثم خصص من العام للبيان أنفسهم، وآباءهم؛ لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه، ومن ولد منه، وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته، ثمَّ خصص المشرق، والمغرب؛ لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين، وغروبها في الآخر، على تقدير مستقيم في فصول السنة، وحساب مستو من أظهر ما استدل به، ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالإحياء، والإماتة على نمرود بن كنعان. فلما تحير فرعون، ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه؛ ﴿قَالَ لَئِنِ...﴾ إلخ، والمعنى: لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه، فيطرحه في هوة، ذاهبة في الأرض، بعيدة العمق، فرداً لا يبصر فيها، ولا يسمع، فكان ذلك أشدَّ من القتل، وأشدَّ من السجن، ولو قال: لأسجننك؛ لم يؤد هذا المعنى، وإن كان أخصر. انتهى.

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: ثم لما انقطع فرعون ـ لعنه الله ـ في باب الحجة؛ رجع إلى الاستعلاء والتغلب، فتوعد موسى بالسجن، ولم يقل: ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك؟ لأن فيه الاعتراف، بأن ثم إلهاً غيره، وفي توعده بالسجن ضعف، وكان ـ فيما يروى ـ يفزع منه فزعاً شديداً، حتى كان اللعين لا يمسك بوله. انتهى. هذا؛ وقد قال نبينا ﷺ «نُصِرْتُ بالرعبِ» فكانت عروش الجبابرة تهتزُّ عند ذكره ﷺ فرقاً، ووجلاً.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿فِرْعَوْنُ﴾ تقديره: «هو». ﴿لَئِنِ﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿ٱتَّخَذْتَ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به، ﴿غَيْرِى﴾: صفة: ﴿إِلَٰهًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وهذه الإضافة لا تفيد «غير» تعريفاً، لذا صح وقوعه صفة للنكرة، وجملة: ﴿ٱتَّخَذْتَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (أجعلنك): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: «أنا»، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾:

جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية جواب القسم المدلول عليه باللام لا محل لها، وجواب الشرط محذوف على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما» قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واحْـذِفْ لَـدَى اجْـتِـمَـاعِ شَـرْطٍ وَقَـسَـمْ جَـوابَ مَـا أَخَّـرْتَ فَـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

والكلام: ﴿لَئِنِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: قال له موسى حين توعده بالسجن: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ...﴾ إلخ: أي: أتفعل ذلك بي؛ ولو جئتك بشيء يبين صدقي فيما أقول؟! والمراد: المعجزة، فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع، وحكمته، والدلالة على صدق مدعي النبوة، انتهى. بيضاوي بتصرف، وإنما قال ذلك موسى؛ لأن مِنْ عادة الناس السكون إلى الإنصاف، والإجابة إلى الحق بالبيان.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿أَوَلَوْ﴾: الهمزة: حرف استفهام داخل على فعل محذوف، انظر الشرح، الواو: واو الحال، (لو): وصلية لا عمل لها. ﴿جِئْتُكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل الفعل المحذوف، والرابط: الواو، والضمير، انظر الشرح. ﴿بِشَيْءٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة (شيء) والكلام: ﴿أَوَلَوْ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ فَأْتِ...﴾ إلخ: أي: قال فرعون لموسى: فائت بالشيء المبين إن كنت صادقاً، فإن مَنْ يدعي النبوة، والرسالة لا بد له من حجة تثبت دعواه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿فِرْعَوْنُ﴾، ﴿فَأْتِ﴾: الفاء: صلة لتحسين اللفظ، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط محذوف، التقدير: إن كنت صادقاً في دعواك، فائت. (ائت): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿بِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر

(كان)، وجملة: ﴿كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله، والكلام: ﴿فَأْتِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾: فطرح موسى عصاه على الأرض. ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: الثعبان: ذكر الحيَّات العظيم الضخم، ويجمع على: ثعابين. وفي آية أخرى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ والجان: الحية الصغيرة، ووجه الجمع: أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم، وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة، وهي الجانُّ. ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر واضح لمن يراه، ليس بتمويه وتخييل، كما تفعل السحرة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما ألقى موسى عصاه؛ صارت حية عظيمة، صفراء شقراء، فاتحة فمها، بين لحييها ثمانون ذراعاً، وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت على ذنبها، واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، فوثب هارباً، وأحدث ـ أي: تغوط ـ في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم مرات عديدة، واستمرَّ معه هذا المرض، وهو الإسهال؛ حتى غرق، وقد انهزم الناس خوفاً مزدحمين، وقتل بعضهم بعضاً، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ودخل فرعون قصره، وصاح: يا موسى! أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها، وأنا أومن بك، وأرسل معك بني إسرائيل، فأمسكها بيده، فعادت عصا، كما كانت. انتهى. خازن. وغيره في سورة (الأعراف). وهذه إحدى المعجزات، وانظر الآية رقم [١٢] من سورة (النمل).

هذا؛ والعصا كانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع على طول موسى، ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً، حملها آدم معه من الجنة، فتوارثها الأنبياء؛ حتى وصلت إلى شعيب، عليه السلام، فأعطاها لموسى حين لجأ إليه، وزوَّجه إحدى ابنتيه، وأسند إليه رعاية الغنم، كما ستقف عليه في سورة (القصص) إن شاء الله تعالى.

هذا؛ والعصا تطلق على أمور، يقال: ألقى عصاه، أي: أقام، وترك الأسفار، وهو مثل عربي، ويقال: انشقت العصا، أي: وقع الخلاف بين القوم، قال الشاعر: [الطويل]

إِذَا كَانَتِ الْهَيْجَاءُ، وانْشَقَّتِ الْعَصَا فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

وهذا هو الشاهد [٩٦٧] من كتابنا فتح القريب المجيب، انظر إعرابه فإنه جيد، ويقال في الخوارج: قد شقوا عصا المسلمين، أي: اجتماعهم، وائتلافهم. والعصيان: ضد الطاعة، وتجمع العصا على: عصيٍّ بضم العين وكسرها، وتشديد الياء، كما في الآية رقم [٤٤] الآتية،

ومقتضى القياس أن يقال في جمعها: عُصُوٌّ؛ لأن ألفها منقلبة عن واو، ولذا يقال في تثنيتها: عصوان، فأبدل من الواو الثانية ياءً؛ لأنها ظرف ليس بينها، وبين الضمة إلا حرف ساكن، فصار (عصُوْيٌ) فاجتمعت الواو والياء، والأول ساكن، فقلبت الواو الأولى ياء، ثم أدغمت الياء في الياء، ثم قلبت ضمة الصاد كسرة لتصح الياء، ثم تبعت حركة الصاد. هذا؛ وانظر فوائد العصا في الآية رقم [١٨] من سورة (طه) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: (ألقى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ تقديره: «هو»، ﴿عَصَاهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو معطوفة على ما قبلها، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف دال على التعقيب هنا كما ترى. (إذا): كلمة دالة على المفاجأة هنا، وهي تختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، نحو: خرجت فإذا الأسد بالباب، وهي حرف عند الأخفش، وابن مالك، ويرجحه: (خَرَجْتُ فَإِذَا إِنَّ زَيْداً بالبابِ)؛ لأن «إن» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وظرف مكان عند المبرد وابن عصفور، وظرف زمان عند الزجاج، والزمخشري، وزعم الأخير: أن عاملها فعل مشتق من لفظ المفاجأة، ولا يعرف هذا لغير الزمخشري، وإنما ناصبها عندهم الخبر المذكور في نحو: (خرجْتُ فإذا زيدٌ جالسٌ) أو المقدر في نحو: فإذا الأسدُ. أي: حاضرٌ، وإذا قدرت أنها الخبر؛ فعاملها: مستقر، أو: استقر، ولم يقع الخبر معها في التنزيل إلا مصرحاً به. انتهى. ملخصاً من مغني اللبيب.

وعلى اعتبارها ظرف مكان، أو زمان، لا أجد لها متعلقاً هنا إلا بالتقدير: فانقلبت في ذلك الوقت، أو في ذلك المكان... إلخ، وتعليقها بـ ﴿مُّبِينٌ﴾ ـ كما ذكرت في المثال المتقدم ـ لا يعطي المعنى الذي أعطاه هذا التقدير. تأمل، وتدبر. ﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ثُعْبَانٌ﴾: خبره. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿ثُعْبَانٌ﴾، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على التقدير الذي قدرته، وعليه فالجملة الفعلية المقدرة معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وعلى تعليقها بـ ﴿مُّبِينٌ﴾، فتبقى الجملة الاسمية معطوفة على الفعلية قبلها، وأيضاً على اعتبار (إذا) حرفاً؛ فالجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

تنبيه: ﴿فَإِذَا﴾: قلت: الفاء هنا حرف عطف وتعقيب، وأذكر لك ما قاله السيوطي في همع الهوامع، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: اختلف في هذه الفاء، فقال المازني: هي زائدة لازمة للتأكيد؛ لأن إذا الفجائية فيها معنى الإتباع، ولذا وقعت في جواب الشرط موقع الفاء، وهذا ما اختاره ابن جني، وقال مَبْرُمَان: هي عاطفة لجملة: (إذا)ومدخولها على الجملة قبلها، واختاره الشَّلُوبِّيْن الصغيرُ، وأيده أبو حيان بوقوع «ثم» موقعها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ

تَنتَشِرُونَ﴾ وقال الزجاج: دخلت على حد دخولها في جواب الشرط انتهى. أي: فهي للسببية المحضة، وفي مغني اللبيب نحو هذا. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: أخرجها من جيبه، أو من تحت إبطه، والمراد بها اليد اليمنى. روي: أن فرعون لما رأى الآية الأولى، قال: فهل غيرها؟ فأخرج يده، وقال: ما هذه؟ قال فرعون: يدك؛ فما فيها؟ فأدخلها في إبطه، ثم أخرجها، ولها شعاع يغشى الأبصار، ويسد الأفق، علماً بأن سيدنا موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، كان أسمر شديد السمرة. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (طه): ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ فهو احتراز، واحتراس عن أن يكون البياض عن مرض، كبرص، ونحوه، وبياضها طارئ لا جِبِلِّي.

هذا؛ واليد تستعمل في الأصل لليد الجارحة، وتطلق ويراد بها القوة، والقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، كما تطلق على النعمة، والمعروف، يقال: لفلان عندي يد، أي: نعمة، ومعروف، وإحسان، وتطلق على الحيلة، والتدبير، فيقال: لا يَدَ لي في هذا الأمر، أي: لا حيلة لي فيه، ولا تدبير، قال عروة بن حزام العذري: [الطويل]

وَحُمِّلْتُ زَفْرَاتِ الضُّحَى فَأَطَقْتُهَا ... ومَالِي بِزَفْرَاتِ الْعَشِيِّ يَدَانِ

هذا؛ وأصل يد: (يَدَيٌ) فحذفت منه الياء، والدليل على ذلك ردها إليه في الجمع، فتقول: الأيدي، كما في الآية الكريمة، وكذلك ترد إليه في التصغير، فتقول: يُدَيْوٌ؛ لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها.

الإعراب: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾: هو كما في الآية السابقة بلا فارق. ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَيْضَآءُ﴾؛ لأنه صفة مشبهة، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿وَنَزَعَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة (ألقى...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: فرعون، وفي (الأعراف) رقم [١٠٩] قال الملأ، وقد أجاب الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ عن هذا التعارض بثلاثة أوجه: الأول: أن يكون هذا الكلام صادراً منه، ومنهم، فحكي هنا عنه وفي سورة (الأعراف) عنهم. والثاني: أن فرعون قاله ابتداء، وتلقته عنه خاصته، فقالوه لمن دونهم من الرعية. والثالث: أنهم قالوه عنه للناس على

طريق التبليغ، كما يفعل الملوك، يرى الواحد منهم الرأي، فيبلغه للخاصة، ثم يبلغونه للعامة، وهذا الوجه قريب من الثاني في المعنى. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

(الملأ): الأشراف، والسادة، ولا يقال لغيرهم؛ لأنهم يملؤون العيون بكبريائهم، وزينتهم، وما يحاطون به من هيبة، وعظمة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل: معشر، ورهط، ونحوهما. والملأ: رجال لا امرأة فيهم، والملأ: الخلق، وفي حديث: أن النبي ﷺ قال لأصحابه حين همُّوا بضرب الأعرابي الذي بال في المسجد: «**أحسنوا أملاءكم**» فقد جمع بهذا المعنى، كما يجمع في المعنى المتقدم، قال الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته: [الخفيف]

أَيَّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّو هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الأَمْلَاءُ

الساحر: هو الذي يستعمل السحر، وهو كل ما لطف، ودق، يقال: سحره: إذا أبدى له أمراً يدق عليه، ويخفى. وقال الْغَزَالِي في «الإحياء» ما نصه: السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور، ويترصد له وقت مخصوص من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر، والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور. هذا؛ والمعتمد أنَّ تعلمه لدفع الضرر عن نفسه، أو عن غيره، أو اتخذه الشخص ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله وبقي على الإيمان، فلا كفر باعتقاد حقيقته، وجواز العمل به من غير إضرار بأحد. ومعنى (ساحر عليم) متفوق في علم السحر.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿لِلْمَلَإِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَوْلَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من (الملأ)، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه للمخاطب ينبه به على ما يساق من الكلام. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم: ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَسَٰحِرٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. ساحر: خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَلِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾: هذا من بقية الكلام الذي قبله، وهو قول فرعون للملأ. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: بمعنى ماذا تشيرون، من المشاورة، والائتمار: التشاور في أمر من الأمور، وهو أولى من اعتباره من الأمر المعروف. هذا؛ ويقرأ: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ بفتح النون، وكسرها.

هذا؛ ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين، وبقي لا يدري أيُّ طرفَيْهِ أطولُ، حتى زلَّ عنه ذكر دعوى الإلهية، وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية، وارتعدت فرائصه، وانتفخ سحره خوفاً وفرقاً، وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده، وهو إلههم أن طفق يؤامرهم، ويعترف لهم بما حذر منه، وتوقعه، وأحسَّ به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه، وأرضه. انتهى. كشاف.

الإعراب: ﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ تقديره: هو. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يُخْرِجَكُم﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ أيضاً، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مِّنْ أَرْضِكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، والهاء في محل جر بالإضافة، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُخْرِجَكُم﴾ في محل نصب مفعول به، التقدير: يريد إخراجكم، وجملة: ﴿يُرِيدُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾، أو هي في محل رفع صفة ثانية لـ: (ساحر)، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: (ساحر) و﴿عَلِيمٌ﴾، التقدير: حالة كونه مريداً إخراجكم. ﴿فَمَاذَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (ماذا): (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: ما الذي تأمرونه، أو تأمرونني به. هذا؛ ويجوز اعتبار (ماذا) اسم استفهام مركباً، وفي محله وجهان: الأول: اعتباره مفعولاً به مقدماً للفعل بعده، والثاني: اعتباره مبتدأ، والجملة الفعلية خبره، والرابط محذوف على مثال ما رأيت في العائد. ﴿تَأْمُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والمفعول محذوف على مثال ما رأيت، وينبغي أن تعلم أن المفعول به المحذوف، هو ياء المتكلم على كسر النون، وتكون نون الرفع قد حذفت، وهو ضمير الغيبة على فتح النون، والجملة الفعلية صلة (ذا) على اعتباره موصولاً مفرداً، وفي محل رفع خبر المبتدأ على الوجه الأول من وجهي التركيب، أو هي فعلية لا محل لها على الوجه الثاني من وجهي التركيب، وجملة: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ سواء أكانت اسمية، أم فعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً فماذا تأمرون؟ وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلست مفنداً، وعلى الاعتبارين فهي في محل نصب مقول القول، وهي من مقول فرعون. بخلافها في سورة (الأعراف) رقم [١١٠] فإنها مقولة لقول محذوف.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال الملأ المذكورون في الآية رقم [٣٤]. ﴿أَرْجِهْ﴾: فيه ست قراءات، ثلاثة بإثبات الهمزة (أرجئه) بكسر الهاء من غير إشباع، وضمها كذلك، وبإشباع؛ حتى

يتولد منها واو، وثلاث بحذف الهمزة (أرجه) سكون الهاء وكسرها من غير إشباع، وبه حتى يتولد منها ياء. وقوله: (ابعث): في الأعراف: (أرسل). ﴿ٱلْمَدَآئِنِ﴾: قيل: هي مدائن صعيد مصر، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد، ومدائن جمع: مدينة على وزن: فعيلة، فالياء زائدة في المفرد؛ فلذلك تقلب همزة في الجمع، مثل: صحيفة، وصحائف، وغير ذلك، والمدينة من مدن يمدن بالمكان إذا أقام به، فالفعل من باب نصر. ﴿حَٰشِرِينَ﴾: جامعين، ومعنى ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أي أخر أمرهما، ولا تعجل بقتلهما، خوفاً من الفتنة، والمراد بـ: ﴿حَٰشِرِينَ﴾ الشرطة الذين كانوا جنوداً عند فرعون.

الإعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَرْجِهْ﴾: فعل أمر مبني على السكون على الهمزة المحذوفة كما رأيت، والهاء مفعول به، وتسكينه قراءات كما رأيت، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَأَخَاهُ﴾: معطوف على الضمير المنصوب، وقيل: مفعول معه، والأول أقوى، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. (ابعث): فعل أمر، والفاعل: أنت. ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَٰشِرِينَ﴾: مفعول به، وهو في الأصل صفة لموصوف محذوف؛ إذ الأصل رجالاً حاشرين، وجملة (ابعث...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿يَأْتُوكَ﴾ أي: الرجال المبعوثون إلى المدائن. ﴿سَحَّارٍ﴾: صيغة مبالغة اسم الفاعل، وفي سورة (الأعراف) ساحر. وبه قرئ هنا أيضاً. ﴿عَلِيمٍ﴾: متفوق في علم السحر، وانظر (أتى) في الآية رقم [٥].

الإعراب: ﴿يَأْتُوكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بجواب الأمر: (ابعث) وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب. ﴿بِكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(كلِّ) مضاف، و﴿سَحَّارٍ﴾ مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف. ﴿عَلِيمٍ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف، والذي في الآية رقم [٣٤] مثله.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح أي: أحضر الشرطة السحرة في يوم معين، وهو يوم الزينة المذكور بقوله تعالى في سورة (طه) رقم [٥٩] حكايةً عن قول موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿قَالَ

﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ...﴾ إلخ هذا؛ وأصل «ميقات»: (مِوْقَات) قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، وقل مثله في: ميعاد، وميثاق... إلخ.

الإعراب: ﴿فَجُمِعَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (جمع): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾: نائب فاعل. ﴿لِمِيقَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ميقات) مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مَّعْلُومٍ﴾: صفة: ﴿يَوْمٍ﴾، وجملة ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ أي: نادى مناد بالناس. ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ أي: اجتمعوا، وهو استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم، وحثهم عليه، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ أي: انتهوا، وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: أسلموا، فهنا قد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى الأمر، ومنه قول تَأَبَّطَ شَرّاً: [البسيط]

هَـلْ أَنْـتَ بَـاعِـثُ دِيـنَـارٍ لِـحَـاجَـتِـنَـا أَوْ عَـبْـدَ رَبٍّ أَخَـا عَـوْنِ بْـنِ مِـخْـرَاقِ؟

أي: ابعث أحدهما إلينا سريعاً. هذا؛ وأصل «قيل»: (قُوِل) بضم القاف وكسر الواو، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها بعد سلب حركتها، فصار (قِوْل) بكسر القاف وسكون الواو، ثم قلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة بعد كسرة. ويقال: قلبت ياء لمناسبة الكسرة. أما (الناس) فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: قوم، ورهط... إلخ، واحده إنسان من غير لفظه، وهو يطلق على الإنس والجن، ولكن غلب استعماله في الإنس، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وأصله الأناس، حذفت منه الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وحذفها مع لام التعريف كاللازم، لا يكاد يقال: الأناس، وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأصل، ولكن بدون لام التعريف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ الآية رقم [٧١] من سورة (الإسراء) وقيل: إن أصله النَّوس، ولم يحذف منه شيء، وإنما قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

الإعراب: ﴿وَقِيلَ﴾: الواو: حرف عطف، (قيل): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام خرج عن معناه الأصلي. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّجْتَمِعُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ في محل رفع نائب فاعل (قيل) وهذا على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام

المفعول به مقامه» وهذا لا غبار عليه، انظر الشاهد رقم [٧٩٣] من كتابنا فتح القريب المجيب والكلام عليه. هذا؛ وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وقيل قول. وقيل: الجار والمجرور في محل رفع نائب فاعل، وجملة: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: قال البيضاوي تبعاً للزمخشري: أي لعلنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا، والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع، ومقصودهم الأصلي ألا يتبعوا موسى، لا أن يتبعوا السحرة، فساقوا الكلام مساق الكناية؛ لأنهم إذا تبعوهم لم يتبعوا موسى انتهى. هذا؛ وقال الخازن: قيل: أراد القائل، والمنادي بالسحرة موسى وهارون، وإنما قال ذلك على طريقة الاستهزاء. انتهى. بتصرف مني، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لَعَلَّنَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿نَتَّبِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿ٱلسَّحَرَةَ﴾: مفعول به؛ والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّنَا...﴾ إلخ تعليل للأمر المفهوم من الجملة الاستفهامية كما رأيت، وقيل: هي في محل نصب حال. والأول أقوى. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو تأكيد لواو الجماعة. ﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ. هذا؛ ويجوز في العربية اعتبار الضمير مبتدأ، و«الغالبون» خبره، والجملة الاسمية في محل نصب خبر (كان)، ولكن لم يقرأه بالواو أحد، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه، التقدير: إن كانوا هم الغالبين؛ فنحن نتبعهم، و﴿إِن﴾ ومدخولها من جملة التعليل للأمر المفهوم مما سبق.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: اشترط السحرة على فرعون الجزاء، والمكافأة، وهو بذل المال، والجاه؛ إن غلبوا موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وكانوا اثنين وسبعين، وقيل: كانوا آلافاً.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى حين عند ابن السرَّاج، والفارسي، وابن جني،

وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾: فاعل، ومفعوله محذوف، التقدير: جاء السحرة فرعون، وصرح به في سورة (الأعراف). والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها؛ لأنها ابتدائية على اعتبار (لما) حرفاً. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِفِرۡعَوۡنَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿أَئِنَّ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إن) مقدم. ﴿لَأَجۡرًا﴾: اللام: لام الابتداء. (أجراً): اسم: ﴿إِن﴾ مؤخر. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(نا): ضمير متصل في محل رفع اسمها، وباقي الإعراب مثل إعراب ﴿إِن كَانُوٓاْ...﴾ إلخ في الآية السابقة بلا فارق، والكلام ﴿أَئِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: فرعون. ﴿نَعَمۡ﴾ أي: إن لكم أجراً، ف: ﴿نَعَمۡ﴾ حرف جواب سد مسد هذه الجملة، ومثله: أجل، وجير، وإي، وبلى، ونقيضها: لا، و﴿نَعَمۡ﴾ تكون لتصديق المخبر، أو إعلام المستخبر، أو وعد الطالب. ﴿وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ أي: ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر الكبير، فتكونون أول من يدخل، وآخر من يخرج من عندي. قال الكلبي: والآية تدل على أن كل الخلق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبداً ذليلاً، مهيناً عاجزاً، وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة. وتدل أيضاً على أن السحرة ما كانوا قادرين على قلب الأعيان، وإلا لما احتاجوا إلى طلب الأجر، والمال من فرعون؛ لأنهم لو قدروا على قلب الأعيان، لقلبوا التراب ذهباً، ولنقلوا ملك فرعون لأنفسهم، ولجعلوا أنفسهم ملوك العالم، ورؤساءهم. والمقصود من هذه الآيات تنبيه الإنسان لهذه الدقائق، وأن لا يغتر بكلمات أهل الأباطيل، والأكاذيب. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى فرعون. ﴿نَعَمۡ﴾: هذا الحرف يقوم مقام جملة كما رأيت، فهو مبني على السكون في محل نصب مقول القول. ﴿وَإِنَّكُمۡ﴾: الواو: حرف عطف. (إنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿إِذٗا﴾: حرف جواب، وجزاء مهمل لا عمل له. هذا؛ وبعضهم يعتبرها ظرفاً، ويعلقها بما بعدها، ويعتبر التنوين نائباً عن جملة محذوفة، وتقدير الكلام: إنكم لمن المقربين إذا غلبتم موسى، ويضعفه أن لام الابتداء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. هذا؛ ونقل السيوطي في «همع الهوامع» عن شيخه

الكافيجي: أن هذه إنما هي: «إذاً» الشرطية، حذفت جملتها، التي تضاف إليها، وعوض عنها التنوين كما في: يومئذٍ. انتهى. ولهذا لا يختص دخولها على المضارع، بل تدخل على الماضي وعلى الاسم، وقد وردت في القرآن كثيراً. وانظر الآية رقم [٢٠]. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي لام الابتداء، وتسمى مزحلقة بالقاف، أو بالفاء. (من المقربين): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إن﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ﴿نَعَمْ﴾ السادَّة مسدَّ الجملة، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟...﴾ إلخ: أي: اصنعوا سحركم، وأروه الناس، فالأمر بصنع السحر وإظهاره للناس، والإذن بتقديم إلقائهم إيَّاه توسلاً به إلى إظهار الحق، وهذا جواب سؤال صورته: كيف يجوز على الرسول المعصوم الإذن بل الأمر بفعل السحر، وهو من قبيل الكفر؟! وحاصل الجواب: أن صيغة الأمر ليست على حقيقتها، بل هي مجاز عن الإذن، ولا يلزم منه الرضا، وإنما هو وسيلة لإبطاله، وإظهار الحق، وهو: أن انقلاب العصا حية ليس من قبيل السحر، والشعوذة.

ولا تنس: أن السحرة تأدبوا مع موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وخيروه بين إلقائه، وإلقائهم أولاً، وقد صرح القرآن الكريم بهذا في الآية رقم [١١٥] من سورة (الأعراف)، والآية رقم [٦٥] من سورة (طه). انظر شرحهما وتفسيرهما تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. وأخيراً أصل ﴿أَلْقُوا۟﴾ (أَلْقِيُوا)، وأصل (ملقون): (مُلْقِيُونَ) فحذفت الضمة التي على الياء، للثقل، فالتقى ساكنان: الياء والواو، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وأبدلت كسرة القاف ضمة لمناسبة الواو، وقل في الماضي: (لَقُوا) مثل ذلك.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّوسَىٰٓ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿أَلْقُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَنتُم﴾: مبتدأ. ﴿مُّلْقُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية صلة: ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ألقوا الذي، أو شيئاً أنتم ملقونه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ أي: طرحوها على الأرض، وكانت سبعين ألف عصا،

وسبعين ألف حبل، وذكر الله في سورة (الأعراف) قوله: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً، وخشباً طوالاً، فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي، يركب بعضها بعضاً، وقد قال الله تعالى في سورة (طه): ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ وهذه الخيفة لم تحصل له لأجل سحرهم؛ لأنه كان على ثقة، ويقين: أنهم لن يغلبوه، وإنما كان خوفه أن يتفرق الناس خوفاً مما رأوا قبل ظهور معجزته، وحجته، وما فعله السحرة إنما كان من باب التمويه، والتخييل، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾.

﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: أقسموا بعزة فرعون، وهي من أيمان الجاهلية، وهكذا كل حلف بغير الله، ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقاً ببعض أسمائه، أو صفاته، كقولك: بالله، والرحمن، وربي، ورب العرش، وعزة الله، وقدرة الله، وجلال الله، وعظمة الله. قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالطَّوَاغِيت، وَلَا تَحْلِفُوا إلا بالله، وَلَا تَحْلِفُوا بالله إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ**». ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم، جاهلية نسبت لها الجاهلية الأولى، وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه، ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه، فإذا أقسم به، فتلك عندهم جهد اليمين، التي ليس وراءها حلف لحالف. انتهى. كشاف.

أقول: وأبشع شيء عند المسلمين في هذه الأيام هو الحلف بالطلاق، الذي هو دليل الفسق، والنفاق، وضعف العقيدة على الإطلاق، وما كره رسول الله ﷺ شيئاً كراهيته للفظ الطلاق، فقد سمع ﷺ رجلاً يحلف بالطلاق، فقام مغضباً من مجلسه، وظهرت الكراهية في وجهه، وقال: «**أَلَعِباً بِدِينِ اللهِ وَأَنَا فِيكُمْ، أَتَلْعَبُونَ بِدِينِ اللهِ وَأَنَا بَيْنَكُمْ؟ مَنْ كَانَ حَالِفَاً فَلْيَحْلِفْ بالله، أَوْ لِيَصْمُتْ**». بل إنه ﷺ جعل الحالف بالطلاق في درجة المنافقين والفُساق، وقال: «**لَا يَحْلِفُ بالطَّلَاقِ إِلَّا فَاسِقٌ، وَلَا يَرْضى بِهِ إِلَّا مُنَافِقٌ**».

الإعراب: ﴿فَأَلْقَوْاْ﴾: الفاء: حرف عطف. (ألقوا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿حِبَالَهُمْ﴾: مفعول به. ﴿وَعِصِيَّهُمْ﴾: معطوف عليه، والهاء فيهما ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور، وجملة: ﴿فَأَلْقَوْاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَقَالُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِعِزَّةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: نقسم، و(عزة) مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَنَحْنُ﴾: اللام: هي المزحلقة. (نحن): ضمير فصل لا محل له من الإعراب.

﴿ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ و﴿ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ خبره، فتكون الجملة الاسمية: ﴿لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ). هذا؛ ودخلت اللام على ضمير الفصل على الوجه الأول فيه؛ لأنه إذا جاز أن تدخل على الخبر، فدخولها على ضمير الفصل أولى؛ لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل على المبتدأ. هذا؛ وامتنع اعتبار الضمير توكيداً لاسم (إنَّ) على المحل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ لوجود اللام الداخلة عليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم، وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا۟...﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾: وفي سورة (الأعراف) وسورة (طه) ألقى عصاه بعد الأمر بذلك بوحي منه سبحانه وتعالى. ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ أي: تأخذ، وتبتلع بسرعة بعد قلبها حية عظيمة، ومثله تلقم، وتلهم، واللقْف: الأخذ بسرعة، ورجل لقِف ثَقِف؛ أي: خفيف حاذق. وقرئ: (تَلقَّفُ) بتشديد القاف، والأصل: تَتَلَقَّف بتاءين، فحذفت إحداهما، وقرئ: (اتَّلَقف) بتشديد التاء أيضاً، وقراءة حفص بتخفيف القاف، كما رأيت أولاً من: لَقِف، يَلْقَف؛ كعَلِمَ، يَعْلَمُ، وركب، يركب. يقال: لَقِفْتُ الشيء، أَلْقَفُه لَقْفاً، وتَلَقَّفْتُه، أَتَلَقَّفُهُ تَلَقُّفاً: إذا أخذته بسرعة، فأكلته، أو ابتلعته. هذا؛ والتلقي، والتَّلَقُّف، والتَّلَقُّن معان متقاربة، خلا أن في الأول معنى الاستقبال، وفي الثاني معنى الخطف، والأخذ بسرعة، وفي الثالث معنى الحذق، والمهارة.

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: ما يقلبون بتمويههم. هذا؛ وأصل الإفك: قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذاب: أفاك؛ لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل، وهو بهذا المعنى من الباب الرابع، ومصدره: إفْك، كعِلْم، ويغلب مجيء فعله بالبناء للمجهول، ويكون بمعنى الصرف، كقوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾، وقال تعالى في سورة (الذاريات): ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ ومصدره أَفْك كضَرْب، وقد يجيء بالبناء للمعلوم، كما في الآية التي نحن بصدد شرحها، وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ وما في الآية بمعنى: الكذب وما في قوله: ﴿لِتَأْفِكَنَا﴾ بمعنى: الصرف.

تنبيه: قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية، فيقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحر، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً، فإذا هي تبتلع كل شيء أتَوْا به من السحر، فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم، واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل، وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع، ففزعوا، ووقع الزحام بينهم، فمات منهم في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى، فعادت في يده عصاً، كما كانت أول مرة، فلما رأى السحرة ذلك؛ عرفوا أنه من أمر

السماء، وليس بسحر، وعرفوا: أن ذلك ليس من قدرة البشر، فعند ذلك خروا سجداً، و﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

تنبيه: إلقاء العصا، وانقلابها حية وقع مرتين بحضرة فرعون، الأولى كانت سبباً في جمع السحرة، والثانية بحضرتهم، فالأولى ذكرت في الآية رقم [٣٢]، والثانية هي المذكورة هنا، ووقع انقلابها مرة ثالثة، ولم يكن هناك أحد غير موسى، وقد ذكرت في سورة (طه)، وفي سورة (القصص) وكانت في طريق عودته من مدين إلى مصر. تأمل.

تنبيه: لقد جرت سنة الله أن يؤيد الرسول بمعجزة من جنس ما برع به قومه، فقوم موسى برعوا بالسحر، فأيده الله بانقلاب العصا حية. وقوم عيسى برعوا بالطب، فأيده الله بإبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى، وقوم محمد ـ صلى الله عليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وسلم ـ برعوا بالفصاحة والبلاغة، فأيده الله بالقرآن الكريم؛ الذي أسكت فصحاءهم، وأخرس بلغاءهم.

الإعراب: ﴿فَأَلْقَىٰ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ألقى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف. ﴿عَصَاهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَأَلْقَىٰ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِذَا هِيَ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿تَلْقَفُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿عَصَاهُ﴾. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: تلقف الذي، أو شيئاً يأفكونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: تلقف إفكهم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو ﴿هِيَ﴾.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: إن السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى ما ليس في قدرتهم مقابلته، وعلموا أنه ليس بسحر خروا لله ساجدين، وذلك أن الله تعالى ألهمهم معرفته والإيمان به، وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق وتخييل بشيء لا حقيقة له، وأن التبحر في كل فن نافع للإنسان، وإنما بدل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله، ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا؛ لم يتمالكوا أنفسهم، فكأنهم أخذوا وطرحوا على وجوههم، وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق.

الإعراب: ﴿فَأُلْقِىَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ألقي): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾: نائب فاعله. ﴿سَٰجِدِينَ﴾: حال منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿فَأُلْقِىَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: السحرة حين رأوا ما رأوا: صدقنا، واعترفنا بوجود رب العالمين. فقال فرعون: إياي تعنون، فقالوا: بل ربّ موسى وهارون، وهارون أخو موسى كما رأيت في الآية رقم [١٣]، وقدموا موسى عليه في الذكر لكبره في الرتبة، أو لأنه وقع في آخر الآية مراعاة للفاصلة، ولذلك قال في سورة (طه): ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ لذلك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. قال عكرمة رحمه الله تعالى: أصبحوا سحرة، فأمسوا شهداء أبراراً.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل ماض مبني على السكون، و(نا): ضمير متصل في محل رفع فاعل. ﴿بِرَبِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿رَبِّ﴾: بدل من سابقه، أو عطف بيان عليه، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله... إلخ. ﴿وَهَٰرُونَ﴾: معطوف على ﴿مُوسَىٰ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من السحرة، أي قائلين: آمنا... إلخ، وهي على تقدير: «قد» قبلها، وقال البيضاوي، والجمل نقلاً من أبي السعود: الجملة بدل اشتمال، من: (أُلْقِيَ)، ولا أرى له وجهاً قوياً، بل الحالية أقوى.

﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ...﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: فرعون. ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾ أي: لموسى، عليه السلام. ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ﴾ أي: قبل أن تستأذنوني في ذلك، فآذن لكم بتصديقه، واتباعه. ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾: وذلك: أن فرعون رأى موسى يحدِّث كبير السحرة، فقال له موسى: تؤمن بي إن غلبتك، فقال: لآتين بسحرٍ لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني لأومنن بك، فظن فرعون: أنهما قد تواطآ عليه، وعلى القبط، وهذا فحوى كلامه في سورة (الأعراف): ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ﴾ أو أراد بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ...﴾ إلخ أي هو رئيسكم في التعليم، وإنما غلبكم؛ لأنه أحذق به منكم، وقد أراد فرعون بقوله هذا؛ ليشبه على الناس؛ حتى

لا يتبعوهم، فيؤمنوا كإيمانهم، وإلا فقد علم: أنهم لم يتعلموا من موسى، بل قد علموا السحر قبل قدوم موسى، وقبل ولادته. ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: تهديد، ووعيد شديدين، فسرهما بما يلي في الآية التالية. هذا؛ وقال سبحانه هنا وفي سورة (طه): ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾، وقال في سورة (الأعراف): ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ وهما بمعنى واحد، والضمير فيهما لموسى عليه السلام، وقيل في سورة (الأعراف) الضمير إلى الله تعالى، وانظر إعلال الهمزة الممدودة فيما تقدم.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى فرعون. ﴿ءَامَنتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿ءَاذَنَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَنْ﴾، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا»، و﴿أَنْ ءَاذَنَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿قَبْلَ﴾ إليه. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾: اللام: هي المزحلقة. (كبيركم): خبر (إنَّ)، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة: (كبيركم)، أو هو بدل منه، أو عطف بيان عليه. ﴿عَلَّمَكُمُ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿ٱلسِّحْرَ﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والكلام ﴿ءَامَنتُمْ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول. ﴿فَلَسَوْفَ﴾: الفاء: هي الفصيحة. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: بعزتي، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (سوف): حرف تسويف واستقبال. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، التقدير: فسوف تعلمون ما أفعل بكم، وجملة: (لسوف تعلمون) جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه كلام لا محل له؛ لأنه جواب شرط غير جازم وتقدير الكلام: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، وواقعاً منكم؛ فأقسم بعزتي: لسوف تعلمون ما أفعل بكم! والكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿...لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾: قرأ حفص بضم الهمزة، وتشديد الطاء من الرباعي، وقرأ غيره بفتح الهمزة، وتخفيف الطاء من الثلاثي، وكذا: (لأصلبنكم). ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: يريد أن يقطع من كل شق طرفاً فيقطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى، أو بالعكس. قيل: إن فرعون ـ لعنه الله ـ أول من سن هذا القطع، وهذا الصلب للمؤمنين، وذلك لشدة كفره، وعناده، ثم شرعه الله تعالى لقطَّاع الطَّريق، وللباغين تعظيماً لجرمهم، وتنكيلاً بهم، ولذلك سماه الله محاربة له ولرسوله، ولكن على التعاقب لفرط رحمته، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٣] من سورة (المائدة) وجيء هنا،

وبسورة (طه) بالواو، وفي سورة (الأعراف) بـ: ﴿ثُمَّ﴾؛ لأن الواو صالحة للمهلة، فلا تنافي بين الآيات، وانظر شرح (اليد) في الآية رقم [٣٣].

تنبيه: قال الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ نقلاً عن كرخي: والحاصل: أنهم لما آمنوا بأجمعهم لم يأمن فرعون أن يقول قومه: إن هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا إلا عن معرفتهم بصحة أمر موسى عليه السلام، فيسلكون طريقهم، فلبَّس على القوم، وبالغ في التنفير عن موسى من وجوه: أحدها: قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ والمعنى: أن مسارعتكم إلى الإيمان به دالة على ميلكم إليه، فتتطرق التهمة إليهم، فلعلهم قصروا في السحر حياء منه. وثانيها: قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وهذا تصريح بما رمز به أولاً، وتعريض منه بأنهم فعلوا ذلك عن مواطأة بينهم وبين موسى، وقصروا في السِّحر، ليظهر أمر موسى، وإلا ففي قوة السَّحرة أن يفعلوا مثل ما فعل هو، وهذه شبهة قوية في تنفير مَنْ حوله. وثالثها: قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وهو وعيد، وتهديد شديدين. انتهى. هذا؛ وقيل: إنه فعل بهم ما توعدهم به من التقطيع، والتصليب، وقيل: لم يفعله بهم، ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل بهم ذلك. انتهى. والقول الأول منقول عن الكلبي، وقال غيره: لم يقدر عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ الآية رقم [٣٥] من سورة (القصص).

الإعراب: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، (أقطعن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، أو الخفيفة حسب القراءة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المحذوف، وكأنه قال: أقسم بعزتي، وعظمتي لأقطعن! وهذا الكلام مفسر للجملة القسمية في الآية السابقة، فهو في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾: مفعول به. ﴿وَأَرْجُلَكُم﴾: معطوف على ما قبله، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب حال من الأيدي، والأرجل، التقدير: مختلفات. ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. وجملة ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثل سابقتها، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لمدلول الكاف، والميم، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. وأخيراً أقول: إن الآيات في هذه السورة وفي سورة (الأعراف) وفي سورة (طه) متقاربة في المعنى والإعراب، وإن اختلفت في بعض الألفاظ.

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: السحرة الذين آمنوا مجيبين إلى فرعون. ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا، بل لنا فيه أعظم النفع؛ لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله

تعالى من تكفير الخطايا، والثواب العظيم مع الأعواض الكثيرة. هذا؛ والضر، والضير، والضور واحد. ويقال: لا ضَيْر ولا ضَور ولا ضَرّ ولا ضَرَرَ ولا ضارُورة، والكل بمعنى واحد، وأنشد أبو عبيدة قول خداش بن زهير: [الوافر]

فَــإِنَّــكَ لَا يَــضُــورُكَ بَــعْــدَ حَــوْلٍ أَظَــبْــيٌ كَــانَ أُمُّــكَ أَمْ حِــمَــارُ

ومعنى هذا البيت: لا تبالي، أو لا يعيبك، أو لا يضرك بعد قيامك بنفسك، واستغنائك عن أبويك من انتسبت إليه من شريف، أو وضيع. وضرب المثل بالظبي، أو بالحمار. ويستشهد بالبيت على جعل اسم كان نكرة، وخبرها معرفة ضرورة، وانظر الشاهد رقم [٨٢٣] من كتابنا فتح القريب المجيب.

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: راجعون إلى ربنا بالموت لا محالة، فلا نبالي بوعيدك، وتهديدك، فهو الذي يفصل بيننا، وبينك بالحق، وهو خير الحاكمين. فكأنهم استلذوا العذاب رغبة في الأجر، والثواب حين خالطت قلوبَهم بشاشةُ الإيمان.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿ضَيْرَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، التقدير: لا ضير علينا، أو في ذلك، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وقد حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ تعليل للنفي، لا محل لها، وهي من مقول السحرة، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ أي: نأمل أن يتكرم علينا ربنا بغفر ذنوبنا؛ التي صدرت منا فيما مضى من عمرنا من سحر، وغيره، والطمع: نزول النفس إلى الشيء، والحرص على حصوله، وطمع يطمع من باب: سلم، يسلم. وخطايا: جمع: خطيئة، وتجمع على خطيئات، وهو كثير في القرآن الكريم. ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: عند ظهور الآية ممن كان في جانب فرعون. وقال الفراء: أول مؤمني زماننا. وأنكره الزجاج، وقال: قد روي: أنه آمن معهم ستمئة ألف، وسبعون ألفاً، وهم الشِّرذمة القليلون الذين قال فيهم فرعون ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ روي ذلك عن ابن مسعود، وغيره. انتهى. قرطبي. هذا؛ وانظر شرح ﴿رَبَّكَ﴾ في الآية رقم [٩]، وشرح: (أَوَّلَ) في الآية رقم [٥] من سورة (الفرقان). هذا؛ وقرئ بكسر همزة (إنْ).

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿نَطْمَعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَغْفِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رَبُّنَا﴾: فاعل، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿خَطَٰيَٰنَآ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، و(نا): في محل جر بالإضافة، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَغْفِرَ...﴾ إلخ في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: إنا نطمع بمغفرة ربنا لنا خطايانا، أو في محل نصب مفعول به على تضمين ﴿نَطْمَعُ﴾ معنى: نرجو، وجملة: ﴿نَطْمَعُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ تعليل ثان لنفي الضير، أو تعليل للعلة المتقدمة. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿كُنَّآ﴾: فعل ماض ناقص، مبني على السكون في محل نصب بـ ﴿أَن﴾، و(نا): اسمها. ﴿أَوَّلَ﴾: خبر كان، و﴿أَوَّلَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور. . إلخ، و﴿أَن كُنَّآ﴾: في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأن كنا. . . ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يَغْفِرَ﴾، وعلى قراءة كسر الهمزة، قال فيه الزمخشري: هو من الشرط الذي يجيء به المدل بأمره، المتحقق لصحته، وهم كانوا متحققين: أنهم أول المؤمنين، ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله: إن كنت عملت لك؛ فوفني حقي، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ مع علمه: أنهم لم يخرجوا إلا لذلك. انتهى. كشاف. وعلى ما تقدم يكون جواب الشرط محذوفاً، التقدير: إنْ كنا أول المؤمنين؛ فهو يغفر لنا خطايانا.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ...﴾ إلخ: هذا الإيحاء والأمر بالسير كان بعد ثلاثين سنة أقامها موسى بينهم يدعوهم إلى توحيد الله تعالى، فلم يزدادوا إلا عتواً، وعناداً على كثرة المعجزات التي رأوْها على يد موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقد فصل ذلك في سورة (الأعراف) في الآية رقم [١٣٢] وما بعدها. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتبعكم فرعون، وجنوده، أي: أَسْرِ بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين، كان لكم تقدم عليهم، بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر، بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر، فيدخلون مدخلكم، فأطبقه عليهم، فأغرقهم، وتنجون أنتم.

هذا؛ وأسرى فيه لغتان: سرى وأسرى، وقرئ هنا بكسر نون ﴿أَنْ﴾ على أن الهمزة للوصل، من الأول، وقرئ بسكون النون على أن الهمزة للقطع من الثاني، وقد جمع حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بين اللغتين في بيتٍ واحد؛ حيث قال: [الكامل]

حَيِّ النَّضِيرَةَ رَبَّةَ الْخِدْرِ ... أَسَرَتْ إِلَيَّ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي

وسرى، وأسرى بمعنى واحد، وهو قول أبي عبيدة، والثانية لغة أهل الحجاز، وبها جاء القرآن الكريم هنا، وهما بمعنى: سار الليل عامته. وقيل: سرى لأول الليل، وأسرى لآخره، وهو قول الليث. وأما: سار؛ فهو مختص بالنهار، وليس مقلوباً من سرى، فهو بمعنى مشى. هذا؛ والسُّرى، والإسراء: السير في الليل، يقال: سَرَى، يَسْرِي، سُرًى، ومَسْرًى، وسُرْيَة، وسِرَايَةً؛ وأسرى إسراء. هذا؛ والسرى يذكر، ويؤنث، ولم يحك اللحياني فيه إلا التأنيث، كأنهم جعلوه جمع: سرية. ﴿بِعِبَادِيٓ﴾: الإضافة إضافة تشريف، وتبجيل، وتفخيم، وتكريم، وذكر العبودية مقام عظيم، وكثيراً ما ذكر الله حبيبه محمداً ﷺ بلفظ عبده. هذا؛ والعبد الإنسان، حراً كان، أو رقيقاً، ويجمع على: عبيد، وعباد، وأعبد، وعبدان، وعبدة، وغير ذلك.

هذا؛ وأصل الوحي: الإشارة السريعة، والوحي: الكتاب المنزل على الرسول المرسل لقومه، مثل: موسى، وعيسى، ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين. والوحي أيضاً: الكتابة والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، وتسخير الطير لما خُلِقَ له إلهام، والوحي إلى النحل، وتسخيرها لما خلقها الله له إلهام، واختلف في الوحي إلى أم موسى، فقيل: كان في المنام، وقيل: كان إلهاماً، وقيل: كان يكلمها جبريل.

الإعراب: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (أوحينا): فعل، وفاعل. ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَنْ﴾: حرف تفسير. ﴿أَسْرِ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية مفسرة للإيحاء، لا محل لها. هذا؛ ويجيز بعضهم اعتبار ﴿أَنْ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والمعتمد الأول. ﴿بِعِبَادِيٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: مصحوباً بعبادي، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّكُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿مُّتَّبَعُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُم...﴾ إلخ تعليل للأمر.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: لما علم فرعون بخروج بني إسرائيل عند الصباح أمر جنوده، وأعوانه، وعساكره أن يجمعوا الناس من جميع المدائن، وكانت ألف مدينة، واثني عشر ألف قرية، فعن ابن عباس ـ رضي

الله عنهما ـ قال: خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث، فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام، وكانوا ستمئة ألف وسبعين ألفاً، وسماهم شرذمة قليلين بالنسبة لعسكره، وجنوده.

الإعراب: ﴿فَأَرْسَلَ﴾: الفاء: حرف عطف. (أرسل): فعل ماض. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: فاعله. ﴿فِي ٱلْمَدَآئِنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما. ﴿حَٰشِرِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ، وجملة: ﴿فَأَرْسَلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (أوحينا...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: قوم موسى. ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ أي: طائفة قليلة، وذلك بالنسبة لعسكره كما تقدم، وتجمع على: شراذم، وشراذيم. ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾: الغيظ: الغضب الشديد، ومنه التغيظ، والاغتياظ، يقال: غاظني كذا، وأغاظني. وسبب شدة غيظ فرعون من بني إسرائيل ما روي: أن الله أوحى إلى موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: أن اجمع بني إسرائيل كلَّ أربعة أبيات في بيت واحد، ثم اذبحوا الجداء، واضربوا بدمائهم على أبوابكم، فإني سآمر الملائكة ألا يدخلوا بيتاً على بابه دم، وسآمرهم بقتل أبكار القبط؛ لأشغلهم بموتاهم عن اللحاق بكم. وسبب آخر للغيظ هو أخذ النساء الإسرائيليات حلي النساء القبطيات بحجة الاستعارة للزينة بها في يوم عيد، أو بحجة عرس، كما رأيت في الآية رقم [٨٧] وما بعدها من سورة (طه). وكما رأيت في الآية رقم [١٤٨] من سورة (الأعراف)، فالغيظ حصل لفرعون وقومه من أمور: مخالفة بني إسرائيل لدينهم، وذهابهم بأموالهم التي استعاروها، وقتل الملائكة لأبكارهم، وخروج بني إسرائيل من أرض مصر بغير إذنهم. ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ أي: وإنا لجميع من عادتنا الحذر، واستعمال الحزم في الأمور، وقرئ: (حذرون) أي: خائفون من شرهم، قال الشاعر أبو يحيى اللاحقي: [الكامل]

حَـذِرٌ أُمُـوراً لا تَـضِـيـرُ وَآمِـنٌ ... مَـا لَـيْـسَ مُـنْـجِـيَـهُ مِـنَ الأَقْـدَارِ

كما قرئ: (حادِرُون) بالدال، والحادر: القوي السمين، قال: [الطويل]

أُحِـبُّ الـصَّـبِـيَّ الـسَّـوْءَ مِـنْ أَجْـلِ أُمِّـهِ ... وَأُبْـغِـضُـهُ مِـنْ بُـغْـضِـهَـا، وَهْـوَ حَـادِرُ

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (شرذمة): خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿قَلِيلُونَ﴾: صفة (شرذمة)، وصح ذلك؛ لأنها بمعنى الجماعة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف يقع صفة ثانية لموصوف

محذوف، والصفة الأولى: ﴿حَٰشِرِينَ﴾، وتقدير الكلام: فأرسل فرعون... رجالاً حاشرين قائلين: إن هؤلاء... إلخ. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿لَغَآئِظُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (غائظون): خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وكذلك جملة: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، و﴿حَٰذِرُونَ﴾ صفة (جميع) وساغ ذلك؛ لأنه بمعنى جماعة أيضاً.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: قيل: كانت البساتين ممتدة في حافتي النيل، فيها عيون، وأنهار جارية. والمراد بـ: (كنوز) الأموال التي كانوا يملكونها من الذهب والفضة، وسماها الله كنوزاً؛ لأنه لم يؤدَّ حق الله منها، وكل مال لم يؤد حق الله منه فهو كنز، وإن كان ظاهراً. قيل: كان لفرعون ثمانمئة ألف غلام، كل غلام على فرس عتيق، في عنق كل فرس طوق من ذهب. ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ أي: حسن. قيل: أراد مجالس الأمراء، والرؤساء التي كانت لهم. وقيل: إنه كان إذا قعد على سريره، وضع بين يديه ثلاثمئة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه، والأمراء، وعليهم أقبية الذهب، مخوصة بالذهب. والمعنى: إنا أخرجناهم من بساتينهم، التي فيها العيون، وأموالهم، ومجالسهم الحسنة. هذا؛ والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله، وهو صفة لكل ما يرضى في بابه، يقال: «وجه كريم» أي: مرضي بحسنه، وجماله، و«كتاب كريم»: مرضي في معانيه، وفوائده، «ونبات كريم»: مرضي فيما يتعلق به من المنافع، قال تعالى: ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ وقس على ذلك الإنسان، والحيوان، والمكان. وانظر الآية رقم [٢٩] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾: الفاء: حرف استئناف. (أخرجناهم): فعل ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَعُيُونٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَكُنُوزٍ﴾: معطوفة أيضاً. ﴿وَمَقَامٍ﴾: معطوف أيضاً على ما قبله. ﴿كَرِيمٍ﴾: صفة (مقام).

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: أي: إن كل ما ذكره الله تعالى من الجنات، والعيون، والكنوز، والمقام الكريم، أورثه سبحانه وتعالى بني إسرائيل. قال الحسن وغيره: رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه. ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ أي: لحق فرعون وقومه بني إسرائيل وقت شروق الشمس وإضاءتها. واختلف في سبب هذا التأخر إلى شروق الشمس على قولين: أحدهما: لاشتغالهم

بدفن أبكارهم الذين ماتوا في تلك الليلة. الثاني: أن سحابة أظلَّتهم، وظُلمة نزلت بهم، فظنوا: أن النهار لم يشرق نوره، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: أورثناها بني إسرائيل ميراثاً كائناً مثل إخراج فرعون وقومه من جنات... إلخ، وعليه فالواو زائدة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. وقال الزمخشري: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه، النصب على: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه. والجر على أنه وصف لـ: (مقام) أي: مقام كريم مثل ذلك المقام، الذي كان لهم. والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: الأمر كذلك. انتهى. وهذا أقوى الثلاثة عندي. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾: الواو: حرف صلة، أو حرف استئناف على حسب الإعراب المتقدم، والعطف ممكن على ما تقدم. (أورثناها): فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية على حسب ما قيل بالواو. ﴿بَنِيٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء، نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: الفاء: حرف استئناف، والعطف غير جائز لاختلاف المعنى بين الجملتين، وإذا عطفناها على جملة: (أخرجناهم...) إلخ فتكون جملة: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا...﴾ إلخ معترضة بينهما، وهذا جيد لا غبار عليه. (أتبعوهم): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: حال من واو الجماعة، أو من الهاء منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾: تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر، وقرئ: (تراءت الفئتان) ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي: لملحقون بمعنى: سيدركنا فرعون، وقومه، ولا طاقة لنا بهم. قرئ بتشديد الدال. وفرق بينهما بأن معنى الأول: ملحقون، ومعنى الثاني: مجتهد في لحاقهم.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٤١]. ﴿تَرَٰٓءَا﴾: فعل ماض، ﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: فاعل، و﴿أَصْحَٰبُ﴾ مضاف، و﴿مُوسَىٰٓ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف

للتعذر. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَمُدْرَكُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مدركون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى، ﴿كَلَّآ﴾: لن يدركوكم، فإن الله وعدكم الخلاص منهم، وهذا رد لقولهم السابق: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾. ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ أي: بالحظ، والرعاية، ﴿سَيَهْدِينِ﴾: طريق النجاة منهم، ومن كيدهم، روي: أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى، فقال: أين أُمِرْتَ يا نبي الله؟! فهذا البحر أمامك، وقد غشيك آل فرعون، قال: أمرت بالبحر، ولعلي أومر بما أصنع.

وهنا بحث جدير بالاعتبار، وهو المقارنة بين قول موسى عليه السلام ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾، وقول نبينا، وحبيبنا محمد ﷺ في سورة (التوبة). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ وكلاهما كان في حالة شدة، وضيق، كلاهما شديد الاتصال بربه، والتوكل عليه، فنجد موسى عليه السلام قدم الظرف على لفظ ربي، ونبينا، وحبيبنا قدم لفظ الجلالة على الظرف، وللتقديم أهميته في مثل هذا المقام، ولا سيما إذا كان من رسولين عظيمين كريمين على الله، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وما يتذكر ويعتبر إلا أولو الألباب. وانظر الكلام على ﴿كَلَّآ﴾ في الآية رقم [٧٩] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى موسى عليه السلام. ﴿كَلَّآ﴾: حرف ردع، وزجر مبني على السكون في محل نصب مقول القول، وهو مفيد للنفي هنا. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿مَعِىَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدم، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿رَبِّى﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿سَيَهْدِينِ﴾: السين: حرف استقبال. (يهدين): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ربي، والنون للوقاية، والمفعول به، وهو ياء المتكلم محذوف لدلالة الكسرة عليها، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان؛ لـ: ﴿إِنَّ﴾، وقيل: مستأنفة، والأول أقوى بلا شك. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ مَعِىَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وفيها معنى التعليل للردع، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: قيل: لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر، هاج البحر، وهاجت الرياح، وصار البحر يرمي بموج كالجبال، قال يوشع بن نون: يا كليم الله! أين أمرت؛ فقد غشينا فرعون من خلفنا، والبحر أمامنا؟ قال موسى: هاهنا، فخاض يوشع الماء، لا يواري حافر دابته، وقال الذي يكتم إيمانه ـ وهو مؤمن آل فرعون، واسمه حزقيل ـ: يا كليم الله! أين أمرت؟ قال: هاهنا. فكبح فرسه، فصكه بلجامه، حتى طار الزبد من شدقه، ثم أقحم البحر، فارتسب في الماء، وذهب القوم يصنعون مثل ذلك، فلم يقدروا، فجعل موسى لا يدري كيف يصنع! فأوحى الله إليه، أن اضرب بعصاك البحر، فضربه، فانفلق، فإن الرجل واقف على فرسه، لم يبتل سرجه، ولا لبده. انتهى. خازن بتصرف. وهذا إحدى الآيات التي أيد الله بها موسى، وانظر الآية رقم [١٢] من سورة (النمل).

﴿فَٱنفَلَقَ﴾: فانشق اثني عشر فرقاً بعدد أسباط بني إسرائيل المنسوبين إلى أولاد يعقوب الاثني عشر على نبينا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. ووقف الماء كالطود، أي: الجبل العظيم، فصار ما بين تلك الأطواد طرقاً يابسة، كما ذكر الله في الآية رقم [٧٧] من سورة (طه) بعد هذا فالبحر: الماء الكثير، أو الملح، والجمع: بحور، وبحار، وأبحر. وضد البحر: البر، وهو بفتح الباء: الأرض اليابسة، وهو بضم الباء: حب القمح، وبكسرها: عمل الخير مطلقاً، وقد ثبت جغرافياً: أن مساحة البحر، تعدل ثلاثة أضعاف مساحة البر. وروي أن أنواع المخلوقات، وأجناسها الموجودة في أعماق البحار أكثر ممَّا يوجد على سطح الأرض. والله أعلم. و﴿فِرْقٍ﴾: قطعة من ماء البحر. و(الطود): الجبل العظيم كما رأيت، ومنه قول امرئ القيس: [الوافر]

فَبَيْنَا الْمَرْءُ في الأَحْيَاءِ طَودٌ ... رَمَاهُ النَّاسُ عَنْ كَثَبٍ فَمالَا

وجمعه: أطواد، قال الأسود بن يعفر: [الكامل]

حَلُّوا بِأَنْقَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ ... مَاءُ الْفُراتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ

الإعراب: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٥٣]. ﴿بِّعَصَاكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْبَحْرَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَأَوْحَيْنَآ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَٱنفَلَقَ﴾: الفاء: حرف عطف. (انفلق): فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلْبَحْرَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة معطوفة بدورها على جملة: (أوحينا...) إلخ لا محل لهما مثلها. انظر التقدير في الشرح. ﴿فَكَانَ﴾: الفاء: حرف

عطف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿كُلُّ﴾: اسمها، و﴿كُلُّ﴾ مضاف، و﴿فِرْقٍ﴾ مضاف إليه. ﴿كَالطَّوْدِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وإن اعتبرت الكاف اسماً، فتكون هي الخبر، بمعنى: مثل، وتكون مضافة، و(الطود) مضاف إليه. ﴿الْعَظِيمِ﴾: صفة (الطود)، وجملة ﴿فَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ أي: قربناهم إلى البحر، والمراد فرعون، وقومه، قيل: إن جبريل الأمين ـ عليه السلام ـ كان بين بني إسرائيل، وبين قوم فرعون، يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم أولكم، ويقول للقبط: رويداً ليلحق آخركم أولكم، فكان بنو إسرائيل يقولون: ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل، وكان قوم فرعون يقولون: ما رأينا أحسن داع من هذا الرجل. انتهى. خازن. هذا؛ وقرأ أبو عبد الله بن الحارث، وأبي بن كعب، وابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ (وَأَزْلَقْنَا) بالقاف على معنى أهلكناهم، أو معنى أذهبنا عزهم، كقول زهير في مدح هرم بن سنان، والحارث بن عوف: [الطويل]

تداركتما عبساً وقد ثلَّ عرشها ... وذبيان؛ إذ زلَّت بأقدامها النَّعلُ

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ...﴾ إلخ: أي من الفرق حيث عبروا البحر سالمين. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾: انظر ما قال فرعون حين أدركه الغرق وما قيل له في الآية رقم [٩٠] وما بعدها من سورة (يونس) ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿ثُمَّ﴾: بضم الثاء حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وفي كلٍّ منها خلاف مذكور في مغني اللبيب، وقد تلحقها تاء التأنيث الساكنة، كما تلحق (رُبَّ) و(لَا) العاملة عمل ليس، فيقال: ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، وَلَاتَ، والأكثر تحريك التاء معهن بالفتح. هذا؛ وثُمَّ هذه غير (ثَمَّ) بفتح الثاء، فإنها اسم يشار به إلى المكان البعيد، كما في الآية رقم [٦٥] وهي ظرف لا يتصرف، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا يتصل به كاف الخطاب، وقد تتصل به التاء المربوطة، فيقال: ثَمَّةَ.

الإعراب: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أزلفنا): فعل، وفاعل. ﴿ثَمَّ﴾: اسم إشارة مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بالفعل قبله. ﴿الْآخَرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿وَأَزْلَفْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. (أنجينا): فعل، وفاعل. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف

للتعذر. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿مَّعَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لـ: ﴿مُوسَىٰ﴾ وما عطف عليه، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء.. إلخ، وجملة: ﴿وَأَنجَيْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف، وجملة: ﴿أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في إغراق فرعون وقومه. ﴿لَءَايَةً﴾ أي: علامة على قدرة الله تعالى، وأيضاً عبرة لمن بعدهم. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: في علم الله، وقضائه. وانظر الآية رقم [٨]. فلم يؤمن بالله من قوم فرعون غير آسية امرأة فرعون، وحزقيل مؤمن آل فرعون المذكور في الآية رقم [٢٨] من سورة (غافر)، ومريم بنت ناموسى التي دلت موسى على عظام يوسف عليه السلام، وكانت عجوزاً، تعيش من العمر نحو سبعمئة سنة، وسبب دلالتها على قبره: أن الله أمر موسى بأخذه معه إلى الشام، حين خروجه من مصر، فسأل عن قبره، فلم يعرف ذلك أحدٌ، فدلته عليه هذه العجوز، بعدما ضمن لها موسى على الله الجنة، وكان يوسف قد دفن في قعر النيل، فحفر عليه موسى، وأخرجه وذهب به إلى الشام، في خروجه من مصر. انتهى. جمل.

روى أبو بردة عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ نزل بأعرابي، فأكرمه. فقال رسول الله ﷺ: «**حاجتك**» قال: ناقة أَرْحَلُها، وأعنزاً أَحْلُبُها، فقال رسول الله ﷺ: «**فَلِمَ عجزْتَ أن تكونَ مِثْلَ عجوزِ بني إسرائيلَ؟!**». فقال أصحابه: وما عجوز بني إسرائيل؟ فذكر لهم حال هذه العجوز التي احتكمت على موسى أن تكون معه في الجنة. انتهى. قرطبي. هذا؛ ونص الآية يدل على أن الثلاثة المذكورين كانوا من قوم فرعون، وإلا فإن بني إسرائيل كانوا جميعاً مؤمنين بالله، ومتبعين لموسىٰ، ومصدقين له.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: انظر شرح هذه الآية وإعرابها برقم [٩] وإعراب سابقتها برقم [٨] وذلك بغية الاختصار، والله ولي التوفيق، وأسأله المزيد من فضله وكرمه لي ولإخواني المؤمنين الصادقين.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱتْلُ﴾: هذا الخطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على أهل مكة المشركين. ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: خبر إبراهيم مع قومه. ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ أي: اذكر كما رأيت في الآية رقم [٧٤] من

سورة (الأنعام) على المعتمد. ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾ أي: نمرود، ومن تبعه. ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: أي شيء تعبدونه؟ وإبراهيم ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ يعلم: أنهم عبدة أصنام، ولكنه سألهم؛ ليريهم: أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة.

﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾: قال النسفي رحمه الله تعالى: جواب ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: ﴿أَصْنَامًا﴾ أي: فيكفي هذا بدون ذكر الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: فحذف الفعل: أنفقوا، وكقوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ أي: قال: ﴿ٱلْحَقَّ﴾، فحذف الفعل؛ لأن سؤال إبراهيم لهم عن المعبود، لا عن العبادة، وإنما زادوا: (نعبد) في الجواب افتخاراً ومباهاة بعبادة الأصنام. انتهى. بتصرف كبير مني.

﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ﴾ أي: فنبقى، وندوم على عبادتها، وتقديسها، وتعظيمها مقيمين، لا نتركها أبداً، فليس المراد التوقيت في النهار، خلافاً لمن قال به، بل المراد من الفعل (نظل) الاستمرار، كما في قوله تعالى: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾.

هذا؛ والأصنام جمع صنم، وهوالتمثال الذي يتخذ من خشب، أو حجارة، أو حديد، أو ذهب، أو فضة على صورة إنسان، أو غيره. وهو الوثن المعبر به في كثير من الآيات القرآنية. وانظر نسب إبراهيم، وأولاده، وقصته مع سارة، وهاجر، وزوجته في الآية رقم [٣٥] من السورة المسماة باسمه، وانظر ما فعل بالأصنام، وما أرادوا به من كيد، وتحريق في سورة (الأنبياء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَٱتْلُ﴾: الواو: حرف عطف تعطف قصة إبراهيم مع قومه على قصة موسى مع فرعون وقومه، علماً بأن قصة إبراهيم متقدمة على قصة موسى، كيف لا؟ وإبراهيم هو الجدُّ الأول لموسى، وغيره من الأنبياء، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. (اتل): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿نَبَأَ﴾: مفعول به، و: ﴿نَبَأَ﴾: مضاف، و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب بدل اشتمال من ﴿نَبَأَ﴾. وقيل: متعلق بـ: ﴿نَبَأَ﴾ نفسه، والأول أقوى، وأولى. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو»، يعود إلى إبراهيم. ﴿لِأَبِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء، نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾: معطوف على أبيه بالواو العاطفة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، أو في محل رفع مبتدأ. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال

الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول على اعتبار الأول في ﴿مَا﴾، وفي محل رفع خبرها على اعتبارها مبتدأ، ويكون الرابط، وهو المفعول به محذوفاً، التقدير: تعبدونه، وعلى هذا فالجملة اسمية، وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض، مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿نَعْبُدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن». ﴿أَصْنَامًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فَنَظَلُّ﴾: الفاء: حرف عطف. (نظلُّ): فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير مستتر فيه، تقديره: «نحن». ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿عَٰكِفِينَ﴾: خبر (نظل) منصوب، وعلامة نصبه الياء، نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿فَنَظَلُّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: إبراهيم لقومه. ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أي: هل يسمعون دعاءكم إذا دعوتموهم؟ ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ أي: هل تنفعكم هذه الأصنام برزق، أو بصحة وعافية، أو بولد، ونحو ذلك؛ إن عبدتموهم؟ أو يضرونكم بشيء؛ إن عصيتموهم؟ وهذا استفهام لتقرير الحجة، بل للتقريع، والتوبيخ، والمعنى: فإذا لم ينفعوكم، ولم يضروكم بشيء فما معنى عبادتكم لها؟ هذا؛ وإنما جمعت المعبودات الباطلة بواو الجماعة التي هي لجماعة المذكرين العاقلين، مع أنها جمادات لا تعقل؛ لأن الكفار يعاملونها معاملة من يعقل، من سؤالهم لها حوائجهم، وتذللهم لها، والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل، وهو كثير ومستعمل في القرآن الكريم، والكلام العربي.

هذا؛ والفعل «يسمع» من الأفعال الصوتية، إن تعلق بالأصوات؛ تعدى إلى مفعول واحد، وإن تعلق بالذوات؛ تعدى إلى اثنين، الثاني منهما جملة فعلية مصدرة بمضارع من الأفعال الصوتية، مثل قولك: سمعت فلاناً يقول: كذا، وهذا اختيار الفارسي، واختار ابن مالك، ومن تبعه أن تكون الجملة الفعلية في محل نصب حال، إن كان المتقدم معرفة، وصفة إن كان نكرة، مثل قولك: سمعت رجلاً يقول كذا.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام مفيد للتوبيخ، والتقريع. ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، وانظر الشرح لتقدير المحذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿إِذْ﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل

قبله. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، ومفعوله محذوف؛ إذ التقدير: تدعونهم، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها، وجملة: ﴿يَنفَعُونَكُمْ﴾ معطوفة على جملة: ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾: فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿يَضُرُّونَ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة عليها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: فهذا الجواب منهم اعتراف صريح بأن ما يعبدون من دون الله بمعزل عما ذكر من السمع، والمنفعة، والمضرة، واضطروا إلى بيان أنه لا مستند لهم في عبادتها سوى التقليد. والمعنى: ما علمنا ولا رأينا من تلك الأصنام ما ذكر من الأمور، وإنما وجدنا آباءنا يعبدونها، فاقتدينا بهم.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب متضمن معنى النفي. ﴿وَجَدْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ءَابَآءَنَا﴾: مفعول به أول، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: يفعلون فعلاً كائناً مثل فعلنا، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٦٠]. ﴿يَفْعَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان، وجملة: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: إبراهيم. ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: قال أبو السعود رحمه الله تعالى: أي: أنظرتم فأبصرتم، أو أتأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه؟ وقال الكازروني: المعنى: أخبروني عن حال ما كنتم تعبدون. وانظر الإعراب. ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾: الأولون، فإن التقدم لا يدل على صحة، ولا ينقلب به الباطل حقاً.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾: المعنى: فإنهم عدو لي يوم القيامة؛ إن عبدتهم في الدنيا، كما قال تعالى في الآية رقم [٨٢] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾. وقيل: إن الكفار لما عبدوها، ونزلوها منزلة الأحياء العقلاء؛ أطلق إبراهيم لفظ العداوة عليها، وقال الفراء: هو من المقلوب، مجازه: فإني عدو لهم؛ لأن من عاديته عاداك. هذا؛ وإذا عرفنا أن المعبودات تتبرأ من عابديها، كما نصت على ذلك الآيات

الكثيرة؛ فكفى بذلك عداوة بينها وبين من يعبدها. ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: فإنه ربي، ووليي. وقال الكلبي: التقدير: إلا من عبد رب العالمين.

هذا؛ وعدو: ضد الصديق، وهو على وزن فعول بمعنى فاعل، مثل صبور، وشكور وما كان على هذا الوزن، يستوي فيه المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، إلا لفظاً واحداً، جاء نادراً، قالوا: هذه عدوة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فقد عبر به عن مفرد، وما في الآية الكريمة عبر به عن جمع، كما هو واضح، ومثل ذلك صديق، كما رأيت في الآية رقم [٦١] من سورة (النور)، وقيل: أفرد عدو على النسب، أي: ذو عداوة، والجمع أَعْدَاءٌ، وأَعَادٍ، وعُدَات، وعِدىً، وقيل: أَعَادٍ جمع: أَعْدَاءٍ، فيكون جمع الجمع. وفي القاموس المحيط: والعدا بالضم والكسر اسم الجمع. هذا؛ والعبادة: غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى؛ ولذا يحرم السجود لغير الله تعالى. وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود. وعن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: «أَنَا، وَالإِنْسُ، وَالْجِنُّ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ، وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وأَرْزُقُ، وَيُشْكَرُ غَيْرِي**»».

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى إبراهيم. ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتعجيب. الفاء: أراها زائدة للتوكيد، (رأيتم): فعل، وفاعل. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، فعلى قول أبي السعود يكتفي الفعل به، وعلى قول الكازروني يتطلب الفعل مفعولين على مثال ما رأيت في سورة (الأنعام) رقم [٤٠]، والآية رقم [٥٠] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، الأول: الاسم الموصول، والثاني: جملة استفهامية غير موجودة هنا، ويقدر الكلام: «أخبروني ما كنتم تعبدون، هل هو حقيق بالعبادة أو لا؟». انتهى. جمل. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله، وهو العائد محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: «كنتم تعبدونه» صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع توكيد لواو الجماعة. (آباؤكم): معطوف على واو الجماعة، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَقْدَمُونَ﴾: صفة (آباؤكم) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر (إن). ﴿لِّيٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿عَدُوٌّ﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿رَبَّ﴾: مستثنى متصل، أو منقطع، فالاتصال على قول من يقول: إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله مثل مشركي مكة، والانقطاع على أنهم لم يعترفوا بوجود الله تعالى،

و﴿رَبَّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور. . .إلخ، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية (إنهم. . .) إلخ تعليل لما قبلها، والكلام: ﴿أَفَرَءَيْتُم...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَهْدِينِ﴾ أي: يرشدني إلى الدين. وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له، من أمور المعاش والمعاد، كما قال جل ذكره: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ هداية مدرجة، من مبدأ إيجاده، إلى منتهى أجله، يتمكن بها من جلب المنافع، ودفع المضار، مبدؤها بالنسبة للإنسان، هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم، ومنتهاها الهداية، إلى طريق الجنة، والتنعم بلذائذها.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب بدلاً من ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أو عطف بيان عليه، أو صفة له، أو على إضمار: أعني، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الذي. ﴿خَلَقَنِى﴾: فعل ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ تقديره: «هو»، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: حرف عطف على الأوجه الأولى في الموصول، وزائدة على اعتباره مبتدأ. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يَهْدِينِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة، المدلول عليها بالكسرة مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هو يهدين) معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها على الأوجه الأولى في الموصول، وفي محل رفع خبره على اعتباره مبتدأ، وزيدت الفاء في الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. وعليه فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: المعنى: هو يرزقني، ويغذيني بالطعام، والشراب.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِى﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (الذي): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ما قبله، أو في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، تقديره: لا أحد غيره يفعل ذلك. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ، وجملة: ﴿يُطْعِمُنِى﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَيَسْقِينِ﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، وإعرابها مثل إعراب: ﴿يَهْدِينِ﴾ بلا فارق.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾

الشرح أي: إذا أصابني المرض فهو يبرئني ويعافيني من المرض، فقد أضاف المرض إلى نفسه استعمالاً للأدب، وإن كان المرض، والشفاء من الله تعالى: وذلك كما قال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وإنما لم ينسب المرض إليه تعالى؛ لأن مقصوده تعداد النعم، ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه، فإن الموت من حيث إنه لا يحسن به، لا ضرر فيه، إنما الضرر في مقدماته، وهي المرض، ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي تستحقر دونها الحياة الدنيوية، وخلاص من أنواع المحن والبلية؛ ولأن المرض في غالب الأمر، إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه، ومشاربه، وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي، والتنافر، والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها، والاعتدال المخصوص عليها قهراً، وذلك بقدرة العزيز الحكيم. انتهى.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿مَرِضْتُ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (هو): مبتدأ، وجملة: ﴿يَشْفِينِ﴾ في محل رفع خبره، وإعرابها مثل إعراب ﴿يَهْدِينِ﴾، والجملة الاسمية: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ جواب (إذا) لا محل لها. و(إذا) ومدخولها معطوف على جملة: ﴿يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ لا محل له مثلها.

﴿وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١﴾

الشرح: ﴿يُمِيتُنِى﴾ أي: في الدنيا. ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ أي: يوم القيامة للحساب، والجزاء. هذا؛ وقال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: ولم يقل: إذا مت؛ لأنه الخروج من حبس البلاء، ودار الفناء إلى روض البقاء لوعد اللقاء، وأدخل: ﴿ثُمَّ﴾ في الإحياء لتراخيه عن الإفناء، وأدخل الفاء في الهداية، والشفاء؛ لأنهما يعقبان الخلق، والمرض. انتهى. هذا؛ وتجوز أهل الإشارات في غوامض المعاني، فعدلوا عن ظاهر اللفظ، وتأولوا الآية الكريمة على ثلاثة أوجه: أحدها: الذي يميتني بالمعاصي، يحييني بالطاعات. الثاني: يميتني بالخوف، يحييني بالرجاء. الثالث: يميتني بالطمع، يحييني بالقناعة، وقول رابع: يميتني بالعدل، يحييني بالفضل. وقول خامس: يميتني بالفراق، يحييني بالتلاق. وقول سادس: يميتني بالجهل، يحييني بالعقل، إلى غير ذلك مما ليس بشيء منه مراد من الآية، فإن هذه التأويلات الغامضة، والأمور الباطنة، إنما

تكون لمن حذق، وعرف الحق، وأما من كان في عمى عن الحق، فكيف ترمز له الأمور الباطنة، وتترك الأمور الظاهرة؟ هذا محال، والله أعلم. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِى﴾: الواو: حرف عطف. (الذي): اسم موصول مبني على السكون معطوف على ما قبله. ﴿يُمِيتُنِى﴾: فعل مضارع، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والفاعل يعود إلى (الذي) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿يُحْيِينِ﴾: معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وإعرابها مثل إعراب: ﴿يَهْدِينِ﴾ في الآية رقم [٧٨].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ...﴾ إلخ: أرجو، وقيل: هو بمعنى اليقين في حق إبراهيم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وبمعنى الرجاء في حق المؤمنين سواء، وانظر الآية رقم [٥٢]. هذا؛ وقال البيضاوي ـ رحمه الله ـ في هذه الخطيئة: ذكر ذلك هضماً لنفسه، وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي، ويكونوا على حذر، وطلب؛ لأن يغفر لهم ما فرط منهم، واستغفار لما عسى يندر منه من الصغائر، وحَمْلُ الخطيئة على كلماته الثلاث: (إني سَقِيمٌ)، (بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهُمْ هذا)، (هي أُختي) عن زوجته سارة ضعيف؛ لأنها معاريض، وليست خطايا، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٣] من سورة (الأنبياء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وانظر جمع خطيئة في الآية رقم [١٢] من سورة (العنكبوت).

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب، والجزاء، وهو يوم القيامة، ومنه: كما تدين تدان، أي: كما تفعل تجازى. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: يوم الدين: يوم حساب الخلائق، يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخيرٌ، وَإنْ شَرّاً فشرٌّ، إلا من عفا الله عنه، والأمر أمره، ثم قال: ألا له الخلق والأمر. هذا؛ و﴿ٱلدِّينِ﴾ بكسر الدال: اسم لجميع ما يعبد به الله تعالى، و﴿ٱلدِّينِ﴾ أيضاً: الملة والشريعة، ومن هذا قوله تعالى في حق يوسف ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾. هذا؛ والدَّين بفتح الدال: القرض المؤجل، وجمع الأول: أديان، وجمع الثاني: ديون وأَدْيُن، والدينونة: القضاء، والحساب والديانة: اسم لجميع ما يتعبد به الله تعالى.

فائدة: روى مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: قلت: يا رسول الله! إنَّ ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين؛ أكان ذلك نافعاً له: «**قَالَ: لا يَنْفَعُهُ، إنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمَاً: رَبِّ اغْفِر لِي خَطِيئَتِي يَومَ الدِّينِ**». هذا؛ وابن جدعان هو عبد الله بن جدعان التيمي من قبيلة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، كان من أجواد قريش، توفي قبل المبعث بسنوات قليلة.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِىٓ﴾: الواو: حرف عطف. (الذي): اسم موصول مبني على السكون معطوف على ما قبله. ﴿أَطْمَعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا». ﴿أَن﴾: حرف

مصدري، ونصب. ﴿يَغْفِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى (الذي) وهو العائد. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل ﴿يَغْفِرَ﴾ و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلدِّينِ﴾ مضاف إليه، و﴿أَن﴾ المصدرية والفعل ﴿يَغْفِرَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أطمع بمغفرته لي خطيئتي، وجملة: ﴿أَطْمَعُ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها.

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: لما ذكر إبراهيم فنون الألطاف الفائضة عليه من حضرة الحق، من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه؛ حمله ذلك على مناجاته، ودعائه، وطلبه منه حكماً، أي: كمالاً في العلم، والعمل أستعد به لخلافة الحق، ورياسة الخلق، وانظر الآية رقم [٢١].

﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: وفقني للكمال في العمل؛ لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح، الذي لا يشوب صلاحهم كبير ذنب، ولا صغيره. هذا؛ وفسر الصالحين بالنبيين، فيكون المراد مَنْ سبقه منهم مثل: هود، وصالح، وإدريس، ونوح، وشيث، وآدم على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، وانظر ما ذكرته بشأن الصالحين في الآية رقم [١٩] من سورة (النمل) تجد مايسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿رَبِّ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء. ﴿هَبْ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿لِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حُكْمًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية والندائية قبلها في محل نصب مقول القول لـ: ﴿قَالَ﴾ في الآية رقم [٧٥]. ﴿وَأَلْحِقْنِى﴾: الواو: حرف عطف. (ألحقني): فعل دعاء، والفاعل: أنت، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: دعا إبراهيم ربه أن يجعل له لسان صدق؛ أي: جاهاً، وحسن صيت في الدنيا، يبقى أثره إلى يوم الدين، وقد حقق الله رجاءه، وأجاب دعاءه، فما من أمة من الأمم، إلا وهي تحبه، وتثني عليه خصوصاً أمة محمد، وخصوصاً في كلِّ تشهد من تشهدات الصلوات كما هو معروف، وهذا الجاه، والثناء الحسن قد شمل ذريته من بعده، كما صرحت به الآية [٥٠] من سورة (مريم) حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾. هذا؛ وقد روى أشهب عن مالك: أنه قال: لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحاً، ويرى في عمل الصالحين إذا

قصد به وجه الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ الآية رقم [٣٩] من سورة (طه)، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، أي: حبّاً في قلوب عباده، وثناءً حسناً. فنبه الله بهذه الآية التي نحن بصدد شرحها على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل؛ إذ هي الحياة الثانية، قال أحمد شوقي رحمه الله تعالى: [الكامل]

دَقَّاتُ قلبِ الْمَرْءِ قائِلَةٌ لهُ ... إنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِ
فارْفَعْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا ... فَالذِّكْرُ لِلإِنْسَانِ عُمْرٌ ثانِ

هذا؛ وقد يجعل اللسان كناية عن كلمة السوء، كما في قول الشاعر: [الوافر]

لِسَانُ السُّوءِ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا ... وَحِنْتَ وما حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَا

وقد أنَّثه، وأيضاً قول الأعشى، وكان قد أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر: [البسيط]

إنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ، لَا أُسَرُّ بِهَا ... مِنْ عُلْوَ لَا عَجَبٌ مِنْها وَلَا سَخَرُ

قال الجوهري: يروى: «من علو» بضم الواو، وفتحها، وكسرها؛ أي: أتاني خبر من أعلى، والتأنيث للكلمة. وقد يجعل اللسان كناية عن الرسالة، أو عن القصيدة من الشعر، كقول الآخر: [المتقارب]

أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ ... فَجَلَّى أحَادِيثُهَا عَنْ بَصَر

هذا؛ وقد أطلقه الله على القرآن بكامله مع التذكير في سورة (النحل) الآية رقم [١٠٣] حيث قال جل ذكره: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾. وأخيراً: فاللسان يؤنث، فيجمع على أَلْسُن، كذراع، وَأَذْرُع ويُذَكَّر فيجمع على ألسنةٍ، كحمارٍ، وأحمِرَة، وتصغيره على التذكير: لُسَيْن، وعلى التأنيث: لُسَيْنة.

الإعراب: ﴿وَٱجْعَل﴾: الواو: حرف عطف. (اجعل): فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِسَانَ﴾: مفعول به، و﴿لِسَانَ﴾: مضاف، و﴿صِدْقٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾، وجملة: ﴿وَٱجْعَل لِّي...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: سأل إبراهيم ربه أن يجعله من أهل الجنة، ومن ورثتها، وهو يردُّ قول بعضهم: لا أسأل جنة ولا ناراً. هذا؛ وقد ذكرت لك مراراً: أن معنى ميراث الجنة: أن المؤمن يرث منزل الكافر في الجنة، والكافر يرث منزل المؤمن في النار؛ لأن لكل واحد منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي﴾: الواو: حرف عطف. (اجعلني): فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿مِن وَرَثَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. و﴿وَرَثَةِ﴾ مضاف، و﴿جَنَّةِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة لمفعولها؛ لأنه بمعنى وارث كما يشير إليه المعنى، وفاعله مستتر فيه. و﴿جَنَّةِ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّعِيمِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المحل للحال فيه، وجملة: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: سأل إبراهيم ربه المغفرة لأبيه، وهذا الدعاء كان في حياة أبيه، فدعا له بالتوفيق، والهداية للإيمان، وهذا قبل أن يتبين له: أنه عدو لله، كما رأيت في الآية رقم [١١٤] من سورة (التوبة). ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: المشركين. وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وإن كان هذا الدعاء بعد موته، فلعله كان في ظنه أنه كان يخفي إيمانه تقية من نمرود، ولذلك وعده به، أو؛ لأنه لم يُمنع بعد من الاستغفار للكفار، ويرد الأول التصريح ببراءته من أبيه، كما رأيت في الآية المذكورة آنفاً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱغۡفِرۡ﴾: الواو: حرف عطف. (اغفر): فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِأَبِيٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى أبيه. ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، وهذا يؤيد أن الدعاء له كان بعد موته، وأما على اعتبار الدعاء له قبل أن يتبين له أنه عدو لله، فـ: ﴿كَانَ﴾ زائدة، لا عمل لها، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعليل للدعاء لا محل لها، وجملة: ﴿وَٱغۡفِرۡ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي﴾ أي: لا تفضحني على رؤوس الأشهاد، أو لا تعذبني يوم القيامة. وقال البيضاوي: بمعاتبتي على ما فرطت، أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث. ﴿يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: يبعث الناس، أو الضالون. هذا؛ ﴿وَلَا تُخۡزِنِي﴾ ولا توقعني في الخزاية من الإخزاء، وهو الإذلال، قال ذو الإصبع العدواني شاعر جاهلي: [البسيط]

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

وهو هنا من الرباعي من: أخزى، يُخزي، وهو من الثلاثي: خَزِيَ، يَخزى خزاية بمعنى: استحيا، وخجل، وقال نهشل بن حري الدارمي من قصيدة يرثي بها أخاه مالكاً، وكان قد قتل بصفين مع الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ: [الطويل]

أَخٌ مَاجِدٌ لَمْ يُخْزِنِي يَوْمَ مَشْهَدٍ كَمَا سَيْفُ عَمْرٍو، لَم تَخُنْهُ مَضَارِبُهْ

وفي البخاري: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ إبْرَاهِيمَ يَرَى أَبَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ الْغَبَرَةُ، وَالْقَتَرَةُ**». والغَبَرَة: هي القَتَرَة، وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «**يَلْقَى إبْرَاهِيم أَبَاهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إنكَ وَعَدْتَنِي أَلَّا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فيقولُ اللهُ تعالى: إنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِين**». انفرد بها البخاري رحمه الله تعالى. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): دعائية متضمنة معنى النهي. ﴿تُخْزِنِى﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿يُبْعَثُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: أي: لا ينفع مال، ولا بنون أحداً إلا مخلصاً، سليم القلب من الكفر، وميل المعاصي، وسائر آفاته. أو لا ينفعان أحداً إلا مال من هذا شأنه، وبنوه، حيث أنفق ماله في سبيل البر، وأرشد بنيه إلى الحق، وحثهم على الخير، وقصد بهم أن يكونوا عباد الله مطيعين، شفعاء له يوم القيامة.

هذا؛ واختلف في «القلب السليم» على أقوال كثيرة، قال الضحاك: هو السليم الخالص، وهذا القول يجمع شتات الأقوال بعمومه، أي: الخالص من الأوصاف الذميمة، كالعجب، والكِبْر، والحقد، والحسد، والرياء، والنفاق، والمتصف بالأوصاف الجميلة. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال: «**يدخلُ الجنةَ أقْوامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ**». يريد، والله أعلم: أنها مثلها في أنها خالية من كل ذنب، سليمة من كل عيب، لا خبرة لهم بأمور الدنيا. وقيل: قلب سليم من الكفر والنفاق، فقلب الكافر، والمنافق مريض،

كقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هذا؛ وإنما خص الله القلب بالذكر؛ لأنه إذا سلم؛ سلمت الجوارح كلها، وإذا فسد فسدت الجوارح كلها، ولذا قال النبي ﷺ: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»**.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، وهذا على اعتبار الكلام من تتمة كلام الخليل، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. واعتبره ابن عطية من كلام الله تعالى، فيكون الكلام مستأنفاً. و﴿يَوْمَ﴾ متعلقاً بفعل محذوف، تقديره: اذكر، ويكون الكلام في محل نصب مقول لقول محذوف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنفَعُ﴾: فعل مضارع. ﴿مَالٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿بَنُونَ﴾: معطوف على ما قبله مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والمفعول محذوف، تقديره: أحداً، أو رجلاً ونحوهما. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب بدلاً من المفعول المحذوف، أو في محل نصب مستثنى منه. هذا؛ وأجيز اعتباره بدلاً من فاعل ﴿يَنفَعُ﴾، وغلب من يعقل، ويكون التقدير: إلا مال من، أو بنو من، فإنه ينفع نفسه، أو غيره بالشفاعة، وقال الزمخشري: يجوز أن يكون مفعول: ﴿يَنفَعُ﴾ أي: لا ينفع ذلك إلا رجلاً أتى الله بقلب سليم. ﴿أَتَى﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَنْ﴾. ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿بِقَلْبٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سَلِيمٍ﴾: صفة له، وجملة: ﴿أَتَى...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، أو هي صفة ﴿مَنْ﴾، إن اعتبرتها نكرة موصوفة، وهو مفاد كلام الزمخشري.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قربت، وأدنيت إليهم؛ ليدخلوها، بحيث يرونها من الموقف. ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أي: أظهرت. ﴿الْجَحِيمُ﴾: جهنم. ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ أي: الكافرين الذين أغواهم إبليس اللعين، فضلوا عن طريق الهدى. والمعنى: تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها، فيرونها مكشوفة، فيتحسرون، ويستشعرون الحزن والخوف، كما يستشعر أهل الجنة الفرح والسرور لعلمهم: أنهم يدخلونها. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا...﴾ إلخ: هذا توبيخ لهم على إشراكهم؛ حيث يقال لهم: أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، هل ينفعونكم بنصرتهم لكم، أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم. لأنهم، وآلهتهم وقود النار. هذا؛ والتعبير بالماضي عن المستقبل في الأفعال الثلاثة، إنما هو لتحقق ما يقع يوم القيامة من أحداث، وهذا كثير في القرآن الكريم.

هذا؛ ومما يتعلق بالآيات الكريمة قال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد صوب الجليل استثناء الخليل، أي في الآية رقم [٨٩] إكراماً له، ثم جعله صفةً له في قوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الآية رقم [٨٣] و[٨٤] من سورة (الصافات) وما أحسن ما رتب عليه السلامة من كلامه مع المشركين، حيث سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر، لا مستفهم، ثم أقبل على آلهتهم، فأبطل أمرها، فإنها لا تضر، ولا تنفع، ولا تسمع. وعلى تقليدهم آباءهم الأولين، فأخرجه من أن يكون شبهة؛ فضلاً عن أن يكون حجة. ثم صوَّر المسألة في نفسه دونهم، حتى تخلص منها إلى ذكر الله تعالى، فعظم شأنه، وعدد نعمته، من حين إنشائه إلى وقت وفاته، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته، ثم أتبع ذلك أن دعا بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهال الأدب، ثم وصله بذكر يوم القيامة، وثواب الله وعقابه، وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة، على ما كانوا فيه من الضلال، وتمني الكرة إلى الدنيا؛ ليؤمنوا ويطيعوا. انتهى. بتصرف.

الإعراب: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾: الواو: حرف عطف. (أزلفت): فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾: نائب فاعل. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: (وأزلفت...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَا يَنفَعُ...﴾ إلخ وقد رأيت: أن الفعل بمعنى الاستقبال، وجملة: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها بلا فارق. ﴿وَقِيلَ﴾: الواو: حرف عطف. (قيل): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَيْنَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية المكانية، متعلق بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، وهو العائد، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ صلة الموصول لا محل لها.

﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿تَعْبُدُونَ﴾. ﴿وَقِيلَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف المنصوب، والأول أقوى هنا، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام، وتوبيخ. ﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يَنتَصِرُونَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، والكلام: ﴿أَيْنَ مَا...﴾ إلخ كله في محل رفع نائب فاعل: (قيل)، وهذا على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه» وهذا لا غبار عليه، وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وقيل قول. وقيل: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في

محل رفع نائب فاعل، وجملة: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَا يَنفَعُ...﴾ إلخ وساغ ذلك؛ لأن قيل بمعنى يقال، كما رأيت فيما سبق.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)﴾

الشرح: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: جمعوا في جهنم. وقيل: قذفوا، وطرحوا بعضهم على بعض. وقيل: ألقوا على رؤوسهم، والمراد بالضمير الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله. وجمعت الأصنام، جمع مذكر سالماً على مثال ما رأيت في الآية رقم [٧٣]. ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: المراد: العبدة، والكبكبة: تكرير الكب، وهو الإلقاء على الوجه لتكرير معناه، كأنَّ من أُلقي في النار ينكب مرة بعد أخرى؛ حتى يستقر في قعرها. ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس، وقال قتادة، والكلبي، ومقاتل: الغاوون: هم الشياطين، فيكون المراد بواو الجماعة العبدة. هذا؛ وانظر إبليس، وجنوده، وذريته في الآية رقم [٥٠] من سورة (الكهف) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وقال القرطبي: وأصل: كبكبوا: كُبِّبُوا، فأبدل من الباء الوسطى كاف، استثقالاً لاجتماع الباءات. انتهى. وينبغي أن تعلم أن كَبَّ متعدٍّ، وأَكَبَّ لازم، قال امرؤ القيس: [المتقارب]

لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ

وهو خارج عن قاعدة تعدية اللازم بالهمزة، كما في قولك: ذهب زيد، وأذهب، وخرج، وأخرج، ومثله: أَنْزَفَتِ الْبِئْرُ، ونزفتُهَا أَنَا، وأنسلَ ريشُ الطائِر، ونسلْتُهُ أَنَا. ومن المتعدي بدون همز قول النبي ﷺ: «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النارِ عَلَى وجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ ألسنتهم**». وقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ وَلِيَ أُمَّةً مِنْ أُمتي قَلَّتْ أو كَثُرَتْ، فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ؛ كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ**».

الإعراب: ﴿فَكُبْكِبُوا﴾: الفاء: حرف عطف. (كبكبوا): فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع توكيد لواو الجماعة، وقيل: ضمير فصل، والأول أقوى. ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: معطوف على واو الجماعة مرفوع. ﴿وَجُنُودُ﴾: معطوف على واو الجماعة مرفوع مثله، و(جنود): مضاف، و﴿إِبْلِيسَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿أَجْمَعُونَ﴾: توكيد لواو الجماعة وما عطف عليه، وإن اعتبرت (جنود) مبتدأ خبره جملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ فيكون توكيداً له، وجملة: ﴿فَكُبْكِبُوا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَا يَنفَعُ...﴾ إلخ على مثال ما رأيت في الجمل السابقة.

﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾: يعني: الإنس والشياطين، والغاوين، والمعبودين، اختصموا حينئذ، على أن الله ينطق الأصنام، فتخاصم العبدة، وهذا الخصام كرره القرآن كثيراً في آياته، ومثله: خصام الأتباع والمتبوعين.

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: هذا من قول العابدين بدليل ما بعده، وهو اعتراف منهم بأنهم كانوا في الدنيا كافرين ضالين عن طريق الحق، والصواب، فأكدوه بالقسم. ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: المعنى لقد كنا في غاية الضلال وقت تسْوِيَتِنا إياكم يا هذه الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين، الذي أنتم أدنى مخلوقاته، وأذلهم، وأعجزهم، وانظر إعلال: ﴿مُّبِينٍ﴾ في الآية رقم [١]، وشرح ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ في الآية رقم [١٦]، و﴿تَٱللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب، والتاء بدل من الباء، وهي مختصة باسم الله تعالى، وربما قالوا: تربي، وترب الكعبة، وتا الرحمن. والواو تختص بكل مُظْهَر، والباء بكل مُضْمَر ومظهر.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . . . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿تَٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: نقسم. ﴿إِن﴾: مخففة من الثقيلة، مهملة لا عمل لها، وقيل: عاملة، ولا وجه له البتة؛ لأن شروط الإهمال هنا متوفرة، وهي إيلاؤها فعلاً ناسخاً، ولزوم لام الابتداء بعدها، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَخُفِّفَتْ إنَّ فَقَلَّ العَمَلُ وتَلْزَمُ اللامُ إذا ما تُهْمَلُ
والفعلُ إنْ لَمْ يكُ ناسخاً فلا تُلْفِيهِ غالباً بإنْ ذِي مُوصَلا

﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا) اسمه. ﴿لَفِى﴾: اللام: هي الفارقة بين النفي والإثبات. (في ضلال): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿ضَلَـٰلٍ﴾، والجملة الفعلية: ﴿إِن كُنَّا...﴾ إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، يدل عليه ﴿ضَلَـٰلٍ﴾، أو بـ ﴿ضَلَـٰلٍ﴾ نفسه، أو بـ ﴿مُّبِينٍ﴾. ﴿نُسَوِّيكُم﴾:

فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿بِرَبِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(رب) مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور.. إلخ، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾: عن طريق الهدى، والحق. ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: من دعاهم إلى عبادة الأوثان من الجن، والإنس. وقيل: المراد: الأولون الذين اقتدينا بهم، وقيل: المراد: إبليس، وابن آدم الأول، وهو قابيل، وهو أول من سن القتل، وأنواع المعاصي. وهذا بعيد جداً.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ أي: من يشفع لنا، كما للمؤمنين شافعون من الملائكة والأنبياء. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾: كما نرى للمؤمنين أصدقاء؛ إذ لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون، وأما أهل الكفر والمعاصي والفسوق والضلال فبينهم التعادي، قال تعالى في بيان ذلك: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أو ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ من الذين كنا نعدهم شفعاء، وأصدقاء؛ لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم: أنهم شفعاؤهم عند الله. وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس. والحميم من: الاحتمام، وهو الاهتمام الذي يهمه ما يهمك، أو من الحامة بمعنى الخاصة. ومن الجدير بالذكر أن الصديق سمي صديقاً؛ لصدقه فيما يدعيه لك من المودة، والألفة، والمحبة، وسمي العدو عدواً؛ لعدوه عليك عند أول فرصة تسنح له للإيقاع بك، والقضاء عليك.

وجَمَعَ الشافع وَوَحَّدَ الصديق لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الصديق، ولأن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو؛ لأنه في الأصل مصدر، كالحنين، والصهيل، وانظر شرح ﴿عَدُوٌّ﴾ في الآية رقم [٧٧] فهو مثله. يستوي فيه المفرد، والمذكر، والمؤنث. ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي: رجعة إلى الدنيا. ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: تمنوا حين لا ينفعهم التمني، وإنما قالوا ذلك حين شفع الملائكة، والمؤمنون.

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ: مَا فَعَلَ فلانٌ وصَدِيقُهُ في الْجَحِيمِ؟ فَلَا يَزَالُ يَشْفَعُ لَهُ حَتَّى يُشَفِّعَهُ اللهُ فِيهِ فَإِذَا نَجَا قال المشركون:** ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾».

وقال الحسن: ما اجتمع ملأ على ذكر الله، فيهم عبد من أهل الجنة، إلا شفعه الله فيهم، وإن أهل الإيمان ليشفع بعضهم في بعض، وهم عند الله شافعون مشفعون. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَكْثِرُوا مِنَ الإخوانِ فإنَّ لِكُلِّ أَخٍ شَفَاعَةً يومَ الْقِيَامةِ**».

هذا؛ والحميم: القريب، والخاص، ومنه: حامّة الرجل، أي: أقرباؤه. وأصل هذا من الحميم، وهو الماء الحار، ومنه الحمَّام، والحُمَّى، فَحَامَّة الرجل الذين يحرقهم ما أحرقه. وقال علي بن عيسى: إنما سمي القريب حميماً؛ لأنه يَحْمَى لغضب صاحبه، فجعله مأخوذاً من الحمية، وجمع حميم: أحمَّاء، وَأَحِمَّة، وكرهوا: «أفعلاء» للتضعيف.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَضَلَّنَآ﴾: فعل ماض، و(نا): مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فاعل مرفوع... إلخ. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف أو حرف استئناف. وقيل: الفصيحة، ولا وجه له ألبتة. (ما): نافية. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَٰفِعِينَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الواو المقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالياء التي جلبها حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿صَدِيقٍ﴾: معطوف على لفظ ﴿شَٰفِعِينَ﴾. ويجوز في العربية رفعه عطفاً على المحل. ﴿حَمِيمٍ﴾: صفة: ﴿صَدِيقٍ﴾. ﴿فَلَوْ﴾: الفاء: حرف عطف، أو استئناف. (لو): حرف تَمَنٍّ. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿أَنَّ﴾ مقدم. ﴿كَرَّةً﴾: اسمها مؤخر، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، التقدير: فلو حصل لنا وقوع كرةٍ وهذا على اعتبارها شرطية، وعلى اعتبارها باقية للتمني فالتقدير: نتمنى حصول ووقوع كرةٍ إلى الدنيا. ﴿فَنَكُونَ﴾: الفاء: للسببية. (نكون): فعل مضارع ناقص منصوب بـ ﴿أَنَّ﴾ مضمرة بعد الفاء، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر نكون، و«أن» المضمرة والفعل (نكون) في تأويل مصدر معطوف بالفاء على: ﴿كَرَّةً﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار: (لو) شرطية، فيكون جوابها محذوفاً دل عليه ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويقدر: لكنا مؤمنين، والكلام على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، ولهذا نفى ابن هشام أن يكون نصب (نكون) جواباً لـ: (لو)، ولذا قال: ولا دليل في هذا لجواز أن يكون النصب في ﴿فَنَكُونَ﴾ مثله في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ...﴾ إلخ الآية رقم [٥١] من سورة (الشورى) وقول ميسون: [الوافر]

وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبسِ الشُّفُوفِ

أي: إن المصدر المؤول معطوف بالفاء على: ﴿كَرَّةً﴾، وهو المعبر عنه باسم خالص من التقدير بالفعل.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي: لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها، ويعتبر، فإنها جاءت على أنظم ترتيب، وأحسن تقرير، يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه؛ لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية، والتنبيه على دلائلها، وحسن دعوته للقوم، وحسن مخالفته معهم، وكمال إشفاقه عليهم، وتصور الأمر في نفسه، وإطلاق الوعد، والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً، وإيقاظاً لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع، والقبول، والإشارة إلى ما ذكر من قصة إبراهيم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. انتهى. بيضاوي بتصرف. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾: أكثر قوم إبراهيم. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدقين له. بل إنه لم يهاجر معه من العراق إلى فلسطين سوى زوجته سارة وابن أخيه لوط. كما تقدم ذكره في الآية رقم [٧١] من سورة (الأنبياء). هذا؛ وانظر إعراب الآيتين فيما تقدم برقم [٨] و [٩] وذلك بغية الاختصار، في الوقت، وغيره.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: كذبت جماعة قوم نوح. وقال البيضاوي: القوم: مؤنث؛ ولذلك يصغر على: قويمة. وفي المصباح: القوم: يذكر، ويؤنث، فيقال: قام القوم، وقامت القوم، وكذا كل اسم جمع لا واحد له من لفظه، نحو رهط ونفر. انتهى. والتأنيث باعتبار معناه، والتذكير باعتبار لفظه، وإنما جمع المرسلين مع أن المرسل واحد وهو نوح كما هو نص الآية؛ لأن دين الرسل واحد، وأن الآخر منهم جاء بما جاء به الأول، فمن كذب واحداً منهم؛ فقد كذب جميع الرسل، فلذا صح الجمع هنا، وكذلك باقي قصص الأنبياء.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾: أخوهم في النسب لا في الدين؛ لأنه من عشيرتهم، وولد بينهم. هذا؛ وإن أردت التوسع في قصة نوح مع قومه؛ انظر سورة (الأعراف) وسورة (هود) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: تخافون الله، فتتركوا عبادة الحجارة والأوثان، وما لا يضر، ولا ينفع.

الإعراب: ﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿قَوْمُ﴾: فاعل، و﴿قَوْمُ﴾ مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كَذَّبَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَخُوهُمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء

ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿نُوحٌ﴾: بدل، أو عطف بيان من: ﴿أَخُوهُمْ﴾. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه، واستفتاح، يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: مرسل من الله إليكم، ﴿أَمِينٌ﴾ أي: على تبليغ ما أمرني به، وكان مشهوراً عندهم بالأمانة، كمحمد ﷺ في قريش، وكذا سائر الرسل؛ لأنهم مطبوعون على الصدق، والأمانة، والعفة، وسائر الصفات الحميدة، والشيم الكريمة. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بطاعته، وعبادته، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فيما آمركم به من الإيمان، والتوحيد تنجوا من عذاب الله، وسخطه، وغضبه، وعقابه.

الإعراب: ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها، ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿رَسُولٌ﴾ بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها؛ صار حالاً». ﴿رَسُولٌ﴾: خبر (إن). ﴿أَمِينٌ﴾: صفة ﴿رَسُولٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿فَاتَّقُوا﴾: الفاء: حرف عطف على قول من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً، وحاصلاً؛ فاتقوا. . .إلخ. (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذا الفعل، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على السكون المقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضمة التي جيء بها لمناسبة واو الجماعة، وقل مثله في نحو: (اشربا، واحفظا، واتقيا) والمانع من السكون الفتحة التي جيء بها لمناسبة ألف الاثنين، التي هي فاعله، وأيضاً قولك: (اشربي، واحفظي، واتقي) والمانع من ظهور السكون الكسرة التي جيء بها لمناسبة ياء المؤنثة المخاطبة، التي هي فاعله، ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط مقدر بـ: «إذا»، والجملة الشرطية مع الجملة الاسمية قبلها في محل نصب مقول القول. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: الواو: حرف عطف، (أطيعون): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة المدلول عليها بالكسرة مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: على ما أنا عليه من الدعاء والنصح لكم، ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ أي: من ثواب، وجزاء منكم، ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ...﴾ إلخ: أي: ما ثوابي، وأجري إلا على رب العالمين؛ الذي خلقني، ورزقني، وإليه المرجع، والمآب. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: كرره للتأكيد، والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته، وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم إليه، فكيف إذا اجتمعا. انتهى. بيضاوي. وقال الجمل: وحَسُنَ التأكيد كون الأول مرتباً على الرسالة، والأمانة، وكون الثاني مرتباً على عدم سؤاله أَجْراً منهم. انتهى.

وقال الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: تصدير القصص الخمس بالحث على التقوى، يدل على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق، والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه، ويبعده عن عقابه، وكان الأنبياء متفقين على ذلك، وإن اختلفوا في بعض التفاريع، مبرئين عن المطامع الدنيئة، والأغراض الدنيوية، انتهى. هذا؛ وقد خاطب كلُّ رسول قومه بقوله: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ...﴾ إلخ إزاحة للتهمة، وتمحيصاً للنصيحة، فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول. ﴿عَلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَجۡرٍ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مِنۡ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَجۡرٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿أَجۡرِيَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَلَىٰ رَبِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والكلام: (ما أسألكم...) إلخ في محل نصب مقول القول؛ لأنه من مقول نوح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وقد تقدم إعراب الجملة التالية.

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ: أي: قوم نوح له: نصدقك، ونتبعك؛ ولقد اتبعك الأقلون جاهاً،

ومالاً، وهذا من سخافة عقلهم، وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية، حتى جعلوا اتباع المقلين فيه مانعاً عن اتباعهم وإيمانهم بما يدعوهم إليه دليلاً على بطلانه، وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر، وبصيرة، وإنما هو لتوقع مال، ورفعة جاه. هذا؛ و﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ جمع الأرذل، وهو جمع مذكر سالم، وتكسيره: الأراذل، كما في قولهم في سورة (هود): ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾. والأنثى: الرُّذْلى، والجمع: الرُّذَل.

قال النحاس: ولا يجوز حذف الألف واللام في شيء من هذا عند أحد من النحويين علمناه. هذا؛ وقرأ يعقوب: (وأتباعُك الأرذلون). هذا؛ والمراد بالأراذل في نظر الكفار: فقراء الناس، وضعفاؤهم، وهذا حال الدنيا لا يتبع الأنبياء إلا الفقراء، ولا يلازم العلماء إلا هؤلاء، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة تحويلاً، ولا تنسَ: أن الذين آمنوا بنوح، واتبعوه هم نساؤه، وبنوه، وأحفاده، ونساؤهم باستثناء ولده كنعان، وأمه كما رأيت في سورة (هود) على نبينا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام، ومن اهتدى بهديه من الفقراء والضعفاء من غير أهل بيته كما ستعرفه في الآية رقم [١١٩] الآتية.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنُؤْمِنُ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (نؤمن): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾: الواو: واو الحال، (اتبعك): فعل ماض، والكاف مفعول به. ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الكاف المجرورة باللام، والرابط: الواو، والضمير، ويجب تقدير «قد» قبلها. هذا؛ وعلى قراءة يعقوب يجوز في (أَتْبَاعُكَ) وجهان، اعتباره مبتدأ خبره: ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾. والجملة الاسمية في محل نصب حال من الكاف. والوجه الثاني: اعتباره معطوفاً على فاعل (نؤمن) المستتر. وجاز ذلك للفصل بالجار والمجرور، ويكون: ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ صفة له، وجملة: ﴿أَنُؤْمِنُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

الشرح: المعنى: إني لم أكلف العلم بأعمالهم، إنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان، والاعتبار بالإيمان، لا بالحِرَف، والصنائع. وكأنهم قالوا: إنما اتبعك هؤلاء الضعفاء طمعاً في العزة والمال، فقال: إني لم أقف على باطن أمرهم، وإنما إليّ ظاهرهم، وأَكِلُ سرائرهم إلى الله تعالى؛ ولذا قال: ما حسابهم إلا عليه تعالى، ولو علمتم ذلك لما لمتموني، ولما عبتم عليهم إيمانهم بالله تعالى. هذا؛ و﴿تَشْعُرُونَ﴾ من الشعور، وهو إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿نُوحٌ﴾. ﴿وَمَا﴾: الواو: زائدة لتحسين اللفظ، (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عِلْمِى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. هذا؛ وجوز اعتبار (ما) نافية فيكون ﴿عِلْمِى﴾ مبتدأ، خبره محذوف تقديره: موجود ونحوه. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر، (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالباء. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف. هذا؛ وقال القرطبي: ﴿كَانُوا۟﴾ زائدة، وعليه فـ: (ما) تحتمل الموصوفة، والموصولة، والمصدرية، فعلى الأولين تكون مجرورة بالباء، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ صلتها، أو صفتها، والرابط، أو العائد محذوف، التقدير: بشيء. أو بالذي يعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملهم، وعلى جميع الاعتبارات فالجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿عِلْمِى﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿حِسَابُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَلَىٰ رَبِّى﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، ﴿تَشْعُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب: ﴿لَوْ﴾ محذوف، انظر تقديره في الشرح، والكلام: ﴿وَمَا عِلْمِى...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾

الشرح: طلب العظماء من نوح أن يطرد الفقراء، والضعفاء عن مجلسه، كما طلبت قريش ذلك من النبي ﷺ، كما هو معلوم، فرد عليهم نوح عليه السلام بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين آمنوا بالله تعالى، واتبعوني، وصدقوني فيما أدعو إليه. وقال لهم: ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار الناس، وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء أكانوا من الأعزاء، أو من الضعفاء، أو من الأغنياء، أو من الفقراء، فكيف يليق بي أن أطرد الضعفاء، والفقراء؟! والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف، (ما): نافية حجازية، تعمل عمل «ليس». ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسمها، ﴿بِطَارِدِ﴾: الباء: حرف جر صلة.

(طارد): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، و(طارد) مضاف، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء.. إلخ، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي، ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنْ أَنَا۠...﴾ إلخ تعليل للنفي السابق، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾

الشرح: قال قوم نوح له: لئن لم تنته، وتكف عن سب آلهتنا، وعيب ديننا، وما نحن عليه من عباداتنا؛ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ أي: من المشتومين، أو من المقتولين، أو من المضروبين بالحجارة، قال الثُّمَاليّ: كل «مرجومين» في القرآن فهو القتل إلا في مريم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ فهو بمعنى السب، انظر الآية رقم [٤٦] من سورة (مريم).

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَئِن﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف، يقدر بما يناسب معتقداتهم. (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَنتَهِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (نوح): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا). ﴿لَتَكُونَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم، (تكونن): فعل مضارع ناقص، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له، واسمه ضمير مستتر فيه، وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: (تكونن)، وجملة: ﴿لَتَكُونَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والجملة الندائية معترضة بين القسم وجوابه، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

والكلام ﴿لَئِن لَّمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمَّل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

الشرح: توجه نوح على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام بهذا الدعاء حين أيس من إيمان قومه، وقد آذنه الله بذلك حين قال له: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٦] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿كَذَّبُونِ﴾: فلم يقبلوا مني ما أدعوهم إليه من الإيمان بك. ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: فاحكم بيني وبينهم حكماً فاصلاً. هذا؛ والفتاح: القاضي، والفتاحة: الحكومة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما كنت أدري ما معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا...﴾ إلخ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها: تعال حتى أفاتحك، يعني: أقاضيك. وهذا قول قتادة، والسدي، وابن جريج، وجمهور المفسرين: أن الفاتح هو القاضي، والحاكم، سمي بذلك؛ لأنه يفتح إغلاق الإشكال بين الخصوم ويفصلها.

وقال الزجاج: وجائز أن يكون معناه: ربنا أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا، وينكشف. والمراد منه: أن ينزل عليهم عذاباً يدل على كونهم مبطلين، وعلى كون شعيب والمؤمنين معه محقين. وعلى هذا الوجه؛ فالفتح يراد به الكشف والتمييز. انتهى. خازن من تفسير الآية رقم [٨٨] من سورة (الأعراف). هذا؛ وانظر شرح ﴿بَيْنَ﴾ في الآية رقم [٣٨] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى نوح. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، وانظر شرح ذلك، وتفصيله في الآية رقم [١٦٩] الآتية. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿قَوْمِى﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿كَذَّبُونِ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة المدلول عليها بالكسرة مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿فَٱفْتَحْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط غير جازم، وانظر الآية رقم [١٠٨]، (افتح): فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿بَيْنِى﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة... إلخ، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. (بينهم): معطوف على ما قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فَتْحًا﴾: يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً مؤكداً للفعل، وأن يكون مفعولاً به، وجملة: ﴿فَٱفْتَحْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم مقدر بـ: «إذا». ﴿وَنَجِّنِى﴾: الواو: حرف عطف. (نجني): فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية

معطوفة على ما قبلها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم موصول بمعنى الذين مبني على السكون في محل نصب معطوف على ياء المتكلم، ويجوز أن تكون (مَنْ) نكرة موصوفة. ﴿مَّعِيَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، أو بمحذوف صفة النكرة منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . .إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال مِنْ (مَنْ)، و(مِنَ) بيان لما أبهم فيها، والكلام ﴿رَبِّ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: أنقذناه وخلصناه من إيذاء قومه له. ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفينة التي صنعها بيده كما رأيت في سورة (هود). ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوء بما حمل فيه من الناس، والدواب، والطير، وغير ذلك. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا﴾ أي: بالطوفان الذي حصل بعد دعوة نوح قومه إلى الإيمان بالله تعالى تسعمئة وخمسين سنة.

هذا؛ و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ بضم الفاء، وسكون اللام يطلق على المفرد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، فقد أفرد سبحانه في هذه الآية وذكَّر، وقال تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فأنث، ويحتمل الإفراد والجمع، وقال جل شأنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فجمع، وكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى معنى المركب،فتذكر، وإلى معنى السفينة فتؤنث، وقد ألغز فيها الشاعر حيث قال: [الطويل]

مُكَسَّحَةٌ تَجْرِي ومكفُوفَةٌ تَرَى ... وفِي بَطْنِهَا حِمْلٌ عَلَى ظَهْرِهَا يَعْلُو

فَإِنْ عَطِشَتْ عَاشَتْ وَعَاشَ جَنِينُهَا ... وَإِنْ شَرِبتْ مَاتَتْ وَفَارَقَهَا الْحِمْلُ

ولا تنس: أن أول من اخترع السفينة ـ وهي الفلك ـ نوح، على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ومن تصميمها، وشكلها أخذت البشرية تصنع السفن، وتتطور جيلاً بعد جيل، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في العصر الحاضر. هذا؛ والْفَلَك بفتحتين: مدار النجوم، ويجمع على فُلك بضمٍّ وسكون اللام وضمها أيضاً، وعلى: أفلاك أيضاً، والفلك من كل شيء: مستداره، ومعظمه، والفلكي منسوب، إلى علم الفلك.

الإعراب: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أنجيناه): فعل ماض مبني على السكون، و(نا): ضمير متصل في محل رفع فاعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذا اللفظ، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض كراهة توالي أربع متحركات، فيما هو كالكلمة الواحدة، وقل مثله في إعراب كل ماض اتصل به ضمير رفع متحرك، مثل ذهبْتُ،

وذهَبْنَ، ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب. ﴿مَّعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: صفة: ﴿ٱلْفُلْكِ﴾، والجملة الفعلية: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَغْرَقْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بَعْدُ﴾: ظرف زمان مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿أَغْرَقْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

انظر شرح هاتين الآيتين في الآية رقم [١٠٣] فهو مثله، وانظر إعرابهما في الآية رقم [٨] و [٩] ففيه الكفاية.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

الشرح: شرح هذا الكلام وإعرابه مثل الآيتين رقم [١٠٥] و [١٠٦]، وتأنيث ﴿عَادٌ﴾ على معنى القبيلة، أو الجماعة، وهو في الأصل اسم أبيهم، وانظر قصة هود مع قومه مفصلة في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

انظر شرح هذه الآيات وإعرابها برقم [١٠٧] وما بعدها على الترتيب.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: بكل مكان مرتفع، ومنه: ريع الأرض لارتفاعها، يقال: كم ريع أرضك، أي: كم ارتفاعها، وهو جمع: رِيعة. وقال قتادة: الرّيع: الطريق، قال: ذو الرمة يصف بازياً: [الطويل]

طِرَاقُ الْخَوافِي مُشْرِقٌ فَوْقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ

وقال عمارة: الريع: الجبل، الواحد: رِيعة، والجمع: رِياع. وقال مجاهد: هو الفج بين الجبلين. ﴿ءَايَةً﴾ أي: علامة. وانظر الآية رقم [١]. ﴿تَعۡبَثُونَ﴾: تلعبون، وتهزؤون، قيل: إنهم بنوا بيوتهم فيما تقدم ذكره، وكانوا يسخرون بمن يمر بهم من الناس. ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أبنية. وقال مجاهد: قصوراً مشيدة، وحصوناً منيعة، قال الشاعر: [الوافر]

تَـرَكْـنَـا دَارَهُـمْ مِـنْـهُـمْ قِـفَـاراً وَهَـدَّمْـنَـا الْـمَـصَـانِـعَ وَالْـبُـروجَـا

وقال السدي، وغيره: المصانع: بروج الحمام، ولا أرى له وجهاً قوياً. وقال قتادة، والزجاج: إنها مصانع الماء تحت الأرض، أي: قنوات الماء، واحدتها مُصْنَعَة، ومَصْنَع، قال لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

بَلِـيـنَـا وَمَـا تَـبْـلَـى الـنُّـجُـومُ الـطَّـوَالِـعُ وَتَـبْـقَـى الْـجِـبَـالُ بَـعْـدَنَـا والـمـصـانِـعُ

﴿لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾ أي: تبنون ما تبنون لكي تخلدوا في هذه الدنيا، فأنتم تحكمون بنيان ما تصنعون. وقيل: (لعلَّ) استفهام بمعنى التوبيخ، والتقريع، ولا وجه له؛ لأنه لم يقل أحد إن «لعلَّ» تأتي للاستفهام. ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم...﴾ إلخ: أي: إذا ضربتم أحداً ضربتموه بعنف وقسوة بدون رحمة، ورأفة، ولا قصد تأديب، ونظر في العواقب، وقال ابن عباس، ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ: البطش: العسف قتلاً بالسيف، وضرباً بالسوط. ﴿جَبَّارِينَ﴾: قتالين في غير حق، وبطشت اليد: إذا عملت، فهي باطشة، قال عمرو بن كلثوم في معلقته: [الوافر]

لَـنَـا الـدُّنْـيَـا وَمَـنْ أضـحـى عَـلَـيْـهَـا وَنَـبْـطِـشُ حِـيـنَ نَـبْـطِـشُ قَـادِرِيـنَـا

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاتٌ، رؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ المائلةِ، لا يدخُلْنَ الْجَنَّةَ، ولَا يَجِدْنَ ريحَها، وَإِنَّ رِيحَهَا ليُوجَدُ مِن مسيرةِ كذَا، وكذَا**». رواه مسلم في صحيحه. وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا تَبايعْتم بالْعِينَةِ، وأخذتمْ أَذْنابَ البقرِ، ورَضِيتمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ في سَبِيلِ اللهِ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلّاً، لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلى دِينِكُمْ**». رواه أبو داود.

«العينة»: بكسر العين: أن تبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم، ثم تشتريها منه بأقل من الثمن الذي بعتها به. ومنها: أنْ يغالي بالثمن كثيراً لقاء بيعها بالدين إلى أجل مسمى، وإن لم يشترها البائع منه؛ لأن زيادة الثمن لقاء التأجيل، وهو نوع من أنواع الربا. هذا؛ وقيل: الجبار: المتسلط العاتي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ﴾. وقال الشاعر: [الطويل]

سَـلَـبْـنَـا مِـنَ الْـجَـبَّـار بِـالـسَّـيْـفِ مُـلْـكَـهُ عَـشِـيَّـاً وأطْـرَافُ الـرِّمَـاحِ شَـوَارِعُ

الإعراب: ﴿أَتَبْنُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ. (تبنون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل. ﴿بِكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(كل) مضاف، و﴿رِيعٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿تَعْبَثُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَتَتَّخِذُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (تتخذون): فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿مَصَانِعَ﴾: مفعول به. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿تَخْلُدُونَ﴾: في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية تعليل للبناء، ولاتخاذ المصانع، وقيل: في محل نصب حال، وهو غير سديد. ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف، (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿بَطَشْتُم﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: (إذا) إليها على المشهور المرجوح، والجملة الثانية جواب (إذا) لا محل لها، ﴿جَبَّارِينَ﴾: حال من تاء الفاعل والميم، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. هذا؛ والكلام ﴿أَتَبْنُونَ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: بترك الكفر، والمعاصي. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فيما أدعوكم إليه، فإنه أنفع لكم، وتنجون به من عذاب الله، وسخطه، وغضبه، وعقابه. ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾: من الخيرات في هذه الدنيا، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ...﴾ إلخ؛ أي: سخر لكم ذلك، وتفضل به عليكم، فهو الذي يجب أن يعبد، ويشكر ولا يكفر. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ...﴾ إلخ: أي في الدنيا والآخرة؛ إن أعرضتم عن الإيمان، وأصررتم على الكفر، فإنه كما قدر على الإنعام؛ يقدر على الانتقام.

هذا؛ و(اتقوا) أمر من التقوى، وهي حفظ النفس من العذاب الأخروي بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ لأن أصل المادة من الوقاية، وهي الحفظ، والتحرز من المهالك في الدنيا والآخرة، وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة). هذا؛ وأصل: «اتقوا» (اتَّقِيُوا) فحذفت الضمة التي على الياء للثقل، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، ثم قلبت كسرة القاف ضمة لمناسبة واو الجماعة.

﴿اللَّهَ﴾: علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم؛ الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء

به؛ لتخلف شروط الإجابة التي أعظمها أكل الحلال، ولم يسم به أحد سواه، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: هل تعلم أحداً تسمى «الله» غيره تعالى، وإنما يذكر الكافرون، والمشركون معبوداتهم باسم الرب والإله، وقد ذُكِرَ في القرآن الكريم في ألفين وثلاثمئة وستين موضعاً.

﴿ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: يطلق هذا اللفظ على المأكول من الحيوان، من إبل، وبقر، وغنم، وماعز، والمراد هنا ـ والله أعلم ـ المأكول، وغيره، فيكون قد غلب المأكول على غيره. و: (جنات) جمع: جنه، وهي في الأصل: البستان الكثير الأشجار، وسميت الجنة بذلك؛ لأنها تجن أي: تستر من يدخل فيها، لكثرة أشجارها، وكثافتها، وهي درجات ذكرتها في سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وانظر (الخوف) في الآية رقم [١٢].

﴿عَذَابَ﴾: اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصدر: تعذيب؛ لأنه من: عذَّب، يعذِّب بتشديد الذال فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، ومثله: عطاء، وسلام، ونبات، لأعطى، وسلم، وأنبت.

هذا؛ و﴿يَوْمٍ﴾ المراد به هنا يوم القيامة، وهو مقدار ألف سنة من أيام الدنيا، كما في الآية رقم [٤٧] من سورة (الحج) وأما اليوم في الدنيا؛ فهو الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها، وهذا في العرف، وأما اليوم الشرعي، فهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، كما يطلق اليوم على الليل، والنهار معاً، وقد يراد به الوقت مطلقاً، تقول: ذخرتك لهذا اليوم، أي: لهذا الوقت والجمع: أيام، وأصله: أَيْوَام، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وجمع الجمع: أياويم. وأيام العرب: وقائعها، وحروبها. وأيام الله: نعمه ونقمه، كما في الآية رقم [١٠٢] من سورة (يونس)، والآية رقم [٥] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام، ويقال: فلان ابن الأيام، أي: العارف بأحوالها. ويقال: أنا ابن اليوم؛ أي: اعتبر حالي فيما أنا فيه.

الإعراب: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: انظر إعراب هذه الآية برقم [١٠٨]. ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، ﴿أَمَدَّكُم﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به، والفاعل مستتر، تقديره: «هو»، يعود إلى الذي، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر، (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، وجملة: ﴿تَعْلَمُونَ﴾: صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء تعلمونه، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، وجملة: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ﴾ بدل من سابقتها، لا محل لها مثلها، وهي أوضح من الأولى؛ لأنها فصَّلت نعم الله، وبينتها، ومثلها الآية رقم [٢٢٢] الآتية، ومثل الآيتين قول الشاعر: [الطويل]

أَقُولُ لَـهُ ارْحَـلْ لَا تُـقِـيـمَـنَّ عِـنْـدَنَـا وَإِلَّا فَكُنْ فِي السِّرِّ والْجَهْرِ مُسْلِمَا

فجملة: «لا تقيمن» بدل من جملة «ارحل»؛ لأن دلالة الثانية على ما أراده من إظهار الكراهية لإقامته أوفىٰ بالمراد، فإنه اشتهر في إظهار الكراهية عرفاً بخلاف الأولى، فإن دلالتها على ذلك بالالتزام، لكن البدلية في البيت بدل اشتمال، وفي الآية الكريمة بدل البعض، وانظر بدل الكل في الآية رقم [٦٩] من سورة (الفرقان). ﴿وَبَنِينَ﴾: معطوف على ما قبله مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾: معطوفان على (أنعام). ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿يَوۡمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَظِيمٖ﴾: صفة: ﴿يَوۡمٍ﴾، وإن اعتبرته صفة: ﴿عَذَابَ﴾، فيكون قد جر على الجوار، وجملة: ﴿أَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ تعليل للأمر، والكلام: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول؛ لأنه من مقول هود، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قوم هود له، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ...﴾ إلخ: أي: وعظك وعدمه عندنا سواء، لا نسمع منك، ولا نلتفت إلى ما تقوله، فإنا لا نرعوي عما نحن عليه. ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ أي: الذي تخوفنا به، أو الذي جئتنا به، وهو ترك ما نحن عليه، ﴿إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: إلا كذب الأولين، أي: قبلنا، أو ما خلقُنا هذا إلا خلقُهم نحيا ونموت مثلهم، ولا بعث ولا حساب، ولا ثواب ولا عقاب، وهذا على قراءة (خَلْق) بفتح الخاء، فيكون بمعنى افتراء، وقراءة حفص بضمتين، فيكون المعنى: ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين، كانوا يلقنون الناس مثله، أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين، وعادتهم، ونحن بهم مقتدون. أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها. انتهى. بيضاوي بتصرف. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي: على ما نحن عليه من الدين والعبادة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: ﴿سَوَآءٌ﴾ مصدر بمعنى الاستواء، فلذا صح به الإخبار عن متعدد في كثير من الآيات، وقيل: هو بمعنى مستوٍ، وهو لا يثنى، ولا يجمع، قالوا: هم، وهما سواء، فإذا أرادوا لفظ المثنى، قالوا: سيان، وإن شئت؛ قلت: سواءان، وفي الجمع: هم أسواء، وهذا كله ضعيف، ونادر. هذا؛ وانظر الشاهد رقم [٢٤١] من كتابنا فتح القريب المجيب، وموجز القول في «سواء» منه تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وأيضاً على غير القياس قولهم: هم سواسٍ، وسواسية، أي: متساويان، ومتساوون.

هذا؛ والسواء: العدل، والوسط، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وانظر شرح ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في الآية رقم [٥] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم، الذي جيء به لمناسبة واو الجماعة، ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل. ﴿سَوَآءٌ﴾: خبر مقدم. ﴿عَلَيْنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿سَوَآءٌ﴾. ﴿أَوَعَظْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتسوية تؤول مع ما بعدها بمصدر. (وعظت): فعل، وفاعل، وهمزة التسوية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف معادل لهمزة التسوية. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿تَكُن﴾، وجملة: ﴿لَمْ تَكُن...﴾ إلخ مؤولة بمصدر معطوف على سابقه، التقدير: «وعظك وعدمه سواء علينا»: ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿هَٰذَآ﴾: الهاء حرف تنبيه، ينبه به على ما يساق من الكلام. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿خُلُقُ﴾: خبر المبتدأ. و﴿خُلُقُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (معذبين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً. هذا؛ والكلام: ﴿سَوَآءٌ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: كذب قوم هود رسولهم. فلم يصدقوه فيما يدعو إليه من عبادة الله تعالى، وتوحيده، وخلع عبادة الأوثان. ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أي: بالريح العاتية المذكورة في سورة (القمر)، وسورة (الحاقة)، وانظر شرح باقي الكلام في الآية رقم [١٠٣] وما بعدها.

الإعراب: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (كذبوه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أهلكناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. وانظر إعراب الباقي في الآيتين رقم [٨] و[٩] ففيه الكفاية. والله الموفق، والمعين، وبه أستعين، وهو حسبي، ونعم الوكيل، عليه توكلت، وإليه أنيب.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾

الشرح: شرح هاتين الآيتين وإعرابهما مثل الآيتين رقم [١٠٥] و [١٠٦] بلا فارق. وتأنيث ﴿ثَمُودُ﴾ على معنى القبيلة، أو الجماعة، وهو في الأصل اسم أبيهم الأول، وانظر قصة صالح مع قومه مفصلة في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

انظر شرح هذه الآيات وإعرابها في الآية رقم [١٠٧] وما بعدها على الترتيب.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ أي: في الدنيا آمنين من العذاب، والزوال، والموت، فهو إنكار؛ لأن يتركوا كذلك مع إصرارهم على الكفر، وتماديهم في الضلال، والعصيان، والفساد، أو هو تذكير لهم بالنعمة في تخلية الله إياهم، وأسباب تنعمهم آمنين. ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾: في بساتين تجري فيها عيون الماء. (زروع): يشمل الخضار كلها، وأنواع المزروعات من قمح، وشعير، ونحو ذلك. ﴿وَنَخْلٍ﴾: أفرده بالذكر مع كونه داخلاً فيما قبله تنبيهاً على فضله، وكثرة منافعه. هذا؛ و«نخل» اسم جنس جمعي، يفرق بينه، وبين واحده بالتاء، وهو: نخلة كتمر، وتمرة، ونخل اسم جمع لا واحد له من لفظه، كقوم، ورهط، ونحوهما، وفي مختار الصحاح: النخل، والنخيل بمعنى واحد، والواحد نخلة، وما ألطف قول الشاعر في التورية: [الوافر]

رَأَيْتُ بِهَا قَضِيباً فَوْقَ دِعْصٍ عَلَيْهِ النَّخْلُ أَيْنَعَ وَالْكُرُومُ

فقد وَرَّى عن المرأة بالقضيب، وعن الحلي بالنخل، وعن قلائدها بالكروم، والدعص بكسر الدال: قطعة من الرمل مستديرة. ﴿طَلْعُهَا﴾: هو أول ما يطلع من ثمر النخلة، كنصل السيف، في جوفه شماريخ القِنو، والقِنو: اسم للخارج من الجذع، كما هو بعرجونه، وشماريخه، والطلع يخرج من أنثى النخل وذكره، فتلقح الأنثى بأخذ شيء من طلع الذكر، ووضعه في طلع الأنثى بعد شقه، وأنث طلعها؛ لأن النخل اسم جمع كما رأيت، وكل اسم جمع يؤنث ويذكر، و﴿هَضِيمٌ﴾: لطيف لين للطف الثمر، قال امرؤ القيس في معلقته: [الطويل]

إِذَا قُلْتُ هَاتِي نَوِّلِينِي تَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رَيَّا الْمُخَلْخَلِ

هذا؛ والهضم: الانتقاص من حق الإنسان، كما رأيت في الآية رقم [١١٢] من سورة (طه).
﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: قال القرطبي، النَّحت: النَّجر، والبَرْي، يقال: نحته، ينحته بالكسر نحتاً، أي: براه، والنُّحاتة: البراية، والمنحت ما ينحت به، وفي (الصافات): ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ فكانوا ينحتونها من الجبال، لما طالت أعمارهم، وتهدم بناؤهم من المدر. انتهى. وإنما كانوا ينحتون في الجبال بيوتاً لطول أعمارهم، فإن السقوف، والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم؛ لأن الواحد منهم كان يعيش ثلاثمئة سنة إلى ألف سنة، وكذا كان قوم (هود).
﴿فَارِهِينَ﴾: بطرين، أو حاذقين، من الفراهة؛ وهي النشاط، فإن الحاذق يعمل بنشاط، وطيب قلب. وقرئ: (فَرِهِينَ) وهو أبلغ، والمراد بما ينحتون من الجبال: الكهوف، والغيران، قيل: كانوا يسكنون السهول في الصيف، ويبنون فيها القصور، ويسكنون بالكهوف، والغيران في فصل الشتاء، وهذا يدل على أنهم كانوا متنعمين مترفين في حياتهم.

الإعراب: ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (تتركون): فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله. ﴿فِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر. ﴿هَاهُنَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (هنا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿ءَامِنِينَ﴾: حال من واو الجماعة، إن لم تعتبره مفعولاً ثانياً، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: بدل من الجار والمجرور قبلهما بإعادة الجار. ﴿وَعُيُونٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ﴾: معطوفان على ﴿جَنَّاتٍ﴾. ﴿طَلْعُهَا﴾: مبتدأ. و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿هَضِيمٌ﴾: خبر المبتدأ. والجملة الاسمية في محل جر صفة: (نخل). ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (تنحتون): فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿مِنَ الْجِبَالِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿بُيُوتًا﴾. كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة المشهورة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» ﴿بُيُوتًا﴾: مفعول به. ﴿فَارِهِينَ﴾: حال من واو الجماعة. هذا؛ والكلام: ﴿أَتُتْرَكُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول؛ إذ هو من مقول صالح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

الشرح: أَمَر صالح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ قومه بتقوى الله تعالى، وبأن يطيعوه فيما يأمرهم به، وينهاهم عنه، ونهاهم عن طاعة المسرفين المفسدين في الأرض،

ولم يصلحوا أنفسهم بالعمل الصالح. قيل: المراد بهؤلاء المفسدين: التسعة؛ الذين عقروا الناقة، كما ستقف عليه في الآية رقم [٤٨] من سورة (النمل) إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: انظر إعراب هذه الآية برقم [١٠٨]. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُطِيعُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ(لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعله، والألف للتفريق، ﴿أَمْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة: ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾، أو بدل منه، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني، أو أذم الذين، ونحوه، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف التقدير: هم الذين. ﴿يُفْسِدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يُصْلِحُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، لا محل لها مثلها، والكلام: ﴿فَاتَّقُوا...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول أيضاً؛ لأنه من مقول صالح على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أي: من الذين سُحِروا كثيراً، حتى غلب على عقولهم، وقيل: من المعللين بالطعام والشراب. قاله ابن عباس، والكلبي، وقتادة، ومجاهد أيضاً فيما ذكر الثعلبي، وهو على هذا القول من السُّحْر، بضم السين وسكون الحاء، وجمعه: أسحار، كبرد وأبراد، وكذا بالفتح، والسكون، وجمعه: سحور، كفلس، وفلوس، وهو على اللغتين الرئة. انتهى. مختار الصحاح. فيكون المعنى: أنت بشر لك رئة تأكل، وتشرب مثلنا، فمن أين أتاك ما تدعيه من النبوة. قال لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّنَا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأَنَامِ الْمُسَحَّرِ؟

وقال امرؤ القيس: [الوافر]

أَرَانَا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وبَالشَّرَابِ

«موضعين»: مسرعين، وأمر غيب: يريد الموت، وأنه قد غيب عنا وقته، ونحن نلهو بالطعام، والشراب. ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: فأي فضل لك علينا، وأية ميزة تتعالى فيها. ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾: تدل على صدقك فيما تدعيه. وانظر (ائت) في الآية رقم [١٠].

هذا؛ و﴿بَشَرٌ﴾ يطلق على الإنسان ذكراً كان، أو أنثى، مفرداً، كان أو جمعاً، مثل كلمة: الفلك، تطلق على المفرد، والجمع. وسمي بنو آدم بشراً لبدو بشرتهم، وهي ظاهر الجلد، بخلاف أكثر المخلوقات، فإنها مكسوة بالشعر، أو بالصوف، أو بالريش. هذا؛ وبشر يطلق على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ الآية رقم [١٧] من سورة (مريم)، ولذا ثني في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ الآية رقم [٤٧] من سورة (المؤمنون)، ويطلق على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدًا﴾ الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

وأما (مثل) فهو بكسر الميم وسكون الثاء، ومثله: مثيل، وشبه، وشبيه، وهو اسم متوغل في الإبهام، فلا يتعرف بإضافته إلى الضمير، وغيره من المعارف؛ ولذلك نعتت به النكرة في قوله تعالى حكاية عن قول فرعون وقومه: ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ كما في هذه الآية، ويوصف به المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وهو واضح في مواضعه، وتستعمل على ثلاثة أوجه: الأول بمعنى الشبيه، كما في الآية الكريمة، ونحوها. والثاني: بمعنى نفس الشيء وذاته، كما في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ عند بعضهم، حيث قال: المعنى: ليس كذاته شيء. والثالث: زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ أي: بما آمنتم به، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٧] من سورة (المؤمنون).

هذا؛ وأما المثل في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ...﴾ إلخ وشبهه، فهو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر، بينهما مشابهة ليتبين أحدهما من الآخر ويصوره. وقيل: هو تشبيه شيء بشيء آخر. وبالجملة هو القول السائر بين الناس، والذي فيه غرابة من بعض الوجوه، والممثل بمضربه أي هو الحالة الأصلية التي ورد الكلام فيها، وما أكثر الأمثال في اللغة العربية، علماً بأن الأمثال لا تغير تذكيراً، وتأنيثاً، إفراداً، وتثنية، وجمعاً، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل؛ أي: أصله، مثل (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ) فإنه يضرب لكل مَنْ فرط في تحصيل شيءٍ في أوانه، ثم طلبه بعد فواته.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَنتَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بَشَرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِّثۡلُنَا﴾: صفة: ﴿بَشَرٌ﴾، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فَأۡتِ﴾: الفاء: هي الفصيحة، انظر الآية رقم [١٠٨]، (ائت): فعل أمر، مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها

جواب شرط مقدر، التقدير: وإذا كنت صادقاً فيما تدعيه؛ ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ تدل على صدقك، وقد دل على هذا الشرط ما بعده، ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان، وجملة: ﴿كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. والكلام: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجواب الشرط محذوف.

﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾

الشرح: روي: أن قوم صالح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ طلبوا منه علامة تدل على صدقه، فقالوا: نريد ناقة عشراء، تخرج من هذه الصخرة، فتلد سقباً؛ أي: ولداً، فقال له جبريل ـ عليه السلام ـ: صل ركعتين، وسل ربك الناقة. ففعل، فخرجت الناقة، وبركت بين أيديهم، ونُتجت سقباً مثلها في العظم، فقال لهم صالح ـ عليه السلام ـ: هذه ناقة كما طلبتم، فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء، وكانوا يشربون جميعاً من ماء واحد، فقال لهم: للناقة الماء في يوم، ولكم الماء في يوم آخر، فكانت تشرب الماء كله في يوم شربها، وعند المساء يحلبونها فيشربون لبنها، وتكفيهم عن الماء، وفي يوم شربهم يشربون منها وتكفي مواشيهم، وأرضهم، ليس لهم في يوم ورودها أن يشربوا من الماء شيئاً أبداً، ولا لها أن تشرب في يومهم من مائهم شيئاً. هذا؛ والشِّرْب بكسر الشين: الحظ من الماء، وأما المصدر؛ فهو بتثليث الشين مِنْ شرب، يشرب، والشَّرب بفتح الشين: جمع شارب، كما قال الأعشى في معلقته رقم [٤١]: [البسيط]

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ في دُرْنَا وَقَدْ ثَمِلُوا: شِيمُوا، فَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ؟

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى صالح. ﴿هَـٰذِهِۦ﴾: الهاء: حرف تنبيه ينبه به المخاطب على ما يساق من الكلام، (ذه): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿نَاقَةٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَّهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ﴿شِرْبٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع صفة: ﴿نَاقَةٌ﴾. ﴿وَلَكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لكم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شِرْبُ﴾: مبتدأ مؤخر. و﴿شِرْبُ﴾ مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مَّعْلُومٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾، والجملة الاسمية: (لكم شرب...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع صفة مثلها، والرابط في الأولى رابط في الثانية، والجملة الاسمية: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: من عقر، أو ضرب. والسوء: الشر، والفساد، والجمع: أسواء، وهو بضم السين من: ساءه، وهو بفتح السين المصدر، تقول: رجل سَوْء بالإضافة، ورجل السَّوْء، ولا تقول: الرجل السَّوْء، وتأنيثه: السُّوأى، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾. هذا؛ وقد نهاهم صالح عليه السلام عن المسِّ الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء، الجامع لأنواع الأذى، مبالغة في النهي، كما في قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٨] و[٤٩] من سورة (النمل) فإنه جيد.

﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: هذا؛ ووصف اليوم الذي يقع فيه العذاب بالعظم، وهو أبلغ من وصف العذاب؛ لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد. هذا؛ وقد وصفه بسورة (هود) بـ: ﴿قَرِيبٞ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَمَسُّوهَا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ﴾: الفاء: للسببية. (يأخذكم): فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء، والكاف مفعول به. ﴿عَذَابُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿يَوۡمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَظِيمٖ﴾: صفة ﴿يَوۡمٍ﴾. وإن اعتبرته صفة ﴿عَذَابُ﴾؛ فيكون قد جر على الجوار، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم مسٌّ للناقة، فأخذ لكم بسببه عذاب عظيم. وجملة (لا تمسوها...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧﴾

الشرح: روي: أن رجلاً منهم يقال له: مسطع ألجأ الناقة إلى مضيق في شعب، فرماها بسهم، فأصاب رجلها، فسقطت، ثم ضربها قدار بن سالف برضاهم. وروي: أن عاقرها قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين. فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها، فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم، وكذلك صبيانهم رضوا بذلك، وندمهم المذكور لم يكن توبة، بل ندم على عقرها لمَّا رأوا مقدمات العذاب؛ الذي توعدهم به صالح في ثلاثة أيام التي صرحت بها آية هود، وهي قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ كما أن ندم قابيل لم يكن توبة من قتل أخيه هابيل، بل ندم على حمله، كما رأيت في سورة (المائدة)، أو ندموا حين لا ينفع الندم، وذلك عند معاينة العذاب. هذا؛ والعقر في الأصل: قطع عرقوب

البعير، ثم جعل النحر عقراً؛ لأن ناحر البعير يعقره، ثم ينحره، وباب: عقر: ضرب. هذا؛ وكان «قدار» المذكور أحمر، أزرق العينين، قصيراً، كما كان فرعون كذلك، قال النبي ﷺ: **«يَا عَلِيُّ! أَشْقَى الأَوَّلِينَ عَاقِرُ نَاقَةِ صَالِحٍ، وَأَشْقَى الآخِرِينَ قَاتِلُكَ»**. ولا تنسَ: أنه لا يراد بأصبحوا التوقيت، بل هي بمعنى: صاروا.

الإعراب: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (عقروها): ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَصْبَحُوا﴾: الفاء: حرف عطف. (أصبحوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿نَدِمِينَ﴾: خبر (أصبح) منصوب... إلخ، وجملة: ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِمِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: وهي الرجفة المصرح بها في الآية رقم [٧٨] من سورة (الأعراف)، والصيحة المصرح بها في الآية رقم [٦٧] من سورة (هود) والرجفة: هي الزلزلة الشديدة العظيمة، وأما الصيحة: فهي صيحة جبريل عليه السلام، وجمع بينهما بأن الزلزلة أتت من تحتهم، والصيحة من فوقهم؛ حتى هلكوا.

تنبيه: يروى: أن الناقة ولدت ولداً مثلها، ومكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر، وترد الماء غبَّاً، فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر، فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها، ثم تتفحج، فيحلبون منها ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم، فيشربون، ويدخرون، وكانت تُصيِّف بظهر الوادي، فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه، وتشتو ببطنه، فتهرب منها مواشيهم إلى ظهره، فشق ذلك عليهم، وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم، وصدقة بنت المختار، فعقروها واقتسموا لحمها، فرقى ولدها جبلاً اسمه قارة، فرغا ثلاثاً، فقال لهم صالح ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فلم يقدروا عليه، حيث انفجَّت الصخرة بعد رغَائه، فدخلها، فقال لهم صالح: تصبح وجوهكم غداً مصفرة، وبعد غدٍ محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، ثم يصبحكم العذاب. فلما رأوا العلامات؛ طلبوه؛ ليقتلوه، فأنجاه الله إلى أرض فلسطين، ولما كانت ضحوة اليوم الرابع، تحنطوا بالصَّبِر، وتكفنوا بالأنطاع، فأتتهم صيحة من السماء بعد الزلزلة، فتقطعت قلوبهم، فهلكوا.

وفي الخازن عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لمَّا مرَّ رسول الله ﷺ بالحِجْرِ؛ قال: **«لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبكم مَا أَصَابَهُمْ، إلا أَنْ تَكُونُوا باكين»**. ثم قنَّع رأسه، وأسرع السير؛ حتى جاوز الوادي. متفق عليه. وعنه أيضاً: أن الناس نزلوا مع رسول

الله ﷺ على الحِجْرِ أرض ثمود، فاستقَوْا من آبارها، وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوه، ويعلفوا الإبلَ بالعجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. رواه الشيخان. وهذا كان في طريقه ﷺ إلى تبوك، وهو يدل على أن ديار ثمود كانت شمال المدينة، بينها وبين تبوك، ولقد ذكر الله تعالى ذلك في سورة (الحجر): ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. والحجر منازل قوم صالح، جاء في مختار الصحاح: والحجر: منازل ثمود، ناحية الشام عند وادي القرى. وقال عبد الوهاب النجار رحمه الله تعالى: وموقعها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى. وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح عليه الصلاة والسلام بعد هلاك قومه من فلسطين إلى حضرموت، فلما دخلوها مات صالح، فسميت الأرض حضرموت، ثم بنوا فيها أربعة آلاف مدينة، وسموها: حاضوراء. وقال قوم من أهل العلم: توفي صالح بمكة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة. انتهى. من الخازن. وذكر السيوطي في التحبير: أنه عاش مئتين وثمانين سنة، وهذا أولى بالاعتبار وأقرب إلى الصواب.

الإعراب: ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أخذهم): فعل ماض، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. لا محل لها أيضاً، وانظر إعراب الباقي في الآيتين رقم [٨] و [٩] والله الموفق، والمعين، وبه نستعين.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾

الشرح: شرح هاتين الآيتين، وإعرابهما مثل الآيتين رقم [١٠٥] و [١٠٦] بلا فارق، وانظر قصة لوط مع قومه مفصلة في سورة (الأعراف) وسورة (هود) على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. وأيضاً في سورة (الحجر).

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾

انظر شرح هذه الآيات وإعرابها في الآية رقم [١٠٧] وما بعدها على الترتيب.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾

الشرح أي: أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام ـ على فرط كثرتهم، وتفاوت أجناسهم، وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة ـ ذكرانهم، كأن الإناث قد أعوزتكم. أو: أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران، يعني: أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة،

و(العالمون) على هذا القول: كل من يُنكح من الحيوان، وعلى الأول الناس. انتهى. كشاف. هذا؛ و﴿ٱلذُّكۡرَانَ﴾ جمع: ذكر، وهو ضد الأنثى، ويجمع أيضاً على: ذكور، وذكارة كحجارة.

الإعراب: ﴿أَتَأۡتُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي، (تأتون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، ﴿ٱلذُّكۡرَانَ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلذُّكۡرَانَ﴾، والآية الكريمة في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول لوط لقومه.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦﴾

الشرح: ﴿وَتَذَرُونَ﴾: تتركون، ﴿مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم﴾ أي: لأجل استمتاعكم، ﴿مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ﴾: لبيان ما خلق إن أريد به جنس الإناث، أو للتبعيض، إن أريد به العضو المباح منهن، فيكون تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضاً. ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ أي: متجاوزون الحلال إلى الحرام؛ لأن معنى العادي: المتعدي في ظلمه، المتجاوز فيه الحد، وهم تجاوزوا حد الشهوة، حيث زادوا على سائر الناس، بل الحيوانات في فعلهم الشنيع، أو: هم مفرطون في المعاصي، وهذا الذي يفعلونه من جملة ذلك، أو هم أحقاء بأن يوصفوا بالعدوان لارتكابهم هذه الجريمة العظيمة. وانظر شرح (أزواج) في الآية رقم [٧٤] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿وَتَذَرُونَ﴾: الواو: حرف عطف، (تذرون): فعل مضارع مرفوع...إلخ، والواو فاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض. ﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رَبُّكُم﴾: فاعل، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: تذرون الذي، أو شيئاً خلقه لكم ربكم، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، الذي رأيت تقديره، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بَلۡ﴾: حرف عطف وانتقال. ﴿أَنتُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿قَوۡمٌ﴾: خبره. ﴿عَادُونَ﴾: صفة ﴿قَوۡمٌ﴾ مرفوع مثله. وعلامة رفعه الواو...إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧﴾

الشرح: قال قوم لوط له: إن لم تنته عما تدعيه، أو عن نهينا عما نفعل، أو: إن لم تنته عن تقبيحه وتشنيعه؛ لنخرجنك من بلدتنا، ونفيك منها، ولعلَّهم كانوا يخرجون من كرهوه على

عنف وقهر. وانظر إعراب هذه الآية بكاملها برقم [١١٦] وإن اختلفت بعض الكلمات، فالإعراب واحد.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: لوط عليه السلام، ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ أي: اللواط، ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: المبغضين. والقلى: البغض، قال الله تعالى لحبيبه محمد ﷺ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما تركك منذ اختارك، وما أبغضك منذ أحبك. تقول: قليته، أقليه قِلًى، وقَلَاءً. قال امرؤ القيس: [الطويل]

صَرَفْتُ الهوَى عَنْهُنَّ مِنْ خشيةِ الرَّدَى ... فَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخلالِ وَلَا قَالي

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قالٍ؛ لدلالته على أنه معدودٌ في زمرة المبغضين لهذا العمل الشنيع، ولفاعليه، ومشهور بأنه من جملتهم. ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: دعا الله لمَّا أيس من إيمانهم ألا يصيبه شيء من العذاب؛ الذي سينزل بهم.

هذا؛ و«الأهل»: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: معشر، ورهط، والأهل: العشيرة وذو القربى، ويطلق على الزوجة، وعلى الأتباع بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾. والجمع: أَهْلونَ، وَأَهَال، وآهَال، وأَهْلات، وأَهَلات، وبالأولين قرئ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾. سورة (التحريم) [٦].

تنبيه: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ ونداء الرب قد كثر حذف (ياء) النداء منه في القرآن الكريم، وعلة ذلك: أنَّ في حذفها من نداء الرب فيه معنى التعظيم له والتنزيه، وذلك: أن النداء فيه ضرب من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيدُ! فمعناه: تعالَ يا زيدُ، أدعوك يا زيدُ! فحذفت (يا) مِنْ نداء الرَّبِّ، لنزول معنى الأمر، وينقص؛ لأنَّ «يا» تؤكده، وتظهر معناه، فكان في حذف «يا» التعظيم، والإجلال، والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في القرآن والكلام العربي في نداء الرب لذلك المعنى، وانظر شرح (الرب) في الآية رقم [٩].

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى لوط. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها، وحذفت نون الوقاية جوازاً. ﴿لِعَمَلِكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بخبر محذوف. التقدير: قالٍ لعملكم، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة للخبر المحذوف الذي رأيت تقديره، ولو علقت الجار والمجرور بمحذوف خبر ﴿إِنِّي﴾ لتعلق ﴿لِعَمَلِكُم﴾ بـ ﴿ٱلْقَالِينَ﴾، فيفضي إلى تقديم معمول الصلة على الموصول، وهو (أل) مع أنه لا يجوز. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة

على ما قبل ياء المتكلم، المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة، فيقول: يا رَبِّي، ومنهم من يثبتها ويحركها بالفتحة، فيقول: يا ربِّيَ، ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: يا ربَّا، ومنهم من يحذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الباء دليلاً عليها، فيقول: يَا رَبَّ، ففيه خمس لغات ذكرها ابن مالك رحمه الله تعالى بقوله: [الرجز]

وَاجْعَلْ مُنَادىً صَحَّ إِنْ يُضَفْ لِـ: «يَا» كَعَبْدِ عَبْدِي عَبْدَ عَبْدَاً عَبْدِيَا

هذا؛ ويزاد سادسه، وهي البناء على الضم، والقطع عن الإضافة تشبيهاً له بالنكرة المقصودة، فيقول: «يا ربُّ». ﴿نَجِّنِي﴾: فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر، فيه وجوباً، تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿وَأَهْلِي﴾: الواو: حرف عطف. «أهلي»: معطوف على ياء المتكلم، أو هو مفعول معه منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، «فعلى الأولين» مبنية على السكون في محل جر بـ: «مِنْ»، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: نجني وأهلي من الذي، أو من شيء يعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بـ: «من»؛ إذ التقدير: نجني وأهلي من عملهم، والكلام: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ إِنِّي...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ أي: أنجى الله لوطاً ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ومن آمن معه من أهله، ولم يكن معه أحد سوى ابنتيه، فلم يؤمن به أحد لقوله في سورة (هود): ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ فلم يوجد فيهم رجل رشيد يهتدي إلى الحق، والصواب، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: وهي امرأته، فإنها كانت تسر الكفر، واسمها: واهلة كانت من الغابرين، أي: من الذين بقوا في العذاب، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث، مثل قوله تعالى في حق مريم: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ هذا؛ والغابرين جمع اسم فاعل مِنْ: غبر الشيء: بقي، وغبر أيضاً: مضى، فهو من الأضداد، وبابه

دخل. انتهى. مختار. هذا؛ ولذا يمكن أن يقال: في غابر الأزمان، وحاضرها، كما يقال: في غابر الأزمان، وماضيها، وقال أبو ذؤيب الهذلي في رثاء أولاده: [الكامل]

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمُ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ وَإِخَالُ أَنِّي لَاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾: أهلكناهم. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ أي: وأنزلنا عليهم من السماء مطراً عجيباً، وهو مُبيَّن في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ وهذه الحجارة قد عجنت بالكبريت، والنار. هذا؛ ويقال: مطرت السماء، وأمطرت. وقال أبو عبيدة: يقال في العذاب: أمطرت، وفي الرحمة: مطرت. ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي: بئس المطر الذي أُمْطِرَهُ المنذَرُون، وهم قوم لوط؛ لأنه كان فيه هلاكهم.

قال مجاهد رحمه الله تعالى: نزل جبريل، عليه الصلاة والسلام، فأدخل جناحيه تحت مدائن قوم لوط، فاقتلعها، ورفعها إلى السماء، ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها، ثم أُتبعوا بالحجارة، أي على من كان خارجاً من القرى التي قَلَبها جبريل عليه السلام. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: إن النبي ﷺ حذر أمته أن يقع فيهم ما وقع بقوم لوط من العذاب إذا فعلوا فعلهم، وذلك بقوله ﷺ: «**سيكُونُ في آخِرِ أمتي قَوْمٌ يَكْتَفي رجالُهُمْ بالرِّجَالِ، ونِسَاؤُهُمْ بالنسَاءِ، فإذَا كَانَ ذَلِكَ، فارتَقِبُوا عَذَابَ قَوْمِ لوطٍ أَنْ يرسِلَ اللهُ عَلَيْهِمْ حجارةً مِنْ سِجِّيلٍ**». ثم تلا آخر آية رقم [٨٣] من سورة (هود): ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ وفي روايةٍ عنه، عليه الصلاة والسلام: «**لَاتَذْهَبُ اللَّيَالِي والأَيَّامُ حَتَّى تَسْتَحِلَّ هذه الأُمَّةُ أدبارَ الرجالِ، كما استحلُّوا أدبارَ النِّسَاءِ، فتُصِيبَ طوائِفَ هذهِ الأمةِ حجارةٌ مِنْ رَبِّكَ**».

الإعراب: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (نجيناه): فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾: الواو: حرف عطف. (أهله): معطوف على الضمير المنصوب، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد للضمير المنصوب وما عطف عليه، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿عَجُوزًا﴾: مستثنى من (أهله). ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿عَجُوزًا﴾، وجملة: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿دَمَّرْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلْآخَرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أمطرنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّطَرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَمْطَرْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فَسَآءَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ساء): فعل ماض جامد لإنشاء الذم. ﴿مَطَرُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: هو مطرهم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

انظر شرح هاتين الآيتين وإعرابهما برقم [٨] و [٩]، وذلك بغية الاختصار من وقت وغيره.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَصْحَابُ﴾: جمع: صاحب، يكون بمعنى الصديق، والزوج، ويكون بمعنى المالك، كقولك: صاحب الدار؛ أي: مالكها، وما هنا منه، ويجمع على أصحاب، وصحب، وصحابة، وصحبة، وصحاب، وصحبان، ثم يجمع أصحاب على أصاحيب أيضاً، ثم يخفف، فيقال: أصاحب. ﴿لْئَيْكَةِ﴾: الأيك: الشجر الملتف الكثير، الواحدة: أيكة، والأيكة: الغيضة، وقرىء (لَيْكَةَ) على أنه اسم للقرية. قال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: قد وقع لفظ الأيكة في القرآن أربع مرات في (الحجر)، وفي (قٓ) وما هنا، وفي (صٓ)، والأولان بأل والجر لا غير، والآخران يقرآن بأل وبالجر وبالصرف مع فتح التاء، مع أن الكل مجرورات بإضافة لفظ أصحاب إليها. انتهى. نقلاً عن شيخه.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: انظر ما قلته في جمعه في الآية رقم [١٠٥] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾: لم يقل أخوهم كما قال تعالى في إخوته لأهل مدين؛ لأنه لم يكن من أهل بلدتهم، ولا من عشيرتهم، وإخوته لأهل مدين أخوة نسب، وبلد، لا أخوة دين، كما ذكرت في أخوة الرسل لأقوامهم الذين أرسلوا إليهم، وشعيب على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام هو ابن ميكيل، بن يشجر، بن مدين، بن إبراهيم عليه السلام، وأم ميكيل هي بنت لوط عليه السلام. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾: إنما كان جواب جميع الرسل الذين تقدم ذكرهم واحداً على صيغة واحدة، وهي التقوى؛ لأنهم متفقون على الأمر بالتقوى، والطاعة، والإخلاص في العبادة، وكذلك الامتناع عن أخذ الأجر على تبليغ الرسالة.

هذا؛ وبعد أن أهلك الله قوم مدين، ونجى شعيباً، والذين آمنوا معه، كما رأيت في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) أرسله الله إلى أصحاب الأيكة، وهي غيضة تنبت ناعم الشجر، كانت بقرب مدين، تسكنها طائفة من عباد الله، قيل: كانوا بادية مدين، وكان شعيب أجنبياً منهم، وكانوا على مثل طريقة أهل مدين، من بخس للكيل، والميزان، فلما نهاهم عما هم فيه كذبوه، ظناً منهم: أنَّ الله لا يرسل إلى البشر هداةً منهم، جهلاً منهم بأن الله أعلم حيث يجعل رسالته.

الإعراب: ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض. ﴿أَصْحَابُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿لْئَيْكَةِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. وعلى قراءة (لَيْكَةَ) فعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة

عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿كَذَّبَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿شُعَيْبٌ﴾: فاعل. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها، وجملة: ﴿كَذَّبَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)﴾

انظر شرح هذه الآيات وإعرابها في الآية رقم [١٠٧] وما بعدها على الترتيب.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣)﴾

الشرح: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: أتموه للناس إذا كلتم لهم. ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن. ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: بالميزان السوي، صغيراً كان، أو كبيراً، قيل: هو رومي، وقيل: هو سرياني عُرِّبَ، والأصح أنه عربي مأخوذ من القسط، وهو العدل، قال تعالى في سورة (الأنعام): ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ﴾: ولا تنقصوا الناس، يقال: بخسته حقه: إذا نقصته إياه. وقد نصب مفعولين؛ لأنه بمعنى: تنقصوا. ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾: دراهمهم، ودنانيرهم، قيل: إنهم كانوا يقصون أطراف الدراهم والدنانير. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: ولا تبالغوا فيها بالإفساد، نحو قطع الطريق، والغارة، وإهلاك الزروع، وكانوا يفعلون ذلك، فنهوا عنه. هذا؛ وفي مختار الصحاح: عثا في الأرض: أفسد، وبابه: سما، وعثِيَ بالكسر عُثُوّاً أيضاً، وعَثَى بفتحتين بوزن فتى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ قال الأزهري: القراء كلهم متفقون على فتح الثاء، دل على أن القرآن نزل باللغة الثانية. انتهى. جمل بتصرف. هذا؛ واسم الفاعل منه: عاثٍ، والأول من الباب الأول، والثاني من الباب الرابع، والثالث من الباب الثالث.

هذا؛ و(زنوا): أمر، ماضيه: وزن، ومضارعه: يزن، أصله: يوزن، حذفت الواو من مضارعه لوقوعها بين عدوتيها، وهما الياء، والكسرة، والأمر منه: اُوزِنْ، حذفت الواو، وتلتها

الألف في الحذف، فصار: زِنْ، وهذا الحذف قياسي في كل فعل ثلاثي مثال، واوي مكسور عين المضارع، مثل: وعد، يعد، عِد، ووقف، يقف، قِف.

﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾: جمع شيء، وهو في اللغة عبارة عن كل موجود، إما حساً كالأجسام، وإما حكماً كالأقوال، نحو قلت: شيئاً، وجمع الشيء: أشياء غير مصروف، واختلف في علته اختلافاً كبيراً، والأقرب ما حكي عن الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ: أن وزنه: شَيْئاء وزان حمراء، فاستثقل وجود همزتين في تقدير الاجتماع، فنقلت الأولى إلى أول الكلمة، فبقيت: لفعاء، كما قلبوا أدؤراً، فقالوا: آدر وشبهه، وجمع الأشياء: أشايا.

﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾: أصله الْمُسْتَقْوِم؛ لأنه من: استقام، وهو أجوف، واوي، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها بعد سلب سكونها، فصار: (الْمُسْتَقِوم) ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة.

الإعراب: ﴿أَوْفُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿الْكَيْلَ﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونُوا﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع اسمه، والألف للتفريق. ﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُونُوا﴾. ﴿وَزِنُوا﴾: الواو: حرف عطف. (زنوا): فعل أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾: صفة (القسطاس). ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَبْخَسُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا)... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿النَّاسَ﴾: مفعول به أول. ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾: مفعول به ثان، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، (لا): ناهية جازمة. ﴿تَعْثَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال من واو الجماعة، وهي مؤكدة؛ لأنها من معنى الفعل كما رأيت في الشرح منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والكلام: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول؛ لأنه من مقول شعيب على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

فائدة: الحال على نوعين: إما مؤسسة، وإما مؤكدة، فالمؤسسة هي التي لا يستفاد معناها بدونها نحو: جاء زيدٌ ضاحكاً، ونحوه، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع مبينة هيئة فاعل، أو مفعول. والمؤكدة: هي التي يستفاد معناها بدونها، وإنما يؤتى بها للتوكيد، وهذه ثلاثة أنواع:

الأول: ما يؤتى بها لتوكيد عاملها، وهي التي توافقه معنىً فقط، أو معنىً، ولفظاً، فالأول نحو قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ ومنه الآية التي نحن بصدد إعرابها. والثاني نحو قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾.

النوع الثاني: ما يؤتى بها لتوكيد صاحبها، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.

النوع الثالث: ما يؤتى بها لتوكيد مضمون جملة معقودة من اسمين معرفتين جامدين، نحو: «هو الحق بيِّناً، أو صريحاً». وقول سالم بن دارة اليربوعي، وهو الشاهد رقم [٣٨٥] من كتابنا «فتح رب البرية»: [البسيط]

أَنَا ابْنُ دَارَةَ مَعْرُوفاً بِهَا نَسَبِي ... وَهَلْ بِدَارَةَ يَا لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ؟

وانظر الآية رقم [٧٦] من سورة (الفرقان)؛ لأنواع الحال بالنسبة للزَّمان.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أي: خافوا، ووحِّدوا، واعبدوا الذي خلقكم من العدم، وأنشأكم من ماء مهين. ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: الجماعة، والأمم الأولين، الذين كانوا على خلقة، وطبيعةٍ عظيمة، كأنها الجبال قوةً، وصلابة، ولا سيما قوم هود الذين بلغت بهم الشدة حتى قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. انتهى. جمل.

وقال مجاهد: الجِبِلة الخليقة، وجُبِلَ فلان على كذا، أي: خُلِقَ، فالخُلُق جِبِلَّة، وجُبُلَّة، وجِبْلة، وجُبْلة، وجَبْلَة. ذكره النحاس في معاني القرآن. وقال الهروي: الجِبِلَّة، والجُبْلَة، والجبلُّ، والْجُبُلّ والْجَبْلُ لغات، وهو الجمع الكثير من الناس، ومنه قوله تعالى في سورة (يسٓ): ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾. وقال النحاس أيضاً: كلها لغات، وتحذف الهاء من هذا كله، وقرأ الحسن باختلافٍ عنه: (والجُبُلَّة الأولين) بضم الجيم والباء، وروي عن شيبة والأعرج، والباقون بالكسر، قال الشاعر: [مجزوء الكامل]

والْمَوْتُ أعْظَمُ حَادِثٍ ... فِيمَا يَمُرُّ عَلَى الْجِبِلَّةِ

انتهى. كله من القرطبي بتصرف بسيط.

الإعراب: ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿خَلَقَكُمْ﴾: فعل ماض، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به،

والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾: الواو: حرف عطف. (الجبلة): معطوف على الكاف الواقعة مفعولاً. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صفة (الجبلة) منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَٱتَّقُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ... مِّثْلُنَا﴾: هذا الكلام تقدم شرحه وإعرابه في الآيتين [١٥٣] و [١٥٤] مع فارق بينهما، وهو زيادة الواو هنا، وتركها هناك، وفرق بينهما الزمخشري رحمه الله؛ حيث قال: إذا أدخلت الواو؛ فقد قصد معنيان، كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسحير، والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً، ولا يجوز أن يكون بشراً. وإذا تركت الواو؛ فلم يقصد إلا معنى واحد، وهو كونه مسحراً، ثم قرر بكونه بشراً مثلهم.

﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين. هذا عند الكوفيين، وعند البصريين. التقدير: وإنا لنظنك من الكاذبين فيما تدعيه. والمراد بالظن هنا: الطرف الراجح، المفيد لليقين. وانظر الإعراب، والله الموفق إلى الحق، والصواب، وإليه المرجع، والمآب.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الحال. (إن): مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها. ﴿نَّظُنُّكَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي الفارقة بين النافية، والمهملة. (من الكاذبين): جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، وهذا عند البصريين، والمتعلق محذوف، التقدير: فيما تدعيه من النبوة، والرسالة.

قال النسفي تبعاً للزمخشري: وإنما تفرقتا: أي: (إنْ) المخففة، و(اللام الفارقة) على فعل الظن وثاني مفعوليه؛ لأن أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ، والخبر، كقولك: إن زيداً لمنطلق، فلما كان بابا: «كان» و«ظننت» من جنس المبتدأ والخبر؛ فعل ذلك في البابين، فقيل: إنْ كانَ زيدٌ لمنطلقاً، وَإن ظَنَنْتُهُ لمنطلقاً. انتهى. والجملة القرآنية التي تشبه هذه الجملة هي قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ هذا؛ وأما الكوفيون فيعتبرون (إن) نافية، واللام بمعنى: «إلا» وباقي الإعراب مثل البصريين، والجملة الفعلية على الإعرابين في محل نصب حال من (نا) والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: جانباً من السماء، وقطعة منه، فننظر إليه، كما قال تعالى في سورة (الطور): ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾. وقيل: أرادوا نزول العذاب، وهو مبالغة في التكذيب. قال أبو عبيدة: الكِسْف جمع: كِسْفَة، مثل: سِدْرَ، وَسِدْرة، وهو بتسكين السين، وقراءة حفص بفتح السين، جمع: كِسْفة أيضاً، وهي القطعة، والجانب، مثل كِسْرة، وَكِسَرٍ، ويقال: الكِسْف، والكِسْفة واحد. وقال الأخفش: من قرأ: (كِسْفاً) جعله واحداً، ومن قرأ(كِسَفاً) جعله جمعاً. وقال الهروي: من قرأ: (كِسْفاً) على التوحيد، فجمعه: أكساف، وكسوف، كأنه قال: أو تسقطه علينا طبقاً واحداً، وهو من: كسفت الشيء كسفاً: إذا غطيته انتهى. قرطبي. والذي طلبه قوم شعيب في هذه الآية طلبه قوم محمد ﷺ في الآية رقم [٩٢] من سورة (الإسراء)، وانظر الآية رقم [٤٨] من سورة (الروم). هذا؛ والسماء يذكر، ويؤنث، والسماء: كل ما علاك، فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء. والسماء: المطر، يقال: ما زلنا نطأ السماء؛ حتى أتيناكم. قال معاوية بن مالك: [الوافر]

إِذَا نَـزَلَ الـسَّـمَـاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَـيْـنَـاهُ، وَإِنْ كَـانُـوا غِـضَـابَـا

أراد بالسماء المطر، ثم أعاد الضمير عليه في رعيناه بمعنى النبات، ويسمى هذا في فن البديع بالاستخدام، وأصل سماء: سماو، فيقال في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة، وجمع السماء: السموات، وهو كثير في القرآن الكريم، ولا يذكرها الله بلفظ الجمع، إلا ويذكر معها الأرض، وكثيراً ما يخصهما الله بالذكر دون مصنوعاته؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، ويجمع السموات دون الأرض، وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة في الصفات، والآثار، والحركات، ويقدمها بالإفراد والجمع على الأرض لشرفها، وعلو مكانها، وتقدم وجودها، ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَسْقِطْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كنت صادقاً فيما تدعيه، فأسقط وقد دل على هذا الشرط ما بعده. (أسقط): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كِسَفًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿كِسَفًا﴾. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٥٤]. هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من قول أصحاب الأيكة، كما هو واضح.

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: شعيب، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي: من نقصان الكيل، والوزن، وبعذابه المنزل عليكم، ومما أوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة، فإنه نازل بكم. فهو تهديد، ووعيد، وهو يفيد أيضاً: إنما عليّ البلاغ، وليس إليّ العذاب الذي سألتموه. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: استمروا على كفرهم، وعنادهم وأعمالهم الخبيثة.

﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أصابهم حرٌّ شديد، فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابةً فهربوا إليها ليستظلوا بها، فلما صاروا تحتها؛ صيح بهم، فهلكوا. وقيل: إن الله حبس عنهم الريح سبعة أيام، وسلّط عليهم الحر حتى أخذ بأنفاسهم، ولم ينفعهم ظلٌّ، ولا ماء، فكانوا يدخلون تحت الأسراب، ليتبردوا فيها، فيجدوها أشد حراً من الظاهر، فهربوا إلى البرية، فأظلتهم سحابة، وهي الظلة، فوجدوا لها برداً، ونسيماً، فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا. وقال يزيد الْجُرَيْرِيُّ: سلّط الله عليهم الحر سبعة أيام، ولياليهن، ثم رفع لهم جبل من بعيد، فأتاه رجل، فإذا تحته أنهار، وعيون، وشجر، وماء بارد، فاجتمعوا كلهم تحته، فوقع عليهم الجبل، وهو الظُّلة، وقيل: غير ذلك. انتهى. قرطبي.

وقال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أمتين: أصحاب مدين، وأصحاب الأيكة، فأهلك الله أصحاب الأيكة بالظلّة، وأما أصحاب مدين فصاح بهم جبريل عليه السلام صيحة، فهلكوا. انتهى.

أقول: وقد ذكر الله قصة شعيب مع أهل مدين بالتفصيل في سورة (الأعراف) وسورة (هود) وأما قصة أهل الأيكة فأشار في سورة (الحجر) إليها إشارة وباختصار، وقد فصلها سبحانه وتعالى في هذه السورة كما ترى، والأمّتان: أصحاب مدين، وأصحاب الأيكة، كانت فعلتهم السيئة هي بخس الكيل، والميزان مقرونة بالكفر بالله، وعدم توحيده، وعبادته. قيل: آمن بشعيب من الأمتين تسعمئة نفر.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى شعيب تقديره: «هو». ﴿رَبِّيٓ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعۡلَمُ﴾: خبر المبتدأ، وهو بمعنى عالم. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَعۡلَمُ﴾، وفاعله مستتر فيه، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية

تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: أعلم بعملكم، والجملة الاسمية: ﴿رَبِّىٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (كذبوه): ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أخذهم): فعل ماض، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿عَذَابُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف إليه، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلظُّلَّةِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿فَأَخَذَهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾، و﴿عَذَابُ﴾ مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾ مضاف إليه، ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة: ﴿يَوْمٍ﴾، وإن اعتبرته صفة: ﴿عَذَابُ﴾، فيكون قد جر على الجوار، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ...﴾ إلخ تعليلية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا آخر القصص السبع المذكورة في هذه السورة على سبيل الاختصار، تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديداً، ووعيداً للمكذبين به، واطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به، واقتراحهم له، استهزاء، وعدم مبالاة به يدفع أن يقال: إنه كان بسبب اتصالات فلكية، أو كان ابتلاءً لهم، لا مؤاخذة على تكذيبهم. انتهى.

أما تكرير بعض الآيات في أول كل قصة وآخرها، كما رأيت بنصها، فقد قال عنه الزمخشري رحمه الله تعالى في كشافه ما يلي: كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به، ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور؛ ألا ترى: أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده؛ كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان، ولأن هذه القصص طرقت بها آذان، وفيها وقر عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره. فكوثرت بالوعظ، والتذكير، وروجعت بالترديد، والتكرير، لعل ذلك يفتح أذناً، أو يفتق ذهناً، أو يصقل عقلاً، طال عهده بالصقل، أو يجلو فهماً، قد غطى عليه تراكم الصدأ. انتهى.

بعد هذا أذكر: أن ذكر الرسل في هذه السورة الكريمة لم يأت مرتباً على وجودهم الزمني في هذه الدنيا؛ لأن ترتيبهم الزمني كما يلي: نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم إبراهيم ولوط كان في زمنه؛ لأنه ابن أخيه، كما قد ذكرت لك فيما سبق، ثم موسى، وشعيب، فإنهما كانا في زمن

واحد، كما ستعرفه في سورة (القصص) إن شاء الله تعالى، وإن كان شعيب أسنَّ من موسى، على نبينا، وحبيبنا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، أما إعراب الآيتين فانظره برقم [٨] و [٩] ففيه الكفاية.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن الكريم. ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: فليس بشعر، ولا بكهانة، ولا أساطير الأولين، ولا غير ذلك مما قالوه. ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ﴾ أي: جبريل ﴿ٱلْأَمِينُ﴾: لأنه أمين على الوحي الذي فيه الحياة، وخاب، وخسر من يقول: تاه الأمين، فإنهم يزعمون: أن الرسالة كانت لعليٍّ، فتاه جبريل، وأعطاها لمحمد ﷺ. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: قال البيضاوي رحمه الله تعالى: هذا تقرير لحقية تلك القصص، وتنبيه على إعجاز القرآن، ونبوة محمد ﷺ، فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها، لا يكون إلا وحياً من الله عز وجل، والقلب إن أريد به الروح؛ فذاك، وإن أريد به العضو؛ فتخصيصه؛ لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح، ثم تنتقل منه إلى القلب؛ لما بينهما من التعلق، ثم تتصعد منه إلى الدماغ، فينتقش بها لوح المتخيلة.

وقال الخازن: وإنما خص القلب بالذكر؛ لأنه هو المخاطب في الحقيقة، وإنه موضع التمييز، والفعل، والاختيار، وسائر الأعضاء مسخرة له، ويدل له قوله ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». أخرجاه في الصحيحين، ومن المعقول: أن موضع الفرح، والسرور، والغم، والحزن هو القلب، فإذا فرح القلب، أو حزن يتغير حال سائر الأعضاء، فكان القلب كالرئيس لها، ومنه: أنَّ موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين، فإذا ثبت ذلك؛ كان القلب هو الأمير المكلَّف، وهو المطلق؛ لأن التكليف مشروط بالعقل، والفهم. انتهى.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: المخوفين من عذاب الله عمَّا يؤدي إليه من فعل منهي عنه، أو ترك مأمور به، والخطاب للنبي ﷺ. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ أي: واضح؛ لئلا يقول كفار قريش: ما نصنع بما لا نفهمه؛ لو نزل بغير العربية، وعلى هذا فالجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿نَزَلَ﴾، ويجوز تعليقهما بـ ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾، فيكون المعنى: لتكون ممن أنذروا بلغة العرب، هم: هود، وصالح، وإسماعيل، وشعيب على نبينا، وحبيبنا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ والضمير المنصوب بقوله: (إنه) والمجرور بقوله: (به) عائدان على القرآن الكريم، ولم يتقدَّم له ذكر، وهو مفهوم من المقام بلا ريب.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: هذا الضمير يحتمل عوده على القرآن الكريم، وعوده على النبي ﷺ، ولم يتقدم له ذكر أيضاً. ﴿لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: فعلى الاعتبار الأول بعود الضمير يكون المعنى، إن هذا القرآن مثبت ذكره في سائر الكتب السماوية المتقدمة. وقيل: إن معانيه فيها، وفيه دليل للحنفية على أن القرآن قرآن، ولو ترجم بغير العربية، فيكون دليلاً على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة، وعلى الاعتبار الثاني بعود الضمير يكون المعنى: إن ذكر محمد ﷺ مثبت في الكتب المتقدمة، كما قال تعالى في سورة (الأعراف): ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾.

هذا؛ وانظر ما ذكرته في ﴿ٱلرُّوحُ﴾ في الآية رقم [٨٥] من سورة (الإسراء)، وشرح: (اللسان) في الآية رقم [٨٤]، وشرح ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في الآية رقم [٥] من سورة (الفرقان)، وإعلال ﴿مُّبِينٍ﴾ في الآية رقم [٢]. هذا؛ والزبر: الكتب جمع: زبور، وهو الكتاب المقصور على الحكم، والمواعظ، مِنْ: زبرت الشيء: إذا حبسته. وقيل: الزبور: المواعظ والزواجر مِنْ وعظته: إذا زجرته، والمراد هنا جميع الكتب التي نزلت على المرسلين، فإنها جميعها بشرت بمحمد ﷺ وبأمته، ونوهت بشأن القرآن الكريم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: حرف استئناف. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَتَنزِيلُ﴾: اللام: هي المزحلقة. (تنزيل): خبر (إنَّ)، و(تنزيل) مضاف، و﴿رَبِّ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿نَزَلَ﴾: فعل ماض. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلرُّوحُ﴾ الذي هو فاعله. ﴿ٱلْأَمِينُ﴾: صفة له. هذا؛ وقد قرئ بتشديد الزاي، ونصب: (الرُّوْحَ الأمينَ)، فيكون الفاعل ضميراً مستتراً يعود إلى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وعليه؛ فالجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وعلى الأول؛ فالجملة الفعلية في محل نصب حال من: (تنزيل رب)، والرابط على الاعتبارين الضمير فقط.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿نَزَلَ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِتَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (تكون)، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿نَزَلَ﴾. ﴿بِلِسَانٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿نَزَلَ﴾، أو بـ ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾ حسب ما رأيت فيما تقدم في الشرح، وأجيز اعتبارهما بدلاً من قوله: ﴿بِهِ﴾ بإعادة الجار. ﴿عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾: صفتان لـ: (اللسان). ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: واو الحال. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير

متصل في محل نصب اسمه. ﴿لَفِي﴾: اللام: هي المزحلقة. (في زبر): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، و﴿زُبُرِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ أي: لأهل مكة الذين أنكروا القرآن، ونبوة محمد ﷺ. ﴿ءَايَةً﴾ أي: علامة تدل على صحة القرآن ونبوة سيد الأنام. هذا؛ وقرئ برفع ﴿ءَايَةً﴾ ونصبها، وقرئ ﴿يَكُن﴾ بالياء والتاء. ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: يعرفون صحة القرآن، وصدق نبوة الرسول ﷺ حيث ذكر بنعته في كتبهم، كما صرحت به الآية السابقة.

قال مجاهد: يعني عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وغيرهما ممن أسلم، كأسد، وأسيد، وثعلبة، وابن يامين؛ الذين أسلموا من اليهود. وقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بعث أهل مكة إلى اليهود بالمدينة، يسألونهم عن محمد ﷺ ونبوته، فقالوا: إن هذا لزمانه، وإنا لنجد في التوراة نعته، وصفته. فيرجع لفظ العلماء إلى كل من كان له علم بكتبهم؛ أسلم، أو لم يسلم على هذا القول، وإنما صارت شهادة أهل الكتاب حجة على المشركين؛ لأنهم كانوا يرجعون في أشياء من أمر الدين إلى أهل الكتاب؛ لأنهم مظنون بهم علم. انتهى. قرطبي.

أقول: قد تقدم في الآية رقم [٢٤] من سورة (الكهف) أن قريشاً بعثوا عمرو بن العاص وغيره إلى المدينة المنورة يسألون اليهود عن محمد ﷺ، فاقترحوا ثلاثة أسئلة على النبي ﷺ انظر ما ذكرته في شرح الآية المذكورة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وإنكار، وتعجب. الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم). ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف بالفعل ﴿يَكُن﴾، على رأي من يجيز تعليق الجار والمجرور بالفعل الناقص، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ءَايَةً﴾، كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة؛ إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿ءَايَةً﴾: خبر ﴿يَكُن﴾ مقدم. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَعْلَمَهُۥ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿عُلَمَٰٓؤُا۟﴾: فاعل، و﴿عُلَمَٰٓؤُا۟﴾ مضاف، و﴿بَنِىٓ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِىٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل رفع اسم ﴿يَكُن﴾ مؤخر.

هذا؛ وقرأ ابن عامر: (تكنْ) بالتاء، و(آيةٌ) بالرفع، والفعل على هذه القراءة يحتمل النقصان والتمام، فعلى الأول يكون (آيةٌ) اسم (تكن) مؤخر، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ في محل رفع بدل من (آيةٌ)، أو (إنَّ) الاسم ضمير القصة، و(آيةٌ) خبر مقدم، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب خبر (تكن)، وأما على التمام فـ: (آيةٌ) فاعل (تكن)، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ في محل رفع بدل من (آيةٌ)، والجار والمجرور: ﴿لَّهُمْ﴾ متعلقان بمحذوف حال من: (آيةٌ) على مثال ما سبق، أو: هما متعلقان بالفعل (تكن)، وأجيز على التمام أيضاً أن تكون (آيةٌ) فاعل (تكن)، والمصدر المؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي أن يعلمه. هذا؛ وأجاز الزجاج كون ﴿ءَايَةً﴾ اسم (تكن) على النقصان، والمصدر المؤول في محل نصب خبره، وهو مردود بأنه لا يخبر بالمعرفة عن النكرة إلا في ضرورة الشعر، كما في قول القطامي: [الوافر]

قِفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعَا ... وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا

وأيضاً قول حسان ـ رضي الله عنه ـ قبل تحريم الخمرة من قصيدة يمدح بها النبي ﷺ، ويندد بكفار قريش ويتهدَّد شعراءهم: [الوافر]

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

وهذان البيتان هما الشاهدان رقم [٨٢٢ ـ ٨٢٣] من كتابنا فتح القريب.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾: الضمير يعود إلى القرآن. ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ أي: على رجل ليس بعربي اللسان. ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟...﴾ إلخ: أي بغير لغة العرب؛ لما آمنوا، ولقالوا: لا نفقه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ الآية رقم [٤٤] من سورة فصلت، وقيل: معناه: ولو نزلناه على رجل ليس من العرب؛ لما آمنوا به أنفةً، وكبراً، وعناداً، واستنكافاً من اتباع العجم.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الضمير للكفر المدلول عليه بقوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ فتدل الآية على أنه بخلق الله. وقيل: الضمير للقرآن، أي: أدخلناه في قلوب المجرمين، فعرفوا معانيه، وإعجازه، ثم لم يؤمنوا به عناداً. وهذا أقوى؛ لأن قوله تعالى: ﴿لَا

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يؤيده، وذلك بإرجاع الضمير إلى القرآن أيضاً، ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: الملجئ إلى الإيمان. هذا؛ ويؤيد إرجاع الضمير الأول للكفر قوله تعالى في سورة (الحجر): ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الآية رقم [١٢] وقد ذكرت هناك أن هذه الآية ترد على القدرية والمعتزلة، وهي أبين آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق، ولم يعاند.

هذا؛ والسَّلْك: إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط، والرمح بالمطعون، وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. هذا؛ وكثيراً ما يعبر القرآن عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، ونحو ذلك، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات؛ فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يتوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، ولا سيما من قرأ القرآن، واطَّلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكل الله بهم؟ وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب، ورحم الله البيضاوي؛ حيث قال: والتعبير عن الكافرين بالمجرمين؛ ليكون لطفاً للمؤمنين في ترك الجرائم. وأضيف في ترك الكذب، والفسوق، والإسراف، والظلم، والاعتداء، وغير ذلك من الأعمال التي يبغضها الله، ورسوله.

أما ﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾: فهو جمع: أعجمي، والقياس: أعجميين، وبه قرأ الحسن، وقد حذفت ياء النسب من الأعجمين لثقلها، كما يقالُ: الأشعرين، جمع أشْعَرِيّ، وقيل: هو جمع: أعجم، وفيه بعدٌ؛ لأن ما كان من الصفات الذي مؤنثه (فعلاء) لا يجمع بالواو والنون، ولا بالألف والتاء، فلا يقال: أحمرون ولا حمراوات، وبالأول قال أبو الفتح بن جني، وهو مذهب سيبويه، والبصريين. وبالثاني قال الكوفيون. والمعتمد قول البصريين، وانظر ما ذكرته في سورة (الصافات) رقم [١٢٨].

والأعجمي: هو الذي لا يفصح في كلامه، والعرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم، ولا يتكلم بكلامهم أعجميّاً. وقال الفراء: الأعجم: هو الذي في لسانه عجمة، وإن كان عربيّاً، ومنه سمي زياد الأعجم؛ لأنه كان في لسانه عجمة، أي: لكنة مع كونه من العرب، والأعجمي، والعجمي: الذي أصله من العجم، فهو منسوب إليه. هذا؛ والأعرابي: هو الذي يسكن البادية، والعربي: هو الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب، وهو منسوب إلى العرب، وجمع الأول: الأعراب، كما في الآية رقم [٩٠] من سورة (التوبة) وما بعدها، وجمع الثاني: العرب، والْعَرَب، والْعُرْب واحد، كالْعَجَم، والْعُجْم، فبينهما طباق التضاد.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿نَزَّلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿عَلَىٰ بَعْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَعْضِ﴾ مضاف،

و﴿ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿فَقَرَأَهُۥ﴾: الفاء: حرف عطف. (قرأه): فعل ماض، والهاء مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿نَزَّلۡنَٰهُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿عَلَيۡهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بـ ﴿مُؤۡمِنِينَ﴾ بعدهما. ﴿مُؤۡمِنِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿مَّا كَانُواْ...﴾ إلخ جواب (لو) لا محل لها من الإعراب، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده؛ أي: سلكنا التكذيب به بقراءة النبي مثل إدخالنا التكذيب به في قلوبهم بقراءة الأعجمي، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، وانظر إعراب (أنجينا) في الآية رقم [١١٩]. ﴿فِي قُلُوبِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿قُلُوبِ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، أو من: ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، والرابط على الاعتبارين الضمير فقط، أو الجملة مستأنفة، لا محل لها من الإعراب. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أنْ» مضمرة. ﴿يَرَوُاْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلۡأَلِيمَ﴾: صفة له، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَيَأۡتِيَهُم﴾: الفاء: حرف عطف. (يأتيهم): فعل مضارع معطوف على ﴿يَرَوُاْ﴾ منصوب مثله، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. هذا؛ وقرأ الحسن: (فتأتيهم) بالتاء، والمعنى: فتأتيهم الساعة بغتة. فأضمرت لدلالة العذاب الواقع فيها، ولكثرة ما في القرآن من ذكرها. ﴿بَغۡتَةً﴾: حال من الفاعل المستتر بمعنى: باغتاً، أو: باغتة، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: تبغتهم بغتة، وتكون هذه الجملة في محل نصب حال من الفاعل المستتر. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿بَغۡتَةً﴾ مصدراً للفعل يأتي من غير لفظه، كقولهم: أتيته ركضاً، فتكون ﴿بَغۡتَةً﴾ نائب مفعول مطلق. ﴿وَهُمۡ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشۡعُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والمتعلق محذوف، التقدير:

لا يشعرون بإتيانه، أو بإتيانها، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ أي: مؤخرون وممهلون يطلبون الرجعة حين يفاجئهم العذاب، فلا يجابون، ويقولون ذلك تحسراً، وتأسفاً. ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: يطلبون العذاب، فيقولون: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾، ويقولون: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: خطاب للنبي ﷺ، بمعنى: أخبرني ماذا يكون حالهم، وشأنهم. ﴿إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ أي: تركناهم أحياء سنين يتلذذون، ويتنعمون في هذه الدنيا، ومشتهياتها، ولذائذها. قال يحيى بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ: أشد الناس غفلة من اغتر بحياته، والتذ بمراداته، وسكن إلى مألوفاته؛ والله يقول: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾. ﴿ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: من العذاب. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ أي: به في تلك السنين.

والمعنى: أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن، ولا لاحق بهم، وأنهم ممتعون بأعمار طوال، في سلامة، وأمن، فقال الله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أشراً، وبطراً، واستهزاءً، واتكالاً على الأمل الطويل. ثم قال: هب: أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم، وتعميرهم، فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك لا ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم، وطيب معايشهم.

وعن ميمون بن مهران: أنه لقي الحسن البصري في الطواف، وكان يتمنى لقاءه، فقال له: عظني، فلم يزده على تلاوة هذه الآية، فقال ميمون: قد وعظت، فأبلغت! وعن الزهري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: إن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ كان إذا أصبح؛ أمسك بلحيته، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ... يُمَتَّعُونَ﴾ ثم يبكي ويقول: [الطويل]

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمُ
فَلَا أَنْتَ فِي الأَيْقَاظِ يَقْظَانُ حَازِمٌ ... وَلَا أَنْتَ فِي النُّوَّامِ نَاجٍ فَسَالِمُ
تُسَرُّ بِمَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بِالْمُنَى ... كَمَا سُرَّ بِاللَّذَّاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمُ
وَتَسْعَى إِلَى مَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ

هذا؛ ويكثر النهي في القرآن الكريم عن العجلة، واستعجال الشيء قبل أوانه، وهذا النهي أكثر ما يوجه للكافرين الذين طلبوا استعجال العذاب، وقد يوجه إلى بني آدم جميعاً، وقد توجه إلى النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ الآية رقم [١١٤] من سورة (طه)، بينما حث الله تعالى على فعل الطاعات، فقال في سورة (آل عمران): ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٣٣]، وقال في سورة (الحديد): ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [٢١] كما وصف أنبياءه ورسله بأنهم كانوا يسارعون في الخيرات، وهذا لا يناقض: «العجلة من الشيطان، والتأني من الرحمن»؛ لأن المسارعة إلى الطاعات مستثناة من ذلك، كما أن هناك أموراً تسن المبادرة إلى فعلها، كأداء الصلاة المكتوبة؛ إذا دخل وقتها، وقضاء الدين بحق الموسرِ، وتزويج البكر البالغ إذا أتى الكفؤ، ودفن الميت، وإكرام الضيف إذا نزل، وخذ ما يلي، فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ له: «**يَا عَلِيُّ! ثَلَاثٌ لَا تُؤَخِّرْهَا: الصَّلَاةُ إِذَا أَتَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفْؤاً**». رواه الترمذي.

الإعراب: ﴿فَيَقُولُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (يقولوا): معطوف على: ﴿يَرَوُاْ﴾، فهو منصوب مثله، وقال القشيري: وقوله: ﴿فَيَأْتِيَهُم﴾ ليس عطفاً على قوله: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ﴾ بل هو جواب قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلما كان جواباً للنفي انتصب، وكذلك قوله: ﴿فَيَقُولُواْ﴾ وعلامة النصب حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى هذا الوجه تكون «أن» مضمرة بعد الفاء، وتؤول مع الفعل بمصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لم يكن منهم إيمان، فإتيان العذاب بغتة، فقولهم. . .إلخ. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿مُنظَرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وتعجب. الفاء: حرف استئناف. (بعذابنا): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف. ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على مقدر يقتضيه المقام، التقدير: أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون. . . إلخ. ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف عطف. (رأيت): فعل، وفاعل. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿مَّتَّعْنَٰهُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(نا) فاعله، والهاء مفعول به. ﴿سِنِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم،

والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، تقديره: لم يغن عنهم تمتعهم، والجملة الشرطية معترضة بين الفعل: (رأيت) ومفعوليه، وأيضاً بين الفعلين المتعاطفين.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿مَّا﴾: اسم موصول تنازعه (رأيت) يطلبه مفعولاً أول، و﴿جَآءَهُم﴾ يطلبه فاعلاً، فإذا أعملنا الأول أضمرنا في الثاني ضميراً يعود عليه، التقدير: ثم جاءهم هو، أي الذي كانوا يوعدونه، وإذا أعملت الثاني، وهو جاءهم أعملت الأول في ضميره، ولكنه حذف؛ لأنه فضلة، وهو المفعول الأول له. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يُوعَدُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ صلة ﴿مَّا﴾ أو صفتها؛ إن اعتبرتها نكرة موصوفة، والعائد، أو الرابط محذوف، وهو المفعول الثاني.

﴿مَآ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وقيل: في محل نصب مفعول به مقدم للفعل بعده. ﴿أَغْنَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿عَنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل: ﴿أَغْنَىٰ﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ما أغنى عنهم الذي، أو شيء كانوا يمتعون به، وعلى اعتبار ﴿مَّا﴾ مصدرية، تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل: ﴿أَغْنَىٰ﴾، التقدير: ما أغنى عنهم تمتعهم، أو كونهم متمتعين، وجملة: ﴿أَغْنَىٰ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَآ أَغْنَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان، للفعل: (أرأيت) وجملة: ﴿أَفَرَءَيْتَ...﴾ إلخ معطوفة على: ﴿فَيَقُولُوا۟...﴾ إلخ وما بينهما اعتراض. انتهى. جمل. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) الثانية حرف نفي، كما أجيز اعتبار الأولى حرف نفي، والثانية اسماً موصولاً والمعتمد ما ذكرته أولاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ أي: بنوع من أنواع العذاب المتقدمة. ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ أي: رسل ينذرونهم، أي: ينذرون أهل القرية؛ لئلا يكون لهم حجة يوم القيامة. ﴿ذِكْرَىٰ﴾ أي: ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم، فلا يعصوا مثل عصيانهم. ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أي: فنهلك

قوماً غير مستحقين العذاب، أو ما كنا ظالمين في تعذيبهم، حيث أرسلنا إليهم رسلاً، فلم يؤمنوا، وقطعنا حجتهم.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرْيَةٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُنذِرُونَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿قَرْيَةٍ﴾، وجاز مجيء الحال من النكرة لتقدم النفي عليها، ولم يجوز ابن هشام اعتبار الجملة صفة للفصل بـ: ﴿إِلَّا﴾؛ فإنه قال: ولما جاءت ﴿إِلَّا﴾ امتنعت الوصفية، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ الآية رقم [٤] من سورة (الحجر)، فللوصفية مانعان: الواو، و﴿إِلَّا﴾، ولم ير الزمخشري، وأبو البقاء واحداً منهما مانعاً، وكلام النحويين بخلاف ذلك. وقال الأخفش: لا تفصل «إلا» بين الموصوف وصفته. انتهى. مغني اللبيب. وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف تركت الواو من الجملة بعد ﴿إِلَّا﴾، ولم تترك منها في آية الحجر، قلت: الأصل ترك الواو؛ لأن الجملة صفة لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف، كما في قوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾. انتهى. سمين.

﴿ذِكْرَىٰ﴾: مفعول لأجله، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف، وعليهما فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، وقيل: هي صفة: ﴿مُنذِرُونَ﴾ على تقدير: ذوو ذكرى، فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه، أو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي ذكرى، وعليه فهذه الجملة معترضة. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): ضمير متصل في محل رفع اسمها. ﴿ظَالِمِينَ﴾: خبر كان منصوب، وجملة: ﴿كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في محل نصب حال من (نا) والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن. ﴿ٱلشَّيَاطِينُ﴾: فهذا رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما تلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان: أنه نزل به الروح الأمين، فقد أكذبهم الله تعالى بهذه الآية، وعليه فلا يكون سحراً، ولا كهانة، ولا شعراً، ولا أضغاث أحلام، كما يقولون. ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ﴾ أي: وما يصلح للشياطين أن ينزلوا بالقرآن الكريم. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: لا يقدرون على إنزال القرآن. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ أي:

هم محجوبون عن سماع كلام الملائكة بالرمي بالشهب، فلا يصلون إلى استراق السمع من الملائكة، وقد بين الله ذلك في الآيتين رقم [١٧] و [١٨] من سورة (الحجر)، وفي مطلع سورة (الصافات) وقد بيّن البيضاوي العلة في منعهم من سماع الملائكة، فقال: لأنه مشروط بمشاركة في صفات الذات، وقبول فيضان الحق، والانتعاش بالصور الملكوتية، ونفوسهم خبيثة ظلمانية، شريرة بالذات لا تقبل ذلك، والقرآن مشتمل على حقائق، ومغيبات، لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿تَنَزَّلَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَنۢبَغِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى المفهوم من الفعل السابق، التقدير: وما ينبغي النزول لهم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من: ﴿ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير المجرور محلاً باللام. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (معزولون): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة... إلخ، والجملة الاسمية تعليل للنفي، لا محل لها.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَا تَدْعُ...﴾ إلخ: هذا الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، كقوله تعالى له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ وحاشاه ﷺ أن يشرك باتخاذ إله مع الله تعالى. هذا؛ و: (لا تدع) يحتمل أن تكون من الدعاء، وهو النداء، وأن يكون بمعنى العبادة، فيتعدى لواحد، وأن يكون بمعنى التسمية، وعليه الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي في الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء)، فيتعدى لاثنين، كما قال الشاعر: [الطويل]

دَعَتْنِي أَخَاهَا أُمُّ عَمْرٍو، وَلَمْ أَكُنْ ... أَخَاهَا، وَلَمْ أَرْضَعْ لَهَا بِلَبَانِ

دَعَتْنِي أَخَاهَا بَعْدَ مَا كَانَ بَيْنَنَا ... مِنَ الْفِعْلِ مَا لَا يَفْعَلُ الأَخَوَانِ

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: الفصيحة، ولا وجه له. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَدْعُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مَعَ﴾: ظرف

مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف مفعول به ثان تقدم على الأول على حسب ما رأيت في الشرح، أو هو متعلق بمحذوف حال من ﴿إِلَٰهًا﴾ كان صفة له... إلخ. و﴿مَعَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة له. ﴿فَتَكُونَ﴾: الفاء: للسببية. (تكون): فعل مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد فاء السببية، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (تكون)، و«أن» المضمرة والفعل (تكون) في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منك دعاء... فكون من المعذبين.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾

الشرح: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فهر! يا بني عدي!**» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولاً، لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم: أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟**». قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ...﴾ إلخ. متفق عليه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٤] من سورة (الحجر).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال: «**يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب! لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباسُ بن عبد المطلب، لا أغني عنكَ من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنكِ من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله! سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنكِ من اللهِ شيئاً**». متفق عليه.

هذا؛ والعشيرة: أقرباء الإنسان الذين يعيشون معه، ويعاشرونه، ومن الجدير بالذكر: أن العشيرة آخر طبقة من الطبقات السبع التي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة، والعشيرة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل، والفصيلة تجمع العشائر، وليس بعد العشيرة شيء يوصف عند العرب، واستحدث اسم الأسرة أو العائلة لما يشمل الزوج، والزوجة، وأولادهما الذين يعيشون في دار واحدة، وأخيراً اسمع قول العلي القدير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

تنبيه: ما تقدم يدل على أن القرب في الأنساب لا ينفع مع البعد في الأسباب، أي في الأعمال الصالحة، وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**». وروي: أنه قال لعمه، ولعمته، وبناته: «**لَا يَأْتِينِي الناسُ بالأعمال، وتَأْتوني بالأَنْسَابِ**».

وفي الآية دليل على جواز صلة الكافر، وإرشاده، ونصيحته، ولا سيما إذا رأى منه ليناً، وميلاً إلى الإسلام، ولقد سها الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ حيث ذكر في النداء المتقدم ذكره قوله: «**ثم قال: يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمَّة محمد، اشترين أنفسكن من النار، فإني لا أغني عنكن من الله شيئاً**». وأين عائشة، وأين كانت حفصة ـ رضي الله عنهما ـ وعن والديهما؛ حين خاطب النبي ﷺ عشيرته بهذا الخطاب، حين نزلت عليه الآية الكريمة!؟.

الإعراب: ﴿وَأَنذِرْ﴾: الواو: حرف عطف. (أنذر): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت».

﴿عَشِيرَتَكَ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: صفة ﴿عَشِيرَتَكَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَأَنذِرْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (لا تدع....) إلخ لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: ألن جانبك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ وتواضع لهم، فالطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع على الأرض؛ كسر جناحه، وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجُعِل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع، ولين الجانب، ومنه قول بعضهم: [المتقارب]

وَأَنْتَ الشَّهِيرُ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ فَلَا تَكُ فِي رَفْعِهِ أَجْدَلَا

الأجدل: الصقر، ونحوه من الطيور الجوارح، فالشاعر ينهى ممدوحه عن التكبر بعد التواضع، ففي الآية الكريمة استعارة مكنية، وهي ما حذف فيها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، فقد استعير الطائر للذل، ثم حذفه ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح، وإثبات الجناح للذل يسمونه: استعارة تخييلية، ومثل الآية قول أبي ذؤيب الهذلي: [الكامل]

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

حيث أثبت الأظفار للمنية، وهي لا ترى، ولا تشاهد على طريقة الاستعارة التخييلية، وأيضاً قول لبيد بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

وَغَـداةَ رِيـحٍ قَـدْ كَـشَـفْـتُ وَقُـرَّةٍ إِذْ أَصْـبَـحَـتْ بِـيَـدِ الـشَّـمَـالِ زِمَـامُـهَـا

فقد جعل للشمال يداً، وللقرة ـ أي: البرد ـ زماماً على مثال ما رأيت، والبيت من معلقته رقم [١٦].

تنبيه: قال الزمخشري في الكشاف: فإن قلت: المتبعون للرسول هم المؤمنون، والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؟ قلت: فيه وجهان: أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين؛ لمشارفتهم ذلك، وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم، وهم صنفان: صنف صدق، واتبع رسول الله فيما جاء به، وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب، ثم إما أن يكونوا منافقين، أو فاسقين، والمنافق، والفاسق لا يخفض لهما الجناح. والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم، يعني: أنذر قومك، فإن اتبعوك، وأطاعوك، فاخفض لهم جناحك، وأن عصوك، ولم يتبعوك؛ فتبرأ منهم، ومن أعمالهم من الشرك بالله، وغيره. انتهى. كشاف، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱخْفِضْ﴾: الواو: حرف عطف. (اخفض): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿جَنَاحَكَ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِمَنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) لا محل لها. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل (اتبعك)، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ)، وجملة ﴿وَٱخْفِضْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

الشرح: المعنى: أنذر قومك، فإن اتبعوك، وأطاعوك؛ فاخفض جناحك لهم، وإن عَصَوْك، ولم يتبعوك؛ فتبرأ منهم، ومن أعمالهم من الشرك بالله، وغيره. هذا؛ وأصل: (عصوا) قبل دخول واو الجماعة «عَصَوَ» فقل في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فلما اتصلت به واو الجماعة صار «عَصَاوْا» فالتقى ساكنان: ألف العلة، وواو الجماعة، وحرف العلة أولى بالحذف من الضمير، فحذف حرف العلة، وبقيت الفتحة على الصاد دليلاً على الألف المحذوفة، ويقال في إعلاله أيضاً: ردت الألف لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار «عَصَوُوا» فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت ألفاً، فالتقى ساكنان: ألف العلة. . . إلخ، كما يقال أيضاً: ردت الألف لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار «عصوُوا» فاستثقلت الضمة على الواو فحذفت، فالتقى ساكنان: واو العلة وواو الجماعة، فحذفت واو العلة. . . إلخ، وما ذكرته يجري في إعلال كل فعل ناقص، اتصل به واو الجماعة، مثل: نجا،

ورمى، وسعى، ودعا، وغزا... إلخ. تنبه لذلك، واحفظه. هذا؛ وتحرك واو الجماعة بالضمة إذا التقى معها ساكن، مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ وإنما حركت بالضم دون غيره ليفرق بين واو الجماعة، والواو الأصلية في نحو قولك: «لَوِ اجْتَهَدتَ؛ لَنَجَحْتَ». وقيل: ضمت؛ لأن الضمة أخف من الكسرة؛ لأنها من جنس الواو، وقيل: حركت بحركة الواو المحذوفة، وقيل: غير ذلك.

الإعراب: ﴿فَإِنۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿عَصَوۡكَ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقُلۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قل): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿بَرِيٓءٞ﴾: خبر (إنَّ). ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَرِيٓءٞ﴾؛ لأنه صفة مشبهة، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بريء من الذي، أو من شيء تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ) التقدير: بريء من عملكم، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُلۡ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾

الشرح: ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ أي: على الله يكفيك شر من يعصيك منهم، ومن غيرهم. والتوكل: تفويض الرجل الأمر إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه، وضره، وقالوا: المتوكل من إن دهمه أمر؛ لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله، فعلى هذا: إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصه، لم يخرج عن حد التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله، وإنما هو من تعاطي الأسباب في دفع المحنة.

﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: القوي، القاهر، الغالب؛ الذي لا يغلبه شيء. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: بعباده المؤمنين، فهو الذي ينصرك على أعدائك. ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: حين تقوم إلى الصلاة تتهجد في قول أكثر المفسرين، وهو قول ابن عباس وغيره. وقال مجاهد: يعني: حين تقوم حيثما كنت. ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى: ويرى تقلبك في صلاتك

في حال قيامك، وركوعك، وسجودك، وقعودك. وقيل: مع المصلين في الجماعة، يقول: يراك إذا صليت وحدك، ومع الجماعة. وقيل: معناه: يرى تقلب بصرك في الساجدين، أي: المصلين، فإنه ﷺ كان يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَاهنَا، فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ، وَلَا رُكُوعُكُمْ، إنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي**». وقيل: معناه: يرى تصرفك، وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين، وتصفح أحوال المجتهدين منهم، وكيف يعبدون الله، وكيف يعملون لآخرتهم، كما يحكى: أنه حين نسخ فرض قيام الليل؛ طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه؛ لينظر ما يصنعون؛ لحرصه عليهم، وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات، وتكثير الحسنات، فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله، وتلاوة القرآن. انتهى. كشاف.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما، وهو قول آخر له ـ: أراد: وتقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي؛ حتى أخرجتك في هذه الأمة، ويؤيد هذا ما روي من قوله ﷺ: «**أَنَا أَشْرَفُكُمْ نَسَباً، وَحَسَباً، وَصِهْراً، خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ كنكاحِ الإِسْلَامِ لَمْ يُصِبْنِي من سفاحِ الجاهليةِ شيءٌ**». وقوله ﷺ: «**لَمْ أَزَلْ أَنْتَقِلُ مِنَ الأَصْلَابِ الطَّاهِرَاتِ إلى الأرحامِ الزَّاكياتِ**». والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ ويكون على الرأي الأخير ﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ بمعنى: المؤمنين، ويكون جميع أصوله رجالاً ونساءً مؤمنين من لدن آدم وحواء إلى عبد الله، وآمنة، وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم، فإنه كان كافراً بمقتضى نص الآيات القرآنية، وأجاب بعضهم: بأنه كان عم إبراهيم لا أباه، وأجاب بعضهم بجواب أحسن من هذا، وهو أن قولهم: أصول محمد ﷺ لم يدخلهم الشرك: محله ما دام النور المحمدي في الذكر، وفي الأنثى، فإذا انتقل منه لمن بعده أمكن أن يعبد غير الله، وآزر ما عبد الأصنام، إلا بعد انتقال النور منه لإبراهيم، وأما قبل انتقاله؛ فلم يعبد غير الله.

الإعراب: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: الواو: حرف عطف، وقرىء بالفاء. (توكل): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة بالواو على جملة: (أنذر....) إلخ لا محل لها مثلها، وعلى قراءة الفاء، فهي معطوفة على جملة: (قل...) إلخ وهي متضمنة معنى البدلية منها. ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: بدل من العزيز. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾، أو في محل جر بدل منهما، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الذي، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني، أو أمدح، ونحوهما. ﴿يَرَىٰكَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول

لا محل لها. ﴿حِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿تَقُومُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حِينَ﴾ إليها. ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾: الواو: حرف عطف. (تقلبك): معطوف على الكاف، هذا هو الظاهر، وأرى: أنه منصوب بفعل محذوف، تقديره: ورأى (تقلبك) و لا سيما على الوجه الأخير في الشرح، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالمصدر (تقلبك). ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: ﴿هُوَ﴾ توكيد لاسم (إنَّ) على المحل. وثانيها: ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل لا محل له، وعليهما فخبر (إنَّ) هو ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾. وثالثها: هو مبتدأ، و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ...﴾ إلخ تعليل لما قبلها، لا محل لها. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بدل مما قبله.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: أخبركم أيها المشركون. ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: هذا جواب لقولهم: ينزل على محمد ﷺ شيطان يعلمه، ويلقي إليه ما يقوله. ثم بين على من تنزل الشياطين حيث قال جل ذكره: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ أي: كذاب كثير الإفك. ﴿أَثِيمٍ﴾: مرتكب للآثام، وهم الكهنة، والمتنبئة، مثل: سطيح، وطليحة بن خويلد الأسدي، ومسيلمة الكذاب، أما محمد ﷺ؛ فإنه يشتم الأفاكين، ويذمهم، وينهى عن مجالستهم، وعن الأخذ منهم، فكيف تنزل الشياطين عليه؟

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ أي: ما يسمعونه من الملائكة يلقونه إلى الكهنة، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كانت الشياطين لا يُحجبون عن السموات، وكانوا يدخلونها، ويأتون بأخبارها إلى الكهنة، فيلقونها إليهم، فلما ولد عيسى عليه السلام؛ مُنِعُوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ؛ مُنِعُوا من السموات أجمع، فما منهم من أحد يريد أن يسترق السمع إلا رُمي بشهاب، فلمَّا مُنِعُوا من تلك المقاعد؛ ذكروا ذلك لإبليس، فقال: لقد حدث في الأرض حدث، فبعثهم ينظرون، فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن، فقالوا: هذا؛ والله حدث!.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ في السماءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لقولِهِ، كَأَنهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلوبِهِمْ؛ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ الْحَقُّ، وَهو العليُّ الكبيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، ومسترقو السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ـ ووصف سفيانُ بكفِّهِ، فَحَدَّقَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ـ فَيَسْمَعُ الكلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إلى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيْهَا الآخَرُ إلى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ، أو الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ**

الشِّهابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَها، وَرُبَّما أَلْقاها قَبْلَ أن يُدْرِكَهُ، فيكذِبَ مَعَها مئةَ كِذْبَةٍ، فَيُقالُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ قالَ لَنا: كَذا، وَكَذا؟ فيصدُقُ بتلكَ الْكَلِمةِ التي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ». أخرجه البخاري.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾: فيما يوحون به إليهم؛ لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا، وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم، والأفاك: هو الذي يكثر الإفك، وانظر شرح (يأفكون) في الآية رقم [٤٥].

الإعراب: ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا»، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل جر بـ: «على»، والجار والمجرور متعلقان بالفعل بعدهما، والجملة الفعلية: ﴿عَلَىٰ مَن...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني، والثالث، إن جعل ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ متعدياً لثلاثة، ومسد الثاني فقط، إن جعل متعدياً لاثنين، وقد علق الفعل ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ عن العمل لفظاً بالمفعول الثاني، أو بالمفعول الثاني، والثالث بسبب الاستفهام، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿تَنَزَّلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، تقديره: «هي»، وقد حذفت التاء منه، ومن سابقه؛ لأن أصلها: «تتنزل»، والجملة الفعلية هذه بدل من سابقتها على مثال ما رأيت في الآية رقم [١٣٣] والثانية هنا أوضح من الأولى لأنها فصلت معنى ﴿مَن﴾ الاستفهامية وبينتها، مثل الآية [١٣٣]. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿أَفَّاكٍ﴾: مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف. ﴿أَثِيمٍ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف.

﴿يُلْقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل تنزل المستتر العائد إلى الشياطين، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (أكثرهم): مبتدأ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿كَٰذِبُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾: جمع شاعر، والأصل في: «فعلاء» أن يكون جمع: «فعيل» مثل: ظريف، وظرفاء، وشريف، وشرفاء؛ لأن فعيلاً إنما يقع لمن قد كمل ما هو فيه، فلما كان

«شاعر» إنما يقال لمن عرف بالشعر؛ شبه بفعيل، ودخلته ألف التأنيث الممدودة لتأنيث الجماعة، كما تدخل الهاء في: صياقلة، وزنادقة. وقال الأخفش: الشاعر مثل: لابن، وتامر، أي: صاحب شعر، وقد سمي الشاعر شاعراً لفطنته، وهو الفقيه أيضاً، والشاعر مأخوذ من قولهم: ما شعرت بهذا الأمر، أي: ما فطنت له، وقوله تعالى في كثير من الآيات في حق الكافرين والمنافقين والفاسقين: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يفطنون، ولا يتدبرون ما يقع بهم من الخزي، والوبال، والنكال في الدنيا، والآخرة.

﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: قال أهل التفسير: أراد الله بهذه الآية شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي ﷺ مثل عبد الله بن الزِّبَعْرى، وأبو عزة الجمحي، وأضرابهما، ويجتمع إليهم سفهاء قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه، وكانوا يروون عنهم قولهم، فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ أي: فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين. وفي روايةٍ: أن رجلين: أحدهما من الأنصار، والثاني من المهاجرين تهاجيا على عهد رسول الله ﷺ، ومع كل واحد غواة قومه، وهم: السفهاء. والمعتمد الأول.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ أي: ألم تنظر إليهم أنهم في كل واد من أودية الشعر يتحيَّرون ويتردَّدون، وعن طريق الحق يحيدون، ويخرجون. وهذا من باب الاستعارة البليغة، والتمثيل الرائع، شبه جَوَلانهم في أفانين القول بطريق المدح والذم، والتشبب، وأنواع الشعر بهيام الهائم في كل وجهٍ وطريق، والهائم هو الذي يخبط في طريقه، ولا يقصد موضعاً معيناً، يقال: هام على وجهه، أي: ذهب، والهائم: العاشق من ذلك، والهيمان: العطشان، والهيام: داء يأخذ الإبل من العطش. وجمل أهيم، وناقة هيماء، والجمع: هِيم قال تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ وذلك في سورة (الواقعة). انتهى جمل نقلاً عن السمين. وينبغي أن تعلم: أنه لا يوجد لفظ: ﴿يَهِيمُونَ﴾ في غير هذه السورة، فهو لفظ مفرد لا ثاني له. هذا؛ وأودية الشعر: أنواعه، وأغراضه، وفنونه من تشببٍ في النساء، والتغزل بحسنهن، وجمالهن، وتمزيق الأعراض، والقدح في الأنساب، والوعد الكاذب، والافتخار بالباطل، ومدح من لا يستحق المدح، وذم من لا يستحق الذم، حتى إنهم ليفضلون أجبن الناس على عنترة، وأبخلهم على حاتم، وأفسقهم على أتقى الناس، وإلى هؤلاء يتوجه الوعيد الشديد من النبي ﷺ، وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحاً حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْراً**». ومعنى «يريه»: يقذفه بسبب شدة الامتلاء. خرَّج الحديث مسلم، رحمه الله تعالى. وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ؛ إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله ﷺ: «**خُذُوا الشَّيْطَانَ ـ أَوْ ـ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ؛ لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحاً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْراً**». أخرجه مسلم وغيره.

قال العلماء: إنما فعل النبي ﷺ هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله، فلعلَّ هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله أنه اتخذ الشعر طريقاً للتكسب، فيفرط في المدح إذا أُعْطِيَ، وفي الهجو، والذم إذا مُنِعَ، فيؤذي الناس في أموالهم، وأعراضهم، فهذا حكم الشعر المذموم، وحكم صاحبه، فلا يحل سماعه، ولا إنشاده في مسجد، وغيره.

هذا؛ ويجدر بي أن أقول إن هناك شعراً لا يُمنع الإنسان من إنشاده، ولا من سماعه، وهو كثير منه ما تضمن ذكر الله، وحمده، والثناء عليه، أو ذكر الرسول ﷺ أو مدحه، وقد مدحه عمُّه العباس ـ رضي الله عنه ـ فقال له: «**لَا يَفْضُضِ الله فَاكَ**». وكان يحب النبي ﷺ أن يسمع ما قاله فيه عمه أبو طالب من قصائد، وأشعار، أو تضمن الشعر دفاعاً، وذبّاً عنه ﷺ وعن الإسلام، وما قاله حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك ـ رضي الله عنهم ـ من قصائد في هذا الباب كثير، ومشهور، ومحفوظ، وقد أنشد كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ النبي ﷺ قصيدته المشهورة: (بَانَتْ سُعَادُ) فلم ينكر عليه، بل سمعها كلَّها منه.

وكثيراً ما كان رسول الله ﷺ يحث حسان، وعبد الله بن رواحة، وغيرهما على هجاء المشركين، فعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال يوم قريظة لحسان: «**اهْجُ المشركينَ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ**». متفق عليه. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ، وينافح، ويقول رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الله يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ القُدُسِ مَا نَافَحَ، أَوْ فَاخَر عَنْ رسُولِ الله**». أخرجه البخاري.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**اهْجُوا قُرَيْشاً، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا من رَشْقٍ بالنَّبْلِ**». فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: «**اهجُهُمْ**». فهجاهم، فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: «قَدْ آن لكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلى هَذَا الأَسْدِ الضَّارِبِ بِذَنبِهِ» ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه، فقال: والذي بَعَثَكَ بالحق لأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأديم. أخرجه مسلم، والفري: الشق. والأديم: الجلد.

وروى الترمذي، وصححه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه، ويقول ـ رضي الله عنه ـ: [الرجز]

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ اَلْيَوْمَ نَضْرِبكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: يا بن رواحة في حرم الله، وبين يدي رسول الله ﷺ؟! فقال له النبي ﷺ: «**خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ! فَلَهُوَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ**». وانظر ما ذكرته عن عمر ـ رضي الله عنه ـ في الآية رقم [١٢].

وأخرج ابن عساكر عن الهيثم بن عدي؛ قال: ذكروا: أن عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ ابتاع جارية، وكتم ذلك امرأته، وقد بلغها، فقالت له ذات يوم ـ وبلغها: أنه كان عندها ـ: إنه بلغني عنك أنك ابتعت جارية، فقال لها: ما فعلت! قالت: بلى! وبلغني أنك كنت عندها اليوم، ولا أحسبك إلا جنباً، فإن كنت صادقاً، فاقرأ آيات من القرآن، فقال: [الوافر]

شَهِدْتُ بأنَّ وعدَ اللهِ حَقٌّ ... وأنَّ النارَ مَثْوى الْكَافِرِينَا

فقالت: زدني آية أخرى، فقال: [الوافر]

وَأَنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ الْعرشِ رَبُّ الْعَالَمِينَا

فقالت: زدني آية أخرى، فقال: [الوافر]

وتحمِلُهُ ملائِكَةٌ كِرَامٌ ... مَلَائِكَةُ الإلهِ مُقَرَّبِينَا

فحدث رسول الله ﷺ بذلك، فضحك؛ حتى ردَّ يده إلى فيه، وقال: «**هذا من معاريض الكلام، يغفر الله لك يا بن رواحة! إن خياركم خيركم لنسائه؛ فأخبرني ما الذي ردت عليك حيث قلت ما قلت؟**». قال: قالت لي: أما إذ قرأت القرآن فإني أتهم ظني، وأصدقك، فقال ﷺ: «**لقد وجدتها ذات فقه في الدين**». انتهى. سيوطي.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يكذبون في قولهم، فيدلون بكلام على الخير، والكرم، وغير ذلك، ولا يفعلونه، ويذمون البخل، وغيره من الصفات الذميمة، ويصرون عليه، ويفرطون في القول، بما لم يفعلوه، رغبة منهم في تسلية النفس، وتحسين الكلام كما روي: أن الفرزدق أنشد سليمان بن عبد الملك قوله: [الوافر]

خَرَجْنَ إليَّ لَمْ يُطْمَثْنَ قَبْلِي ... وَهُنَّ أصحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعامِ

فَبِتْنَ بِجَانِبَيَّ مُصَرَّعَاتٍ ... وَبِتُّ أَفُضُّ أَغْلَاقَ الْخِتَامِ

فقال له سليمان: قد وجب عليك الحد، فقال: يا أمير المؤمنين! قد درأ الله عني الحد بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾. فيريد سليمان: أنَّ قوله هذا اعتراف منه بالزنى، فأجابه بهذا الكلام البليغ، والجواب المسكت.

الإعراب: ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الشعراء): مبتدأ. ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾: فعل مضارع، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿الْغَاوُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية في محل رفع خبر مبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالشُّعَرَاءُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت». ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿فِي كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿وَادٍ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿يَهِيمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (أنَّ). هذا؛ ويجوز أن يكون الجار والمجرور ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾ متعلقين بمحذوف في محل رفع خبر (أن)، وجملة: ﴿يَهِيمُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير في الخبر المحذوف، كما يجوز أن تكون الجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان لـ: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول، أو مفعولي (تر)، وجملة: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وقيل: مفسرة، ولا معنى للتفسير. ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَفْعَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يقولون: الذي، أو شيئاً لا يفعلونه، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر معطوف على المصدر المؤول السابق، فهو في محل نصب مثله.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

الشرح: في هذه الآية الكريمة استثنى الله من الشعراء المذمومين شعراء المؤمنين، أمثال حسان بن ثابت و عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير ـ رضي الله عنهم ـ، ومن كان على طريقتهم من القول الحق، من إكثار ذكر الله في أشعارهم، والثناء عليه تعالى، وعلى نبيه ﷺ، والحث على طاعة الله، وطاعة رسوله، وكذلك الرد على المشركين وهجوهم كما رأيت في الآيات السابقة.

يروى: أنه لما نزلت ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ...﴾ إلخ جاء حسان، وابن رواحة، وكعب بن مالك ـ رضي الله عنهم ـ يبكون إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا نبي الله! أنزل الله هذه الآية؛ وهو تعالى يعلم: أنا شعراء، فقال: «اقرؤوا ما بعدها» : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ وقال ﷺ: «**انْتَصِرُوا**،

ولا تَقُولوا إلا حَقّاً، ولا تذكُروا الآبَاءَ، والأمَّهَاتِ». وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بنَفْسِهِ، وسيفِهِ، ولِسَانِهِ، والذي نفسي بيده، لَكَأَنَّ ما ترمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ**». ولذا انبرى حسان ـ رضي الله عنه ـ يرد على أبي سفيان فخذ من قوله ما يلي: [الوافر]

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عنهُ وعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
وَإِنَّ أبي ووالدتي وعِرْضِي لِعِرْضِ محمَّدٍ مِنكُمْ وِقَاءُ
أتشْتِمُهُ ولسْتَ لهُ بكُفءٍ فشَرُّكُمَا لخيرِكُمَا الْفِدَاءُ
لِسَانِي صارِمٌ لا عَيْبَ فيهِ وبَحْرِي لا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ

وقال كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ من قصيدة: [الكامل]

جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبَّهَا وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَّابِ

فقال النبي ﷺ «**لَقَدْ مَدَحَكَ اللهُ يَا كَعْبُ فِي قَوْلِكَ هَذَا**». والسخينة: طعام حار، يتخذ من دقيق، وسمن، أغلظ من الحساء، وأرق من العصيدة، وكانت قريش تكثر من أكلها، فَعُيِّرت بها حتى سموا سخينة. وخذ ما يلي:

فعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ، قال: «**إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً**». رواه البخاري. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فجعل يتكلم بكلام، فقال: «**إنَّ مِنَ الْبَيَانِ سحْراً، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حكماً**». أخرجه أبو داود.

هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ...﴾ إلخ تهديد، ووعيد لمن انتصر بظلم؛ أي: سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدي الله تعالى، فالظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصرة من ربه. والمعنى: سيعلمون أيَّ مصير يصيرون إليه، وأيَّ مرجع يرجعون إليه؛ لأن مصيرهم إلى النار، وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العقاب، وهو شر مرجع، والفرق بين المنقلب، والمرجع: أن المنقلب: الانتقال إلى ضد ما هو فيه، والمرجع: العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها، فصار كل مرجع منقلباً، وليس كل منقلب مرجعاً، والله أعلم. ذكره الماوردي. هذا؛ وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ (أيَّ مُنْفَلَتٍ يَنْفَلِتُونَ) بالفاء، والتاء، ومعناهما واحد. انتهى. قرطبي، وقال البيضاوي: والمعنى: أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله، وسيعلمون: أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب على الاستثناء من (الشعراء). ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. (عملوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿الصَّالِحَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه

الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وكذلك جملة: ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: ذكراً كثيراً، وقيل: صفة زمان محذوف، أي: وقتاً كثيراً، وليس بشيء، وبعضهم يعربه نائب مفعول مطلق، وجملة: ﴿وَٱنتَصَرُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿ظُلِمُوا۟﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، و(ما) المصدرية، والفعل: ﴿ظُلِمُوا۟﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿بَعْدِ﴾ إليه.

﴿وَسَيَعْلَمُ﴾: الواو: حرف استئناف. السين: حرف استقبال، (يعلم): فعل مضارع معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿ظَلَمُوٓا۟﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول. ﴿أَىَّ﴾: اسم استفهام مفعول مطلق، أو نائب مفعول مطلق لإضافته للمصدر الميمي، عامله ما بعده، وهو واجب التقديم؛ لأنه اسم استفهام، والاستفهام له الصدر، و﴿أَىَّ﴾ مضاف، و﴿مُنقَلَبٍ﴾ مضاف إليه. ﴿يَنقَلِبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية: «ينقلبون أي منقلب» في محل نصب سدت مسد مفعول (يعلم)، أو مسد مفعوليه إن كان متعدياً لاثنين، وجملة: ﴿وَسَيَعْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

انتهت سورة الشعراء شرحاً وإعراباً، بحمد الله، وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.

سورة النمل

سورة (النمل)، وهي مكية كلها في قول الجميع، وهي ثلاث وتسعون آية، وألف وثلاثمئة وسبع عشرة كلمة، وأربعة آلاف وسبعمئة، وتسعة وتسعون حرفاً. انتهى. خازن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ①﴾

الشرح: أرى أن تنظر شرح هذه الكلمات كلها في الآيتين رقم [١] و [٢] من سورة (الشعراء)، والإشارة إلى آي السورة. والكتاب المبين: إما اللوح المحفوظ، وإبانته: أنه خط فيه ما هو كائن. فهو يبينه للناظرين فيه من الملائكة، وتأخيره هنا باعتبار تعلق الله فيه، وتقديمه في سورة (الحجر) في قوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ باعتبار الوجود. أو المراد بالكتاب هنا: القرآن، فأخرج لفظ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في سورة (الحجر) بلفظ المعرفة، و(القرآن) بلفظ النكرة، وهنا بعكس ذلك، وذلك؛ لأن القرآن، والكتاب اسمان يصلح لكل واحد منهما أن يجعل معرفة، وأن يجعل صفة، وعطف أحدهما على الآخر، كعطف إحدى الصفتين على الأخرى، أو من عطف المرادف على مرادفه. ووصفه بالمبين؛ لأنه بيّن فيه أمره، ونهيه، وحلاله، وحرامه، ووعده، ووعيده. وانظر وصفه بالحكيم في أول سورة لقمان.

هذا؛ والإشارة بقوله ﴿تِلْكَ﴾ إلى ما تضمنته السورة الكريمة من آيات القرآن، وإنما أدخل اللام على اسم الإشارة هنا وفي كثير من الآيات، وهي للبعد، والسورة الكريمة، بل القرآن كله في متناول اليد، وذلك للإيذان بعلو شأنه، وكونه في الغاية القصوى من الفضل، والشرف، وعلو المكانة، فكأنه بسبب ذلك بعيد كل البعد.

و(قرآن) مشتق من: قريت الماء في الحوض: إذا جمعته، فكأنه قد جمع فيه الحكم، والمواعظ، والآداب، والقصص، والفروض، وجميع الأحكام، وكملت فيه جميع الفوائد الهادية إلى طرق الرشاد. هذا؛ وهو في اللغة مصدر بمعنى الجمع، يقال: قرأت الشيء قرآناً؛ أي: جمعته، وبمعنى القراءة، يقال: قرأت الكتاب قراءة، وقرآناً، ثم نقل إلى هذا المجموع المقروء المنزل على الرسول ﷺ، المنقول عنه بالتواتر، فيما بين الدفتين، وهو المراد. ويحرم

على المحدِث حدثاً أكبر، قراءته، وحمله، ومسَّه، وعلى المحدث حدثاً أصغر حمله، ومسَّه، ولا يمنع من قراءته عن ظهر قلب، قال تعالى في تقديسه، وتعظيمه: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

الإعراب: ﴿طسٓ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الشعراء). ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، وأجيز اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هذه تلك، فتكون ﴿ءَايَٰتُ﴾ بدلاً من اسم الإشارة، والأول أقوى معنًى، وأصح إعراباً، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ءَايَٰتُ﴾: خبر المبتدأ، أو بدل من اسم الإشارة، و﴿ءَايَٰتُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَكِتَابٍ﴾: معطوف على: ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾، وقرئ برفعه على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: (كتاب).

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: خص الله المؤمنين بالذكر هنا وفي كثير من الآيات؛ لأنهم هم المهتدون، والمنتفعون بآيات القرآن، فعملوا بتعاليمه، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، ولذا وصفهم العزيز الحكيم بالصفات الثلاث الآتية. هذا؛ وأصل ﴿هُدًى﴾ هُدَياً، أو هُدَيٌ، بضم الهاء، وفتح الدال، وتحريك الياء منونة، فقلبت الياء ألفاً، لتحركها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان، الألف والتنوين الذي يرسم ألفاً في حالة النصب بحسب الأصل، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار ﴿هُدًى﴾ وإنما أتوْا بياء أخرى؛ لتدل على الياء الأصلية المحذوفة، بخلاف ما إذا لم يأتوا بها، وقالوا: هداً؛ فلا يوجد ما يدل عليها.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: جمع: مؤمن، والإيمان الصحيح: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان، ولما سُئِل رسول الله ﷺ عن الإيمان، قال: «**الإيمانُ أَنْ تؤمِنَ بالله، وملائِكَتِهِ، وكتبِهِ، ورسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، والقضاءِ، والقدرِ: خيْرِه، وشرِّهِ مِنَ اللهِ تَعالى**».

والإيمان يزيد، وينقص على المعتمد، كما بينته في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال) وله شعب كثيرة، وفروع عديدة، وهي سبع وسبعون، أعلاها: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، وهو بفتح الهمزة جمع: يمين، بمعنى الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، واليمين أيضاً: اليد اليمنى، وتجمع أيضاً على: أيمان، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يؤدونها في أوقاتها، ويحافظون على طهارتها، ويتمُّون ركوعها، وسجودها، وخشوعها، ومن لم يؤدها على الوجه الأكمل، يقال عنه: صلَّى، ولا يقال: أقام

الصلاة. هذا؛ والصلاة في اللغة: الدعاء، والتضرُّع، وهي في الشرع: أقوال، وأفعال مخصوصة، مبتدأة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، ولها شروط، وأركان، ومبطلات، ومكروهات، ومندوبات مذكورة في الفقه الإسلامي، والصلاة من العبد معناها: التضرُّع والدعاء، ومن الملائكة على العبد معناها: الاستغفار، وطلب الرحمة، ومن الله على عباده، معناها الرحمة وإنزال البركات، وقد جمعت الأنواع الثلاثة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾. وانظر: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في الآية رقم [٥٩] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

هذا؛ وأصل ﴿يُقِيمُونَ﴾: (يُؤَقوِمُونَ) حذفت الهمزة للتخفيف، حملاً على المبدوء بهمزة المضارعة، مثل أُأَقْوِم، الذي حذفت همزته الثانية للتخلص من ثقل الهمزتين، فصار: (يُقْوِمُونَ) ثم يقال في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو، وهي الكسرة إلى القاف قبلها، فصار: (يُقِوْمونَ) ثم قلبت الواو ياء، لمناسبة الكسرة، وهذا الإعلال يجري في كل فعل ثلاثي مزيدة الهمزة في أوله للتعدية، مثل: أجاب، يجيب، وأكرم، يكرم. . . إلخ، كما حذفت الهمزة الثانية من: يؤمنون؛ لأن ماضيه: آمن، وأصله: أَأْمَن، والمضارع: يُؤَأْمن أُؤْمِنُ، فحذفت من الأول، وتسهل في الثاني، وقد يجيء على القياس، وهو الأصل المهجور، كما في قول أبي حيان الْفَقْعَسي: [الرجز]

فَـــإِنَّـــهُ أَهْـــلٌ لأَنْ يُـــؤَكْـــرَمَـــا

ولا تنسَ: أن هذه الهمزة المزيدة تحذف من اسمي الفاعل، والمفعول المأخوذين من الفعل الثلاثي المزيدة فيه الهمزة، وذلك مثل: مُكْرِم، ومُكْرَم، والقياس: مُؤكْرِم، ومُؤكْرَم، وقس على ذلك، وإعلال (يؤتون) مثل ما تقدم؛ لأن ماضيه آتي، وأصله أَأْتى، وأصل ﴿يُوقِنُونَ﴾ (يُؤَيْقِنُونَ)؛ لأنه من: (أَيْقَن) الرباعي، فحذفت الهمزة على مثال ما رأيت في ﴿يُقِيمُونَ﴾ فصار: (يُيْقِنُونَ) ثم قلبت الياء الثانية واواً لسكونها، وانضمام ما قبلها.

هذا؛ وأما ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فهي في اللغة: التطهير، والنماء. وفي الشرع: اسم لمالٍ مخصوص، يدفع لأشخاص معلومين مذكورين في الآية رقم [٦٠] من سورة (التوبة)، وقد خص الله الصلاة، والزكاة بالذكر؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، وشرعت لذكر الله، والزكاة أفضل العبادات المالية، ومجموعهما التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣١] من سورة (مريم) على نبينا، وحبيبنا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وانظر الصلاة التي تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، والتي لا تنهاه في العنكبوت [٤٥].

الإعراب: ﴿هُدًى﴾: يجوز في محله النصب على الحال من ﴿ءَايَٰتُ﴾ أي: هداية، وبشارة، والعامل اسم الإشارة؛ لما فيه من معنى الفعل، ويجوز في محله الجر على أنه بدل من (كتاب)،

أو صفة له، كما يجوز في محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي هدى، أو على البدل من ﴿ءَايَٰتُ﴾، أو على أنه خبر بعد خبر، وعلامة النصب، أو الجر، أو الرفع مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَبُشْرَىٰ﴾: الواو: حرف عطف، (بشرى): معطوف على ما قبله على جميع الوجوه المعتبرة فيه، والفتحة، أو الكسرة، أو الضمة، مقدرة على الألف للتعذر، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بأحد الاسمين على التنازع، أو بمحذوف صفة لأحدهما، وحذفت صفة الثاني.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: يجوز في محله الجر على الإتباع لـ: (المؤمنين) على البدلية، أو الوصفية، والنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، وهو مبني على الفتح في محل جر، أو في محل رفع، أو في محل نصب، وجملة: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها.

﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال، (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿هُمْ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو توكيد للمبتدأ. ﴿يُوقِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وأُجيز عطفها على جملة الصلة، كما أُجيز اعتبارها مستأنفة، ومعترضة في آخر الكلام، ولا محل لها على الوجهين.

تنبيه: قال زادة: ولما كان إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر، ويتجدد في أوقاتهما؛ أتي بهما فعلين، ولما كان الإيقان بالآخرة أمراً ثابتاً، مطلوباً دوامه، أتي به جملة اسمية، وجعل خبرها مضارعاً للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد. انتهى. جمل. فهذه فائدة جديرة بالاعتبار. والله الموفق، والمعين، ولا تنسَ: أن الآية الكريمة مذكورة بحروفها كاملة برقم [٥] من سورة لقمان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ أي: لا يصدقون، ولا يعترفون بالآخرة، وما فيها من حساب، وجزاء، وجنة، ونار، وهم الكفار ومن لف لفهم من الفاسدين المفسدين، ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: قال الزمخشري رحمه الله تعالى: فإن قلت: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته، وقد أسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؟ قلت: بين الإسنادين فرق، وذلك: أن إسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله عز وجل مجاز، وله طريقان في علم البيان:

أحدهما: أنه من المجاز الذي يسمى استعارة. والثاني: أن يكون من المجاز الحكمي. فالطريق الأول: أنه لما متعهم بطول العمر، وسعة الرزق، وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم، وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم، وبطرهم، وإيثارهم الراحة، والترفه، ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة، والمشاق المتعبة؛ فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم، وإليه أشارت الملائكة ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ في قولهم: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾.

والطريق الثاني: أن إمهاله الشيطان وتخليته؛ حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين، فأسند إليه؛ لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات. وقيل: هي أعمال الخير؛ التي وجب عليهم أن يعملوها، زينها الله لهم، فعموا عنها، وضلوا. ويعزى إلى الحسن. انتهى. كشاف. وانظر الآية رقم [٢٤] الآتية. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، ويترددون، لا يعرفون ما يلحقهم من ضر، أو نفع، والعمه: التحيُّر، والتردد، كما يكون حال الضال عن الطريق. وعن بعض الأعراب: أنه دخل السوق، وما أبصرها قط، فقال: رأيت الناس عمهين، أراد مترددين في أشغالهم، وأعمالهم، قال رؤبة بن العجَّاج: [الرجز]

وَمَهْمَهٍ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمَهِ ... أَعْمَى الْهُدَى بِالْحَائِرِينَ الْعُمَّهِ

هذا؛ والْعَمَهُ قريب من العمى، لكن العمى يطلق على ذهاب نور العين، وعلى الخطأ في الرأي، والْعَمَهُ لا يطلق إلا على الثاني. وفي المصباح: عَمِهَ، يَعْمَهُ عَمَهاً من باب: تعب إذا تردد متحيراً، و: «تَعَامَهَ» مأخوذ من قولهم: أرض عَمْهَاءُ: إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة، فهو عَمِهٌ، واعْمَهُ. انتهى. جمل. وهذا الفعل لم أرَ له ماضياً، ولا أمراً، فيظهر: أنه فعل جامد، لا يأتي منه غير المضارع، وإن ذكر في كتب اللغة ماضٍ له، لكنه لم يستعمل، ولم يتداول، وهو بلفظ المضارع كثير في القرآن الكريم.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ. والواو: فاعله. ﴿بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿زَيَّنَّا﴾: فعل ماض مبني على السكون، و(نا): فاعله. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، أو مبتدأة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف، (هم): ضمير منفصل مبني على السكون، في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَعْمَهُونَ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالآخرة. ﴿ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: في الدنيا بالقتل، والأسر، والخوف على أنفسهم، وأموالهم. ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ أي: أشد الناس خسراناً يوم القيامة؛ لفوات المثوبة، واستحقاق العقاب لهم، وقد قيل في تفسير خسران الكافرين: أنه جُعِل لكل واحد من بني آدم منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة، وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار، فذلك هو الخسران، وأيُّ خسران أعظم من هذا الخسران! ويستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾. هذا؛ والمراد بالآخرة: الحياة الثانية، التي تكون بعد الموت، ثم بعد الحساب، والجزاء، ودخول الجنة، والخلود فيها، أو دخول النار، والخلود فيها.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿لَهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿سُوٓءُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلۡعَذَابِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية صلة الموصول، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهُمۡ﴾: الواو: حرف عطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ الذي هو خبر المبتدأ، فهو مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والضمير الثاني توكيد للأول أو هو ضمير فصل، فهو يفيد التوكيد أيضاً، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ. ﴿لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: لتؤتاه؛ أي: يلقى عليك بواسطة جبريل الأمين، عليه السلام، فتأخذه، وتتعلمه. ﴿مِن لَّدُنۡ﴾: من عند. ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: أيُّ حكيم، وأيُّ عليم؟! والجمع بينهما ـ مع أن العلم داخل في الحكمة ـ لعموم العلم، ودلالة الحكمة على إتقان الفعل، والإشعار بأن علوم القرآن، منها ما هي حكمة كالعقائد، والشرائع، ومنها ما ليس كذلك، كالقصص، والإخبار عن المغيبات. انتهى. بيضاوي. وقال الخازن: الحكمة هي العلم بالأمور العلمية فقط، والعلم أعم منه؛ لأن العلم قد يكون علماً، وقد يكون نظراً، والعلوم النظرية أشرف. انتهى.

تنبيه: قرئ قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٣٧]: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، برفع آدم، ونصب كلمات، وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بنصب آدم، ورفع كلمات، ومعنى القراءتين واحد، وهذا مبني على قاعدة، وهي أن ما لقيك فقد لقيته، وما لقيته فقد لقيك.

هذا؛ و﴿لَّدُنْ﴾ بمعنى عند، وفيها إحدى عشرة لغة، أفصحها: إثبات النون ساكنة، وهي لغة القرآن الكريم، وهي بجميع لغاتها، معناها: أول غاية زمان، أو مكان، وقلما يفارقها «مِنْ» الجارة لها، فإذا أضيفت إلى الجملة؛ تمحضت للزمان؛ لأن ظروف المكان لا يضاف منها إلى الجملة إلا «حيث». ويجوز تصدير الجملة بحرف مصدري لما لم يتمحض «لدن» في الأصل للزمان، وإذا أضيفت للضمير وجب إثبات النون؛ لأنه لا يقال: لَدُهُ، ولا لَدُكَ، و«لدن» مبني في جميع لغاته، وإنما لم يعرب كـ: «عند»؛ لأن «عند» لِمَا بحضرتك، وما يبعد منك، وقد كان حكمها أن تبنى كـ: «لَدَنْ» لو لم يلحقها من التعريف ما ذكرناه، و«لَدُنْ» لا يتجاوز بها حضرة الشيء، فلهذا كانت مبنية.

الإعراب: ﴿وَإِنَّكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَتُلَقَّى﴾: اللام: هي المزحلقة. (تلقى): فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، وهو المفعول الأول. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول به ثان. ﴿مِن﴾: حرف جر. ﴿لَّدُنْ﴾: اسم مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿مِن﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. و﴿لَّدُنْ﴾: مضاف، و﴿حَكِيمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمٍ﴾: بدل من ﴿حَكِيمٍ﴾؛ لأنهما اسمان للذات العلية، وجملة: ﴿لَتُلَقَّى...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك وقت قال موسى لأهله: امكثوا هنا. وهذا كان حين قضى الأجل الذي عاقد شعيباً عليه، ثم استأذنه في الرجوع إلى أهله بمصر، وخرج بزوجه، فلما وافى وادي الطور، وفيه جبل الطور، وكانت أيام الشتاء، فأخذ على غير الطريق المعروف مخافة من ملوك الشام، وامرأته حامل في شهرها، لا يدري: أليلاً تضع حملها أم نهاراً، فسار في البرية غير عارف بطرقها، فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن، وذلك في ليلة مظلمة مثلجة، شديدة البرد لما أراد الله من كرامته، فأخذ امرأته الطلق، فأخذ زنده، فجعل يقدح فيها، فلا توري، فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور الأيمن.

﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ أي: أبصرت ناراً، قال الحارث بن حِلِّزة اليشكري: في معلقته: [الخفيف]

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا الْقُنْـ ... ـنَاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإمْسَاءُ

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فلما توجه نحو النار، فإذا النار في شجرة عناب، فوقف متعجباً من حسن ذلك الضوء، وشدة خضرة تلك الشجرة، فلا شدة حر النار تغير حسن خضرة الشجرة، ولا كثرة ماء الشجرة، ولا نعمة الخضرة تغيران حسن ضوء النار.

﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾: السين تفيد الوعد، وقد قال في سورة (طه): ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ ولعل تفيد الرجاء، وهما متدافعان؛ لأن السين تفيد اليقين، والرجاء بخلاف ذلك، وجوابه: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه، سأفعل كذا، وسيكون كذا مع تجويزه عدم الوقوع، والحصول.

﴿أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ﴾: يقرأ بتنوين (شهاب) وعدمه بإضافة النوع إلى الجنس، كما تقول: هذا ثوب خز، وخاتم حديد، وشبهه، والشهاب: كل ذي نور، نحو: الكوكب، والعود، والموقد. والقبس: اسم لما يقتبس من جمر، وما أشبهه. ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾: رجاء أن تستدفئوا بها، والصلاء: النار العظيمة. هذا؛ ويقال: اصطلى، يصطلي: إذا استدفأ. قال الشاعر: [الكامل]

النَّارُ فَاكِهَةُ الشِّتَاءِ فَمَنْ يُرِدْ ... أَكْلَ الْفَوَاكِهِ شَاتِياً فَلْيَصْطَلِ

وفي سورة (طه) قوله: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ فرجا أحد أمرين وجود هادٍ يهديه الطريق الذي أضله، أو إتيان قبس من النار؛ ليستدفئ به أهله، والمراد بأهله: زوجته وولده ومن كان معه من خدمه ورعاة غنمه. هذا؛ و﴿تَصۡطَلُونَ﴾ فيه إبدال حرف بحرف؛ لأن أصله: (تصتلون) فلما وقعت تاء الافتعال بعد حرف الإطباق، وهو الصاد، قلبت طاء على القاعدة. وهو من: صلي بالنار. وفي المصباح: (صَلِيَ بالنار) وصَلِيَهَا صَلىً من باب: تعب: وجد حرها، والصِّلاء بوزن كتاب: حر النار. هذا؛ وفي سورة (القصص): ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾.

الإعراب: ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر. وقيل: هو مفعول به لهذا المحذوف. وقيل: متعلق بـ ﴿عَلِيمٍ﴾، والمعتمد الأول. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِأَهۡلِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿ءَانَسۡتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿نَارٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ، في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾: السين: حرف استقبال. ﴿ءَاتِيكُم﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه

ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا». ﴿مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: جار ومجرور كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بِخَبَرٍ﴾ في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿بِشِهَابٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿قَبَسٍ﴾: صفة (شهاب) على تأويله بمفعول، أي: مقتبس، أو هو بدل منه على تنوينه، ومضاف، ومضاف إليه على عدم التنوين، وجملة: ﴿ءَاتِيكُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿تَصْطَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل خبر (لعل)، والجملة الاسمية: ﴿لَّعَلَّكُمْ...﴾ إلخ، تعليل لإتيانه ما رأى. وقيل: في محل نصب حال؛ أي: راجياً تأمين الدفء لكم، وتوفيره، وفيه أن الرجاء إنشاء.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنْۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي: فلما جاء موسى الذي ظن أنه نار؛ وهي نور، ووقف قريباً منها، ورآها تخرج من الشجرة، فعجب منها، كما رأيت في الآية السابقة، وأهوى إليها بضغث في يده ليقتبس منها، فمالت إليه، فخافها فتأخر عنها، ثم لم تزل تطمعه، ويطمع فيها إلى أن وضح أمرها، على أنها مأمورة لا يدري ما شأنها؟! ﴿نُودِيَ﴾: ناداه الله تعالى، كما قال جل ذكره: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾.

﴿أَنْۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: التقدير: بورك على من في النار، وهو موسى، أو على من في قرب منها، لا أنه كان في وسطها، وقال السدي: كان في النار ملائكة، فالتبريك عائد إلى موسى، والملائكة، أي: بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين هم حولها، وقيل: البركة راجعةٌ إلى النار نفسها، ومن حولها الملائكة وموسى. وحكى الكسائي عن العرب: باركك الله، وبارك فيك. وقال الثعلبي: العرب تقول: باركك الله، وبارك فيك، وبارك عليك، وبارك لك، أربع لغات. قال الشاعر: [الطويل]

فَبُورِكْتَ مَوْلُوداً وبُورِكْتَ نَاشِئاً وَبُورِكْتَ عِنْدَ الشَّيْبِ إِذْ أَنْتَ أَشْيَبُ

وهناك قول قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير: قُدِّس من في النار وهو الله سبحانه وتعالى، عنى به نفسه تقدّسَ، وتعالى. قال ابن عباس ومحمد بن كعب: النار نور الله عز وجل، نادى الله موسى، وهو في النور؛ وتأويل هذا: أن موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ رأى نوراً عظيماً، فظنه ناراً، وهذا؛ لأن الله تعالى ظهر لموسى بآياته وكلامه من النار، لا أنه يتحيز في جهة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ لا أنه يتحيز فيهما، ولكن يظهر في كل فعل، فيعلم به وجود الفاعل. وقيل على هذا: أي: بورك من في النار سلطانه، وقدرته. وقيل: أي بورك ما في النار من أمر الله تعالى الذي جعله علامة.

ومما يدل على صحة قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ما خرَّجه مسلم في صحيحه، وابن ماجه في سننه، واللفظ له عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اللهَ لا يَنامُ، ولَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْط ويَرْفَعُهُ، حِجَابُهُ النورُ، لَوْ كَشَفَهَا؛ لأحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ»**. ثم قرأ أبو عبيدة: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ...﴾ إلخ. قال أبو عبيد: يقال السُّبُحَاتْ: إنها جلال وجهه، ومنها قيل: سبحان الله، إنما هو تعظيم له وتنزيه. انتهى. قرطبي بتصرف.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: تنزيهاً وتقديساً لله رب العالمين. هذا؛ و﴿وَسُبْحَٰنَ﴾: اسم مصدر، وقيل: هو مصدر، مثل: غفران، وليس بشيء؛ لأن الفعل سبَّح بتشديد الباء، والمصدر: تسبيح، ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله، مثل: معاذ الله، وقد أجري علماً على التسبيح، بمعنى التنزيه على الشذوذ في قول الأعشى: [السريع]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مَنْ عَلْقَمَةَ الْفَاخِرُ؟

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار، والجهل بحقيقة الحال، ولذلك جعل مفتاح التوبة، فقال موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقد نزه الله ذاته في كثير من الآيات بنفسه تنزيهاً لائقاً به، وجملة القول فيه: هو اسم موضوع موضع المصدر، وهو غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب، من رفع، وجر، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل، ولم ينصرف؛ لأن في آخره زائدتين: الألف والنون، ومعناه التنزيه، والبراءة لله ـ عز وجل ـ من كل نقص، فهو ذكر عظيم لله تعالى، لا يصلح لغيره، وقد روي عن طلحة الخير بن عبيد الله ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة، رضي الله عنهم أجمعين ـ: أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحان الله؟ فقال: **«تَنْزِيهُ اللهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ»**. والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه، لا من لفظه؛ إذ لم يجر من لفظه فعل، وذلك مثل: قعد القرفصاء، فالتقدير عنده: أنزه الله تنزيهاً، فوقع «سبحان الله» مكان قولك: «تنزيهاً لله».

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف، (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿جَآءَهَا﴾: فعل ماض، و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿نُودِيَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿أَنْ﴾: فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول عليها. والثاني: أنها الناصبة للمضارع، ودخلت

على الماضي هنا، وعليه فتؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن بورك، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. والثالث: أنها المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، وجملة: ﴿بُورِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر، ولم يحتج إلى فاصل؛ لأن الفعل دعاء، وعليه فتؤول هي، واسمها، وخبرها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف كالسابق، وعلى اعتبار ﴿أَنْ﴾ مفسرة فالجملة الفعلية لا محل لها. هذا؛ وقيل: إن نائب فاعل: ﴿نُودِيَ﴾ هو الجار والمجرور على الوجهين في ﴿أَنْ﴾، وقيل: إنه ضمير المصدر المفهوم من الفعل، أي: نودي النداء، ثم فسر بما بعده، على حد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿بُورِكَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع نائب فاعله. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف عطف. (من): معطوف على سابقه، فهو في محل رفع مثله. ﴿حَوْلَهَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نُودِىَ...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها. و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَسُبْحَـٰنَ﴾: الواو: حرف استئناف. (سبحان): مفعول مطلق لفعل محذوف، كما رأيت في الشرح، و(سبحان)مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والفعل المقدر، والمصدر في محل نصب مقول القول لقولٍ محذوف، أي: ويقول من حولها. وقيل: التقدير: وقال موسى حين فرغ من سماع النداء. وقيل: هو من قول الله تعالى. ﴿رَبِّ﴾: صفة لفظ الجلالة، أو بدل منه. و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة: ﴿وَسُبْحَـٰنَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها من الإعراب.

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ أي: الحال والشأن. ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾: الغالب، القوي، القاهر؛ الذي ليس كمثله شيء. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في فعله، وأمره، ونهيه. قيل: إن موسى ـ عليه السلام ـ قال: يا رب! من الذي ينادي، قال الله له: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (موسى): منادى مفرد علم مبني على ضم مقدر على الألف المقصورة في محل نصب بـ: (يا)، ﴿إِنَّهُۥٓ﴾: حرف مشبه بالفعل. والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل فيه ثلاثة أوجه: الأول: اعتباره ضمير

فصل لا محل له. والثاني: اعتباره توكيداً لاسم (إنَّ) على المحل، وعليهما، فلفظ الجلالة خبر (إنَّ)، وما بعده خبران آخران، والثالث: اعتباره مبتدأ، وما بعده أخبار له متعددة، وعليه، فالجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والآية كلها في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر الشرح، وجملة: «قال الله: يا موسى...» إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقال ابن هشام في المغني: يجوز في الضمير ثلاثة أوجه: الفصل، وهو أرجحها، والابتداء، وهو أضعفها، ويختص بلغة تميم، والتوكيد.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: في الآية حذف؛ إذ التقدير: وألق عصاك فألقاها من يده، فصارت حية تهتز كأنها جان، وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم. وقيل: إنها قلبت له أولاً حية صغيرة، فلمَّا أنس منها؛ قلبت حية كبيرة. وقيل: انقلبت مرة حية صغيرة، ومرة حية تسعى، وهي الأنثى، وهو ما عبر عنها في سورة (طه) بقوله: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾، ومرة ثعباناً، وهو الذكر الكبير من الحيات، وقد عبر عنها بقوله في سورة (الشعراء) وفي سورة (الأعراف): ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وانظر ما ذكرته في سورة (طه) رقم [٢٠]، وفي سورة (القصص) رقم [٣١] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: خائفاً على عادة البشر هارباً من هول ما رأى. ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يرجع، ولم يلتفت لشدة خوفه، ورعبه؛ لأنه ظن: أن هذا الأمر أريد به. يقال: عقَّب المقاتل إذا كرَّ، ورجع بعد الفرار، قال الشاعر: [الطويل]

فَمَا عَقَّبُوا إذْ قِيلَ هَلْ مِنْ مُعَقِّبٍ؟ ... ولا نَزَلُوا يَوْمَ الكَرِيهَةِ مَنْزِلَا

فهو يصف قوماً بالجبن، وأنهم إن قيل: هل من معقب، وراجع على عقبه للحرب؛ لم يرجعوا إليها ولا نزلوا يوم الحرب منزلاً من منازلها. ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ أي: ناداه ربه: يا موسى لا تخف من الحية، وضررها. ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا يخاف المرسلون إذا خاطبتهم، وسمعوا كلامي، وكانوا بين يدي.

هذا؛ و﴿لَدَيَّ﴾ ظرف مكان بمعنى: «عند» وهي معربة مثلها، وقد تستعملان في الزمان، وإذا أضيف «لدى» إلى مضمر كما هنا؛ قلبت ألفها ياء عند جميع العرب، إلا بني الحارث بن كعب، وبني خناعة، فلا يقلبونها تسوية بين الظاهر، والمضمر، كما لا يقلبون ألف على، وإلى، ونحوهما، وعلى لغتهم جاء قول الشاعر: [الوافر]

إلَاكُمْ يَا خُنَاعَةُ لَا إلَانَا ... عَزَا النَّاسُ الضَّرَاعَةَ وَالْهَوَانَا

فَلَوْ بَرَأَتْ عُقُولُكُمُ بَصَرْتُمْ ... بِأَنَّ دَوَاءَ دَائِكُمُ لَدَانَا
وَذَلِكُمُ إِذَا وَاثَقْتُمُونَا ... عَلَى قَصْرِ اعْتِمَادِكُمُ عَلَانَا

وهذه الأبيات هي الشاهد رقم [٧٩٢] من كتابنا فتح الكريم الواسع إعراب شواهد همع الهوامع، ثم اعلم: أن «عند» أمكن من «لدى» من وجهين: أحدهما: أنها تكون ظرفاً للأعيان، والمعاني، تقول: هذا القول عندي صواب، وعند فلان علم به، ويمتنع ذلك في: «لدى». ذكره ابن الشجري في أماليه، ومبرمان في حواشيه. والثاني: أنك تقول: عندي مال وإن كان غائباً، ولا تقول: لَدَيَّ مال (إلا إذا كان حاضراً). قاله جماعة.

الإعراب: ﴿وَأَلْقِ﴾: الواو: حرف عطف. (ألق): فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت»، ﴿عَصَاكَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف: ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿بُورِكَ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها؛ إذ التقدير: نودي أن بورك... وأن ألق، ويدل عليه قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ... وَأَنْ أَلْقِ﴾ إلخ سورة (القصص) رقم [٣٠] [٣١] ويكون ما بينهما كلاماً معترضاً، وقال الجمل نقلاً عن السمين: الجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها من الجملة الاسمية الخبرية، وقد تقدم: أن سيبويه لا يشترط تناسب الجمل، وأنه يجيز: جاء زيد، ومن أبوك؟ وقاله هنا بدون ذكر (أَنْ) وفي القصص بذكرها؛ لأن ما هنا تقدمه فعل بعد ﴿أَنْ﴾، وهو ﴿بُورِكَ﴾، فحسن عطف الفعل عليه، وما هناك لم يتقدمه فعل بعد (أن)، فذكرت (أن) لتكون جملة (أن ألق) معطوفة على جملة: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾. انتهى. أقول: وهذا الكلام يؤيد الوجه الأول في العطف. تأمل.

﴿فَلَمَّا﴾: انظر الآية رقم [٨]، ﴿رَءَاهَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر، يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية يقال فيها ما قلته بجملة: ﴿جَآءَهَا﴾، ﴿تَهْتَزُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى «العصا» تقديره: هي، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الضمير فقط، ولا يجوز اعتبار الجملة مفعولاً ثانياً لـ: (رأى) لأنه بصري، لا قلبي. ﴿كَأَنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(ها): ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿جَآنٌّ﴾: خبرها، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿تَهْتَزُّ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط، وهي حال متداخلة، أو هي حال ثانية من الضمير المنصوب. ﴿وَلَّىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (موسى)، ﴿مُدْبِرًا﴾: حال منه، والجملة الفعلية جواب (لما)، لامحل لها. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال، (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم، ﴿يُعَقِّبْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لم)، والفاعل يعود إلى (موسى) أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل ﴿وَلَّىٰ﴾، والرابط: الواو،

والضمير، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف، أو هو معطوف على الكلام الذي رأيته في الشرح، ولا محل له على الاعتبارين.

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: منادى مثل سابقه. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَخَفْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾. والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخَافُ﴾: فعل مضارع. ﴿لَدَيَّ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء، والمدغمة في ياء المتكلم، التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: فاعل: ﴿يَخَافُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها، والكلام: ﴿يَٰمُوسَىٰ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له. هذا؛ والآية مذكورة في سورة (القصص) برقم [٣١] بحروفها.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ...﴾ إلخ: قيل: هو ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل، والصغيرة، كالذي حصل من آدم، وداود، عليهما السلام. وعليه الضحاك. أو كالذي حصل من آدم، ويونس، وداود، وسليمان، ومن إخوة يوسف، ومن موسى بوكزه القبطي، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، وعليه الزمخشري، وغيره. وقيل: يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتله القبطي، وهو من التعريضات اللطيفة، وسماه ظلماً لقوله عليه السلام: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ ثم إنه خاف من ذلك، فتاب. قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾.

فإن قال قائل: فما معنى الخوف بعد التوبة، والمغفرة؟ قيل له: هذه سبيل العلماء بالله عز وجل أن يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين، وهم أيضاً لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشراط التوبة شيء لم يأتوا به، فهم يخافون من المطالبة به، ويدل على ذلك حديث الشفاعة يوم القيامة، وإذا أحدث المقرَّبُ حدَثاً، فهو وإن غفر له ذلك الحدث؛ فأثر ذلك الحدث باقٍ، وما دام الأثر، والتهمة قائمة؛ فالخوف كائن، لا خوف العقوبة، ولكن خوف العظمة، والمتهم عند السلطان يجد للتهمة حزازة تؤذيه، إلى أن يكدِّر عليه صفاء الثقة، وموسى عليه السلام قد كان منه الحدث في ذلك الفرعوني، ثم استغفر، وأقر بالظلم على نفسه، ثم غفر له، ثم قال بعد المغفرة ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء من المرسلين. ﴿ظَلَمَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، تقديره: هو،

والمفعول محذوف، تقديره: ظلم نفسه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿بَدَّلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿حُسْنًا﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف صفة: ﴿حُسْنًا﴾، وهو أولى من تعليقه بالفعل: ﴿بَدَّلَ﴾، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿سُوٓءٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿بَدَّلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها. ﴿فَإِنِّي﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: خبران لـ (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنِّي...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مفرعة، ومستأنفة، وهذا الإعراب يجعل هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها، لذا فالوجه اعتبار ﴿مَن﴾ مبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في محل رفع خبره، والفاء زائدة لتحسين اللفظ، ومضمون الجملة الاسمية: ﴿مَن ظَلَمَ...﴾ إلخ مستثنى من مضمون الكلام السابق. هذا؛ وقال الجمل: ﴿مَن﴾ شرطية، وجوابها جملة: ﴿فَإِنِّي...﴾ إلخ وتبقى الجملة اسمية في محل نصب على الاستثناء. هذا؛ وقيل: إن ﴿إِلَّا﴾ في هذه الآية بمعنى واو العطف، كما قيل: إنها بمعنى «لكن»، وهذان القولان ليسا بشيء.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: وفي سورة (القصص): ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ وهما بمعنى واحد، وقيل: كانت عليه مدرعة صوف، لا كم لها، ولا أزرار، فأدخل يده في جيبها، وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل شعاع الشمس أو البرق، والجيب طوق القميص، سمي جيباً؛ لأنه يجاب، أي: يقطع ليدخل فيه الرأس. هذا؛ وفي سورة (طه) قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ...﴾ إلخ رقم [٢٢] فيكون المراد بما هنا، وهناك: أدخل يدك في جيبك، وأوصلها تحت العضد، وضم عليها العضد، وهو المعبر عنه بالجناح.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: من غير عاهة، وقبح، كنى به عن البرص، كما كنى بالسَّوْءة عن العورة؛ لأن الطباع تعافه، وتنفر منه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل، والنهار، كضوء الشمس، والقمر، فكان يَغْشَى البصر من شدته.

هذا؛ والسوء: الشر، والفساد، والجمع: أسواء، وهو بضم السين من ساءه، وهو بفتحها المصدر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ تقول: رجُل سَوْءٍ بالإضافة، ورجل السَّوْءِ، ولا تقول: الرجلُ السَّوْءِ. وتأنيث السوء: السوأى، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾.

﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾: ﴿فِي﴾ بمعنى «مع» قاله جماعة، فتكون الآيات ـ أي: المعجزات ـ إحدى عشرة، منها اثنتان: اليد، والعصا، والتسع: الفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم. هذا؛ وقيل: ﴿فِي﴾ بمعنى «مِنْ» وهو قول ابن عطية. والأول قول الزجاج، وجماعة، وعليه: فاليد، والعصا من جملة التسع، وعليه؛ فالأخيران آية واحدة، والفلق ليس من التسع؛ لأنه حصل، ووقع فيه هلاك فرعون وجنوده. وانظر شرح هذه الآيات في محالها من سورة (الأعراف)، وسورة (يونس)، وسورة (الشعراء) إن أردت تفصيله.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ أي: خارجين عن طاعة الله، وفيه إشارة خفية إلى أن فسوقهم كان بتقدير الله وقضائه عليهم، وعلمه الأزلي بأنهم لو تركوا وشأنهم؛ لما اختاروا غير الكفر، والعناد، والخروج عن طاعة الله تعالى. وانظر ما ذكرته عن الزمخشري في الآية رقم [١٧] من سورة (الفرقان) والإشارة الخفية مفهومة من التعبير بالماضي.

هذا؛ و﴿فَٰسِقِينَ﴾ جمع فاسق، وأصل الفسق: الخروج عن القصد، والفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله تعالى بارتكاب الكبيرة، وله ثلاث درجات: الأولى: التغابي، وهو أن يرتكب الكبيرة أحياناً مستقبحاً إياها. والثانية: الانهماك، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها. والثالثة: الجحود، وهو أن يرتكبها مستصوباً إياها. فإذا شارف هذا المقام، وتخطى خططه؛ خلع ربقة الإيمان من عنقه، ولابس الكفر، وما دام في درجة التغابي، أو الانهماك؛ فلا يسلب عنه اسم المؤمن؛ لاتصافه بالتصديق؛ الذي هو مسمى الإيمان. انتهى. بيضاوي. في غير هذا الموضع.

الإعراب: ﴿وَأَدْخِلْ﴾: الواو: حرف عطف، (أدخل): فعل أمر معطوف على (ألق)، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَدَكَ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فِي جَيْبِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿تَخْرُجْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه في جواب الأمر، والفاعل يعود إلى: ﴿يَدَكَ﴾. ﴿بَيْضَآءَ﴾: حال من الفاعل المستتر. ﴿مِنْ غَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أخرى من الفاعل المستتر، أو من الضمير المستتر في: ﴿بَيْضَآءَ﴾، أو بمحذوف صفة: ﴿بَيْضَآءَ﴾، أو هما متعلقان بـ: ﴿بَيْضَآءَ﴾ نفسها، وجملة: ﴿تَخْرُجْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط مقدر قبل (أدخل) ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية.

﴿فِي تِسْعِ﴾: قال السمين: فيه أوجه: أحدها: أنه حال ثالثة من فاعل ﴿تَخْرُجْ﴾. قاله أبو البقاء، واختاره الجلال، أي: آية في تسع آيات، وأراد بالحالين: الأولى والثانية قوله: ﴿بَيْضَآءَ﴾، وقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ في الآية السابقة. الثاني: أنها متعلقة بمحذوف؛ أي اذهب في تسع، وهو اختيار الزمخشري. الثالث: أن يتعلق بقوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾، أي: في جملة: ﴿تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾. انتهى. بتصرف. وهذا على قول ابن عطية، والزجاج في تفسير:

﴿فِي﴾، و﴿تِسْعِ﴾ مضاف، و﴿ءَايَٰتٍ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل (أدخل) المستتر، أي: مرسلاً إلى فرعون، ويجوز أن يكونا متعلقين بمحذوف صفة: ﴿تِسْعِ﴾، أو صفة ﴿ءَايَٰتٍ﴾، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. (قومه): معطوف على: ﴿فِرْعَوْنَ﴾ بالواو العاطفة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَوْمًا﴾: خبر كان. ﴿فَٰسِقِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل للإرسال المفهوم مما تقدم.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: المعجزات التي أيدنا بها موسى، وهي التسع المنصوص عليها فيما تقدم. ﴿مُبْصِرَةً﴾ أي: بينة واضحة. وقال البيضاوي: اسم فاعل، أطلق للمفعول إشعاراً بأنها لفرط اجتلائها للأبصار، بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر، أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي، والعمي لا تهتدي، فضلاً عن أن تهدي، أو مبصرة كل من نظر إليها، وتأمل فيها. انتهى.

﴿قَالُوا۟﴾ أي: فرعون، وقومه، ﴿هَٰذَا﴾ أي: ما نشاهده، ونبصره. ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر واضح، وانظر شرح السحر في الآية رقم [٣٤] من سورة (الشعراء)، وإعلال: ﴿مُّبِينٌ﴾ في الآية رقم [١] منها.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: انظر الآية رقم [٨]. ﴿جَآءَتْهُمْ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: فاعل، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مُبْصِرَةً﴾: حال من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾، وجملة: ﴿جَآءَتْهُمْ...﴾ إلخ لها محل، أو لا محل لها حسب ما رأيت في الآية رقم [٨]. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿سِحْرٌ﴾: خبره. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿سِحْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾: كذبوا الآيات، وأنكروها، ولم يقروا: أنها من عند الله. ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: أيقنوا: أنها من عند الله، فالسين والتاء زائدتان، وليستا للطلب،

فيكون المعنى: جحدوا الآيات بألسنتهم، واستيقنوها بقلوبهم، وضمائرهم. هذا؛ والاستيقان أبلغ من الإيقان. ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي: اعتداءً، وترفعاً عن الإيمان بتلك المعجزات الباهرات. ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ...﴾ إلخ: أي انظر كيف كان مآلهم، ومصيرهم، وهو الإغراق في البحر، والإحراق بنار الجحيم، وإذاقتهم العذاب الأليم. والخطاب للنبي ﷺ، ويعم كل من كان له قلب يتدبر، وعين تبصر، وتعتبر، وما يتذكر إلا أولو الألباب. هذا؛ وانظر تفصيل ما فعل الله بفرعون، وقومه في سورة (الشعراء) وسورة (الأعراف) وسورة (طه) و(يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥١] الآتية فهو بحث جيد، يتعلق بـ ﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾.

الإعراب: ﴿وَجَحَدُوا﴾: الواو: حرف عطف، (جحدوا): فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وقال أبو عبيدة: الباء زائدة، أي وجحدوها. انتهى. قرطبي. ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا﴾: الواو: واو الحال. (استيقنتها): فعل ماض، والتاء للتأنيث، و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿أَنفُسُهُمْ﴾: فاعل، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾: في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، و«قد» قبلها مقدرة، ﴿ظُلْمًا﴾: مفعول لأجله، أو هو حال ثانيه بمعنى ظالمين. ﴿وَعُلُوًّا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَانظُرْ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر بـ: «إذا». (انظر): فعل أمر، معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَاقِبَةُ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، وهو مضاف، و﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، وجملة: ﴿كَيْفَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل (انظر)، وجملة: ﴿فَانظُرْ...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿كَانَ﴾ تامة، وفاعلها ﴿عَاقِبَةُ﴾، فتكون: ﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال من ﴿عَاقِبَةُ﴾ والعامل: ﴿كَانَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ أي: منحناهما علماً سنياً غزيراً، والمراد: علم الدين، والحكم وغيرهما مما هو من متعلقات النبوة، والرسالة، وهو مذكور في الزبور الذي أنزل على داود بالإضافة إلى الخلافة في الأرض. ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي...﴾ إلخ: وهنا كلام محذوف يجب تقديره ليصح العطف عليه بالواو، ولولا تقدير المحذوف، لكان الوجه الفاء،

كقولك: أعطيته، فشكر، وتقدير الكلام: آتيناهما علماً، فعملا به، وعلماه، وعرفا حق النعمة فيه، وقالا: الحمد لله الذي فضلنا. والكثير المفضل عليه من لم يؤت علماً، أو من لم يؤت مثل علمهما. وفيه أنهما فُضِّلا على كثير، وفُضِّل عليهما كثير.

وفي الآية الكريمة دليل على شرف العلم، وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجلِّ النعم، وأن من أوتيه؛ فقد أوتي فضلاً على كثير من عباده، وما سماهم رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف، والمنزلة؛ لأنهم القوام بما بعثوا لأجله، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ وقال جل شأنه: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وفي الآية أيضاً: أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أوتوه، وأن يعتقد العالم أنه إن فضِّل على كثير؛ فقد فضِّلَ عليه مثلهم، وما أحسن قول عمر ـ رضي الله عنه ـ: (كلُّ الناسِ أفقهُ من عمرَ). انتهى. نسفي بتصرف كبير. وخذ قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، وقصة موسى مع الخضر دليل واضح لما ذكرت. هذا؛ وانظر ما ذكرته من عُمر داود، وسليمان ـ على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام ـ في الآية رقم [٧٨] وما بعدها من سورة (الأنبياء) وأيضاً الآية رقم [٥٥] من سورة (الإسراء).

هذا؛ والحمد في اللغة: الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل، والتعظيم، سواء أكان في مقابلة نعمة أم لا؛ فالأول كمن يحسن إليك، والثاني كمن يجيد صلاته، وهو في اصطلاح علماء التوحيد: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعماً على الحامد أو غيره، سواء أكان ذلك قولاً باللسان، أو اعتقاداً بالجنان، أو عملاً بالأركان التي هي الأعضاء؟ كما قال القائل: [الطويل]

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةٌ ... يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

ومما هو جدير بالذكر: أن معنى الشكر في اللغة هو معنى الحمد في الاصطلاح، وأما معنى الشكر في الاصطلاح فهو: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله. هذا؛ وقد حثنا الرسول ﷺ على حمد الله باللسان، ورغبنا فيه، وذكر لنا أحاديث ترغبنا فيه، وصيغاً مفصَّلة على غيرها؛ لما فيها من المعاني القوية، وخذ نبذة من ذلك فيما يلي:

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ حَدَّثَهُمْ: **«أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبادِ اللهِ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا؟! فَصَعِدَا إلى السَّمَاءِ، فقالا: يا رَبَّنَا إِنَّ عبْدَكَ قَدْ قَالَ مقالةً لا نَدْرِي كَيْفَ نكتبُهَا؟ قال اللهُ، وهو أَعْلَمُ بما قال عبْدُهُ: ماذَا قَالَ عبدي؟ قالا: يا رَبِّ إِنَّهُ قَدْ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ**

الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ ولِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فقال اللهُ لَهُمَا: اكْتُبَاهَا كَمَا قالَ عبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي، فأجْزِيَهُ بِهَا». رواه أحمد وابن ماجه.

وعن أبي أيوب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رجلٌ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ: الْحَمْدُ لله حمداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه، فقال رسول الله ﷺ: **«مَنْ صاحِبُ الْكَلِمةِ؟»**. فسكت الرجلُ، ورأىَ أنه قدْ هَجَمَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ على شيءٍ يَكْرَهُهُ، فقال رسول الله ﷺ: **«مَنْ هُوَ؟ فإنهُ لمْ يقُلْ إلا صَوَاباً»**. فقال الرَّجُلُ: أَنا قلتها يا رسول الله أرجو بها الخير! فقال: **«والذي نفسي بيده! لقد رأيت ثلاثة عشر مَلَكاً يبتَدِرُوْنَ كَلِمَتَكَ، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا إلى اللهِ تباركَ وتعالَى»**. رواه الطبراني، والبيهقي. وانظر ما ذكرته في الشكر في الآية رقم [١٣] من سورة (سبأ).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿دَاوُدَ﴾: مفعول به أول. ﴿وَسُلَيْمَٰنَ﴾: معطوف على ما قبله بالواو العاطفة، ﴿عِلْمًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: (لقد آتينا...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. وانظر سورة (السجدة) رقم [٢٣] أو الآية رقم [٣٧] من سورة (طه) إن أردت الزيادة. ﴿وَقَالَا﴾: الواو: حرف عطف. (قالا): فعل ماض مبني على الفتح، وألف الاثنين ضمير متصل في محل رفع فاعل، ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لفظ الجلالة، أو هو بدل منه. ﴿فَضَّلَنَا﴾: فعل ماض، و(نا): مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْ عِبَادِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿كَثِيرٍ﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: صفة ﴿عِبَادِهِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة (قالا...) إلخ معطوفة على المحذوف الذي رأيت تقديره في الشرح، والذي هو معطوف على جملة جواب القسم. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾: قال الكلبي: كان لداود ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ تسعة عشر ولداً، فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه، ولو كان وراثة مال، لكان جميع أولاده فيه سواء، فخص الله سليمان بما كان لداود من الحكمة، والنبوة، وزاده من فضله

ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده. وقال ابن عطية: ورث سليمان من داود ملكه، ومنزلته من النبوة، بمعنى: صار ذلك إليه بعد موت أبيه، فسمي ميراثاً تجوزاً، وهذا نحو قول النبي ﷺ: «**الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**». ويحتمل قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنَّا مَعْشَرَ الأنبياء لا نُورَثُ**». أنَّه يريد: أن ذلك من فعل الأنبياء، وسيرتهم.

وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبداً من سليمان. وقال غيره: لم يبلغ أحد من الأنبياء ما بلغ ملكه، فإن الله سبحانه وتعالى سخر له الإنس، والجن، والطير، والوحش، وآتاه ما لم يؤت أحداً من العالمين، وورث أباه في الملك والنبوة، وقام بعده بشريعته، وكل نبي جاء بعد موسى ممن بعث، أو لم يبعث، فإنما كان بشريعة موسى إلى أن بعث عيسى عليه السلام، فنسخها. وقيل: إن بين موته وبين مولد النبي ﷺ، نحواً من ألف وسبعمئة سنة، وعاش نيفاً وخمسين سنة.

﴿وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾: سمى صوت الطير منطقاً لحصول الفهم منه، والمنطق كل ما يصوت به من المفرد، والمؤلف المفيد، وغير المفيد. وقول سليمان هذا إنما هو تشهيرٌ لنعمة الله تعالى، واعترافٌ بمكانها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير، وكان سليمان عليه السلام يفهم منها، كما يفهم بعضها من بعض.

هذا؛ وروي عن كعب الأحبار قال: صاح ورشان عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: لِدُوا للموت وابنوا للخراب. وصاحت فاختةٌ، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا، وليتهم إذا خُلقوا علموا لماذا خُلقوا، وصاح طاووس، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: من لا يَرحمْ لا يُرحَمْ. وصاح صرد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: استغفروا ربكم يا مذنبين. وصاحت طيطوى، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول: كل حي ميت، وكل جديد بال، وصاح خطاف، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: قدموا خيراً تجدوه، وهدرت حمامة، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه. وصاح قُمْرِيٌّ، فقال: أتدرون ما يقول: قالوا: لا، قال: إنه يقول: سبحان ربي العظيم. ثم قال: والغراب يدعو على العشار، والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا وجهه. والقطاة تقول: من سكت سلم. والببغاء تقول: ويل لمن كانت الدنيا همه، والسرطان يقول: سبحان ربي القدوس. والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده. والضفدعة تقول: سبحان المذكور بكل لسان. والدُّرَّاج يقول: الرحمن على العرش استوى.

وقال فَرْقَد السَّبَخيُّ: مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه، ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا: لا يا نبي الله! قال: إنه يقول: أكلتُ نصف ثمرة،

فعلى الدنيا العفاء. ومر بهدهد فوق شجرة، وقد نصب له صبي فخّاً، فقال له سليمان: احذر ياهدهد! فقال: يا نبي الله، هذا صبي لا يعقل، فأنا أسخر به. ثم رجع سليمان، فوجده قد وقع في حبالة الصبي، وهو في يده، فقال: ياهدهد ما هذا؟ قال: ما رأيتها حتى وقعت فيها يا نبي الله! قال: ويحك، فأنت ترى الماء تحت الأرض، أما ترى الفخ، قال: يا نبي الله! إذا نزل القضاء عمي البصر. انتهى. خازن. وقريب منه في الكشاف، والقرطبي.

وقال الحسن قال النبي ﷺ: «**الدِّيكُ إذا صاح؛ قال: اذكروا الله يا غافلين**». وقال الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ قال النبي ﷺ: «**النسر إذا صاح قال: يا بنَ آدم عِشْ ما شئت، فآخرُك الموتُ. وإذا صاح العُقَاب؛ قال: في البعد من الناس الراحة. وإذا صاح القُنْبُر، قال: إلهي العن مبغضي آل محمد. وإذا صاح الخطاف قرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيقول: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، ويمد بها صوته، كما يمد القارئ**». انتهى. قرطبي.

وفيه أيضاً: وصاحت خطافة عند سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: قدموا خيراً تجدوه، فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها. وقيل: إن آدم خرج من الجنة، فاشتكى إلى الله الوحشة، فآنسه الله تعالى بالْخُطَّاف وألزمها البيوت، فهي لا تفارق بني آدم أنساً لهم. انتهى.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾: هذا قول وارد على سبيل الشكر، والمحمدة، كما قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْر**». أي أقول هذا القول شكراً، ولا أقوله فخراً. انتهى. كشاف.

هذا؛ والطير: اسم جمع مثل: غنم، وخيل. وقيل: بل هو جمع: طائر، مثل: صَحْب، وصاحب، ويصح إطلاقه على المفرد، والمثنى، والجمع، وجمع الطير: طيور، وأطيار، مثل: فرخ، وفروخ، وأفراخ. وقال قطرب وأبو عبيدة: الطير قد يقع أيضاً على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وطائر الإنسان: عمله، الذي قُلِّدَه، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾. والطير أيضاً: الاسم من التطير، ومنه قولهم: (لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُ اللهِ) كَمَا يُقَالُ: (لَا أَمْرَ إِلَّا أَمْرُ اللهِ). انتهى. مختار.

الإعراب: ﴿وَوَرِثَ﴾: الواو: حرف عطف، (ورث): فعل ماض. ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾: فاعل. ﴿دَاوُۥدَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿وَوَرِثَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ءَاتَيْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، تقديره: «هو». (يا): حرف نداء ينوب مناب: أدعو، أو أنادي. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ(يا)، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: بعضهم يعرب هذا؛ وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل:

أنَّ الاسم الواقع بعد «أي» واسم الإشارة، إن كان مشتقاً؛ فهو نعت، وإن كان جامداً كما هنا فهو بدل، أو عطف بيان، والمتبوع، أعني: (أيُّ) منصوب محلاً، فكذا التابع، أعني: ﴿ٱلنَّاسُ﴾، وأمثاله، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الإتباع اللفظية. . . إلخ. ﴿عُلِّمْنَا﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، و(نا): نائب فاعله، وهو المفعول الأول، ﴿مَنطِقَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلطَّيْرِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَأُوتِينَا﴾: الواو: حرف عطف. (أوتينا): فعل ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، و(نا): نائب فاعله. ﴿مِن كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم: ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَهُوَ﴾: اللام: هي المزحلقة، (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، ﴿ٱلْفَضْلُ﴾: خبره، ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿لَهُوَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. هذا؛ وإنْ اعتبرت الضمير فصلاً؛ فالخبر: ﴿ٱلْفَضْلُ﴾، وأخيراً فالكلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا...﴾ إلخ، كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ﴾: الحشر: الجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ وهذا كثير في القرآن بلفظ الماضي، والمضارع، والأمر، مثل قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: معناه: يُرَدُّ أولهم إلى آخرهم، ويُكفُّون. وانظر الآية رقم [٨٣] الآتية، قال قتادة: كان لكل صنف وزعة في رتبتهم، ومواضعهم من الكرسي، ومن الأرض إذا مشوا فيها، والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم. والوازع: الرادع، والزاجر. قال الشاعر: [الطويل]

وَلَا يَزَعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ عَنِ الْهَوَى ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَافِرُ الْعَقْلِ كَامِلُهْ

ومن هذا قول النابغة الذبياني: [الطويل]

عَلَى حينَ عاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ؟!

وقال الحسن البصري: لا بد للناس من وازع، أي: من سلطان يكفُّهم. وذكر ابن القاسم قال حدثنا مالك: أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: مَا يَزَعُ الإِمَامُ أَكْثَرُ مِمَّا يَزَعُ الْقُرْآنُ. والمحفوظ: إن الله يَزَعُ بالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بالْقُرْآنِ، وشرح الجملتين واضح إن

شاء الله تعالى. هذا؛ وأوزعه، يوزعه: أغراه يغريه. قال النابغة الذبياني في وصف ثور وحشي، وذلك من معلقته البيت رقم [١٤]: [البسيط]

فَهَابَ ضُمْرانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزِعُهُ ... طَعْنُ الْمُعَارِكِ عِنْدَ الْمُجْحَرِ النَّجِدِ

قال محمد بن كعب القرظي ـ رضي الله عنه ـ: كان معسكر سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ مئة فَرْسَخ، خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، والْفَرْسَخُ اثنا عشر ألف خطوة، فالبريد ثمانيةٌ وأربعون ألف خطوة، وكان يوضع كرسيه في وسطه، فيقعد؛ وحوله كراسي الذهب، والفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، والناس حوله، والجن، والشياطين حول الناس، والوحوش حولهم، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمئة منكوحة، يعني: حرة، وسبعمئة سُرِّيَّة، فيأمر الريح العاصف، فيرفع البساط، ثم يأمر الرخاء، فتسير به، والأول مذكور في الآية رقم [٨١] من سورة (الأنبياء): ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ...﴾ إلخ، والثاني مذكور في الآية رقم [٣٦] من سورة ص: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾. وأوحى الله إليه، وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك: أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيءٍ إلا جاءت الريح، وأخبرتك به.

فيحكى: أنه مرَّ بحرَّاث، فقال: لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً، فألقته الريح في أذنه، فنزل، ومشى إلى الحراث، وقال: إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه. ثم قال له: لَتسبيحةٌ واحدةٌ يقبلها الله خيرٌ مما أوتي آلُ داودَ. انتهى. من الخازن، والقرطبي، والكشاف بتصرف. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨١] و [٨٢] من سورة (الأنبياء) إن أردت الزيادة، وقد أنكر عبد الوهاب النجار ما ذكره المفسرون من سعة البساط المذكور، وقَصَرَ ملكَ داود، وسليمان على البلاد الشامية، وهذا لم يقله أحد غيره فيما أعلم. وإذا عرفنا: أن سليمان كان أحد أربعةٍ ملكوا الدنيا، وهم إسكندر ذو القرنين، والنمرود، وشداد بن عاد، وقرأنا ما ذكره الله حكاية من قوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾؛ لا يبقى لما قاله وجه.

الإعراب: ﴿وَحُشِرَ﴾: الواو: حرف عطف. (حشر): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لِسُلَيْمَٰنَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون. ﴿جُنُودُهُۥ﴾: نائب فاعل: (حشر)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها من جمل، لا محل لها أيضاً، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿جُنُودُهُۥ﴾. ﴿وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾: معطوفان على ﴿ٱلْجِنِّ﴾. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف، وتعقيب. وقيل: الفاء الفصيحة، ولا وجه له قطعاً. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُوزَعُونَ﴾: فعل

مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . . إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ أي: أشرفوا، وأقبلوا على الوادي الذي فيه النمل. روي عن كعب الأحبار: أنه قال: كان سليمان إذا ركب؛ حمل أهله، وخدمه، وحشمه، وقد اتخذ مطابخ، ومخابز، فيها تنانير الحديد، والقدور العظام، تسع كل قدر عشرة من الإبل، فيطبخ الطباخون، ويخبز الخبازون، وهو بين السماء والأرض، واتخذ ميادين للدواب، فتجري بين يديه، والريح تهوي به، فسار من إصطخر يريد اليمن، فسلك على مدينة الرسول ﷺ، فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان، فطوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه! ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناماً تعبد، فجاوزه سليمان، فلما جاوزه بكى، فأوحى الله إليه ما يبكيك؟ قال: يا رب! هذا نبي من أنبيائك، ومعه قوم من أوليائك مروا علي، ولم يهبطوا، ولم يصلوا عندي، والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله إليه: لا تبك، فإني سوف أملؤك وجوهاً سجداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك في آخر الزمان أحب أنبيائي إليَّ، وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني، وأفرض عليهم فريضة يزفون إليك زفيف النسر إلى وكرها، ويحنون إليك حنين الناقةِ إلى ولدها، والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان، والأصنام، والشيطان. ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير وادٍ من الطائف، فأتى على واد النمل، كذا قال كعب الأحبار. وقيل: إنه بالشام. انتهى. خازن. ونقله عنه الجمل بحروفه.

هذا؛ ويرد على هذا المقال أمران: الأول: أن سليمان نبي مرسل، والنبي المرسل مأمور بإزالة المنكر أينما وجد، وهل يوجد منكر أعظم من الشرك، وعبادة الأوثان، فكيف جاوز البيت بعد أن رأى الأصنام حوله، وبإمكانه إزالة المنكر؛ لأن الله أعطاه من القوة ما ذكره الله في الآية السابقة وشرحته لك كما رأيت، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١].

الأمر الثاني: لا أعتقد تاريخياً: أن الأصنام أدخلت البيت الحرام، ووضعت حول الكعبة في الحقبة التي كان فيها سليمان حياً في الدنيا؛ لأن الأصنام، إنما أدخلها المسجد الحرام عمرو بن لحي الخزاعي، وهذا كان في الفترة التي كانت بين عيسى، ومحمد صلى الله عليهم أجمعين على ما يبدو تاريخياً، فعهد سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ يقارن عهد قبيلة جرهم، التي كانت تحكم مكة قبل قبيلة خزاعة التي منها عمرو المجرم الأثيم، والله أعلم. هذا؛ وقد ذكر المرحوم عبد الوهاب النجار: أن سليمان كان قبل المسيح بألف سنة.

هذا؛ وقد اختلف في حجم النمل، فقال الكلبي: كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد. وقيل: كان نمل ذلك الوادي كهيئة الذئاب في العظم. وقال بريدة الأسلمي: كهيئة النعاج. وقولها: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ يدل على صحة قول الكلبي؛ إذ لو كانت كهيئة الذئاب، والنعاج لما حطمت بالوطء.

وعن قتادة: أنه دخل الكوفة، فالتفت إليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضراً، وهو غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان، أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسألوه، فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت؟ قال: من كتاب الله، وهو قوله: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٌ﴾ ولو كانت ذكراً لقال: قال نملة، وذلك: أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر، والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو: حمامة ذكر، وحمامة أنثى، وهو وهي.

هذا؛ وسميت النملة نملة؛ لتنملها، وهو كثرة حركتها، وقلة قرارها. والنمل: حيوان معروف، شديد الإحساس، والشم، حتى إنه ليشم الشيء من بعيد، ويدخر قوته. ومن شدة إدراكه أنه يفلق الحبة حبتين خوفاً من الإنبات، ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق؛ لأنها إذا فلقت فلقتين؛ تنبت، ويأكل في عامه نصف ما جمع، ويستبقي باقيه عدة. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع من الدواب: (الهدهد، والصرد، والنملة، والنحلة). أخرجه أبو داود. وهذا إذا لم يكن منهن أحد مؤذياً، وإلا فقتل المؤذي حلال.

فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ «**أن نملةً قرصت نبياً من الأنبياء، فأمر بقريةِ النمل، فأُحرِقَتْ، فأوحى الله تعالى إليه: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبِّحُ؟!**» وفي طريق آخر: «فهلا نملة واحدة». قال العلماء: يقال إن هذا النبي هو موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وإنه قال: يا رب تعذب أهل قرية بمعاصيهم، وفيهم الطائع، فكأنه أحب أن يريه ذلك من عنده، فسلط عليه الحر حتى التجأ إلى شجرة مستروحاً إلى ظلها، وعندها قرية النمل، فغلبه النوم، فلما وجد لذة النوم؛ لدغته النملة، فأضجرته، فدلكهنّ بقدمه، فأهلكهنّ، وأحرق تلك الشجرة التي عندها مساكنهم، فأراه الله العبرة في ذلك لما لدغته نملة، فقال: فكيف أصبت الباقين بعقوبتها، يريد أن ينبهه: أن العقوبة من الله تعالى تعمُّ، فتصير رحمة على المطيع، وطهارة، وبركة، وشراً، ونقمة على العاصي، وعلى هذا فإن من آذاك حل لك دفعه عن نفسك، ولا أحد من خلق الله أعظم حرمة من المؤمن، وقد أبيح لك دفعه عنك بقتل، وضرب على المقدار، فكيف بالهوام والدواب التي قد سخرت لك، وسلطت عليها. انتهى. قرطبي.

﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾: لما جعلها الله قائلة، والنمل مقولاً لهم، كما يكون في العقلاء؛ أجرى خطاب النمل خطاب العقلاء، وذلك بالواو التي هي علامة جمع المذكر السالم. ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾: فإن قيل: كيف يتصور الحطم ـ وهو التكسير ـ من سليمان، وجنوده، وهو فوق البساط على متن الريح، فالجواب: كأنهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي،

فلذلك قالت: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ لأنهم ما دامت الريح تحملهم، لا يخشى حطمهم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. هذا؛ وفي الآية قراءات كثيرة، ولم يتغير المعنى، ولا الإعراب. هذا؛ وفي قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: احتراس لا يخفى، وقد أنشدوا ملغزين في نملة سليمان، وبقرة بني إسرائيل: [الطويل]

فَمَا مَيِّتٌ أَحْيَا بِهِ اللهُ مَيِّتاً لِيُخْبِرَ قَوماً أُنْذِرُوا بِبَيَانِ

وَعَجْفَاءُ قَدْ قامَتْ لِتُنْذِرَ قَومَهَا وأهلَ قُراها رهبةَ الحَدَثَانِ

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، ويعتبرها الأخفش في مثل ذلك حرف جر، وقد رده ابن هشام في المغني، وعلى الوجهين فهي غاية لمحذوف، التقدير: فسار سليمان، وجنوده؛ حتى إذا أتوا. . . إلخ. ﴿إِذَآ﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿أَتَوْا۟﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿عَلَىٰ وَادِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء للثقل، و﴿وَادِ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّمْلِ﴾ مضاف إليه. ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿نَمْلَةٌ﴾: فاعله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾: مثل قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾. ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَسَٰكِنَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: ناهية، أو نافية. ﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، ونون التوكيد حرف لا محل له، والكاف مفعول به. ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾: فاعله، وفي محل الجملة الفعلية وجهان: أحدهما أنها مستأنفة، والثاني: أنها بدل من جملة: ﴿ٱدْخُلُوا۟...﴾ إلخ. هذا؛ وعلى اعتبار ﴿لَا﴾ نافية، فالفعل ﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ مبني على الفتح في محل جزم جواب الأمر قبله.

قال الزمخشري: والذي جوز أن يكون بدلاً منه: أنه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم (فيحطمنكم)، على طريقة: لا أرينك هاهنا هذا؛ وقال ابن هشام: أكد المضارع بالنون بعد ﴿لَا﴾ النافية، حملاً لها في اللفظ على ﴿لَا﴾ الناهية في نحو قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾. ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾: معطوف على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هم لا يشعرون) في محل نصب حال من ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ والرابط: الواو، والضمير، والكلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَآ﴾ لا محل لها من الإعراب، والكلام المقدر، والمذكور: فسار سليمان وجنوده؛ حتى إذا أتوا. . . إلخ كلام مستأنف، لا محل له.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾

الشرح: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ أي: تعجباً من حذرها، وتحذيرها، واهتدائها إلى مصالحها، أو سروراً بما خصه الله به من إدراك همسها، وفهم غرضها. هذا؛ وقوله تعالى ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ يشير إلى أنه لم يقهقه في ضحكه، وكذلك جل ضحك الأنبياء التبسم، وما روي: أن النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، فالغرض منه المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي، لا القهقهة، وكذلك ورد النهي عن كثرة الضحك، وقد كره العلماء منه الكثرة، كما قال لقمان لابنه: (يا بني! إياك وكثرة الضحك؛ فإنه يميت القلب)،

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قطُّ ضحكاً حتى أرَى منه لهواتِهِ إنما كان يبتسم). متفق عليه، وعن عبد الله بن الحارث بن جزء، قال: (ما رأيتُ أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله). أخرجه الترمذي.

وقيل: إن سبب ضحك سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ شيئان: أحدهما: ما دل من قولها على ظهور رحمته، ورحمة جنوده، وشفقتهم، وذلك من قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. الثاني: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراك فهم ما تقوله النملة، وغيرها؛ والإنسان إذا رأى، أو سمع ما لا عهد له به ضحك.

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أي: ألهمني، وأصله من: وزع، فكأنه قال: كُفَّني عما يسخط، ووفقني لما يرضي. ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾: ما أنعم الله به عليه وعلى والديه فقد سطره القرآن الكريم من تسبيح الجبال مع داود، وإلانة الحديد له، وإتيانه الملك، وتسخير الجن، والإنس، والطير لسليمان، وإتيانه ما لم يؤته الله أحداً من العالمين قبله، وبعده إلى يوم الدين. وقد أدرج في كلامه ذكر والديه تكثيراً للنعمة، أو تعميماً لها، فإن النعمة عليهما نعمة عليه، والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية، فإنه إن كان تقياً نفعهما بدعائه، وشفاعته، وبدعاء المؤمنين كلما دعوا له، وقالوا: رضي الله عنك، وعن والديك. وهذا سمعته بإذني، ووقر في قلبي، والحمد لله رب العالمين، ولذلك دعا العبد الصالح في الآية رقم [١٥] من سورة (الأحقاف) بمثل ما دعا سليمان هنا، وزاد قوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ وهذا بخلاف الفاسق، والمؤذي لعباد الله الذي يسبب المسبة، والمذمة لنفسه، ولوالديه، وما أكثرهم في هذا الزمن!

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: مع عبادك فـ: ﴿فِي﴾ بمعنى: مع، وقيل: المعنى في جملة: ﴿عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد مع إبراهيم،

وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومن بعدهم من النبيين، فإن قيل: درجات الأنبياء أفضل من درجات الصالحين، فما السبب في أن الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين، وقد تمنى إبراهيم ذلك بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ رقم [٨٣] من سورة (الشعراء)، وقد تمنى يوسف عليه السلام ذلك بقوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أجيب بأن الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله، ولا يفعل معصية، ولا يهم بها، وهذه درجة عالية. انتهى. جمل، نقلاً عن الخطيب.

فائدة: بعد أن تبسم سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ من كلام النملة المتقدم مضت النملة مسرعة إلى قومها، فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى سليمان نبي الله؟ قالوا: وما قدر ما نهدي له؟ والله ما عندنا إلا نَبِقَةٌ واحدة، قالت: حسنة، ائتوني بها، فأتوها بها، فحملتها بفيها، فانطلقت تجرها، فأمر الله الريح فحملتها، وأقبلت تشق الإنس، والجن، والعلماء على البساط، حتى وقعت بين يديه، ثم وضعت تلك النَّبِقَة مِنْ فيها في كفه، وأنشأت تقول: [الطويل]

أَلَمْ تَرَنَا نُهْدِي إِلَى اللهِ مَا لَهُ ... وَإِنْ كَانَ عَنْهُ ذَا غِنىً فَهْوَ قَابِلُهْ
وَلَوْ كَانَ يُهْدى لِلْجَلِيلِ بِقَدْرِهِ ... لَقَصَّرَ عَنْهُ الْبَحْرُ يَوْماً وَسَاحِلُهْ
وَلَكِنَّنَا نُهْدِي إِلَى مَنْ نُحِبُّهُ ... فَيَرْضَى بِهِ عَنَّا ويُشْكَرُ فَاعِلُهْ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا مَنْ كَرِيمٌ فِعَالُهُ ... وَإِلَّا فَمَا فِي مُلْكِنَا ما يُشَاكِلُهْ

فقال لها: بارك الله فيكم، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله، وأكثر خلق الله. انتهى. قرطبي ومثله ما قيل في هذا المعنى: [البسيط]

جَاءَتْ سُلَيْمَان يَوْمَ الْعَرْضِ هُدْهُدَةٌ ... تَحْمِلُ جرادةً كَانَتْ في فِيهَا
وَتَكَلَّمَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً ... إِنَّ الْهَدَايَا عَلَى قَدْرِ مُهْدِيهَا
لَوْ كَانَ يُهْدى لِلإِنْسَانِ قِيمَتُهُ ... لأَهْدَيْتُ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

الإعراب: ﴿فَتَبَسَّمَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (تبسم): فعل ماض، وفاعله تقديره: «هو» يعود إلى ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾. ﴿ضَاحِكًا﴾: حال مؤكدة، وقرئ: (ضحكاً) على أنه مفعول مطلق، والعامل فيه (تبسم)؛ لأنه بمعنى: ضحك. ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿فَتَبَسَّمَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مفرعة على محذوف، التقدير: فسمع قولها المذكور فتبسَّم. ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض، وفاعله يعود إلى ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾ أيضاً. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه

أداة النداء، وانظر الآية رقم [١٦٩] من سورة (الشعراء). ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر، تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿أَشْكُرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَنْ﴾، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا». ﴿نِعْمَتَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّتِيٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة ﴿نِعْمَتَكَ﴾. ﴿أَنْعَمْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة صلة ﴿ٱلَّتِيٓ﴾ والعائد محذوف؛ إذ التقدير: التي أنعمتها. ﴿عَلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. (على والدي): جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

و﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾: في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثان، أو في محل نصب بنزع الخافض، والكلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفةٌ على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والمصدر المؤول من: (أن أعمل صالحاً) معطوف على سابقه، فهو مثله في محل نصب مفعول به. ﴿تَرْضَىٰهُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت»، والهاء في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ثانية للموصوف المحذوف، والصفة الأولى: ﴿صَٰلِحًا﴾. (أدخلني): إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾، وهي معطوفة عليها. ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِي عِبَادِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: صفة: ﴿عِبَادِكَ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾: التفقد: تطلّب ما غاب عنك من شيء. ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾: استفهام استخبار، ولا حاجة إلى ادِّعاء القلب، كما قاله بعضهم: إن الأصل ما للهدهد لا أراه. إذ المعنى صحيح بدون ادعاء القلب. هذا؛ والهدهد بضم الهاء الثانية وكسرها طائر ذو خطوط وألوان كثيرة، الواحدة هدهدة بضم الهاء الثانية وكسرها أيضاً، والجمع: هداهد، وهداهيد. ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾: أم منقطعة، فهي بمعنى «بل»، كأنه لما لم يره؛ ظن: أنه حاضر، ولا يراه لساتر أو غيره، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾: ثم احتاط، فلاح له أنه غائب، فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: بل هو غائب، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له.

تنبيه: لقد اختلف الناس في معنى تفقده للطير على أقوال كثيرة، وأكتفي بما يلي نقلاً عن القرطبي. فقد قال عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ: إنما طلب الهدهد؛ لأنه احتاج إلى معرفة الماء على كم هو من وجه الأرض؛ لأنه كان نزل في مفازة عُدِم فيها الماءُ، وأن الهدهد كان يرى باطن الأرض وظاهرها، فكان يخبر سليمان بموضع الماء، ثم كانت الجن تخرجه في ساعة يسيرة، تسلخ عنه وجه الأرض كما تسلخ الشاة، قاله ابن عباس فيما روى عن ابن سلام، وذكر: أن سليمان لم يصحب معه سوى هذا الهدهد في سفره، ولذا فقده، مع كون الهداهد كثيرة.

قال أبو مِجْلَز، قال ابن عباس لعبد الله بن سلام ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: أريد أن أسألك عن ثلاث مسائل قال: أتسألني، وأنت تقرأ القرآن؟ قال: نعم (ثلاث مرات) قال: لِمَ تفقد سليمان الهدهد دون سائر الطير؟ قال: احتاج إلى الماء، ولم يعرف عمقه، وكان الهدهد يعرف ذلك دون سائر الطير، فتفقده. وروي: أن نافع بن الأزرق الخارجي سمع ابن عباس يذكر شأن الهدهد، فقال له: قف يا وقّاف، كيف يرى الهدهد باطن الأرض، وهو لا يرى الفخ حين يقع فيه؟! فقال له ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا جاء القدر عمي البصر. قال ابن العربي: ولا يقدر على هذا الجواب إلا عالم القرآن، وأنشدوا في هذا المعنى: [الرجز]

إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْـراً بِـامْـرِئٍ ... وَكَـانَ ذَا عَـقْـلٍ وَرَأْيٍ وَنَـظَـرْ
وحِـيـلَـةٍ يُـعْـمِـلُـهَـا فـي دفـعِ مَـا ... يَـأْتِـي بِـهِ مَـكْـرُوهُ أَسْـبَـابِ الْـقَـدَرْ
غَـطَّـى عَـلَـيْـهِ سَـمْـعَـهُ وَعَـقْـلَـهُ ... وَسَـلَّـهُ مِـنْ ذِهْـنِـهِ سَـلَّ الـشَّـعَـرْ
حَـتَّـى إِذَا أَنْـفَـذَ فِـيـهِ حُـكْـمَـهُ ... رَدَّ عَـلَـيْـهِ عَـقْـلَـهُ لِـيَـعْـتَـبِـرْ

الإعراب: ﴿وَتَفَقَّدَ﴾: الواو: حرف عطف. (تفقد): فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (سليمان). ﴿ٱلطَّيْرَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (تبسم...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف، وتعقيب. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (سليمان) أيضاً، (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (لي): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿أَرَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «أنا». ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال، من ياء المتكلم، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال الاستفهام. ﴿أَمْ﴾: حرف إضراب بمعنى «بل» كما رأيت. وتسمى منقطعة. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الهدهد. ﴿مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان، والكلام: ﴿مَالِىَ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ...﴾ إلخ: لقد اختلف في هذا التعذيب اختلافاً كبيراً. فقيل: هو أن ينتف ريشه وذنبه، ويلقيه في الشمس مُمَعَّطاً، لا يمتنع من النمل، ولا من غيره. وقيل: هو أن يودعه السجن. وقيل: هو أن يحبسه مع ضده. وقيل: هو أن يفرق بينه وبين إلفه. وقيل: هو أن يلزمه خدمة أقرانه. وقيل: هو أن يبعده عن خدمته. وعن بعضهم: أضيق السجون معاشرة الأضداد. ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بعذر واضح على تغيبه. وقرئ الفعل بنونين. قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: قد حلف على أحد ثلاثة أشياء، فحلفه على فعليه لا مقال فيه، ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد؟ ومن أين درى: أنه يأتي بسلطان مبين حتى يقول: (والله ليأتيني بسلطان مبين)؟ قلت: لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك: ليكونن أحد الأمور، يعني: إن كان الإتيان بسلطان؛ لم يكن تعذيب، ولا ذبح، وإن لم يكن كان أحدهما، وليس في هذا ادعاء دراية. انتهى.

وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء: أن سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ لما فرغ من بناء بيت المقدس؛ عزم على الخروج إلى أرض الحرم؛ ليحج، فتجهَّز للمسير، واستصحب جنوده من الجن والإنس، والطير، والوحش فحملتهم الريح، فلما وافى الحرم أقام فيه ما شاء الله أن يقيم، وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة، ويذبح خمسة آلاف ثور، وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي، صفته كذا، وكذا، ويعطى النصر على جميع من عاداه، وتبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم. فقالوا: بأي دين يدين يا نبي الله؟! قال: بدين الله الحنيفية، فطوبى لمن أدركه، وآمن به!

قالوا: كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟! قال: مقدار ألف سنة، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه سيد الأنبياء، وخاتم الرسل. قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً، وسار نحو اليمن، فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء، تزهو خضرتها، فأحب النزول بها ليصلي، ويتغدى، فلما نزل، قال الهدهد: قد اشتغل سليمان بالنزول، فارتفع نحو السماء، ينظر إلى طول الدنيا وعرضها، ففعل ذلك، فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً رأى بستاناً لبلقيس، فنزل إليه، فإذا هو بهدهد آخر، فسأله من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، قال: ومن سليمان؟ قال: ملك الإنس، والجن، والشياطين، والطير، والوحش، والرياح، فمن أنت؟ قال: أنا من هذه البلاد، قال: ومن يملكها؟ قال: امرأة يقال لها: بلقيس، وإن لصاحبك ملكاً عظيماً، ولكن ليس ملك بلقيس دونه. وبلقيس بكسر الباء على الأفصح، فإنها

تملك اليمن، وتحت يدها أربعمئة ملك، كل ملك على كورة، مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلاثمئة وزير، يدبرون ملكها، ولها اثنا عشر قائداً، مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها، قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء، قال الهدهد اليماني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة. قال: فانطلق معه، ونظر إلى بلقيس وملكها. وأما سليمان عليه السلام، فإنه نزل على غير ماء، فسأل الجن، والإنس عن الماء، فلم يعلموا، فتفقد الهدهد، فلم يره، فدعا بعريف الطير، وهو النسر، فسأله عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين ذهب؟ وما أرسلته إلى مكان. فغضب سليمان، ولم يكن معه إلا هذا الهدهد، قال: لأعذبنه. . . إلخ، ثم دعا العقاب، وهو أشد الطير طيراناً، فقال: علي بالهدهد الساعة، فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم، ثم التفت يميناً، وشمالاً، فرأى الهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقض العقاب يريده، وعلم الهدهد: أن العقاب يقصده بسوء.

فقال: بحق الذي قواك، وأقدرك علي إلا ما رحمتني، ولم تتعرض لي بسوء! فتركه العقاب، وقال: ويحك! إن نبي الله قد حلف أن يعذبك، أو يذبحك. فسارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام، فلما انتهيا إلى العسكر؛ تلقاه النسر، والطير، وقالا له: ويلك! أين غبت في يومك هذا؟ فلقد توعدك نبي الله. وأخبراه بما قال سليمان، فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ فقالوا: بلى إنه قال: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾. فقال: نجوت إذاً، وكانت غيبته من الزوال، ولم يرجع إلا بعد العصر، فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان، وكان قاعداً على كرسيه، فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله! فلما قرب منه الهدهد، رفع رأسه، وأرخى ذنبه، وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه، فمده إليه، وقال له: أين كنت؟ لأعذبنك عذاباً شديداً! فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل. فلما سمع سليمان ذلك منه ارتعد وعفا عنه، ثم سأله: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدهد: أحطت بما لم تحط به. . . إلخ، انتهى. خازن، ونقله عنه الجمل بحروفه، وفي الكشاف قريب منه.

تنبيه: في هذا النص تعارض بينه وبين ما ذكرته في شرح الآية رقم [١٨] نقلاً عن الخازن، والجمل من وجوه:

١ـ هناك ذكر: أن سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ مر على البيت الحرام، ورأى حول الكعبة أصناماً تعبد من دون الله تعالى. . . إلخ، وهنا ذكر أنه أقام في المسجد الحرام أياماً طوالاً، فذبح ما ذبح، وأدى نسكه. . . إلخ، فكيف غفل الخازن ونقله عنه الجمل هنا، وهناك؟!

٢ـ ذكر هنا: أن سليمان كان قد قصد اليمن حينما فقد الهدهد، فإذا كان قد قصد اليمن ما الذي رده عن قصده، وكيف أرسل سليمان الهدهد برسالة إلى بلقيس، وهو بصنعاء، وهل اليمن إلا صنعاء.

٣ـ إن الآيات الآتية تنص على أن بلقيس بعد إلقاء الرسالة إليها، ومناقشتها مع رجال قومها أرسلت إلى سليمان هدية، فهل هذه الهدية أرسلت إليه، وهو بصنعاء، أو كان في بلاد الشام؟ ثم إن الآيات التالية تنص على أن الذي عنده علم من الكتاب أتى بعرش بلقيس، فهل أتى به إلى صنعاء، أو إلى بلاد الشام مقر ملك سليمان؟ المعتمد: أن الهدية أرسلت إليه؛ وهو في مقر ملكه، وكذا العرش أتاه به، وهو في مقر ملكه، وقد أنشأ الصرح الآتي ذكره في مقر ملكه، وانظر ما أنقله عن القرطبي في الآية التالية.

٤ـ إن ما ذكر من ذبح آلاف النوق، وآلاف البقر، وآلاف الغنم في الحرم، فهل كان يحمل معه هذه الآلاف المؤلفة معه على بساط الريح، كل ذلك يحتاج إلى تأمل وتمحيص.

الإعراب: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم مقدر، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (أعذبنه): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول؛ لأنه من مقول سليمان. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة له. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾: هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، وإعرابها كإعرابها، وكذلك جملة: ﴿لَيَأْتِيَنِّي﴾، معطوفة على ما قبلها، وسليمان عليه السلام لم يقسم ويحلف على فعل الهدهد، ولكن لما جاء في إثر قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ وهو مما جاز به القسم أجراه مجراه. ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة (سلطان).

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَكَثَ﴾: يقرأ بفتح الكاف وضمها، والأول من الباب الأول كنصر، والثاني من الباب الخامس كقرب، وهو بمعنى: أقام ولبث. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: غير زمن طويل ومديد، ﴿فَقَالَ﴾ أي: الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: علمت من الأمر ما لم تعلمه، وفي هذا رد على من قال: إن الأنبياء تعلم الغيب في كل الأوقات، وإنما يعلمون ما يطلعهم الله عليه في بعض الأوقات، والله قال لحبيبه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ...﴾ إلخ الآية رقم [١٨٨] من سورة (الأعراف). وفيه رد ودليل على بطلان قول الرافضة: إن الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه. انتهى. نسفي.

هذا؛ وفي مخاطبة الهدهد سليمان بهذا الكلام تنبيه له على أن في أضعف خلق الله تعالى من أحاط علماً بما لم يحط به ليكون لطفاً له في ترك الإعجاب، ولتتحاقر إليه نفسه، ويتصاغر لديه علمه، وقال القرطبي: فإن قلت: كيف خفي على سليمان مكانها؟ وكانت المسافة بينهما قريبة! وهي مسيرة ثلاث مراحل بين صنعاء ومأرب، فالجواب: أن الله عز وجل أخفى ذلك عنه لمصلحة رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية السابقة وأقول هنا: أرجع سليمان إلى مقر ملكه، وأخذ يراسلها وتراسله وهي في مقر ملكها، أم كان قريباً منها، كما ذكر القرطبي؟ فالله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي: بخبر يقين محقق، أعلم سليمان ما لم يكن يعلمه، ودفع عن نفسه ما توعده من العذاب أو الذبح. وقرأ الجمهور ﴿سَبَإٍ﴾ بالصرف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرٍو بفتح الهمزة، وترك الصرف، فالأول على أنه اسم رجل نسب إليه قوم، وعليه قول الشاعر: [البسيط]

الْوَارِدُونَ، وَتَيْمٌ فِي ذُرَى سَبَأٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ

المعنى: الواردون هم وتيم في ذرى أرض سبأ مغلولين بأغلال من جلد الجواميس بحيث يعض أعناقهم، ومن لم يصرفه اعتبره اسماً للقبيلة، أو للمدينة، وأنشد للنابغة الجعدي: [المنسرح]

مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

فهو يمدح رجلاً، ويقول: هو من قبيلة سبأ الحاضرين مدينة مأرب الذين بنوا السد، دون السيل، فالعرم هو السد، ومأرب اسم المدينة، وقيل: اسم قصر. هذا؛ وسبأ: اسم رجل، وهو سبأ بن يعرب بن قحطان أخي عدنان وقد جاء في الحديث: أن النبي ﷺ سئل عن سبأ، فقال: «**رجلٌ لهُ عشرةٌ مِنَ البنين تيامَنَ منهم ستةٌ، وتشاءمَ أربعةٌ**». ومعنى تيامن: سكن اليمن، ومعنى تشاءم: سكن الشام، فالذين تيامنوا هم: حِمْيَر، وكِنْدَة، والأزد، وأشعر، وقشعم، وبجيلة. والذين تشاءموا هم: لَخْم وجُذَام، وعامِلَة وغسَّان، وانظر الآية رقم [١٥] وما بعدها من سورة (سبأ) ففيها فضل زيادة.

الإعراب: ﴿فَمَكَثَ﴾: الفاء: حرف عطف. (مكث): فعل ماض، وفاعله يعود إلى الهدهد. ﴿غَيْرَ﴾: صفة ظرف محذوف، أي: مكاناً غير بعيد، أو وقتاً غير بعيد، أو هو صفة مفعول مطلق محذوف، أي: مكثاً غير بعيد، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (تفقد...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى الهدهد أيضاً. ﴿أَحَطتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تُحِطْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره:

«أنت». ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط هو الضمير المجرور محلاً بالباء، وجملة: ﴿أَحَطتُ...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَجِئۡتُكَ﴾: الواو: حرف عطف. (جئتك): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول. ﴿مِن سَبَإِۭ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال من (نبأ)؛ لأنه كان صفة له، وليس بقوي. ﴿بِنَبَإٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَقِينٍ﴾: صفة (نبأ).

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾

الشرح: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾: هي بلقيس بنت شراحيل، من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيماً، قد وُلِدَ لَهُ أربعون ملكاً هي آخرهم، وكان يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منهم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج منهم، فخطب إلى الجن، فزوجوه امرأة منهم، يقال لها: ريحانة بنت السكن، قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب منهم: أنه كان كثير الصيد، فربما اصطاد الجن، وهم في صورة الظباء، فإذا عرفهم خَلَّى عنهم، فظهر له ملك الجن، وشكره على ذلك، واتخذه صديقاً، فخطب ابنته، فزوجه إياها، وقيل: إنه خرج متصيداً، فرأى حيتين تقتتلان بيضاء، وسوداء، وقد ظهرت السوداء على البيضاء، فقتل السوداء، وحمل البيضاء، وصب عليها الماء، فأفاقت، وأطلقها فلما رجع إلى داره، وجلس وحده منفرداً، فإذا معه شاب جميل، فخاف منه، قال: لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحييتني، والأسود الذي قتلته هو عبد لنا، تمرد علينا، وقتل عدة منا، وعرض عليه المال، فقال: لا حاجة لي به، ولكن إن كان لك بنت فزوجنيها، فزوجه ابنته، فولدت بلقيس.

وجاء في الحديث الشريف: أن أحد أبوي بلقيس، كان جنياً، فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك، وطلبت قومها أن يبايعوها، فأطاعها قوم، وأبى آخرون، وملكوا عليهم رجلاً آخر، يقال: إنه ابن أخي الملك، وكان خبيثاً سيئ السيرة في أهل مملكته، حتى كان يمد يده إلى حريم رعيته، ويفجر بهن، فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه، فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة، فأرسلت إليه، فعرضت نفسها عليه، فأجابها الملك، وقال: ما منعني أن ابتدئك بالخطبة، إلا اليأس منك، فقالت: لا أرغب عنك؛ لأنك كفؤ كريم، فاجمع رجال أهلي، واخطبني منهم، فجمعهم، وخطبها، فقالوا: لا نراها تفعل. فقال: بلى إنها قد رغبت فيَّ، فذكروا ذلك لها، فقالت: نعم، فزوجوها منه، فلما زفت إليه، خرجت في ملأ كثير من خدمها وحشمها، فلما خلت به سقته الخمر حتى سكر، ثم قتلته، وحزَّت رأسه، وانصرفت إلى منزلها من الليل.

فلما أصبحت أرسلت إلى وزرائه، وأحضرتهم، وقرعتهم، وقالت لهم: أما كان منكم من يأنف لكريمته، أو كرائم عشيرته، ثم أرتهم إياه قتيلاً، وقالت: اختاروا رجلاً تملكونه عليكم، فقالوا: لا نرضى غيرك، فملكوها، وعلموا: أن ذلك النكاح كان مكراً وخديعة منها. انتهى. خازن. أقول: ومثل هذه القصة قصة الزَّبَّاء ملكة تدمر مع جذيمة الأبرش.

فعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: قال: لما بلغ رسول الله ﷺ: أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى، قال: «**لَنْ يُفْلحَ قَوْمٌ ملَّكُوا عَلَيْهِمُ امْرَأَةً**». أخرجه البخاري. وفي رواية أخرى: «**وَلَّوْا أَمرَهُمُ امرأَةً**» ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تحتاجه الملوك من رجال، وسلاح، ومال، وعدة. والمراد بالكلية: الكثرة، لا الكلية الحقيقية، كما هو واقع الحياة الدنيا، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: عظمه بالنسبة إليها، أو إلى عروش أمثالها، والعرش: هو الكرسي الذي يجلس عليه الملك.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان طول عرشها ثمانين ذراعاً، وعرضه أربعين ذراعاً، وارتفاعه في السماء ثلاثين، مكلل بالدر، والياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر. وقال قتادة: وقوائمه لؤلؤ، وجواهر، وكان مُسَتَّراً بالديباج، والحرير، عليه سبعة مغاليق، أي سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها، ﴿وَجَدتُّ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱمْرَأَةً﴾: مفعول به. ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱمْرَأَةً﴾ تقديره: «هي»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة (امرأة)، على تفسير ﴿وَجَدتُّ﴾ بـ: لقيتُ، أو هي في محل نصب مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَجَدتُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ مفسرة للنبأ. ﴿وَأُوتِيَتْ﴾: الواو: واو الحال، (أوتيت): فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿ٱمْرَأَةً﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل: ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾، والرابط: الواو، والضمير. وأجيز عطفها على ما قبلها بتأويل المضارع بالماضي. ﴿مِن كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَلَهَا﴾: الواو: واو الحال، (لها): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَرْشٌ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير: ﴿ٱمْرَأَةً﴾ في الفعلين السابقين، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: وذلك: أنهم كانوا كفرة، يعبدون الشمس. قيل: كانوا مجوساً يعبدون الأنوار. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: الخبيثة من

الكفر، وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، والمزين في الحقيقة هو الله تعالى. هذا؛ مذهب أهل السنة، وإنما جعل الشيطان آلة بإلقاء الوسوسة في قلوبهم، وليس له قدرة أن يضل أو يهدي أحداً، وإنما له الوسوسة فقط، فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤].

هذا؛ وما ذكرته في هذه الآية مبني على أن العبد لا يخلق أفعال نفسه، وإنما يخلقها الله تعالى، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وما قاله الزمخشري في الآية المذكورة مبني على مذهبه في الاعتزال من أن العبد يخلق أفعال نفسه، وهو مبني على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصلاح والأصلح للعبد، وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد، إلا ما هو مصلحة له، فمن ثم اعتبر التزيين من الله تعالى مجازاً، ومن الشيطان حقيقة. ولو عكس الجواب؛ لفاز بالصواب، وإلى الله المرجع والمآب.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عن طريق الهدى، والحق، والصواب، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق، والصواب، ولا يبعد من الهدهد التهدي إلى معرفة الله تعالى، ووجوب السجود له، وحرمة السجود للشمس إلهاماً من الله له، كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة؛ التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها.

هذا؛ فـ: (صدَّهم): منعهم، والمضارع: «يصد» يمنع، ويصرف، وهو بضم الصاد. هذا؛ ويأتي بمعنى: يعرضون ويميلون، كما في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ ويأتي بضم الصاد وكسرها، كما يأتي بمعنى يضجون فرحاً، وهو بكسر الصاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. ومصدر الأولين: صد وصدود، ومصدر الأخير صديد. هذا؛ والصدد القرب، يقال: داري صدد داره، أي قبالتها وقربها، والصدد القصد، تقول: رجعنا إلى ما نحن بصدده، أي بقصده، وهو أيضاً الميل ـ بفتح الياء والناحية ـ.

الإعراب: ﴿وَجَدتُّهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، ﴿وَقَوْمَهَا﴾: الواو: حرف عطف. (قومها): معطوف على الضمير المنصوب، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَسْجُدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل. ﴿لِلشَّمْسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، فتكون حالاً متداخلة. و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿يَسْجُدُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان، أو هي في محل نصب حال من ضمير المرأة، وجملة: ﴿وَجَدتُّهَا...﴾ إلخ بدل من جملة: (وجدت...) إلخ في الآية السابقة. ﴿وَزَيَّنَ﴾: الواو: واو الحال. (زين): فعل ماض، ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعل. ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء ضمير

متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَزَيَّنَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير «قد» قبلها، وجملة: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: معطوفة عليها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف، (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب حال أيضاً، وهي مؤكدة لمعنى الجملتين الفعليتين قبلها.

﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾: قرئ في السبعة بتشديد اللام، وتخفيفها، وقرئ فوق السبعة: (هلَّا)، (وهلَا) بقلب الهمزة هاء فيهما، وانظر الإعراب يتضح لك الأمر غاية الإيضاح. ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: المخبوء فيهما من مطر ونحوه في السماء، ومن كنوز، ونبات في الأرض. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾: من أعمالكم، ونياتكم في ضمائركم. ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: وما تجهرون به من قول، أو عمل، وقرئ الفعلان بالتاء، والياء.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا الكلام وصف لله تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة، والعلم حثاً على سجوده، ورداً على من يسجد لغيره، و﴿ٱلْخَبْءَ﴾ ما خفي في غيره، وإخراجه: إظهاره، وهو يعم إشراق الكواكب، وإنزال الأمطار، وإنبات النبات، بل الإنشاء، فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل، والإبداع، فإنه إخراج ما في الإمكان، والعدم إلى الوجوب، والوجود، ومعلوم: أنه يختص بالواجب لذاته. انتهى.

هذا؛ وقال الزمخشري: فإن قلت: أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعاً أم في إحداهما؟ قلت: هي واجبة فيهما جميعاً؛ لأن مواضع السجدة، إما أمر بها، أو مدح لمن أتى بها، أو ذم لمن تركها، وإحدى القراءتين أمر، والأخرى ذم للتارك، وانظر الإعراب يتضح لك المعنى غاية الإيضاح.

الإعراب: ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مصدري ونصب. (لا): نافية. ﴿يَسْجُدُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ (أن)، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، و(أن) والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام تعليل محذوفة، التقدير: لئلا يسجدوا، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (زين). قاله الأخفش، أو هما متعلقان بالفعل (صدهم) قاله الكسائي. وعلى قول الأخفش لا يلزم تقدير الجار، فيكون التقدير: زين لهم عدم السجود، وهو في المعنى بدل من أعمالهم، وأجيز اعتبار المصدر في

محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي عدم السجود. وقال أبو عمرو: المصدر المؤول في محل جر بدلاً من ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾. هذا؛ وقيل: إن (لا) زائدة، والمصدر المؤول في محل جر بـ إلى محذوفة، التقدير: إلى السجود، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَهْتَدُونَ﴾. وقيل: المصدر المؤول مفعول صريح للفعل: ﴿يَهْتَدُونَ﴾. وعلى هذا الاعتبار، فليست الآية بموضع سجدة. هذا؛ وعلى قراءة تخفيف اللام، فتكون (أَلَا) أداة استفتاح، وتنبيه يسترعى بها انتباه المخاطب لما يأتي بعدها من كلام، وتكون (يا) أداة نداء حذفت ألفها لالتقاء الساكنين، والمنادى محذوف، التقدير: ألا يا هؤلاء اسجدوا، وعليه فالفعل فعل أمر، مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى هذا فالسجود واجب، كما قرئ شاذاً: (أَلَا هَلْ تسجدونَ) و(أَلَا تسجدون). ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لفظ الجلالة، أو بدل منه. ﴿يُخْرِجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الذي) وهو العائد. ﴿ٱلْخَبْءَ﴾: مفعول به. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿ٱلْخَبْءَ﴾، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يُخْرِجُ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَيَعْلَمُ﴾: الواو: حرف عطف. (يعلم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الذي أيضاً. ﴿مَا﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يعلم الذي، أو شيئاً تخفونه، وجملة: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾: معطوفة على جملة الصلة لا محل لها، وإعراب: ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ مثل إعراب ما قبله، ومعطوف عليه. تأمل.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: قال الخازن: هذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها، أقول: ويبتدئ الكلام بقوله ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ وينتهي بالعظيم، وقال الخازن أيضاً: فإن قلت: قد وصف عرش بلقيس بالعظيم، وعرش الله بالعظيم، فما الفرق بينهما؟ قلت: وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة إليها، وإلى أمثالها من ملوك الدنيا، وأما عرش الله تعالى، فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض، فحصل الفرق بينهما.

بعد هذا: قال الجرجاني: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟...﴾ إلخ هو كلام معترض من الهدهد أو من كلام سليمان، أو من الله. وقال ابن عطية: هو من كلام الهدهد، وهو قول ابن زيد، وابن إسحاق ويعترض بأنه غير مخاطب فكيف يتكلم في معنى الشرع؟ ويحتمل: أنه من قول سليمان لما أخبره الهدهد عن القوم، ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى، فهو اعتراض بين الكلامين، وهو الثابت مع التأمل. أقول: المعتمد: أنه من كلام الهدهد، وخذ ما يلي:

قال أبو السعود رحمه الله تعالى: اعلم أن ما حكي عن الهدهد، من قوله ﴿ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ إلى هنا ليس داخلاً تحت قوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ وإنما هو من المعارف والعلوم التي اقتبسها من سليمان عليه السلام، أورده بياناً لما هو عليه، وإظهاراً لتصلبه في الدين، وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه، وصرف عنان عزيمته إلى غزوها، وتسخير ولايتها. انتهى.

قال الجمل: وقوله: ليس داخلاً تحت قوله. . إلخ، مراده بهذا: أن الذي اختص به الهدهد عن سليمان، وذكره بقوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ قد انتهى بقوله: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾ وأما قوله: ﴿ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ...﴾ إلخ فهو وإن كان من مقول الهدهد، لكنه ليس مما علمه دون سليمان، بل سليمان يعلمه أيضاً على وجه أتم، وأكمل من علم الهدهد، وإنما ذكره الهدهد بياناً لما هو عليه، أي لما هو معتقده، وإظهاراً لتصلبه في الدين. انتهى.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: الأول: كونه بدلاً من اسم (لا) على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. والثاني: كونه بدلاً من ﴿لَآ﴾ وما عملت فيه؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء. والثالث: كونه بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو أقوى الثلاثة، وهو مبني على الفتح في محل رفع. ﴿رَبُّ﴾: يجوز فيه أربعة أوجه: أحدها: أن يكون بدلاً من ﴿هُوَ﴾ بدل ظاهر من مضمر. الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هو ﴿رَبُّ﴾، وحسن حذفه توالي اللفظ بـ: (هو) مرتين، الثالث: أن يكون خبراً ثانياً لقوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ والخبر الأول: الجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ...﴾ إلخ، وذلك عند من يرى تعدد الخبر مختلفاً بالإفراد، والجملة. الرابع: أن يكون صفة للضمير، وذلك عند الكسائي، فإنه يجيز وصف الضمير الغائب بصفة مدح، فهو يشترط هذين الشرطين: أن يكون غائباً، وأن تكون الصفة صفة مدح. و﴿رَبُّ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾: صفة (العرش) ويقرأ بالرفع، فيقال فيه ما قيل بـ: ﴿رَبُّ﴾ من الأوجه الأربعة، واعتباره صفة له يتضمن الأوجه الأربعة، وإن أبقيته صفة لـ: ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾، ورفعته فيكون خبر مبتدأ محذوف، وذلك على القطع، وهذا معروف في باب النعت، والجملة الاسمية ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ، تحتمل أن تكون من مقول الهدهد، وأن تكون من كلام سليمان فتكون مستأنفة متصل بها ما بعدها، وأن تكون من كلام الله تعالى، فتكون معترضة بين كلام الهدهد، وكلام سليمان الآتي. تأمل، وتدبر.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾: من النظر الذي هو التأمل، والتصفح. ﴿أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: التقدير: أصدقت، أم كذبت؟ والتغيير لرعاية الفواصل، وللمبالغة أيضاً، ولم يقل:

سننظر في أمرك؛ لأن الهدهد لما صرح بفخر العلم بقوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ صرح له سليمان بقوله: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فكان ذلك مقابلة لما قاله، وكفاء له.

ثم إن الهدهد دلهم على الماء، فاحتفروا الركايا، وروي الناس، والدواب، ثم إن سليمان على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، كتب كتاباً: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: (بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، السلامُ على مَن اتبع الهدَى، أَمَّا بَعْدُ أَن لا تعلُو عليَّ، وائتُوني مُسْلِمينَ). قيل: لم يزد على ما نص الله في كتابه، وكذلك الأنبياء؛ كانوا يكتبون جملاً، لا يطيلون، ولا يكثرون. فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه، وقال للهدهد: ﴿ٱذۡهَب...﴾ إلخ. وقيل: لم يبدأ سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ كتابه باسم الله؛ لأنها كانت كافرة قارئة، فخاف من كفرها أن تستخف باسم الله، فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى، وكانت عربية، والكتابة عربية، وهو الظاهر، وقيل: إنه كتبه بالعجمية، ولها ترجمان يترجم لها به؛ لأنها عربية، ويحتمل أنها كانت تعرف غير العربية. انتهى. جمل نقلاً عن شيخه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى «سليمان» تقديره: «هو». ﴿سَنَنظُرُ﴾: السين: حرف استقبال. (ننظر): فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿أَصَدَقۡتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (صدقت): فعل، وفاعل، والمتعلق محذوف، تقديره: في قولك، والجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد مفعول: (ننظر). ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كُنتَ﴾، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مثلها، وجملة: ﴿سَنَنظُرُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾

الشرح: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾: إنما قال: (إليهم) بلفظ الجمع؛ لأنه جعله جواباً لقول الهدهد: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ﴾ فقال: ألقه إلى الذين هذا دينهم، وقد قرئ: (ألقه) بقراءات كثيرة. ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ أي: تنح عنهم. أمره بالتولي حسن أدب حسب ما يتأدب به مع الملوك، أي: وكن قريباً منهم؛ حتى تسمع، وترى ما يقولون. ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾: بماذا يتداولون، كقوله تعالى: ﴿يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾، فأخذ الكتاب، وأتى به إلى بلقيس، وكانت بأرض مأرب من اليمن، على ثلاث مراحل من صنعاء، فوجدها نائمة، مستلقية على قفاها، وقد غلقت الأبواب، ووضعت المفاتيح تحت رأسها، وكذلك كانت

تفعل إذا رقدت، فأتى الهدهد، وألقى الكتاب على نحرها، وكان قد دخل عليها من كوة عالية في جدار قصرها، فاستيقظت فلما رأت الكتاب؛ دهشت.

وقيل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره، وطار حتى وقف على رأس المرأة، وحولها القادة، والوزراء، والجنود، فرفرف ساعة، والناس ينظرون إليه، فرفعت بلقيس رأسها، فألقى الكتاب في حجرها، فلما رأت الخاتم ارتعدت، وخضعت؛ لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل إليها الكتاب أعظم ملكاً منها، فقرأت الكتاب؛ والهدهد غير بعيد متوارٍ عنها، وجاءت هي؛ حتى قعدت على سرير ملكها، وجمعت الأشراف من قومها. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان مع بلقيس مئة قَيْل، مع كل قَيْل مئة ألف، والقَيْل ملك دون الملك الأعظم، وقيل: كان أهل مشورتها ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، كل رجل منهم على عشرة آلاف، فلما جاؤوا، وأخذوا مجالسهم؛ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿ٱذْهَب﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿بِّكِتَٰبِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة (كتابي)، وجملة: ﴿ٱذْهَب...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. (ألقه): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَوَلَّ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل: أنت. ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وليس بشيء. ﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء: حرف عطف. (انظر): فعل أمر، وفاعله: أنت. ﴿مَاذَا﴾: ما: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: ما الذي يرجعونه. هذا؛ ويجوز اعتبار: ﴿مَاذَا﴾ اسماً مركباً مبتدأ، والجملة الفعلية خبره، كما يجوز اعتباره مفعولاً مقدماً، والجملة سواء أكانت اسمية أم فعلية في محل نصب مفعول به لـ (انظر) المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، هذا كله إذا كان (انظر) بمعنى تأمل وتفكر. وإن كان الفعل بمعنى انتظر من قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ كانت ﴿مَاذَا﴾ اسماً مركباً بمعنى الذي، و﴿يَرْجِعُونَ﴾ صلته، والعائد مقدر، كما مر تقديره، وتكون: ﴿مَاذَا﴾ مفعولاً به لـ (انظر)؛ أي: انتظر الذي يرجعونه، انتهى. جمل نقلاً عن السمين. أقول والأول أقوى. هذا؛ والجمل المتعاطفة كلها من قول سليمان، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ...﴾ إلخ: في الكلام حذف؛ إذ التقدير: فذهب الهدهد، فألقى إليهم الكتاب، فسمعها تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾، و﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾: الأشراف، والسادة. وانظر الآية رقم [٣٤] من سورة (الشعراء). ثم وصفت الكتاب بالكريم، إما؛ لأنه من عند عظيم في نفسها، ونفوسهم، فعظمته إجلالاً لسليمان، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وهذا قول ابن زيد. وإما أنها إشارة إلى أنه مطبوع عليه بالخاتم، فكرامة الكتاب ختمه، وروي ذلك عن رسول الله ﷺ. وعن ابن المقفع: من كتب إلى أخيه كتاباً، ولم يختمه؛ فقد استخف به. وقيل: لأنه بدأ فيه بالبسملة، وقد قال سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق: «كل كلام لا يبدأ فيه بـ: بسم الله الرحمن الرحيم، فهو أجذم. وفي روايةٍ: فهو أقطع. وفي ثالثةٍ: فهو أبتر». وقيل: كريم لغرابة شأنه؛ حيث ألقي إليها من حيث لا تعلم. وقيل: كريم لكرم مضمونه، وهو مفهوم بعض ما تقدم. وانظر شرح ﴿كَرِيمٌ﴾ في الآية رقم [٥٩] من سورة (الشعراء).

﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾: لا تترفعوا علي، ولا تتكبروا عن متابعتي، ولا تأنفوا عن الانقياد إلى طاعتي، فإني رسول من رب العالمين، وقرئ: (ألا تغلوا) بالغين شاذاً، من: غلا، يغلو: إذا تجاوز، وتكبر، وهي راجعة إلى قراءة الجماعة. ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾: موحدين، منقادين، طائعين، وليس المراد ملة الإسلام الحادثة التي جاء بها محمد ﷺ، ولو قلنا بذلك؛ لرد علينا بما رددنا به على اليهود والنصارى من أن ملة الإسلام الحادثة حدثت بعد سليمان بزمن طويل، فكيف يكون سليمان عليها، ومثل ذلك قل في إسلام نوح وغيره من الأنبياء من أن المراد بإسلامهم التوحيد.

وردنا على اليهود هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. الآية رقم [٦٧] من سورة (آل عمران)، وقوله تعالى في الآية التي قبلها: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

قال البيضاوي رحمه الله تعالى: وهذا الكلام ـ أي: ما تضمنه الكتاب ـ في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود، لاشتماله على البسملة، الدالة على ذات الصانع، وصفاته صريحاً، أو التزاماً، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل، والأمر بالإسلام، الجامع لأمهات الفضائل، وليس الأمر فيه الانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد، فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الأدلة. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى بلقيس، (يا): أداة نداء، تقوم مقام: أدعو، أو أنادي، (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في

محل نصب بـ (يا)، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلۡمَلَؤُاْ﴾: بعضهم يعرب هذا؛ وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل: أن الاسم الواقع بعد (أي)، أو بعد اسم الإشارة، إن كان مشتقاً فهو نعت، وإن كان جامداً، كما هنا، فهو بدل، أو عطف بيان، والمتبوع: أعني (أي) منصوب محلاً، فكذا التابع أعني ﴿ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ وأمثاله، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الإتباع اللفظية. . .إلخ. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أُلۡقِيَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كِتَٰبٞ﴾: نائب فاعل: ﴿أُلۡقِيَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ، والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قَالَتۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة: ﴿كِتَٰبٞ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، ﴿مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ مستأنفة، وهي جواب لسؤال مقدر، فكأن سائلاً قال لها: مِمَّنِ الكتاب، وما هو؟ فقالت: إنه من سليمان. وقرئ بفتح الهمزة (أَنَّهُ) وعليه فالمصدر المؤول من (أن) واسمها وخبرها في محل رفع بدل من: ﴿كِتَٰبٞ﴾، أو في محل جر بلام تعليل مقدرة، أي؛ لأنه من سليمان، والجار والمجرور على هذا متعلقان بـ: ﴿كَرِيمٌ﴾، وإنه الثانية معطوفة على ما قبلها على القراءتين، وفيما بعدها وجهان للإعراب.

الوجه الأول بالنسبة لكلام بلقيس، فالكلام: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ...﴾ إلى ﴿مُسۡلِمِينَ﴾ كله في محل رفع خبر (إنَّ) على الحكاية؛ لأنها أرادت إن ما تضمنه الكتاب: بسم الله. . .إلخ، وبالنسبة لكلام سليمان التفصيلي فالإعراب كما يلي ﴿بِسۡمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أفتتح كتابي، أو ابتدئ كلامي باسم، و: (اسم) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: بدلان من لفظ الجلالة على اعتبارهما اسمين من أسماء الله الحسنى، وهو المعتمد، وقيل: هما صفتان للفظ الجلالة، وانظر إعراب البسملة في أول سورة (الفاتحة)وغيرها. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مصدري ونصب. (لا): نافية. ﴿تَعۡلُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ (أن)، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(أن) المصدرية، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل رفع بدل من: ﴿كِتَٰبٞ﴾، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، يليق بالمقام، أي: مضمونه ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ...﴾ إلخ، أو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بـ ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار: (أن)، مفسرة، فيكون الفعل مجزوماً بـ (لا) على أنها ناهية، والجملة الفعلية مفسرة لـ ﴿كِتَٰبٞ﴾ لتضمنه معنى القول دون حروفه. ﴿وَأۡتُونِي﴾: الواو: حرف عطف. (ائتوني): فعل أمر

مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وهذا يرجح اعتبار (أن) تفسيرية، ليصح عطف الإنشاء على مثله. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ.

﴿قَالَتْ يَتَأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَتْ يَتَأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ...﴾ إلخ: أجيبوني في أمري، واذكروا ما تستصوبونه فيه، وهذا حسن أدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها، وبينت أن ذلك شأنها، وعادتها في كل ما يعرض لها من معضلات الأمور. هذا؛ والفتوى: الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن، والمراد هنا بالفتوى: الإشارة عليها بما عندهم من الرأي. وقصدها بالرجوع إلى استشارتهم تطييب أنفسهم، وكذلك لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وإمضائهم على الطاعة لها، لعلمها بأنهم إذا لم يبذلوا أنفسهم، وأموالهم دونها لم يكن لها طاقة على مقاومة عدوها، وإن لم يجتمع أمرهم، كان ذلك عوناً لعدوهم عليهم، أما مشاورتهم، واجتماع رأيهم وانقيادهم لطاعتها؛ فهو عون لها على عدوهم، وكذلك ينبغي أن يكون ولاة الأمور في كل زمان ومكان.

الإعراب: ﴿قَالَتْ يَتَأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ﴾: انظر الآية رقم [٢٩] ففيها الكفاية. ﴿أَفْتُونِي﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿فِيٓ أَمْرِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنتُ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿قَاطِعَةً﴾: خبر (كان) وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به لـ: ﴿قَاطِعَةً﴾؛ لأنه اسم فاعل. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها: «أن» مضمرة. ﴿تَشْهَدُونِ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة المدلول عليها بكسرة النون في محل نصب مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿قَاطِعَةً﴾، وجملة: ﴿مَا كُنتُ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها، والكلام ﴿يَتَأَيُّهَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: الملأ مجيبين لها، ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾: في الحرب، والقتال. ﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: في الطعان، والنزال. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان من قوة أحدهم: أنه يَركُض

فرسه حتى إذا احتد؛ ضم فخذيه عليه، فحبسه بقوته. ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: سلَّموا الأمر إليها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة مع إظهار الطاعة، والانقياد لها، كأنهم أشاروا عليها بالقتال، أو أرادوا: نحن من أبناء الحرب، لا من أبناء الرأي، والمشورة، وأنت صاحبة الرأي والتدبير، فانظري ماذا ترين؛ نتبع أمرك. فلما أحست منهم الميل إلى الحرب؛ مالت إلى المهادنة، والموادعة، ورتبت الجواب، فزيفت ما ذكروه، وأرتهم الخطأ فيه حيث قالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ...﴾ إلخ.

هذا؛ ﴿وَأُوْلُواْ﴾ بمعنى أصحاب، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده: «ذو» المضاف إن كان مرفوعاً، و«ذا» المضاف إن كان منصوباً، و«ذي» المضاف إن كان مجروراً، ومؤنثه: «ذات» وجمعها: «أولات» من غير لفظها أيضاً، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢] من سورة (الحج) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿أُوْلُواْ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة. ﴿وَأُوْلُواْ﴾ مضاف، و﴿قُوَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ﴾: معطوف على ما قبله. وإعرابه مثله. ﴿شَدِيدٍ﴾: صفة ﴿بَأْسٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول. ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: الواو: حرف عطف. (الأمر): مبتدأ. ﴿إِلَيْكِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿فَٱنظُرِي﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منك فانظري... إلخ، (انظري): فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والياء ضمير متصل في محل رفع فاعل، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: هو مثل: ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ في الآية رقم [٢٨] ويضاف إليه: أنه يجوز اعتبار ﴿مَاذَا﴾ مفعولاً ثانياً مقدماً على اعتبار الفعل ناصباً مفعولين، ويكون التقدير: ماذا تأمريننا؟ والجملة سواء أكانت اسمية، أم فعلية في محل نصب سدت مسد مفعول (انظري)، وجملة: ﴿فَٱنظُرِي...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾: فهذا رد منها بادعائهم القوة، والبأس الشديد، وإشعار منها بأنها تريد الصلح مخافة أن يتعدى سليمان حدودهم، فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم، وزروعهم، وعمارتهم. ثم إن الحرب عاقبتها مجهولة، لا تعلم نتائجها.

﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ﴾: كرام أهلها. ﴿أَذِلَّةً﴾: بسبب نهب أموالهم، وتخريب ديارهم، وغير ذلك من القتل، والأسر، يفعلون ذلك ظلماً وعدواناً؛ كي يستقيم لهم الأمر، ويستتب لهم الملك. ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾: تأكيد لما وصفت من حالهم، وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة، أو هو من قول الله تعالى، فيكون تصديقاً منه ـ جل ذكره، وتعالى شأنه ـ لما قالت، وتعريفاً لمحمد ﷺ وأمته بذلك، وإخباراً به.

قال وهب بن منبه: لما قرأت عليهم الكتاب؛ لم تعرف اسم الله، فقالت: ما هذا؟ فقال بعض القوم: ما نظن هذا إلا عفريتاً عظيماً من الجن، يقتدر به هذا الملك على ما يريده، فسكَّتوه، وقال آخر: أراهم ثلاثة من العفاريت، فسكَّتوه. فقال شاب قد علم: يا سيدة الملوك، إن سليمان ملك قد أعطاه مَلِكُ السماء ملكاً عظيماً، فهو لا يتكلم بكلمة إلا بدأ فيها بتسمية إلهه، و«الله» اسم مليك السماء، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ نعوته. فعند ذلك قالت: أفتوني في أمري... إلخ. انتهى. قرطبي باختصار منه.

الإعراب: ﴿قَالَتۡ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى بلقيس تقديره: «هي». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلۡمُلُوكَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك مبني على السكون في محل نصب. ﴿دَخَلُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿قَرۡيَةً﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون، وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب عندهم انتصاب المفعول به على السعة بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في: (دخلت، ونزلت البلد، وسكنت الشام) وجملة: ﴿دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿أَفۡسَدُوهَا﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها. (جعلوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَعِزَّةَ﴾: مفعول به أول، و﴿أَعِزَّةَ﴾ مضاف، و﴿أَهۡلِهَآ﴾ مضاف إليه، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَذِلَّةً﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَجَعَلُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على جواب: ﴿إِذَا﴾ لا محل لها أيضاً، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتۡ﴾ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف (كذلك) الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: يفعلون فعلاً كائناً مثل ذلك، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها؛ إن كانت من قول الله تعالى ابتداء، وفي محل نصب مقول القول؛ إن كانت من قول بلقيس. والأول أقوى، ومثل هذا يسميه المحدِّثون مُدْرَجاً.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾: بيان لما ترى تقديمه للمهادنة، والموادعة. والمعنى: إني مرسلة رسلاً بهدية أدفعه بها عن ملكي. ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: ما يقولونه عن حال هذا الرجل حتى أعمل بحسب ذلك. وهذا يدل على كمال عقلها، وحسن تدبيرها. وقالت في نفسها: إن كان ملكاً؛ قبل الهدية، واتخذت عنده يداً، وإن كان نبياً؛ لم يقبل إلا الاتباع لدينه، والانقياد لطاعته، وأوامره. قال قتادة: يرحمها الله أن كانت لعاقلة في إسلامها، وشركها، قد علمت: أن الهدية تقع موقعاً من الناس.

فبعثت إليه خمسمئة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهنَّ، راكبي خيل مغشاة بالديباج، محلاة اللجم، والسروج بالذهب المرصع بالجواهر، وخمسمئة جارية على براذين في زيِّ الغلمان، وألف لبنة من ذهب وفضة، وتاجاً مكللاً بالدر، واليواقيت، وحُقَّاً فيه درة عذراء؛ أي غير مثقوبة، وخرزة معوجة الثقب، وبعثت رسلاً، وأمرت عليهم المنذر بن عمرو، وكتبت كتاباً إلى سليمان، وذكرت فيه أنواع الهدايا، وقالت: إن كنت نبياً فميز بين الوصفاء، والوصائف، وأخبر بما في الحق، واثقب الدرة ثقباً، واسلك في الخرزة خيطاً، ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان؛ فهو ملك، فلا يهولنَّك منظره، وإن رأيته بشاشاً لطيفاً؛ فهو نبي، فأقبل الهدهد، وأخبر سليمان الخبر كله.

فأمر سليمان ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ الجنَّ، فضربوا لبنات الذهب والفضة، وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا حول الميدان حائطاً، شرفه من الذهب، والفضة، وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر، فربطوها عن يمين الميدان، ويساره على اللبنات، وأمر بأولاد الجن، وهم خلق كثير، فأقيموا على اليمين، واليسار، ثم قعد على سريره، والكراسي من جانبيه، واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ، والإنس صفوفاً فراسخ، والوحش، والسباع، والطيور، والهوام كذلك.

فلما دنا رسل بلقيس، ورأوا الدواب تروث على اللَّبِن، رموا بما معهم من الهدايا، ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم سليمان بوجه طلق، فأعطوه كتاب الملكة، فنظر فيه، وقال: أين الْحُقَّة؟ فأمر الأرضة، فأخذت شعرة، ونفذت في الدرة، وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها، ونفذت فيها، ودعا بالماء، فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها، فتجعله في الأخرى، ثم تضرب به وجهها، والغلام يأخذ الماء بيديه، ويغسل به وجهه، فميز بين الغلمان، والجواري بذلك. ثم رد الهدية، وقال للمنذر: ارجع إليهم. انتهى. نسفي بحروفه. وهو موجز ما في الخازن، والقرطبي، والكشاف. والله ولي التوفيق.

هذا؛ وأما: ﴿بِمَ﴾ فهي كلمة مؤلفة من حرف، واسم، فالحرف الباء الجارة، والاسم (ما) الاستفهامية، وقد حذفت ألفها، كما تحذف مع كل جار، نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ للفرق بين الموصولة، والاستفهامية، ويقال: للفرق بين الخبر، والاستخبار.

الإعراب: ﴿وَإِنِّي﴾: الواو: حرف عطف. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿مُرْسِلَةٌ﴾: خبر: (إنَّ)، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «أنا». ﴿إِلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿مُرْسِلَةٌ﴾. ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾: متعلقان بـ ﴿مُرْسِلَةٌ﴾ أيضاً. هذا؛ وإن اعتبرت الباء زائدة؛ فلست مفنداً، والمعنى يؤيده، فيكون مفعولاً به لـ: ﴿مُرْسِلَةٌ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنِّي...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾: الفاء: حرف عطف. (ناظرة): معطوفة على ﴿مُرْسِلَةٌ﴾، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿بِمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، وقد رأيت في الشرح كيف حذفت ألف (ما)، وقيل: متعلقان بـ (ناظرة) ويرده: أن الاستفهام له الصدر فلا يعمل فيه ما قبله. ﴿يَرْجِعُ﴾: فعل مضارع. ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ في محل نصب سدت مسد مفعول (ناظرة) المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ أي: جاء الرسول، أو ما أهدته إليه، وقرئ: (فلما جاؤوا إليه) قال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ أي: أتزيدونني مالاً إلى ما تشاهدونه من أموالي، والخطاب للرسول ومن معه، وقرئ الفعل بقراءات كثيرة. ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم﴾ أي: فما أعطاني من الإسلام، والملك، والنبوة خير مما أعطاكم، فلا أفرح بالمال. ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: والمعنى: إن ما عندي خير مما عندكم، وذلك: أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر، والغنى الأوسع، وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه، فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال؟ بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، فلذلك تفرحون بما تزادون، ويهدى إليكم؛ لأن ذلك مبلغ همتكم، وحالي خلاف حالكم، لا أرضى منكم بشيء، ولا أفرح بشيء منكم إلا بالإيمان، وتوحيد الله، وترك الشرك به، والوثنية. هذا؛ وانظر (الفرح) في سورة (الروم) رقم [٣٢] فإنه جيد جداً.

تنبيه: كان النبي ﷺ يقبل الهدية، ويثيب عليها، ولا يقبل الصدقة، وكذلك كان سليمان وسائر الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وإنما رد سليمان هدية بلقيس؛ لأنها جعلت

هديتها علامة على ما في نفسها على ما ذكرناه من كون سليمان ملكاً، أو نبياً؛ لأنه قال في كتابه: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وهذا لا تقبل فيه فدية، ولا تؤخذ عنه هدية، وليس هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة المحمدية عن قبول الهدية بطريق من الطرق المعوجة لأجل غاية عند حاكم، أو موظف، وإنما هي رشوة لأجل إماتة حق، وإحياء باطل، وقد لعن الرسول ﷺ الرَّاشِيَ، والْمُرْتَشِي، والرائِشَ بَيْنَهُمَا، وأما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فإنها جائزة من كل أحد، وعلى كل حال؛ لأنها لا يقصد بها إضاعة حق، ولا إحياء باطل.

والهدية على هذا الشكل مندوب إليها، وهي مما تورث المودة، وتذهب العداوة. روى مالك عن عطاء بن عبد الله الخراساني، قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَصافَحُوا يَذهبِ الْغِلُّ، وَتَهَادَوْا تحابُّوا، وتذهب الشَّحْنَاءُ»**. وعن ابن شهاب قال: بلغنا: أن رسول الله ﷺ قال: **«تَهَادَوْا بيْنكُمْ، فإنَّ الهدِيَّةَ تُذْهِبُ السخيمة»**. وعلى الجملة فقد ثبت: أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية، وفيه الأسوة الحسنة، ومن فضل الهدية مع اتباع السنة: أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهديَ والْمُهْدَى إليه رنَّةً في اللقاء، والجلوس، ولقد أحسن من قال:

هَدَايَا النَاسِ بعضِهُمُ لِبَعْضٍ ... تُوَلِّدُ في قلوبِهِمُ الْوِصَالَا
وتزْرَعُ في الصُّدُورِ هوىً ووِدّاً ... وتُكسِبُهُمْ إذا حضَروا جَمَالَا

وقال آخر:

إنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إذا وَرَدَتْ ... أَحْظَى مِنَ الابنِ عند الوالِد الحَدِبِ

هذا؛ وقد روي عن النبي ﷺ: أنه قال: **«جُلَسَاؤُكُمْ شُرَكَاؤُكُمْ في الهَدية»**. واختلف في معناه، فقيل: هو محمول على ظاهره، وقيل: يشاركهم على وجه الكرم، والمروءة، فإنْ لمْ يفعل فلا يجبر عليه، وقال أبو يوسف: ذلك في الفواكه، ونحوها. وقال بعضهم: هم شركاؤه في السرور لا في الهدية. والخبر محمول في أمثال أصحاب الصفة، والخوانق، والرباطات، أما إذا كان فقيهاً من الفقهاء؛ اختص بها، فلا شركة فيها لأصحابه، فإن أشركهم فذلك كرم وجود منه. انتهى. قرطبي بتصرف من التنبيه إلى هنا، وينبغي أن تعلم أنه لم تذكر الهدية في غير هذه السورة.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٨]. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الرجل المرسل من قبل بلقيس. ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة: (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾. تقديره: هو. ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (تمدوننِ): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة، أو الثابتة في بعض

القراءات في محل نصب مفعول به. ﴿بِمَالٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب: (لمَّا)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف عطف، وقيل: حرف تعليل، ولا وجه له، ولو قيل: استئناف لكان أولى. (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَاتَىٰنِۦَ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول، والثاني محذوف، وهو العائد، أو الرابط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة: (ما)، أو صفتها، وتقدير الكلام: فالذي، أو: فشيء آتانيه الله. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿مِّمَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾، و(ما) تحتمل الموصوفة والموصولة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو: من شيء آتاكموه. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وانتقال. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِهَدِيَّتِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية: «تفرحون بهديتكم» في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي من جملة كلام سليمان، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: قال سليمان للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ارجع إلى بلقيس وقومها بهديتهم. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾: لا طاقة لهم بها، وقرئ: (بهم). ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ أي: من أرض سبأ. ﴿أَذِلَّةً﴾: بذهاب ما كانوا فيه من العز، والمجد. ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾: أسراء مهانون، إن لم تأتوني مسلمين.

قال وهب بن منبه، وغيره من أهل الكتاب: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان، وبلغوها ما قال سليمان، وذكروا لها ما رأوْا من عظمة ملكه، وسلطانه، قالت: لقد عرفت أن هذا ليس بملك، وما لنا به من طاقة، فبعثت إلى سليمان: إني قادمة عليك بملوك قومي، حتى أنظر ما أمرك، وما الذي تدعو إليه من دينك؟ ثم أمرت بعرشها، فجعلته في آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض، ثم أغلقت عليه سبعة أبواب، ووكلت به حراساً يحفظونه، ثم قالت لمن خلفت على ملكها: احتفظ بما هو قِبَلَك، وسرير ملكي لا يخلص إليه، ثم أمرت منادياً ينادي في أهل مملكتها، تؤذنهم بالرحيل، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قَيْل من ملوك اليمن، كل قَيْل تحت يده ألوف كثيرة وسمي قيلاً بفتح القاف؛ لأنه ينفذ كل ما يقول. قال ابن

عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يوماً، فجلس على سريره، فسمع رهجاً قريباً منه، قال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان، وكان على مسيرة فرسخ من سليمان، فأقبل سليمان على جنوده، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟...﴾ إلخ ولا تنسَ: أن «رجع» يكون متعدياً، ولازماً.

الإعراب: ﴿ٱرْجِعْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾: الفاء: حرف تعليل وقيل: حرف استئناف، والأول أقوى. اللام: واقعة في جواب قسم مقدر، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (نأتينهم): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿بِجُنُودٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر، لا محل لها. ﴿لَّا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿قِبَلَ﴾: اسم ﴿لَّا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَّا﴾. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان. وقيل متعلقان بـ: ﴿قِبَلَ﴾ لتضمنه معنى المصدر، وتعليقهما بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف جيد معنًى. تأمل. والجملة الاسمية: ﴿لَّا قِبَلَ...﴾ إلخ في محل جر صفة: (جنود). ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ هذه الجملة معطوفة على ما قبلها. وهي في التقدير جواب لقسم مقدر، وإعرابها مثل إعراب سابقتها. ﴿أَذِلَّةً﴾: حال من الضمير المنصوب. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال، (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿صَٰغِرُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو.. إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، وقد تعددت الحال مختلفة في الإفراد والجملة، بعد هذا: فالآية كلها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من جملة كلام سليمان، على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾: هذا النداء لكلٍّ من هو عنده في قبضته من الجن، والإنس، والطير، وغير ذلك. ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾: يحضره إليَّ. ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾: طائعين منقادين، وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس، وعرشها في سبأ، بلدة في اليمن، وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين.

هذا؛ ولقد اختلف في فائدة إحضار عرشها قبل حضورها. قيل: غرض سليمان في ذلك ليريها قدرة الله تعالى، وإظهار معجزة دالة على نبوته. وقيل: أراد أن ينكِّره، ويغيِّره قبل مجيئها

ليختبر بذلك عقلها؛ لأن الجن قالوا له: إن في عقلها خللاً، وقيل: إن سليمان علم: أنها إن أسلمت حرم عليه مالها، فأراد أن يستولي عليه قبل أن يحرم عليه أخذه؛ لأنها حربية، ومال الحربي يحل أخذه بأية وسيلة كانت. وقيل: أراد أن يعرف صدق الهدهد في قوله ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ وقيل: أراد أن يعرف قدر ملكها؛ لأنَّ السرير على قدر الملك. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾: انظر الآية رقم [٢٩] ففيها الكفاية. ﴿أَيُّكُمْ﴾: اسم استفهام مبتدأ. والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَأْتِينِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿أَيُّكُمْ﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿بِعَرْشِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله أيضاً. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَأْتُونِى﴾: فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب مفعول به، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿قَبْلَ﴾ إليه، التقدير: قبل إتيانهم. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والكلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: مارد من الجن، يقرأ بكسر العين، وفتحها، وهي قراءة الجمهور، وقرأ أبو رجاء، وعيسى الثقفي: (عِفْرِيَة)وروِيت عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ومن قول النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ يُبْغِضُ العِفْرِيَةَ النَّفْرِيَةَ**». قال قتادة: هي الداهية. وقال النحاس: يقال للشديد إذا كان معه خبث ودهاء: عِفْر، وعِفْرية، وعِفْريت، وعُفَارِية، وقيل: عفريت؛ أي: رئيس، وكان اسم هذا العفريت ذكوان، أو صخراً، ومن هذا الاسم قول ذي الرمة: [البسيط]

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عِفْرِيَةٍ مُصَوَّبٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ

وأنشد الكسائي قول رؤبة من قصيدة مدح بها مسلمة بن عبد الملك: [الرجز]

إِذْ قَالَ شَيْطَانُهُمُ الْعِفْرِيتُ لَيْسَ لَكُمْ مُلْكٌ وَلَا تَثْبِيتُ

هذا؛ ومن قول النبي ﷺ أيضاً: «**إن اللهَ لَيُبْغِضُ العفريت النفريت**». قيل: هو الجموع المنوع من الناس. وقال أبو عثمان النهدي ـ رضي الله عنه ـ: دخل رجل عظيم على النبي ﷺ،

فقال له: «**متى عهدك بالحمَّى؟**». قال: ما أعرفها، قال: «**فبالصُّدَاع؟**». قال: ما أدري ما هو، قال: «**أفأُصِبْتَ بمالك؟**» قال: لا، قال: «**أَفرُزِئْتَ بولدكَ؟**». قال: لا، فقال النبي ﷺ: «**إن الله لَيُبْغِض العفريتَ النفريت، وهو الذي لا يُرْزَأُ**».

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: من مجلسك للحكم، وكان يجلس إلى نصف النهار. ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ أي: على العرش. ﴿لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ أي: قوي على حمله، أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها، وكان هذا المارد مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، فقال سليمان: أريد أسرع من ذلك، عند ذلك ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ...﴾ إلخ.

تنبيه: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ عِفْرِيتاً مِنَ الْجِنِّ تفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ؛ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللهَ أَمْكَنني مِنْهُ، فَدعَتُّهُ**». رواه البخاري، ومعنى «تفلَّت»: تعرض لي فلتة؛ أي: بغتة، ومعنى «دعته»: دفعته دفعاً شديداً. وفي رواية قذعْتُه؛ أي: خنقته.

وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد: أنه قال: «**أُسري برسول الله ﷺ، فرأى عِفْرِيتاً من الْجِنِّ يَطْلُبُهُ بشعلةٍ مِنْ نارٍ، كلَّمَا التفتَ رسولُ اللهِ ﷺ رآه، فقال جبريل عليه السلام: أَفَلَا أُعلِّمُكَ كلماتٍ تقولُهُنَّ؛ إذَا قُلْتَهُنّ؛ طُفِئَتْ شُعْلَتُهُ، وَخَرَّ لِفيه؟ فقال رسول الله ﷺ: بَلَى، فَقَالَ: أَعُوذُ بالله الكريم، وبكلمات اللهِ التَّامَاتِ الَّتي لا يُجَاوِزُهُنَّ برٌّ ولا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ ما ينْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَشَرِّ ما يعرجُ فِيهَا، وشَرِّ مَا ذَرَأَ في الأرضِ، وَشَرِّ ما يَخْرُجُ مِنْهَا، ومِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ، ومِنْ طوَارِقِ اللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ، إِلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يا رَحْمَنُ**».

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿عِفْرِيتٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿عِفْرِيتٌ﴾. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَاتِيكَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنا». والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ ويحتمل أن يكون ﴿ءَاتِيكَ﴾: اسم فاعل، فهو خبر مفرد مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. وانظر مثله في الآية رقم [٩٥] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ءَاتِيكَ﴾ على الوجهين المعتبرين فيه. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق به أيضاً. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَقُومَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِن مَّقَامِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. و ﴿أَن﴾ والفعل (تقوم) في تأويل مصدر في محل جر بإضافة: ﴿قَبْلَ﴾ إليه. والجملة الاسمية: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِنِّى﴾: الواو: واو الحال. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل

نصب اسمها، ﴿عَلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما على التنازع. ﴿لَقَوِيٌّ﴾: اللام: هي المزحلقة. (قوي أمين): خبران لـ(إن)، والجملة الاسمية: (إني عليه...) إلخ في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿ءَاتِيكَ﴾، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: قيل: هو مَلَكٌ بيده كتاب المقادير، أرسله الله عند قول العفريت. وقيل: هو جبريل عليه السلام، والكتاب على هذا هو: اللوح المحفوظ. وقيل: هو الخضر، وقيل: هو آصف بن برخيا، وهو الأصح، وعليه الجمهور، وكان عنده اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب. وإذا سئل به أعطى. روي: أنه صلى ركعتين، ثم قال لسليمان: يا نبي الله! امدد بصرك، فمد بصره، نحو اليمن فإذا بالعرش، فما رد بصره إلا وهو عنده. وقيل: هو سليمان نفسه، وعليه؛ فالخطاب في: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾ للعفريت، وكأنه استبطأه، فقال له ذلك. والمعتمد: أنه آصف، كما قدمت. فهو كرامة له، ومعجزة لسليمان، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام؛ لأن كرامة الولي معجزة لنبيه الذي كان سبباً في هدايته إلى الدين القويم، وقد اختلف في الكيفية التي كان فيها إحضار العرش، فالله أعلم أي ذلك كان، فالتفويض أولى.

هذا؛ وقد قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اسْمَ اللهِ الأَعْظَمَ الَّذِي دَعَا بِهِ آصِفُ بنُ بَرْخِيَا يا حيُّ يا قيُّوم**». وقال الزهري: دعاء الذي عنده اسم الله الأعظم: يا إِلَهَنَا وإله كل شيء، إِلَهاً واحداً، لا إله إلا أنت ايتني بعرشِها! فمَثُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ. وقال مجاهد: دعا، فقال: يا إِلَهنا، وإِلَه كل شيء، يا ذا الجلالِ والإكرام!.

﴿طَرۡفُكَۚ﴾: الطرف: تحريك جفن العين إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف في نحو قول الشاعر: [الطويل]

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً ... لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ

رأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

وصف برد الطرف، ووصف الطرف بالارتداد، وقد يراد بالطرف: الجفن خاصة، كما في قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا ... إِشَارَةَ مَحْزُونٍ، وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

فَـأَيْـقَـنْـتُ أَنَّ الـطَّـرْفَ قَـدْ قَـالَ مَـرْحَـبـاً وَأَهْـلاً وَسَـهْـلاً بِـالْـحَـبِـيـبِ الْـمُـتَـيَّـمِ

ويقال: ما طبق طرفه، أي جفنه على الآخر، والطرف بالمعنى السابق لا يثنى، ولا يجمع؛ لأنه في الأصل مصدر، فيكون واحداً، وجمعاً، قال تعالى في سورة (إبراهيم): ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ رقم [٤٣] وهو هنا بفتح الطاء وسكون الراء، وهو بفتحهما: حرف الشيء، ومنتهاه، وجمعه: أطراف، قال تعالى في سورة (طه) رقم [١٣٠]: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾. وهو بكسر الطاء، وسكون الراء: الكريم من الخيل، وقد يراد به أيضاً الكريم الطرفين؛ أي: الأب، والأم، ويجمع على أطراف أيضاً.

﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا﴾: ثابتاً بين يديه غير متقلقل، وليس بمعنى الحصول المطلق؛ إذ لو كان كذلك لم يذكر، فهو كون خاص، انتهى. مغني. ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: هذا النصر، والتمكين من حصول المراد. ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾: ليختبرني ربي ﴿أَأَشْكُرُ﴾ أي: نعمته عليَّ؛ بأن أرى ذلك فضلاً بلا حولٍ ولا قوة مني، وأقوم بحقه، ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ أي: أجحد نعمته عليَّ، وأقصر بالقيام في حقه. ﴿وَمَن شَكَرَ﴾ أي: النعمة، وأدى حق الله فيها، ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: يرجع نفع ذلك إلى نفسه، لا إلى غيره، حيث يستوجب بشكره تمام النعمة ودوامها، والمزيد منها، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ والشكر قيد النعمة الموجودة، وبه تنال النعمة المفقودة، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: جحد النعمة. ولم يقم بشكرها. ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ أي: عن العباد، وعن شكرهم. ﴿كَرِيمٌ﴾: يتفضل على العباد لا يقطع نعمة عنهم إذا أعرضوا عن شكره، وقصروا في واجب النعمة، وفي سورة (لقمان) رقم [١٢]. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ انظر شرحها هناك، فإنه جيد.

هذا؛ وسمى الله سبحانه جحود النعمة: كفراً؛ لأن معنى الكفر اللغوي: الستر، والتغطية. كما في الآية رقم [٤٣] الآتية. أما الفعل: شكر، فيتعدى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرته، وشكرت له، كما تقول: نصحته، ونصحت له، وانظر شرح الشكر لغة، واصطلاحاً في الآية رقم [١٥].

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿عِندَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿عِلْمٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿عِلْمٌ﴾؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. هذا؛ ويجوز اعتبار الظرف متعلقاً بمحذوف صلة الموصول، فيكون ﴿عِلْمٌ﴾ فاعلاً به، أي: بمتعلقه، وهذا لا غبار عليه. ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إعراب هذا الكلام مثل إعراب: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: بلا فارق، وهو في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٨]، ﴿رَءَاهُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى سليمان، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مُسْتَقِرًّا﴾: حال من الضمير المنصوب، وفاعله مستتر فيه. ﴿عِندَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: (مستقراً). انظر الشرح فإنه جيد، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿رَءَاهُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى سليمان أيضاً. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِن فَضْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، و﴿فَضْلِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّى﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف مدلول عليه بما قبله، التقدير: تفضل عليّ ليبلوني. ﴿ءَأَشْكُرُ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (أشكر): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب بدلاً من ياء المتكلم، ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، وجملة: ﴿أَكْفُرُ﴾: مع المفعول المحذوف معطوفة على ما قبلها، والكلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ هَٰذَا...﴾ إلخ جواب (لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل لها.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿شَكَرَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (مَنْ)، ومفعوله محذوف. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، (إنما): كافة، ومكفوفة، ﴿يَشْكُرُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (من). ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. وقيل: (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب اسم: (إنَّ)، التقدير: فإن ثواب شكره. . . و﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ متعلقان بمحذوف خبر: (إن)، وبذلك تكون الجملة اسمية في محل جزم جواب الشرط، ويرجحه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ في الجملة التالية، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين.

هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً مبتدأ، وجملة: ﴿شَكَرَ﴾ صلته، والجملة الفعلية: ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ خبره؛ فهو جيد، وتكون الفاء زائدة دخلت على الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: مثل: (من شكر). ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّى﴾: اسم (إن) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، ﴿غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾: خبران لـ: (إن)، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ رَبِّى...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وتتمة الكلام مثل سابقه بلا فارق، والكلام: ﴿وَمَن شَكَرَ...﴾ إلخ مستأنف، وهو في محل نصب مقول القول؛ لأنه من جملة قول سليمان على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾: بتغيير شكله، وهيئته. وقيل: هو أن يزاد فيه، أو ينقص منه. وقيل: هو أن يجعل أعلاه أسفله، ويجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر، ومكان الأخضر أحمر، ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾ إلى معرفته، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفته، والجواب الصواب. وقيل: أتهتدي إلى الإيمان بالله ورسوله؛ إذا رأت عرشها عندنا، وقد خلفته في قصرها مغلقة عليه الأبواب، موكلة عليه الحراس.

قال الفراء وغيره: إنما أمر سليمان بتنكير عرشها؛ لأن الشياطين قالوا له: إن في عقلها شيئاً، فأراد أن يمتحنها. وقيل: خافت الجن أن يتزوجها سليمان، فيولد له منها ولد، فيبقون مسخرين لآل سليمان أبداً؛ لأن أمها جنية كما ذكرته لك فيما سبق. فقالوا لسليمان: إنها ضعيفة العقل. ورجلها كرجل الحمار، وإنها شعراء الساقين، فقال: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ لنعرف عقلها، وكان لسليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ناصح من الجن، فقال: كيف لي أن أرى قدميها من غير أن أسألها كشفهما؟ فقال: أنا أجعل لك في هذا القصر ماء، وأجعل فوق الماء زجاجاً، تظن: أنه ماء، فترفع ثوبها، فترى قدميها، فهذا هو الصرح المذكور في الآية رقم [٤٤].

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى سليمان، ﴿نَكِّرُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأنَّ مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَرْشَهَا﴾: مفعول به، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿نَنظُرْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وقرئ برفعه على الاستئناف، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: «نحن»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿أَتَهْتَدِىٓ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (تهتدي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى بلقيس، والمتعلق محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به للفعل ﴿نَنظُرْ﴾ المعلق عن العمل لفظاً بسبب

الاستفهام. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه يعود إلى بلقيس. ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿تَكُونُ﴾، وجملة: ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والكلام: ﴿نَكِّرُوا لَهَا...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وقال الجمل: معطوفة على المعنى، على قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾. والمقصود عطف المتعلق، فكان يكفي أن يقال: ونكروا لها عرشها، وإنما أعيد ذكر القول لكون المتعلق مختلفاً لكونه أولاً ثناء على الله تعالى، وثانياً متعلقاً بشأن عرشها.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ أي: حضرت، ودخلت على سليمان. ﴿قِيلَ﴾ أي: لها. ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾: تشبيهاً عليها، زيادة في امتحان عقلها. ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾: لم تقل: هو؛ لاحتمال أن يكون مثله، وذلك من كمال عقلها. وقيل: إنها عرفته، لكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها. وقيل: إنها كانت حكيمة، لم تقل: نعم؛ خوفاً من الكذب، ولا قالت: لا؛ خوفاً من التكذيب أيضاً، فقالت: كأنه هو، فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر، ولم تنكر، وقيل: اشتبه عليها أمر العرش؛ لأنها تركته في بيت، عليه سبعة أبواب مغلقة، والمفاتيح معها. قيل لها: فإنه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب.

﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ أي: من قبل هذه الآية في العرش، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ أي: منقادين خاضعين طائعين لأمر سليمان. وقيل: المعنى، أوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد، والرسل من قبل هذه الآية، وهذا على أن الكلام من كلام بلقيس. وقيل: هو من كلام سليمان، فيكون المعنى: أوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة، وقبل مجيئها. ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ موحدين مؤمنين بالله، فيكون الغرض من هذا الكلام مزيد شكر الله على نعمته حيث خصه بمزيد من العلم، والتقدم في الإيمان، والتوحيد. وقيل: معناه: أوتينا العلم بإسلامها، ومجيئها طائعة من قبل وصولها إلينا، وهذا ضعيف، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٨]، ﴿جَاءَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هي» يعود إلى بلقيس، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على اعتبار: (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول ﴿أَهَٰكَذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام، والهاء: حرف تنبيه لا محل له، والكاف حرف تشبيه، وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وقد فصل في هذا التركيب بين (ها) التنبيه، واسم الإشارة بحرف الجر، وهو الكاف، والأصل اتصال (ها) التنبيه باسم

الإشارة، وهذا الفصل لا يجوز بغير الكاف من حروف الجر. ﴿عَرْشُكِ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل رفع نائب فاعل: ﴿قِيلَ﴾، وهذا جارٍ على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه» وهذا لا غبار عليه. و﴿قِيلَ﴾: نائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وقيل قول، وقيل: الجار والمجرور المقدران في الشرح في محل رفع نائب فاعل، وجملة: ﴿قِيلَ﴾ جواب (لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى بلقيس أيضاً، ﴿كَأَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع خبر: (كأن)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأُوتِينَا﴾: الواو: حرف عطف. (أوتينا): فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون، و(نا): ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل، وهو المفعول الأول. ﴿ٱلْعِلْمَ﴾: مفعول به ثان. ﴿مِن قَبْلِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْعِلْمَ﴾، والجملة الفعلية: ﴿وَأُوتِينَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقالت بلقيس: وأوتينا... إلخ، أو قال سليمان: وأوتينا... إلخ، حسب ما رأيت في الشرح، وهذا الكلام معطوف على جملة: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ لا محل له مثلها. ﴿وَكُنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (كنا): فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): ضمير متصل في محل رفع اسمه. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فمحلها مثل محل ما قبلها.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: صرفها عن الإيمان بالله، وتوحيده، وعبادته ما كانت تعبده من دون الله من عبادة الشمس، وغيرها. وقيل المعنى: وصدها سليمان عن ما كانت تعبده من دون الله، وذلك بسبب إسلامها على يديه، فحال بينها، وبين ذلك. ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾: قرئ بكسر الهمزة وفتحها، وهذا الكلام من إخبار الله تعالى بأنها كانت كافرة؛ لأنها نشأت بين قوم كافرين.

هذا؛ والعبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى؛ ولذا يحرم السجود لغيره تعالى. وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود. وعن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: أنا، والإنس، والجن في**

نبأ عظيم، أخلق، ويعبد غيري، وأرزق، ويشكر غيري». هذا؛ وانظر (الكفر) في الآية رقم [١٩] من سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿وَصَدَّهَا﴾: الواو: حرف عطف. (صدها): فعل ماض، و(ها) ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكره موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل. ﴿كَانَت﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره: «هي» يعود إلى بلقيس، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿تَّعْبُدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى بلقيس أيضاً، ومفعوله محذوف، وهو عائد الموصول، أو رابط النكرة الموصوفة. وجملة: ﴿كَانَت تَّعْبُدُ﴾ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، التقدير: وصدها الذي، أو: شيء كانت تعبده. ﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف. و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، فيكون التقدير: وصدها كونها عابدة من دون الله، أو التقدير: وصدها عبادة الشمس عن التقدم إلى الإيمان، والإسلام. هذا؛ وقيل: الفاعل يعود إلى سليمان، أو إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾ ويكون التقدير: وصدها سليمان، أو ﴿ٱللَّهِ﴾ عن الذي كانت تعبده من دون الله، وذلك بهدايتها إلى الإسلام.

﴿إِنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(ها): ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كَانَتْ﴾: فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث، واسمه يعود إلى بلقيس أيضاً. ﴿مِن قَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَتْ﴾. ﴿كَٰفِرِينَ﴾: صفة ﴿قَوْمٍ﴾ مجرور... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وعلى قراءة فتح الهمزة تؤول مع اسمها وخبرها بمصدر على أنه بدل من: ﴿مَا﴾، أو على أنه في محل جر بلام تعليل محذوفة، التقدير: لكونها من قوم كافرين، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (صدها)، وجملة: ﴿وَصَدَّهَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة (أوتينا...) إلخ في الآية السابقة.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾: القصر، وذلك: أن سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش، وأراد أن ينظر إلى ساقيها، وقدميها من غير أن يسألها كشفهما؛ لما أخبرته الجن: أن رجليها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين؛ أمر الشياطين أن يعملوا له قصراً من الزجاج الأبيض كالماء. وقيل: ﴿ٱلصَّرْحَ﴾: صحن الدار، وأجرى تحته الماء، وألقى فيه السمك، والضفادع،

ونحوهما من دواب البحر، ثم وضع سريره في صدر المجلس، وجلس عليه، ولما جاءت قيل لها: ادخلي الصرح، وهذا بخلاف صرح فرعون المذكور في الآية رقم [٣٨] من سورة (القصص).

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾: أي ظنته ماء عظيماً راكداً. هذا؛ ولجة الماء: معظمه، وجمعه: لجج، ولما رأت لجة الماء؛ فزعت، وظنت: أن سليمان قصد بها الغرق، وتعجبت من كون كرسيه على الماء، ورأت ما هالها، ولم يكن لها من امتثال الأمر بدٌّ. هذا؛ وفي هذه الجملة تشبيه مأخوذ من معنى: ﴿حَسِبَتْهُ﴾، فقد شبهت الصرح بلجة الماء فهو قسم من أقسام التشبيه جاءت فيه الأداة فعلاً من أفعال الظن، ومثله آية (الكهف) رقم [١٨]، وآية (الدهر) رقم [١٩]. ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾: فإذا هي من أحسن الناس ساقاً، سليمة مما قالت الجن، غير أنها كثيرة الشعر، فلما بلغت هذا الحد، قال لها سليمان بعد أن صرف نظره عنها: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ والممرَّد: المملَّس المحكوك، ومنه: الأمرد لملاسة وجهه، أي: نعومته لعدم وجود الشعر به، والقوارير: الزجاج الأبيض الجميل.

هذا؛ والقوارير جمع: القارورة. وفي المصباح: القارورة: إناء من زجاج، والجمع: القوارير، والقارورة أيضاً: وعاء الرطب والتمر، وهي القَوْصَرَّة، وتطلق القارورة على المرأة؛ لأن الولد، أو المني يقر في رحمها، كما يقر الشيء في الإناء، أو تشبيهاً بآنية الزجاج لضعفها. وفي الحديث الشريف: «**رفقاً بالقوارير**». قال الأزهري: والعرب تكني عن المرأة بالقارورة والقوصرة انتهى. وفي القاموس: القارورة: حدقة العين، وما قرَّ فيه الشراب، أو نحوه، أو يُخَصُّ بالزجاج، و﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: من زجاج في بياض الفضة وصفاء الزجاج.

وعند ذلك استسلمت، وأذعنت، وأقرت على نفسها بالظلم؛ حيث قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي...﴾ إلخ. ولما رأى سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ قدميها؛ قال لناصحه من الشياطين: كيف لي أن أقلع هذا الشعر من غير مضرة بالجسد؟ فدله على عمل النورة، فكانت النورة، والحمامات من يومئذ. هذا؛ وقيل في معنى ظلمها لنفسها: إنها ظنت: أن سليمان يريد أن يغرقها في الماء. والأصح: أنها أرادت ظلمت نفسي بعبادة غير الله تعالى، ونحوها؛ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

واختلفوا في أمر بلقيس بعد إسلامها، فقيل: انتهى أمرها إلى قولها: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ولا علم لأحد وراء ذلك؛ لأنه لم يذكر في الكتاب، ولا في خبر صحيح. وقال بعضهم: تزوجها سليمان، وأحبها حباً شديداً، وأقرها على ملكها، وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون، لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، وهي سلحين، وبينون، وغمدان، ثم كان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، يبكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام، وولدت له ولداً ذكراً، أسماه داود، مات في حياته.

وقال وهب بن منبه: زعموا أن بلقيس لما أسلمت، قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجك إياه، فقالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال، وقد كان لي من قومي الملك والسلطان؟! قال: نعم، إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله، قالت: فإن كان ولا بد فزوجني ذا تُبَّع ملك همدان، فزوجها إياه، وذهب بها إلى اليمن، وملك زوجها على اليمن، ودعا زوبعة ملك الجن، وقال له: اعمل لـ: «ذي تُبَّع» ما استعملك فيه، فلم يزل يعمل له ما أراده إلى أن مات سليمان، وحال الحول، وعلم الجن موته، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن، وقال بأعلى صوته: يا معشر الجن إن الْمَلِكَ سليمان قد مات، فارفعوا أيديكم، فرفعوا أيديهم، وتفرقوا، وانقضى ملك سليمان، وملك «ذي تبع» وملك بلقيس، وبقي الملك لله الواحد القهار. قيل: إن سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. انتهى. خازن بتصرف.

الإعراب: ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱدْخُلِي﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والياء ضمير متصل في محل رفع فاعل. ﴿ٱلصَّرْحَ﴾: مفعول فيه ظرف مكان متعلق بالفعل قبله عند بعض، وفي مقدمتهم سيبويه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٤]. وجملة: ﴿ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٢] ففيها الكفاية، وجملة: ﴿قِيلَ لَهَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٨]، ﴿رَأَتْهُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة التي هي حرف لا محل له، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، وقد اكتفى الفعل به؛ لأنه بصري، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هي» يعود إلى بلقيس، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً؛ لأنها ابتدائية، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً، ﴿حَسِبَتْهُ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى بلقيس أيضاً، والتاء للتأنيث، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿لُجَّةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب (لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَكَشَفَتْ﴾: الواو: حرف عطف. (كشفت): فعل ماض، والفاعل يعود إلى بلقيس أيضاً، والتاء للتأنيث، ﴿عَن سَاقَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾: معطوفة على جواب (لما)، لا محل لها مثلها.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (سليمان). ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿صَرْحٌ﴾: خبر (إن). ﴿مُّمَرَّدٌ﴾: صفة: ﴿صَرْحٌ﴾، ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ ﴿صَرْحٌ﴾، أو بمحذوف حال منه بعد وصفه بما تقدم على حد قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ

﴿أنزلنه﴾ وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، والجملة الاسمية: ﴿إنه...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قال...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مستأنفة، ﴿قالت﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى بلقيس، تقديره: «هي». ﴿رب﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، وانظر الآية رقم [١٦٩] من سورة (الشعراء) الشرح والإعراب تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿إني﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿ظلمت﴾: فعل، وفاعل. ﴿نفسي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ظلمت نفسي﴾: في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إني...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قالت...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وأسلمت﴾: الواو: حرف عطف. (أسلمت): فعل، وفاعل. ﴿مع﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله أو هو متعلق بمحذوف حال من تاء الفاعل، وهو أولى، و﴿مع﴾ مضاف، و﴿سليمن﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون. هذا؛ وقيل: ﴿مع﴾ حرف جر، ولا أعتمده. ﴿لله﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رب﴾: صفة لفظ الجلالة، أو هو بدل منه، و﴿رب﴾ مضاف، و﴿العلمين﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وجملة: ﴿وأسلمت...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿ثمود﴾: قبيلة عربية مثل قبيلة: «عاد» سميت باسم أبيها الأكبر، ثمود بن غابر، بن سام، بن نوح، وهو أخو جديس بن غابر، وكانت منازل ثمود الحجر بين الحجاز، والشام إلى وادي القرى وما حوله. قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقلة مائها، والثمد: الماء القليل، والأول هو المعتمد. فإن جعلته اسماً لمذكر صرفته، وإن جعلته اسماً لمؤنث منعته، وقرئ بصرفه شاذاً. (صالح): هو ابن عبيد بن آسف، بن ماشخ، بن عبيد بن حاذر، بن ثمود، وليس من أنبياء بني إسرائيل كـ: (هود)، وكان بينهما مئة سنة، وعاش صالح مئتي سنة، كما في التحبير للسيوطي، وأخوته لقومه إخوة نسب، لا أخوة دين، كأخوة هود ونوح، وغيرهما إلى أقوامهم. هذا؛ وعاش هود أربعمئة وأربعاً وستين سنة وبين هود، ونوح ثمانمئة سنة.

﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾: ذِكْرُ هَذَيْنِ الفريقين جاء في سورة (الأعراف) في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ

﴿كَٰفِرُونَ﴾ هذا؛ والفريق: الطائفة من الناس، والفريق أكثر من الفرقة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، كرهط، وقوم.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله. والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرْسَلْنَآ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له. وانظر الآية رقم [٢٣] من سورة (السجدة)، أو الآية رقم [٣٧] من سورة (طه) لتتمة الإعراب. ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿صَٰلِحًا﴾: بدل، أو عطف بيان على: ﴿أَخَاهُمْ﴾، ﴿أَنِ﴾: مفسرة؛ لأن الإرسال يتضمن معنى القول. ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية مفسرة للإرسال، لا محل لها. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿أَنِ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بعبادة الله. ﴿فَإِذَا﴾: انظر الآية رقم [٣٢] من سورة (الشعراء) ففيها الكفاية. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فَرِيقَانِ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، وأجيز اعتبارها صفة لـ: ﴿فَرِيقَانِ﴾ على المعنى، كقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟...﴾ إلخ. هذا؛ وأجيز تعليق (إذا) بالفعل: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، فيكون المعنى: فإذا قوم صالح فريقان: مؤمن به، وكافر به يختصمون. وقال ابن هشام: ويحتمل الحالية أيضاً، أي: فإذا هم فريقان مختصمين.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: بالعقوبة، وهو قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: قبل التوبة، وطلب الرحمة، فتؤخرونها إلى نزول العذاب، فإنهم كانوا يقولون: إن صدق إيعاده؛ تبنا حينئذٍ. ﴿لَوْلَا﴾: هلا. ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾: تتوبون، وتطلبون المغفرة لذنوبكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: بقبول التوبة، وشمول

الرحمة؛ إن تبتم، ورجعتم إلى الله، وعبادته، وترك عبادة الأوثان، والأصنام. وانظر العجلة في الآية رقم [٢٠٤] من سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى صالح تقديره: «هو». (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (قوم): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة فيقول: يا قوْمِي، ومنهم من يثبتها ويحركها بالفتحة، فيقول: يا قوْميَ، ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: يا قوْما. ومنهم مَنْ يحذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها، فيقول: يا قَوْمَ، ويزاد لغة سادسة، وهي لغة القطع، فتقول: يا قومُ، ﴿لِمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و(ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل جر باللام، وحذفت ألفها للفرق بين الخبر والاستخبار كما رأيت في الآية رقم [٣٥]، ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من السيئة. و﴿قَبْلَ﴾ مضاف، و﴿الْحَسَنَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿تَسْتَغْفِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿اللَّهَ﴾: مفعول به منصوب على التعظيم. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿تُرْحَمُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ تعليل للحض على الاستغفار، والكلام: ﴿يَقَوْمِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا﴾ أي: مجيبين لصالح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾: تشاءمنا بك، وبمن معك؛ إذ تتابعت علينا الشدائد، وكانوا قد قحطوا، وجاعوا، وكذلك ما أصابهم من التفرق بسبب من آمن مع صالح. ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: سبب خيركم، وشركم عند الله، وهو حكمه، ومشيئته، أو سبب شؤمكم عند الله، وهو أعمالكم المكتوبة عنده، فإنها هي التي ساقت لكم ما يسوءكم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: طائرهم: ما قضي لهم، وقدر عليهم. انتهى. هذا؛ وقد سمي ما قضي عليهم بذلك؛ لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم. وقيل: طائركم: عملكم عند الله، سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء، وقد استعير الطائر لما كان سبب الخير والشر من قدر الله، وقسمته، أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة، والنقمة.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تختبرون، وتمتحنون بتعاقب السراء، والضراء، هل تنتبهون إلى أن ما أصابكم من حسنة؛ فبفضل الله، وأن ما أصابكم من سيئة؛ فبسوء أعمالكم. وتشاؤمهم إغراق منهم بالغباوة، وقسوة القلب، فإن الشدائد ترقق القلوب، وتلين العرائك، سيما بعد مشاهدة المعجزة، وهي لم تؤثر فيهم، بل زادوا عتواً، وانهماكاً في الغيِّ، والضلال.

هذا؛ وقد كانت العرب في الجاهلية أكثر الناس طيرة، وكان أحدهم: إذا أراد سفراً نَفَّرَ الطير صباحاً، فإن طار يمنة تيمن، وسار، وإن طار يسرة؛ أي: شمالاً؛ رجع، وتشاءم، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**لا عَدْوَى، ولا طيرة... إلخ**». رواه أبو هريرة.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه: ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**». وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٩] من سورة (يس) ففيها فضل زيادة.

هذا؛ وأصل ﴿اطَّيَّرْنَا﴾ تَطَيَّرْنَا، أدغمت التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد، واجتلبت همزة الوصل لأجل التوصل للنطق بالساكن الذي هو الطاء المدغمة؛ لأن المدغم ساكن دائماً، وقد قرئ: (تَطَيَّرْنَا) على الأصل، وانظر رقم [٦٦].

الإعراب: ﴿قَالُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿اطَّيَّرْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَبِمَن﴾: الواو: حرف عطف، (بمن): جار ومجرور معطوفان على ﴿بِكَ﴾. ﴿مَّعَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (صالح) تقديره: «هو». ﴿طَائِرُكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وانتقال. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿قَوْمٌ﴾: خبره. ﴿تُفْتَنُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿قَوْمٌ﴾.

وهذه الصفة وطئ لها بلفظ ﴿قَوْمٌ﴾، فهي المرادة؛ لا لفظ ﴿قَوْمٌ﴾؛ لأنهم معلومون بأنهم قوم، ولهذا أعيد الضمير بعد ﴿قَوْمٌ﴾ إلى ما قبله لا إليه، وإلا لقيل: (يفتنون) بالغيبة فيه؛ لأن ﴿قَوْمٌ﴾ اسم ظاهر وهو من قبيل الغيبة، ومثل هذه الآية قوله تعالى في الآية رقم [٥٥]: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ وقل مثل ذلك في الحال الموطئة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الآية رقم [٢] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. والجملة

الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها وما قبلها وما أشبههما بمنزلة جواب لسؤال مقدر؛ إذ التقدير: فما كان الجواب من صالح. . . إلخ.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: مدينة ثمود، وهي الحجر المصرح بها في كثير من الآيات، ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾: وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط؛ لأنه في معنى الجماعة، فكأنه قيل: تسعة أنفس. هذا؛ و«رهط»: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: نفر ومعشر. . .إلخ، والفرق بين الرهط، والنفر: أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة، أو من السبعة إلى العشرة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة، من الرجال، وليس فيهم امرأة. هذا؛ وجمع رَهْطٍ: أَرْهُطٌ، وأَرَاهِطُ.

وأسماؤهم عن وهب بن منبه: الهذيل بن عبد رب، غنم بن غنم، رياب بن مهرج، مصدع بن مهرج، عمير بن كردبة، عاصم بن مخرمة، سبيط بن صدقة، سمعان بن صيفي، قدار بن سالف، وهم الذين سعوا في عقر الناقة، وكانوا عتاة قوم صالح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وكانوا من أبناء أشرافهم. انتهى. كشاف. وقيل في أسمائهم غير ذلك، والله أعلم.

﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بالكفر، وارتكاب المعاصي، والمنكرات لا يتورعون عن شيء، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي: شأنهم الإفساد الخالص، الخالي من شوائب الصلاح، كما ترى بعض المفسدين، قد يندر منهم بعض الصلاح في هذه الأيام. قيل: فسادهم: أنهم كانوا يتبعون عورات الناس، ولا يسترون عليهم؛ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: (كان). تقدم على اسمها. ﴿تِسْعَةُ﴾: اسم (كان) مؤخر، وهو مضاف، و﴿رَهْطٍ﴾ مضاف إليه. ﴿يُفْسِدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿تِسْعَةُ﴾، أو في محل جر صفة ﴿رَهْطٍ﴾. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يُصْلِحُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل صفة مثلها، التقدير: تسعة رهط مفسدون، أو مفسدين في الأرض، وغير مصلحين، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها ليست من قول قوم صالح، ولا من قول صالح، وإنما من إخبار الله تعالى.

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: المتآمرون على قتل صالح، أي: قال بعضهم لبعض. ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: يحتمل الأمر، والماضي، والمعنى: تحالفوا بالله، وفيه دليل على أن الكفار يعتقدون بوجود إله يسمونه الله، وإن كان لهم فيه اعتبارات حسب المعبودات التي كانوا ينصبونها للعبادة، ويعظمونها، ويقدسونها في كل زمان ومكان، حتى الملحدين في هذه الأيام، فإنهم يلهجون بحركاتهم، وسكناتهم بكلمة (يا الله) من حيث لا يشعرون. ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾: لنباغتن صالحاً، وأهله ليلاً. وقرئ الفعل بالنون، والياء، والتاء، ومثله (لَنقولن) وعلى قراءتهما بالنون مفتوح ما قبل النون، وعلى قراءتهما بالتاء والياء مضموم ما قبل النون، وانظر الإعراب.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: لأقربائه الذين لهم ولاية الدم، وحق المطالبة بدمه. ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾: ما حضرنا، ولا ندري مَنْ قتله وأهله؛ أي: لا علم لنا بذلك قطعاً. ﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾: فيما نقول من إنكارنا العلم بقتله، وقتل أهله. هذا؛ ويقرأ: ﴿مَهْلِكَ﴾ بضم الميم وفتح اللام على زنة المفعول، ويقرأ بفتح الميم مع كسر اللام وفتحها، فالقراءات ثلاث سبعيات، وانظر شرح ﴿أَهْلِهِۦ﴾ في الآية رقم [١٦٩] من سورة (الشعراء).

تنبيه: قال السدي، وغيره: أوحى الله تعالى إلى صالح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: إن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال لهم: إنه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها، ويكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد في هذا الشهر غلام إلا قتلناه، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر أولاد ذكور، فذبحوا أبناءهم، ثم ولد للعاشر، فأبى أن يذبح ولده، وكان لم يولد له قبل ذلك ذكر، وكان ابن العاشر أزرق أحمر، فنبت نباتاً سريعاً، وكان إذا مر بالتسعة، فرأوه؛ قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، وغضب التسعة على صالح؛ لأنه كان سبب قتلهم أبناءهم، فتعصبوا، وتقاسموا بالله... إلخ.

قالوا لما عزموا على قتله: نخرج إلى سفر، فنري الناس سفرنا، فنكون في غار، حتى إذا كان الليل، وخرج صالح إلى مسجده؛ أتيناه، فقتلناه، ثم قلنا: ما شهدنا مهلك أهله، وإنا لصادقون، فيصدقوننا، ويعلمون أننا خرجنا إلى سفر، وكان صالح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ لا ينام معهم في القرية، وكان يأوي إلى مسجده، فإذا أصبح أتاهم، فوعظهم، فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا، فسقط عليهم الغار، فقتلهم.

فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك، فصاحوا في أهل بلدتهم: يا عباد الله! أما رضي صالح أن أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم، فأجمع أهل البلد على قتل الناقة. انتهى. قرطبي

من سورة (الشعراء) وكان الذي باشر قتلها قدار بن سالف برضاهم، انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥٧] من سورة (الشعراء). هذا؛ وما تقدم يفيد: أن قوم صالح بقوا مدة طويلة بعد خروج الناقة من الصخرة، التي هي المعجزة التي اقترحوها عليه، وهذه المدة كانت من قبل ولادة قدار إلى بلوغه سن الشباب، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥٨] من سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. هذا؛ وأجيز اعتباره فعلاً ماضياً مبنياً على الضم، والواو فاعله، وحينئذٍ يجوز أن يكون مفسراً لـ: ﴿قَالُوا۟﴾، كأنه قيل: ما قالوا؟ فقيل: تقاسموا، ويجوز أن تكون الجملة في محل نصب حال من واو الجماعة على تقدير «قد» قبلها، أي قد قالوا ذلك متقاسمين. ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (نبيتنه): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». هذا؛ وعلى قراءته بالتاء والياء فهو مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة في محل رفع فاعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية جواب: ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾، لا محل لها. ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾: الواو: حرف عطف، (أهله): معطوفة على الضمير المنصوب، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَنَقُولَنَّ﴾: إعرابه مثل إعراب سابقه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وانظر الشرح، ﴿مَا﴾: نافية، ﴿شَهِدْنَا﴾: فعل ماض، و(نا) فاعله. ﴿مَهْلِكَ﴾: مفعول به، أو هو ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿مَهْلِكَ﴾ مضاف، و﴿أَهْلِهِۦ﴾ مضاف إليه من إضافة اسم المفعول لنائب فاعله، أو من إضافة المصدر لفاعله، أو من إضافة اسم المكان للحال فيه، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿مَا شَهِدْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَصَـٰدِقُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (صادقون): خبر (إن) مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير، والكلام: ﴿تَقَاسَمُوا۟...﴾ إلخ، كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾

الشرح: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا﴾: مكرهم الذي مكروه هو ما روي: أن قوم صالح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ لما توعدهم بالهلاك بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة كما رأيت في

سورة (الشعراء) اتفقوا وتحالفوا على أن يأتوا داره ليلاً، ويقتلوه وأهله المختصين به، والمؤمنين الذين اتبعوه، واهتدوا بهديه؛ وقد قالوا: إذا كان كاذباً في وعيده؛ أوقعنا به ما يستحق، وإن كان صادقاً؛ كنا قد عجلناه قبلنا، وشفينا قلوبنا. قاله مجاهد، وغيره.

﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي: جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه، فأتت تلك التسعة دار صالح، شاهرين سلاحهم وسيوفهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة، وهم يرون الحجارة، ولا يرون الملائكة، فقتلتهم، وأهلك الله جميع القوم بالصيحة. انتهى. خازن. وهذا يخالف ما ذكرته في الآية السابقة عن القرطبي، والنتيجة واحدة، وهي نجاة صالح، وإهلاك قومه، كما رأيت في سورة (الأعراف) وسورة (هود) وغيرهما.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أن وبال مكرهم عائد عليهم بالويل، والثبور، وعظائم الأمور. هذا؛ والشعور: إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته. هذا؛ و(المكر) معناه: الخبث، والخداع والاحتيال، والكيد، والتدبير الحرام. وهو مستحيل في حقه تعالى، وإنما نسبه الله إلى نفسه في هذه الآية وأمثالها من باب المقابلة، وهذا يسمى عند البلغاء بالمشاكلة؛ أي: ذكر الله جزاءهم، وعقابهم من جنس صنعهم، ومنه قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾. وذلك كثير في كتاب الله تعالى: هذا؛ وخذ قول الشاعر: [الطويل]

قَهَرْتُ الْعِدَا لا مُسْتَعِيناً بِعُصْبَةٍ ... وَلَكِنْ بِأَنْوَاعِ الْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ

وأيضاً قول زياد بن يسار: [الطويل]

تَعَلَّمْ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّهَا ... فَبَالِغْ بِلُطْفٍ في التَّحَيُّلِ وَالمَكْرِ

وهذا هو الشاهد رقم [١٠٢١] من كتابنا فتح القريب المجيب.

الإعراب: ﴿وَمَكَرُوا﴾: الواو: حرف عطف. (مكروا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَكْرًا﴾: مفعول مطلق؛ لأنه مصدر ميمي، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَمَكَرْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (مكرنا): فعل، وفاعل. ﴿مَكْرًا﴾: مفعول مطلق أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال، (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)﴾

الشرح: ﴿فَانْظُرْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ولكل من يتأتى منه النظر نظر تبصر، واعتبار، فيعتبر العاقل وينزجر بذلك الاعتبار عن الأفعال القبيحة والأعمال الخبيثة، ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾: عاقبة كل شيء آخره ونتيجته، ولم يؤنث الفعل ﴿كَانَ﴾؛ لأن ﴿عَاقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي، وما كان منه يستوي فيه التذكير والتأنيث، أو لأن ﴿عَاقِبَةُ﴾ اكتسب التذكير من المضاف إليه، ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ...﴾ إلخ أهلكناهم بسبب كفرهم، وخروجهم عن طاعة ربهم بعقرهم الناقة، وغير ذلك من قبيح الفعال. هذا؛ ويقرأ بفتح همزة (أن) وكسرها، قراءتان سبعيتان. هذا؛ وتدميرهم كان بإهلاك التسعة بالحجارة، وإهلاك الباقين بالصيحة.

الإعراب: ﴿فَانْظُرْ﴾: الفاء: حرف استئناف، (انظر): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ: في ﴿كَانَ﴾ وجهان: أحدهما: هي الناقصة، و﴿عَاقِبَةُ﴾ مرفوعة على أنها اسمها، وفي الخبر وجهان: أحدهما ﴿كَيْفَ﴾ و﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾: إن كسرت الهمزة كان مستأنفاً، وهو مفسر لمعنى الكلام، وإن فتحت ففيه أوجه: أحدها: أن يكون بدلاً من الـ ﴿عَاقِبَةُ﴾. والثاني: أن يكون المصدر المؤول من (أنَّ) واسمها، وخبرها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف. التقدير: هي كوننا دمرناهم. والثالث: أن يكون في محل نصب بدلاً من ﴿كَيْفَ﴾ عند بعضهم. وقال آخرون: لا يجوز ذلك؛ لأن البدل من الاستفهام، يلزم فيه إعادة حرفه، كقولك: كيف زيد؟ أصحيح أم مريض؟ والرابع: هو في موضع نصب على نزع الخافض، التقدير: بكوننا دمرناهم، أو لكوننا دمرناهم، والوجه الثاني: أن يكون خبر ﴿كَانَ﴾ هو المصدر المؤول من ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ إذا فتحت الهمزة، وإذا كسرت الهمزة لم يجز؛ لأنه ليس في الجملة ضمير يعود على ﴿عَاقِبَةُ﴾، و﴿كَيْفَ﴾ على هذا في محل نصب حال من: ﴿عَاقِبَةُ﴾، والعامل في الحال ﴿كَانَ﴾ أو ما يدل عليه الخبر، والوجه الثاني من وجهي (كان) أن تكون التامة، و﴿كَيْفَ﴾ على هذا حال، و﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ بالكسر مستأنف، وبالفتح، فالمصدر المؤول من (أنَّ) واسمها، وخبرها على ما تقدم في محله من اعتبارات. إلا في كونها خبرها، انتهى. أبو البقاء بتصرف كبير مني. هذا؛ وأجاز ابن هشام في المغني في ﴿كَانَ﴾ ثلاثة أوجه: نقصان ﴿كَانَ﴾، وتمامها، وزيادتها، وقال: إلا أن الناقصة لا تكون شأنية لأجل الاستفهام، ولتقدم الخبر، و ﴿كَيْفَ﴾ حال على التمام، وخبر لـ: ﴿كَانَ﴾ على النقصان، وللمبتدأ على الزيادة. انتهى. أقول: وتبقى الاعتبارات المذكورة في ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ...﴾ إلخ على حالها.

و﴿عَاقِبَةُ﴾: مضاف، و﴿مَكْرِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، وجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب

مفعول به للفعل: (انظر)، المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وجملة: ﴿فَانْظُرْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل له. ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿دَمَّرْنَاهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والميم حرف دال على جماعة الذكور، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (أنَّ)، ومحل المصدر المؤول، أو الجملة الناتجة منها، ومن اسمها، وخبرها هو ما رأيته سابقاً. ﴿وَقَوْمَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (قومهم): معطوف على الضمير المنصوب، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ﴾: بيوت قوم صالح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿خَاوِيَةً﴾: خالية، من: خوى البطن: إذا خلا، أو: ساقطة متهدمة، من خوى النجم: إذا سقط ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: بسبب ظلمهم؛ لأنفسهم حيث أعرضوا عن عبادة ربهم، وتعدوا حدوده، وأهملوا أوامره. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في الذي وقع في قوم صالح من الهلاك، والدمار. ﴿لَآيَةً﴾: لدلالة واضحة على قدرة الله تعالى، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، وأنه سبحانه وتعالى ينتقم من العاصين، وإن أمهل؛ فهو لا يهمل. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يعرفون الحق، فيعتبرون بقوم صالح، وأمثالهم ممن أهلك الله في العصور السابقة.

هذا؛ والفعل ﴿يَعْلَمُونَ﴾ من المعرفة، لا من العلم اليقيني، والفرق بينهما: أن المعرفة تكتفي بمفعول واحد، قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته:

لِعِلْمِ عِرْفَانٍ وَظَنِّ تُهَمَهْ تَعْدِيَةٌ لِوَاحِدٍ مُلْتَزَمَهْ

بخلافه من العلم اليقيني، فإنه ينصب مفعولين، أصلهما مبتدأ وخبر، وأيضاً فالمعرفة تستدعي سبق جهل، وأن متعلقها الذوات دون النِّسَبِ، بخلاف العلم، فإن متعلقه المعاني والنِّسَبِ.

فائدة: يحكى: أن بعض الملوك الظالمين أغار على قرية، فنهبها، وفتك بأهلها، فخرجت إليه عجوز، وقالت له: يا ويلك من ديان يوم الدين! فقال لها: يا عجوز، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، فقالت له: يا هذا لقد حفظت شيئاً، وغابت عنك أشياء، أونسيت الآية التي بعدها ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ فاتعظ الملك، وردَّ أموال الناس إليهم.

الإعراب: ﴿فَتِلْكَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿بُيُوتُهُمْ﴾: خبر المبتدأ، والهاء

ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿خَاوِيَةً﴾: حال من: ﴿بُيُوتُهُمْ﴾. والعامل في الحال اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل، ويقرأ بالرفع، وفيه خمسة أوجه: الأول: أن يكون ﴿بُيُوتُهُمْ﴾ بدلاً من اسم الإشارة، و﴿خَاوِيَةٌ﴾ خبر: البيوت. والثاني: أن تكون: ﴿خَاوِيَةٌ﴾ خبراً ثانياً. والثالث: أن ترفع ﴿خَاوِيَةٌ﴾ على إضمار مبتدأ، أي هي ﴿خَاوِيَةٌ﴾. والرابع: أن تجعل ﴿خَاوِيَةٌ﴾ بدلاً من البيوت. والخامس: أن تجعل: ﴿بُيُوتُهُمْ﴾ عطف بيان على (تلك)، و﴿خَاوِيَةٌ﴾ خبر المبتدأ؛ الذي هو (تلك). ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء. والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿خَاوِيَةً﴾، وفاعلها ضمير مستتر، تقديره: هي، والجملة الاسمية: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَأٓيَةً﴾: اللام: لام الابتداء. (آية): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: (آية). وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المقدر في محل جر صفة (قوم). والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: الذين آمنوا بالله تعالى، وصدقوا برسالة صالح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: الله، ويخافون عذابه، ويبتعدون عن الكفر، والمعاصي. هذا؛ وفي ذكر التقوى بعد الإيمان إشارة إلى أن العمل قرين الإيمان، وأن الإيمان وحده قد لا يجدي إذا لم يقرن بالعمل الصالح. وهذا يسمى: احتراساً، وقد نبهت عليه مراراً، وانظر شرح (نا) في الآية رقم [٧] من سورة (الشعراء). وشرح: ﴿يَتَّقُونَ﴾ في الآية رقم [١٠] منها أيضاً.

تنبيه: آمن بالله، وبرسالة صالح أربعة آلاف من قومه، وهلك الباقون، وكان صالح قد أنذرهم بعد أن عقروا الناقة بالهلاك بعد ثلاثة أيام. وقال لهم: تصبح وجوهكم غداً مصفرة، وبعد غد محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، ثم يُصَبِّحكم العذاب، فلما رأوا العلامات؛ طلبوه؛ ليقتلوه، فأنجاه الله إلى أرض فلسطين، ولما كانت ضحوة اليوم الرابع؛ تحنطوا، وتكفنوا بالأنطاع، فأتتهم صيحة جبريل من السماء، فتقطعت قلوبهم، فهلكوا، وكان عقر الناقة يوم الأربعاء، وهلاكهم يوم الأحد، ثم بعد هلاكهم خرج صالح بمن آمن معه من فلسطين إلى حضرموت، فلما دخلوها؛ مات صالح، فسميت الأرض: أرض حضرموت، ثم بنوا فيها أربعة

آلاف مدينة، وسموها: حاضوراء، وقال قوم من أهل العلم: توفي صالح بمكة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٥].

الإعراب: ﴿وَأَنجَيۡنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أنجينا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فأهلكنا الكافرين، و (أنجينا). ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿ءَامَنُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَكَانُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (كانوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَتَّقُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل نصب خبر (كان). وجملة: ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الموصول، أو من واو الجماعة، فلست مفنداً، وتكون «قد» قبلها مقدرة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤﴾

الشرح: ﴿وَلُوطًا﴾: هو ابن أخي إبراهيم، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. آمن به، وهاجر معه من بلاد العراق، قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ...﴾ إلخ فأقام إبراهيم في فلسطين، وأقام لوط في الأردن، فأرسله الله إلى أهل سدوم، يدعوهم إلى الله، وينهاهم عن فعلهم القبيح. هذا؛ وقال الجمل: سذوم بالذال المعجمة، وهي بلد بحمص، نقلاً من أبي السعود، وأين حمص من الأردن؟!. انتهى. في سورة (الأعراف): ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾: سؤال توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح، والشناعة. ﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾: تعلمون فحشها، وقبحها، وذلك أعظم لذنوبكم. وقيل: يأتي بعضكم بعضاً، وأنتم تنظرون إليه، وكانوا لا يستترون عتواً منهم، وتمرداً، وخلاعة، ومجانة، وانهماكاً في المعصية، وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله، الذي يمثل مجونه وفسوقه: [الطويل]

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْراً وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ ... وَلَا تَسْقِنِي سِرّاً إِذَا أَمْكَنَ الْجَهْرُ

وَبُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى ... فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

وهذه الآية وغيرها دالة على وجوب الحد في اللواطة؛ لأنها اشتركت مع الزنى في كونها فاحشة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾ وهذا؛ وإن كان قياساً إلا أن الجامع مستفاد من الآية. انتهى. جمل. هذا؛ وقد شدد النبي ﷺ في النكير على من فعل هذه الفعلة الشنيعة، وأباح قتله، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الفاعِلَ، والْمَفْعُولَ بِهِ**». رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والبيهقي.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: **«لَعَنَ اللهُ سبعةً مِنْ خَلْقِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ، وَرَدَّدَ اللعنة عَلَى وَاحدٍ مِنْهُمْ ثَلاثاً، وَلَعَنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَعَنَةً تَكْفِيهِ، قَالَ: مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، ملعُونٌ مَنْ عَمِلَ عمل قوم لوطٍ، ملعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قوْمِ لُوطٍ، ملعونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، مَلعُونٌ مَنْ أَتى شَيْئَاً مِنَ البَهَائِمِ، ملْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ، مَلْعُونٌ مَنْ جَمعَ بَيْنَ امْرَأَةٍ وابْنَتِها، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ حُدُودَ الأَرْضِ، مَلْعُونٌ من ادَّعَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ»**. رواه الطبراني في الأوسط.

قال البغوي: اختلف أهل العلم في حد اللُّوطي، فذهب قوم إلى أن حد الفاعل حد الزنى، إن كان محصناً يرجم، وإن لم يكن محصناً يجلد مئة، وهو قول سعيد بن المسيب، وعطاء، وقتادة، والنخعي، وبه قال الثوري، والأوزاعي، وهو قول الشافعي، ويحكى أيضاً عن أبي يوسف، ومحمد بن الحسن. وعلى المفعول به عند الشافعي على هذا القول جلد مئة وتغريب عام رجلاً كان، أو امرأة، محصناً كان، أو غير محصنٍ. وذهب قوم إلى أن اللُّوطي يرجم محصناً كان، أو غير محصن. رواه سعيد بن جبير، ومجاهد عن ابن عباس، وهو قول مالك، وأحمد، وإسحاق، والقول الآخر للشافعي: أنه يقتل الفاعل، والمفعول به، كما جاء في الحديث. انتهى. الترغيب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَتى النِّسَاءَ في أَعْجَازِهِنَّ، فَقَدْ كَفَرَ»**. رواه الطبراني. وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: **«مَلْعُونٌ مَنْ أَتى امْرَأَةً في دُبرِهَا»**. رواه أحمد، وأبو داود.

الإعراب: ﴿وَلُوطًا﴾: الواو: حرف عطف. (لوطاً): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو: وأرسلنا لوطاً، لدلالة: (ولقد أرسلنا) عليه. ﴿إِذْ﴾: بدل على التقدير الأول من (لوطاً)، وظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾ على التقدير الثاني. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. والفاعل يعود إلى (لوط). ﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَتَأْتُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ، (تأتون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿وَأَنتُمْ﴾: الواو: واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿تُبْصِرُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ...﴾ إلخ: هذا من قول لوط ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ مخاطباً لقومه بذلك. ﴿ٱلرِّجَالَ﴾: جمع: رجل، وهو مأخوذ من الرجولة، وهي البطولة،

والشجاعة، والقوة، وغير ذلك. ﴿شَهْوَةً﴾: قال البيضاوي: وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة، وتنبيه على أنَّه ينبغي للعاقل أن يكون الداعي إلى المباشرة طلب الولد، وبقاء النوع، لا قضاء الوطر. انتهى.

قال عمرو بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوط. هذا؛ وقد لعن الرسول ﷺ من عمل عمل قوم لوط ثلاثاً، كما لعن من أتى امرأته في دبرها أيضاً.

﴿ٱلنِّسَآءِ﴾: أصله: النساي، تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والياء المنقلبة ألفاً، فأبدلت الثانية همزة. هذا؛ ونساء اسم جمع، لا واحد له من لفظه؛ لأن مفرده: امرأة، وتجمع المرأة أيضاً على نسوة، بضم النون، وكسرها، ونسوان، بكسر النون، ونسنون، ونسنين، وهذه الجموع كلها مأخوذة من النسيان، فهي مطبوعة عليه، إما إهمالاً، وإما كذباً. هذا؛ والمرأة مشتقة من المرء، وهو الرجل؛ لأنها خلقت منه.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي: تفعلون فعل من يجهل قبحها، ويكون سفيهاً، لا يميز بين الحسن والقبيح، قال الزمخشري في الكشاف: فإن قلت: فسرت ﴿تُبْصِرُونَ﴾ بالعلم، وبعده: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فكيف يكونون علماء جهلاء؟! قلت: أراد: تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة، مع علمكم بذلك، أو تجهلون العاقبة وأراد بالجهل: المجانة التي كانوا عليها، فإن قلت: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ صفة لـ: ﴿قَوْمٌ﴾، والموصوف لفظه لفظ الغائب، فهلا طابقت الصفة الموصوف، فقرئ بالياء، دون التاء، وكذلك: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾؟ قلت: اجتمعت الغيبة، والمخاطبة، فغلبت المخاطبة؛ لأنها أقوى، وأرسخ من الغيبة. وانظر شرح الجاهل في الآية رقم [٦٣] من سورة (الفرقان).

تنبيه: ذكرت الآية بكاملها في سورة (الأعراف) برقم [٨١] بإبدال: ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ هناك بالفعل: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ هنا. وإنما وصفهم الله بالإسراف هناك، وبالجهل هنا؛ لفعلهم ذلك العمل الخبيث؛ لأن الله خلق الإنسان، وركب فيه الشهوة لبقاء النسل، وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة، وموضع النسل، فإذا تركهن الرجل، وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال، فكأنما جهل الحكمة الإلهية، وتجاوز الحد، واعتدى، فكان جديراً بهذين الوصفين؛ لأنه وضع الشيء في غير موضعه الذي خلق له؛ لأن أدبار الذكور ليست محلاً للولادة، التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الإنسان.

وكانت قصة لوط على ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار، والسير: أنه كانت قرى قوم لوط مخصبة، ذات زروع وثمار، لم يكن في الأرض مثلها، فقصدهم الناس، وآذوهم، وضيقوا عليهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، وقال لهم: إذا فعلتم بهم كذا، وكذا؛ نجوتم

منهم،فأبَوْا، فلما ألح عليهم الناس قصدوهم، فأصابوا منهم غلماناً حساناً صباحاً، فأخبثوا، واستحكم ذلك فيهم، قال الحسن: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء، وقيل: استحكم ذلك فيهم حتى نكح بعضهم بعضاً. أقول: وهو الصحيح ويؤيده قوله تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٢٩]: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ وقال الكلبي: إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس أخزاه الله، وذلك: أن بلادهم أخصبت، فقصدها أهل البلدان، فتمثل لهم إبليس في صورة شاب أمرد، فدعا إلى نفسه، فكان أول من نكح في دبره، فأمر الله السماء أن تحصبهم، والأرض أن تخسف بهم. انتهى من الخازن في سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي، (إنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَتَأْتُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (تأتون): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿الرِّجَالَ﴾: مفعول به. ﴿شَهْوَةً﴾: مفعول لأجله، أو هو حال بمعنى مشتهين، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ). ﴿مِّن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الواو. أو من ﴿الرِّجَالَ﴾، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿النِّسَاءِ﴾ مضاف إليه. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف انتقالي من الإنكار عليهم إلى الإخبار عن حالهم التي أدت إلى ارتكاب أمثالها، وهي: اعتياد الجهل، والإسراف في كل شيء، أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم، أو عن محذوف، مثل: لا عذر لكم فيه، بل أنتم قوم عادتكم الجهل، والإسراف. وانظر باقي الإعراب في الآية رقم [٤٧]، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من قول لوط، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ الجزء ٢٠

الشرح: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾: أتى الكلام هنا، وفي الآية رقم [٢٩] من سورة (العنكبوت) مبتدأ بالفاء، وأتى في الآية رقم [٨١] من سورة (الأعراف) مبتدأ بالواو، وقد قال سليمان الجمل نقلاً عن السمين ـ رحمهما الله تعالى ـ في سورة (الأعراف): أتى هنا بقوله: (وما) وفي (النمل) و(العنكبوت) بقوله: ﴿فَمَا﴾ والفاء هي الأفضل في هذا الباب؛ لأن المراد: أنهم لم يتأخر جوابهم عن نصيحته، وأما الواو، فالتعقيب أحد محاملها، فتعين هنا: أنها للتعقيب لأمر خارجي، وهو القرينة في السورتين المذكورتين، لا أنها اقتضت ذلك بوضعها. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿قَوْمِهِ﴾ أي: المستكبرين منهم عن الإيمان، وانظر الآية رقم [١٠] من سورة (الشعراء). ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾: لوطاً، والمؤمنين معه من أهله. ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: هي: سدوم؛ التي ذكرتها

لك في الآية السابقة. ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: من الفواحش، ومن أدبار الرجال، وهذا استهزاء منهم بلوط، وأتباعه، وانظر شرح الناس في الآية رقم [٣٩] من سورة (الشعراء)، وانظر قولهم في سورة (العنكبوت) رقم [٢٩].

هذا؛ وأما ﴿ءَالَ﴾ فأصله: أهل، فأبدلت الهاء همزة ساكنة، فصار (أأْل) ثم أبدلت الهمزة الثانية الساكنة مداً مجانساً لحركة الهمزة الأولى على القاعدة: «إذا اجتمع همزتان الأولى متحركة، والثانية ساكنة، قلبت الثانية مداً مجانساً لحركة الهمزة الأولى»، وذلك مثل: آدم، وإيمان، وأومن، فإن الأصل أأْدم، وإِإْمان، وأؤْمِن، وقلب الهمزة سائغ مستعمل لغة في: أراق، فإن أصله هراقَ، وهو كثير مستعمل في الشعر العربي، وغيره، وهذا مذهب سيبويه. وقال الكسائي: أصله: (أَوَل) كجمل من آل يؤول، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وقد صغروه على (أُهَيْل) وهو يشهد للأول، وعلى (أُوَيْل) وهو يشهد للثاني، ولا يستعمل ﴿ءَالَ﴾ إلا فيمن له خطر وشأن، بخلاف: أهل، يقال: آل النبي، وآل الملك، ولا يقال: آل الحجام، ولكن أهله، ولا ينتقض بآل فرعون، فإن له شرفاً باعتبار الدنيا، واختلف في جواز إضافته إلى المضمر، فمنعه الكسائي، والنحاس، وزعم أبو بكر الزبيدي: أنه من لحن العوام، والصحيح جوازه، كما في قول عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ: [مجزوء الكامل]

لَا هُمَّ إِنَّ الْمَرْءَ يَمْـ ... ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رِحَالَكْ

وَانْصُرْ عَلَى آلِ الصَّلِيـ ... ـبِ وَعَابِدِيهِ الْيَوْمَ آلَكْ

﴿قَرْيَتِكُمْ﴾: القرية: اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وهو يطلق على المدينة الكبيرة، وغيرها، كيف لا؟ وقد جعل الله مكة المكرمة أم القرى في قوله: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الآية رقم [٩٢] من سورة (الأنعام) كما تطلق على الضيعة الصغيرة، وهي مأخوذة من: قريت الماء في المكان: جمعته، وفي القاموس المحيط: القرية: بكسر القاف وفتحها، وبالنسبة إليها قَرَوِيٌّ وقِرِيِيٌّ.

الإعراب: ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: عاطفة، وليس بشيء. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿جَوَابَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، و﴿جَوَابَ﴾ مضاف، و﴿قَوْمِهِۦٓ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ومحل الفعل في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾، و﴿أَن﴾ والفعل في تأويل مصدر في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخراً. هذا؛ وقرئ برفع (جواب) على: أنه اسم ﴿كَانَ﴾، والمصدر المؤول في محل نصب خبرها، وهو ضعيف والأول أفصح؛ لأن فيه جعل الأعرف اسماً، لذا فالقراءة شاذة، وليست سبعية. ﴿أَخْرِجُوٓاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَالَ﴾: مفعول به، و﴿ءَالَ﴾ مضاف، و﴿لُوطٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: جار

ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَخْرِجُوٓا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أُنَاسٌ﴾: خبر (إنَّ). ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿أُنَاسٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل للأمر، وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَمَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ أي: أنجى الله لوطاً، ومن آمن معه من أهله. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: فإنها كانت كافرة تسر الكفر، وتخبر قومها بما يكون في بيت لوط، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. واسمها: واهلة. ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ أي: الذين بقوا في العذاب، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث، مثل قوله تعالى في حق مريم ـ على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾. هذا؛ والغابر: اسم فاعل من: غبر الشيء بقي، وغبر أيضاً: مضى، فهو من الأضداد، وبابه: دخل. انتهى. مختار. هذا؛ ولذا يمكن أن يقال: في غابر الأزمان، أي: في ماضيها، وحاضرها. وقال أبو ذؤيب الهذلي من قصيدة في رثاء أولاده: [الكامل]

فَغَبَرْتُ بعدهمُ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ وَإِخَالُ أَنِّي لَاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ

هذا؛ واللغة العربية غنية بالكلمات التي تعني الضدين، وتحتمل معنيين متقابلين، منها: ما رأيته من لفظ الغابرين، ومنها: جَلَلْ للعظيم، والحقير، فمن الأول: قول الحارث بن وعلة بن ذهل بن شيبان الذهلي، وهو الشاهد رقم [١٩٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً وَلَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي

ومن الثاني قول امرئ القيس لما قُتِل أبوه، وهو الشاهد رقم [١٩٣] من كتابنا المذكور: [المتقارب]

بِقَتْلِ بني أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ

أي: هين، وحقير، لا قيمة له. ومنها: الْجَوْن للأبيض، والأسود. والْبَيْن: للقرب، والبعد. والصريم: للّيل، والنهار. وبهما فسر قوله تعالى في سورة: ﴿نٓ﴾: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ والناصح: للأبيض، والأسود، والناهل: لِلرَّيَّان، والظمآن. والسليم: للديغ، والصحيح، ووراء بمعنى: خلف، وأمام. وشعبْتُ الشيء: أصلحته، وشققته. والصَّارخ: لِلْمُغيث، والمستغيث. والهاجد: للمصلي في الليل، والنائم. والوهدة: للانحدار والارتفاع. والتعزير: للإكرام، والإهانة. والتقريظ: للمدح، والذم. وتَرِب: للغني والفقير. والإهماد: للسرعة في السير، والإقامة. وعَسْعَسَ: إذا أقبل، وإذا أدبر. قال تعالى في سورة (التكوير): ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ والقرء: للحيض، والطهر.

ومنه قيل في قوله تعالى في الآية رقم [٦٢] من سورة (طه)، وفي الآية رقم [٣] من سورة (الأنبياء): ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾: إنَّ أسروا يحتمل أن يكون بمعنى: أظهروا، وأن يكون بمعنى: أخفوا، فهو من الأضداد. وأيضاً قوله تعالى في الآية رقم [٥٤] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾. كما قيل به في قول امرئ القيس، وهو الشاهد رقم [٤٧٢] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الطويل]

تَجَاوَزْتُ أَحْراساً عَلَيْهَا وَمَعْشَراً ... عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

الإعراب: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على محذوف، يتطلبه المقام. ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾: الواو: حرف عطف. (أهله): معطوف على الضمير المنصوب، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾ والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَدَّرْنَـٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير: «قد» قبلها. ﴿مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

هذه الآية ذكرت بحروفها كاملة برقم [١٧٣] من سورة (الشعراء) فلا حاجة إلى إعادة شيء من شرحها، وإعرابها، والله الموفق والمعين، وبه نستهدي ونستبين.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: أمر الله رسوله ﷺ بعدما قص عليه القصص، الدالة على كمال قدرته، وعظيم شأنه أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته، وحكمته، وأن يستفتح بتحميده، والسلام على أنبيائه، والمصطفين من عباده. وفيه تعليم حسن، وتوقيف على أدب جميل، وبعث على التَّيمُّن بالذِّكرين، والتبرك بهما، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين، وإصغائهم إليه، ولقد توارث العلماء، والخطباء، والوعاظ كابراً عن كابر هذا الأدب، فحمدوا الله عز وجل، وصلوا على رسوله ﷺ أمام كل علم مفاد، وقبل كل تذكرة، وموعظة، وفي مفتتح كل خطبة، وتبعهم المترسلون، فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح، والتهاني، وغير ذلك من الحوادث؛ التي لها شأن. انتهى. بتصرف. هذا؛ وقال الفراء: الخطاب لـ: (لوط) والمعتمد الأول؛ لأن القرآن منزل على النبي ﷺ، وكل ما فيه فهو مخاطب به عليه السلام، إلا ما لم يصح معناه إلا لغيره.

﴿عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ أي: اختار الله لرسالته، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقال عبد الله بن عباس، وسفيان ـ رضي الله عنهما ـ: هم أصحاب محمد ﷺ. والمعتمد الأول؛ لقوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: فـ: ﴿خَيْرٌ﴾ هنا ليس بمعنى أفضل، وإنما هو مثل قول حسان ـ رضي الله عنه ـ في هجاء أبي سفيان: [الوافر]

أَتَهْجُوهُ، وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

إذ المعنى: فالذي فيه الشر فداء للذي فيه خير. وقيل: هو على بابه من التفضيل، والمعنى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أثوابه خير، أم عقاب ما تشركون، أي: ما يتسبب من عبادة الأصنام من عقاب، وقيل: قال لهم ذلك؛ لأنهم كانوا يعتقدون: أن في عبادة الأصنام خيراً، فخاطبهم الله عز وجل على اعتقادهم، وكان النبي ﷺ إذا قرأ هذه الآية يقول: «**بَلِ اللهُ خَيْرٌ، وَأَبْقَى، وَأَجَلُّ، وَأَكْرَم**». وقال البيضاوي رحمه الله تعالى: هذا الكلام إلزام لهم، وتهكم بهم، وتسفيه لرأيهم؛ إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأساً؛ حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل الخير.

﴿ءَآللَّهُ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وقد مدت مداً لازماً بقدر ست حركات، ولولا مدها لم يظهر الاستفهام، ويسمى هذا المد في أحكام التجويد بمد الفرق؛ لأنه يفرق بين الاستفهام والخبر؛ لأنه لولا المد لتوهم أنه خبرٌ لا استفهام، وانظر الآية رقم [٥١] من سورة (يونس). أما ﴿خَيْرٌ﴾ فهو أفعل تفضيل، أصله: أَخْيَرُ، نقلت حركة الياء إلى الخاء قبلها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ثم حذفت الهمزة استغناءً عنها بحركة الخاءِ، ومثله قل في: حَبُّ، وشَرُّ اسْمَيْ تفضيل؛ إذ أصلهما: أَحْبَبُ، وأَشْرَرُ، فنقلت حركة الباء الأولى، والراء الأولى إلى ما قبلهما، ثم أدغم الحرفان المتماثلان في بعضهما، ثم حذفت الهمزة من أولهما، استغناءً عنها بحركة الخاء والشين، وقد يستعمل: خير، وشر على الأصل، كقراءة بعضهم قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ بفتح الشين، ونحو قول رؤبة: [الرجز]

يَا قَاسِمَ الْخَيْرَاتِ وَابْنَ الأَخْيَرِ مَا سَاسَنَا مِثْلُكَ مِنْ مُؤَمَّرِ

وخير، وشر، وحب يستعملن بصيغة واحدة للمذكر، والمؤنث، والمفرد، والمثنى، والجمع؛ لأنه بمعنى: أفعل كما رأيت. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَسَلَٰمٌ﴾: الواو: حرف عطف. (سلام): مبتدأ. ﴿عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول

مثلها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة عباده، أو في محل جر بدل منه. ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿ءَآللَّهُ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذين اصطفاهم الله. ﴿ءَآللَّهُ﴾: الهمزة حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. (الله): مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿أَمَّا﴾: أم: حرف عطف وهي متصلة بخلافها في الآيات التالية، فإنها منقطعة. (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع معطوفة على لفظ الجلالة، والمعادل محذوف؛ لدلالة (خير) عليه، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: أم الذي، أو: شيء يشركونه مع الله تعالى. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) مصدرية. ولا أعتمده.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: قال أبو حاتم تقديره: آلهتكم خير أم من خلق..إلخ؟ وقيل: المعنى: أعبادة ما تعبدون من أوثانكم خير، أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ فهو مردود على ما قبله من المعنى، وفيه معنى التوبيخ، والتقريع لهم، والتنبيه على قدرة الله تعالى، وعجز آلهتهم، وقرئ: (أَمَنْ) بتخفيف الميم. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: فيه التفات من الغيبة إلى التكلم. هذا؛ والحدائق: جمع: حديقة، وهي البستان الذي عليه حائط، فإن لم يكن عليه حائط، فهو البستان، وليس بحديقة، وقيل: الحدائق: النخل، والبهجة: الزينة والحسن، يبهج به من رآه. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (طه): ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾.

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ أي: ما ينبغي لكم ذلك؛ لأنكم لا تقدرون عليه؛ لأن الإنسان يقول: أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها، وأسقيها الماء، فأزال الله هذه الشبهة بقوله: ﴿مَّا كَانَ...﴾ إلخ؛ لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف، والطعوم، والروائح المختلفة، والزروع المتنوعة، تسقى بماء واحد، لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يتأتى لأحد، وإنَّ تأَتِّيَ ذلك لغيره محال. انتهى. خازن. وانظر ما ذكرته في الأحزاب [٣٦]: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ...﴾ إلخ.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: وقد يستدل من هذا على منع تصوير شيء، سواء كان له روح أم لم يكن؟ وهو قول مجاهد، ويعضده قول النبي ﷺ: قال الله عز وجل: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقاً كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**». رواه مسلم في

صحيحه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، فعم بالذم، والتهديد، والتقبيح كل من تعاطى تصوير شيء مما خلقه الله، وضاهاه في التشبيه في خلقه؛ فيما انفرد به سبحانه من الخلق، والاختراع، وهذا واضح. وذهب الجمهور إلى أن تصوير ما ليس فيه روح، يجوز تصويره والاكتساب به، وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ للذي سأله أن يصنع الصور: (إنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلاً، فَاصْنَعِ الشجَرَ، وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ) أخرجه مسلم أيضاً، والمنع أولى، ـ والله أعلم ـ لما ذكرنا.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: هل مع الله معبود أعانه على ذلك. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: ليس معه معين على خلق ما ذكر، ولكنهم قوم يميلون عن الحق إلى الباطل، وهذا الفعل أحد الأفعال التي يتغير معناها بتغير الجار، تقول: عدلت عنه، بمعنى: أعرضت عنه. وتقول: عدلت إليه، بمعنى: أقبلت عليه. وقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ﴾ محتملاً لمعنى الميل ومعنى العدل، وقد يجيء محتملاً لمعنى الميل، ومعنى التسوية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ فإن جعلت الجار والمجرور ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ متعلقين بيعدلون، كان المعنى إن الكفار يسوون الأصنام بربهم، وإن جعلتهما متعلقين بالفعل كفروا، كان يعدلون بمعنى يميلون، والمعنى: إن الكفار يميلون وينحرفون عن إفراد الله بالوحدانية، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وللالتفات فوائد كثيرة: منها تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر، والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، هذه فوائده العامة، ويختص كل موضع بنكت، ولطائف باختلاف محله، كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه حث السامع، وبعثه على الاستماع؛ حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصصه بالمواجهة. وانظر شرح ﴿ذَاتَ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿أَمَّنْ﴾: (أم): حرف إضراب بمعنى: «بل»؛ لأنها منقطعة عما قبلها بخلافها في الآية السابقة فإنها متصلة، كما رأيت. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، خبره محذوف، وتقدير الكلام: أمَّن خلق السموات والأرض كمن لا يخلق. وقد أظهر في غير هذه المواضع ما أضمر في هذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾ الآية رقم [١٧] من سورة (النحل)، وعلى تقدير أبي حاتم: آلهتكم خير، أم من خلق السموات والأرض؟ يكون تقدير الخبر: خيرٌ، وعلى هذا تكون (أم) متصلة، وهو مردود، فالمعتمد: أنها منقطعة، وتقدير الكلام: بل الذي خلق السموات خيرٌ. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في محل رفع خبره، فالمعنى صحيح، والكلام تام، لا يحتاج إلى تقدير خبر محذوف. هذا؛ وعلى قراءة: (أَمَنْ) فالهمزة للاستفهام وفي (مَنْ) وجهان: أحدهما: أن تكون

مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره ما تقدم، والثاني: أنها بدل من: ﴿ٱللَّهُ﴾ كأنه قيل: (أَمَنْ خلق السموات والأرض خير أم ما يشركون) ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة (مَن) لا محل لها. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿وَأَنزَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (أنزل): فعل ماض، وفاعله يعود إلى (مَنْ). ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَآءً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿مَآءً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَنزَلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (أنبتنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الوجهين. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَدَآئِقَ﴾: مفعول به. ﴿ذَاتَ﴾: صفة ﴿حَدَآئِقَ﴾ منصوب مثله، و﴿ذَاتَ﴾ مضاف، و﴿بَهۡجَةٖ﴾ مضاف إليه. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تُنۢبِتُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر. ﴿شَجَرَهَآۗ﴾: مفعول به، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿مَّا كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿حَدَآئِقَ﴾، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، على حد قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾.

﴿أَءِلَٰهٞ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي تقريعي. (إله): مبتدأ. ﴿مَّعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿مَّعَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِۚ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَلۡ﴾: حرف إضراب وانتقال. ﴿هُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿قَوۡمٞ﴾: خبر المبتدأ. ﴿يَعۡدِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة (قوم) والجملة الاسمية: ﴿بَلۡ هُمۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾

الشرح: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ أي: بسطها، وسواها للاستقرار عليها، أي: يستقر على سطحها الإنسان، والحيوان. ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا﴾ أي: شق في الأرض أنهاراً يستفيد منها الإنسان، والحيوان، والنبات. ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً راسية ثابتة، واحدتها: راسية؛ لأن

الأرض ترسو بها، أي: تثبت وتستقر، وفي غير ما آية: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾، وانظر ما أذكره في الآية رقم [١٠] من سورة (لقمان). ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: مانعاً من اختلاط الأجاج بالعذب. وانظر الآية رقم [٥٣] من سورة (الفرقان). ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: الحق، فيشركون مع الله أحقر خلقه. هذا؛ وذكر الأكثر؛ إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ مبلغ التكليف، أو؛ لأنه يقام مقام الكل، وانظر سورة (الروم) رقم [٦].

الإعراب: ﴿أَمَّن﴾: إعرابه مثل إعراب ما قبله بلا فارق، ولذا قال البيضاوي والنَّسفي: بدل من ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ فكان حكمهما حكمه. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (من)، وهو من أفعال التصيير، لذا فقد نصب مفعولين، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ معطوفة عليها، و﴿خِلَالَهَآ﴾ ظرف مكان في محل نصب مفعوله الثاني، وكذا (جعل لها رواسي) فالجار والمجرور: ﴿لَهَا﴾ في محل نصب مفعوله الثاني، وكذا جملة: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ ف: ﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان في محل نصب مفعوله الثاني، وكلٌّ متعلق بالفعل قبله. هذا؛ وإن جعلته متعلقاً بمحذوف حال مما بعده على اعتباره صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» فلست مفنداً. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ هو مثل ما تقدم في إعرابه. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب، وانتقال. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها من الإعراب.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾: الاضطرار: افتعال من الضرورة، وهي الحالة المحوجة الملجئة. يقال: اضطره إلى كذا. واسم الفاعل والمفعول: مضطر، والمضطر: هو الذي أحوجه مرض، أو فقر، أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجأ، والتضرع إلى الله، أو المذنب إذا استغفر، أو المظلوم إذا دعا، أو من رفع يديه، ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد، وهو منه على خطر. هذا؛ وأل في المضطر للجنس، لا للاستغراق، فلا يلزم منه إجابة كل مضطر.

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: الضر؛ لأنه لا يقدر على تغيير حال من فقر إلى غنى، ومن مرض إلى صحة، ومن ضيق إلى سعة إلا القادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، ولا ينازع. ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلفاء فيها بأن ورَّثكم سكناها، والتصرف فيها قرناً بعد قرن، وكذلك يرثها منكم مَنْ بعدكم. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: أيوجد إله مع الله الذي خصكم بهذه النعم،

العامة، والخاصة، الباطنة، والظاهرة. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكرون نعم الله تذكراً قليلاً، وقرئ الفعل بالياء والتاء، وأيضاً بتسكين الذال، وتخفيف الكاف، ولا يتغيَّر المعنى، ولا الإعراب، ولكن يكون على قراءته بالياء التفات من الخطاب إلى الغيبة، عكس ما في الآية السابقة.

تنبيه: جاء رجل إلى مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ، فقال: أنا أسألك بالله أن تدعو لي، فأنا مضطر، قال: إذاً فاسأله، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه. قال الشاعر: [الطويل]

وَإِنِّي لأدْعُو اللهَ والأَمْرُ شَيِّقٌ ... عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُّ أَنْ يَتَفَرَّجَا

وَرُبَّ أَخٍ سُدَّتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ ... أَصَابَ لَهَا لَمَّا دَعَا اللهَ مَخْرَجَا

هذا؛ وعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ في دعاء المضطر: «**اللَّهُمَّ رحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**». وينبغي أن تعلم: أن الله ضمن إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك: أن الضرورة إليه باللجاء ينشأ عنها الإخلاص، وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة، وجد من مؤمن، أو كافر، طائع، أو فاجر، كما ذكر الله عنهم بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم...﴾ إلخ. الآية رقم [٢٢] من سورة (يونس)، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ...﴾ إلخ الآية رقم [٦٥] من سورة (العنكبوت)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٢] من سورة (لقمان) فيجيب المضطر لموضع اضطراره، وإخلاصه، وإن كان كافراً، وكذلك إن كان فاجراً، فكفر الكافر، وفجور الفاجر، لا يعود بنقص، ولا عيب في حقِّه تعالى، وإنما يعود على صاحبه. وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: أنه قال لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ لما وجهه إلى أرض اليمن: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**». وعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، عن رب العزة في دعوة المظلوم: «**فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ**».

الإعراب: ﴿أَمَّن﴾ قل فيه ما رأيته في الآية السابقة. ﴿يُجِيبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (من) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مجرد من الشرطية مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿دَعَاهُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وفاعله مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى المضطر، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، وجملة: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ معطوفة على جملة: ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ لا محل لها مثلها، (يجعلكم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (من) أيضاً، والكاف مفعول به أول. ﴿خُلَفَآءَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ لا محل لها مثلها. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٦٠].

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: لقد ذكر ابن هشام رحمه الله تعالى في مغني اللبيب في هذه الجملة وأمثالها إعراباً، فأنا أنقله لك باختصار، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿مَّا﴾: محتملة لثلاثة أوجه:

أحدها: الزيادة، فتكون لمجرد تقوية الكلام، فتكون حرفاً باتفاق، وقليلاً في معنى النفي، وإما لإفادة التقليل، مثلها في: (أَكَلْتُ أَكْلاً مَا) وعلى هذا فيكون تقليلاً بعد تقليل.

الوجه الثاني: النفي، وقليلاً نعت لمصدر محذوف، أو لظرف محذوف، أي تذكراً قليلاً، أو زمناً قليلاً.

الثالث: أن تكون مصدرية، وهي وصلتها فاعل بـ: (قليل)، وقليلاً حال معمول لمحذوف دل عليه المعنى؛ أي: تذكروا فأخروا قليلاً تذكرهم. أجازه ابن الحاجب، ورجَّح معناه على غيره. انتهى. بتصرف كبير، ولم يذكر إعراب قليلاً على الوجه الأول، وذكر سليمان الجمل الوجه الأول واعتبر قليلاً نعتاً لمصدر محذوف، مثل اعتباره في الوجه الثاني، وذكر أبو البقاء الثاني، وقال: التقدير: فما يتذكرون قليلاً، ولا كثيراً. وجملة: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ تعليلية لا محل لها من الإعراب، وهذا الإعراب مأخوذ من إعراب ابن هشام لقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وهي الآية رقم [٨٨] من سورة (البقرة).

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾: يرشدكم، ويدلكم. ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: إذا سافرتم إلى البلاد التي تتوجهون إليها بالليل والنهار. وقيل: جعل مفاوز البر؛ التي لا أعلام لها، ولجج البحار كأنها ظلمات؛ لأنها ليس لها علم يهتدى به، والاهتداء في تلك الظلمات يكون بالنجم، وغيره، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ وانظر شرح البر والبحر في الآية رقم [٥٩] من سورة (الأنعام).

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾: يبعثها. ويقرأ: (الريح) بالإفراد. ﴿بُشْرًۢا﴾: جمع: بشير، وهو بضم الباء وسكون الشين، ويقرأ بضمتين، ويقرأ: (نُشراً) بضم النون مع ضم الشين وسكونها على أنه جمع: نشور بمعنى: ناشر، كطهور بمعنى: طاهر، ويجوز أن يكون جمع: نشور بمعنى: منشور، ويقرأ: (نَشْراً)، بفتح النون، وسكون الشين على أنه مصدر نشر بعد الطي كما يقرأ: (بُشْرى) على وزن: حُبْلى، أي: ذات بشارة، وكما يقرأ: (بَشْراً) بفتح الباء، وسكون الشين، وهو مصدر: بشرته: إذا بشرته.

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ أي: أمام المطر؛ الذي هو رحمته، وإنما سماه الله: رحمة؛ لأنه سبب لحياة الأرض، وحياتها حياة للإنسان والحيوان، وكل شيء، كما هو مشاهد. و﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾

بمعنى: أمام، وقدام مستعمل في القرآن الكريم بكثرة، وهذه الجملة مذكورة في الآية رقم [٥٧] من سورة (الأعراف)، وانظر شرح ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ في الآية رقم [٦٩] من سورة (الإسراء)، أو الآية رقم [٩] من سورة (الأحزاب).

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: يقدر على ذلك، ويعينه عليه. ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تقدس الله، وتنزه عن الذي يشركونه معه من الحجارة، والأوثان.

الإعراب: ﴿أَمَّن﴾ انظر الآية رقم [٦٠] ففيها الكفاية. ﴿يَهْدِيكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) على اعتبارها موصولة، والخبر محذوف، وفي محل رفع خبرها على اعتبارها استفهامية. ﴿فِى ظُلُمَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿ظُلُمَٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْبَرِّ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (من): معطوفة على ما قبلها. ﴿يُرْسِلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (من). ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: مفعول به. ﴿بُشْرًۢا﴾: حال من الرياح، وقيل: مفعول مطلق، وهذا على قراءته بالنون، لأن أرسل، وأنشر متقاربان في المعنى. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿بُشْرًۢا﴾، أو بمحذوف صفة له، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿يَدَىْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه مثنى لفظاً، وصورة، وحذفت النون للإضافة، و﴿يَدَىْ﴾ مضاف، و﴿رَحْمَتِهِۦٓ﴾ مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿يُرْسِلُ...﴾ إلخ صلة (مَنْ) على اعتبارها موصولة، وفي محل رفع خبرها على اعتبارها استفهامية، ويكون العطف عطف جملة على جملة. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿تَعَٰلَى﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو: عن شيء يشركونه مع ﴿ٱللَّهُ﴾. وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن)، التقدير: تعالى الله عن شركهم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: يبدأ الخلق: يوجده من العدم، مثل خلق الإنسان من النطفة، ومثله كثير، ثم يبعثه، وينشره بعد موته، وفنائه، والكفرة وإن أنكروا الإعادة؛ فهم معترفون بالإيجاد من العدم، وليس البعث، والإعادة بأصعب على الله من الإيجاد من العدم، بل هو أهون

عليه. ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: بأسباب سماوية، وأرضية، من السماء بسبب المطر، ومن الأرض بسبب النبات. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يخلق، ويرزق، ويبدئ ويعيد؟ لا، وألف لا، لا يوجد معه معين، ولا مساعد. ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: حجتكم على أنه صنع أحد شيئاً من هذه الأشياء غير الله. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: في ادعائكم: أن مع الله إلهاً آخر.

تنبيه: ﴿هَاتُواْ﴾: بمعنى: أحضروا. قال ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ في قطر الندى: وأما (هَاتِ وَتَعَالَ) فعدّهما جماعة من النحويين في أسماء الأفعال، والصواب: أنهما فعلا أمر، بدليل أنهما دالان على الطلب، وتلحقهما ياء المخاطبة، تقول: هَاتِي، وتعالَيْ. ثم قال: واعلم أنَّ آخر (هاتِ) مكسور أبداً، إلا إذا كان لجماعة المذكرين، فإنه يضم، فتقول: هاتِ يا زيدُ، وهاتِي يا هندُ، وهَاتِيَا يا زيدانِ، أو هَاتِيَا يا هندانِ، وهاتِين يا هنداتُ، كل ذلك بكسر التاء، وتقول: هَاتُوا يا قَوْمُ بضمها. انتهى. أقول: ومما ينبغي التنبه له: أنهما ملازمان للأمرية، فهما جامدان، لا ماضي، ولا مضارع لهما.

الإعراب: ﴿أَمَّن﴾: هو مثل الآية رقم [٦٠] بلا فارق. ﴿يَبْدَؤُاْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (من). ﴿ٱلْخَلْقَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) على اعتبارها موصولة، والخبر محذوف، وفي محل رفع خبرها على اعتبارها استفهامية. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُعِيدُهُۥ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (مَنْ): معطوفة على ما قبلها. ﴿يَرْزُقُكُم﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ) والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة (مَنْ)، أو في محل رفع خبرها، على اعتبارها استفهامية، ويكون العطف عطف جملة على جملة. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَءِلَٰهٌ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي تقريعي. (إله): مبتدأ. ﴿مَّعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. و﴿مَّعَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿هَاتُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ، وجملة: ﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنتم صادقين؛ فهاتوا... إلخ، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُل﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ﴾: العلم هنا من المعرفة، لا من اليقين. والغيب: هو ما لم يقم عليه دليل، ولا اطلع عليه مخلوق، والغيب: ما غاب عن المخلوقات من معلومات لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد ذكرها ربنا في آخر آيةٍ من آيات سورة (لقمان)، وقال سبحانه في سورة (الرعد): ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ في غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما يَكُونُ في الأَرْحَام إِلَّا اللهُ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بأيِّ أَرْضٍ تمُوتُ، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يأتي الْمَطَرُ**». وفي رواية أخرى: «**لَا يَعْلَمُ مَا تَغيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا في غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتي المطرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تقوم السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ**». أخرجه البخاري. هذا؛ والغيب: ما غاب عن الإنسان، ولم تدركه حواسه، قال الشاعر المسلم: [الطويل]

وَبِالْغَيْبِ آمَنَّا، وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا ... يُصَلُّونَ لِلأَوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدِ

أقول: وما اختُرع من أشياء، وما اكتُشف من أمور في هذا العصر، وما يتحدثون عنه من مغيبات، مثل نزول المطر، وغير ذلك، إنما هو قائم على التجربة، والتخمين، كثيراً ما يخطئ، وقد يصيب فيبقى من غيب الله تعالى.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: وما يعلمون في أي وقت يبعثون من قبورهم للحساب، والجزاء. وعن بعضهم: أخفى غيبه عن الخلق، ولم يَطَّلِعْ عليه أحدٌ، لئلا يأمن عبد من عبيده مفاجأة عقابه، وحسابه. وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: مَنْ زَعَمَ أن محمداً يعلمُ ما في غدٍ؛ فقدْ أَعْظم على اللهِ الْفِرْيَةَ، والله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾. أخرجه مسلم. وأخيراً أقول: نزلت الآية الكريمة في المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة، وعليه؛ فالمعنى: أن الله هو الذي يعلم الغيب وحده، ويعلم متى تقوم الساعة؟

وأخيراً أذكر ما قاله البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: لما بين الله تعالى اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة؛ أتبعه ما هو كاللازم له، وهو التفرد بعلم الغيب، والاستثناء منقطع، ورفع المستثنى على اللغة التميمية؛ للدلالة على: أنه تعالى إن كان ممن في السموات والأرض؛ ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم. أو متصل على أن المراد ممن في السموات والأرض من تعلق علمه بها، واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها، فإنه يعمُّ الله تعالى، وأولي العلم من خلقه. وهو موصول، أو موصوف.

الإعراب: ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿الْغَيْبَ﴾: مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿اللَّهُ﴾: بدل من: ﴿مَن﴾ قاله أبو البقاء، ومكي، والمعنى: لا يعلم أحد الغيب إلا الله. وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: غير، وهي صفة لـ: ﴿مَن﴾، فتكون مثل الآية رقم [٢٢] من سورة (الأنبياء)، ظهر إعرابها على ما بعدها بطريق العارية، لكونها على صورة الحرف، و﴿إِلَّا﴾ مضاف، ولفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة: ﴿إِلَّا﴾، التي على صورة الحرف.

هذا؛ وقال السمين: ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: يعلمه، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى: «لكن» إشارة إلى انقطاع الاستثناء. وقال ابن هشام في مغنيه: وفي الآية وجه آخر، وهو أن يقدر ﴿مَن﴾ مفعولاً به، والغيب بدل اشتمال، والله فاعل، والاستثناء مفرغ. وأعتمد الوجه الثاني من الأوجه الأربعة المتقدمة. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . . إلخ، والواو فاعله. ﴿أَيَّانَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالفعل بعده، وهو معلق لما قبله عن العمل لفظاً. ﴿يُبْعَثُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . . إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل (يشعرون)، وهذه الجملة في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو فقط، والكلام: ﴿لَّا يَعْلَمُ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦)﴾

الشرح: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: قال البيضاوي رحمه الله تعالى: لما نفى عنهم علم الغيب، وأكد ذلك بنفي شعورهم، بما هو مآلهم لا محالة؛ بالغ فيه بأن أضرب عنه، وبين: أنَّ ما انتهى، وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات، وهو أن يوم القيامة كائن لا محالة، لا يعلمونه كما ينبغي. انتهى. وقال النسفي: والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم، وتكرير لجهلهم. وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنهم لا يعلمون: أن القيامة كائنة، ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية، فلا يزيلونه، والإزالة مستطاعة. انتهى. وكلاهما اختصره من الكشاف. هذا؛ و: ﴿ادَّارَكَ﴾ بمعنى لحق وتتابع.

وخذ تتمة ما قاله الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب، وتضليل أربابها بعضهم لبعض؛ كان أمره أهون ممن سمع بها، وهو جاثم لا يشخص به طلب

التمييز بين الحق والباطل. انتهى. أي: لا يبحث عن سبب الاختلاف بين المذاهب، ويتعرف دليل كل مذهب، ووجهة نظر إمام المذهب، وهذا يعني: أن الإنسان إذا تعرف أسباب الاختلاف بين المذاهب الأربعة، لا يبقى عنده شك في أن كل مذهب على حق، ولكُلٍّ وجهةٌ اللهُ مولِّيهِ إياها.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ أي: من الآخرة، فهم كمن تحيَّر في أمرٍ لا يجد عليه دليلاً، ولا يهتدي إليه سبيلاً، ولكنهم إذا أبصروا القيامة؛ أيقنوا بها، وزال شكهم فيها.

﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾: لا يدركون دلائلها؛ لاختلال بصيرتهم؛ وإن كانت لهم أبصار: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾. هذا؛ وواحد ﴿عَمُونَ﴾ عموٌ، وقيل: عَمٍ، أصله عمِيٌ، وقد مر معنا إعلال مثله، وعليه فجمعه: عميون، حذفت الياء لالتقاء الساكنين، ولم يجز تحريكها لثقل الحركة فيها، وعليه فقد تصرف فيه بحذف لامه كقاضٍ إذا جُمع، وهو صفة مشبهة. وفي السمين، يقال: عمٍ: إذا كان أعمى البصيرة، غير عارف بأموره، وأعمى، أي: في البصر، وهذا قول الليث، وقيل: عمٍ، وأعمى، كخضِر، وأَخْضَر. هذا؛ ولم يذكر هذا اللفظ في غير هذه السورة، وذكر بلفظ: ﴿عَمِينَ﴾ في الآية رقم [٦٤] من سورة (الأعراف).

بعد هذا في الفعل (ادَّارك) اثنتا عشرة قراءة، أذكر بعضها والمعتمد منها: (ادّارك): أصله: تدارك، وقد قرئ به أيضاً، فأدغمت التاء في الدال بعد قلبها دالاً، وتسكينها، ثم اجتلبت همزة الوصل ليمكن النطق بالساكن، ولهذه الكلمة نظائر، مثل: ادَّكَرَ، واطَّلَعَ، واطَّيَّرَ، وادَّارَأْتُمْ، وازَّيَّن؛ إذ الأصل: تَدَارَأْتُمْ، وَتَزَيَّن، وقال تعالى في سورة (الأعراف) الآية رقم [٣٨]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ ومعنى القراءتين واحد، وفي معناه قولان: أحدهما: أن المعنى: بل تكامل علمهم في الآخرة؛ لأنهم رأوْا كل ما وُعِدُوا به معاينة، فتكامل علمهم به. والقول الآخر: أن المعنى: بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة، فقالوا: تكون، وقالوا: لا تكون،

وقرئ: (أدْرَكَ) من الإدراك، وفي معناه قولان: أيضاً: أحدهما: أن معناه: كمل في الآخرة، وهو مثل الأول، قال مجاهد: معناه: يدرك علمهم في الآخرة، ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم؛ لأنهم كانوا في الدنيا مكذبين. والقول الآخر: أنه على معنى الإنكار، وهو مذهب أبي إسحاق، واستدل على هذا القول بأن بعده: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ أي: لم يدرك علمهم علم الآخرة. وقيل: بل ضلّ، وغاب علمهم في الآخرة، فليس لهم فيها علم انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

هذا؛ وقد تفرد الجلال رحمه الله تعالى بقوله: ﴿بَلِ﴾ بمعنى «هل» التي للاستفهام الإنكاري، ومعناه: ليس الأمر كذلك. ولم يسلك هذا التقرير غيره، بل أبقوا «بل» على أصلها من الإضراب الانتقالي، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿بَلِ﴾: حرف إضراب، وانتقال. ﴿ٱدَّرَكَ﴾: فعل ماض ﴿عِلْمُهُمْ﴾: فاعل، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾: جار ومجرور

متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بالمصدر علمهم، وهو أولى، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَلِ﴾: حرف إضراب وانتقال أيضاً. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِي شَكٍّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مِّنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿شَكٍّ﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها أيضاً. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب، وانتقال. ﴿هُم﴾: مبتدأ. ﴿مِّنْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿عَمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية مستأنفة. . . إلخ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: في الآية قراءات كثيرة، وأوجه متعددة، وأقتصر على هذه القراءة شرحاً، وإعراباً، فالمراد بالذين كفروا: كفار قريش، والآية بيان لضلالهم، وإنكارهم للبعث، والحساب، والجزاء، وعمههم عن طريق الحق، والصواب، والمراد بالإخراج: الإخراج من القبور، أو من حال الفناء بعد الموت إلى الحياة، والوجود. ومعنى الآية رقم [٨٢] من سورة (المؤمنون) قريب من معنى هذه الآية، فهو تعجب منها، واستبعاد للبعث، والإحياء بعد الموت، وفناء الجسد، ولكنهم لم يتأملوا: أنهم كانوا قبل ذلك تراباً، فخلقهم الله، وأظهرهم إلى الوجود، وهم كانوا يظنون: أن البعث، والإعادة إنما يكونان في الدنيا، وهم لم يروا أحداً رجع إلى الدنيا ممن تقدمهم. وتكرير حرف الاستفهام إنكار بعد إنكار، وجحود عقيب جحود، ودليل على كفر مؤكد، مبالغ فيه.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، ﴿كَفَرُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَءِذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب، وهذا عند سيبويه. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿تُرَٰبًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنَّا تُرَٰبًا﴾ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح، وجواب (إذا) محذوف دل عليه الجملة الآتية، التقدير: أئذا كنا تراباً نُخرج، ولا يجوز أن يعمل فيها مخرجون؛ لأن كلاً من الهمزة و(إنَّ) واللام مانعة من عملها فيما قبلها.

﴿وَءَابَآؤُنَآ﴾: الواو: حرف عطف. (آباؤنا): معطوف على (نا) وجاز ذلك للفصل بينهما بـ: ﴿تُرَٰبًا﴾، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والكلام ﴿أَءِذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿أَئِنَّا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير

متصل في محل نصب اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَمُخْرَجُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مخرجون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . .إلخ، والجملة الاسمية: ﴿أَئِنَّا﴾ مؤكدة لما قبلها، والاستفهام فيها مبالغة بالإنكار، وقرئ بدون الاستفهام فيها. فيكون الإنكار حصل بالأولى، وهذه مرتبطة فيها من جهة التوكيد، فالإنكار بالأولى إنكار فيها أيضاً، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ﴾ أي: هذا الوعد، وهو: البعث بعد الموت، والحساب، والجزاء. ﴿وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: وعد آباءنا قوم زعموا أنهم رسلٌ من قبل مجيء محمد، فلم نرهم بعثوا، ولم نر لذلك حقيقة قولهم هذا؛ لأنهم ظنوا: أن البعث، والإعادة بعد الموت إنما يكونان في الدنيا، وهم لم يروا، ولم يسمعوا: أن أحداً خرج من قبره بعد موته. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا الذي يقوله محمد: «إننا نبعث بعد الموت» إلا أكاذيب الأولين، وترهاتهم، وخرافاتهم؛ التي سطروها. هذا؛ والآية بحروفها مذكورة في سورة (المؤمنون) برقم [٨٣] مع ملاحظة تقديم، ﴿هَٰذَآ﴾ على ﴿نَحْنُ﴾ هنا؛ لأن المقصود بالذكر هو البعث، وأخر في سورة (المؤمنون) ﴿هَٰذَآ﴾ على ﴿نَحْنُ﴾ فالمقصود به المبعوثون نظراً إلى الاهتمام. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وانظر شرح (أساطير) في الآية رقم [٥] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، أو هي لام الابتداء. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿وُعِدْنَا﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون، و(نا): ضمير متصل في محل رفع نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع توكيد لـ: (نَا). ﴿وَءَابَآؤُنَا﴾: الواو: حرف عطف. (آباؤنا): معطوف على (نا) بعد توكيدها، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿وُعِدْنَا﴾، أو بمحذوف صفة: (آباؤنا)، أي: الكائنون من قبلنا، ومقتضى القاعدة أن يكونا متعلقين بمحذوف حال منه؛ لأنه معرفة بالإضافة للضمير، ولكن المراد به الماضي، وهو لا يتفق مع الحال. تأمل، وبني (قبل) على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، وجملة: ﴿لَقَدْ ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المقدر، أو لأنها ابتدائية. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء. . .إلخ، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول الذين كفروا.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: هذا أمر لكفار قريش؛ لينظروا ما فعل الله بالأقوام الذين كذبوا رسلهم؛ حيث أهلكهم بسبب ذلك، وفيه تهديد، ووعيد لا يخفيان لأهل مكة ولكلِّ المكذبين المجرمين. هذا؛ وقد قال الله تعالى هنا: ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾ ومثلها الآية رقم [٣٦] من سورة (النحل)، والآية رقم [١٣٧] من سورة (آل عمران) بينما قال تعالى في الآية رقم [١١] من سورة (الأنعام): ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ والفرق بينهما: أن النظر في السور الثلاث جعل مسبباً عن السير، فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، ومعنى السير في سورة (الأنعام) إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بـ: ﴿ثُمَّ﴾، التي هي للتراخي لتباعد ما بين الواجب، والمباح، وانظر التعبير عن الكافرين بالمجرمين، ونحوه في الآية رقم [٢٠٠] من سورة (الشعراء)، ورحم الله البيضاوي حيث قال: والتعبير عن الكافرين بالمجرمين ليكون لطفاً للمؤمنين في ترك الجرائم، وانظر عدم تأنيث ﴿كَانَ﴾ في الآية رقم [٥١].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿سِيرُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾: الفاء: حرف عطف. (انظروا): فعل أمر وفاعله، والألف للتفريق، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر (كان)، تقدم عليها، وعلى اسمها، وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ تامة فهو في محل نصب حال من ﴿عَـٰقِبَةُ﴾، والعامل في الحال ﴿كَانَ﴾. ﴿عَـٰقِبَةُ﴾: اسم (كان) أو فاعل بها، و﴿عَـٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل: (انظروا)، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول مثلها. وجملة: ﴿قُلْ سِيرُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: لا تحزن على الكافرين الذين ناصبوك العداء، ولم يتبعوك، وآذوك، وأصحابك بأنواع الأذى. ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تغتم يا محمد، ولا يضيق صدرك بسبب مكرهم، وتدبير الكيد لك، فإن الله مذلهم، وخاذلهم، وناصرك عليهم.

هذا؛ وقرئ (ضِيْقٍ) بفتح الضاد وكسرها، وهما لغتان كالقول، والقيل، ويجوز أن يكون بالفتح مخففاً من المشدد مثل تخفيف: هين، ولين، ونحوهما، وقال الفراء: الضَّيق: ما ضاق

عنه صدرك، والضِّيق ما يكون في الذي يتسع، ويضيق، مثل الدار، والثواب. والمكر: تدبير الأمر في الخفاء. ولا تنس: أن الآية مذكورة بحروفها في الآية رقم [١٢٧] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَحْزَنْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا)، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لا)، واسمه مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿فِى ضَيْقٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُن﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مِّمَّا﴾: (من): حرف جر. (ما): مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ(من)، التقدير: من مكرهم، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿ضَيْقٍ﴾ أو بمحذوف صفة له. هذا؛ واعتبار (ما) موصولة أو موصوفة فيه ضعف لا يخفى. تأمل، وتدبر.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: والمعنى يقول كفار قريش: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي: الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب؟! وقيل: قيام الساعة. وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب، والاستبعاد، والاستهزاء. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: فيما تعدوننا به، وإنما قالوا بلفظ الجمع؛ لأن كل أمة من الأمم السابقة قالت لرسولها كذلك، أو المعنى: إن كنتم صادقين أنت، وأتباعك يا محمد ﷺ! وينبغي أن تعلم: أن هذه الآية تكررت بحروفها في كثير من السور، وفيها تسلية للنبي ﷺ.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يقولون): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْوَعْدُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنتم صادقين؛ فمتى يتحقق صدقكم، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾: تبعكم، ولحقكم. ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾: حلوله ونزوله، وهو عذاب يوم بدر، ولعل، وعسى، وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها، وإنما

يطلقونها إظهاراً لوقارهم، وإشعاراً بأن الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم، وعليه جرى وعد الله تعالى، ووعيده، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر وجوباً، تقديره: «أنت». ﴿عَسَىٰٓ﴾: فعل ماض جامد مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: «أن»، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَكُونَ﴾ في محل رفع فاعل ﴿عَسَىٰٓ﴾، وهو تام هنا، وإن كان من أفعال الرجاء. هذا؛ وقيل: هي الناقصة هنا، واسمها ضمير، والمصدر المؤول خبرها، وهو غير وجيه. تأمل. ﴿رَدِفَ﴾: فعل ماض. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهذا على اعتبار الفعل لازماً، واعتباره بمعنى: دنا، واقترب، وقد تعدى باللام، وأما على اعتباره متعدياً بمعنى: تبع ولحق، فاللام زائدة، ويسميها ابن هشام لام التقوية، والكاف في محل نصب مفعول به، وإن كانت مجرورة لفظاً باللام. هذا؛ وقيل: الفعل متعد، والمفعول محذوف، واللام أصلية، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: ردف الخلق لأجلكم، وهذا ضعيف كما ترى. ﴿بَعْضُ﴾: فاعل: ﴿رَدِفَ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿يَكُونَ﴾، وعلى هذا فاسم ﴿يَكُونَ﴾ ضمير شأن محذوف، وهو قول الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي في الآية رقم [١٨٥] من سورة (الأعراف)، وجوز السمين اعتبار ﴿بَعْضُ﴾ اسم ﴿يَكُونَ﴾ مؤخراً. وجملة: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ في محل نصب خبر مقدم، وعليه ففاعل: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى متأخر لفظاً، وأرى: أن الفعلين ﴿يَكُونَ﴾ و﴿رَدِفَ لَكُم﴾ قد تنازعا ﴿بَعْضُ﴾ فالمسألة من باب التنازع، تأمل جيداً يظهر لك ذلك جلياً بعونه تعالى، و﴿بَعْضُ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي تستعجلونه، وجملة: ﴿عَسَىٰٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ويعم كل عاقل. ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: صاحب إنعام، وجود، وإفضال على الناس حيث لم يعاجلهم بالعقاب، والانتقام على المعاصي، والمنكرات، والفضل، والفاضلة: الإفضال، وجمعهما: فضول، وفواضل. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يعرفون حق النعمة، ولا يشكرون الله على فضله، وجوده، وكرمه، فهم يستعجلون العذاب بجهلهم. هذا؛ وقد قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ سورة (سبأ) رقم [١٣].

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم (إن)، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿لَذُو﴾: اللام: هي المزحلقة. (ذو): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذو) مضاف، و﴿فَضْلٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿فَضْلٍ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفه له، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. . (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسمها، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْكُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكن)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وقيل: في محل نصب حال، والمعنى لا يؤيده قطعاً.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تخفي صدورهم، وقرئ: (ما تَكُنُّ) بفتح التاء وضم الكاف، من: كننت الشيء، وأكننته: إذا سترته، وأخفيته. ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: يظهرون من عداوتك، فليس تأخير العذاب لخفاء حالهم، ولكن له وقت مقدر أوانه، فهو سبحانه وتعالى يعلم ما يخفون، وما يعلنون من عداوة رسول الله ﷺ ومكايدهم، وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقون. وقد حقق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده؛ حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾. هذا؛ وقد ذكرت الآية بحروفها كاملة في سورة (القصص) برقم [٦٩] والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم (إن)، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. . .إلخ. ﴿لَيَعْلَمُ﴾: اللام: هي المزحلقة (يعلم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبَّكَ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿تُكِنُّ﴾: فعل مضارع. ﴿صُدُورُهُمْ﴾: فاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ليعلم الذي، أو شيئاً تكنه صدورهم، وجملة: ﴿لَيَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿مَا﴾: معطوفة على سابقتها، وباقي الإعراب لا خفاء فيه، فهو مثل سابقه بلا فارق.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح أي: وما من شيء يغيب في السماء، والأرض عن أعين الناس، ومشاهدتهم إلا هو مسجل، ومكتوب في اللوح المحفوظ، سمي الشيء الذي يغيب، ويخفى: غائبةٌ، وخافيةٌ،

والتاء فيهما كالتاء في العاقبة والعافية، ونظائرهما: الرمية، والنطيحة، والذبيحة في أنها أسماء غير صفات. ويجوز أن يكونا صفتين، وتاؤهما للمبالغة كالراوية، وإذا كان الله يعلم كل شيء في السموات، والأرض؛ فكيف يخفى عليه ما يسر هؤلاء، وما يعلنونه، فأما عذابهم، وعقابهم، فله أجل مضروب مسجل لا يتأخر عنه، ولا يتقدم، فلماذا يستعجلونه؟!.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿غَآئِبَةٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بـ ﴿غَآئِبَةٍ﴾، أو بمحذوف صفة لها. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿كِتَٰبٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ...﴾ إلخ لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: إن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ يبين لليهود، والنصارى ـ الذين هم من أولاد يعقوب ـ الكثير مما اختلفوا فيه، وتخاصموا بشأنه، فإنهم اختلفوا في شأن عيسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، كما رأيت في سورة (التوبة) و(المائدة) وغيرهما؛ حيث تحزبوا فيه أحزاباً، ووقع التناكر بينهم في أشياء كثيرة، حتى لعن بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا، وأخذوا به وأسلموا؛ لنالوا خيري الدنيا، والآخرة، ولفازوا بالحسنيين.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿يَقُصُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِىٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿أَكْثَرَ﴾: مفعول به، و﴿أَكْثَرَ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون، في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ...﴾ إلخ مبتدأة أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن الكريم. ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: خص المؤمنين بهداية القرآن، ورحمته؛ لأنهم هم المنتفعون به العاملون بتعاليمه، ومثل هذا الاختصاص بالمؤمنين منوه عنه في كثير من الآيات القرآنية. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦۚ﴾ أي: يحكم بين بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه في الآخرة، فيجازي كلاً من المحق، والمبطل بما يستحق من الثواب، أو العقاب، وقيل: يقضي بينهم في الدنيا، فيظهر ما حرفوه، وما زيفوه، وبدلوه من أحكام التوراة. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي، القاهر، الغالب، الذي لا يُردُّ أمره. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: الذي لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، سواء أخفوه، أم أظهروه، وكفى بالله عليماً.

الإعراب: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَهُدًى﴾: اللام: هي المزحلقة. (هدى): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بأحد الاسمين السابقين على التنازع، والجملة الاسمية (إنه...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَقْضِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّةٌ مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿رَبَّكَ﴾ تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. ﴿بِحُكْمِهِۦۚ﴾: متعلقان به أيضاً، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مبتدأة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾: خبرانِ له، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿يَقْضِي﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾

الشرح: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾: أمره بالتوكل عليه تعالى في جميع أموره، وكافة شؤونه، وعدم المبالاة بأعداء الله، وأعدائه، وانظر (التوكل) في الآية رقم [٢١٧] من سورة (الشعراء). ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾: هذا تعليل للتوكل بأنه على الحق الأبلج، وهو الدين الواضح، والصراط

المستقيم؛ الذي لا شك، ولا ريب فيه. وفيه بيان: أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته؛ لأن للباطل جولة، ثم يضمحل. وقيل: للباطل جولة، وللحق ألف جولة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

هذا؛ والحق ضد الباطل، قال الراغب: أصل الحق المطابقة والموافقة، كمطابقة رِجْل الباب في حُقِّه لدورانه على الاستقامة. والحق يقال لموجد الشيء بسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك قيل في الله تعالى: هو الحقُّ، للموجَد بحسب مقتضى الحكمة حقٌّ؛ ولذلك يقال: فِعْل الله كلُّه حقٌّ، نحو قولنا: الموت حقٌّ، والحساب حقٌّ... إلخ، وللاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، نحو اعتقاد زيد في الجنة حق، وللفعل والقول الواقعين بحسب ما يجب، وقدر ما يجب، في الوقت الذي يجب، نحو: قولك حق، وفعلك حق، ويقال: أحققتُ ذَا، أي: أَثْبَتُّهُ حَقّاً، أو: حكمت بكونه حَقّاً. انتهى. بغدادي.

الإعراب: ﴿فَتَوَكَّلْ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً، ومحققاً، فتوكل. إلخ. (توكل): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿عَلَى ٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: صفة الحق، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها من الإعراب.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: لما كان الكفار، لا يفهمون ما يسمعون، ولا به ينتفعون؛ شبهوا بالموتى، وهم أحياء صحاح الحواس، وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون، وبالعمي حيث يضلون الطريق، ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم، ويجعلهم هداة بصراء إلا الله تعالى. ثم أكد حال الصم بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾؛ لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبراً؛ كان أبعد عن إدراك صوته. انتهى. نسفي.

هذا؛ وأقول: إن الله قال عنهم في سورة (البقرة): ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾؛ وهم لم يكونوا في الحقيقة كذلك، ولكن المعنى: هم صم عن سماع الحق، وهم خرس عن النطق بالحق، وهم عمي عن طريق الحق، فلا يهتدون، وهذا تكرر في القرآن الكريم، وآية الأعراف رقم [١٧٩] ذكرت أن لهم قلوباً، ولكن لا يفقهون بها، وأن لهم أعيناً؛ ولكن لا يبصرون بها طريق الخير، والهدى، وأن لهم آذاناً، ولكن لا يسمعون بها الحق سماع قبول، وتدبر. هذا؛ والموتى جمع: ميت ويجمع على أموات، وكلاهما جمع تكسير، ويجمع جمع سلامة أيضاً: ميتون، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

الإعراب: ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَا﴾: نافية، ﴿تُسْمِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿الْمَوْتَىٰ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: الدعاء، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) وما بعدها معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للأمر قبلها. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿تُسْمِعُ﴾. ﴿وَلَّوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعل، والألف للتفريق. ﴿مُدْبِرِينَ﴾: حال من واو الجماعة، وهي حال مؤكدة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. هذا؛ والآية مذكورة برقم [٥٢] من سورة (الروم).

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَنتَ﴾: يا محمد. ﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾: عمى البصيرة لا عمى البصر، والمعنى: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى، وأعمى قلبه عن الإيمان. ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: لا تسمع سماع قبول، وتدبر إلا من يؤمن، ويصدق بالقرآن: أنه منزل من عند الله. ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مخلصون، من قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: جعله سالماً لله خالصاً له، أي: لا رياء، ولا حب سمعة، ومحمدة. وانظر الآية رقم [٥٣] من سورة (الروم).

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال، أو حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿بِهَٰدِى﴾: الباء: حرف جر زائد. هادي: خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وهو مضاف، و﴿ٱلْعُمْىِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (هادي)، وأجاز أبو البقاء تعليقهما بـ: (العمي)، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل: ﴿تُسْمِعُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿تُسْمِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والمفعول الأول محذوف. ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾، لا محل لها. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿إِن

﴿تُسْمِعُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَهُم﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّسْلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وجب عليهم العذاب، وقيل: إذا غضب الله عليهم. وقيل: إذا وجبت الحجة عليهم؛ وذلك: أنهم إذا لم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر. وقيل: إذا لم يُرْجَ صلاحهم، وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمالِ قَبْلَ سِتٍّ: طُلُوعِ الشمسِ مِنْ مَغرِبِهَا، والدُّخَانِ، والدجَّالِ، والدَّابَّةِ، وخُوَيْصَّةِ أحدِكُمْ، وأمِّ الْعَامِرِيَّةِ**». رواه مسلم. انتهى. خازن ولدى مراجعة صحيح مسلم وجدت الحديث بسنده إلى أبي هريرة كما يلي: «**بَادِرُوا بِالأعمالِ سِتّاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، والدُّخَانَ، والدَّجَّالَ، والدَّابَّةَ، وَخَاصَّةَ أحدِكُمْ، وأمْرَ العَامَّةِ**». بروايتين: الأولى بأو، والثانية بالواو العاطفة. وفسرت «**خُوَيْصَّة أحَدِكُمْ**» و «**خَاصَّة أحدكم**» بالموت، وفسرت «**أمِّ العَامِرِيَّةِ**» و «**أمْرَ العَامَّة**» بالفتنة التي تعم الناس، أو الأمر الذي يستبد به العوام، ويكون من قِبَلِهِمْ دون الخواص من تأمير الأمة. هذا؛ وفي القاموس المحيط: والْخُوَيْصَّة تصغير الخاصَّة، ياؤها ساكنة؛ لأن ياء التصغير لا تتحرك، وفسرت الخاصة بشواغل النفس، وأمر العامة بيوم القيامة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طلُوعُ الشمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحىً، وَأيَّتُهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا؛ فالأُخْرى عَلَى أثرِهَا قَرِيباً**». أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمُ سليمانَ وعصَا مُوسَى، فتجلُو وَجْهَ المؤمِنِ، وتخْطِمُ أنفَ الكافِرِ بالخاتَمِ، حَتَّى إنَّ أهلَ الخُوَان لَيَجْتَمِعُونَ، فيَقُولُ هَذَا: يا مُؤْمِنُ، ويقولُ هَذَا: يا كافِرُ**». أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن، وروى البغوي بإسناده عن الثعلبي وأوصله القرطبي إلى حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يَكُونُ لِلدَّابَّةِ ثَلاثُ خَرَجَات مِنَ الدَّهْرِ، فتخرجُ خُروجاً بأقصى الْيَمَنِ، فَيَفْشُو ذِكْرُهَا في الباديةِ، لا يدخلُ ذِكْرُهَا القرْيَةَ ـ يعني: مَكَّةَ ـ ثم تمكثُ زَمَاناً طويلاً، ثُمَّ تخرجُ خرْجةً أخْرى، قريباً من مكة، فيفشُو ذِكْرُهَا في الْبَادِيةِ، ويدخُل ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ ـ يعني: مكة ـ ثُمَّ بيْنَا**

النَّاسُ يوماً في أعظمِ الْمَسَاجِدِ على اللهِ حُرْمَةً، وأكْرَمِهَا عَلَى اللهِ ـ يعني الحرامَ ـ لم يَرعْهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو، وتدنو كذا ـ وقال القرطبي: ترغو، وترغو ـ قال عمر: وما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك، فارفضَّ الناسُ عنها، وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب، فمرت بهم،فجلت وجوههم، حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت في الأرض، لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، حتى إن الرجل ليقوم، فَيَتَعوَّذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه، فتقول: يا فلان الآن تصلي، فيقبل عليها بوجهه، فتسمه بوجهه، فيتجاور الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم، ويشتركون في الأموال، يُعرف المؤمن من الكافر، فيقال للمؤمن: يا مؤمن! ويقال للكافر: يا كافر!».

وبإسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ ذكر رسول الله ﷺ الدابة، قلت: يا رسول الله: من أين تخرج؟ قال: «مِنْ أعظمِ المساجدِ حرمةً على الله، فبيْنَما عيسى يطوفُ بالبيتِ، ومعه المسلمون إذ تَضْطَرِبُ الأَرْضُ، وَيَنْشَقُّ الصَّفَا، مما يَلي الْمَسْعَى، وتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفَا، أوَّل ما يخرجُ مِنْهَا رأسها، مُلَمَّعة، ذاتَ وبَرٍ وريشٍ، لَنْ يُدْرِكَهَا الطالبُ، ولَنْ يَفوتَهَا هارِبٌ، تَسِمُ الناسَ مؤمناً، وكافراً، فأما المؤمِنُ؛ فتتركُ وجْهَهُ كأنهُ كوكبٌ دُرّيٌّ، وتكتُبُ بيْن عَيْنَيْهِ: مُؤمِنٌ، وأما الكافِرُ؛ فتنكتُ بَيْنَ عينيْهِ: نُكْتَةً سوْدَاءَ، وتَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ».

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قرع الصفا بعصاه؛ وهو محرم، وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه. وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: تخرج الدابة ليلة جمع، والناس يسيرون إلى منى. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ: قال: «بئس الشِّعْبُ شِعْبُ أجْيَادٍ مرَّتين، أو ثلاثاً، قيل: وَلِمَ ذاك يا رسولَ الله؟ قال: تخرج منه الدابة، تصرخ ثلاثَ صَرَخاتٍ يسْمَعُهَا مَنْ بَيْنَ الخَافِقَيْنِ.»

وروي عن ابن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ: أنه وصف الدابة، فقال: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أَيْل، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هِرٍّ، وذنبها ذنبُ كبشٍ، وقوائمها قوائمُ بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً. انتهى. خازن ببعض تصرف، وهذا كله في القرطبي وزاد: أن الدابة فصيل ناقة صالح على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وصححه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: بكلام عربي فصيح. قيل: تقول: هذا مؤمن، وهذا كافر. وقيل: تقول ما أخبر الله به ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: بخروجي؛ لأن خروجها من الآيات. وتقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ وقولها هذا حكاية لقول الله عز وجل، أو على معنى: بآيات ربنا، أو لاختصاصها بالله، وأثرتها عنده، وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقول

بعض خاصة الملك: خيلنا وبلادنا، وإنما هي خيل مولاه، وبلاده. انتهى. كشاف بتصرف. هذا؛ والدابة التي الكلام فيها يطلق عليها اسم: الجسَّاسة، وتنوينها، وتنكيرها لإبهامها، وتفخيمها، لتسترعي الانتباه إليها، وتلفت الأنظار إلى ترقب خروجها، وهي من الأمور المغيبة التي نؤمن بها، ونعتقد بخروجها؛ لأن القرآن جاء بها، وأحاديث الرسول ﷺ نوَّهت بشأنها.

تنبيه: خروج الدابة من الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك من مبادئ وقوع الساعة، وقيامها كما هو ثابت في الأحاديث الصحيحة، وقد ثبت: أن للساعة علامات تتقدمها، وتدل عليها، وهي علامات صغرى، وعلامات كبرى، فالصغرى قد ظهر جميعها، كقبض العلم الشرعي، وتقارب الزمان، وفيض المال، وكثرة الزلازل، وكثرة القتل، وتطاول البدو في البنيان، وكثرة الفسوق، والفجور، وغير ذلك مما هو واقع، ومشاهد الآن. وأما العلامات الكبرى؛ فعشرة، وهي: الدجال، وظهور المهدي، ونزول عيسى على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والخسوف الثلاثة الكبرى: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج النار، وطرد الناس إلى أرض المحشر، والدخان، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها؛ أغلقت أبواب الرحمة، ولم تقبل توبة. وهذا فحوى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾. (الأنعام) [١٥٨] انظر شرحها هناك.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿وَقَعَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: فاعله. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها، على المشهور المرجوح. ﴿أَخْرَجْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿دَآبَّةً﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿دَآبَّةً﴾، وجملة: ﴿أَخْرَجْنَا...﴾ إلخ جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿دَآبَّةً﴾، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿دَآبَّةً﴾، أو هي في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم على حد قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ﴾. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُوقِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع

خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: تكلمهم بكونهم لا يوقنون. هذا؛ وأجيز اعتبار المصدر في محل نصب مفعول به ثان على تضمين ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: «تخبرهم» وهو جيد. هذا؛ ويقرأ بكسر همزة (إن). وفي الجملة الاسمية قولان: أحدهما: الاستئناف، والثاني: على تضمين ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: «تقول لهم» ولا بأس به أيضاً.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: أي: واذكر يوم نجمع من كل أمة من الأمم زمرة من الكافرين الذين كذبوا رسلهم، ولم يؤمنوا بآيات ربهم؛ التي أنزلها على تلك الرسل. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُدفَعون، ويساقون إلى موضع الحساب، قال الشماخ: [الرجز]

وَكَـمْ وَزَعْـنَـا مِـنْ خَـمِـيـسٍ جَـحْـفَـلِ وَكَـمْ حَـبَـوْنَـا مِـنْ بَـئِـيـسٍ مِـسْـحَـلِ

وقال قتادة: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي: يُردّ أولهم على آخرهم. وانظر الآية رقم [١٧]، وانظر شرح ﴿أُمَّةٍ﴾ في الآية رقم [٣٤] من سورة (الحج). هذا؛ وفوج: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: قوم، ورهط... إلخ، وجمعه: أفواج، وفؤوج، وجمع الجمع: أفاوج، وأفايج، وأفاويج.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (يوم): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر يوم، والجملة الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو. ﴿نَحْشُرُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: «نحن». ﴿مِن كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أوهما متعلقان بمحذوف حال من ﴿فَوْجًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً... إلخ، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فَوْجًا﴾: مفعول به، ﴿مِّمَّن﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿فَوْجًا﴾ على تعليق: ﴿مِن كُلِّ﴾ بالفعل قبلهما، و﴿مِّمَّن﴾ بدل من ﴿كُلِّ أُمَّةٍ﴾ على تعليقهما بمحذوف حال من: ﴿فَوْجًا﴾ كما رأيت. وقول الزمخشري، وغيره: ﴿مِن﴾ الأولى للتبعيض، و(من) الثانية للتبيين، ولا يبين الإعراب الحقيقي فيهما، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿يُكَذِّبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى من، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (مَنْ)، أو صفتها. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نَحْشُرُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف تفريع وعطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُوزَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾: يوم القيامة إلى المحشر. ﴿قَالَ﴾ أي: الله تعالى لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾ أي: لم تصدقوا بما أنزلت على رسلي من كتب، وتعاليم سماوية. ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ أي: ولم تعرفوها حق معرفتها. ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك، وهو للتبكيت؛ لأنهم لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل، فلا يقدرون أن يقولوا: فعلنا غير ذلك، فكأنهم لم يخلقوا إلا للكفر، والمعصية، وإنما خلقوا للإيمان والطاعة، يخاطبون بهذا الكلام قبل كبهم في النار، ثم يكبون فيها، وذلك قوله: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، ويعتبرها الأخفش في مثل ذلك حرف جر، وقد رده ابن هشام في المغني، وعلى الوجهين؛ فهي غاية، لما قبلها من كلام. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٨٢]. ﴿جَآءُو﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف؛ أي: جاؤوا إلى مكان الحساب، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المرجوح، وهو المشهور. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿أَكَذَّبْتُم﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. (كذبتم): فعل، وفاعل. ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تُحِيطُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب حال من تاء الفاعل مع الميم، والرابط: الواو، والضمير. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عِلْمًا﴾: مفعول به. ﴿أَمَّاذَا﴾: (أم): حرف إضراب، وانتقال. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، وهو مفعول تعملون. هذا؛ ويجوز اعتبار (ماذا) كله في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في محل رفع خبره، كما يجوز اعتباره اسماً مركباً في محل نصب مفعولاً به مقدماً لـ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾، وسواء أكانت الجملة اسمية، أو فعلية، فهي مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول.

﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم﴾ أي: حل بهم العذاب الموعود على ألسنة الرسل، عليهم الصلاة والسلام، وهو كبهم في النار. ﴿بِمَا ظَلَمُواْ﴾ أي: بسبب التكذيب، وقد ظلموا أنفسهم به، حيث كان شؤمه عليهم. ﴿فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ﴾ أي: بحجة تدفع عنهم العذاب، وقيل: يختم على أفواههم، فلا ينطقون، وقد ذكرت لك فيما مضى مراراً: أن الكفار في مواطن يتكلمون، وفي مواطن لا يتكلمون يوم القيامة.

هذا؛ والقول يطلق على خمسة معان: أحدها: اللفظ الدال على معنى. الثاني: حديث النفس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾. الثالث: الحركة، والإمالة، يقال: قالت النخلة؛ أي: مالت. الرابع: ما يشهد به الحال، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾. الخامس: الاعتقاد، كما تقول: هذا قول المعتزلة، وهذا قول الأشاعرة، أي: ما يعتقدونه. وانظر شرح الكلام في الآية رقم [١٠٩] من سورة (المؤمنون) أو [٣٥] من سورة (الروم).

الإعراب: ﴿وَوَقَعَ﴾: الواو: حرف عطف. (وقع): فعل ماض. ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾: فاعله. ﴿عَلَيۡهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿ظَلَمُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثل إعراب: ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ...﴾ إلخ: أي: ألم يعلموا علماً يقيناً لا شك فيه: أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الليل للهدوء، والاستقرار بالنوم، والراحة. ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ أي: جعل النهار مبصراً؛ أي: جعلنا شمسه مضيئة للإبصار. فيكون المعنى مبْصَراً فيه بالضوء؛ لأن النهار لا يُبْصِر، بل يُبْصَرُ فيه، فهو من إسناد الحدث إلى زمانه، فهو مجاز عقلي، مثل: ليله قائم، ونهاره صائم. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: بتقلب الليل، والنهار، واختلافهما. ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: لعلامات، ودلالات على قدرة الله تعالى، فيهتدوا بذلك إلى الإيمان بالحشر، والنشر، وبعثة الرسل؛ لأن تعاقب الظلمة، والنور على وجه مخصوص غير متعين بذاته، لا يكون إلا بقدرة قادر قاهر، وأن من قدر على إبدال الظلمة بالنور في مادة واحدة؛ قدر على إبدال الموت بالحياة في مواد

الأبدان، وأن من جعل النهار؛ ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم، لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم، ومعادهم. انتهى. بيضاوي بتصرف.

تنبيه: في الكلام حذف وتقدير؛ إذ التقدير: ألم يروا أنا جعلنا الليل مظلماً؛ ليسكنوا فيه، وجعلنا النهار مبصراً؛ ليتحركوا فيه، ويسعوا إلى معايشهم. فحذف من أحدهما ما أثبته في الآخر، ويسمى هذا احتباكاً في الكلام. هذا؛ ولا تنس: أن (جعل) هنا بمعنى: خلق، فلذا تعدى إلى مفعول واحد فقط.

هذا؛ والليل واحد بمعنى الجمع، واحدته: ليلة، مثل: تمر وتمرة، وقد جمع على ليال، فزادوا فيه الياء على غير قياس، ونظيره: أهل، وأهال، والليل الشرعي: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق، وهو أحد قولين في اللغة، والقول الآخر من غروبها إلى طلوعها. هذا؛ والنهار ضد الليل، وهو لا يجمع: كما لا يجمع العذاب، والسراب، فإن جمعته قلت في الكثير: نُهُر بضمتين كسحاب، وسُحُب، وأنشد ابن كيسان: [الرجز]

لَوْلَا الثَّرِيدَانِ لَمُتْنَا بِالضُّمُرْ ثَرِيدُ لَيْلٍ، وثَرِيدٌ بِالنُّهُرْ

وفي القليل: أنهر، والنهار: من طلوع الشمس، أو من طلوع الفجر على ما تقدم في نهاية الليل إلى غروب الشمس. وقد يطلق عليهما اسم اليوم، كما رأيت في الآية رقم [١٣٥] من سورة (الشعراء). هذا؛ و(الليل) يطلق على الحُبارىٰ، أو على فرخها، وفرخ الكروان، والنهار يطلق على فرخ القطا. انتهى. قاموس. وقد ألغز بعضهم بقوله: [الوافر]

إِذَا شَهْرُ الصِّيَامِ إِلَيْكَ وَافَى فَكُلْ مَا شِئْتَ لَيْلاً أَوْ نَهَارا

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿الَّيْلَ﴾: مفعول به، ﴿لِيَسْكُنُوا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿جَعَلْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدت مسد مفعول، أو مفعولي ﴿يَرَوْا﴾، وجملة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (النهار): معطوف على الليل. ﴿مُبْصِرًا﴾: حال من النهار، أو هو مفعول ثان للفعل المقدر. تأمل. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي﴾: حرف جر. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿فِي﴾، والجار والمجرور

متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَآيَـٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (آيات)، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في محل جر صفة: قوم، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، أو ابتدائية، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: الصور: كهيئة البوق، قاله مجاهد. ويدل على صحته ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: مَا الصُّور؟ قَالَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**». أخرجه أبو داود والترمذي، قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السمواتِ والأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهُوَ واضِعُهُ عَلَى فِيهِ، شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ إِلَى الْعَرْشِ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنفخةِ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الصُّورُ؟ قال: «**قَرْنٌ واللهِ عَظِيمٌ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إنَّ عِظَمَ دَارَةٍ فِيهِ كعرْضِ السماءِ والأرضِ**». وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ**». وَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: كَيْفَ نَفْعَلُ يا رَسُولَ اللهِ؟! وَكَيْفَ نَقُولُ؟ فَقَالَ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا، وَرُبَّمَا قَالَ: تَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ**». أخرجه الترمذي.

وينبغي أن تعلم: أن الذي ينفخ في الصور إنما هو إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة العشرة المقربين، وهو ينفخ نفختين، بينهما أربعون عاماً على الصحيح، الأولى لإماتة جميع الخلق، والثانية لإحيائهم، وبعثهم للحساب والجزاء، خذ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ بعد هذا أذكر أن الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: إن كل ما فاؤه نون، وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب، مثل: نفق، ونفث، ونفش... إلخ.

﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: التعبير بالماضي لتحقق وقوعه، وثبوته، وأنه كائن لا محالة. هذا؛ وفي هذا الفزع قولان: أحدهما: أنه الإسراع، والإجابة إلى النداء من قولهم: فزعت إليك في كذا: إذا أسرعت إلى ندائك في معونتك، والقول الثاني: أنه الفزع المعهود من الخوف، والحزن؛ لأنهم أزعجوا من قبورهم، وخافوا. وهذا أشبه القولين، ولذا يقولون مرعوبين: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾؟!.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ، سئل عن قوله تعالى ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾. قال: «**هـمُ الشـهداءُ متقلِّدُون أَسْيَافَهُـمْ حَوْلَ العرشِ**». وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هم الشهداء؛ لأنهم أحياء عند ربهم، لا يصل إليهم الفزع. وقيل: يعني: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، فلا يبقى بعد النفخة الأولى إلا هؤلاء الأربعة. ويروى: أن الله تعالى يقول لملك الموت: خذ نفس إسرافيل، فيأخذ نفسه، ثم يقول: من بقي يا ملك الموت؟ فيقول: سبحانك ربي، تباركت، وتعاليت يا ذا الجلال، والإكرام، بقي وجهك الباقي الدائم، وبقي جبريل وميكائيل، وملك الموت. فيقول: خذ نفس ميكائيل، فيقع كالطود العظيم، فيقول: من بقي من خلقي؟ فيقول: سبحانك ربي، تباركت، وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام! بقي وجهك الدائم الباقي، وجبريل الميت الفاني. فيقول الله: يا جبريل لا بد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه.

ويروى: أنه يبقى مع هؤلاء الأربعة حملة العرش، فيقبض روح جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم أرواح حملة العرش، ثم روح ملك الموت، فإذا لم يَبْقَ أحد إلا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطي السجل للكتاب، ثم يقول: أنا الجبار، لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول: لله الواحد القهار!.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يُنْفَخُ في الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ في السَّمَواتِ ومَنْ في الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ، فإذا مُوسى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِم الْعَرْشِ، فلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَمْ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي، وَمَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ**». وقيل الذين استثنى الله هم: رضوان، والحور العين، ومالك، والزبانية. انتهى. خازن. وأقول: الله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَكُلٌّ﴾ أي: وكل المخلوقات الذين أحيوا بعد النفخة الثانية، وسواء الذين ماتوا بالنفخة الأولى، ومن مات من آلاف السنين. ﴿أَتَوْهُ﴾: جاؤوا، ووقفوا بين يديه جلَّت قدرته، وتعالت حكمته. وقرئ: (أتاه) بالإفراد حملاً على لفظ كل، وقرئ: (آتُوهُ) على أنه جمع اسم فاعل: (آتٍ). ﴿دَٰخِرِينَ﴾: صاغرين ذليلين، وقرئ: (دَخِرِينَ).

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يوم): معطوف على (يوم نحشر) وقبله فعل مقدر مثله. ﴿يُنفَخُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿فَفَزِعَ﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. (فزع): فعل ماض، ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. ﴿مَن﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي

في محل رفع مثلها. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول أيضاً. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء من: ﴿مَن﴾ الأولى؛ لأنها بمعنى الجمع، وهذه بمعنى البعض، لذا فقد صح الاستثناء. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: «شاءه الله». ﴿وَكُلٌّ﴾: الواو: حرف استئناف. (كل): مبتدأ، والمضاف إليه محذوف. ﴿أَتَوْهُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والهاء مفعول به، وعلى قراءة (أتاه) فهو فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (كلٌّ)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية على الوجهين في محل رفع خبر المبتدأ، وعلى قراءة: (آتوهُ) فهو خبر مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿وَكُلٌّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿دَٰخِرِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه... إلخ.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: الخطاب للنبي ﷺ، أو لكل أحد. و﴿ٱلْجِبَالَ﴾ مفرده: جبل، ويجمع على أجبل، وأجبال أيضاً، ومعنى: ﴿جَامِدَةً﴾: ثابتة قائمة، ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: قال القتبي: وذلك: أن الجبال تجمع، وتسير، فهي في رؤية العين كالقائمة؛ وهي تسير، وكذلك كل شيء عظيم، وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته وبعد أطرافه، وهو في حسبان الناظر كالواقف، وهو يسير قال النابغة في وصف جيش: [الطويل]

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرِّكَابُ تُهَمْلِجُ

هذا؛ ويقال: إن الله تعالى وصف الجبال يوم القيامة بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها، وإبراز ما كانت تواريه، فأول الصفات الاندكاك، وذلك قبل الزلزلة، ثم تصير كالعهن المنفوش، وذلك إذا صارت السماء كالمهل، وقد جمع الله بينهما في سورة (المعارج) فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء، وذلك أن تتقطع بعد أن كانت كالعهن، قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾. والحالة الرابعة: أن تنسف؛ لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها، والأرض تحتها غير بارزة، فتنسف عنها لتبرز، قال تعالى في سورة (طه): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ وقال جل ذكره في سورة (الكهف) الآية [٤٧]:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً...﴾ إلخ، والحالة الخامسة: أن الرياح ترفعها على وجه الأرض، فتظهرها شعاعاً في الهواء كأنها غبار، فمن نظر إليها من بُعْد حَسِبهَا لتكاثفها أجساداً جامدةً، وهي في الحقيقة مارَّة إلا أن مرورها من وراء الرياح كأنها مندكة متفتتة. والحالة السادسة: أن تكون سراباً فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً منها كالسراب، قال تعالى في سورة (النبأ): ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هذا؛ ونقل عن أبي السعود: أن ما ذكر مما يقع بعد النفخة الثانية. وهو غير مسلم له، وإنما هو بعد النفخة الأولى. هذا؛ وانظر شرح (السحاب) في الآية رقم [٤٠] من سورة (النور).

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي. والمعنى: أن الله تعالى لما ذكر ما فعل، وما يفعل في المستقبل، وكل ذلك لا يقدر عليه غيره؛ جعل خلق ما ذكر من الأشياء التي أتقنها، وأحكمها، وأتى بها على وجه الحكمة، والصواب. ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾: عالم بظواهر الأمور، وبواطنها، فيجازيكم عليها، كما بينه في الآية التالية، ويقرأ الفعل بالياء.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: انظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه، وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً، ولأمر ما أعجز القوى، وأخرس الشقاشق، ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته، والمنادي على سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾و ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ بعدما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم، كيف تلاها بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ و﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ و﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ و﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾. انتهى. هذا؛ وفي الآية طباق عجيب بين الجمود والحركة السريعة، فجعل ما يبدو لعين الناظر كالجبل في جموده ورسوخه، ولكنه سريع يمر مراً حثيثاً، كما يمر السحاب.

الإعراب: ﴿وَتَرَى﴾: الواو: حرف عطف. (ترى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْجِبَالَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ فهي في محل جر مثلها. ﴿تَحْسَبُهَا﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿جَامِدَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الجبال، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَهِىَ﴾: الواو: واو الحال. (هي): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿تَمُرُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الجبال، تقديره: «هي». ﴿مَرَّ﴾: مفعول مطلق، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّحَابِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية: ﴿تَمُرُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب أيضاً، والرابط: الواو، والضمير، وتعددت الحال مختلفة بالإفراد والجملة. ﴿صُنْعَ﴾: مفعول مطلق مؤكد لنفسه، وهو مضمون الجملة المتقدمة، كقوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾.

وقال أبو البقاء: عمل فيه ما دل عليه ﴿تَمُرُّ﴾؛ لأن ذلك من صنعه سبحانه. ويجوز نصبه على الإغراء؛ أي: انظروا صنع الله. ويجوز رفعه على الخبر، التقدير: ذلك صنع. ولم أر مَنْ قرأ به. و﴿صُنْعَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لفظ الجلالة، أو هو بدل منه. ﴿أَتْقَنَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه، ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿خَبِيرٌ﴾: خبر (إنَّ). ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية صلة ما، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: خبير بالذي، أو: بشيء تفعلونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بفعلكم، أو بفعلهم، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿خَبِيرٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية لا محل لها من الإعراب.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: لقد اختلف في هذه الحسنة، فقيل: هي كلمة (لا إله إلا الله)، وقيل: هي الإخلاص، والتوحيد، وقيل: هي الطاعات جميعها على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها. وهو أولى. ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: قيل: المعنى يصل إليه خير بسببها، بمعنى: أنه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب، والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان فلا؛ لأنه لا شيء خير من: لا إله إلا الله. وقيل: هو جزاء الأعمال، والطاعات الثواب والجنة، وجزاء الإيمان والإخلاص رضوان الله، والنظر إليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وقيل: الخيرية ثبتت باستبدال الخسيس بالشريف، والباقي بالفاني، وسبعمئة بواحدة، وهي مضاعفة الثواب التي نص الله عليها في غير ما آية.

﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ أي: من فزع مفرط الشدة، وهو خوف النار، وغضب الجبار، فالمؤمنون المخلصون آمنون منه. وأما الفزع المذكور في الآية السابقة؛ فهو ما يلحق كل إنسان من التهيب لما يرى من الأهوال، والعظائم، وهذا يعم المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح، فلا ينفك منه أحد، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٣] من سورة (الأنبياء)، وانظر شرح: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في الآية رقم [٢٢] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾ تقديره: «هو». ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل

المستتر؛ أي: جاء ملتبساً بالحسنة. ﴿فَلَهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (له): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿خَيْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، وقيل: هما في محل نصب مفعول به لـ: ﴿خَيْرٌ﴾. وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: هو جملة الجواب، وقيل هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين.

هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَن﴾ موصولاً، فهو في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية: ﴿جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ صلته، وجملة: ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ في محل رفع خبره، واقترنت بالفاء؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿مَن جَآءَ...﴾ إلخ على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهُم﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِّن فَزَعٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ءَامِنُونَ﴾ بعدهما، ويقرأ بتنوين: ﴿فَزَعٍ﴾، وبدونه، فعلى التنوين فـ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف زمان متعلق بـ: ﴿ءَامِنُونَ﴾ بعده، وعلى عدم التنوين، فيكون (يوم) في محل جر بإضافة (فَزَع) إليه، و(إذ) مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿ءَامِنُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠﴾

الشرح: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: بالشرك على أرجح الأقوال. ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾: عبر بالوجه عن جميع البدن، كأنه قال: كبوا، وطرحوا في النار جميعهم. وهذا كقوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ فعبر بالأيدي عن جميع البدن، وانظر شرح (كب وأكب) في الآية رقم [٩٤] من سورة (الشعراء). ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: تقول لهم الملائكة: لا تجزون إلا جزاء عملكم السَّيِّئ في الدنيا، ويجوز أن يكون من كلام الله لهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وانظر شرح الحسنة والسيئة برقم [٨٤] من سورة (القصص).

الإعراب: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ﴾ هو مثل الآية السابقة بلا فارق، وأضيف: أن هذه الآية ترجح اعتبار الموصولية على الشرطية في: (مَنْ)؛ لأن جملة: ﴿فَكُبَّتْ﴾ تصلح؛ لأن تكون جواباً للشرط، فلو تمحضت للشرطية؛ لما احتيج إلى اقترانها بالفاء؛ لأنها ليست من الجمل التي يجب اقترانها بالفاء، وهو المنظومة في قول بعضهم: [الكامل]

اِسْمِيَّةٌ طَلَبِيَّةٌ وَبِجَامِدِ   وَبِمَا وَلَنْ وَقَدْ وَبِالتَّنْفِيسِ

(كبت): فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿وُجُوهُهُمْ﴾: نائب فاعل، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل

قبلهما. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿تُجْزَوْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل، وهو المفعول الأول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، وهي في الأصل مضاف إليه، والمضاف محذوف. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون. والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، والجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: إلا مثل الذي، أو مثل شيء كنتم تعملونه، وجملة: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر الشرح، وجملة القول، ومقوله مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من وجوههم، التقدير: فكبت وجوههم مقولاً لهم.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾: أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهم ذلك، بعد ما بين أحوال المبدأ والمعاد، وشرح أحوال القيامة، إشعاراً بأنه قد أتم الدعوة، وقد كملت، وما عليه بعد ذلك إلا الاشتغال بشأنه، والاستغراق في عبادة ربه. والمعنى: قل: إنما أمرت أن أخص بعبادتي، وتوحيدي الله الذي هو رب هذه البلدة، وهي مكة المكرمة. وإنما خصها بالذكر من بين سائر البلاد؛ لأنها مضافة إليه، وأحب البلاد، وأكرمها عليه. وأشار إليها إشارة تعظيم؛ لأنها موطن نبيه، ومهبط وحيه.

﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حرماً آمناً، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يختلى خلاها، ولا يدخلها إلا محرم، وإنما ذكر: أنه هو الذي حرمها؛ لأن العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة، وأن تحريمها من الله، لا من الأصنام. هذا؛ وقرئ: (التي حرمها).

﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ أي: مالك الدنيا، والآخرة خلقاً، وعبيداً، فليس له شريك في ذلك أبداً. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المنقادين له، والثابتين على ملة الإسلام. هذا؛ و«أمر» من الأفعال التي تنصب مفعولين، الثاني منهما مجرور بحرف جر في الغالب، وجاء منصوباً في الشعر كقول عمرو بن معدي كرب الزبيدي: [البسيط]

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

ومثله: استغفر، واختار، وكنى، وسمَّى، ودعا، وصدق، وزوج، وكال، ووزن، قال الشاعر: [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

الإعراب: ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿أُمِرْتُ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهي المفعول الأول، والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ﴾ في محل نصب مفعول به ثان للفعل «أمر»، أو هو منصوب بنزع الخافض، أو هو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أمرت بعبادة رب. . . إلخ، هذه الاعتبارات تجوز في الأفعال التي ذكرتها لك في الشرح، وهي منقولة عن سيبويه وغيره من العلماء، وقد ورد الجر بقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ رقم [١٢] من سورة (الزمر)، وفيها أقوال، وأوجه، سأذكرها في محلها إن شاء الله تعالى، و﴿رَبَّ﴾ مضاف، واسم الإشارة مبني على الكسر في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْبَلْدَةِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة ﴿رَبَّ﴾، وعلى قراءة: (التي) فهو في محل جر صفة: ﴿ٱلْبَلْدَةِ﴾. ﴿حَرَّمَهَا﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، أو إلى ﴿رَبَّ﴾، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول على القراءتين، وجملة: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، لقول محذوف؛ إذ التقدير: قل لأهل مكة: إنما أمرت. . . إلخ، والقول، ومقوله كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَهُۥ﴾: الواو: واو الحال. (له): جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم، ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿كُلُّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل: ﴿حَرَّمَهَا﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَأُمِرْتُ﴾: الواو: حرف عطف. (أمرت): مثل سابقه في إعرابه. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿أَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص، منصوب بـ: ﴿أَنْ﴾، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنا». ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿أَكُونَ﴾، والمصدر المؤول من ﴿أَنْ أَكُونَ...﴾ إلخ يقال فيه ما قيل بالمصدر المؤول من ﴿أَنْ أَعْبُدَ...﴾ إلخ.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: أواظب على قراءته، لتنكشف لي حقائقه الرائعة المخزونة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً، أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة، وتثنية الإرشاد، فيكون ذلك تنبيهاً على كفايته في الهداية، والإرشاد من غير حاجة إلى إظهار معجزة أخرى.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فمن اهتدى بالإيمان به، والعمل بما فيه من الشرائع والأحكام؛ فنفع اهتدائه عائد إليه، لا إليَّ. ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أي: عن طريق الإيمان، وأخطأ طريق الهدى؛ ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ...﴾ إلخ: أي: فلا يضرني، وليس علي مِنْ وبال ضلاله شيء؛ إذاً ما على الرسول إلا البلاغ، وهو فحوى قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾. هذا؛ وقرئ: (واتل عليهم) وَ(وَأَنْ أَتْلُ).

الإعراب: ﴿وَأَنۡ﴾: الواو: حرف عطف. (أن): حرف مصدري ونصب. ﴿أَتۡلُوَاْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن»، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والمصدر المؤول معطوف على ما قبله على جميع الوجوه المعتبرة فيه. ﴿ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾: مفعول به. هذا؛ وعلى قراءة (اتل) فهو فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، الفاعل تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، والقول ومقوله في محل نصب حال من تاء الفاعل، وعلى قراءة (أن أتل) فتؤول أن مع فعل الأمر بمصدر معطوف على ما قبله. ﴿فَمَنِ﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) ومتعلقه محذوف. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنما): كافة، ومكفوفة ﴿يَهۡتَدِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿لِنَفۡسِهِۦۖ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَإِنَّمَا...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٨٩]. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً؛ فهي مبتدأ، وجملة: ﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾ صلة الموصول، وجملة: ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ في محل رفع خبره، واقترنت بالفاء؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ...﴾ إلخ لا محل لها على الاعتبارين؛ لأنها مفرعة عما قبلها، ومستأنفة. ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ﴾ إعرابه مثل إعراب سابقه بلا فارق. (إنما): كافة، ومكفوفة. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، أمره ربه أن يحمده على نعمة النبوة، أو على ما علَّمه، ووفقه للعمل به. ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ أي: آياته الباهرة، ودلائله القاهرة، فتعرفون: أنها آيات الله. قيل: هي يوم بدر، وهو ما أراهم فيه من القتل، والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم. وقيل: آياته في السموات، والأرض، وفي أنفسكم، وهو المعتمد، لقوله تعالى في الآية [٣٥] من سورة (فصلت): ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾، وقال تعالى في سورة (الذاريات): ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾. وقيل: المراد بالآيات علامات الساعة التي ذكرتها في الآية رقم [٨٢] وليس بشيء، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ...﴾ إلخ: فيه تهديد، ووعيد لا يخفيان؛ إذ المعنى: فلا تحسبوا: أن تأخير العذاب لغفلة الله عنكم؛ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. هذا؛ ويقرأ الفعل ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء والياء، وهذا على الالتفات.

الإعراب: ﴿وَقُلِ﴾: الواو: حرف عطف. (قل): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿سَيُرِيكُمْ﴾: السين: حرف استقبال، وهي تفيد تحقيق الوعد بحقه جل ذكره. (يريكم): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى الله، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. وينبغي أن تعلم: أن الفعل: (يري) من رأى البصرية، فلما دخلت عليه الهمزة عدته إلى المفعول الثاني. ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: الفاء: حرف عطف (تعرفونها): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُلِ...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية السابقة، فهي في محل جزم مثلها.

﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال، (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿رَبُّكَ﴾: اسم (ما)، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِغَٰفِلٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (غافل): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وأجاز بعضهم اعتبار: (ما) مهملة تميمية، والباء زائدة في خبر المبتدأ. والمعتمد الأول؛ لأن الخبر بعد «ما» لم يجيء في التنزيل مجرداً من الباء؛ إلا وهو منصوب نحو قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾.

﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (غافل)، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بغافل عن الذي، أو: عن شيء تعملونه. وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن)، والجار والمجرور متعلقان: بـ: (غافل)، التقدير: وما ربك بغافل عن عملكم، أو عن عملهم، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا رَبُّكَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل (قل) المستتر، أو من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير على الاعتبارين، أو هي مستأنفة، لا محل لها.

انتهت سورة النمل، بحمد الله وتوفيقه، شرحاً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس